ظ ١

/ بسم الله الرحمن الرحيم

رب يسر ياكريم(١)

سبب ومكان وتاريخ تأليف " شرح الأصبهانية "

سئل شيخ الاسلام ،(٢) وناصر السنة ، فريد الدهر، وحيد العصر، بحر العلوم، بقية المجتهدين ، وقدوة المحققين ، تاج العارفين ، ولسان المتكلمين ،(٣) امام الزاهدين ، ومنار المجاهدين ، ورحلة الطالبين ، الامام الحجة النوراني ، والعالم المجتهد الرباني(٢)، تقي الدين ، أبو العباس، أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام بن تيمية ، أدام الله علو قدره في الدنيا والآخرة، وأسبغ عليه نعمه باطنة وظاهرة ،(٤) (٥) وهو مقيم بالديار المصرية، في شهور سنة اثنتى عشرة وسبعمائه(٥) - أن يشرح عقيدة مختصرة ألفها(٦) الشيخ شمس الدين محمد بن الأصفهاني(٧)، الامام المتكلم(٨) المشهور، الذى قيل : انه لم يدخل الى الديار المصرية أحد من رؤس علماء الكلام مثله ، وأن يبين مافيها .

فأجاب الى ذلك، واعتذر بأنه لابد عند شرح ذلك الكلام من مخالفة بعض مقاصده، لما توجبه قواعد الاسلام ؛ فان الحق أحق أن يتبع،

---

(١) رب يسر ياكريم : في (ص) فقط ؛ وبدلا منها في (س) : وبه نستعين .

(٢-٢) مابينهما في (ص) فقط .

(٣) ماكان ابن تيمية لسانا للمتكلمين ولكن لسانا لأهل السنة .

(٤) تقي الدين أبو العباس .... الخ كذا في (ص) ؛ خ ،س : أبو العباس أحمد بن تيمية قدس الله روحه ؛ ن ، ك : أبو العباس تقي الدين بن تيمية قدس الله روحه ونور ضريحه .

(٥-٥) مابينهما في (ص ،ن ،ك) فقط، وفيها : سنة اثني عشر وسبعمائة . وهو خطأ .

(٦) كذا في (ص ،ن) ، ك : أن يشرح العقيدة التي ألفها ؛ خ ،س : أن يشرح العقيدة التي رتبها .

(٧) خ ،س : الشيخ شمس الدين الأصفهاني ؛ وفي (ص ،ن) قبل كلمة " الأصفهاني " بياض بقدر كلمتين . وفي هامش (ن) نقلت ترجمة الأصفهاني من كتاب " حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة " للسيوطي . وفي هامش (ك) تعليق باسم محمود شكرى ، عرف فيه بالأصفهاني صاحب هذه العقيدة ، ونبه الى أنه غير شمس الدين محمود بن عبدالرحمن بن أحمد بن محمد الأصبهاني (ت ٧٤٩) شارح مختصر ابن الحاجب في الأصول .

(٨) من قوله : " الامام المتكلم ... " الى قوله في صفحة ٢ : " وأول العقيدة المذكورة قوله " ساقط من (خ ،س) .

والله ورسوله أحق أن يرضوه ان كانوا مؤمنين ، والله تعالى يقول : ((وما آتاكم الرسول فخذوه ومانهاكم عنه فانتهوا))[(١)] ، ((النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم))[(٢)] ، ((فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما))[(٣)] ،((يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا))[(٤)] .

وليعلم أن الشرح المطلوب ، الآتي ذكره اشتمل ـ ولله الحمد ، مع اختصاره ـ على غرر قواعد أصول الدين[(٥)] ، الذى لم ينهض بتحقيق الحق فيه[(٦)] الا الجهابذة النقاد ، من سادات الأولين والآخرين كما ستشهد ذلك ، ويشهد به وقت التأمل أهل العدل والانصاف من المحقين المحققين ، والله سبحانه ولي التوفيق ، والهادى الى سواء الطريق ، وهو حسبنا ونعم الوكيل .

وأول العقيدة المذكورة قوله[(٧)] :

العقيدة الأصبهانية **الحمد لله حق حمده ، وصلواته على محمد رسوله وعبده .**

للعالم خالق ، واجب الوجود لذاته ، واحد ، عالم ، قادر ، حي ، مريد ، متكلم ، سميع ، بصير .

---

(١) سورة الحشر : ٧ .
(٢) سورة الأحزاب : ٦ .
(٣) سورة النساء : ٦٥ .
(٤) سورة النساء : ٥٩ .
(٥) ن : قواعد الدين .
(٦) فيه : كذا في (ص) ، ك : فيها ، وسقطت من (ن) .
(٧) هنا ينتهي السقط في (خ ، س) الذى أشرت اليه في الصفحة الأولى ، وجاء الكلام فيهما كذا : ..... شمس الدين الأصفهاني وهي .

ج ٢

فالدليل[١]/ على وجوده الممكنات ؛ لاستحالة وجودها بنفسها ، واستحالة وجودها بممكن آخر ، ضرورة استغناء المعلول بعلته عن كل ماسواه ، وافتقار الممكن الى علته .

والدليل على وحدته أنه لا تركيب فيه بوجه ؛ والا لما كان واجب الوجود لذاته ، ضرورة افتقاره الى ماتركب منه ؛ ويلزم[٢] من ذلك أن لا يكون[٣] من نوعه اثنان ؛ اذ لو كان لزم وجود الاثنين بلا امتياز ، وهو محال .

والدليل على علمه ايجاده الأشياء ؛ لاستحالة ايجاده الأشياء[٤] مع الجهل بها .

والدليل على قدرته ايجاده الأشياء[٤] ؛ وهي اما بالذات وهو محال ؛ والا لكان العالم وكل واحد من مخلوقاته قديما ، وهو باطل ، فتعين أن يكون فاعلا بالاختيار ، وهو المطلوب .

والدليل على أنه حي علمه وقدرته ؛ لاستحالة قيام العلم والقدرة بغير الحي .

والدليل على ارادته تخصيصه الأشياء[٥] بخصوصيات ، واستحالة التخصيص[٦] من غير مخصص .

والدليل على كونه متكلما أنه آمر وناه ؛ لأنه بعث الرسل لتبليغ أوامره ونواهيه ، ولا معنى لكونه متكلما الا ذلك .

والدليل على كونه سميعا بصيرا السمعيات .

---

(١) ك : والدليل .
(٢) ص ، ن : ويستلزم .
(٣) ص : أن لا تكون .
(٤-٤) مابينهما سقط من (ن) .
(٥) خ : للأشياء .
(٦) خ ، س : المخصص .

والدليل على نبوة الأنبياء المعجزات ، والدليل على نبوة [نبينا][1] محمد صلى الله عليه وسلم القرآن المعجز نظمه ومعناه ؛

ثم نقول : كل ما أخبر به محمد صلى الله عليه وسلم[2] من عذاب القبر ، ومنكر ونكير ، وغير ذلك من أحوال القيامة ، والصراط ، والميزان ، والشفاعة ، والجنة - والنار - فهو حق ؛ لأنه ممكن ، وقد أخبر به الصادق ، فيلزم[3] صدقه ، والله الموفق .

تاب شرح
لأصبهانية

وأول الجواب ، والشرح المطلوب من شيخنا أبي العباس[4] أحمد بن تيمية ، المقدم ذكره - قوله :

الحمد لله[5] رب العالمين .

ا ذكره الأصبهاني
ن مسائل فهو
حق في الجملة

مافي هذا الكلام من الاخبار بأن للعالم خالقا ، وأنه واجب الوجود بنفسه ، وأنه واحد ، عالم ، قادر ، حي ، مريد ، متكلم ، سميع ، بصير - فهو حق لا ريب فيه .

وكذلك مافيه من الاقرار بنبوة الأنبياء [عليهم السلام][6] ، ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، وأنه يجب التصديق بكل ما أخبر به من عذاب القبر ، ومنكر ونكير ، وغير ذلك من أحوال القيامة ، والصراط ، والميزان ، والشفاعة ، والجنة والنار - فانه حق .

فان هذه الأسماء المقدسة المذكورة لله تعالى ، منها ماهو في كتاب الله ؛ كاسمه " الواحد " و " العالم " و " القادر " و " الحي " و " السميع " و " البصير " .

) نبينا : سقطت من (ص ،ن) .
) خ ،س ، ك : محمد عليه السلام .
) خ ،س ، ك : فلزم .
) في النسختين (ص ،ن) : أبو العباس .
) والله الموفق ، وأول الجواب . . . . الخ : كذا في (ص ،ن) ؛ وفي خ ،س ،ك : والله الموفق فأجاب رضي الله تعالى عنه : الحمد لله . . . . الخ .
) عليهم السلام : ليست في (ص ،ن) .

ظ ٢ /قال تعالى : ((والـهكم الـه واحد[(١)])) وقال تعالى : ((رفيع الدرجات ذو العرش يلقى الروح من أمره على من يشاء من عباده لينذر يوم التلاق . يوم هم بارزون لا يخفى على الله منهم شيء لمن الملك اليوم لله الواحد القهار[(٢)])) .

وقال تعالى : ((الله لا الـه الا هو الحي القيوم[(٣)])) وقال تعالى : ((وعنت الوجوه للحي القيوم[(٤)])) .

وقال تعالى : ((والله شكور حليم . عالم الغيب والشهادة العزيز الحكيم[(٥)])) . وقال تعالى : ((ان الله على كل شيء قدير[(٦)])) . وقال تعالى : ((ليس كمثله شيء وهو السميع البصير[(٧)])) . ومثل هذا في القرآن كثير .

" المريد " و" المتكلم " ليسا من الأسماء الحسنى ، ومعناهما حق .

وأما تسميته سبحانه[(٨)] بأنه مريد ، وأنه متكلم ؛ فان هذين الاسمين لم يردا في القرآن ، ولا في الأسماء الحسنى المعروفة ، ومعناهما[(٩)] حق ، ولكن الأسماء الحسنى[(١٠)] هي التي يدعى الله تعالى بها[(١١)] ، وهي التي[(١٢)] جاءت في الكتاب والسنة ، وهي التي تقتضي المدح[(١٣)] والثناء بنفسها .

---

(١) سورة البقرة : ١٦٣ .

(٢) سورة غافر : ١٥، ١٦ .

(٣) سورة البقرة : ٢٥٥ .

(٤) سورة طه : ١١١ .

(٥) سورة التغابن : ١٧، ١٨ .

(٦) سورة البقرة : ٢٠ .

(٧) سورة الشورى : ١١ .

(٨) سبحانه : ليست في (خ ، س) . وكتب أمام هذا الكلام في هامش (س) : مطلب تسميته أنه مريد وأنه متكلم لم يردا في القرآن .

(٩) خ ، س : فان معناهما .

(١٠) خ ، س ، ك : الأسماء الحسنى المعروفة .

(١١) ن : يدعى بها الله .

(١٢) ص ، ن : كالأسماء التي .

(١٣) خ ، س : المدحة .

والعلم والقدرة والرحمة ونحو ذلك هي في نفسها صفات مدح ، والأسماء الدالة عليها أسماء مدح[(١)] .

وأما الكلام والارادة ، فلما كان جنسه ينقسم الى محمود كالصدق والعدل ، والى مذموم كالظلم والكذب[(٢)] ، والله تعالى لا يوصف الا بالمحمود دون المذموم - جاء مايوصف به من الكلام والارادة في أسماء تختص[(٣)] المحمود ؛ كاسمه " الحكيم " و " الرحيم " و " الصادق " و " المؤمن " و " الشهيد " و " الرؤوف " و " الحليم " و " الفتاح " ونحو ذلك[(٤)] مما[(٥)] يتضمن معنى الكلام ومعنى الارادة .

فان الكلام نوعان : انشاء واخبار ، والاخبار ينقسم الى صدق وكذب ، والله تعالى يوصف بالصدق دون الكذب .[(٦)]والانشاء نوعان : انشاء تكوين وانشاء تشريع ، فانه سبحانه له الخلق والأمر ، وانما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له : كن ، فيكون .

والتكوين يستلزم الارادة عند جماهير الخلائق ، وكذلك يستلزم الكلام عند أكثر أهل الاثبات . وأما التشريع فيستلزم الكلام ،وفي استلزامه الارادة نزاع ، والصواب أنه يستلزم أحد نوعي الارادة ، كما سيتبين[(٧)] ان شاء الله تعالى[(٦)] . والانشاء يتضمن الأمر والنهي والاباحة ، والله تعالى يوصف بأنه يأمر بالخير وينهي عن الشر[(٨)] ، فهو سبحانه لا يأمر بالفحشاء .

---

(١) خ ،س : والأسماء الدالة عليها صفات ، فقط .
(٢) خ ،س : كالصدق والى مذموم كالكذب . وأمام هذا في هامش (س) كتب : مطلب انقسام الكلام والارادة الى محمود ومذموم .
(٣) ص : تخصص . ك : تخص .
(٤) خ ،س : كاسمه الحليم والرحيم والصادق ونحو ذلك .
(٥) مما : سقطت من (س) .
(٦-٦) مابينهما سقط من (خ ،س) .
(٧) ك : كما سنبين .
(٨) ص ،ن : يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر .

وكذلك الارادة ، قد نزه نفسه عن بعض أنواعها ؛ كقوله[1] : ((وما الله يريد ظلما للعباد[2])) ، وقوله : ((يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر[3])).

فلهذا لم يجيء في أسمائه الحسنى المأثورة ، المتكلم والمريد[4]. وأما ما يوصف به الرب / تعالى من الكلام والارادة فقد دلت عليه أسماؤه الحسنى. ج ٣

اتفاق السلف على أن الله متكلم بكلام قائم به وأن كلامه غير مخلوق وكذلك الارادة

وقد اتفق سلف الأمة وأئمتها على أن الله تعالى متكلم بكلام قائم به ، وأن كلامه غير مخلوق ، وأنه مريد بارادة قائمة به ، وأن ارادته ليست مخلوقة ، وأنكروا على الجهمية[5] من المعتزلة[6] وغيرهم الذين قالوا :

---

(١) ك : بقوله تعالى .
(٢) سورة غافر : ٣١ .
(٣) سورة البقرة : ١٨٥ .
(٤) المتكلم والمريد : سقطت من (خ ،س) .
(٥) الجهمية أتباع أبي محرز . جهم بن صفوان من أهل خراسان ، وينسب الى سمرقند وترمذ ، مولى لبني راسب، أخذ عن الجعد بن درهم (انظر ترجمة الجعد فيما يأتي ص ١٦ ت ١) وكان الجهم صاحب خصومات وكلام ، وأشهر بدعه نفي الصفات ، وأن الايمان هو المعرفة بالقلب فقط ، وأنه ليس للعبد فعل ولا قدرة على الفعل بل ذلك لله ، وأن الجنة والنار تفنيان ، قتل بمرو سنة ١٢٨هـ ،وقد توسع السلف في اطلاق لقب " الجهمية " على فرق أخرى قالت بنفي الصفات أو بعضها ، ذكر ابن تيمية في " التسعينية " ، ص ٤٠ - ٤٢ (ضمن المجلد الخامس من مجموعة فتاوى شيخ الاسلام ، ط . كردستان ١٣٢٩) - ماملخصه : الجهمية ثلاث درجات : فشرها الغالية الذين ينفون أسماء الله وصفاته ، وان سموه بشيء من أسمائه الحسنى قالوا : هو مجاز، ويدخل في هذا أتباع جهم والقرامطة الباطنية والصابئة الفلاسفة ، والثانية المعتزلة ونحوهم الذين يقرون بأسماء الله الحسنى في الجملة لكن ينفون صفاته ، والثالثة الصفاتية المثبتون المخالفون للجهمية ، لكن فيهم نوع من التجهم وهم الذين يقرون بأسماء الله وصفاته في الجملة ، لكن يردون بعضها ، كابن كلاب والأشعري ونحوهما .
انظر عن جهم والجهمية :
الرد على الزنادقة والجهمية للامام أحمد ،ص ٦٤ ومابعدها ،خلق أفعال العباد للبخاري ، ص ١١٨ - ١٣٧ (كلاهما ضمن مجلد بعنوان " عقائد السلف " نشرته منشأة المعارف بالاسكندرية ١٩٧١م ؛ مقالات الاسلاميين ١/ ٢١٤ ، ٣٣٨ ، البدء والتاريخ ٥/ ١٤٦ ، الفرق بين الفرق ، ص ٢١١ - ٢١٢ ؛ التبصير في الدين ،ص ٦٣ - ٦٤ ؛ الملل والنحل للشهرستاني ١/١٠٩ - ١١٢ ؛ كتاب التسعينية لابن تيمية ص ٣ - ٤٢ ؛ مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية (ط الرياض) ٨/ ٢٢٩ - ٢٣٠ ، ١٢/ ٣١١ - ٣١٢ ؛ ١٤/ ٣٤٨ ، ٣٥١ - ٣٥٣ ؛ الخطط للمقريزي ٢ / ٣٥٠ ، ٣٥١ ، ٣٥٧ ، تاريخ الجهمية والمعتزلة لجمال الدين القاسمي ؛ تاريخ الطبري ٦/ ٦ ؛ البداية والنهاية ١٠/ ٢٦ - ٢٧ ؛ ميزان الاعتدال ١/ ٤٢٦ ، لسان الميزان ٢/ ١٤٢ ، الأعلام ٢/ ١٤١ ؛ تاريخ التراث العربي لسزكين المجلد الأول ٤/ ٢١ - ٢٣ .
(٦) أشهر ماقيل في سبب تسمية المعتزلة بهذا الاسم أن الحسن البصري (ت ١١٠) سئل عن مرتكب الكبيرة ، وفي مجلسه واصل بن عطاء الغزال (ت ١٣١هـ) فقال واصل : ان مرتكب الكبيرة / =

ان كلام الله مخلوق ، خلقه في غيره ، وانه كلم موسى بكلام خلقه في الهواء.

معنى قول السلف عن القرآن : منه بدأ واليه يعود

واتفق سلف الأمة وأئمتها على أن [القرآن][1] كلام الله ، منزل غير مخلوق ، منه بدأ واليه يعود . ومعنى قولهم : منه بدأ ، أى هو المتكلم به ، لم يخلق في غيره ، كما قالت الجهمية من المعتزلة وغيرهم : " انه بدأ من بعض المخلوقات ، وانه سبحانه[2] لم يقم به كلام ".

ولم يرد السلف[3] أن كلامه[4] فارق ذاته ؛ فان الكلام وغيره من الصفات لا يفارق[5] الموصوف ، بل صفة المخلوق لا تفارقه وتنتقل الى غيره ، فكيف

= لا مؤمن ولا كافر ، بل في منزلة بين المنزلتين ، ثم اعتزل في مكان آخر من مسجد البصرة ، وانضم اليه عمرو بن عبيد (ت ١٤٢ أو ١٤٣) فسميا وأتباعهما من يومئذ بالمعتزلة .
المعتزلة فرق كثيرة ، لكل فرقة آراء خاصة بها ، لكن اتفقوا على خمسة أصول - تضمنت معان باطلة - التوحيد ، وجعلوا منه نفي الصفات ، وانكار الرؤية ، والقول بأن القرآن مخلوق ؛ والعدل ، وجعلوا منه أنه تعالى لا يشاء مايكون ، ويكون مالا يشاء ، وأنه لم يخلق أفعال العباد ؛ والوعد والوعيد ، قالوا : ان الله صادق لا يخلف الميعاد ولا بد أن ينفذ ماوعد أو توعد به ، ومنه قضوا على مرتكب الكبيرة بالخلود في النار ؛ والمنزلة بين المنزلتين ، وهي لمرتكب الكبيرة ، حيث يخرج من الايمان ولا يدخل في الكفر ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وضمنوه قتال الائمة والزام غيرهم بمذهبهم بالسيف ومادونه .
قوى أمر المعتزلة والجهمية في عهد المأمون والمعتصم والواثق فحملوهم (سنة ٢١٨-٢٣٢ هـ) على امتحان الناس في القول بخلق القرآن .
انظر عن المعتزلة ورجالها وآرائهم :
مقالات الاسلاميين ١/ ٢٣٥ ومابعدها ؛ التنبيه والرد للملطي ، ص ٣٥- ٤١ ؛ أصول الدين للبغدادى ، ص ٢٦ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٩٠ ؛ الفرق بين الفرق ، ص ١١٤- ٢٠١ ، التبصير في الدين ، ص ٣٧- ٥٨ ؛ الفصل لابن حزم ٢/ ١١٣ ، ١٢٢ ، ١٢٦ ، ٣/ ٢ ، ٥ ، ٢٢ ، ٤٣ ، ٥٤ ، ٩٧ ، ١٤٢ ، ١٦٤ ، ١٨٧ ، ٢٢٩ ، ٤/ ٤٥ ، ٦٣ ، ١٧١ ، ١٩٢ ؛ الملل والنحل ١/ ٤٣ ومابعدها ؛ مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية (ط الرياض) ١٣/ ٩٧-٩٩ ، ١٢٦- ١٣٠ ، ١٤/ ٣٤٩ ، ٣٥٠ ، تاريخ الجهمية والمعتزلة لجمال الدين القاسمي ؛ ضحى الاسلام ٣/ ٢١- ٢٠٧ ؛ مذاهب الاسلاميين لعبد الرحمن بدوى ١/ ٣٧- ٤٨٤ ؛ المعتزلة لزهدى حسن جار الله ، ط القاهرة ١٣٦٦ هـ . ولعبد الجبار بن أحمد الهمذاني المعتزلي كتاب " شرح الأصول الخمسة " حققه الدكتور/ عبد الكريم عثمان ، ط القاهرة ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٥ م ، وله كتاب " المغني في أبواب التوحيد والعدل " يقع في عشرين جزءا ، عثر على أربعة عشر جزءا منها نشرتها الدار المصرية للتأليف والترجمة .

(١) القرآن : سقطت من (ص ، ن ، ك) . وأمام هذا الموضع كتب في هامش (س) : مطلب أن القرآن منه بدأ واليه يعود .
(٢) خ ، س : وانه هو سبحانه .
(٣) خ ، س : ولم يريدوا .
(٤) ص ، ن ، ك : انه كلام .
(٥) ك : لا تفارق .

تكون صفة الخالق تفارقه وتنتقل الى غيره ! ولهذا قال الامام أحمد : كلام الله من الله ليس ببائن منه [1] . [(2) ورد بذلك على الجهمية المعتزلة وغيرهم الذين يقولون : كلام الله بائن منه (2)] خلقه في بعض الأجسام .

ومعنى قول السلف : اليه يعود ، ماجاء في الآثار : (ان القرآن يسرى به ،حتى لا يبقى في المصاحف منه [3] حرف ، ولا في القلوب منه آيـة [4]) .

وقد قال تعالى [5] عن المخلوق : ((كبرت كلمة تخرج من أفواههم ان يقولون الا كذبا [6])) . ومع هذا فكلمة المخلوق لا تفارق [7] ذاته ، وتنتقل الى غيره .

---

(١) أورد ابن أبي يعلي في كتابه طبقات الحنابلة (١ / ٢٤١ ، عن عبدوس بن مالك العطار قال : " سمعت أبا عبدالله أحمد بن حنبل رضي الله عنه يقول : أصول السنة عندنا التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والاقتداء بهم ، وترك البدع .. " الى أن قال (١ / ٢٤٢) : " والقرآن كلام الله ، وليس بمخلوق ، ولا يضعف أن يقول : ليس بمخلوق ، وأن كلام الله ليس ببائن منه ، وليس شيء منه مخلوق " .

(٢-٢) مابينهما سقط من (ص) .

(٣) ص : من .

(٤) روى ابن ماجه في سننه ٢ / ١٣٤٤ - ١٣٤٥ (رقم ٤٠٤٩) كتاب الفتن ، باب ذهاب القرآن والعلم ، عن علي بن محمد ثنا أبو معاوية عن أبي مالك الأشجعي عن ربعي ابن حراش عن حذيفة بن اليمان قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (يدرس الاسلام كما يدرس وشي الثوب ، حتى لا يدرى ماصيام ولا صلاة ولا نسك ولا صدقة ، وليسرى على كتاب الله عز وجل في ليلة ، فلا يبقى في الأرض منه آية ، وتبقى طوائف من الناس ؛ الشيخ الكبير والعجوز يقولون : أدركنا آباءنا على هذه الكلمة : لا اله الا الله . فنحن نقولها) .
قال البوصيري (مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجة . ق ٢٤٧ ، مصور بقسم المخطوطات ، مكتبة جامعة الملك سعود رقم ٥٥٨ ص ، عن مخطوطة مكتبة الأوقاف بحلب / الأحمدية رقم ١٨٥) : " هذا اسناد صحيح ، رجاله ثقات " .
وروى الحديث الحاكم فى المستدرك ٤ / ٤٧٣ ، ٥٤٥ من طريقين عن أبي معاوية بهذا الاسناد ، وقال عنه : حديث صحيح على شرط مسلم .
وهناك أخبار وآثار كثيرة بمعنى ما أورد ابن تيمية هنا ، انظر المستدرك ٤/٥٠٤ ، ٥٠٦ ؛ سنن الدارمي ٢ / ٣١٥ ؛ تفسير الطبرى ١٥ / ١٠٦ ؛ وانظر بخاصة الدر المنثور ٤ / ٢٠١ - ٢٠٢ عند تفسير قوله تعالى : ((ولئن شئنا لنذهبن بالذى أوحينا اليك ثم لا تجد لك به علينا وكيلا)) [الاسراء : ٨٦] .

(٥) خ ، س ، ك : وقد قال الله تعالى .

(٦) سورة الكهف : ٥ .

(٧) خ ، س : لم تفارق .

وما جاءت به الآثار[1] عن النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين لهم باحسان وغيرهم من أئمة المسلمين - كالحديث الذى رواه أحمد في مسنده وكتبه الى المتوكل في رسالته التي أرسل بها اليه[2] عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (ماتقرب العباد الى الله بمثل ماخرج منه) . يعني القرآن ، وفي لفظ : (بأحب اليه مما خرج منه)[3].

---

(١) من قوله : " وما جاءت به الآثار ...." الى قوله في ص١٢ - ١٣ " ذكره الخلال في كتاب السنة عن عبدالله بن أحمد " سقط من (خ ،س) .

(٢) هي رسالة أرسلها الامام أحمد بن حنبل رحمه الله الى عبيد الله بن يحيى بن خاقان (ت ٢٦٣هـ) وزير المتوكل جوابا لكتاب منه يخبره " أن أمير المؤمنين أمرني أن أكتب اليك كتابا أسألك من أمر القرآن لامسألة امتحان ولكن مسألة معرفة وبصيرة " .
وقد أورد نص هذه الرسالة عبدالله بن أحمد بن حنبل في كتابه " السنة " ص١٦ - ١٩ ، وأبو نعيم في ترجمة الامام أحمد من كتابه " حلية الأولياء " ٩/٢١٦-٢١٩ . ونقلها عنه الذهبي في ترجمة الامام أحمد من كتابه " تاريخ الاسلام " وقد نقل هذه الترجمة عن نسخة خطية لكتاب " تاريخ الاسلام " في دار الكتب المصرية - الأستاذ أحمد شاكر في مقدمة " المسند " ثم أفردها برسالة مستقلة نشرتها دار المعارف بمصر في نفس العام الذى نشرت فيه الجزء الأول من المسند ١٣٦٥هـ - ١٩٤٦م .
وقال الذهبي عن رسالة أحمد هذه (مقدمة المسند ١/١٢٤) : " رواة هذه الرسالة عن أحمد أئمة اثبات أشهد بالله أنه أملاها على ولده " .

(٣) روى الامام أحمد في مسنده (ط الحلبي) ٥/٢٦٨ ، والترمذى في جامعه (تحفة الاحوذى ٨/٢٢٩- ٢٣٠) ، فضائل القرآن ، باب حدثنا أحمد بن منيع ..... الخ بسنديهما عن بكر بن خنيس عن ليث بن أبي سليم عن زيد بن أرطاة عن أبي أمامة قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : (ما أذن الله لعبد في شيء أفضل من ركعتين يصليهما وان البر ليذر على رأس العبد مادام في صلاته ، وماتقرب العباد الى الله عز وجل بمثل ماخرج منه) . يعني القرآن .
قال الترمذى : " هذا حديث غريب لانعرفه الا من هذا الوجه ، وبكر بن خنيس قد تكلم فيه ابن المبارك وتركه في آخر أمره " .
وأضاف المباركفورى ٨/٢٣٠ : " .... وليث بن أبي سليم وقد اختلط أخيرا ولم يتميز حديثه فترك " .
وانظر في الرجلين أيضا ميزان الاعتدال ١/٣٤٤ ، ٣/٤٢٠-٤٢٣ .
وروى الحديث الترمذى ٨/٢٣٠ عن زيد بن ارطاة عن جبير بن نفير عن النبي صلى الله عليه وسلم مرسلا ، ولفظه : (انكم لن ترجعوا الى الله بأفضل مما خرج منه) يعني القرآن .
وأورده الامام أحمد في رسالته الى المتوكل [كتاب السنة لعبد الله بن أحمد ، ص١٧] عن جبير بن نفير عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأورد أيضا [المرجع السابق ، ص١٨] عن خباب بن الأرت موقوفا : (تقرب الى الله بما استطعت فانك لن تقرب الى الله بشيء أحب اليه من كلامه) . ورواه عن خباب البخارى في كتاب " خلق أفعال العباد " ، ص١٣٢ ضمن مجموع " عقائد السلف " ، والبيهقي في كتاب " الاسماء والصفات " ، ص ٢٤١ .

وقول أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، لما سمع كلام مسيلمة [١] : ان هذا كلام لم يخرج من ال ، أي من رب [٢]. وقول ابن عباس ،لما سمع قائلا يقول لميت لما وضع في لحده : اللهم رب القرآن اغفر له ، فالتفت اليه ابن عباس فقال : مه ، القرآن كلام الله ليس بمربوب ، منه خرج واليه يعود . وهذا الكلام معروف عن ابن عباس رضي الله عنهما [٣].

---

(١) أبو ثمامة مسيلمة بن حبيب ، أو ابن ثمامة بن كبير بن حبيب بن الحارث قدم سنة عشر مع قومه بني حنيفة وافدا الى رسول الله، وسمعه صلى الله عليه وسلم وهو يقول :ان جعل لي محمد الأمر من بعده تبعته، فأقبل اليه - وفي يده قطعة جريد - فقال : (لو سألتني هذه القطعة ما أعطيتكها ، ولن تعدو أمر الله فيك ، ولئن أدبرت ليعقرنك الله) .
ثم ادعى أنه أشرك مع النبي صلى الله عليه وسلم في النبوة ، ولما مات عليه السلام زعم أنه استقل بالأمر من بعده ، واستخف قومه فأطاعوه، فوجه اليهم أبو بكر الصديق خالد بن الوليد على رأس جيش كبير ، فكانت وقعة اليمامة في سنة ١١ و ١٢ انتهت بهزيمة المرتدين وقتل مسيلمة الكذاب .
انظر: صحيح البخاري (فتح الباري ٨/ ٨٩ رقم ٤٣٧٣) كتاب المغازي ، باب وفد بني حنيفة .... الخ ؛ سيرة ابن هشام (القسم الثاني) ،ص ٥٧٦- ٥٧٧، ٥٩٩، ٦٠٠- ٦٠١؛ طبقات ابن سعد ١/ ٢٧٣، ٣١٦- ٣١٧ ؛ تاريخ الطبري ٣/ ١٧٣ - ١٣٨، ١٤٦- ١٤٧، ٢٧١- ٢٧٤، ٢٨١- ٣٠١ ؛ البدء والتاريخ ٥/ ١٦٠- ١٦٣ ؛ الكامل لابن الأثير ٢/ ٢٩٨، ٢٩٩، ٣٠٠- ٣٦٠، ٣٦٥ ؛ البداية والنهاية ٦/ ٣١٥، ٣٢٠- ٣٢٧، ٣٤١- ٣٤٢ ؛ فتح الباري ٨/ ٨٩ - ٩٠ ؛ الاعلام ٧/ ٢٢٦ .

(٢) بعد معركة اليمامة بعث خالد وفدا من بني حنيفة الى أبي بكر ،ولما قدموا عليه سألهم أن يسمعوه شيئا من كلام مسيلمة ، فاستعفوه ، فعزم عليهم حتى قرأوا منه، فقال الصديق : ويحكم ! ان هذا الكلام لم يخرج من ال ولا بر ، فاين يذهب بكم ! (انظر تاريخ الطبري ٣/ ٣٠٠) .
وفي غريب الحديث لأبي عبيد ٣/ ٢٣٠ " قوله : من ال ،يعني من رب، ويروى عن الشعبي أنه قال في قوله : (لا يرقبون في مؤمن الا ولا ذمة) [سورة التوبة : ١٠] قال : الله، أو قال : ربا ، ومما يبين هذا قول جبريل وميكائيل ، انما أضيف " جبر " و " ميكا " الى " ال "، وهو شبيه بقول ابن عباس : انما هو كقولك : عبد الله وعبد الرحمن في جبريل وميكائيل " . وانظر أيضا غريب الحديث ١/ ٩٩- ١٠٠ ، النهاية في غريب الحديث والأثر ١/ ٦١ .

(٣) أورد ابن تيمية قول ابن عباس في كتاب " منهاج السنة " تحقيق الدكتور محمد رشاد سالم ٢/ ١٨٦ - ١٨٧ ،وفي كتاب " التسعينية " ،ص ٤٧ ضمن المجلد الخامس من مجموعة فتاوى شيخ الاسلام ط كردستان ، القاهرة ١٣٢٩هـ من رواية الامام عبد الرحمن ابن أبي حاتم في كتاب " الرد على الجهمية " وأورده في كتاب " التسعينية " أيضا ،ص ٦٥ من رواية الطبراني في كتاب " السنة " بسنديهما عن عمران بن حدير عن عكرمة عن ابن عباس .

وقول السلف : القرآن كلام الله غير مخلوق منه بدأ واليه يعود ، كما استفاضت الآثار عنهم بذلك ، كما هو مذكور عنهم في الكُتب المنقولة عنهم بالأسانيد المشهورة - لا يدل على أن الكلام يفارق المتكلم وينتقل الى غيره ، / ولكن هذا دليل على أن الله تعالى هو المتكلم بالقرآن ، ومنه سمع ، لا أنه خلقه في غيره ، كما فسره بذلك أحمد وغيره من الأئمة ؛ قال أبو بكر الأعين[١] : سئل أحمد عن قوله : القرآن كلام الله ، منه خرج ، واليه يعود . فقال أحمد : منه خرج : هو المتكلم به ، واليه يعود . ذكره الخلال[٢] في كتاب السنة[٣] عن عبد الله بن

ظ ٣

---

(١) أبو بكر الأعين : كذا في (ص) ، وهو الصواب (انظر في هذه الصفحة تعليق رقم ٣) . وفي (ن) : أبو بكر الأثرم ، وفي (ك) : أبو بكر الأشتر .
والأعين هو محمد بن أبي عتاب ، واسم أبي عتاب طريف ، وقيل : الحسن بن طريف . ثقة ، نقل عن الامام أحمد أشياء ، مات ببغداد سنة ٢٤٠ هـ . انظر : الجرح والتعديل ٧/ ٢٢٩ ؛ تاريخ بغداد ٢/ ١٨٢ - ١٨٣ ؛ طبقات الحنابلة ١/ ٢٩٩ - ٣٠٠ ، ٣٣١ ؛ الوافي بالوفيات ٢/ ٢٣٥ - ٢٣٦ ؛ تهذيب التهذيب ٩/ ٣٣٤ - ٣٣٥ .
والأثرم هو أبو بكر أحمد بن محمد بن هانىء الطائي - ويقال الكلبي - الأثرم ، الاسكافي . تفقه على الامام أحمد وروى عنه ، وكان حافظا صادقا ذكيا . توفي سنة ٢٦١ هـ وقيل ٢٧٣ هـ وذكره ابن كثير في وفيات سنة ٢٩٦ هـ انظر عنه وعن مصنفاته : تاريخ بغداد ٥/ ١١٠ - ١١٢ ؛ طبقات الحنابلة ١/ ٦٦ - ٧٤ ؛ تذكرة الحفاظ ٢/ ٥٧٠ - ٥٧٢ ؛ العبر ٢/ ٢١ ؛ البداية والنهاية ١١/ ١٠٨ ؛ تهذيب التهذيب ١/ ٧٨ - ٧٩ ؛ الاعلام ١/ ٢٠٥ ؛ تاريخ التراث العربي المجلد الأول ٣/ ٢٢٩ . ولم أجد فيمن نقل عن الامام أحمد من يسمى أبو بكر الأشتر .

(٢) أبو بكر أحمد بن محمد بن هارون الخلال (ت ٣١١ هـ) من كبار أئمة الحنابلة ، صرف عنايته الى جمع علوم الامام أحمد وتطلبها وسافر لأجلها وصنفها كتبا ، من كتبه " الجامع " و " العلل " و " السنة " و " الطبقات " وغيرها . انظر في ترجمته وكتبه : تاريخ بغداد ٥/ ١١٢ - ١١٣ ؛ طبقات الحنابلة ٢/ ١٢ - ١٥ ؛ تذكرة الحفاظ ٣/ ٧٨٥ - ٧٨٦ ؛ العبر ٢/ ١٤٨ ؛ البداية والنهاية ١١/ ١٤٨ ؛ الاعلام ١/ ٢٠٦ ؛ تاريخ الأدب العربي لبروكلمان ٣/ ٣١٣ - ٣١٤ ؛ تاريخ التراث العربي لفؤاد سزكين ، (المجلد الأول ٣/ ٢٣٣ - ٢٣٤) .

(٣) نقل ابن تيمية في كتابه " التسعينية " ، (ص ٦٤) ضمن المجلد الخامس من مجموعة فتاوى شيخ الاسلام قول الخلال في كتابه " السنة " : " وسمعت عبد الله بن أحمد قال : ذكر أبو بكر الأعين قال : سئل أحمد بن حنبل عن تفسير قوله : القرآن كلام الله منه خرج واليه يعود ، فقال أحمد : منه خرج هو المتكلم به واليه يعود " .
وقد اطلعت على صورة لمخطوط في المتحف البريطاني (مخطوطات شرقية ٢٦٧٥) عنوانه " الجزء الأول من كتاب المسند من مسائل أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل . رواية أبي بكر الخلال " واشتمل هذا الجزء على أبواب في الامامة ، والخلافة ، والقدر ، والايمان ، والقرآن . وفيه (ق ١٥٨ أ) النص الذى نقله ابن تيمية بلفظه . ولا أدرى هل هذا هو كتاب " السنة " أو لا ، الا أن سزكين في كتاب " تاريخ التراث العربي ١/ ٣/ ٢٣٣ ذكره على أنه " الجامع " .

أحمد[١] (*).

[وماجاءت[٢] به[٣] الآثار مثل قول خباب بن الأرت[٤]: تقرب الى الله بما استطعت، فانك لن تتقرب اليه بشيء أحب اليه مما خرج منه، وروى ذلك مرفوعا[٤]، ونحو ذلك - أولى أن لا يدل على أن الكلام يفارق المتكلم وينتقل الى غيره، ولكن هذا دليل على أن الله هو المتكلم بالقرآن ومنه سمع، لا أنه خلقه في غيره[٢]].

فساد قول من يقول: كلام الله مخلوق

وقد بين السلف والأئمة وأتباعهم فساد قول الجهمية [وأتباعهم[٦]] - الذين يقولون: كلامه مخلوق - من وجوه[٧] كثيرة؛ مثل قولهم: لو كان مخلوقا في غيره لكان صفة لذلك المحل، ولاشتق لذلك المحل منه اسم، كما في سائر الصفات؛ مثل العلم والقدرة والسمع والبصر والحياة، وكما في الحركة والسكون، والسواد والبياض، وسائر الصفات التي يشترط[٨] لها

(١) ابو عبد الرحمن عبد الله بن الامام أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (٢١٣-٢٩٠هـ) ثقة حافظ، سمع من أبيه - فأكثر - ومن غيره. انظر عنه وعن كتبه: تاريخ بغداد ٩/٣٧٥-٣٧٦؛ طبقات الحنابلة ١/١٨٠-١٨٨؛ تذكرة الحفاظ ٢/٦٦٥-٦٦٦؛ البداية والنهاية ١١/٩٦-٩٧؛ تهذيب التهذيب ٥/١٤١-١٤٣؛ الاعلام ٤/٦٥؛ تاريخ الأدب العربي ٣/٣١٣؛ تاريخ التراث العربي (المجلد الأول ٣/٢٣٢-٢٣٣).

(*) هنا ينتهي السقط في (خ،س) الذى بدأ في ص١٠.

(٢-٢) مابينهما سقط من (ص).

(٣) خ،س: فما جاءت.

(٤) خباب بن الارت بن جندلة بن سعد بن خزيمة بن كعب التميمي. صحابي، من السابقين وممن عذب في الله، شهد بدرا والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وروى عنه. نزل الكوفة، ومات بها سنة سبع وثلاثين.
انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد ٣/١٦٤-١٦٧؛ حلية الأولياء ١/١٤٣-١٤٧، ٣٥٩-٣٦٠؛ الاستيعاب في معرفة الأصحاب ٢/٤٣٧-٤٣٩؛ أسد الغابة في معرفة الصحابة ٢/١٠٦-١٠٨؛ الاصابة في تمييز الصحابة ٢/٢٥٨-٢٥٩؛ تهذيب التهذيب ٣/١٣٣-١٣٤؛ الاعلام ٢/٣٠١.

(٥) انظر فيما سبق، ص١٠ ت٣.

(٦) واتباعهم: زيادة من (ك).

(٧) خ،س،ك: بوجوه وكتب أمام هذا الموضع في هامش (س): مطلب في فساد قول الجهمية من وجوه.

(٨) ك: تشترط. خ: التي لا تشترط. س: التي لا يشترط.

الحياة ، فانها اذا قامت بمحل كانت صفة لذلك المحل دون غيره ، واشتق لذلك المحل منها اسم دون غيره ، فان الصفة[١] اذا قامت بمحل عاد حكمها على ذلك المحل دون غيره ، وسمي بالاسم المشتق منها ذلك المحل دون غيره .

وطرد هذا عند السلف وجمهور أهل الاثبات ،أسماء[٢] الأفعال : كالخالق والعادل وغير ذلك .

وأما من لم يطرد ذلك ، بل زعم أنه يوصف بصفات الأفعال ، وهي عنده المفعولات المباينة له ، ويشتق له منها اسم - فقوله متناقض ؛ ولهذا نقضت المعتزلة قول هؤلاء بما سلموه لهم ، وبسط هذا له موضع آخر .

والمقصود هنا التنبيه على الفرق بين المتكلم والمريد وغيرهما ، حيث جاءت النصوص باسم " العليم " و " القدير " و " السميع " و " البصير " ، ولم تأت[٣] باسم " المريد " و " المتكلم " بما يدل على مطلق الارادة والكلام ، وانما جاءت بما يدل على الكلام المحمود ، والارادة المحمودة ، لا باسم يشترك فيه المحمود والمذموم ؛ وأن الكلام والارادة مما يقوم بالرب تعالى ، ويوصف به ، ليس ذلك أمرا منفصلا عنه ، كما تزعم الجهمية والمعتزلة ، والتنبيه على أنه[٤] لو كان كلام الله مخلوقا في محل ، لكان ذلك المحل هو المتكلم به ، وكانت الشجرة مثلا هي القائلة[٥] لموسى :((انني أنا الله لا اله الا أنا فاعبدني[٦])) ،ولوجب أن يكون ما أنطق الله به بعض مخلوقاته[٧] كلاما له .

---

(١) من قوله هنا :" فان الصفة ..." الى قوله : " والتنبيه على أنه " سقط من (خ ،س) .
(٢) ك : في أسماء .
(٣) ولم تأت : كذا في (ك)،وفي النسخ الأخرى : لم يأت .
(٤) هنا ينتهي السقط في (خ ،س) ، وجاء الكلام فيهما هكذا : ... واشتق لذلك المحل منها اسم دون غيره فلو كان كلام الله مخلوقا ...
(٥) ص ،ن : القائل .
(٦) سورة طه : ١٤ .
(٧) في (ص) في هذا الموضع سهم يشير الى وجود سقط، وكتب في الهامش : لعله من الجمادات .

وقد قال تعالى : ((وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذى أنطق كل شيء[(١)])) . وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يسلم عليه الحجر ؛ وقال : (اني لأعرف حجرا بمكة كان يسلم علي قبل أن أبعث ، اني لأعرفه الآن[(٢)]) ، وقد سبح الحصى بيديه حتى سمع تسبيحه[(٣)] ، وأمثال ذلك كثيرة[(٤)] .

ج ٤ والله هو الذى أنطق هذه الأجسام ،/ فلو كان مايخلقه من النطق والكلام كلاما له ، لكان ذلك كلام الله ، كما أن القرآن كلام الله ، وكان لا فرق بين أن ينطق هو ، وبين أن ينطق غيره من المخلوقات ، وهذا ظاهر الفساد .

تطور مذهب الجهمية في كلام الله

وكان قدماء الجهمية تنكر أن يكون الله يتكلم[(٥)] ؛ فان حقيقة مذهبهم أن الله لا يتكلم ، ولهذا قتل المسلمون أول من أظهر هذه البدعة

---

(١) سورة فصلت : ٢١ .

(٢) الحديث عن جابر بن سمرة رضي الله عنه ، وهو بلفظه في صحيح مسلم ٤/١٧٨٢ (رقم ٢٢٧٧) كتاب الفضائل ، باب فضل نسب النبي صلى الله عليه وسلم ، وتسليم الحجر عليه قبل النبوة ؛ وفي مسند أحمد (ط الحلبي) ٥/٨٩، ٩٥ .
وبلفظ مقارب في مسند أحمد (ط الحلبي) ٥/١٠٥ ؛ وفي جامع الترمذى (تحفة الأحوذى ١٠/٩٨) أبواب المناقب ، باب ماجاء في آيات نبوة النبي صلى الله عليه وسلم وماقد خصه الله به .

(٣) أورد الهيثمي في مجمع الزوائد ٥/١٧٩، ٨/٢٩٨-٢٩٩ عن أبي ذر الغفارى قال: (كنت أتبع خلوات رسول الله صلى الله عليه وسلم وأتعلم منه ، فذهبت يوما فاذا هو قد خرج فاتبعته ، فجلس في موضع فجلست عنده ...) وفيه (... فتناول النبي صلى الله عليه وسلم سبع حصيات ، أو تسع حصيات ، فسبحن في يده حتى سمعت لهن حنينا كحنين النحل ، ثم وضعهن فخرسن ...) وكذا في يد أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم .
قال الهيثمي ٨/٢٩٩ : " رواه البزار باسنادين ، ورجال أحدهما ثقات ، وفي بعضهم ضعف ، وقد تقدم في الخلافة له طريق عن أبي ذر أيضا رواه الطبراني في الأوسط " .
وأورده ابن كثير في البداية والنهاية ٦/١٣٢-١٣٣ من رواية البيهقي وأبي نعيم ، وانظره في دلائل النبوة لأبي نعيم ، ص ٣٦٩ - ٣٧٠ ، وانظر فتح البارى ٦/٥٩٢ .

(٤) خ ،ك : كثير .

(٥) أمام هذا الموضع كتب في هامش (س) : مطلب انكار قدماء الجهمية أن يتكلم ربنا وفيه قتل الجعد بن درهم .

في الاسلام ، الجعد بن درهم[(١)] ، ضحى به خالد بن عبدالله القسري[(٢)] في يوم النحر ، وقال : ضحوا - أيها الناس - تقبل الله ضحاياكم ، فاني مضح بالجعد بن درهم ، انه زعم أن الله لم يتخذ ابراهيم خليلا ، ولم يكلم موسى تكليما ، تعالى الله عما يقول الجعد علوا كبيرا ، ثم نزل فذبحه .

ثم انهم صاروا يقولون : انه متكلم مجازا ، ثم بعد ذلك أظهروا القول بأنه متكلم حقيقة ؛ وقرروا[(٣)] ذلك بأنه خالق للكلام في غيره .

---

(١) الجعد بن درهم ،من الموالي ، أول من أظهر القول بنفي الصفات في الاسلام ، وقتله على ذلك بأمر الخليفة هشام بن عبدالملك الأمير خالد القسرى بواسط العراق في يوم أضحى قبل سنة ١٢٠هـ . (ذكر الزركلي في الأعلام ٢/١٢٠ أن وفاته نحو سنة ١١٨هـ ولم أرمن حدد ذلك في كتب التاريخ والتراجم المتقدمة لكن خالدا عزل عن العراق في جمادى الأولى سنة ١٢٠هـ) .
قال ابن تيمية في " الحموية " ضمن مجموع فتاوى شيخ الاسلام (ط الرياض) ٥/٢٠-٢١ :
" وقد قيل : ان الجعد أخذ مقالته عن أبان بن سمعان ، وأخذها أبان عن طالوت ابن أخت لبيد بن الأعصم ، وأخذها طالوت من لبيد بن الأعصم اليهودى الساحر الذى سحر النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان الجعد بن درهم هذا - فيما قيل - من أهل حران ، وكان فيهم خلق كثير من الصابئة والفلاسفة ... " .
وقد روى خبر مقتل الجعد البخارى في " خلق أفعال العباد " ص ١١٨ ؛ وعثمان بن سعيد الدارمي في " الرد على الجهمية " ص ٢٥٨ . وكلاهما ضمن مجموع نشرته منشأة المعارف بالاسكندرية عام ١٩٧١م بعنوان " عقائد السلف " ؛ والبيهقي في " الأسماء والصفات " ، ص ٢٥٤ ؛ وغيرهم .
وانظر ترجمة الجعد ومصدر تلقيه هذا المذهب وانتشاره في : اللباب ١/٢٨٢-٢٨٣ ؛ الكامل ٥/٤٢٩ ؛ التسعينية ، ص ٣٥ - ٣٦ ضمن المجلد الخامس من مجموعة فتاوى شيخ الاسلام (ط كردستان بالقاهرة) ؛ مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية (ط الرياض) ٥/٢٠ - ٢٣ ، ١٠/٦٦-٦٧ ، ١٢/١١٩ ، ٣٥٠ - ٣٥١ ، ٥٠٤ ، ١٣/١٧٧ ؛ تاريخ الاسلام للذهبي ٤/٢٣٨-٢٣٩ ؛ ميزان الاعتدال ١/٣٩٩ ؛ البداية والنهاية ٩/٣٥٠ ؛ لسان الميزان ٢/١٠٥ ، الأعلام ٢/١٢٠ .

(٢) خالد بن عبدالله بن يزيد بن أسد البجلي القسرى . ولاه الوليد بن عبدالملك مكة سنة ٨٩هـ فلم يزل بها حتى عزله سليمان بن عبدالملك سنة ٩٦ هـ ، ثم ولاه هشام بن عبدالملك العراق سنة ١٠٥ أو ١٠٦هـ الى أن عزله سنة ١٢٠هـ ، ثم قتل بأمر الوليد بن يزيد سنة ١٢٦هـ . نسب الى خالد وقيل في معتقده وسيرته أشياء متناقضة . انظر : تاريخ الطبرى ٦/٤٤٠ ، ٥٢٢ ؛ ترتيب تاريخ دمشق لابن عساكر ٥/٦٧-٨٠ ؛ اللباب ٣/٣٦ ؛ الكامل ٥/٢١٩-٢٢٥ ، ٢٦٣ ، ٢٧٦-٢٨٠ ؛ وفيات الأعيان ٢/٢٢٦-٢٣١ ؛ تاريخ الاسلام للذهبي ٥/٦٤ - ٦٥ ؛ ميزان الاعتدال ١/٦٣٣ ؛ البداية والنهاية ٩/٧٦-٧٧ ، ١٠/١٧-٢١ ؛ تهذيب التهذيب ٣/١٠١-١٠٢ ؛ الاعلام ٢/٢٩٧ .

(٣) خ ، س : وفسروا .

وكان هذا من التلبيس على الناس ؛ فان المتكلم عند الناس من قام به الكلام، لا من أحدثه في غيره ، كما أن المريد ، والرحيم، والسميع ، والبصير، والعالم، والقادر، من قامت به الارادة ، والرحمة ، والسمع ، والبصر، والعلم، والقدرة ، لا من أحدث ذلك في غيره .

وكذلك الارادة ؛ فان من الجهمية[1] والمعتزلة وغيرهم من يقول : انه لا ارادة له ، كما يقوله من يقوله من المعتزلة البغداديين ، ومنهم من يقول له ارادة أحدثها لا في محل ، كما يقوله البصريون منهم[2]، والشيعة المتأخرون[3]:

---

(١) خ ،س، ك : ومن الجهمية .

(٢) ظهر الاعتزال بالبصرة على يد واصل بن عطاء (ت ١٣١هـ) ، ويذكر الملطي في " التنبيه والرد" ، ص ٣٨ أن معتزلة بغداد أخذوا الاعتزال عن معتزلة البصرة، أولهم بشر بن المعتمر (ت ٢١٠هـ) خرج الى البصرة فلقي بشر بن سعيد وأبا عثمان الزعفراني ، صاحبا واصل بن عطاء فحمل عنهما الاعتزال والأصول الخمسة الى بغداد .
والمعتزلة - كما تقدم - فرق متعددة ، لكن ثمة سمات تميز معتزلة البصرة عن معتزلة بغداد ، يقول ابن تيمية في كتاب " درء تعارض العقل والنقل" (١٥٧/١) : " والبصريون أقرب الى السنة والاثبات من البغداديين ، ولهذا كان البصريون يثبتون كون البارى سميعا بصيرا مع كونه حيا عليما قديرا ، ويثبتون له الارادة ، ولا يوجبون الأصلح في الدنيا ، ويثبتون خبر الواحد والقياس، ولا يؤثمون المجتهدين ، وغير ذلك "، ويقول (درء ٣٤٨/٥) : " تأويل الميزان والصراط ، وعذاب القبر ، والسمع والبصر، انما هو قول البغداديين من المعتزلة دون البصرية ". ويذكر أيضا اختلافهم في الارادة في درء (٣٢٩/١) ، وفي مجموع فتاوى شيخ الاسلام (ط الرياض) ٣٠٠/١٣

(٣) سمي الشيعة بهذا الاسم لأنهم شايعوا علي بن أبي طالب رضي الله عنه وقد صنفهم الأشعرى في مقالات الاسلاميين (٦٥/١) ،وابن تيمية في التسعينية ،ص ٤٠ ثلاث درجات ، عرفها ابن تيمية كما يلي :
الأولى - الغالية ، الذين يجعلون لعلي شيئا من الالهية، أو يصفونه بالنبوة .
الثانية - الرافضة كالامامية وغيرهم ، الذين يعتقدون أن عليا هو الامام الحق بعد النبي صلى الله عليه وسلم بنص جلي أو خفي ، وأنه ظلم ومنع حقه ، ويبغضون أبا بكر وعمر ويشتمونهما .
الثالثة - المفضلة من الزيدية وغيرهم ، الذين يفضلون عليا على أبي بكر وعمر، ولكن يعتقدون امامتهما وعدالتهما ، ويتولونهما .
ويذكر ابن تيمية في (مجموع الفتاوى ط الرياض ١٣ / ٣٢ - ٣٤) أن الشيعة الأولى الذين في عهد علي فضلوه على عثمان ولم يفضلوه على أبي بكر وعمر رضي الله عن الجميع ، وان كانت بوادر هذه الأصناف الثلاثة قد وجدت في ذلك العهد ، لكن كانوا يخفون أقوالهم عن علي وشيعته . هذا وقسم الأشعرى (مقالات الاسلاميين ١ / ٦٥ - ١٦٦) كل صنف من هذه الثلاثة الى فرق تحدث عنها بالتفصيل .
وذكر (١ / ٦٦ - ٨٨) أقوال الغالية وفي بعضها التشبيه والتجسيم والحلول ، ثم تكلم عن الرافضة وذكر (١ / ١٠٦ - ١٠٩) اختلافهم في التجسيم على ست فرق ، قالت خمس منها بالتشبيه أو التجسيم ، وسمي من هؤلاء : الهشامية أصحاب هشام بن الحكم (ت ١٨٧هـ) والهشامية / =

وافقوهم على ذلك ، ولهم قولان كالمعتزلة[١] .

وهو من أفسد الأقوال من وجهين : من جهة اثباتهم صفة لا في محل ، ومن جهة اثباتهم حادثا أحدثه لا بارادة .

اختصار الأصبهاني هذه العقيدة من كتب المتكلمين الصفاتية

فهذا المصنف احترز عن مذهب هؤلاء ، وأحسن في ذلك ، ولكن هذا المصنف اختصر هذه العقيدة من كتب المتكلمين الصفاتية[٢] ، الذين يثبتون ما ذكره من الصفات بما نبه عليه من الطرق العقلية ، ويسمون ذلك " العقليات " ، وأما أمر المعاد فيجعلونه كله من باب السمعيات ؛ لأنه ممكن في العقل ، والصادق قد أخبر به .

/ = أصحاب هشام بن سالم الجواليقي وقال عن الفرقة السادسة انهم نفوا ذلك" وقالوا في التوحيد بقول المعتزلة والخوارج ، وهؤلاء قوم من متأخريهم ، فأما أوائلهم فانهم كانوا يقولون ما حكينا عنهم من التشبيه " .
وكذلك ذكر (١/١١٤-١١٥) قولهم في أفعال العباد ، وفيه أن هشام بن الحكم قال : انها مخلوقة لله ، بخلاف قوم منهم يقولون بالاعتزال والامامة .
وأورد (١/١١٥-١١٦) اختلافهم في ارادة الله على أربع فرق ، وبين أن أصحاب الهشامين قالوا : ان ارادة الله حركة ، وهي معنى لا هي الله ولا غيره ، وانها صفة لله ليست غيره ، وان الله اذا أراد شيئا تحرك فكان ما أراد ، ثم قال : " والقائلون بالاعتزال والامامة يزعمون أن ارادة الله ليست بحركة ، فمنهم من أثبتها غير المراد فيقول : انها مخلوقة لله لا بارادة ، ومنهم من يقول : ارادة الله سبحانه لتكوين الشيء هو الشيء ، وارادته لأفعال العباد هي أمره اياهم بالفعل ، وهي غير فعلهم ، وهم يأبون أن يكون الله سبحانه أراد المعاصي فكانت " .
وقد أشار ابن تيمية في غير موضع الى غلو متقدمي الشيعة كالهشامين في الاثبات ، بضد متأخريهم الذين صنفوا في أواخر المائة الثالثة - كالنوبختي أبي محمد الحسن بن موسى (ت ٣١٠هـ) وأمثاله ، ومن جاء بعدهم كالمفيد أبي عبدالله محمد بن محمد بن النعمان (ت ٤١٣هـ) وأتباعه كالموسوى أبي القاسم علي بن الحسين بن موسى بن محمد (ت ٤٣٦هـ) والطوسي أبي جعفر محمد بن الحسن بن علي (ت ٤٦٠هـ) - فانهم أخذوا أقوال المعتزلة . انظر " التسعينية " ص ٣٩-٤٠ ؛ منهاج السنة (تحقيق الدكتور / رشاد سالم) (١/٤٥-٤٦ ، ٢/٧٢ ، ١٧١) .
وانظر أيضا عن الشيعة وفرقها ورجالها : التنبيه والرد ، ص ١٨-٣٥ ، ١٥٦-١٦٥ ، أصول الدين للبغدادي ، ص ١٩ ، ٧٣-٧٤ ، ٧٦-٧٧ ، ٢٦٧ ، ٢٧١-٢٨٧ ، ٢٩٨ ، ٣٣١-٣٣٢ ، الفرق بين الفرق ، ص ٢٢-٢٤ ، ٢٩-٧٢ ، ٢٢٧-٢٢٨ ؛ الفصل لابن حزم ٢/١١٣ ، ٣/٥٤ ، ٤/٥٤ ، ١٧١/٤ ، ١٧٩-١٨٨ ؛ التبصير في الدين ، ص ٣٢-٤٥ ؛ الملل والنحل للشهرستاني (١/١٩٥-٢٢٤ ، ٢/٢-٣٦ ؛ الحور العين ، ص ١٥٠ ، ١٥٢-١٧٠ ، ١٧٨-١٨٩ ، ٢٧٢ ؛ اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ، ص ٧٧-٩٥ ؛ منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية (تحقيق د / رشاد سالم) خاصة ١/١-٤٧ ، ٢/٦٠ ، ٦٤ ؛ ضحى الاسلام ٣/٢٠٨-٢٧٦ .

(١) ولهم قولان كالمعتزلة : سقطت من (خ ، س) .

(٢) " الصفاتية " يطلق على من يثبتون صفات الله تعالى خلافا للنفاة ، فيدخل فيه ثلاثة أصناف : أهل السنة ، ومن يزيد في الاثبات كالكرامية والسالمية ، ومن ينقص لكنه يثبت في الجملة / =

وأما المعتزلة والفلاسفة[1] والكرامية[2] وغيرهم ، وكثير من أهل الحديث

والفقه من أصحاب الأئمة الأربعة وغيرهم ، وكثير

=/ كالكلابية والأشعرية (انظر الملل والنحل للشهرستاني ١/١١٦-١١٩ ، مجموع فتاوى شيخ الاسلام ط الرياض ٦/٤٠) .
وابن تيمية حينما يطلق هذا الوصف قد يريد الأصناف الثلاثة (مجموع الفتاوى ٦/٤٠) وقد يريد وهو الغالب الصنف الثالث موضحا ذلك أحيانا بأن يزيد في وصفهم بالمتكلمين ونحوها ، وهو في هذا الصدد يصف أبا محمد عبدالله بن سعيد بن كلاب بامام الصفاتية ، (مجموع الفتاوى ٥/٢٩٥، ١٧/٣١ ، ٦/٥٢٠) .
ولنفي هؤلاء بعض الصفات يعدون أيضا صنفا من الجهمية (التسعينية ، ص ٤٢) ، ثم ان متقدميهم أقرب الى أهل السنة منهم الى الجهمية بخلاف متأخريهم .
يقول ابن تيمية في " التسعينية " ، ص ٤٢ عن المتقدمين منهم : " فان هؤلاء ينازعون المعتزلة نزاعا عظيما فيما يثبتونه من الصفات أعظم من منازعتهم لسائر أهل الاثبات فيما ينفونه ، وأما المتأخرون فانهم والوا المعتزلة وقاربوهم أكثر ، وقدموهم على أهل السنة والاثبات وخالفوا أوليهم " . وسيأتي في كلام ابن تيمية بيان أن أبا عبدالله الرازى الذى سلك الأصبهاني مسلكه هو من هؤلاء المتأخرين .

(١) لفظ " فلسفة " في الأصل اليوناني مركب من كلمتين " فيلو " ومعناها محبة ، و " سوفي " ومعناها الحكمة .
قال ابن القيم في " اغاثة اللهفان " ٢/٢٥٤ : " الفلاسفة اسم جنس لمن يحب الحكمة ويؤثرها " وقال (٢/٢٦٠) : " والفلاسفة لا تختص بأمة من الأمم ، بل هم موجودون في سائر الأمم ، وان كان المعروف عند الناس الذين اعتنوا بحكاية مقالاتهم هم فلاسفة اليونان " .
وابن تيمية يطلق اسم " الفلاسفة " و " أهل الفلسفة " ويريد في الغالب أوائل الفلاسفة في الاسلام كالفارابي (ت ٣٣٩هـ) وابن سينا (ت ٤٢٨هـ) وأمثالهما من أتباع أرسطو (ت ٣٢٢ ق.م) وأصحابه المشائين ، وقد يريدهم وأسلافهم ، وربما خص الفلاسفة في الاسلام دون أسلافهم بلقب " المتفلسفة " .
انظر عن معنى الفلسفة وتطوره ، وعن أصناف الفلاسفة وعلومهم : مفاتيح العلوم للخوارزمي ، ص ١٠٩ ومابعدها ؛ المنقذ من الضلال للغزالي ، في النص الذى نقله ابن تيمية في كتابنا هذا ، ص ١١ (٥ - ٥١٤) ، ٥٢٨ - ٥٢٩ ؛ صدر كتاب تهافت الفلاسفة " ، ص ٧٣ - ٨٧ ، الملل والنحل ٢/٥٥١ ومابعدها ؛ تلبيس ابليس ، ص ٤٥ - ٥٠ ؛ اغاثة اللهفان ٢/٢٥٣ - ٢٦٤ ، وانظر أسس الفلسفة للدكتور توفيق الطويل (ط القاهرة ١٩٧٩م) ، ص ٤٥ - ٥١ ؛ التفكير الفلسفي الاسلامي للدكتور سليمان دنيا (ط الأولى ١٣٨٧هـ) ، ص ١٤ - ٢٨ ؛ مقدمة في الفلسفة الاسلامية للدكتور عمر محمد التومي الشيباني (ط الثانية ١٣٩٥هـ) ، ص ١٧ - ٩٢ .

(٢) أتباع أبي عبدالله محمد بن كرام بن عراق بن حزابة السجستاني (ت ٢٥٥هـ) .
والكرامية يثبتون الصفات ، بل يزيدون في الاثبات ، فيسمون الله تعالى جسما ، ويسمون الصفات أعراضا ، ويقولون : ان الله كان ولا يفعل ولا يتكلم ثم حدث له الفعل والكلام ، ويثبتون القدر ، ويقولون : ان العقل يوجب ويمنع ، ويحسن ويقبح ، والايمان عندهم قول اللسان فقط ، وان كان مع عدم تصديق القلب ، فجعلوا المنافق مؤمنا لكن قالوا بتخليده في النار . /=

من الصوفية[1]، وسلف الأمة وأئمتها - فيجعلون[2] المعاد أيضا من العقليات، ويثبتونه بالعقل، ويخوض أهل التأويل منهم فيه[3]، كما خاض[4] الصفاتية في ذلك.

/ = انظر عن الكرامية وابن كرام: مقالات الاسلاميين ١/٢٢٣؛ البدء والتاريخ ٥/١٤١، ١٤٥؛ أصول الدين للبغدادي، ص ٥، ٢٩، ٣١، ٤٣، ٧٧، ٨٨، ٩٣، ٩٥، ٩٦، ١٠٣، ١٠٦، ١١٢، ١٢٢، ١٦٧، ٢٥٠، الفرق بين الفرق، ص ٢١٥- ٢٢٥، الفصل لابن حزم ٤/٤٥، ٢٠٤، ٢٠٥، التبصير في الدين، ص ٩٩- ١٠٤؛ الملل والنحل ١/٣٧، ١٤٤- ١٥٤؛ درء تعارض العقل والنقل ١/٣٠٦، ٢/٧٦، ١٨١، ٢١٩، ٢٥٤، ٢٧٦- ٢٧٧، ٢٩١، ٢٩٧، ٣٣١، ٣٨٩، ٣/٦٣- ٦٤، ٤٣٤، ٤/١٩- ٢٠، ٩٣، ٢٩٢- ٢٩٣، ٥/٢٤٦، ٩/٦٥؛ مجموعة تفسير شيخ الاسلام ابن تيمية، ص ٣٠٩- ٣١٠، ٤٠٦؛ مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية (ط الرياض) ٥/٤٢٨، ٦/٣٦، ١٠٢، ١٢/١٧٢- ١٧٣؛ شرح الأصبهانية، ص ٣٢٨؛ كتاب التجسيم عند المسلمين "مذهب الكرامية" لسهير محمد مختار، ط ١٩٧١م؛ اللباب ٣/٣٢- ٣٣؛ ميزان الاعتدال ٤/٢١- ٢٢؛ لسان الميزان ٥/٣٥٣- ٣٥٦؛ الأعلام ٧/١٤.

(١) قال القشيري في تعريف لفظ "الصوفية" [الرسالة القشيرية ٢/٥٥٠]: "الصفاء محمود بكل لسان، وضده الكدورة وهي مذمومة ... ثم هذه التسمية غلبت على هذه الطائفة ... وليس يشهد لهذا الاسم من حيث العربية قياس ولا اشتقاق، والأظهر فيه أنه كاللقب، فأما قول من قال: انه من الصوف ... فذلك وجه، ولكن القوم لم يختصوا بلبس الصوف".
ثم أورد (٢/٥٥٠- ٥٥١) قول من يقول: انهم منسوبون الى صفة مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو انه مشتق من الصفاء، أو من الصف فكأنهم في الصف الأول بقلوبهم ورد كل ذلك بأن اللغة لا تقتضيه.
ورجح ابن تيمية أنه نسبة الى لبس الصوف، وذكر أنه لم يشتهر الا بعد القرون الثلاثة، وأن أول ظهور للتصوف بمعنى المبالغة في الزهد والعبادة والخوف ونحو ذلك كان من البصرة، وأن الناس تنازعوا - بل غلوا - في الصوفية بين مادح وذام، والصواب أن فيهم السابق والمقتصد والظالم لنفسه، كما انتسب اليهم طوائف من أهل البدع والزندقة. انظر مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية (ط الرياض) ١١/٥- ٧، ١٣- ٢٠، ١٠/٨٢- ٨٣، ٣٥٨- ٣٥٩، ٣٦٧- ٣٧٠، ٢/٢٩٩، درء تعارض العقل والنقل ٨/٦٨- ٦٩، وانظر تعليقات ابن تيمية على مواضع من الرسالة القشيرية في كتابه "الاستقامة" ١/٨١ ومابعدها، وانظر المنقذ من الضلال للغزالي، ص ١٣٠- ١٣٣، ١٣٩- ١٤٢؛ تلبيس ابليس لابن الجوزي، ص ١٦١ ومابعدها.
وقد اهتم غير واحد بالترجمة لمشاهير الصوفية وبيان طريقهم وجمع كلامهم، كأبي عبد الرحمن السلمي (ت ٤١٢هـ) في "طبقات الصوفية"، وأبي نعيم الأصبهاني (ت ٤٣٠هـ) في "حلية الأولياء"، وأبي الفرج بن الجوزي (ت ٥٩٧هـ) في "صفة الصفوة". كما صنف في ذلك وفي تفسير مصطلحاتهم أبو بكر الكلاباذي (ت ٣٨٠هـ) في "التعرف لمذهب أهل التصوف"، وأبو القاسم القشيري (ت ٤٦٥هـ) في "الرسالة القشيرية". وجميع هذه الكتب مطبوعة.

(٢) خ، س: وأما الفلاسفة والمعتزلة فيجعلون ....

(٣) كذا في (ص، ن، ك): ويخوض أهل التأويل فيه. خ، س: ويخوضون في التأويل فيه.

(٤) ك: خاضت.

متابعة الأصبهاني للرازي في طريقة الاستدلال على الصفات السبع واقتصاره عليها ظ ٤

ولكن المصنف[(١)] سلك في ذلك طريقة أبي عبد الله الرازي[(٢)]: فأثبت العلم والقدرة / والارادة والحياة بالعقل، وأثبت السمع والبصر والكلام بالسمع، ولم يثبت شيئا من الصفات الخبرية.

وأما من قبل هؤلاء كأبي المعالي الجويني[(٣)] وأمثاله، والقاضي أبي يعلى[(٤)] وأمثاله، فيثبتون جميع هذه الصفات بالعقل، كما كان يسلكه

---

(١) من قوله: "ولكن المصنف..." الى قوله في صفحة ٢٤: "وهذا مذهب السلف والأئمة" سقط من (خ، س).

(٢) أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي - طبقا لما في أغلب الكتب الأصلية في ترجمته - التيمي البكري الرازي، الملقب فخر الدين، ويقال له: ابن الخطيب وابن خطيب الري. ولد سنة ٥٤٤ هـ وقيل ٥٤٣ هـ. وتوفي بهراة سنة ٦٠٦هـ. شافعي، من كبار متأخري الأشاعرة، صنف في فنون عديدة. انظر: تاريخ الحكماء، ص ٢٩١-٢٩٣؛ عيون الانباء، ص ٤٦٢-٤٧٠؛ وفيات الأعيان ٤/٢٤٨-٢٥٢؛ مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية (ط الرياض) ٤/٢٨، ٥٥، ٦٢-٦٣، ٧١، ٧٢، ٥/٥٦١-٥٦٣، ٦/٥٥، ٨/٣٠٧، ١٣/١٨٠، ١٦/٢١٣-٢١٤، ٢٣٦، ٤٥٢؛ العبر ٥/١٨-١٩؛ ميزان الاعتدال ٣/٣٤٠، الوافي بالوفيات ٤/٢٤٨-٢٥٩؛ طبقات الشافعية الكبرى ٨/٨١-٩٦؛ البداية والنهاية ١٣/٥٥-٥٦؛ طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ٢/٨١-٨٤؛ لسان الميزان ٤/٤٢٦-٤٢٩؛ طبقات المفسرين للداودي ٢/٢١٣-٢١٧؛ الأعلام ٦/٣١٣.

(٣) أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني الملقب بامام الحرمين (٤١٩-٤٧٨هـ) من علماء الشافعية وكبار أئمة الأشاعرة. ولد في جوين من نيسابور، ورحل الى بغداد، ثم مكة ثم المدينة، ثم عاد الى نيسابور وتوفي فيها. انظر في ترجمته وكتبه: تبيين كذب المفتري، ص ٢٧٨-٢٨٥؛ اللباب ١/٣١٥؛ وفيات الأعيان ٣/١٦٧-١٧٠؛ مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية (ط الرياض) ٤/١٧-١٨، ٦١، ٧١، ٧٣، ٨٨، ٥/١٠٠-١٠١، ٦/٥٢؛ العبر ٣/٢٩١؛ طبقات الشافعية الكبرى ٥/١٦٥-٢٢٢؛ طبقات الشافعية للاسنوي ١/٤٠٩-٤١٢؛ البداية والنهاية ١٢/١٢٨-١٢٩؛ شذرات الذهب ٣/٣٥٨-٣٦٢؛ الأعلام ٤/١٦٠.

(٤) محمد بن الحسين بن محمد بن خلف بن أحمد بن الفراء (٣٨٠-٤٥٨ هـ) من كبار أئمة الحنابلة، من أهل بغداد، له تصانيف كثيرة في الأصول والفروع.
انظر عنه وعن كتبه:
تاريخ بغداد ٢/٢٥٦؛ طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى ٢/١٩٣-٢٣٠؛ مناقب الامام أحمد لابن الجوزي، ص ٦٢٧-٦٢٨؛ اللباب ٢/٤١٣-٤١٤؛ مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية (ط الرياض) ٤/١٦٦، ٦/٥٤، ١٢/٨٣؛ العبر ٣/٢٤٣-٢٤٤؛ الوافي بالوفيات ٣/٧-٨؛ البداية والنهاية ١٢/٩٤-٩٥؛ الأعلام ٦/٩٩-١٠٠.

القاضي أبو بكر[1]، ومن قبله كأبي الحسن الأشعرى[2]، وأبي العباس القلانسي[3]، ومن قبلهم كأبي محمد بن كلاب[4]، والحارث المحاسبي[5] وغيرهما .

---

(١) أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد الباقلاني . مالكي ، من كبار أئمة الأشاعرة ومن أقربهم الى موافقة أهل السنة ، سكن بغداد وتوفي بها سنة ٤٠٣ هـ . انظر عنه وعن مؤلفاته :
تاريخ بغداد ٥/٣٧٩-٣٨٣ ؛ ترتيب المدارك ٤/٥٨٥-٦٠٢ ، تبيين كذب المفترى ، ص ٢١٧-٢٢٦ ؛ اللباب ١/١١٢ ؛ وفيات الأعيان ٤/٢٦٩-٢٧٠ ؛ مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية (ط الرياض) ٤/١٧، ٥/٩٨، ٦/٥٢ ؛ العبر ٣/٨٦ ؛ الوافي بالوفيات ٣/١٧٧ ؛ البداية والنهاية ١١/٣٥٠-٣٥١ ؛ الديباج المذهب ، ص ٢٦٧ ؛ شذرات الذهب ٣/١٦٨-١٧٠ ؛ الأعلام ٦/١٧٦ ؛ تاريخ التراث العربي لسزكين (المجلد الأول ٤/٤٧-٥١) ، وانظر نشرة الأب ، رتشرد يوسف مكارثي اليسوعي لكتاب " التمهيد " للباقلاني .

(٢) أبو الحسن علي بن اسماعيل بن اسحاق الأشعرى ولد بالبصرة سنة ٢٦٠ هـ وتوفي ببغداد سنة ٣٢٤ هـ (على أصح الأقوال في تاريخهما) اليه ينسب الأشاعرة . وقد كان أبو الحسن معتزليا أربعين عاما ثم رجع عن الاعتزال وصرح بانتسابه الى امام أهل السنة أحمد بن حنبل ، وبين ضلال المعتزلة وتناقض أقوالهم وفسادها ، لكن خبرته الطويلة بالكلام لم يقابلها خبرة كافية بالسنة فظل موافقا للجهمية في بعض أصولهم معتقدا أنه يمكنه الجمع بين تلك الأصول والانتصار للسنة . انظر عنه وعن كتبه :
تاريخ بغداد ١١/٣٤٦-٣٤٧ ؛ تبيين كذب المفترى ، ص ٣٤-٥٥، ١٢٨-١٣٧، ١٤٨-١٦٣ ؛ اللباب ١/٦٤-٦٥ ؛ وفيات الأعيان ٣/٢٨٤-٢٨٦ ؛ مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية (ط الرياض) ٣/٢٢٧-٢٢٨ ، ٤/١٧-١٩ ، ٢٨ ، ٧٢ ، ١٦٧ ، ٥/٥٥٦ ، ٦/٥٢ ، ٥٣ ، ٣٥٩ ، ٣٦٠ ، ٨/٣٣٩-٣٤٠ ، ٣٤٢ ، ١٢/١٧٨ ، ٢٠٢-٢٠٥ ، ١٣/٩٩ ، ١٦/٣٠٨-٣٠٩ ، ٤٧١ ؛ شرح الأصبهانية ، ص ٣٢٥-٣٢٨، ٣٣٣-٣٣٥ ؛ العبر ٢/٢٠٢ ؛ طبقات الشافعية الكبرى ٣/٣٤٧-٤٤٤ ؛ البداية والنهاية ١١/١٨٧ ؛ شذرات الذهب ٢/٣٠٣-٣٠٥ ؛ الأعلام ٤/٢٦٣ ؛ تاريخ التراث العربي (المجلد الأول ٤/٣٥-٣٩) .

(٣) أبو العباس القلانسي من كبار تلامذة ابن كلاب . ذكره ابن عساكر في تبيين كذب المفترى ، ص ٣٩٨ وسماه أبا العباس أحمد بن عبد الرحمن بن خالد القلانسي الرازى . وقال عنه البغدادى في أصول الدين ، ص ٣١٠ : زادت تصانيفه في الكلام على مائة وخمسين كتابا . انظر فيه وفي آرائه :
أصول الدين ، ص ٢٩ ، ٤٠ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٨٧ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ٩٧ ، ١٠٩ ، ١١١ ، ١١٣ ، ١٢٣ ، ١٣٢ ، ٢٢٢ ، ٢٣١ ، ٢٥٤ ، ٢٥٦ ، ٢٨١ ، ٢٩٣ ، ٣٠٤ ؛ الفرق بين الفرق ، ص ١٣٣ ، ١٥٨ ، ٣٥٢ ؛ طبقات الشافعية للعبادى ، ص ٢٧ ؛ الملل والنحل ١/٣٦ ، ١١٨ ؛ مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية (ط الرياض) ٥/٥٥٧ ، ٦/٥٢٠ ، ٥٢١ ، ١٢/٣٦٧ ؛ طبقات الشافعية الكبرى ٤/٣٠٠ .

(٤) أبو محمد عبد الله بن سعيد بن كلاب القطان ، امام المتكلمين الصفاتية ، توفي بعد سنة ٢٤٠ هـ بقليل . انظر عنه وعن كتبه وآرائه :
الفهرست لابن النديم ، ص ٢٦٩-٢٧٠ ؛ طبقات الفقهاء الشافعية للعبادى ، ص ٧٠ ؛ طبقات الشافعية الكبرى ٢/٢٩٩-٣٠٠ ؛ طبقات الشافعية للاسنوى ٢/٣٤٤-٣٤٥ ؛ طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ١/٣٣ ، لسان الميزان ٣/٢٩٠-٢٩١ ؛ الأعلام ٤/٩٠ . مقالات الاسلاميين ١/٢٤٩-٢٥٠ ، ٢٥٧ ، ٢٥٩ ، ٢٦٠ ، ٣٥٠-٣٥١ ، ٢/٢٢٥-٢٢٦ ؛ أصول الدين ، ص ٨٩ ، ٩٠ ، ٩٧ ، ١٠٤ ، ١٠٩ ، ١١٣ ، ١٢٣ ، ١٣٢ ، ١٤٦ ، ٢٢٢ ، ٢٤٩ ، ٢٥٤ ، ٣٠٩ ؛ الفصل لابن حزم ٢/١٢٣ ، ٤/٢٠٨ ؛ نهاية الاقدام في علم الكلام ، ص ١٨١ ، ٣٠٣ ؛ الملل والنحل ١/٣٦ ، ١١٨ ، مجموع فتاوى شيخ الاسلام بن تيمية (ط الرياض) ٥/٥٥٨-٥٥٩ ، ٦/٥٢٠-٥٢١ ، ١٢/٢٠٢-٢٠٣ ، ٢٧٢ ، ٣٦٦-٣٦٧ ، ٣٧٦-٣٧٧ ، ٣٧٧ ، شرح الأصبهانية ، ص ٣٢٤ ، ٣٣٣-٣٣٤ ، تاريخ التراث العربي (المجلد الأول) ٤/٢٨-٢٩ .

(٥) أبو عبد الله الحارث بن أسد المحاسبي من أصحاب ابن كلاب ، ومن أعلام الصوفية ، ولد ونشأ / =

وهكذا السلف والأئمة ؛ كالامام أحمد بن حنبل وأمثاله ، يثبتون هذه الصفات بالعقل ، كما ثبتت[1] بالسمع ، وهذه الطريقة أعلى وأشرف من طريقة هؤلاء المتأخرين ، كما سيتبين[2] ان شاء الله تعالى .

وأيضا فأئمة الصفاتية المتقدمون ؛ كابن كلاب ، والحارث المحاسبي ، والأشعرى ، وأبي العباس القلانسي ، وأبي عبد الله بن مجاهد[3] ، وأبي الحسن الطبرى[4] ، والقاضي أبي بكر الباقلاني[5] ، وأبي اسحاق الاسفراييني[6] ، وأبي بكر بن

= / بالبصرة ، وتوفي ببغداد سنة ٢٤٣هـ . انظر عنه وعن مصنفاته : طبقات الصوفية ، ص ٥٦ - ٦٠ ؛ حلية الأولياء ١٠/٧٣ - ١١٠ ؛ تاريخ بغداد ٨/٢١١ - ٢١٦ ؛ الرسالة القشيرية ١/٨٩ - ٩١ ؛ صفة الصفوة ٢/٣٦٧ - ٣٦٩ ؛ وفيات الأعيان ٢/٥٧ - ٥٨ ؛ مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية (ط الرياض) ٥/٦٥ ، ٥٥٧ ، ٦/٥٢١ - ٥٢٢ ، ١٢/٩٥ ؛ ميزان الاعتدال ١/٤٣٠ - ٤٣١ ؛ طبقات الشافعية الكبرى ٢/٢٧٥ - ٢٨٤ ؛ تهذيب التهذيب ٢/١٣٤ - ١٣٦ ؛ الطبقات الكبرى للشعراني ١/٧٥ - ٧٦ ؛ الاعلام ٢/١٥٣ ؛ تاريخ التراث العربي (المجلد الأول ٤/١١٣ - ١١٩) .

(١) ن : تثبت .

(٢) ن : سنبين .

(٣) أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن يعقوب بن مجاهد الطائي ، صاحب أبي الحسن الأشعرى وشيخ القاضي أبي بكر الباقلاني ، مالكي المذهب ، سكن بغداد وتوفي سنة ٣٧٠ هـ تقريبا . ترجمته في : تاريخ بغداد ١/٣٤٣ ؛ ترتيب المدارك ٤/٤٧٦ - ٤٧٨ ؛ تبيين كذب المفترى ، ص ١٧٧ ؛ العبر ٢/٣٥٨ ؛ الوافي بالوفيات ٢/٤٦ ؛ الديباج المذهب ، ص ٢٥٨ ؛ الأعلام ٥/٢١١ .

(٤) أبو الحسن علي بن محمد بن مهدى الطبرى . صحب أبا الحسن الأشعرى بالبصرة وأخذ عنه . ترجمته في : طبقات الفقهاء الشافعية للعبادى ، ص ٨٥ ؛ تبيين كذب المفترى ، ص ١٩٥ - ١٩٦ ؛ طبقات الشافعية الكبرى ٣/٤٦٦ - ٤٦٨ ؛ معجم المؤلفين ، ٧/٢٣٤ . وفيه أنه "توفي في حدود سنة ٣٨٠هـ" ؛ تاريخ التراث العربي المجلد الأول ٤/٤٤ - ٤٥ .

(٥) أبي بكر الباقلاني : كذا في (ص) ، وفي (ن ، ك) : أبي بكر بن الباقلاني . وكلاهما صحيح ، انظر مصادر ترجمته فيما سبق ، ص ٢٢ ت ١ .

(٦) أبو اسحاق ابراهيم بن محمد بن ابراهيم بن مهران الاسفراييني . شافعي ، أصولي ، أشعرى . توفي بنيسابور سنة ٤١٨هـ . انظر عنه وعن مؤلفاته وآرائه : أصول الدين ، ص ٢٥٣ ؛ نهاية الاقدام في علم الكلام ، ص ١١ - ١٢ ، ٨٧ ، ٢٦٩ ، ٣٥٨ ، ٣٨٩ ، ٣٩٠ ؛ تبيين كذب المفترى ، ص ٢٤٣ - ٢٤٤ ؛ اللباب ١/٥٥ ؛ وفيات الأعيان ١/٢٨ ؛ العبر ٣/١٢٨ ؛ طبقات الشافعية الكبرى ٤/٢٥٦ - ٢٦٢ ؛ طبقات الشافعية للاسنوى ١/٥٩ - ٦٠ ؛ البداية والنهاية ١٢/٢٤ ؛ الأعلام ١/٦١ .

فورك[1]، وغيرهم - يثبتون الصفات الخبرية : التي ثبت أن الرسول[2] صلى الله عليه وسلم أخبر بها ، وكذلك سائر طوائف الاثبات ؛ كالسالمية[3] ، والكرامية ، وغيرهم ، وهذا مذهب السلف والأئمة[4].

ولا ريب أن ما أثبته هؤلاء الصفاتية المتأخرون[5] من صفات الله[6] ثابت بالشرع مع العقل ، وهو متفق عليه بين سلف الأمة وأئمتها ، وانما خصوا هذه الصفات بالذكر دون غيرها لأنها هي التي دل العقل عليها عندهم[7]، كما نبه عليه المصنف .

---

(١) أبو بكر محمد بن الحسن بن فورك (ت ٤٠٦هـ) شافعي ، أصولي ، من أئمة الأشاعرة ، طلب العلم بالبصرة وبغداد ، واشتهر بنيسابور ، ودفن فيها . انظر عنه وعن مصنفاته : تبيين كذب المفترى ، ص ٢٣٢-٢٣٣ ؛ وفيات الأعيان ٤/٢٧٢-٢٧٣ ؛ مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية (ط الرياض) ٦/٥٢ ، ٥٤ ، ١٦/٨٩-٩٦ ؛ العبر ٣/٩٥ ؛ الوافي بالوفيات ٢/٣٤٤ ؛ طبقات الشافعية الكبرى ٤/١٢٧-١٣٥ ؛ طبقات الشافعية للاسنوى ٢/٢٦٦-٢٦٧ ؛ النجوم الزاهرة ٤/٢٤٠ ؛ الاعلام ٦/٨٣ ؛ تاريخ الأدب العربي ٣/٢١٧-٢١٩ ، تاريخ التراث العربي (المجلد الأول ٤/٥١-٥٤) .

(٢) ان الرسول : كذا في (ص) وفي (ن ، ك) : أن رسول الله .

(٣) السالمية أتباع أبي الحسن أحمد بن محمد بن سالم البصرى (ت ٣٥٦هـ) ، صحب سهل ابن عبد الله التستري ، وعنه أخذ أبو طالب المكي .
عد ابن تيمية في مجموع فتاوى شيخ الاسلام (ط الرياض) ١٠/٣٦١ أبا الحسن وأبا طالب ممن خلط التصوف بالحديث والكلام .
نسب الى السالمية القول باثبات العلو لله مع نوع من الحلول ، وقالت السالمية في كلام الله : انه حروف وأصوات قديمة أزلية ، لازمة لنفس الله تعالى أزلا وأبدا ، لا تتعلق بمشيئته وقدرته . انظر عن السالمية وابن سالم :
درء تعارض العقل والنقل ٤/١١١ ، ١٢٧-١٢٩ ، ٦/٣٠٤ ، ١٠/٢٨٦-٢٨٧ ، مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية (ط الرياض) ٢/٢٩٩ ، ١٢/١٦٦ ، ٣١٩ ، ٣٧١ ، ٥٢٧ ؛ الكامل لابن الأثير ٨/٥٨٢ ؛ العبر ٢/٣٢٠ .

(٤) هنا انتهى السقط في (خ ، س) الذى بدأ في صفحة ٢١ .

(٥) المتأخرون : سقطت من (خ ، س ، ك) .

(٦) خ ، س ، ك : من صفات الله تعالى .

(٧) عندهم : سقطت من (خ ، س) وأمام هذا الموضع في هامش (س) كتب : مطلب في وجه تخصيص ما ذكروه من الصفات بالذكر .

السمع والعقل أثبتا صفات أخرى مع هذه السبع

ولكن لا يلزم من عدم الدليل المعين عدم المدلول ؛ فلا يلزم نفي ماسوى هذه من الصفات ، والسمع قد[1] أثبت صفات أخرى[2].

وأيضا فان الرازى ونحوه ، ممن لم يثبت السمع طريقا الى اثبات الصفات .

ولا نزاع بينهم أنه طريق صحيح ، لكن يفرقون بين ما أثبتوه وبين ماتوقفوا في ثبوته ؛ بأن العقل دل على ما أثبتناه ولم يدل على ماتوقفنا فيه، ولهم فيما لم يثبتوه طريقان ؛ منهم من نفاه ، ومنهم من توقف فيه ، فلم يحكم فيه باثبات ولا نفي ؛ وهذه طريقة محققيهم كالرازى والآمدى[3] وغيرهما[2] ، ومن الناس[4] من يثبت صفات أخرى بالعقل .

مذهب السلف في صفات الله

فالذى اتفق عليه سلف الأمة وأئمتها أن يوصف الله بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله ، من غير تحريف ولا تعطيل ، ومن غير تكييف ولا تمثيل[5]؛

ج ٥

فانه قد علم بالسمع[6] مع العقل أن الله ليس كمثله شيء ، لا في ذاته ، ولا في صفاته، ولا في أفعاله ؛ كما قال تعالى : ((ليس كمثله شيء))[7] ، وقال تعالى : ((هل تعلم له سميا))[8] ، وقال تعالى : ((فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون))[9] ، وقال تعالى : ((ولم يكن له كفوا أحد))[10] .

---

(١) ص، ن : فقد .

(٢-٢) مابينهما سقط من (خ ، س) .

(٣) أبو الحسن علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الثعلبي - هكذا ذكر أكثر أصحاب المراجع الأصلية في ترجمته - الملقب سيف الدين الآمدى (٥٥١- ٦٣١ هـ) أصولي ، من كبار متأخرى الأشاعرة ، ولد بآمد ، وتعلم في بغداد والشام ، واشتهر في القاهرة . وتوفي بدمشق .
انظر عنه وعن مؤلفاته :
عيون الانباء ، ص ٦٥٠- ٦٥١ ؛ وفيات الأعيان ٣/ ٢٩٣- ٢٩٤ ؛ مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية (ط الرياض) ٥/ ٢٩٤، ٥٦٢، ٧/ ٩ ؛ العبر ٥/ ١٢٤- ١٢٥ ؛ ميزان الاعتدال ٢/ ٢٥٩ ؛ طبقات الشافعية الكبرى ٨/ ٣٠٦- ٣٠٨ ؛ البداية والنهاية ١٣/ ١٤٠- ١٤١ ؛ لسان الميزان ٣/ ١٣٤- ١٣٥ ؛ شذرات الذهب ٥/ ١٤٤ - ١٤٥ ؛ الأعلام ٤/ ٣٣٢ .

(٤) خ ، س ، ك : بل ومن الناس .

(٥) أمام هذا الموضع كتب في هامش (س) : مطلب اتفق السلف على أن يوصف الله بما وصف به نفسه .

(٦) خ ، س ، ك : بالشرع .

(٧) سورة الشورى : ١١ .

(٨) سورة مريم : ٦٥ .

(٩) سورة البقرة : ٢٢ .

(١٠) سورة الاخلاص : ٤ .

وقد علم بالعقل أن المثلين يجوز على أحدهما مايجوز على الآخر، ويجب له مايجب له ، ويمتنع عليه مايمتنع عليه ؛ فلو كان المخلوق مثلا[١] للخالق للزم اشتراكهما فيما يجب ويجوز ويمتنع ، والخالق يجب وجوده وقدمه ، والمخلوق يستحيل وجوب وجوده وقدمه ، بل يجب حدوثه وامكانه ، فلو كانا متماثلين للزم اشتراكهما في ذلك ؛ فكان كل منهما يجب وجوده وقدمه ؛ ويمتنع وجوب وجوده وقدمه ، ويجب حدوثه وامكانه ؛ فيكون كل منهما واجب القدم ؛ واجب الحدوث ، واجب الوجود ؛ ليس واجب الوجود ، يمتنع[٢] قدمه ، لا يمتنع قدمه ،وهذا جمع بين النقيضين.

فاذا عرف[٣] هذا ، فنقول[٤]: ان الله سمى نفسه في القرآن بالرحمن الرحيم ، ووصف نفسه في القرآن[٥] بالرحمة والمحبة ؛ كما قال : ((ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما))[٦] ، وقال : ((ورحمتي وسعت كل شيء))[٧] ، وقال : ((فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه))[٨] ، وقال : ((ان الله يحب المتقين))[٩] و ((يحب المحسنين))[١٠] و ((يحب الصابرين))[١١] و ((يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص))[١٢] ونحو ذلك .

ومن الناس من جعل حبه ورحمته عبارة عما يخلقه من النعمة[١٣]،كما جعل بعضهم اراداته عبارة عما يخلقه من المخلوقات،وهذا ظاهر البطلان ، لا سيما على أصل الصفاتية .

(١) س ،ك : مماثلا .
(٢) ص ،ن : ويمتنع .
(٣) ك : عرفت .
(٤) ن : فيقال .
(٥) س : بالقرآن .
(٦) سورة غافر : ٧ .
(٧) سورة الأعراف : ١٥٦ .
(٨) سورة المائدة : ٥٤ .
(٩) سورة التوبة : ٤ .
(١٠) سورة البقرة : ١٩٥ . وهذه الآية سقطت من (ن) .
(١١) سورة آل عمران : ١٤٦ .
(١٢) سورة الصف : ٤ .
(١٣) أمام هذا الموضع كتب في هامش (س) : مطلب من الناس من جعل حبه ورحمته مايخلقه من النعمة .

ومنهم من جعل حبه ورحمته هي اراد ته ، ونفى أن يكون[1] له صفات هي الحب والرضا والرحمة والغضب غير الارادة .

مناقشة من يثبت بعض الصفات دون بعض

فيقال لهذا[2]: لم أثبت له ارادة ، وأنه مريد حقيقة ، [ونفيت حقيقة[3]] الحب والرحمة ونحو ذلك .

فان قال : لأن اثبات هذا تشبيه ؛ لأن الرحمة رقة تلحق المخلوق ، والرب منزه[4] عن مثل صفات المخلوقين .

قيل له : وكذلك يقول لك منازعك[5] في الارادة : ان الارادة المعروفة ميل الانسان الى ماينفعه وما يضره ، والله[6] منزه عن الاحتياج[7] الى عباده ، وهم لا يبلغون ضره ولا نفعه ، بل هو الغني عن خلقه كلهم .

فان قلت: الارادة التي نثبتها[8] لله ليست مثل ارادة المخلوقين[9] ؛ كما أنا قد اتفقنا وسائر المسلمين على أنه حي ، عليم ، قدير ، وليس هو مثل سائر الأحياء العلماء القادرين .

قال لك أهل الاثبات : وكذلك الرحمة والمحبة التي نثبتها لله ليست[10] مثل رحمة المخلوق ، ومحبة المخلوق .

فان قلت : لا أعقل من الرحمة والمحبة[11] الا هذا .

ظ ه

قال لك/ النفاة : ونحن لا نعقل من الارادة الا هذا .

---

(١) خ ،س ،ك : تكون .
(٢) خ ،س ،ك : فيقال لهذا القائل .
(٣) ونفيت حقيقة : سقطت من (ص ،ن) .
(٤) ن ،س ،ك : ينزه .
(٥) خ : يقول منازعك ،س : يقول منازعنا ، ك : يقول من ينازع .
(٦) ن ،ك : والله تعالى .
(٧) خ ،س ،ك : عن ان يحتاج .
(٨) ن ،س ،ك : تثبتها .
(٩) خ ،س ،ك : المخلوق .
(١٠) ك : وليست .
(١١) ص : ولا المحبة .

ومعلوم عند كل عاقل أن اراداتنا ورحمتنا ومحبتنا[1] بالنسبة الينا ، كارادته[2] ورحمته ومحبته[3] بالنسبة اليه ، فلا يجوز التفريق بين المتماثلين ؛ فتثبت[4] له احدى الصفتين وتنفى[5] الأخرى ، وليس في العقل ولا في السمع مايوجب التفريق ، اذ أكثر مايقال : اني أثبت الارادة بالعقل ، لأن وجود التخصيص في المخلوقات دل على الارادة[6] .

فيقال لك : انتفاء الدليل المعين لا يقتضي انتفاء المدلول ، فهب أن مثل هذا الدليل لا يثبت في الرحمة والمحبة ، فمن أين نفيت ذلك ؟ ثم يقال : بل السمع أثبت ذلك أيضا .

وقد يسلك[7] في اثبات ذلك نظر الطريق العقلي الذى أثبت به الارادة ؛ فيقال : مافي المخلوقات من وجود المنافع للمحتاجين[8] ، وكشف الضر عن المضرورين ، والاحسان الى المخلوقات ، وأنواع الرزق والهدى والمسرات ـ هو دليل على رحمة الخالق سبحانه .

اثبات القرآن دلائل الربوبية بالطريق العقلي

والقرآن يثبت دلائل الربوبية بهذه[9] الطريق ؛ تارة يدلهم بالآيات المخلوقة[10] على وجود الخالق ، ويثبت علمه وقدرته ومشيئته[11] ؛ وتارة يدلهم بالنعم والآلاء على وجود بره واحسانه المستلزم رحمته .

وهذا كثير في القرآن ـ وان لم يكن مثل الأول أو أكثر منه ، لـم

---

(١) كذا في (ص) ، النسخ الأخرى : ومحبتنا ورحمتنا .
(٢) ص ، ن : وارادته .
(٣) ص : ومحبته ورحمته .
(٤) ص ، ن ، ك : فيثبت .
(٥) ص : وينفى .
(٦) س ، ك : الارادات .
(٧) ن : سلك . وأمام هذا الموضع كتب في هامش (س) : مطلب الدليل العقلي على اثبات الرحمة والمحبة .
(٨) خ ، س : الى المحتاجين .
(٩) س ، ك : بهذا .
(١٠) في (س) وضع سهم يشير الى الهامش وكتب فيه : نسخة المنزلة صح .
(١١) ص : وقدرته وحياته ، ن : وقدرته وخشيته .

يكن[١] أقل منه بكثير - كقوله تعالى : ((يا أيها الناس أعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون . الذى جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم))[٢] ، وقوله : ((أولم يروا أنا نسوق الماء الى الأرض الجرز فنخرج به زرعا تأكل منه أنعامهم وأنفسهم أفلا يبصرون))[٣] ، وقوله في سورة الرحمن بعد ذكر[٤] كل نوع من هذه الأنواع : (فبأى آلاء ربكما تكذبان)) .

وفي الجملة فما[٥] ذكره في القرآن من الأمثال والآيات ؛ تارة يقرر بها نفس مشيئته وقدرته وخلقه[٦] ، وتارة يقرر بها احسانه وانعامه ورحمته ، وهذه الطريق مستلزمة للأولى من غير عكس ؛ فانه[٧] يلزم من وجود الاحسان والرحمة ، وجود القدرة والمشيئة من غير عكس[٧] .

وقس على هذا غيره من الصفات ؛ مثل اثبات[٨] حكمته ومحبته التي ينبني عليها حكمة خلقه[٩] وأمره ، هو أيضا مما يعلم بالسمع وبالعقل أيضا ، كما تعلم ارادته ، وكما تعلم محبته ، وهذه المسائل مبسوطة في مواضع ، وانما ذكرنا في هذا الشرح مايناسب حال هذه العقيدة المختصرة / المشروحة .

ج ٦

أقوال الناس في محبة الله

وقد بسطنا في غير هذا الموضع الكلام[١٠] في محبة الله ، وذكرنا أن للناس في هذا الأصل العظيم ثلاثة أقوال :

---

(١) ك : ولم يكن .
(٢) سورة البقرة : ٢١ ، ٢٢ .
(٣) سورة السجدة : ٢٧ .
(٤) ن ، ك : بعد أن ذكر .
(٥) س : وفي الجملة فيما ، ك : وبالجملة ما .
(٦) ن : يقرر بها خشيته وقدرته .
(٧ - ٧) مابينهما سقط من (ن) .
(٨) من قوله : (مثل اثبات . . . .) الى قوله ص ٣٠ : " من متأخرى أهل الكلام والرازى " سقط من (خ ، س) .
(٩) مثل اثبات حكمته ومحبته التي ينبني عليها حكمة خلقه . هذا الكلام سقط من (ك) .
(١٠) ن : وقد بسطنا الكلام في غير هذا الموضع .

أحدها ـ أن الله تعالى يحب ويحب ؛ كما قال تعالى : ((فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه))[١] ، فهو المستحق أن يكون له كمال المحبة دون ماسواه ، وهو سبحانه يحب ما أمر به ، ويحب عباده المؤمنين ، وهذا قول سلف الأمة وأئمتها ، وقول[٢] أئمة شيوخ المعرفة .

والقول الثاني ـ أنه يستحق أن يحب ، لكنه لا يحب الا بمعنى أنه يريد ، وهذا قول كثير من المتكلمين ، ومن وافقهم من الصوفيه .

والثالث ـ أنه لا يحب ولا يحب ، وانما محبة العباد له اراداتهم طاعته ، وهذا قول الجهمية ومن وافقهم من متأخرى أهل الكلام والرازى[٣] .

ومما يوضح ذلك ، أن وجوب تصديق كل مسلم بما أخبر به الله ورسوله[٤] من صفاته ، ليس موقوفا على أن يقوم دليل[٥] عقلي على تلك الصفة بعينها ، فانه مما يعلم بالاضطرار من دين الاسلام أن الرسول صلى الله عليه وسلم اذا أخبرنا بشيء من صفات الله تعالى وجب علينا التصديق به ، وان لم نعلم ثبوته بعقولنا .

ضلال من قدم العقل على النقل

ومن لم يقر بما جاء به الرسول حتى يعلمه بعقله[٦] فقد أشبه الذين قال الله عنهم : ((قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتي رسل الله الله أعلم حيث يجعل رسالته))[٧] ، ومن سلك هذا[٨] السبيل فهو في الحقيقة ليس مؤمنا بالرسول ، ولا متلقيا عنه الاخبار بشأن الربوبية ، ولا فرق عنده

---

(١) سورة المائدة : ٥٤ .
(٢) وقول : كذا في (ص) ؛ ن ،ك : وهذا قول :
(٣) هنا ينتهي السقط في (خ ،س) الذى بدأ في الصفحة السابقة .
(٤) بما أخبر به الله ورسوله : كذا في (ص) ، النسخ الأخرى : بما أخبر الله به ورسوله . وأمام هذا الموضع كتب في هامش (س) : مطلب في وجوب تصديق كل مسلم بما ورد من الصفات.
(٥) خ ،س،ك : . . . ان يقوم عليه دليل .
(٦) س : حتي يقبله بعقله .
(٧) سورة الأنعام : ١٢٤ .
(٨) خ : هذه .

بين أن يخبر الرسول بشيء من ذلك ، أو لم يخبر به[١] ؛ فان ما أخبر به اذا لم يعلمه[٢] بعقله لا يصدق به ،بل يتأوله أو يفوضه ؛ ومالم يخبر به ان علمه بعقله آمن به ، والا فلا .

[فلا[٣]] فرق عند من سلك هذه[٤] السبيل بين وجود الرسول واخباره ، وبين عدم الرسول وعدم اخباره ، وكان مايذكر[٥] من القرآن والحديث والاجماع [في هذا الباب[٦]] عديم الأثر عنده ، وهذا قد صرح به أئمة هذا الطريق .

ثم الطريق النبوية فيهم[٧] من يحيل على[٨] القياس ، وفيهم[٩] من يحيل على الكشف ؛ وكل من الطريقين[١٠] فيها من الاضطراب والاختلاف مالا ينضبط ، وليست واحدة منهما تحصل المقصود بدون الطريق النبوية .

والطريق النبوية تحصل[١١] الايمان النافع في الآخرة بدون ذلك ، ثم ان حصل قياس أو كشف يوافق[١٢] ما أخبر به الرسول كان حسنا ، مع أن القرآن قد نبه على الطرق الاعتبارية التي بها يستدل[١٣] على مثل مافي القرآن ، كما قال تعالى : ((سنريهم آياتنا / في الافاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق[١٤])) فأخبر انه يري عباده من الآيات المشهودة[١٥] -

ظ ٦

---

(١) ص : أو لم يخبر .
(٢) س : اذا لم يقبله .
(٣) فلا : زيادة في (خ) فقط .
(٤) س ،ك : هذا .
(٥) ك : مايذكره .
(٦) في هذا الباب : سقطت من (ص ،ن) .
(٧) خ ،س ،ك : فمنهم .
(٨) على : سقطت من (ن) .
(٩) خ ،س ، ك : ومنهم .
(١٠) ك : الطريقتين .
(١١) ن : بها يحصل .
(١٢) خ ،س : فوافق .
(١٣) ن : التي بها نستدل . خ ،س : التي يستدل بها .
(١٤) سورة فصلت : ٥٣ .
(١٥) س : المشهورة .

التي هي أدلة عقلية - مايبين[1] أن القرآن حق .

وليس لقائل أن يقول : انما خصت[2] هذه الصفات بالذكر، لأن السمع موقوف عليها دون غيرها ؛ فان الأمر[3] ليس كذلك ، لأن التصديق بالسمعيات ليس موقوفا على اثبات السمع والبصر ونحو ذلك .

فصل

استمرار في مناقشة من يثبت بعض الصفات دون بعض

فان قيل : انما نفينا الرحمة والمحبة[4] والرضا والغضب ونحو ذلك من الصفات ، لأنه لا يعقل لها حقيقة تليق بالخالق الا الارادة ؛ فالمحبة والرضا ارادة الاحسان ، والغضب ارادة العقاب منه ، فالفرق بينهما بحسب تعلقاتها ، لا أن[5] هذه في نفسها ليست هذه .

قيل : هذا باطل ؛ فان نصوص الكتاب والسنة والاجماع مع الأدلة العقلية تبين الفرق ، فان الله سبحانه يقول : ((ان تكفروا فان الله غني عنكم ولا يرضى لعباده الكفر وان تشكروا يرضه لكم))[6] ، وقال تعالى : ((اذ يبيتون مالا يرضى من القول))[7] ؛ فبين أنه لا يرضى هذه المحرمات مع أن كل شيء كائن بسببه[8] ، وقال تعالى : ((والله لا يحب الفساد))[9] .

وقد علم بالاضطرار من دين الاسلام ، وباجماع سلف الأمة - قبل حدوث أقوال النفاة من الجهمية ونحوهم - أن الله يحب الايمان والعمل

---

(١) خ ،س : ماتبين . ك : مايتبين .
(٢) ك : خصصت .
(٣) خ ،س : لان الأمر .
(٤) من قوله : " فصل فان قيل : انما نفينا الرحمة والمحبة ...." الى قوله في صفحة ٣٣ " ... ويكفرون من خالفهم فيها " سقط من (خ ،س) .
(٥) لا أن : كذا في (ص) ، وفي (ن ،ك) : لأن .
(٦) سورة الزمر : ٧ .
(٧) سورة النساء : ١٠٨ .
(٨) بسببه : كذا في (ن ،ك) . وفي (ص) : بمسببه .
(٩) سورة البقرة : ٢٠٥ .

الصالح ، ولا يحب الكفر والفسوق والعصيان ، وأنه يرضى هذا ولا يرضى هذا ، والجميع بمشيئته وقدرته .

والذين لم يفرقوا ، لهم تأويلات :

تارة - يقولون : لا يرضاه لعباده المؤمنين ،فهم يقولون : لا يحب الايمان والعمل الصالح ممن لم يفعله ، كما لم يرده ممن لم يفعله ويقولون : انه يحب الكفر والفسوق والعصيان ممن فعله ،كما أراده ممن فعله .

وفساد هذا القول مما يعلم بالاضطرار من دين الاسلام مع دلالة الكتاب والسنة واجماع السلف على فساده .

وتأويلهم الثاني - قالوا : لا يرضاه دينا ، كما يقولون : لا يريده دينا ؛ ومعناه عندهم أنه لا يريد أن يثيب[1] فاعله ، اذ جميع الموجودات والأفعال عندهم بالنسبة اليه سواء ؛ لا يحب منها شيئا دون شيء ، ولا يبغض منها شيئا دون شيء .

وقد بسط الكلام على فساد هذا القول وتناقضه في مواضع أخر، وانما المقصود هنا التنبيه على أن مايجب اثباته لله تعالى من الصفات ، ليس مقصورا على ماذكره هؤلاء ،مع اثباتهم بعض صفاته بالعقل وبعضها /بالسمع. ج ٧

فان من عرف حقائق أقوال الناس وطرقهم التي دعتهم الى تلك الأقوال حصل له العلم والرحمة ؛ فعلم الحق ، ورحم الخلق ، وكان مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وهذه خاصة أهل السنة المتبعين للرسول صلى الله عليه وسلم ؛ فانهم يتبعون الحق ، ويرحمون من خالفهم باجتهاده[2] ، حيث عذره الله ورسوله ، وأهل البدع يبتدعون بدعة باطلة ، ويكفرون من خالفهم فيها[3].

---

(١) ك : يثيت .
(٢) ن : باجتهاد .
(٣) هنا انتهى السقط في (خ ،س) الذى بدأ في الصفحة السابقة .

[فصل[1]]

الأحكام التي يذكرها أهل السنة في عقائدهم المختصرة

ومن شأن المصنفين في العقائد المختصرة ، على مذهب أهل[2] السنة والجماعة - أن يذكروا مايتميز[3] به أهل السنة والجماعة عن الكفار والمبتدعين ؛ فيذكرون اثبات الصفات، وأن القرآن كلام الله غير مخلوق ، وأنه تعالى يرى في الآخرة ، خلافا للجهمية من المعتزلة وغيرهم .

ويذكرون أن الله خالق أفعال العباد ، وأنه مريد لجميع الكائنات ، وأنه ماشاء كان[4] ومالم يشأ لم يكن ، خلافا للقدرية من المعتزلة[5] وغيرهم .

ويذكرون مسائل الأسماء والأحكام ، والوعد والوعيد ، وأن المؤمن لا يكفر بمجرد الذنب ، ولا يخلد في النار، خلافا للخوارج[6] والمعتزلة.

---

(١) فصل : سقطت من (ص ،ن) .
(٢) أهل : سقطت من (س) .
(٣) ن ،ك : تتميز .
(٤) ك : وأنه ماشاء الله كان .
(٥) القدرية غلاة ومقتصدة :
فالغلاة - وهم قلة - الذين أنكروا القدر السابق ، وقد حدثت بدعتهم في آخر عصر الصحابة ، ففي صحيح مسلم ١/٣٦-٣٨ رقم ٨ كتاب الايمان ، باب بيان الايمان والاسلام والاحسان ووجوب الايمان باثبات قدر الله سبحانه وتعالى ، عن يحيى بن يعمر قال : كان أول من قال في القدر بالبصرة معبد الجهني (ت ٨٠هـ) وذكر يحيى لعبد الله بن عمر بن الخطاب " أنهم يزعمون أن لاقدر، وأن الأمر أنف ".
قال عبدالله :" فاذا لقيت أولئك فأخبرهم أني بريء منهم، وأنهم برآء مني ، والذى يحلف به عبدالله بن عمر لو أن لأحدهم مثل أحد ذهبا فأنفقه، ماقبل الله منه ، حتى يؤمن بالقدر" وذكر عنه أبيه حديث جبريل .
ثم كثر الخوض في القدر، فصار مقتصدوهم وجمهورهم يقرون بالقدر السابق ، لكن ينكرون عموم مشيئة الله وقدرته ، فيقولون : انه لم يرد الا ما أمر به فلا يريد الكفر والمعاصي ،ولم يخلق أفعال عباده .
وهذا أحد أصول المعتزلة الخمسة ، انظر مراجع التعريف بالمعتزلة فيما تقدم ، ص ٧ ت ٦.
وانظر مجموع فتاوى شيخ الاسلام (ط الرياض) ١٣/٣٦-٣٧.
(٦) الخوارج فرق يجمعها القول بالتبرىء من أميرى المؤمنين عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما ، ووجوب الخروج على الامام اذا جار ،وتكفير مرتكب الكبيرة وخلوده في النار. وقد ظهر التكلم ببدعتهم في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم، حينما قام رجل معترضا على قسمته عليه الصلاة والسلام ، فأخبر بخروجهم ، وذكر صفاتهم ، وحرض على قتلهم ، ونوه بقاتليهم .
أما أول خروج مسلم لهم فكان على الخليفة الرابع علي بن أبي طالب رضي الله عنه ،لما اعترضوا / =

ويحققون القول في الايمان ، ويثبتون الوعيد لأهل الكبائر مجملا ، خلافا للمرجئة[1] .

ويذكرون امامة الخلفاء الأربعة وفضائلهم ، خلافا للشيعة من الرافضة وغيرهم .

وأما الايمان بما[2] اتفق عليه المسلمون من توحيد الله تعالى ، والايمان برسله ، والايمان باليوم الآخر ، فهذا لابد منه ، وأما دلائل هذه المسائل ففي الكتب المبسوطة الكبار .

= / على التحكيم الذى اتفق عليه المسلمون اثر اقتتالهم في صفين. ففارقوا عليا وجماعة المسلمين الى مكان يقال له : حروراء ، وكف عنهم علي الى أن استحلوا دماء المسلمين وأموالهم فعلم أنهم الذين ذكرهم رسول الله ، فقاتلهم .

انظر : صحيح البخارى (فتح البارى ١٢/٢٨٢-٣٠٢) كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم ، باب قتل الخوارج والملحدين بعد اقامة الحجة عليهم ، باب من ترك قتال الخوارج للتألف ولئلا ينفر الناس عنه ؛ وصحيح مسلم ٢/٧٤٠ - ٧٥٠ كتاب الزكاة ، باب ذكر الخوارج وصفاتهم ، باب التحريض على قتل الخوارج ، باب الخوارج شر الخلق والخليقة .

وانظر حوادث سنة سبع وثلاثين للهجرة ، في تاريخ الطبرى ٥/٤ ومابعدها وفي البداية والنهاية لابن كثير ٧/٢٧٧ ومابعدها .

وانظر مقالاتهم في مقالات الاسلاميين ١/١٦٧-٢١٢ ؛ والتنبيه والرد ،ص ٤٧-٥٤،١٧٨-١٨٥ ؛ وأصول الدين للبغدادى ،ص ١٧٥، ١٧٦، ٢٤٢، ٢٤٩- ٢٥٠ ؛ والفرق بين الفرق ،ص ٧٢- ١١٣ ؛ والفصل لابن حزم ٢/١١٣، ٤/١٨٨- ١٩٢ ؛ والتبصير في الدين ، ص ٤٦- ٥٩ ؛ والملل والنحل للشهرستاني ١/١٥٥- ١٨٦ ؛ والحور العين ،ص ١٧٠ - ١٧٨، ٢٠٠- ٢٠٢، ٢٧٣ ؛ واعتقادات فرق المسلمين والمشركين للرازى ، ص ٤٦- ٥١ ؛ ومجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية (ط الرياض) ٧/٤٧٩- ٤٨٤، ١٣/٣٠- ٣٣، ٣٥، ٤٨ - ٤٩، ٢٠٨، ٢١١ ؛ والخطط للمقريزى ٢/٣٥٠، ٣٥٤- ٣٥٦ .

(١) الارجاء لغة التأخير، والمرجئة هم الذين يؤخرون العمل عن الايمان ، وهم فرق أبرزها أربع:
الجهمية قالوا : الايمان هو المعرفة بالقلب .
الكرامية قالوا : الايمان هو القول باللسان .
الأشاعرة وبعض الحنفية قالوا : الايمان هو التصديق بالقلب .
أكثر الحنفية قالوا : الايمان هو التصديق بالقلب والقول باللسان .
وغلاة المرجئة يقولون : لايضر مع الايمان ذنب ، ولايدخل النار من أهل القبلة أحد .
انظر: مقالات الاسلاميين ١/٢١٣- ٢٣٤ ؛ الفصل لابن حزم ٢/١١١- ١١٢ ؛ الارشاد ، ص ٣٩٦- ٣٩٧ ؛ الملل والنحل ١/١٨٦- ١٩٥ ؛ مجموع فتاوى شيخ الاسلام (ط الرياض) ٧/١٨١، ١٩٥، ٥٤٣ ؛ شرح الأصبهانية،ص ٥٨٥-٥٨٨ ؛ الفقه الأكبر لأبي حنيفة بشرح ملا علي القارى ،ص ٧٦- ٧٨ .

(٢) ن : وأما الايمان الذى . وكتبت (الذى) في الهامش .

الأصبهاني لم يستوف هذه الأحكام وماذكره أشار الى دليله اشارة مختصرة

وهذا المصنف لم يسلك هذه[1] الطريق ، بل أشار اشارة مختصرة الى دليل ماذكره من الأحكام ، ولم يستوف [الأحكام[2]] التي تذكر في المعتقدات .

وعذره في ذلك[3] أن يقول : ذكرت[4] جمل الاقرار بالربوبية والرسالة والمعاد : فذكرت صفات الله الثبوتية ، وذكرت الرسالة ، وماجاءت به النبوات من الايمان بالمعاد ؛ وقولي : انه متكلم ، يناقض قول من قال : القرآن مخلوق ، فان حقيقة قول أولئك أنه ليس بمتكلم ؛ واثبات الارادة عامة يتناول[5] جميع الكائنات ، واثبات القدرة المطلقة يتضمن[6] أنه خالق كل شيء بقَدَره[7] ، وبهذين يخرج قول المعتزلة في الكلام والقدر .

والمعترض عليه يقول : اقتصرت على بعض الصفات دون بعض ، فان كنت اقتصرت على مايعلم بالعقل عندك ، فقد ذكرت السمع والبصر والكلام ، وأثبت ذلك بالسمع ، وان كنت ذكرت مايتوقف تصديق الرسول صلى الله عليه وسلم عليه[8] ، فهو لا يتوقف عندك / على اثبات السمع والبصر والكلام ، لأنك أثبت ذلك بالسمع .

ظ ٧

وحقيقة الأمر أنه[9] أثبت هذه الصفات السبع لأنها هي المشهورة عند المتأخرين من الكلابية ، كأبي المعالي وأمثاله بأنها العقليات ، ولكن لم يثبتها[10]

---

(١) ن ،ك : هذا . وكتب أمام هذا الموضع في هامش (س) : مطلب المصنف لم يسلك مسلك القوم في عقيدته .
(٢) الاحكام : سقطت من (ص ،ن) .
(٣) من قوله :" وعذره في ذلك " الى قوله في صفحة ٣٧ : " يعلم به جنس مايثبت به من الأدلة " سقط من (خ ،س) .
(٤) ص ،ن ، ك : ذكر . ولعل الصواب ما أثبته .
(٥) ن : تتناول .
(٦) يتضمن : كذا في (ص)،ن ،ك : تتضمن .
(٧) ص ،ن : بقدرة ،ك : بقدرته ، ولعل الصواب ما أثبت .
(٨) عليه : سقطت من (ن) .
(٩) أنه : كذا في (ص) ؛ ن ،ك : أنك .
(١٠) ص : تثبتها .

جميعها بالعقل ،بل أثبت بعضها بالسمع موافقة للرازى ،فلهذا لم يطرد[1] له في ذلك طريق واحد .

وهو قد نبه على الأدلة تنبيها ، لم[2] يقصد استيفاءها وتقرير مقدماتها ، بل نبه الناظر على الدليل تنبيها[2] يعلم به جنس مايثبت به[3] من الأدلة[4] ، وألا فما ذكره[5] من الأدلة لا يكفي[6] في العلم بهذه الأحكام ؛ فان الدليل ان لم تقرر مقدماته ويجاب عما يعارضها لم يتم، فكيف اذا لم تقرر مقدماته ،بل ولا ثبتت[7] ، ونحن هنا ننبه[8] على ماذكره وعلى وجه تقريره .

دليل الأصبهاني على وجود الخالق

فأما قوله :" **فالدليل على وجود الممكنات ؛ لاستحالة وجودها بنفسها** ، واستحالة **وجودها بممكن آخر** ، ضرورة **استغناء المعلول بعلته عن كل ماسواه ، وافتقار الممكن الى علته** ".

شرح ابن تيمية هذا الدليل مبني على مقدمتين

فهذا الدليل مبني على مقدمتين :

المقدمة الأولى - أن الممكنات موجودة

احداهما - أن الممكنات موجودة ، والثانية[9] - أن الممكن لا يوجد الا بواجب الوجود .

---

(١) يطرد : كذا في (ص) ؛ ن ،ك : تطرد .

(٢-٢) مابينهما في (ص) فقط .

(٣) به : سقطت من (ن) .

(٤) هنا انتهى السقط في (خ ،س) الذى بدأ في الصفحة السابقة .

(٥) خ ،س : وماذكره .

(٦) خ ،س : لا تكفي .

(٧) ولا ثبتت : كذا في (ن) ؛ وفي (ص) غير منقوطة ؛ وفي النسخ الأخرى : ولا تثبت . وهنا تتوقف مخطوطة (ن) ، وتعود في صفحة ١٧٥ عند قوله :" .... والا فكثير من النظار كابن كلاب وموافقيه .... ".

(٨) ونحن هنا ننبة : كذا في (ص) ؛ خ : ونحن ننبه ؛ س ،ك : ونحن نزيد .

(٩) والثانية : كذا في (ك) ؛ ص ،خ : والثاني ؛ س : . أحدهما ... والثاني .

والمقدمة الأولى لم يقررها بحال ، ولا يمكن أن يسلك في ذلك

طريقة ابن سينا في اثبات واجب الوجود

طريقة ابن سينا[1] وأمثاله من المتفلسفة ، الذين قالوا : نفس الوجود يشهد بوجود واجب[2] ، فان الوجود اما ممكن واما واجب ، والممكن مستلزم للواجب ، فيثبت[3] وجود الواجب على التقديرين[4] .

تعليق ابن تيمية

فان هذه الطريقة[5] وان كانت صحيحة بلا ريب ، لكن نتيجتها اثبات وجود واجب ، وهذا لم ينازع فيه أحد من العقلاء المعتبرين ، ولا هو من المطالب العالية ، ولا فيه اثبات الخالق ، ولا اثبات وجود واجب أبدع السموات والأرض - كما يسلكه الالهيون من الفلاسفة الاسلاميين ، المتبعين للفلاسفة اليونانيين كأرسطو وأتباعه المشائين[6] ،

---

(١) هو أبو علي الحسن بن عبدالله بن الحسن بن علي بن سينا (٣٧٠ - ٤٢٨) أصله من بلخ ، ولد ونشأ في بخارى ومات بهمذان . يلقب بالشيخ الرئيس ، صنف في الطب والفلسفة وغيرهما ، نقل عنه مترجموه خبره عن نفسه ، ومنه (تاريخ الحكماء ، ص ٤١٣) : " وكان أبي ممن أجاب داعي المصريين ؛ ويعد من الاسماعيلية ، وقد سمع منهم ذكر النفس والعقل على الوجه الذى يقولونه ويعرفونه هم ، وكذلك أخي ، وكانا ربما تذاكرا بينهما وأنا أسمع منهما ، وأدرك مايقولانه ، وابتداء يدعوانني أيضا اليه ، ويجريان على لسانهما ذكر الفلسفة والهندسة وحساب الهند .... " . انظر ماتقدم في تعريف الفلاسفة ، ص ١٩ ت ١ ، وانظر: تاريخ الحكماء ، ص ٤١٣ - ٤٢٦ ؛ عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، ص ٤٣٧ - ٤٥٩ ؛ وفيات الأعيان ٢ / ١٥٧ - ١٦٢ ؛ البداية والنهاية ١٢ / ٤٢ - ٤٣ ؛ لسان الميزان ٢ / ٢٩١ - ٢٩٣ ؛ معجم المؤلفين ٤ / ٢٠ - ٢٣ ؛ الأعلام ٢ / ٢٤١ - ٢٤٢ ؛ ابن سينا بين الدين والفلسفة للدكتور حمود غرابة (ط القاهرة ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م) .

(٢) س ، ك : بوجود واجب الوجود .

(٣) فيثبت : كذا في (ص) ؛ خ ، س ، ك : فثبت .

(٤) على التقديرين : كذا في (ص) ؛ خ ، س : على التقرير ، ك : على هذا التقرير . قال ابن سينا في كتاب " الاشارات والتنبيهات " (القسمان الثالث والرابع) ، ص ٤٤٧ : " كل موجود اذا التفت اليه من حيث ذاته من غير التفات الى غيره فاما أن يكون بحيث يجب له الوجود في نفسه أو لا يكون ، فان وجب فهو الحق بذاته ، الواجب الوجود من ذاته وهو القيوم ، وان لم يجب لم يجز أن يقال : انه ممتنع بذاته بعد مافرض موجودا ... فيكون باعتبار ذاته الشيء الذى لا يجب ولا يمتنع ، فكل موجود اما واجب الوجود بذاته أو ممكن الوجود بذاته " .
وقال (ص ٤٨٢) : " تأمل كيف لم يحتج بياننا لثبوت الأول ووحدانيته وبراءته عن الصفات ، الى تأمل لغير نفس الوجود ، ولم يحتج الى اعتبار من خلقه وفعله ، وان كان ذلك دليلا عليه . لكن هذا الباب أوثق وأشرف ، أى اذا اعتبرنا حال الوجود يشهد به الوجود من حيث هو وجود ، وهو يشهد بعد ذلك على سائر مابعده في الوجود " .

(٥) ص : الطريق .

(٦) ... والأرض - كما يسلكه ... الخ : كذا في (ص) ؛ خ ، س ، ك : والأرض ، كما يسلمه الالهيون / =

وان كان بين قول ابن سينا وأتباعه ، وقول أرسطو وأتباعه فروق مبسوطة في غير هذا الموضع (١) - وانما فيه أن في (٢) الوجود وجودا واجبا ، (٣) وهذا يسلمه منكرو الصانع (٤) كفرعون ، والدهرية المحضة من الفلاسفة والقرامطة ونحوهم ، ويقولون : ان هذا الوجود واجب الوجود بنفسه .

والى هذا يؤول قول أهل الوحدة (٥) ، القائلين بأن الوجود واحد ؛ فانهم يقولون / في آخر الأمر (٦) : ماثم موجود مباين للسموات (٧) والأرض ، وماثم غير وجود الموجود الممكن .

ج ٨

/ * من الفلاسفة كأرسطو وأتباعه المشائين .
وأرسطو هو أرسطو طاليس بن نيقوماخوس، (٣٨٤ - ٣٢٢ ق ٠م) يسمونه " المعلم الأول " ولد في مدينة اسطاغيرا اليونانية ، ولما بلغ الثامنة عشرة من عمره جاء الى أثينا حيث التحق بأكاديمية أفلاطون ، ولبث فيها عشرين سنة حتى مات أفلاطون (٣٤٧ ق٠م) فغادر أرسطو أثينا ثم عاد اليها مرة أخرى ، وأسس مدرسة في مكان يسمى " لوقيون" ، وكان أفلاطون يعلم الفلسفة ماشيا وتابعه على ذلك أرسطو ، فسمي هو وأصحابه " المشائين " . انظر عن أرسطو : الفهرست ، ص ٣٠٧ - ٣١٢ ؛ طبقات الأطباء والحكماء ، ص ٢٥ - ٢٧ ؛ الملل والنحل للشهرستاني ٣/٣٧ - ٦٣ ، تاريخ الحكماء ص ٢٧ - ٥٣ ؛ مجموع فتاوى شيخ الاسلام (ط الرياض) ١١/١٧١-١٧٢ ؛ الرد على المنطقيين ، ص ١٨٦ ، ٢٨٣ ؛ كتاب " الله " للعقاد ، ص ١٣٦ - ١٤٠ ؛ تاريخ الفلسفة الغربية لبرتراندرسل ترجمة د/ زكي نجيب محفوظ ، ص ٢٥٨ - ٣٣١ ؛ تاريخ الفلسفة اليونانية ليوسف كرم ، ص ١١٢ - ٢٠٨ ؛ الفلسفة عند اليونان لأميرة حلمي مطر ، ص ٢٤٣ - ٣٥٨ .

(١-١) مابينهما في (ص) فقط .
(٢) س : أن من .
(٣) ك : أن الوجود وجود واجب .
(٤) ص : . . . . وجودا واجبا فهذا منكر للصانع .
(٥) ص : أهل الوحدة والعرفان .
(٦) ص : في أحد الأمرين .
(٧) س : السموات .

مشابهة طريقة الأصبهاني لطريقة ابن سينا وأتباعه

ومصنّف العقيدة أثبت الصانع بهذه[1] الطريق ؛ فإنه لما أثبت أنه صنع الممكنات أثبت علمه وقدرته ، فلا بُدَّ أن يثبت أولاً وُجود شيء ممكن[2]، ليبني عليه ثبوت وجودٍ واجبٍ مبدعٍ لوجود ممكن ، ليتم ماسلكه ، وأما مجرد إثبات وجود واجب فلا يفيد هذا المطلوب، فليفهم اللبيب هذا.

لكن هذه الطريق[3] التي سلكها تقتضي إثبات موجود واجب ، وهي طريقة ابن سينا ومن تبعه ، فإنهم يقررون بطريقتهم في التوحيد بيان إمكان الأجسام ، فيلزم من ذلك أن يكون الواجب مغايرا لها ، وعلى هذه الطريقة اعتمد في التوحيد كما سيذكره ، لكنها طريقة ضعيفة كما سننبه عليه إن شاء الله تعالى[4].

ولا ريب أنه اختصر هذه العقيدة من كتب أبي عبدالله ابن الخطيب الرازي[5]، وقد تكلمنا على ماذكره أبو عبدالله الرازي مبسوطا في مواضعه[6].

تقرير ابن تيمية لهذه المقدمه

ونحن نقرر[7] وجود الممكنات ليتم ماذكره هذا[8] المصنف من الدليل ، ويتبين[9] أن هذه[10] الطريق أصح في العقل،وأبين مما يُذكر في كتب الأصول الأمهات[11] التي اختصرت منها هذه العقيدة ، لكونها موافقة لطريقة القرآن ،

---

(١) ك : بهذا .
(٢) . . . شيء ممكن : كذا في (ص) ؛ خ ،س ،ك : شيء ممكن ليس بواجب .
(٣) من قوله :" لكن هذه الطريق " الى قوله :" كما سننبه عليه ان شاء الله تعالى" انفردت به (ص) .
(٤) هنا ينتهي ماانفردت به (ص) .
(٥) الرازي : في (ص) فقط .
(٦) الرازي ممن سلك مسلك ابن سينا في اثبات واجب الوجود ، وقد ناقش ابن تيمية مسلك الرازي في مواضع متفرقة من الجزء الثالث من كتاب " درء تعارض العقل والنقل" انظر مثلا الصفحات ،٧٢ ،٧٤ ،١٠٦ ،١٤٠ ،١٦٢ ،١٦٦ ،١٧١ ،٢٦٧ .
(٧) ك : نقدر .
(٨) هذا : في (ص) فقط .
(٩) ص :وسس . بلا نقط .
(١٠) ك : هذا .
(١١) الأمهات : كذا في (ص) ،خ ،س ،ك : والأمهات . وأمام هذا الموضع كتب في هامش(س) : مطلب في كلام شيخ الاسلام الموافق للدليل العقلي .

فان الفاضل اذا تأمل غاية مايذكره المتكلمون والفلاسفة من الطرق العقلية وجد الصواب منها يعود إلى بعض ماذُكر[1] في القرآن من الطرق[2] ، وفي طرق القرآن من تمام البيان والتحقيق ماقد نَبّهنا علىٰ بعضه في غير هذا الموضع .

فنقول : إنه يمكن تقريرها بما نشاهد من حدوث الحوادث ؛ فإنّا نشاهد حدوث الحيوان[3] والنبات والمعادن ،[4] وحوادث الجو كالسحاب والمطر وغير ذلك[4] ؛ وهذه الحوادث ليست ممتنعة ، فإن الممتنع لا يوجد ، ولا واجبة الوجود بنفسها ، فإن واجب الوجود بنفسه لا يقبل العدم ، وهذه كانت معدومة ثم وجدت ، فعدمها ينفي وجوبها ، ووجودها ينفي امتناعها . وهذا دليلٌ قاطعٌ ، واضحٌ ، بينٌ ، على ثبوت الممكنات .

لكن من سلك هذه الطريق لم يحتج إلى أن يثبت إمكانها بحدوثها ، ثم يستدل بإمكانها على الواجب ، بل نفس حدوثها دليل على إثبات المحدِث لها ؛ فإن العلم بأن المحدَث لابُدّ له من محدِث أبينُ من العلم بأن الممكن لابُدّ له من واجب ، فتكون تلك الطريق أبينَ وأقصر وهذه الطريق[5] أخفى وأطول ؛ حيث يستدل بالحدوث/ على الإمكان ، ثم بالامكان على الواجب .

ظ ٨

وان كان بعض الناس يستدل بالحوادث[6] على المحدِث ، فإن الحوادث لا تختص بما هي عليه إلا بمخصِّص ، فإنه يجوز أن تقع على خلاف

---

(١) ص : مايذكر .
(٢) من الطرق : كذا في (ص) ؛ خ ،س ، ك : من الطرق العقلية .
(٣) س ،ك : فانا نشاهد من حدوث الحوادث حدوث الحيوان . .
(٤-٤) مابينهما في (ص) فقط .
(٥) الطريق : في (ص) فقط .
(٦) ص : بالحدوث .

ماوقعت عليه ، فتخصيصها بوقت دون وقت ، وبوصف دون وصف ، لا بُدّ له من مخصِّص.[1]

ومنهم من يقول[2] : تخصيص الممكن بالوجود لا بد له من مُخصِّص ، ويقول : إن الممكن إنما يفتقر إلى العلة في وجوده ، لا في عدمه ، وإن العدم المستمر لا يحتاج إلى علة ، وهذا قول جماهير نُظّار المسلمين.

وإنما قال : يحتاج في كل من الطرفين الى مخصِّص ، طائفةٌ من المتأخرين المتفلسفة ومن وافقهم ، وقد بُسط الكلام على هذا في غير هذا الموضع ، وبُيِّن أن عدم المرجِّح المخصِّص يستلزم عدمه ، لا أنه هو الموجِب لعدمه ، وبُسط الكلام على تنازعهم في علة الافتقار إلى المؤثر : هل هو الحدوث ، أو الإمكان ، أو مجموعهما ، أو كل منهما ؟ ، وبُيِّن أن نفس الحقائق المخلوقة مستلزمة الافتقار إلى الخالق تعالى ، وأن ما اتصفت به من حدوث وإمكان هو دليل على افتقارها إلى الصانع ، لا أن هذه الصفات هي الموجِبة للافتقار ، فإن بسط هذه الأمور ، وماوقع فيها من اشتباه واضطراب ، مبسوط في غير هذا الكتاب.[3]

وهذا الاستدلال بالتخصيص على المخصِّص وإن كان صحيحا[4] ، فليس بمسلك سديد على الإطلاق[5] ، فإن العلم بأن المحدَث لا بد له من محدِث أبين من هذا ، فلا يحتاج[6] إلى هاتين المقدمتين اللتيْن هما أخفى من ذلك .

---

١) على خلاف ماوقعت عليه . . . الخ : كذا في (ص) ؛ خ ،س ،ك : . . . على خلاف ماوقعت عليه ، فتخصيص أحد طرفي الممكن لا بد له من مخصص .
٢) من قوله : " ومنهم من يقول " الى قوله مبسوط في غير هذا الكتاب " انفردت به (ص) .
٣) هنا ينتهي مانفردت به (ص).
٤) وهذا الاستدلال . . . الخ : كذا في (ص) ؛ خ ،س ،ك : فهذا الاستدلال وان كان صحيحا.
٥) على الاطلاق : في (ص) فقط .
٦) س ،ك : أبين من هذا المحتاج .

ومن استدل على الجلي بالخفي ، فإنه وإن تكلم بحق[1] فلم يسلك طريق الاستدلال ؛ فإن كل مستلزم للشيء يصلح أن يكون دليلا عليه ، إذ يلزم من ثبوت الملزوم ثبوت اللازم ، والدليل ملزوم للمدلول عليه[2] ، وهذا من شأن الدليل ، فإنه[3] يلزم من ثبوته ثبوت المدلول عليه ، ولهذا يجب طرد الدليل ، ولا يجب عكسه ، لكن إذا كان اللازم المدلول عليه[4] أظهر من الملزوم - الذى هو الدليل - كان الاستدلال بالملزوم على اللازم خطأ في البيان والدلالة .

وإن سلك المصنِّف في تقرير[5] إثبات الممكنات ، تقرير إمكان الأجسام كلها ، فهذا دليل طويل ، وفيه مقدمات متنازَع فيها نزاعا طويلا ، وكثير من الناس يقدح فيها بما لا يمكن[6] دفعه ، فإثبات الصانع بمثل هذه المقدمات[7] ، لو كانت صحيحة[8] خطأ ، وإن لم تكن صحيحة[8] كان الدليل باطلا .

ج ٩
المقدمة الثانية - أن الممكن لا بد له من واجب

وأما / المقدمة الثانية ؛ وهي أن الممكن لابُدّ له من واجب ، فقد نبّه على هذه المقدمة بقوله : " لاستحالة وجودها بنفسها " ، فإن الممكن هو الذى يقبل الوجود والعدم ، كما نشاهده من المحدَثات ، وماكان قابلا للوجود والعدم لم يكن وجوده بنفسه ، كما أن المحدَث لا يكون وجوده بنفسه ، كما قال تعالى : (أمْ خُلِقُوا من غيرِ شيءٍ أم هم الخالقون)[9] يقول سبحانه : أحُدِثوا من غير محدِث ، أم هم أحدثوا أنفسهم ؟ .

---

(١) س ،ك : وان تكلم حقا .
(٢) عبارة " ملزوم للمدلول عليه " في (ص) فقط .
(٣) ص : بأنه .
(٤) اللازم المدلول عليه : كذا في (ص) ؛ خ ،س،ك : اللازم والمدلول عليه .
(٥) تقرير : في (ص) فقط .
(٦) س ،ك : بما لم يمكن .
(٧) ص : . . . يقدح فيها ، فاثبات الصانع بما لا يمكن دفعه بمثل هذه المقدمات .
(٨-٨) مابينهما سقط من (س ، ك) .
(٩) سورة الطور : ٣٥ .

ومعلوم أن الشيء المحدَث[١] لا يوجد بنفسه[٢]، فالممكن - الذى ليس له من نفسه وجود ولا عدم - لا يكون موجودا بنفسه، بل إن حصل له[٣] مايوجده وإلا كان معدوما، وكل ما أمكن وجوده بدلاً[٤] عن عدمِه، وعدمُه بدلاً[٤] عن وجوده، فليس له من نفسه وجود ولا عدم لازم له[٥].

وهذا بيِّنٌ، ومما يقرره[٦] أن مايمكن عدمُه بدلاً عن وجوده، لا يكون وجوده بنفسه؛ إذ لو كان وجوده بنفسه لكان واجبا بنفسه، [ولو كان واجبا بنفسه[٧]] لم يقبل العدم، وهو قد قبل العدم فليس موجودا بنفسه.

تقدير ذلك: ماكان[٨] موجودا، فإما أن يكون مفتقرا في وجوده إلى غيره، وإما أن لا يكون، فإن كان مفتقرا في وجوده إلى غيره لم يكن وجودُه بنفسه، بل بذلك الغير الذى هو مفتقر إليه، أو به وبذلك الغير، فعلى التقديرين لا يكون وجوده بنفسه، وإن لم يكن مفتقرا في وجوده إلى غيره كان موجودا بنفسه.

فالموجود بنفسه لا يكون مفتقرا إلى غيره، والمفتقر إلى غيره لا يكون موجودا بنفسه، [فالموجود بنفسه الذى لا يفتقر إلى غيره واجب بنفسه، إذ نفسه[٩]] كافية[١٠] في وجوده، فلا يتوقف وجوده على شيء غير انيَتَه[١١]، إن قدّر أن إنِّيَّته شيء غير وجوده.

---

(١) المحدث : في (ص) فقط.
(٢) بنفسه : كذا في (ص)؛ خ، س، ك : نفسه.
(٣) له : في (ص) فقط.
(٤) ك : بدل. (في الموضعين).
(٥) لازم له : في (ص) فقط.
(٦) خ : ومما نقرره.
(٧) عبارة : ولو كان واجبا بنفسه. سقطت من (ص).
(٨) تقدير ذلك، ماكان: كذا في (ص)، خ : نقرر ذلك أن ماكان. س، ك : يقرر ذلك أن ماكان.
(٩) مابين المعكوفين ساقط من (ص).
(١٠) ص : كانيته.
(١١) قال الجرجاني في كتاب "التعريفات"، ص ٣٩: "الانية تحقق الوجود العيني من حيث رتبته الذاتية".
وقال أبو البقاء في كتاب "الكليات"، ص ٧٦: "ان، بالكسر والتشديد، هي في لغة العرب تفيد التأكيد والقوة في الوجود، ولهذا أطلقت الفلاسفة لفظ "الانية" على واجب الوجود لذاته، لكونه أكمل الموجودات في تأكيد الوجود وفي قوة الوجود، وهذا لفظ محدث، ليس من كلام العرب".
وقال أبو نصر الفارابي في كتاب "الحروف"، ص ٦١: "معنى "ان" الثبات والدوام والكمال / =

وإن قدّر أن إنيّته - التي هي ماهيته[1] - هي وجوده ، كما هو قول أهل السنة[2] - كان قول القائل : موجود بنفسه ، أي هويّته[3] ثابتة بهويّته ، فحيث قدّرت هويته لم يمكن عدمها ، فالموجود بنفسه لا يقبل العدم ، وماقبل العدم فليس موجودا بنفسه ؛ فيفتقر الى غيره ، فكل ممكن مفتقر إلى غيره .

وهذه المقدمات[4] ثابتة في نفس الأمر ، ويمكن تحريرها بوجوه من الطرق والعبارات ، والمعنى فيها واحد ، فتبين قول المصنف : " لاستحالة وجود الممكنات بأنفسها " .

= / والوثاقة في الوجود وفي العلم بالشيء . . ولذلك تسمى الفلاسفة الوجود الكامل انية الشيء ، وهو بعينه ماهيته ، ويقولون : وما انية الشيء ؟ يعنون ماوجوده الأكمل ؟ وهو ماهيته " .

(١) عبارة : التي هي ماهيته . في (ص) فقط .

(٢) قال ابن سينا في كتاب " الاشارات والتنبيهات " (القسمان الثالث والرابع) ، ص ٤٧٧ : " وأما الوجود فليس بماهية لشيء ، ولا جزء من ماهية شيء ، أعني الأشياء التي لها ماهية ، لا يدخل الوجود في مفهومها ، بل هو طارىء عليها " . وانظر في هذا الكتاب أيضا ، ص ٤٥٨ - ٤٦٢ ، ٤٨٠ .
وقال في كتاب " النجاة " ، ص ٢٠٩ : " وليس الواحد مقوما لماهية شيء من الأشياء ، بل تكون الماهية شيئا : اما انسانا واما فرسا أو عقلا أو نفسا ، ثم يكون ذلك موصوفا بأنه واحد وموجود " . وانظر أيضا في نفس الكتاب ، ص ٢٤٤ ، ٢٤٥ ، (٢٥١ ، وانظر الوجه الخامس من وجوه التركيب عند الفلاسفة في هامش ٣ ص ٥٦ فيما سيأتي .
وقد بين ابن تيمية في كتاب " الرد على المنطقيين " ، ص ٦٤ - ٦٩ غلط ابن سينا ونحوه في الفرق بين " الماهية " و " وجودها " ، وقال ماحاصله : ان ثمة شبهة نشأت من جهة أنه غلب على أن مايوجد في الذهن يسمى " ماهية " ، ومايوجد في الخارج يسمى " وجودا " ، لأن الماهية - وهي من الأسماء المولدة - هي المقول في جواب " ماهو ؟ " بما يصور الشيء في نفس السائل ، وهو الثبوت الذهني ، سواء كان ذلك المقول موجودا في الخارج أو لم يكن . وهذا أمر لفظي اصطلاحي ، فاذا قيد ، وقيل : " الوجود الذهني " كان هو الماهية التي في الذهن ، واذا قيل : " ماهية الشيء في الخارج " كان هو عين وجوده الذى في الخارج ، فوجود الشيء في الخارج عين ماهيته في الخارج ، كما اتفق على ذلك أئمة النظار من أهل السنة وسائر أهل الاثبات .
وانظر الفصل لابن حزم ٢ / ١٧٤ - ١٧٥ ، كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوى ص ١٣١٣ - ١٣١٦ .

(٣) ص : الى هويته . ذكر التهانوى في " كشاف اصطلاحات الفنون " ، ص ١٥٣٩ ان الهوية مأخوذة من لفظة " هو " وقال قبل ذلك : " الهوية بضم الهاء " ، وياء النسبة ، هي عبارة عن التشخص ، وهو المشهور بين الحكماء والمتكلمين ، وقد تطلق على الوجود الخارجي ، وقد تطلق على الماهية مع التشخص ، وهي الحقيقة الجزئية " .. ومما قاله أبو البقاء في " الكليات " ، ص ٣٨٣ : " قال بعضهم : الأمر المتعقل من حيث أنه مقول في جواب " ماهو " يسمى " ماهية " ، ومن حيث ثبوته في الخارج يسمى " حقيقة " ، ومن حيث امتيازه عن الأغيار يسمى " هوية " ، ومن حيث حمل اللوازم عليه يسمى " ذاتا " ، ثم الأحق باسم " الهوية " من كان وجود ذاته من نفسها وهو المسمى " بواجب الوجود " .

(٤) المقدمات : كذا في (ص) ، خ ، س ، ك : المقامات .

(*وقد بُسط الكلام على ما أورد المتأخرون في هذا الموضع من الشُبه والاشكالات، وتقرير ذلك بإبطال الدَّور والتسلسل، والفرق بين الدَّور المعيّ[1] الاقتراني، والدور القَبْلي والبَعْدي، وأن الممتنع هو هذا الثاني دون الأول، والفرق بين التسلسل في المؤثرات؛ وهو التسلسل في الفاعلين؛ بحيث يكون لكل فاعل / فاعل، وبين التسلسل في الآثار والمفعولات[2]؛ وهو جواز دوام الفعل والآثار، وأن الأول متفق على إبطاله بين العقلاء، وإنما تنازعوا في الثاني، وذُكر ماتكلَّم به عامة العقلاء في هذه المقدمات ـ في غير هذا الموضع*).

ظ ٩

شرح قول الاصبهاني عن الممكنات: واستحالة وجودها بممكن آخر... الخ

وأما قوله: "واستحالة وجودها بممكن آخر، ضرورة استغناء المعلول بعلته عن كل ماسواه، وافتقار المعلول إلى علته" ـ فمقصوده أن يبين أن الممكنات كما لا توجد بأنفسها فلا توجد بممكن آخر، فيلزم أنه لابدّ لها[3] من واجب بنفسه.

وذلك لأنها لو وجدت بممكن[4]، استغنت به عمن[5] سواه؛ لأن ذلك الممكن ان لم يكن علةً تامةً لوجودها لم توجد به[6]، وإن كان علةً تامةً لوجودها استغنت به عمّا سواه، فإن العلّة التامة تستلزم وجود المعلول، فلا يفتقر المعلول إلى غيرها.

فلو وجدت الممكنات بممكن لزم أن تستغنى[7] به عما سواه، وذلك الممكن من جملة الممكنات، والممكن مفتقر إلى غيره، فيلزم أن يكون مفتقراً إلى علةٍ غير نفسه، والمفتقر إلى غيره لا يكون مستغنياً بنفسه، فيلزم

(*-*): مابينهما "وقد بسط الكلام ... في غير هذا الموضع" انفردت به (ص). وسيأتي في كتابنا هذا كلام عن الدور والتسلسل.

(١) الأصل (ص): والمعنى.

(٢) الأصل (ص): والمعقولات.

(٣) ك: لـه.

(٤) ص: بممكن آخر.

(٥) عمن: كذا في (ص)؛ خ، س، ك: عما.

(٦) به: سقطت من (ص).

(٧) تستغنى: كذا في (ص)؛ خ، س، ك: يستغنى.

أن يكون مفتقرا إلى غيره ؛ غيرَ مفتقرٍ إلى غيره ، غنياً بنفسه ؛ ليس بغني بنفسه ، وهو جمع بين النقيضين .

فلو كان فاعل الممكنات كلها ممكنا لزم أن يكون هذا الممكن غنيا بنفسه ؛ ليس بغني بنفسه[(١)] ، فقيراً إلى غيره ؛ غير فقير إلى غيره ، حيث جُعل ممكناً ، وجُعل مفتقراً إلى غيره ؛ علةً تامةً فلا يفتقر[(٢)] ، فيلزم التناقض .

والأمر في هذا أوضح من هذا التطويل ؛ وإنما سلك هذا المصنف طريقة أبي عبد الله بن الخطيب الرازي ، فإن هذه طريقته[(٣)] ، وكان ينسج على منواله ، وإلا فالعلم بأن جميع الممكنات تفتقر إلى غيرها ، كالعلم بأن هذا الممكن مفتقر إلى غيره .

فإن الافتقار إذا كان من جهة كونه ممكنا ، سواء كان الإمكان دليل الافتقار أو علة الافتقار ، فهو يعمُّها كلها ، فأيّ شيء قُدِّر ممكنا كان الفقر ثابتا فيه إلى غيره ، فلا بدّ لكل ممكن من غير يفتقر إليه[(٤)] ، كما لا بدّ لهذا الممكن من غير يفتقر إليه ، [(٥)] فإذا كان بمجموع نفسه لا يكون موجودا ، فأن لا يكون موجودا ببعض ذلك أولى[(٥)] .

ومعلوم أن افتقارَ الشيء إلى بعضه[(٦)] أشدُّ من افتقاره إلى نفسه ، [(٧)] بمعنى أنه إذا لم يستغن بنفسه فأن لا يستغني ببعض نفسه أولى[(٧)] ، فإذا كان الممكن لا يوجد بنفسه ؛ ولا يكون موجودا بنفسه ، فكيف يكون موجودا ببعضه وكيف[(٨)] يُتصوَّر أن يكون مجموع الممكنات موجودةً بممكن من الممكنات وهي لا يكفي[(٩)] في وجودها مجموع الممكنات !

---

(١) خ ،س : عن نفسه . وكتب في هامش (خ) : لعله بنفسه .

(٢) حيث جعل ممكنا ، وجعل . . . الخ : كذا في (ص) ؛ خ ،س،ك : . . . حيث جعل ممكنا مفتقرا ، وجعل معلولا بعلة تامة فلا يفتقر .

(٣) طريقه : كذا في (ص) ؛ خ ،س،ك : طرقه .

(٤) من غير يفتقر اليه : كذا في (ص) ؛ خ ،س ،ك : من مفتقر اليه .

(٥-٥) مابينهما انفردت به (ص) . وأصله : فاذا كان مجموع نفسه يكون موجودا . . . الخ ، ولعل الصواب ما أثبته .

(٦) ك : الى بعض .

(٧-٧) مابينهما انفردت به (ص) .

(٨) ص ،خ : فكيف .

(٩) خ ،س : لا تكفي .

والهيئة الاجتماعية لا تخرجها عن الإمكان، الذى هو علة الافتقار أو دليل الافتقار، فإن[1] الهيئة الاجتماعية مفتقرة أيضا إلى غيرها، / فهي من الممكنات[1]، وهذا بيّن ولله الحمد.

ج ١٠

واعلم أنه ما من حق ودليل[2] إلا ويمكن أنه يرد عليه شبه سوفسطائية، فإن السفسطة[3] إما خيال فاسد وإما معاندة للحق، وكلاهما لا ضابط له، بل هو بحسب مايخطر للنفوس من الخيالات الفاسدة والمعاندات الجاحدة، ومن هذا الباب أوردها طائفة من المتأخرين على هذا الموضع، وقد[4] بُسط الكلام عليها وبُيِّن فسادها في غير هذا الموضع.

سعة طرق اثبات الخالق

ومما يبين سعة طرق إثبات الصانع سبحانه أن تقسيم الوجود إلى واجب وممكن، والاستدلال بالممكن على الواجب - ممكن من جنسه ماهو أبين منه؛ مثل تقسيم الموجودات إلى محدَث وقديم، والاستدلال بالمحدَث على القديم؛ فإذا قال القائل: إن الموجود إما ممكن وإما واجب؛ والممكن لابد له من واجب؛ فيلزم ثبوت الواجب على كل تقدير - أمكن أن يقال: الموجود إما حادث وإما قديم، والحادث لابُدَّ له من قديم، فيلزم ثبوت القديم على كل تقدير.

ويقال: الموجود إما غنيّ وإما فقير، والفقير لابُدَّ له من غني يحصل به مالا يوجد الفقير إلا به، فيلزم وجود الغني بنفسه على كل تقدير.

ومثل أن يقال: الموجود إما مخلوق وإما غير مخلوق؛ والمخلوق لابُدَّ له من خالق؛ فيلزم ثبوت الخالق الذى ليس بمخلوق على كل تقدير.

وهذا المعنى الذى صار كثير من متأخري النُّظَّار، مثل صاحب هذه

(١-١) مابينهما انفردت به (ص).

(٢) من قوله: "واعلم أنه ما من حق ودليل..." الى قوله في ص ٥٠: "بل هو سبحانه الغني بنفسه، المغني لما سواه". انفردت به (ص).

(٣) السفسطة لفظ معرَّب، مركب في اليونانية من "سوفي" وهي الحكمة، و"اسطس" وهي المموه، فمعناه الحكمة المموهة، وهو يطلق عبارة عن التمويه والمغالطة في الكلام والمجادلة لجحد الحقائق. ويتحدث مؤرخو الفلسفة اليونانية عن السوفسطائيين، وهم أناس عرفوا بهذا النوع من الجدل واشتهروا في النصف الثاني من القرن الخامس قبل الميلاد.
انظر: بيان تلبيس الجهمية لابن تيمية ١/٣٢٢-٣٢٤، التسعينية ص ٣٦-٣٧؛ احصاء العلوم للفارابي، ص ٨١؛ تاريخ الفلسفة اليونانية ليوسف كرم، ص ٥٤ ومابعدها؛ الفلسفة عند اليونان للدكتورة أميرة حلمي مطر، ص ١١٨-١٢١.

(٤) في الأصل (ص): قد. بدون الواو.

العقيدة وأمثاله ، يقررون به إثبات العلم بالخالق فيثبتون أنه واجب الوجود - هو معنى صحيح ، وهو بعض مادلت عليه النصوص الإلهية وأسماؤه الحسنى .

لكن النصوص تدل على معان تجمع هذا المعنى وغيره من صفات الكمال - لا تقتصر على مجرد ذلك - مثل كونه تعالى قيومًا ، وكونه صمدا ،كما قد بسطنا في تفسير معنى اسمه " القيوم " ، ومعنى اسمه " الصمد " ، بل ومعنى اسمه " الرب " و " الإله " ، وغير ذلك من أسمائه الحسنى .

وذكرنا تفسير (قل هو الله أحد) في مصنف مفرد ، وكذلك القول على كونها تعدل ثلث القرآن في مصنف مفرد أيضا[1]، وبينا أن من معاني اسمه " الصمد " ، أنه الغني عن كل ماسواه ، وأن كل ماسواه مفتقر إليه ، وهذا يتضمن كونه واجب الوجود بنفسه ، وكون كل ماسواه موجودا به ، فقيرا اليه ، وهو يتضمن أن الممكنات كلها موجودة به ، مفتقرة اليه .

وقد ذكرنا في غير هذا الموضع أن الفقر والحاجة للمخلوقات - وهي الممكنات - وصف لازم لها ؛ فهي مفتقرة إليه دائما ؛ حال الحدوث وحال البقاء ، ومن زعم من أهل الكلام أن افتقارها إليه في حال الحدوث فقط ، كما يقوله من يقوله من المعتزلة وغيرهم أو في حال البقاء فقط ، كما يقوله من يقوله من المتفلسفة القائلين / بمساواة[2] العالم له ،وكلا القولين خطأ ؛ بل الامكان والحدوث متلازمان ،وكل محدث ممكن ، وكل ممكن محدث ،

ظ ١٠

---

(١) طبع هذان الكتابان غير مرة ، الأول بعنوان " تفسير سورة الاخلاص " ،والثاني بعنوان " جواب أهل العلم والايمان بتحقيق ما أخبر به رسول الرحمن من أن (قل هو الله أحد) تعدل ثلث القرآن" . وضمهما الجزء السابع عشر من مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية (ط. الرياض) .

(٢) عبارة " بمساواة " في الأصل (ص) رسمت هكذا : نما مساوى ،ورجحت أن تكون " بمقارنة " أو " بمساوقة " ، ثم رأيت الشيخ محمد بن أحمد السفاريني في كتابه " لوامع الأنوار البهية ،ص ٤٤ نقل عن هذا الموضع من كتاب شرح الأصبهانية ،وجاءت الجملة كما أثبت ، والله أعلم .

والفقر ملازم لهما ، فلا تزال مفتقرة إليه ، لا تستغني عنه لحظة عين ، وهو الصمد الذى يصمد إليه جميع المخلوقات ، ولا يصمد هو إلى شيء ، بل هو سبحانه الغني بنفسه ، المغني لما سواه[1] .

فصل

دليل الأصفهاني على وحدانية الخالق

فلما قرّر إثبات الصانع سبحانه[2] أخذ يثبت وحدانيته ؛ فقال : " والدليل على وحدته أنه لا تركيب فيه بوجه ، والا لما كان واجب الوجود لذاته ؛ ضرورة افتقاره الى ما تركّب منه ، ويلزم من ذلك أن لا يكون من نوعه اثنان ، إذ لو كان لزم[3] وجود الاثنين بلا امتياز وهو محال " .

شرح ابن تيمية متابعة الأصبهاني للمتفلسفة في الاستدلال على الوحدانية بنفي التركيب

وهذا الدليل أخذه[4] من كلام أبي عبد الله الرازى ، وهو سلك فيه مسلك المتفلسفة كابن سينا وأمثاله ، فان هذا هو عمدتهم فيما يدّعونه من التوحيد ، وهو حجة باطلة ، ومقصودهم فيما يدّعونه نفي الصفات[5] ، وقد بين علماء المسلمين بطلانها[6] ؛ كما بيّنه أبو حامد الغزالي[7] في

---

(١) هنا ينتهي ما انفردت به (ص) ، وبدأ في ص ٤٨ .
(٢) سبحانه : في (ص) فقط .
(٣) ص : للزم .
(٤) ص : . . . وهو محال . قلت : أخذه .
(٥) ومقصودهم فيما يدعونه نفي الصفات : كذا في (ص) ، خ ، س ، ك : ومقصودهم فيما يدعونه من التوحيد .
(٦) وقد بين علماء المسلمين بطلانها : كذا في (ص) ؛ خ ، س ، ك : وقد بين ذلك علماء المسلمين .
(٧) هو الامام الشافعي الأشعري الصوفي محمد بن محمد بن محمد الغزالي (٤٥٠ - ٥٠٥ هـ) ، نسبته الى صناعة الغزل ، أو الى غزالة من قرى طوس ، تفقه على امام الحرمين ، وله مصنفات منتشرة في فنون عديدة ، انظر كلامه عن نفسه وكلام بعض العلماء فيه وتعليق ابن تيمية على ذلك في كتابنا هذا ، ص ٥٠٧ وما بعدها وانظر أيضا تبيين كذب المفترى ، ص ٢٩١ - ٣٠٦ ؛ وفيات الأعيان ٤/٢١٦ - ٢١٩ ؛ طبقات الشافعية للسبكي ٦/ ١٩١ - ٣٨٩ ؛ البداية والنهاية ١٢/ ١٧٣ - ١٧٤ ؛ الأعلام ٧/ ٢٢ - ٢٣ ؛ سيرة الغزالي وأقوال المتقدمين فيه لعبد الكريم العثمان .

" تهافت الفلاسفة "[1] وكما قدح[2] الرازى وغيره في هذه الطريق[3] في مواضع أُخَر[4].

وأما قوله : " ويلزم من ذلك أن لا يكون من نوعه اثنان ؛ إذ لو كان لزم وجود الاثنين بلا إمتياز وهو محال ". فطريقتهم في تقرير هذا أنه لو كان إثنان واجبا الوجود لكانا مشتركين في وجوب الوجود ؛ فإن كان كل منهما ممتازًا عن الآخر بنفسه[5]، كان كل منهما مركَّبًا مما به الاشتراك ومابه الامتياز فيكون كل منهما مركَّبا، وقد تقدم أن التركيب / محال ؛ وان لم يكن أحدهما ممتازًا عن الآخر، لزم وجود اثنين بلا امتياز .

ج ١١

وبهذه الحجة يثبتون إمكان الأجسام كلها ؛ لأنهم يقولون : الجسم مركَّب ، اما من المادة والصورة ، واما من الجواهر المنفردة[6] ؛ وكل مركَّب ممكن .

اعتماد الفلاسفة في نفي الصفات على حجة التركيب

فبهذه الحجة[7] نفوا[8] الصفات ، وكانوا من أشدّ الناس تَجَهُّمًا ، لأنهم زعموا أن إثبات الصفات ينافي هذا التوحيد .

فساد هذه الحجة من وجوه

وقد تفطَّن لفساد **هذه الحجة** بعض العقلاء[9] ،كأبى حامد الغزالي[10] وغيره ، وذلك من وجوه :

الوجه الأول

أحدها ـ أن يقال : قول القائل : انه يلزم افتقاره إلى ماركِّب منه ، وذلك ينافي وجوبَ الوجود ـ ممنوع ؛ لأن غاية ما فيه : أن ماركِّب منه جزء

---

(١) انظر تعليق رقم (١٠) من نفس الصفحة.
(٢) س ،ك : وكما قد صرح .
(٣) الطريق : كذا في (ص) ؛ خ ،س ،ك : الطرق .
(٤) سيورد ابن تيمية كلام الرازى في تقرير هذه الحجة وكلامه في القدح فيها ،ص ٦٦ ومابعدها . في (ص) ترك الناسخ بياضا بقدر ثمانية سطور يفصل بين نهاية هذا الكلام وبداية الذى يليه ، ولم يشر الى سبب ذلك .
(٥) بنفسه : كذا في (ص) ؛خ ،س،ك : بتعيينه .
(٦) ك : الفردة .
(٧) ص : بهذه الحجة : بسقوط الفاء .خ : فبهذه الحجة ،وبهذه الحجة .
(٨) س ،ك : تقوم .
(٩) وقد تفطن لفساد . . .الخ :كذا في (ص) ؛خ ،س ،ك : وقد تفطن لفساد هذه الحجة من تفطن لها من الفضلاء كأبى حامد . . .
(١٠) ألف الغزالي كتاب " تهافت الفلاسفة " للرد على الفلاسفة واظهار تناقضهم ،ويبدو أن ابن تيمية في بعض مايذكره من الوجوه التالية أفاد من هذا الكتاب،انظر بوجه خاص كلام الغزالي ،ص ١٦٠-١٨٣ في المسألة الخامسة في بيان عجزهم عن اقامة الدليل على أن الله واحد ، وفي المسألة السادسة في ابطال مذهبهم في نفي الصفات .

من أجزائه ،وقول القائل : إن المركّب مفتقر إلى جزئه ، ليس بأعظم من قوله : إنه مفتقر إلى كله ؛ فإن الافتقار إلى المجموع أشدّ من الافتقار إلى بعض المجموع ، فالمفتقر إلى المجموع مفتقر إلى كل جزء منه ، والمفتقر إلى جزء منه لا يلزم أن يكون مفتقرا إلى الجزء الآخر ، ومعلوم أن افتقاره إلى الجميع هو افتقاره إلى نفسه ،(١ وقول القائل : مفتقر إلى نفسه(١ ، هو معنى قوله : هو واجب بنفسه ؛ فعُلم أن وجوبه بنفسه لا يوجب الافتقار المنافي لوجوب الوجود .

الوجه الثاني

الوجه الثاني - أن يقال : وجوب الوجود الذى دلّ عليه الدليل ينفي أن يكون مفتقرا[٢] إلى شيء خارج عن نفسه ، إذ كانت[٣] الممكنات لا بُدَّ لها من موجود[٤] غير ممكن : موجود بنفسه ، وهذا ينفي أن يفتقر إلى شيء خارج عن نفسه ؛ فلو قيل : إنه موجود بنفسه ، مستغنٍ عن غيره ، وإنه مفتقر إلى غيره - لزم[٥] الجمع بين النقيضين ، فأمّا ماهو داخل في مسمّى نفسه فليس هو شيئاً خارجاً عن نفسه ، حتى يقال : افتقاره إليه ينافي وجوده بنفسه .

الوجه الثالث

الوجه الثالث - أن يقال : اسم "الغير" فيه اصطلاحان :

أحدهما - أن حدّ الغيرَين : ماجاز العلم بأحدهما مع عدم العلم بالآخر.

والآخر - أن الغيرَين ماجاز مفارقة أحدهما للآخر[٦] ، بوجود أو مكان[٧] أو زمان ، والأول اصطلاح المعتزلة والكراميّة ، والثاني اصطلاح طوائف من[٨]

(١-١) مابينهما سقط من (س ،ك) .

(٢) ينفى أن يكون مفتقرا : كذا في (ص) ؛خ ،س ،ك : ينفى أن يفتقر الى أن يكون مفتقرا .

(٣) ص : اذا كان .

(٤) س ،ك : وجود .

(٥) لزم : كذا في (ص) ؛خ ،س ،ك : للزم .

(٦) للآخر : كذا في (ص) ؛ خ ،س ،ك : الآخر .

(٧) أو مكان : كذا في (ص) ؛ خ ،س ،ك : أو امكان .

(٨) طوائف من : في (ص) فقط .

الكُلَّابية والأشعرية (*) ومَن وافقهم من الفقهاء أصحاب الأئمة الأربعة .

وأما الأئمة كأحمد بن حنبل وغيره ، فإن لفظ " الغير " عندهم يحتمل هذا وهذا ؛ ولهذا كان السلف لا يطلقون القول : بأن صفات الله غيره ، ولا أنها [(١)] ليست غيره ؛ فلا يقولون : كلام الله غير الله ، ولا يقولون : ليس غير الله . بل يستفسرون القائل عن مراده ، فقد يريد الأول ، وقد يريد الثاني ، وهذه طريقة حذَّاق النُّظَّار ، وقد بُسط / الكلام على هذا في موضع آخر (*) .

ظ ١١

فإن تكلَّم بالاصطلاح الثاني ، فجزء الشيء اللازم وصفته اللازمة ليس بغير له [(٢)] ، فلا يكون ثبوته موجباً لافتقاره إلى غيره ؛ وإن تكلَّم [(٣)] بالأول فثبوت الغير بهذا التفسير [(٤)] لا بُدَّ منه ، فإنه يمكن العلم بوجوده ، [والعلم بوجوبه [(٥)]] ، والعلم بأنه خالق ، والعلم بعلمه ، والعلم بإرادته ، وهم يعبِّرون عن [(٦)] ذلك بالعقل والعناية ، وهذه المعاني أغيار على هذا الاصطلاح ، وثبوتها لازم لواجب الوجود ، وإذا كان ثبوت هذه الأغيار لازماً له ؛ لم يجز القول بنفيها ؛ لأن نفيها يستلزم نفي واجب الوجود ، وعُلم أن مثل هذا وإن سُمِّي تركيبا فليس منافيا لوجوب الوجود .

فإذا قيل : واجب الوجود لا يفتقر إلى غيره .

قيل : لا يفتقر إلى غيرٍ يجوز مفارقته له ، أم إلى غيرٍ لازم لوجوده [(٧)] ؟

(*-*) ما بينهما " ومن وافقهم . . . في موضع آخر " انفردت به (ص) .
(١) الأصل (ص) : . . . بأن صفات الله غيره لأنها . ولعل الصواب ما أثبته .
(٢) ص : فان تكلم بالاصطلاح الثاني ، فان قيل بالثاني فجزء الشيء اللازم . . . الخ . وفي (خ ، س ، ك) : فان قيل بالثاني فجزؤه وصفته ليس بغير له .
(٣) وان تكلم : كذا في (ص) ؛ خ ، س ، ك : وان قيل .
(٤) ك : التغير .
(٥) والعلم بوجوبه : سقطت من (ص) .
(٦) ص : وهم يفسرون عن .
(٧) ك : أم هو لازم لوجوده .

فالأول حق ، وأما الثاني - إذا أريد بالافتقار أنه مستلزم له - فممنوع.[1]
ويتبين[2] ذلك بـ

الوجه الرابع

الوجه الرابع - وهو أن يقال : استعمال لفظ " الافتقار " في مثل هذا ليس هو المعروف في اللغة والعقل ، فإن هذا إنما هو تلازم ؛ بمعنى أنه لا يُوجَد المركَّب إلا بوجود جزئه[3] ، أو لا يُوجَد أحدُ الجزئين إلا بوجود الآخر ، أو لا يوجَد الجزء إلا بوجود الكل ، أو لا توجد الصفة إلا بوجود الموصوف ، أو لا يوجد الموصوف إلا بوجود الصفة .

ومعلوم أن الشيئين المتلازمين في الوجود لا يجب[4] أن يكون أحدهما مفتقرا إلى الآخر ، بل إن كانا ممكنَيْن جاز أن يكونا معلولَي علةٍ واحدة أوجبتْهما ، من غير أن يفتقر [أحدهما[5]] إلى الآخر[6] ؛ فإن افتقار الشيء إلى غيره إنما يجوز[7] إذا كان ذلك الغير مؤثِّرا في وجوده كتأثير العلة ، فأما المتلازمان اللذان يكون وجود أحدهما مستلزماً لوجود الآخر معه ؛ فإنه وإن قيل : إن وجوده شرط لوجوده ، لكن لا يلزم أن يكون مفتقرا إليه بحيث يكون علةً له .

وإذا قال القائل[8] : أنا أقول : إن كل واحد من المتلازمَيْن مفتقر إلى الآخر ؛ كافتقار المشروط إلى شرطه المستلزم له .

(١) وأما الثاني اذا ... الخ : كذا في (ص) ؛ خ ، س ، ك : وأما الثاني فممنوع .
(٢) خ ، ك : ونبين .
(٣) س ، ك : جزء .
(٤) س : لا يوجب .
(٥) أحدهما : سقطت من (ص) .
(٦) الى الآخر: كذا في (ص) ؛ خ ، س ، ك : الى الآخر ، وأما الأمور المتلازمة كالأبوة والبنوة لا يجب أن يكون أحدهما مفتقرا إلى الآخر . وكتبت هذه الزيادة في "خ" في الهامش ، وستأتي قريبا في (ص) في مكانها المناسب .
(٧) انما يجوز: كذا في (ص) ؛ خ ، س ، ك : انما يكون .
(٨) من قوله هنا : " وإذا قال القائل ... " الى قوله في صفحة ٧٩ : " كما هو حال عامة أرباب العقائد الفاسدة اذا تبين لهم الحق الذى لا ريب فيه " ، انفردت به (ص) .
وجاء هنا في (خ ، س ، ك) مايلي : " ... علة له ، وإذا كان المراد بالافتقار هنا التلازم فذلك لا ينافي وجوب الوجود ، يوضح ذلك الوجه الخامس وهو أن يقال : ... الخ " راجع صفحة ٧٩ .

أنواع الدور

قيل له : فبقي النزاع لفظيا ، كالنزاع في لفظ " الدّور " ؛ فإن الدّور يراد به الدّور العلمي ، الذى يذكر في حساب الجبر والمقابلة ؛ ويراد به الدّور الحُكمي ، الذى يتكلّم به الفقهاء ؛ ويراد به الدّور العقلي ، الذى يتكلّم به النُّظّار .

الصواب أن الدور العقلي نوعان

ويطلق طائفة منهم : أن الدور باطل ، وآخرون منهم يفصِّلون ؛ فيقولون : الدور نوعان :

أحدهما - الدور القَبْلي ؛ وهو أنه لا يكون هذا إلا بعد ذاك ، ولا يكون ذاك إلا بعد / هذا - فهذا ممتنع في صريح العقل ؛ فإنه يستلزم كون الشيء سابقاً للسابق على نفسه ، ومتأخراً عن المتأخر عن نفسه ، فيلزم أن يكون قبل نفسه بدرجتين ، وأن لا يكون إلا بعد نفسه بدرجتين ، وكونه موجوداً قبل نفسه ، أو لا يوجد إلا بعد نفسه - محال ، فكيف إذا كان هذا الممتنع متكررا !

ج ١٢

وأما النوع الثاني - فهو الدور المَعِيّ الاقترانيّ ، وهو أن لا يكون هذا إلا مع ذاك ، ولا يكون ذاك إلا مع هذا ؛ كما لا توجد الأبوة إلا مع البنوة ، ولا البنوة إلا مع الأبوة ، ولا توجد الذات الواجبة إلا مع صفاتها اللازمة ، ولا توجد صفاتها اللازمة إلا مع الذات - فهذا الدور جائز ، وهذا الدور في الشروط ، والأول دور في العلل[1] .

فكذلك لفظ " الافتقار " ؛ فإن مرادهم بافتقار المركَّب إلى جزئه ليس هو افتقار المفعول إلى الفاعل ، ولا المفعول إلى العلة الفاعلة ، بل المراد بالافتقار التلازم ؛ والأمور المتلازمة كالأبوة والبنوة لا يجب أن يكون أحدهما مفتقراً إلى الآخر ، لا سيما على أصل الذين يقولون : إنه يستلزم لمفعولاته ؛ فإذا كان وجوب وجوده لا ينافي استلزامه لأفعاله الممكنة ،

---

(١) لمزيد من الايضاح لأنواع الدور ينظر كتاب " الرد على المنطقيين " ،ص ٢٥٧ . وكتاب " الكليات " لأبي البقاء ،ص ١٨٤ .

فكيف ينافي استلزامه لصفاته اللازمة لذاته ؟!

وهذا مما يبيّن تناقض هؤلاء المتفلسفة النفاة للصفات وأن أقوالهم من أفسد الأقوال في العقل؛ فإنهم يقولون: ان واجب الوجود موجِب للعالَم، ولا يمكن وجوده بدون وجود العالَم، مع تغيّر العالم.

وهذا الإيجاب والاستلزام لا ينافي وجوب وجوده عندهم، ثم يقولون مع ذلك: وجوب الوجود ينافي استلزامه للصفات، ويسمّون[1] هذا الاستلزام والإيجاب افتقارا، ويقولون: لو كان موصوفا بالصفات لكان مركّباً من الذات والصفات، والمركّب مفتقر[2] إلى جزئه، وجزؤه غيره، وواجب الوجود لا يكون مفتقراً إلى غيره.

أنواع التركيب عند الفلاسفة

وقالوا ماذكره عنهم أبو حامد الغزالي في "التهافت"[3]:

---

(١) ويسمون: بهذه العبارة ابتدأ الناسخ السطر بعد فسحة قصيرة بقدر كلمة، على غير عادته.

(٢) الأصل (ص): مفتقرا. بالنصب، وهو خطأ.

(٣) قال الغزالي في كتاب "تهافت الفلاسفة"، ص ١٦٢-١٦٤ يحكي كلام الفلاسفة: "بل زعموا أن التوحيد لا يتم الا باثبات الوحدة لذات البارى سبحانه من كل وجه، واثبات الوحدة بنفي الكثرة من كل وجه، والكثرة تتطرق الى الذوات من خمسة أوجه.

الأول - بقبول الانقسام فعلا أو وهما، فلذلك لم يكن الجسم الواحد واحدا مطلقا، فانه واحد بالاتصال القائم القابل للزوال، فهو منقسم في الوهم بالكمية، وهذا محال في المبدأ الأول.

الثاني - أن ينقسم الشيء في العقل الى معنيين مختلفين، لا بطريق الكمية كانقسام الجسم الى الهيولى والصورة، فان كل واحد من الهيولى والصورة وان كان لا يتصور أن يقوم بنفسه دون الآخر، فهما شيئان مختلفان بالحد والحقيقة، يحصل من مجموعهما شيء واحد هو الجسم، وهذا أيضا منفي عن الله سبحانه وتعالى...

الثالث - الكثرة بالصفات، بتقدير العلم والقدرة والارادة، فان هذه الصفات ان كانت واجبة الوجود، كان وجوب الوجود مشتركا بين الذات وبين هذه الصفات، ولزمت كثرة في واجب الوجود، وانتفت الوحدة.

الرابع - كثرة عقلية تحصل بتركب الجنس والفصل، فان السواد سواد ولون، والسوادية غير اللونية في حق العقل، بل اللونية جنس والسوادية فصل، فهو مركب من جنس وفصل... وهذا نوع كثرة، فزعموا أن هذا أيضا منفي عن المبدأ الأول.

الخامس - كثرة تلزم من جهة تقدير ماهية، وتقدير وجود لتلك الماهية، فان للانسان ماهية قبل الوجود، والوجود يرد عليها ويضاف اليها، وكذا المثلث مثلا، له ماهية وهي أنه شكل تحيط به ثلاثة أضلاع، وليس الوجود جزءا من ذات هذه الماهية مقوما لها، ولذلك يجوز أن يدرك العاقل ماهية الانسان وماهية المثلث، وليس يدرى أن لهما وجودا في الأعيان أم لا، ولو كان الوجود مقوما لماهيته لما تصور ثبوت ماهيته في العقل قبل وجوده، فالوجود مضاف الى الماهية، سواء كان لازما بحيث لا تكون تلك الماهية الا موجودة كالسماء، أو عارضا بعد ما لم يكن، كماهية الانسان في زيد وعمرو، وماهية الأعراض والصور الحادثة فزعموا أن هذه الكثرة أيضا/ =

إن التركيب خمسة أنواع :

أحدها - التركيب من وجود وماهية .

والثاني - التركيب من ذات وصفات .

والثالث - التركيب من أمر عام وخاص ؛ كما يقال : يشارك العالَمَ في الوجود ، ويمتاز عنه بالوجوب . وقد يُسمّون العام " جنساً " ، وقد يُسمّونه " عرضاً عاماً " ؛ ويقولون : الجنس هو الذاتي المشترك ، والعرض العام : العرضي المشترك ، كما أن " الفصل " هو الذاتي المميِّز ، و " الخاصة " هي العرضي المميِّز ، و " النوع " هو المركَّب من الجنس والفصل ، وهذه الخمسة هي الكليات الخمس المذكورة في منطقهم اليوناني(1).

/ = يجب أن تنفى عن الأول . . . . اذ لو ثبت له ماهية لكان الوجود الواجب لازما لتلك الماهية ، غير مقوم لها ، واللازم تابع ومعلول ، فيكون الوجود الواجب معلولا ، وهو مناقض لكونه واجبا .

(1) ذكر الغزالي في " معيار العلم " ، ص ٩٣ - ١٠٢ ، ١٠٦ ماملخصه : الموجودات تنقسم الى موجودات شخصية معينة ، وتسمى أعيانا وأشخاصا وجزئيات ؛ والى أمور غير متعينة ، وتسمى الكليات والأمور العامة .

فأما الأعيان الشخصية فهي الأمور المدركة أولا بالحواس كزيد ، وهذا الفرس ، وهذه الشجرة ، وكذلك هذا البياض وهذه القدرة ، فان التعين يدخل على الجواهر والأعراض جميعاً .

ثم هذه الأشخاص لا تشترك في أعيانها ، الا أنها تتشابه بأمور ، كتشابه الفرس والانسان - دون الشجرة - في الحيوانية ، وكتشابه هذه الثلاثة في الجسمية ، فما به التشابه للأشياء يسمى " الكليات والأمور العامة " .

وكل معنى ينسب الى شيء ، فاما أن يكون ذاتيا له مقوما لذاته ، أي قوام ذاته به كالحيوان للانسان ؛ واما أن يكون غير ذاتي مقوم ، وحينئذ فاما أن يكون عرضيا لازما كالمخلوق للانسان ؛ واما أن يكون عرضيا مفارقا كالأبيض للانسان .

ولاظهار الفرق بين " الذاتي المقوم " و " العرضي اللازم " - معياران :

الأول - أن مالا يرتفع في الوجود والوهم جميعا فهو " ذاتي " ، ومايرتفع في الوجود والوهم فهو " عرضي مفارق " ، ومايقبل الارتفاع في الوهم دون الوجود فهو " عرضي لازم " .

الثاني - أن كل معنى اذا أحضرته في الذهن مع الشيء الذي شككت في أنه " لازم له " أو " ذاتي " ، فان لم يمكنك أن تفهم ذات الشيء الا أن تكون قد فهمت له ذلك المعنى أولا فاعلم أنه " ذاتي " ، وان أمكنك أن تفهم ذات الشيء دون أن تفهم المعنى ، أو أمكنك الغفلة عن المعنى بالتقدير فاعلم أنه " غير ذاتي " ، ثم ان كان يرتفع وجوده فاعلم أنه عرضي مفارق ، وان كان لا يفارقه أصلا فهو لازم .

والعرضي - سواء كان لازما أو مفارقا - ينقسم بالاضافة الى ماهو عرض له ، الى مايعمه وغيره فيسمى " عرضا عاما " ، والى مايختص به فيسمى " خاصة " ، كالمشي والاكل فانه بالاضافة الى الحيوان " خاصة " اذ لا يوجد لغيره ، فان أضيف الى الانسان كان " عرضا عاما " اذ ليس مخصوصا به .

ويلاحظ أنه لا يراد بالعرض هنا الذي يقابل الجوهر ، فان العرض هنا قد يكون جوهرا كالأبيض والعرض هناك لا يكون جوهرا كالبياض .

أما الذاتي المقوم فينقسم الى مالا يوجد شيء أعم منه وهو داخل في الماهية أي يمكن أن يذكر / =

وقد بيّنّا مافي هذا الكلام المذكور في المنطق ؛ من حق وباطل في غير هذا الموضع ، وبيّنّا أن مايذكرونه من الفرق بين الذاتي المقوّم ؛ الداخل في الماهية ، والعرضي اللازم للماهية ؛ الخارج عنها - لا يرجع إلى حقيقة موجودة ولا معقولة ، وإنما هو / تحكّم اصطلاحي ، كما أن مايدّعونه من التركيب من الجنس والفصل ليس تركيبا حقيقيا في الخارج[1] ؛ وإنما هو تركيب ذهني اعتباري ؛ وحقيقته ذات متّصفة بصفات[2] ، ولهم في هذه المواضع [أخطاء[3]] ، وقد بيّن نظّار المسلمين من خطئهم في المنطق والإلهي ماذكره غير واحد منهم .

ظ ١٢

الرابع - التركيب العقليّ من مادة وصورة .

الخامس - التركيب من الأجزاء التي هي الجواهر المفردة .

وهذان التركيبان إنما يصح القول بإثباتهما عند من يسلّم أن الجسم مركّب من المادة والصورة ، أو من الجواهر المنفردة ، فأما من نفى هذا وهذا من النُظّار وغيرهم فلا .

والمقصود هنا أنهم يقولون : إذا كان متصفا بالصفات كان مركّبا ، والمركّب مفتقر إلى جزئه ، وجزؤه غيره ، وواجب الوجود لا يكون مفتقراً إلى غيره .

ولفظ " المركّب " يراد به ماركّبه غيره ، وماكانت أجزاؤه متفرقة فاجتمعت ، أو مايقبل انفصال بعضه عن بعض . وأهل الإثبات للصفات يُسلّمون أن هذه المعاني الثلاثة ممتنعة على الله تعالى ؛ فلا يجوز أن يكون مركّبا لا بهذا المعنى ، ولا بهذا ، ولا بهذا .

/ = في جواب ماهو؟ ويسمى " جنسا " كالحيوان للانسان والفرس ، والى مايوجد أعم منه دون ماهو أخص منه ، ويمكن أن يذكر في جواب ماهو؟ ويسمى " نوعا " كالانسان لزيد وعمرو ، والى مايذكر في جواب أي شيء هو؟ ويسمى " فصلا " كالناطق للانسان .
فانقسم الذاتي الى الجنس ، والنوع ، والفصل ؛ والعرضي الى الخاصة ، والعرض العام ؛ فان الكليات بهذا الاعتبار خمس ، ويسميها المنطقيون " الخمسة المفردة " . وانظر أيضا كتاب " النجاة " لابن سينا ، ص ٦ - ١٠ .

(١) الأصل (ص) : للخارج .

(٢) بين ابن تيمية ذلك في كتاب " الرد على المنطقيين " ، ص ٥ ، ٢٠ - ٢١ ، ٢٤ - ٢٥ ، ٦٢ - ٦٤ ، ٧٠ - ٧٢ .

(٣) أخطاء : ليست في الأصل (ص) وزدتها ليستقيم الكلام .

لكن نفاة الصفات يُسمّون إثبات الصفات تركيبا ، ويقولون : الذات التي لها صفات هي مركّبة ، ويقولون : المركّب مفتقر إلى جزئه ،

والمراد بذلك أنه مستلزم لصفاته ، لا يوجد بدون وجود الصفة ، ليس المراد بكونه مفتقراً إلى الجزء أن الجزء فاعل له ، فإن هذا لا يقوله عاقل ، لا يقول عاقل : إن جزء المجموع يجب أن يكون فاعلا له ، بل يمتنع أن يكون جزء الشيء فاعلا له باتفاق العقلاء .

ولكن قد يكون جزوءه لازما له ، وملزوما له ؛ فإذا قيل : هو مفتقر إلى جزئه ؛ بمعنى أن المجموع لا يوجد إلا بوجود البعض - كان هذا ممكنا ، وكذلك إذا قيل : ذلك الجزء لا يوجد إلا مع جزء آخر ، أو مع المجموع ؛ كان هذا ممكنا .

وهم يُسَمّون صفات الله تعالى وغيره من الموصوفات أجزاء ، ويقولون : إذا أثبتم له الصفات ، فقد أثبتم له الأجزاء ، ثم يقولون : ذلك محال ؛ لأنه يقتضي أنه مركّب ، والمركّب مفتقر إلى أجزائه ، بمعنى أنه مستلزم لأجزائه .

أو يقولون : إن كانت الصفات التي تثبتونها ذاتية ، داخلة في الماهية - كانت أجزاء مقوّمة له ؛ وهو ممتنع ، وإن كانت عرضية له ، افتقر فيها إلى غيره .

تناقض الفلاسفة في قولهم باستلزام الله لمفعولاته وامتناع استلزامه لصفاته

فيقال لهم : عندكم أنه مستلزم لمفعولاته المعتبرة ، ولا يمكن وجوده بدون وجودها ، ومع هذا فهذا لا ينافي وجوب وجوده بنفسه ، ولا يكون امتناع بدون تلك اللوازم المنفصلة المعتبرة ممتنعا[1]؛ فكيف يكون استلزامه لصفاته اللازمة له ممتنعا ؟ فإن كان هذا الاستلزام هو افتقار إلى صفاته - التي سميتموها أجزاء - فذاك الاستلزام هو افتقار إلى مفعولاته ، ومعلوم أن افتقار الواجب بنفسه إلى مفعوله[2] أعظم امتناعا في العقل / من

ج ١٣

(١) كذا في الأصل (ص) ، ولعل أصل العبارة : ولا يكون امتناع وجوده بدون تلك اللوازم المنفصلة المعتبرة - ممتنعا .

(٢) في الأصل (ص) : مفعلوله .

افتقاره إلى أجزائه أو صفاته .

فإن كنتم لا تُسمّون هذا الإيجاب والاستلزام لمفعولاته افتقارا ، كان هذا الإيجاب والاستلزام لصفاته - التي قلتم : هي أجزاؤه - أَوْلى أن لا يُسمّى افتقارا .

وإن سُمّي ذلك افتقارا ، وقلتم : هذا الافتقار ليس بممتنع ؛ لأنه هو الموجِب لأفعاله ، فإذا قيل : هو مفتقر إلى مفعوله ، الذى هو مفتقر اليه - لم يكن في الحقيقة مفتقراً إلا إلى نفسه .

قيل لكم : فهذا الافتقار إلى صفاته ، التي توجبها ذاته وتستلزمها - أَوْلى أن لا يكون ممتنعا ؛ لأنه في الحقيقة لم يفتقر إلا إلى نفسه .

وإن قلتم : هذا يقتضي كون الذات فاعلةً للصفات وقابلةً لها ، والشيء الواحد لا يكون فاعلا قابلا ؛ لأن ذلك يفضي إلى التركيب ، والواحد لا تركيب فيه .

قيل : أنتم إنما قلتم : إن الشيء الواحد لا يكون فاعلا وقابلا ؛ لئلا يستلزم التركيب - فلا يجوز أن تجعلوا هذا دليلا على نفي التركيب ؛ لأن ذلك دَوْر ؛ مضمونه أنكم تنفون كونه فاعلا وقابلاً لئلا يلزم التركيب ، وتنفون التركيب لئلا يلزم كونه فاعلا وقابلا ، فيكون هذا إثباتا لكل منهما بنفسه ؛ وذلك مصادرة على المطلوب[1] ؛ باطلة في النظر والمناظرة باتفاق العقلاء .

وأيضا فالتركيب الذى نفيتموه ، إنما نفيتموه لئلا يفضي إلى الافتقار إلى الغير ، والافتقار المراد به[2] استلزامه للغير ، وعندكم هو مستلزم للغير ،

---

(١) في " المعجم الفلسفي " اصدار مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، ص ١٨٥ " مصادرة على المطلوب : جعل المطلوب أو ما يساويه مقدمة للبرهنة عليه " . وفي " الكليات " لأبي البقاء ، ص ١٨٤ " والمصادرة كون المدعى عين الدليل ، أو عين مقدمة الدليل ، أو عين ما يتوقف عليه مقدمة الدليل ، أو جزء ما يتوقف عليه مقدمة الدليل ، والأولان فاسدان بلا خلاف ، والآخران مع الخلاف " .

(٢) في الأصل (ص) : . . . الى الغير والمراد به . ووضع الناسخ بعد كلمة " الغير " سهما وكتب في الهامش : والافتقار .

فأنتم جميع ما نفيتموه في هذا المقام ، إنما نفيتموه لئلا يكون مستلزمـا لغيره ، وعندكم هو مستلزم لغيره ،بل جعلتموه مستلزما لغيرٍ هو مفعول متغيرّ ، ونفيتم كونه مستلزما لصفات قائمة بذاته ، ثابتة ، لازمة له .

ومعلوم أن إيجابه لما هو قائم به ،لازم ، ثابت ،دائم ؛ أوّلى من إيجابه لما هو منفصل عنه ، متغيرّ، فإذا كان على اصطلاحكم كونه مفتقرا إلى ماهـو متغيرّ ،مفعول ، لا ينافي وجوبه بنفسه ـ فكيف يكون افتقاره إلى ماهو لازم له دائم ، ينافي وجوبه ! وإذا كان هذا على اصطلاحكم ؛ افتقاره إلى المنفصل عنه لا ينافي وجوبه ؛ فكيف افتقاره إلى ماهو قائم بذاته !

وإذا قلتم : هذا يفضي إلى الكثرة في ذاته ،بخلاف ذاك .

الكثرة هي التركيب

قيل لكم : الكثرة في ذاته هي التركيب عندكم ، ومرادكم بالعبارتين واحد ، وإنما نفيتم ذلك بنفي هذا اللازم ؛ الذى أثبتم ماهو أبلغ منه في الامتناع على أصلكم ، فإن وجب نفي هذا اللازم لما فيه من الافتقار؛ لزم نفي ذلك الذى هو أبلغ في الافتقار منه ، وإن لم يجب نفي هذا الأبلغ لم يجب نفي ذلك بطريق الأَوْلَى .

فتبين أن القوم ينفون الشيء لمعنى ، ويثبتون ماهو أبلغ في إثبات ذلك المعنى منه ، وأنهم من أعظم الناس تناقضا ، وأنهم يصفون واجب الوجود بما يوجب أن يكون ممتنعَ الوجود ، / فيجمعون بين النقيضين اللذين هما في غاية التناقض ؛ فإن مناقضة الوجوب للامتناع أبلغ من مناقضة الوجود للعدم .

ظ ١٣

وأصل ذلك ،أن القوم أرادوا أن يثبتوا وجوداً مطلقاً ؛ لا يختص بحقيقة يمتاز بها عن غيره ، وإنما يمتاز بأمور سلبية ، وهذا إنما يقدّر في الأذهان ، وأما إثباته في الخارج فممتنع لذاته ، كما قد بسط في موضعه .

ضلال الفلاسفة في لفظ "واجب الوجود" كضلال المعتزلة في لفظ "القديم"

وأصل الاشتباه في هذا المقام ، الذى ضلّ فيه طوائف من النُظّار ، أن[1] مسمى "واجب الوجود" فيه إجمال واشتراك ، كما في لفظ "القديم" عند المعتزلة نفاة الصفات .

فإن الأمر المعلوم أن الله قديم ، فالقديم وهو[2] الله الذى لا إله إلا هو ، فجعلتْ المعتزلةُ القديمَ هو الذات المجردة عن الصفات ؛ وقالوا : إذا أثبتم الصفات قلتم بتعدد القدماء .

ولفظ "تعدد القدماء" مجمل ؛ فإن أريد به تعدد الآلهة والخالقين والأرباب فهذا باطل ؛ فإن صفات الله ليست آلهة ولا خالقة ولا أرباباً ، وإن أريد بالقدماء تعدد صفات قديمة لذات قديمة ؛ فنفى هذا مصادرة على المطلوب ، فلبسوا على المسلمين بقولهم : إن اثبات الصفات يقتضي تعدد القدماء .

ولهذا ذكر الإمام أحمد في رده على الجهمية[3] : " أنهم قالوا لأهل السنة : إنكم إذا قلتم : كلام الله وعلمه ، وقدرته ، ونوره ، فقد قلتم[4] بقول النصارى حين زعمتم أن الله لم يزل ونوره ، ولم يزل وقدرته ".

فقال أحمد : " لا نقول[5] : إن الله لم يزل وقدرته ، ولم يزل ونوره ؛ ولكن نقول : لم يزل بقدرته ، ونوره ، لا متى قدّر ، ولا كيف قدّر .

---

(١) الأصل (ص) : وأن ، ورجحت أن الصواب اسقاط الواو .

(٢) كذا في الأصل (ص) ، ولعل الصواب : فالقديم هو . من دون الواو .

(٣) كتاب الرد على الزنادقة والجهمية ، ص ٩١ - ٩٢ ضمن مجموع بعنوان "عقائد السلف" جمعه علي سامي النشار وعمار جمعي الطالبي ونشرته منشأة المعارف بالاسكندرية ١٩٧١م .

(٤) الرد : ... فقالت الجهمية ، لما وصفنا الله بهذه الصفات : ان زعمتم أن الله ونوره ، والله وقدرته ، والله وعظمته ، فقد قلتم ... الخ .

(٥) الرد : ... وقدرته قلنا لا نقول .

فقالوا : لا تكونون موحّدين أبداً حتى تقولوا : قد كان [الله] ولا شيء[1] .

فقلنا : نحن نقول : قد كان الله ولا شيء ، ولكن إذا قلنا : إن الله لم يزل بصفاته كلها ،[أليس] إنما نصف[2] إلهاً واحداً بجميع صفاته ؟ .وضربنا لهم في ذلك مثلاً ؛ فقلنا : أخبرونا عن هذه النخلة ، أليس لها جذع وكرب وليف وسعف وخوص وجُمّار ، واسمها شيء واحد[3] ، وسميت نخلة بجميع صفاتها .

وكذلك[4] الله - وله المثل الأعلى - بجميع صفاته إله واحد ؛ لا نقول: إنه قد كان في وقت من الأوقات ولا يقدر حتى خلق قدرته[5] ، والذى ليس له قدرة فهو[6] عاجز ، ولا نقول : قد كان في وقت من الأوقات ولا يعلم حتى خلق له علماً فعلم ، والذى لا يعلم هو جاهل ، ولكن نقول : لم يزل الله عالما قادرا ، لا متى ، ولا كيف .

وقد سمّى الله رجلا كافرا ، اسمه الوليد بن المغيرة المخزومي[7] فقال : (ذَرْني ومَنْ خلقتُ وَحيداً[8]) ، وقد كان هذا الذى سماه وحيدا ،له عينان وأذنان ولسان وشفتان ويدان ورجلان وجوارح كثيرة ، فقد سماه الله وحيداً بجميع صفاته ، فكذلك الله[9] - وله المثل الأعلى - / هو بجميع صفاته إله واحد " . ج ١٤

---

(١) الأصل (ص) : قد كان ولا شيء ، والمثبت من " الرد " .
(٢) الأصل (ص) : كلها انما نصف ، والمثبت من" الرد " .
(٣) الرد : واسمها اسم شيء واحد .
(٤) الرد : فكذلك .
(٥) الرد : حتى خلق له قدرة .
(٦) الرد : هو .
(٧) الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ،يكنى أبا عبد شمس ، من زعماء كفار قريش ، هلك بعد الهجرة بثلاثة أشهر وله خمس وتسعون سنة .
انظر: السيرة النبوية لابن هشام (القسم الأول) ،ص ٢٦٤- ٢٦٥ ، ٢٧٠- ٢٧١ ، ٣٦١- ٣٦٤ ، ٣٩٦-٤٠٥ ، ٤١٠-٤١٢ ؛ الكامل لابن الأثير ٢/ ٦٣ ، ٧١- ٧٢ ،١١٩ ؛ الأعلام ٨/ ١٢٢ ؛ وانظر في تفسير سورة المدثر الآية الحادية عشرة ومابعدها تفسير الطبرى ٢٩/ ٩٦ ؛ الدر المنثور ٦/ ٢٨٢ .
(٨) سورة المدثر : ١١ .
(٩) الأصل (ص) : فكذلك انه ، والمثبت من " الرد " .

قلت : وهؤلاء المتفلسفة ـ موافقةً الجهمية من المعتزلة وغيرهم في تعطيل الصفات ـ نفوا عن مسمى " واجب الوجود " من التركيب ماينفون به الصفات ، كما نفت الجهمية من المعتزلة وغيرهم عن " القديم " من التركيب ماينفون به الصفات .

والنفاة من الجهمية والمتفلسفة والباطنية (1) أكثر نفيا وتعطيلاً من المعتزلة، فأخذوا اسم " واجب الوجود " مجملا مشتبها مشتركا ، فواجب الوجود الذى دل عليه ثبوت الممكنات هو الموجود بنفسه، الذى لا يقبل العدم ،ولا يفتقر إلى ماهو غني عنه، وهذا القدر يوجب إثبات الصفات له من طرق متعددة ،كما قد بُسط في موضعه .

---

(1) الباطنية هم الذين جعلوا لنصوص الكتاب والسنة باطنا يخالف ظاهرها ، واشتهر باسم " الباطنية " طوائف معينة، تتستر بالاسلام ويظهر أكثرها الرفض ،وهم زنادقة منافقون .
وعد المؤرخون لهم ، أسماء كثيرة ، منها مايعمهم ومنها مايخص بعضهم ، فمن أسمائهم : القرامطة ، الاسماعيلية ، النصيرية ، الخرمية ، التعليمية ، الملاحدة ، الاباحية ، وغيرها ، وذكروا أنهم بنوا مذهبهم على شيء من دين المجوس ،وشيء من دين الصابئة ، وأنهم ينتهون الى القول بقدم العالم وابطال النبوة والشرائع .
وذكر البغدادى في " الفرق بين الفرق " ،ص ٢٦٦ أن الذين أسسوا دعوة الباطنية ،جماعة منهم ميمون بن ديصان القداح (ت نحو ١٧٠) ومحمد بن الحسين الملقب بدندان ، ثم حمدان قرمط (ت ٢٩٣) ثم أبو سعيد الحسن بن بهرام الجنابي (ت ٣٠١) .
ولكن ابن تيمية في " بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية " ١/ ٢٥٩ - ٢٦١ يقول مالمخصه : وحقيقة الأمر أن اسم " الباطنية " قد يقال في كلام الناس على صنفين :
أحدهما ، من يقول : ان للكتاب والسنة باطنا يخالف ظاهرها ، فهؤلاء هم المشهورون عند الناس باسم " الباطنية " من القرامطة وسائر أنواع الملاحدة .
وهؤلاء في الأصل قسمان : قسم يرون ذلك في العلميات ، والعمليات، فيرون أن الخطاب المبين لوجوب الواجبات وتحريم المحرمات ، ليس هو على ظاهره المعروف عند الجمهور، ولكن لذلك أسرار وبواطن يعرفونها ، كما يقولون: الصلاة معرفة أسرارنا ، والصوم كتمان أسرارنا ، والحج الزيارة الى شيوخنا المقدسين .
وهذا الصنف يقع في القرامطة المظهرين للرفض ،ويقع في زنادقة الصوفية من الاتحادية الحلولية ،ويقع في غالية المتكلمين .
وأما عقلاء هذه الطائفة الباطنية ،فانهم يقولون بالباطن المخالف للظاهر في العلميات ، وأما العمليات فيقرونها على ظاهرها ، وهذا قول عقلاء الفلاسفة المنتسبين الى الاسلام ، مع أنهم في التزام الأعمال الشرعية مضطربون لما في قلوبهم من المرض والنفاق .
الثاني ، الذين يتكلمون في الأمور الباطنة من الأعمال والعلوم ،لكن مع قولهم: انها توافق الظاهر ،كما للانسان بدن وقلب ،وهؤلاء هم المشهورون بالتصوف عند الأمة،وهم فيما يتكلمون فيه من العلم والعمل الباطن يستدلون بالأدلة الشرعية ، ولكن يوجد فيهم من جنس مايوجد في بقية الطوائف من البدعة والنفاق . وانظر عن الباطنية وطوائفها : /=

فقالوا : واجب الوجود كما لا يفتقر إلى علة فاعلة لا يكون مفتقرا إلى علة قابلة ، فالصفات لا تكون واجبة الوجود لافتقارها إلى الذات ، وإذا لم تكن واجبة كانت ممكنة ؛ فتكون الذات موجِبة لها وقابلة لها .

فيقال لهم : مدلول الدليل أنه لا يكون مفتقرا إلى ما هو مستغنٍ عنه كما تقدم ، وأما كون الصفات واجبة الوجود أو ممكنة ؛ فإن أُريد بواجب الوجود ماليس له فاعل فالصفات واجبة الوجود ، وإن أُريد به ماليس له محل يقوم به فليست واجبة بنفسها ـ بهذا التفسير ـ بل بغيرها ، وحينئذ فالذات موجِبة لها وقابلة لها .

وهذا إنما منعوه لئلا يفضي إلى ماسموه تركيبا ، فلا يجوز أن يحتجوا على نفي التركيب بنفي هذا ؛ لأنه يفضي إلى الدَّوْر في الاستدلال ؛ فلا يستدلون على هذا إلا بهذا ، ولا على هذا إلا بهذا ؛ وإذا كان كل من الشيئين لم يُستدل عليه إلا بالآخر لم يكن على واحد منهما دليل ، وكلام هؤلاء كلهم يدور على هذا الأصل .

وهذا الأصل وقع في كلام المتأخرين من النُّظَّار كالرازى والآمدى وأمثالهما ، وهم تارة ينفون هذا كما نفته المتفلسفة ، وتارة يثبتون كلام المتفلسفة . وهؤلاء المتفلسفة ابن سينا وأمثاله من أتباع أرسطو .

وأما جماهير الفلاسفة الأساطين القدماء ، الذين كانوا قبل أرسطو ، فكما أنهم لم يكونوا يقولون بقدم صورة العالَم ، ولم[1] يكونوا يقولون بنفي الصفات ، بل يثبتون الصفات ، بل والأفعال القائمة به ، كما قد نُقِل ألفاظهم ونَقْل الناقلين عنهم في غير هذا الموضع[2] .

/ = التنبيه والرد للملطي ، ص ٢٠-٢٢ ؛ الفرق بين الفرق ، ص ٢٦٥-٢٩٩ ؛ الفصل لابن حزم ١ / ٣٤ ؛ كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة لمحمد بن مالك بن أبي الغضائل ؛ فضائح الباطنية للغزالي ؛ الملل والنحل ٢ / ٢٩-٣٦ ؛ تلبيس ابليس ، ص ١٠٢-١١١ ؛ قواعد عقائد آل محمد (الباطنية) لمحمد بن الحسن الديلمي ؛ كتاب التسعينية لابن تيمية ، ص ٤٠ ؛ الرد على النصيرية ؛ الخطط للمقريزى ٢ / ٣٥٧ ؛ مذاهب الاسلاميين لبدوى ٢ / ٧ ومابعدها .

(١) ولم : كذا في الأصل (ص) ، ولعل الصواب : لم . بحذف الواو .

(٢) سيأتي شيء من ذلك في كتابنا هذا ، ص ١٦٣ ، ومابعدها .

وكذلك كثير من الفلاسفة المتأخرين ؛ كأبي البركات صاحب " المعتبر "[1] وغيره يثبتون لله تعالى الصفات والأفعال القائمة به ، وقد ردوا على من نفى ذلك من أصحابهم الفلاسفة بكلام بيَّنوا فيه / خطأهم ، كما قد بُسط في موضعه[2] .

ظ ١٤

اضطراب كلام الرازى في " الكثرة "

واعلم أن كثيراً من النُّظَّار كثر خوضهم في توحيد الله وصفاته بلفظ " التركيب " وغيره من الألفاظ المجملة ، ومثبتة الصفات تارة يبينون فساد حجة النفاة بذلك ، وتارة يقررونها ؛ كما يقع مثل ذلك في كلام أبي عبد الله الرازى وأبي الحسن الآمدى وغيرهما ، حتى قال أبو عبد الله الرازى في آخر كتابه المسمى بـ " الأربعين "[3] :

كلام الرازى في كتاب " الأربعين " في نفي الكثرة

" واعلم أن ههنا مقدمتين يفرِّع المتكلمون والفلاسفة أكثر مباحثهم عليهما : المقدمة الأولى - مقدمة الكمال والنقصان " . وتكلَّم عليها[4] ، ثم قال[5] :

" أما[6] المقدمة الثانية - فهي مقدمة الوجوب والإمكان ، وهذه المقدمة في غاية الشرف والعلو ، وهي غاية عقول العقلاء ، قالوا : الوجود[7] إما واجب وإما ممكن[8] ، والممكن لابدّ له من واجب[9] ، وذلك الواجب[10] لابدّ أن[11]

---

(١) هو أبو البركات هبة الله بن مَلْكا - وقيل ابن علي بن ملكا - الطبيب الفيلسوف ، كان يهوديا أكثر عمره ثم أسلم في آخره . سكن بغداد وعاش نحو ثمانين سنة وتوفي سنة ٥٤٧ وقيل ٥٦٠ . طبع كتابه " المعتبر " الطبعة الأولى بحيدر آباد الدكن سنة ١٣٥٧هـ.
انظر: تاريخ الحكماء ، ص ٣٤٣-٣٤٦ ؛ عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، ص ٣٧٤-٣٧٦ ؛ نكت الهميان ، ص ٣٠٤ ؛ الأعلام ٨/ ٧٤-٧٥ ؛ وانظر مقالة كتبها سليمان الندوى في آخر المعتبر ٣/ ٢٣٤-٢٥١ .

(٢) أورد ابن تيمية كلام أبي البركات في " المعتبر " في كتابنا هذا ، ص ١٦٧ ومابعدها .

(٣) كتاب الأربعين في أصول الدين (الطبعة الأولى) ، ص ٤٨١ .

(٤) في الأربعين ، ص ٤٨١-٤٨٢ ، وقد قال بعد الكلام السابق مباشرة : " كقولهم : هذه الصفة من صفات الكمال فيجب اثباتها لله تعالى ، وهذه الصفة من صفات النقصان فيجب نفيها عن الله تعالى ، وأكثر مذاهب المتكلمين متفرعة على هذه المقدمة " . وانظر تعليق ابن تيمية بعد نهاية كلام الرازى .

(٥) ص : ٤٨٢-٤٨٣ .

(٦) الأربعين : وأما .

(٧) الأربعين : الموجود .

(٨) الأربعين : أو ممكن .

(٩) الأربعين : موجب .

(١٠) الأربعين : الموجب .

(١١) الأربعين : لا بد وأن .

يكون واجبا في ذاته وفي صفاته ، إذ لو كان ممكنا لافتقر إلى مؤثر آخـر.

أما المقدمة الأولى : وهي أنه واجب لذاته فهذا له لازمان :

الأول ـ أن يكون منزهاً في حقيقته عن الكثرة ، ثم يلزم من فردانيته في ذاتـه أمـور :

أحدها[١] ـ أن لا يكون مُتَحَيِّزا ؛ لأن كل متحيز منقسم ، والمنقسم لا يكـون فردا ، وإذا لم يكن متحيِّزا لم يكن في جهـة .

وثانيها[٢] ـ أن لا يكون واجب الوجود أكثر من واحد ، ولو كان[٣] أكثر مـن واحد لاشتركا في الوجوب وتباينا في التعيين[٤] ، ومابه المشاركة غير مابـه الممايزة ، فيلزم كون كل واحد منهما في نفسه مركَّبا ، وقد فرضناه فـرداً ، هذا خُلف .

اللازم الثاني لكونه واجب الوجود لذاته ـ أن لا يكون[٥] حالّا ولا محـلا وإلا لعاد الافتقار " .

تعليق ابن تيمية

قلت : قد ذكرت في غير هذا الموضع[٦] أن مقدمة الكمال والنقصان أشرف، وعليها يعتمد أئمة النُظَّار من أهل الكلام والفلسفة ، كما يعتمد عليهـا أكثرهم ، وعليها يعتمد أساطين الفلسفة كأرسطو وغيره .

وأما مقدمة الوجوب والإمكان فهي معروفة عن ابن سينا ومن وافقه من نُظَّار المتفلسفة والمتكلمين ، وهو سلك في الإلهيات مسلكاً أخذ بعضه من أصول الجهمية من المعتزلة وغيرهم ، وبعضه من أصول سلفه الفلاسفة .

---

(١) الأربعين : أمران : أحدهما .
(٢) الأربعين : وثانيهما .
(٣) الأربعين : اذ لو كان .
(٤) الأربعين : التعين .
(٥) الأربعين : ... هذا خلف ، الثاني كون واجب الوجود لذاته لا يكون .
(٦) ذكر ابن القيم في رسالة " أسماء مؤلفات ابن تيمية " ، ص ١٩ ، وابن عبد الهادى في كتـاب " العقود الدرية من مناقب شيخ الاسلام ابن تيمية " ، ص ٥٣ أن لابن تيمية كتابا في مجلد يـن شرح فيه مسائل من كتاب الأربعين للرازى .

ومقدمة الوجوب والإمكان لم يتكلّم بها أحد من الفلاسفة القدماء، الذين عُرفت أقوالهم كأرسطو وأتباعه ولا غيره، ولا أثبتَ أحدٌ منهم واجبَ الوجود بطريقة الوجوب والإمكان، وإنما [فعل ذلك ابن سينا ومن] سلك مسلكه كالرازى ونحوه[1]، وأما نُظّار الملل: كالمسلمين واليهود والنصارى وغيرهم فهم أبعد عن تعظيمها والثناء عليها من أرسطو وغيره، ولا يوجد تعظيمها والثناء عليها في كلامهم، إلا في كلام بعض متأخريهم، الذين أخذوا ذلك عن / ابن سينا وأمثاله، كالرازى وأمثاله.

ج ١٥

وهذا الكلام الذى ذكر الرازى هنا أنه يلزم من واجب الوجود نفيُ[2] الكثرة، المستلزم نفي الصفات - بيّن هو فساده في مواضع أُخَر؛ كما ذكر في مسائل الصفات من كتابه المسمى بـ "نهاية العقول" وهو أجلّ كتبه في الكلام، لما ذكر شبه نفاة الصفات، فقال[3]:

كلام الرازى في كتاب "نهاية العقول" في وقوع الكثرة

"الثاني - أن ذات الله[4] لو كانت موصوفة بصفات قائمة بها، لكانت[5] الحقيقة الإلهية مركّبة من تلك الذات ومن تلك الصفات، ولو كانت كذلك لكانت ممكنة؛ لأن كل حقيقة مركّبة فهي محتاجة إلى أجزائها، وكل واحد من أجزائها غيرها، فإذن[6] كل حقيقة مركّبة فهي محتاجة إلى غيرها، وذلك في حق الله تعالى محال، فإذن يستحيل اتصاف ذاته بالصفات[7]".

---

(١) في الأصل (ص): وانما سلك مسلكه . . . الخ، ولعل مازدته يقيم الكلام.
(٢) الأصل (ص): من واجب الوجود من نفي . .
(٣) رجعت لمقابلة النص التالي الى نسخة خطية لكتاب "نهاية العقول في دراية الأصول" بدار الكتب المصرية (علم الكلام ٧٤٨)، ويوجد هذا النص في الجزء الأول منه، وهذا الجزء غير مرقم، وقد ذكر الرازى تحت عنوان: "الأصل السابع في الصفات" شبه نفاة الصفات، ومما قال: " . . . وهي على وجهين: منها مايدل على نفي الصفات مطلقا، ومنها مايدل على نفي كل واحد واحد من الصفات على الخصوص، أما الوجوه العامة فعشرة: الأول - وهي حجة الفلاسفة . . . الثاني . . . الخ.
(٤) نهاية العقول: الله تعالى.
(٥) نهاية العقول: كانت.
(٦) الأصل (ص): فان، والمثبت من "نهاية العقول".
(٧) نهاية الوجه الثاني في "نهاية العقول".

وقال في الجواب عن هذا[(١)]: " قوله : يلزم من إثبات الصفات وقوع الكثرة في الحقيقة الإلهية ؛ فتكون تلك الحقيقة ممكنة - قلنا : إن عنيتم به احتياج تلك الحقيقة إلى [سبب[(٢)]] خارجي فلا يلزم ؛ لاحتمال استناد تلك الصفات إلى الذات الواجبة لذاتها . وإن عنيتم به توقف الصفات في ثبوتها على [تلك[(٣)]] الذات المخصوصة - فذلك مما نلتزمه ، فأين المحال ؟.

وأيضا فعندكم الإضافات صفات وجودية في الخارج فيلزمكم ما ألزمتمونا[(٤)].

وقال أيضا[(٥)]: " والذى[(٦)] يحقق فساد قول الفلاسفة في قولهم : الشيء[(٧)] الواحد لا يكون موءثرا وقابلا - أنهم اتفقوا على أن الله[(٨)] عالم بالكليات ، واتفقوا على أن العلم بالشيء عبارة عن حصول صورة مساوية للمعلوم في العالم واتفقوا على أن صور المعلومات موجودة في ذات البارى تعالى ، حتى إن ابن سينا قال[(٩)]: إن تلك الصور إذا كانت [غير[(١٠)]] داخلة في الذات ؛ بل كانت من لوازم الذات ، لم يلزم منها محال ، وإذا كان كذلك فذاته[(١١)] موءثرة في تلك الصور[(١٢)] وقابلة لها . ومن كان ذلك مذهبا له كيف يمكنه انكار الصفات[(١٣)]".

---

(١) في " نهاية العقول " بعد ست ورقات من النص السابق .
(٢) سبب : ساقطة من الأصل (ص) : وأثبتها من " نهاية العقول " .
(٣) تلك : ساقطة من الأصل (ص) : وأثبتها من " نهاية العقول " .
(٤) نهاية العقول : " . . . ما ألزمتمونا ، وأيضا يلزمكم في الصورة المرتسمة في ذاته من المعقولات ما ألزمتمونا " .
(٥) هذا القول : " والذى يحقق فساد . . . والا فلا نزاع في المعنى " في " نهاية العقول " قبل النص السابق : " قوله : يلزم من اثبات الصفات . . . الخ " بخمسة سطور .
(٦) نهاية العقول : ثم الذى .
(٧) " " : قول الفلاسفة : ان الشيء .
(٨) " " : الله تعالى .
(٩) " " : حتى قال ابن سينا .
(١٠) غير : ساقطة من الأصل (ص) ، وأثبتها من " نهاية العقول " .
(١١) نهاية العقول : كذلك كانت ذات الله تعالى .
(١٢) " " : الصورة .
(١٣) " " : الصفة .

قال[١]: " وبالجملة فلا فرق بين الصفاتية وبين الفلاسفة إلا أن الصفاتية يقولون[٢]: الصفات قائمة بالذات ، والفلاسفة يقولون[٢]: هذه الصور العقلية عوارض متقومة بالذات ، والذى يسميه الصفاتي[٣] " صفة " يسميه الفلسفي " عارضا "، والذى يسميه الصفاتي " قياما " يسميه الفلسفي " قواما أو مقوما "، فلا فرق إلا في العبارة ، وإلا فلا نزاع في المعنى ".

تعليق ابن تيمية

فهذا الكلام من الرازى يبيّن أن وقوع الكثرة مما لا بدّ منه ، وأن الممتنع في واجب الوجود إنما هو احتياجه إلى أمر خارجي ، وأما كون ما يدخل في مسمى " واجب الوجود " مما يتوقف بعضه على بعض - فذلك لا ينافي وجوب الوجود .

لكن لم يجب الرازى عن شبهة " التركيب " بحلها وبيان فسادها ، ولكن أجاب عنها بالمعارضة ؛ وهو أن هذا المعنى الذى سميتموه تركيبا نحن نلتزمه ، وهو / أيضا لازم لكم ، فليس لنا ولا لكم عنه محيد ، والطائفتان جميعا تقولان بما يستلزم ثبوت الصفات .

ظ ١٥

وليست هذه المعارضة معارضة جدلية ؛ حتى يقال : فقد يكون قول الطائفتين في نفس الأمر ليس حقا ، وانما الصواب هو النفي المطلق ، كما دلت عليه حجة التركيب ، بل هي معارضة برهانية ؛ فان الأدلة التي ألجأت [الصفاتية] الى اثبات[٤] الصفات أدلة برهانية لا سبيل الى نقضها ، وكذلك ما أثبته الفلاسفة من الأمور الثبوتية لواجب الوجود ألجأهم اليها البرهان الذى لا يمكن نقضه ، وحجة التركيب تناقض موجب البرهان .

---

(١) بعد الكلام السابق مباشرة .

(٢-٢) مابينهما ساقط من " نهاية العقول ".

(٣) الأصل (ص) : الصفاتية ، والمثبت من " نهاية العقول ".

(٤) الأصل (ص) : الجأت الى اثبات . ولعل مازدته يستقيم به الكلام .

فهذا حاصل ماذكره الرازى من الجواب ، ولكن غايته[1] بيان عجز الطائفتين عن الجمع بين ما أثبتوه وبين القول بموجب حجة التركيب ،وأن كلا من الطائفتين ،وإن كان يقول بموجبها في موضع فقد يخالف موجبها في موضع آخر لبرهان أوجب ذلك .

حيرة أهل الكلام وشكهم

ومثل هذا النظر - وهو تعارض الأدلة التي يظن صاحبها أنها أدلة عقلية - يوجب الحَيْرة والشك والتوقف[2] ؛ ولهذا صرح طائفة من هؤلاء بالتوقف والحيرة في مسائل الصفات ،وهذا شأن الرازى والآمدى وغيرهما في مسائل لهم، وهو منتهى نظر أهل النظر والكلام المذموم في الشرع ، فإنه ينتهي بهم الأمر إلى الحَيْرة والشك ، كما قال ابن عقيل[3] وغيره من العلماء : آخر المتكلمين الخارجين عن الشرع هو الشك ،وآخر الصوفية الخارجين عن الشرع هو الشطح[4] .

---

(١) الأصل (ص) : غاية ،ولعل الصواب ما أثبته .

(٢) الأصل (ص) : والتوفق . وهو تصحيف .

(٣) أبو الوفاء علي بن عقيل بن محمد بن عقيل بن أحمد البغدادى الحنبلي (٤٣١ - ٥١٣ هـ) ذكي كثير التصانيف ،تفقه بالقاضي أبي يعلى بن الفراء ، وسمع من غيره ،كان يتردد الى ابن الوليد وابن التبان المعتزليين ثم تاب من ذلك ، قال عنه ابن رجب في الذيل ١/ ١٤٤ : " ويظهر منه في بعض الأحيان نوع انحراف عن السنة وتأول لبعض الصفات ،ولم يزل فيه بعض ذلك الى أن مات رحمه الله " انظر عنه : مناقب الامام أحمد لابن الجوزى ،ص ٦٣٤ - ٦٣٥ ؛ درء تعارض العقل والنقل ٨/ ٦٠ - ٦١ ؛ مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية (ط. الرياض) ٣/ ٢٢٨ ، ٤/ ١٦٤ ، ٦/ ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٥ ؛ البداية والنهاية ١٢/ ١٨٤ ؛ الذيل على طبقات الحنابلة لابن رجب ١/ ١٤٢ - ١٦٥ ؛ لسان الميزان ٤/ ٢٤٣ - ٢٤٤ ؛ الأعلام ٤/ ٣١٣ .

(٤) نقل ابن تيمية في كتاب " درء تعارض العقل والنقل " ٨/ ٦١ - ٦٨ نصا طويلا من كتاب " الفنون " لابن عقيل - وهو كتاب كبير جدا غير مطبوع - في ذم من خرج عن الشريعة من أهل الكلام والتصوف ،وجاء فيه (درء ٨/ ٦٦) " فنصيحتي لاخواني من المؤمنين الموحدين أن لا يقرع أبكار قلوبهم كلام المتكلمين ، ولا تصغى مسامعهم الى خرافات المتصوفين . . . وقد خبرت طريقة الفريقين : غاية هؤلاء الشك ، وغاية هؤلاء الشطح " .

في القاموس المحيط " شِطَحْ " ، بالكسر وتشديد الطاء : زجر للعريض من أولاد المعز " .ولم يذكر في هذه المادة غير هذا ، وعلق الزبيدى في " تاج العروس " مادة " شطح " بقوله : " لم يتعرض لها أكثر أئمة اللغة ،وانما ذكر بعض أهل الصرف هذا اللفظ الذى ذكره المصنف في أسماء الأصوات " .

ثم نقل الزبيدى عن بعض اللغويين قوله في لفظة " الشطحات " المشتهرة بين الصوفية : " كأنها عامية " وقول آخر : " هي في اصطلاحهم عبارة عن كلمات تصدر منهم في حالة الغيبوبة وغلبة شهود الحق تعالى عليهم ، بحيث لا يشعرون حينئذ بغير الحق ،كقول بعضهم : أنا الحق، وليس في الجبة الا الله ، ونحو ذلك " . /=

وهو كما قالوا ؛ فان من تدبّر كلام كثير منهم الثابت عنهم وجـــد منتهى أمرهم إلى الشك والتوقف ، كما يوجد في كلام الرازي وغيره ؛ فإنه واقف في " مسألة الجوهر الفرد " و " مسألة الصفات والأفعال " ، وغير ذلك ، كمـا أخبر به عن نفسه ، وكما يوجد في كتبه . وكذلك أبو حامد الغزالي واقف فـي كثير من المسائل ، وكذلك أبو المعالي حصل له التوقف قبل أن يموت فـي الصفات الخبرية ؛ كالاستواء ، وفي قيام الأمور الاختيارية به . وابن عقيل يوجد في كلامه قول المشبه للصفات الخبرية تارة ، وقول النفاة المعطلة تارة ، وقـول الواقفة[1] تـارة ، ويوجب تأويلات الجهمية تارة ، ويحرمها تارة .

= / وفي احياء علوم الدين ١ / ٣٤ عاب الغزالي مايواظب عليه أكثر الوعاظ في زمانه من القصــص والأشعار والشطح والطامات ، ثم عرف " الشطح " بقوله (١ / ٣٦) : " وأما الشطح فنعني بـه صنفين من الكلام أحدثه بعض الصوفية :
أحدهما : الدعاوى الطويلة العريضة في العشق مع الله تعالى ، والوصال المغني عن الأعمال الظاهرة ، حتى ينتهي قوم الى دعوى الاتحاد وارتفاع الحجاب والمشاهدة بالرؤية والمشافهة بالخطاب . . . .
الثاني - كلمات غير مفهومة ، لها ظواهر رائقة ، وفيها عبارات هائلة ، وليس وراءها طائل ، اما أن تكون غير مفهومة عند قائلها ، بل يصدرها عن خبط في عقله ، وتشويش في خياله ، لقلــة احاطته بمعنى كلام قرع سمعه ، وهذا هو الأكثر ، واما أن تكون مفهومة له ولكنه لا يقدر على تفهيمها ، وايرادها بعبارة تدل على ضميره ، لقلة ممارسته للعلم ، وعدم تعلمه طريق التعبيـر عن المعاني بالألفاظ الرشيقة . . . " .

(١) يريد ابن تيمية هنا الذين يقفون ، فلا يثبتون الصفات الخبرية ولا ينفونها (وانظر كتابــه درء تعارض العقل والنقل ٣ / ٣٨٣) .
وذكر ابن تيمية في مواضع من كتبه ، الواقفة الذين يقفون في الوعيد كالأشعري والباقلانـي ، فلا يجزمون بدخول أحد من أهل التوحيد النار (انظر مجموع فتاوى شيخ الاسلام (ط . الرياض) ١٣ / ١٣٩ ، ١٦ / ١٩ ، ١٩٦) .
وفي آخر كتابنا هذا ، ص ٦٣٢ تحدث عن الفلاسفة ، وقال : " ومنهم قوم واقفة متحـيرون لتعارض الأدلة وتكافئها عندهم " .
وذكر أبو الحسن الأشعري في " مقالات الاسلاميين " ١ / ١٠٣ من أصناف الرافضــة - الواقفة المطورة ، وقال عنهم : " يسوقون الامامة حتى ينتهوا بها الى جعفر بن محمد ، ويزعمـون أن جعفر بن محمد نص على امامة ابنه موسى بن جعفر ، وأن موسى بن جعفر حي لم يمت ، وهـذا الصنف يدعون " الواقفة " ؛ لأنهم وقفوا على موسى بن جعفر ، ولم يجاوزوه الى غـيره " .
ولكن المشهور بلقب " الواقفة " أو " الواقفيه " الذين يقفون في القرآن ؛ فلا يقولـون : مخلوق ، ولا غـير مخلـوق . وسيشـير ابن تيميـة الى هـؤلاء فـي كتابنـا هـذا ، ص ٤١٦ .

والمقصود هنا الكلام على حجة التركيب وبيان فسادها ،فإنه دار عليها وعلى ماينا سبها كلام أكثر النفاة للصفات ،أو كثير منهم ، وهي عمدة طوائف منهم ،ونحن قد بيّنا فسادها وحلها من وجوه كثيرة ، ونبهنا على ما في لفظ " واجب الوجود " من الاجمال .

مذهب الفلاسفة في علم الله

وما ذكره الرازي (١) من اتفاق الفلاسفة على أن الله تعالى عالم بالكليات ؛ فهو اتفاق ابن سينا وأمثاله ، بخلاف أرسطو وأتباعه (٢) . وكذلك ما ذكره من قولهم بإثبات صور / المعلومات لذاته ،وأنها عارضة لذاته ، هو قول ابن سينا وموافقيه ، صرّح بذلك في الإشارات (٣) .

ج ١٦

---

(١) في النص الذى نقله ابن تيمية قبل صفحات من كتاب " نهاية العقول " .

(٢) كلام أرسطو يدل على أن الله عنده عالم بذاته فقط ، فقد قال في مقالة اللام من كتاب " مابعد الطبيعة " التي نشرها عبدالرحمن بدوى في كتاب " أرسطو عند العرب " ،ص ٩ - ١٠ : " . . . . وأيضا فان كان الجوهر بهذه الصفة أعني أنه عقل ،فليس يخلو أن يكون عاقلا لذاته أو لشيء آخر، وان كان عاقلا لشيء آخر فما يخلو أن يكون عقله دائما لشيء واحد ، أو لأشياء كثيرة ،فمعقوله على هذا منفصل عنه ، فيكون كما له اذن لا في أن يعقل ذاته ،لكن في عقل شيء آخر ، أى شيء كان ، الا أنه من المحال أن يكون كماله بعقل غيره ، اذ كان جوهرا في الغاية من الالهية والكرامة والعقل ، ولا يتغير ، فالتغير فيه انتقال الى الأنقص ، وهذا هو حركة ما ، فيكون هذا العقل ليس عقلا بالفعل ،لكن بالقوة ،واذا كان هكذا فلا محالة أنه يلزمه الكلال والتعب من اتصال العقل بالمعقولات ،ومن بعد فانه يصير فاضلا بغيره . . . فأن لا يبصر بعض الأشياء أفضل من أن يبصر ،فكمال ذلك العقل اذ كان أفضل الكمالات يجب أن يكون بذاته . . . وهذا يوجد هكذا دائما من دون تعرف أو حس أو رأى أو فكر . . . " وانظر أيضا الملل والنحل للشهرستاني ٣ / ٤٠ ؛ درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية ٩ / ٣٩٨ ، ومابعدها ؛

أما ابن سينا فقد قال في كتاب " النجاة " ،ص ٢٤٦ - ٢٤٧ : " وليس يجوز أن يكون واجب الوجود يعقل الأشياء من الأشياء ،والا فذاته اما متقومة بما يعقل ، فيكون تقومها بالأشياء ، واما عارض لها أن تعقل ، فلا تكون واجبة الوجود من كل جهة ،وهذا محال . . . ولأنه كما سنبين مبدأ كل موجود ، فيعقل من ذاته ماهو مبدأ له . . . وبوجه آخر لا يجوز أن يكون عاقلا لهذه المتغيرات مع تغيرها . . . وكما أن اثبات كثير من الأفاعيل للواجب الوجود نقص له ، كذلك اثبات كثير من التعقلات ،بل واجب الوجود انما يعقل كل شيء على نحو كلي ، ومع ذلك فلا يعزب عنه شيء شخصي ، فلا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض ، وهذا من العجائب التي يحوج تصورها الى لطف قريحة " .

(٣) قال ابن سينا في كتاب " الاشارات والتنبيهات (القسمان الثالث والرابع) ،ص ٧١٠ - ٧١٦ اشارة : " ادراك الأول للأشياء من ذاته في ذاته ،هو أفضل أنحاء كون الشيء مدرِكا ومدرَكا ، ويتلوه ادراك الجواهر العقلية اللازمة للأول باشراق الأول ،ولما بعده من ذاته ،وبعدهما الادراكات النفسانية التي هي نقش ورسم ،عن طبائع عقلية متبددة المبادئ والمناسب .
وهم وتنبيه : ولعلك تقول : ان كانت المعقولات لا تتحد بالعاقل ،ولا بعضها مع بعض لما ذكرت ثم قد سلمت أن واجب الوجود يعقل كل شيء فليس واحدا حقا ، بل هناك كثرة . / =

وهو مما اعترف الفلاسفة بتناقض ابن سينا وأمثاله بذلك في مسألة توحيدهم ونفي الصفات ، حيث قالوا بنفي الصفات الثبوتية مطلقا ، ثم قالوا بإثبات صور وجودية علمية قائمة بذاته . وهو تصريح بإثبات الأمور الوجودية القائمة بذاته .

ولهذا لما رأى الطوسي شارح " الإشارات"[1] تناقض ابن سينا في ذلك ، وأراد أن ينصر طريقة سلفه نفاة الصفات - جنح إلى كلام حاصله أن العلم هو المعلوم نفسه ليس هو شيئا زائدا عليه[2]،

/= فنقول : انه لما كان تعقل ذاته بذاته ، ثم يلزم قيوميته عقلا بذاته لذاته أن يعقل الكثرة ، جاءت الكثرة لازمة متأخرة ، لا داخلة في الذات مقومة بها ، وجاءت أيضا على ترتيب.
وكثرة اللوازم من الذات - مباينة أو غير مباينة - لا تثلم الوحدة ، والأول تعرض له كثرة لوازم اضافية وغير اضافية ، وكثرة سلوب ، وبسبب ذلك كثرة أسماء ، لكن لا تأثير لذلك في وحدانية ذاته".

(١) النصير الطوسي محمد بن محمد بن الحسن (٥٩٧ - ٦٧٢) ، المنجم ، الفيلسوف ، وزر لأصحاب قلاع الألموت من الاسماعيلية ثم وزر لهولاكو ، قال عنه ابن تيمية في مجموع الفتاوى ٢ / ٩٣ " كافر في قوله وعمله ".
انظر مجموع فتاوى شيخ الاسلام ٢ / ٩٢ - ٩٣ ، ١٣ / ٢٠٧ ، ٣٥ / ١٥١ - ١٥٢ ؛ اغاثة اللهفان من مصائد الشيطان ٢ / ٢٦٣ ؛ البداية والنهاية ١٣ / ٢٦٧ - ٢٦٨ ؛ الأعلام ٧ / ٣٠ - ٣١ .

(٢) مما قاله الطوسي في شرحه ، ص ٧١٤ - ٧١٦ لكلام ابن سينا السابق : " العاقل كما لا يحتاج في ادراك ذاته لذاته ، الى صورة غير صورة ذاته التي بها هو هو ، فلا يحتاج أيضا في ادراك مايصدر عن ذاته لذاته الى صورة غير صورة ذلك الصادر التي بها هو هو . . .
واذا تقدم هذا فأقول : قد علمت أن الأول عاقل لذاته من غير تغاير بين ذاته وبين عقله لذاته في الوجود ، الا في اعتبار المعتبرين على مامر ، وحكمت بأن عقله لذاته علة لعقله لمعلوله الأول ، فاذا حكمت بكون العلتين أعني ذاته وعقله لذاته شيئا واحدا في الوجود من غير تغاير ، فاحكم بكون المعلولين أيضا أعني المعلول الأول وعقل الأول له شيئا واحدا في الوجود من غير تغاير يقتضي كون أحدهما مباينا للأول والثاني متقررا فيه .
وكما حكمت بكون التغاير في العلتين اعتباريا محضا ، فاحكم بكونه في المعلولين كذلك ، فان وجود المعلول الأول هو نفس تعقل الأول اياه من غير احتياج الى صورة مستأنفة تحل ذات الأول تعالى عن ذلك .
ثم لما كانت الجواهر العقلية تعقل ماليس بمعلولات لها ، بحصول صور فيها ، وهي تعقل الأول الواجب ، ولا موجود الا وهو معلول للأول الواجب ، كانت جميع صور الموجودات الكلية والجزئية على ماهي عليه في الوجود حاصلة فيها ، والأول الواجب يعقل تلك الجواهر مع تلك الصور ، لا بصور غيرها ، بل بأعيان تلك الجواهر والصور ، وكذلك الوجود على ماهو عليه ".

وهذا[١] القول الذى صار إليه أفسد[٢] ماقيل في العلم ؛ فإن غيره كان يقول : العلم هو العالِم ، ويقولون : العلم هو القدرة ، هو الإرادة والعلم والقدرة والإرادة هي العالم القادر المريد ، فيجعلون كل صفة هي الأخرى ، ويجعلون الصفات هي الموصوف . وهذا القول وإن كان بعد تصوره التام معلومٌ فساده بضرورة العقل ؛ فالقول بأن العلم[٣] هو المعلوم نفسه ، أشدّ فساداً منه .

وقد بسطنا الكلام على ذلك في غير هذا الموضع[٤] ، وبيّنّا أن الذين نفوا علمه بالجزئيات من الفلاسفة فروا من شيئين : من وقوع الكثرة ، ومن وقوع التغيُّر ، وظنوا أن إثبات الصفات كثرة باطلة ، وأن علمه بأن قد كان الشيء ، بعد علمه بأن سيكون ، يستلزم تغيُّراً باطلا ، وأن نُظّار المسلمين ردوا عليهم .

أما الصفاتية فإنهم[٥] يلتزمون إثبات الصفات ، والمعتزلة وإن نفوا الصفات ؛ فانهم يعترفون بما يستلزم إثباتها ، فإنهم يثبتون كونه حياً عالماً قادراً ، وهذا بعينه يستلزم إثبات الصفات ، وأما بحثهم مع من أثبت أحوالا[٦] زائدة على الصفات ؛ فأثبت العالمية

---

(١) الأصل (ص) : وهو . وكتب في الهامش : لعله وهذا .
(٢) الأصل (ص) : الفسد ، ولعله تحريف .
(٣) الأصل (ص) : فالقول بالعلم ، ولعل الصواب ما أثبته .
(٤) انظر في صفحة ٧٧ ت ١ .
(٥) الأصل (ص) : بانهم .
(٦) بحث الشهرستاني " مسألة الأحوال " في كتابه " نهاية الاقدام " ، ص ١٣١ - ١٤٩ ، فذكر (ص ١٣١) أن أبا هاشم الجبائي المعتزلي هو الذى أحدث الكلام في الأحوال ، فقال باثباتها ، قال الشهرستاني " وأثبتها القاضي أبو بكر الباقلاني رحمه الله بعد ترديد الرأى فيها على قاعدة غير ماذهب اليه أبو هاشم . . . وكان امام الحرمين من المثبتين في الأول والنافين في الآخر " .
ثم قال (ص ١٣١ - ١٣٣) : " اعلم أنه ليس للحال حد حقيقي . . " فانه يؤدى الى اثبات الحال للحال ، بل لها ضابط وحاصر بالقسمة . وهي تنقسم الى مايعلل والى مالا يعلل . . . .
أما الأول فكل حكم لعلة قامت بذات يشترط في ثبوتها الحياة عند أبي هاشم ، ككون الحي حيا ، عالما ، قادرا ، مريدا ، سميعا ، بصيرا ، . . . فتقوم الحياة بمحل وتوجب كون المحل حيا ، وكذلك العلم والقدرة والارادة وكل مايشترط في ثبوته الحياة ، وتسمى هذه الأحكام أحوالا ، وهي صفات زائدة على المعاني التي أوجبتها ./ =

معنى زائداً على العلم(١)،

وأما المقدمة الثانية(٢)، فمن النُظّار من منع تجدد شيء؛ وادّعى أن المتجدد إنما هو نسبة وإضافة، ومنهم من التزم هذا اللازم، وبيّن أن نصوص الكتاب والسنة تدل على مثل ذلك، وأن إثبات هذا هو غاية الكمال، وليس في العقل ماينفي ذلك، وهذه طريقة كثير من أساطين الفلاسفة

/ = وعند القاضي كل صفة لموجود لا تتصف بالوجود فهي حال، سواء كان المعنى الموجب مما يشترط في ثبوته الحياة أو لم يشترط، ككون الحي حيا وعالما وقادرا، وكون المتحرك متحركا، والساكن ساكنا، والأسود، والأبيض الى غير ذلك . . .

وأما القسم الثاني فهو كل صفة اثبات لذات من غير علة زائدة على الذات، كتحيز الجوهر، وكونه موجودا، وكون العرض عرضا، ولونا، وسوادا .

والضابط، أن كل موجود له خاصية يتميز بها عن غيره، فانما يتميز بخاصية هي حال، وما تتماثل المتماثلات به وتختلف المختلفات فيه فهو حال، وهي التي تسمى صفات الأجناس والأنواع .

والأحوال عند المثبتين ليست موجودة ولا معدومة، ولا هي أشياء، ولا توصف بصفة ما، وعند [أبي هاشم] ابن الجبائي ليست هي معلومة على حيالها، وانما تعلم مع الذات" .

ثم أورد أدلة مثبتي الأحوال ونفاتها وذكر وجه خطأ كل، وختم كلامه بقوله (ص ١٤٧ - ١٤٨) : " فالحق في المسألة أن الانسان يجد من نفسه تصور أشياء كلية عامة مطلقة، دون ملاحظة جانب الألفاظ، ولا ملاحظة جانب الأعيان، ويجد من نفسه اعتبارات عقلية لشيء واحد ... هي معان موجودة محققة في ذهن الانسان، ومن حيث هي كلية عامة لا وجود لها في الأعيان فلا موجود مطلقا في الأعيان، ولا عرض مطلقا، ولا لون مطلقا، بل هي الأعيان، بحيث يتصور العقل منها معنى كليا عاما فتصاغ له عبارة تطابقه وتنص عليه، ويعتبر العقل منها معنى ووجها فتصاغ له عبارة . . . " .

وانظر كلاما مشابها وأكثر بيانا في غاية المرام في علم الكلام للآمدي، ص ٢٧ - ٣٧؛ وانظر أيضا أصول الدين للبغدادي، ص ٩٢، الفرق بين الفرق، ص ١٩٥ - ١٩٦؛ التمهيد للباقلاني (ط. دار الفكر العربي، القاهرة ١٣٦٦ - ١٩٤٧م)، ص ١٥٢ - ١٥٥؛ الارشاد، ص ٨٠-٨٤ الشامل، ص ٦٢٦ - ٦٤٥، الفصل لابن حزم ٥/٤٩ - ٥٣، الملل والنحل ١/١٠١-١٠٤ .

(١) في الكلام سقط، والظاهر أن الضمير في قوله : " بحثهم " يعود الى نظار المسلمين، ولعل الكلام يتم بما يلي : وأما بحثهم . . . على العلم، والقادرية معنى زائدا على القدرة، وقال : انها لا موجودة ولا معدومة - فكثير منه لفظي، وقول مثبتة الأحوال يستلزم قول مثبتة الصفات، لكن الصواب أن الأحوال كالكليات لها وجود في الأذهان لا في الأعيان .

انظر التعليق السابق، وانظر لابن تيمية كتاب درء تعارض العقل والنقل ٥/٣٠ - ٤٥، ٩/٣٩٥، ١٠/٢٣٤ .

(٢) لعل المراد بالمقدمة الثانية وقوع التغير المذكور في قوله في الصفحة السابقة : " فروا من شيئين : من وقوع الكثرة، ومن وقوع التغير " .

ومتأخريهم كأبي البركات وغيره ، وكما قد بسط في موضعه[1].

وهذا المعنى ذكره أبو حامد الغزالي في " تهافت الفلاسفة " وغيره ، وبيّن أن واجب الوجود الذى أثبته البرهان هو مايكون مبدِعاً للممكنات ، وأما مانفوه من إثبات الصفات وتعددها ؛ وسموه تركيبا ؛ وما ادّعوه من أنه وجود مجرد ، ليس له حقيقة وراء الوجود المجرد ، لأن ذلك تركيب - فلم يقم البرهان على إثبات واجب الوجود بهذا التفسير .

معاني مسمى "واجب الوجود" ظ ١٦

قلت : منشأ الضلال في هذا الموضع - كما تقدم التنبيه عليه - أن مسمى / " واجب الوجود " عبّروا به عن عدة معان :

أحدها - الذى يكون موجودا بنفسه ، لا يفتقر إلى مبدِع . وهذا هو الذى يدل عليه وجود الممكنات .

والثاني - الذى لا يكون له تعلّق بغيره ، ولا ملازمة بينه وبين غيره .

ونفيُ الصفات إنما يصح على هذا التفسير ، لا على المعنى الأول ، وهم من أعظم الناس تناقضا في هذا الباب ؛ فإنهم يجعلون وجوده لا ينفك عن وجود معلوله ، وهذا التعلّق[2] من لوازم وجوده ، ثم مع هذا ينفون عنه الصفات لئلا يكون له تعلّقٌ بغيره ، ومعلوم أن استلزامه لصفاته أَوْلى بالجواز من استلزامه لمفعولاته .

الثالث - أن يراد بواجب الوجود مالا يكون له محل يقوم به .

وعلى هذا فصفاته لا تسمى واجبة الوجود بهذا الاعتبار ، وتسمى واجبة الوجود بالاعتبار الأول ؛ وهو ماليس له فاعل .

---

(١) تكلم ابن تيمية طويلا عن مسألة " علم الله " في آخر الجزء التاسع وأول العاشر من كتاب " درء تعارض العقل والنقل " ونقل عن كتاب " المعتبر " لأبي البركات ابن ملكا أقوال الفلاسفة في هذه المسألة ونقد أبي البركات لها ، وعلق عليه ، انظر ٩ / ٤٠٢ ومابعدها .

(٢) الأصل (ص) : التعليق ، ولعل الصواب ما أثبته .

الرابع ـ أن يراد بواجب الوجود مالا يكون ملازما لغيره بحيث يكون كل منهما لازما وملزوما .

وعلى هذا ، فإذا قيل بإثبات الذات والصفات لم يكن واحد منهما واجب الوجود ،بل واجب الوجود مجموعهما ، لكن واجب الوجود بهذا التفسير ـ وهو عدم التلازم من الطرفين ـ مما لا يقوم دليل على ثبوته ، بل على نفيه ، وكل العقلاء لابدّ لهم من إثبات المعاني المتلازمة في واجب الوجود .

فلما دخل في اسم " واجب الوجود " هذا الاشتراك والتلبيس والاضطراب ـ عظم الخطأ والضلال في هذا الباب ، ولهذا قال بعض الفضلاء : لما سمّوا رب العالمين واجب الوجود خرب العالم .

إذا تبين هذا ، فقول القائل[(1)] :" الواجب بذاته له لازمان : أحدهما ـ أن يكون منزها في حقيقته عن الكثرة " كلام مجمل ، فإذا أريد به أنه منزّه عن أن يكون ذوات متعددة مستقلة بأنفسها ، فلا ريب أنه ليس في الوجود واجبان بهذا الاعتبار ، لكن دلالة وجوب الوجود على نفي هذا التعدد ،لكون ذلك مستلزما للتركيب في واجب الوجود ،دليل باطل . ولكن إذا تبين أن واجب الوجود لابدّ أن يكون فاعلا للممكنات ، وتبين أن اشتراك الفاعلين في الفعل ممتنع ـ فهذه طريقة صحيحة ، وهي طريقة نُظّار المسلمين كما قُرِّر ذلك في موضعه .

وإن أريد بكونه منزها عن حقيقة الكثرة ، أنه لا يتصف بمعان متعددة ولا تقوم به معان متعددة ، أو لا يتضمن معاني متعددة، أو نحو ذلك من العبارات ،سواء سميت تلك المعاني أجزاء أو لم تسمّ ـ فليس في كونه موجودا بنفسه ، غنياً عن الفاعل ؛ مايوجب نفي هذا .

---

١) وهو الرازى في النص المنقول عنه فيما تقدم ، ص ٦٧ .

فلو كان علةً لعلته للزم تقدمه على نفسه لكونه علة العلة ، وتأخره عن نفسه لكونه معلول العلة ، وذلك جمع بين النقيضين ، ولهذا[١] كان الدَّوْر القَبْليّ محالا . وقد بُسط الكلام عليها وعلى ماقيل عليها من الكلام في مسألة إثبات الصانع[٢] وغيرها[١] .

ولا يمتنع أن يكونَ شيئان كلٌ[٣] منهما شرط في الآخر ؛ لأن ذلك إنما يستلزم أن يكون كل منهما مع الآخر ، وليس ذلك بممتنع ، ولهذا قيل : الدور المَعِيّ ليس بممتنع[٤] .

والمركب[٥] غايته أن يكون كل من أجزائه مشروطا بالجزء الآخر ، وأن يكون هو مشروطا بأجزائه ، لا يقتضي[٦] التركيب وجود جزء قبل جزء ، ولا وجود جزء منه قبل سائر أجزائه[٧] .

فإذا قيل : إنه مفتقر إلى جزئه ، كان معناه أنه[٨] لا يوجد إلا بوجود جزئه معه ، لا يستلزم[٩] ذلك وجود جزئه قبله[١٠] ، ثم ذلك الجزء ليس هو علةً فاعلة[١١] له ، ولا هو خارجاً عن نفسه ؛ فالقول بأن وجوده يستلزم وجود الجزء[١٢] ، والتعبير عن ذلك بأنه يقتضي أن يكون مفتقراً إلى جزئه ، وجزوءه غيره - ليس له معنى إلا ذلك .

وهذا لا يقتضي أنه مفتقر إلى علة ، ولا محتاج إلى علة فاعلة ، ولا فيه شرط[١٣] خارج عن واجب الوجود ، ولا دَوْرٌ قَبْليٌّ .

(١-١) مابينهما انفردت به (ص) .

(٢) انظر فيما تقدم ص٣٧ كلام ابن تيمية على دليل الأصبهاني على وجود الخالق ، وانظر فيما سيأتي ص٢٦٠ فصل وكذلك مايستدلون به على اثبات الصانع .

(٣) ص : وكل .

(٤) خ ،س ،ك : ليس بمحال .

(٥) خ ،س ،ك : فالمركب .

(٦) ك : ولا يقتضي .

(٧) خ ،س ،ك : ولا وجود جزء قبل أجزائه .

(٨) أنه : في (ص) فقط .

(٩) ك : ولا يستلزم .

(١٠) قبله : في (ص) فقط .

(١١) فاعلة : في (ص) فقط .

(١٢) خ ،س ،ك : ... وجود الجزء حق .

(١٣) خ ،س ،ك : ... الى علة ولا شرط .

وأمّا مافيه من الدَّوْر المعِيّ فليس ذلك بمُحَال ، ولا ينافي وجوب الوجود ؛ إلا أن يثبت أن مثل هذا التعدد ينافي وجوب الوجود ، وهم لم يثبتوا أن التعدد ينافي وجوب الوجود إلا / بهذا ، فبطل أن يكون هذا دليلا على بطلان[1] التّعدُّد في وجوب الوجود .

ظ ١٧

الوجه السادس

[الوجه[2]] السادس - أن يقال : قول القائل : واجب الوجود بنفسه ، هل يقتضي أن يكون مفتقراً إلى نفسه ، أم لا يقتضي ذلك ؟ فإن اقتضاه كان افتقاره إلى جزئه أَوْلى وأحرى بالالتزام فلا يكون ممتنعاً ، وإن قيل : لا يقتضيه قيل : وكذلك [التركيب[3]] لا يقتضي أن يكون المركّب مفتقرا إلى جزئه ؛ فإنه إذا كانت نفسه لا توجد إلا بنفسه ، ولم يجز[4] أن يقال : هو مفتقر إليها ، فالجميع - الذى لا يوجد إلا بأجزائه - أَوْلى أن لا يقال[5] : هو مفتقر إلى واحد منها ؛ إذ المركّب ليس إلا الأجزاء وصورة التركيب .

الوجه السابع

[الوجه[6]] السابع - أن يقال : المعنى المعروف من لفظ " التركيب " أن يكون[7] جزءان مفترقان[8] فيركّبهما جميعا مركّب ؛ لأن المركّب اسم مفعول رُكِّبَ يركَّب[9] فهو مركَّب ؛ كما يركّب الطبيخ من أجزائه ، والثوب من أجزائه[10] ، والأدوية المركّبة من أجزائها ، وأمثال ذلك .

ومعلوم أن المركّب بهذا الاعتبار مفتقر إلى أن[11] يركّبه غيره ؛ إذ لو

---

(١) في (خ) انتهت الصفحة عند هذه الكلمة وكتب في الهامش : بلغ مقابلة حسب القدرة بحمد الله .
(٢) الوجه : ليست في (ص) .
(٣) التركيب : سقطت من (ص) .
(٤) خ ، س ، ك : ولم يحسن .
(٥) ك : أن لا يقال له .
(٦) الوجه : ليست في (ص) .
(٧) ص : ان لا يكون .
(٨) خ ، س ، ك : الجزءان مفترقين .
(٩) ركب يركب : كذا في (ص) ، خ ، س ، : ركبه مركبه ، ك : ركبه مركب .
(١٠) والثوب من أجزائه : ساقطة من (س ، ك) .
(١١) الى أن : كذا في (ص) ، خ ، س ، ك : الى من .

كانت ذاته تقتضي التركيب لم يجز عليه التفرّق ، وواجب الوجود بنفسه لا يكون مفتقراً إلى شيء خارج عن نفسه ؛ لأن ذلك جمع بين النقيضين. ولا ريب أن مثبتة الصفات ليس فيهم ، بل ولا في سائر فرق الأمة من يثبت هذا التركيب في حق الله تعالى.

ولكن المتفلسفة يُسمّون الموصوف مركّبا ، ويُسمّون الصفات أجزاء ؛ فيقولون : الانسان مركّب [من][1] الحيوانية والناطقية ، والنوع مركّب من الجنس والفصل ؛ فإما أن يريدوا بالحيوانية والناطقية جوهراً أو عَرَضاً ؛ فإن أرادوا بهما[2] جوهرا وهو الحيوان والناطق ؛ فالحيوان والناطق هما الإنسان ، ليس الجوهر الذى[3] هو الناطق غير الجوهر[3] الذى هو الإنسان، ولا هو غير الجوهر الذى هو حيوان ناطق ، لكن الذهن يجرّد هذه المعاني في الذهن فيتصور الناطق مطلقا ، والحيوان مطلقا ، والإنسان [مطلقا][4]، لكن تجريد الذهن لها لا يقتضي أن يكون في الخارج ثلاثة جواهر، والعلم بهذا ضرورى .

وإن أرادوا أنه[5] مركّب من الحيوانية والناطقية وهما عَرَضان ـ فالعَرَض لا يقوم إلا بالجوهر ، والحيوانية والناطقية صفة للإنسان[6]، فكيف يكون الجوهر [مركّبا][7] من صفاته ؛ وصفاته لا قيام لها إلا به ؛ وهي مفتقرة إليه ؟

وإذا قالوا : سمينا[8] هذا تركيباً ؛ لم ننازع في الألفاظ نزاعا لا فائدة فيه ، بل [نقول] : كل[9] موجود فلا بُدّ أن يكون مركّبا بهذا الاعتبار ؛

---

(١) من : ساقطة من (ص) .
(٢) بهما : كذا في (ص) ،خ ،س ،ك : بها .
(٣-٣) مابينهما ساقط من (س) .
(٤) مطلقا : ساقطة من (ص) .
(٥) وأن أرادوا أنه : كذا في (ص) ؛خ ،س ،ك : وان قيل انه .
(٦) س ،ك : الانسان .
(٧) مركبا : ساقطة من (ص) .
(٨) واذا قالوا سمينا : كذا في (ص) ،خ ،س ،ك : لو سمينا .
(٩) كذا في (خ) ،ص : بل كل ،س ،ك : نقول كل بسقوط بل .

فإن وجود ذاتٍ عريّةٍ[1] عن جميع الصفات ممتنع ، ووجود موجود مطلق لا يتعيّن ولا له حقيقة يختص بها عن سائر الحقائق ممتنع ، وكل ما اختصّ وتميّز عن غيره فلابُدّ له من خاصة ، وقد بسطنا هذا في غير هذا الموضع .

ولسنا محتاجين هنا إلى إثبات وجوب مثل هذا ، بل يكفي أن نقول : لا نُسلّم امتناع مثل هذا المعنى / الذى سميتموه تركيباً . ج ١٨

[وكثير من المتكلمين لا يُسمّون الاتصاف تركيباً][2] ، بل يُسمّون التقدير تركيبا ؛ لأن المقدَّر مركّبٌ من الأجزاء المنفردة[3] ، أو من المادة والصورة ، وهذا أيضا فيه نزاع ؛ وطوائف[4] من أهل الكلام : كالهشامية[5] ، والضِرارية[6] ،

---

(١) ك : عارية .

(٢ - ٢) ما بينهما ساقط من (ص) .

(٣) خ ، س : المفردة ، ك : الفردة .

(٤) وطوائف : كذا في (ص) ، وفي النسخ الأخرى فطوائف .

(٥) الهشامية من فرق الرافضة ، انظر ما ذكرته عنهم فيما تقدم ، ص١٧ ت ٣ .

(٦) عد بعض أصحاب المقالات الضرارية من الجبرية ، وبعضهم من المعتزلة ، ورأسهم ضرار بن عمرو القاضي -(ذكر الزركلي في الأعلام أن وفاته نحو سنة ١٩٠)- كان في بدء أمره تلميذا لواصل بن عطاء ، ثم خالفه في مسائل .

قال الأشعري في مقالات الاسلاميين (١/ ٣٣٩- ٣٤٠ : " والذى فارق ضرار بن عمرو به المعتزلة قوله : ان أعمال العباد مخلوقة ، وان فعلا واحدا لفاعلين : أحدهما خلقه وهو الله ، والآخر اكتسبه وهو العبد ، وان الله عز وجل فاعل لأفعال العباد في الحقيقة ، وهم فاعلون لها في الحقيقة ، وكان يزعم أن الاستطاعة قبل الفعل ومع الفعل ، وأنها بعض المستطيع ، وأن الانسان أعراض مجتمعة ، وكذلك الجسم . . . وأن الأعراض قد يجوز أن تنقلب أجساما . . . ، وكان يزعم أن كل ماتولد عن فعله ، كالألم الحادث عن الضربة . . . فعل لله سبحانه وللانسان ، وكان يزعم أن معنى أن الله عالم قادر : أنه ليس بجاهل ولا عاجز ، وكذلك كان يقول في سائر صفات الباري لنفسه ، وحكي عنه أنه كان ينكر حرف ابن مسعود ويشهد أن الله سبحانه لم ينزله ، وكذلك حرف أبي بن كعب ، وأنه كان يزعم أنه لا يدرى لعل سرائر العامة ، كلها كفر وتكذيب . . وكان يزعم أن الله يخلق حاسة سادسة يوم القيامة للمؤمنين يرون بها ماهيته " .

وانظر أيضا البدء والتاريخ ٥/ ١٤٦ ؛ أصول الدين للبغدادى ، ص ٢٥ ، ٤٧ ، ٣٣٩ - ٣٤٠ ؛ الفرق بين الفرق ، ص ١٥ ، ٢٠١ ، ٢١٣ - ٢١٥ ؛ الفصل لابن حزم ٢/ ١١٢ ، ١٧٣ - ١٧٤ ، ٣/ ٥٤ ، ١٦٤ ، ٤/ ١٩٢ ؛ التبصير في الدين ، ص ٩٥ ؛ الملل والنحل ١/ ١٠٩ ، ١١٤ - ١١٦ ؛ الحور العين ، ص ٢٥٤ ، ٢٥٥ ؛ اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ، ص ١٠٦ ؛ ميزان الاعتدال ٢/ ٣٢٨ - ٣٢٩ ؛ لسان الميزان ٣/ ٢٠٣ ؛ الأعلام ٣/ ٢١٥ ؛ تاريخ التراث العربي لسزكين (المجلد الأول) ٤/ ٦١ .

والنَّجّارية[1]، والكُلّابية[2]، يقولون : ليس بمركَّب بحال ؛ ومن قال : إنه مركَّب، قال : لا يمكن وجود أجزائه بدونه ، كما لا يمكن وجوده بدون أجزائه ؛ وحينئذ فيقال لهم كما يقال[3] للمتفلسفة .

وهؤلاء يُسَمُّون[4] نفي مثل هذا التركيب توحيدا ؛ ويُدخلون في ذلك نفي الصفات ؛ فيجعلون نفي علم الله وقدرته وحياته وكلامه وسمعه وبصره وسائر صفاته - من التوحيد ، ويُسَمُّون أنفسهم الموحِّدين ؛ كما يَدَّعي المعتزلة أنهم أهل التوحيد والعدل ، ويعنون بالتوحيد نفي الصفات .

ولما كان أبو عبدالله محمد بن التُّومَرت[5] على مذهب

---

(١) النجارية أتباع أبي عبدالله الحسين بن محمد النجار الرازى (في الأعلام أن وفاته نحو سنة ٢٢٠هـ). وافقوا المعتزلة في نفي الصفات ونفي رؤية الله تعالى بالأبصار، وقالوا بقول الأشاعرة في أن الله خالق لأفعال العباد والعباد مكتسبون لها وأن الاستطاعة مع الفعل لا تتقدم عليه ، وأن الايمان عبارة عن التصديق .

وهم ثلاث فرق : البرغوثية والزعفرانية والمستدركة .

انظر عنهم : مقالات الاسلاميين ١/ ٢١٦ ، ٣٤٠- ٣٤٢ ، أصول الدين للبغدادى ، ص ٢٥ ، ٩١ ، ٣٣٤ ، الفرق بين الفرق ، ص ٢٢ ، ٢٥ ، ٢٠٧- ٢١١ ؛ الفصل لابن حزم ٢/ ١١٢ ، ٣/ ٢٢ ، ٤/ ٤٥ ؛ التبصير في الدين ، ص ٩٣- ٩٤ ، الملل والنحل ١/ ١٠٩ ، ١١٢- ١١٤ ؛ اعتقادات فرق المسلمين والمشركين للرازى ، ص ١٠٤- ١٠٥ ؛ الفهرست للنديم ، ص ١٧٩ ؛ الأعلام ٢/ ٢٥٣ .

(٢) الكلابية أتباع أبي محمد عبدالله بن سعيد بن كلاب ، تقدم الكلام عنه ، ص ١٨ ت ٢ ، ص ٢٢ ت ٤ .

(٣) كما يقال : كذا في (ص) ، خ ، س ، ك : كما قيل .

(٤) س : وهم لا يسمون ، ك : وهم يسمون .

(٥) هو أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن تومرت (٤٨٥-٥٢٤) صاحب دعوة الموحدين ، وهو من قبيلة هرغة من المصامدة ، في جبل السوس بالمغرب ، وهناك نشأ ، ثم رحل الى العراق في طلب العلم ، وكان يظهر الزهد والعبادة ، ولما رجع الى المغرب أخذ في انكار المنكرات وتعليم قومه ، يقول ابن تيمية (مجموع الفتاوى ١١/ ٤٧٧) : " واستجاز أن يظهر لهم أنواعا من المخاريق ، ليدعوهم بها الى الدين " .

ويقول أيضا (مجموع الفتاوى ٣٥/ ١٤٣) : " كان فيه نوع من رأى الجهمية الموافق لرأى الفلاسفة ، ونوع من رأى الخوارج الذين يرون السيف ويكفرون بالذنب " .

ويقول السبكي في طبقاته انه " على مذهب الأشعرى في أكثر المسائل الا في اثبات الصفات فانه وافق المعتزلة في نفيها وفي مسائل قليلة ، وكان يبطن شيئا من التشيع " .

وقد عظم شأن ابن تومرت ، وتلقب بالمهدى ، وسمي أتباعه الموحدين ، فكانت له وقعات مع جيوش ملك مراكش يوسف بن علي بن تاشفين ، وتوفي بعد أن مهد الطريق وعهد بالأمر لكبير أصحابه عبدالمؤمن بن علي .

انظر عن ابن تومرت ودولة الموحدين : الكامل لابن الأثير ١/ ٥٦٩- ٥٧٨ ؛ وفيات الأعيان ٥/ ٤٥- ٥٥ ؛ مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية ١١/ ٤٧٦- ٤٧٨ ، ٤٨٥ ، ٤٨٦ - ٤٨٩ ؛ / =

المعتزلة[١] في نفي الصفات لقّب أصحابه بالموحّدين ، وقد صرّح في كتابه الكبير بنفي الصفات[٢] ، ولهذا لم يذكر في " مرشدته[٣] " شيئًا من الصفات الثبوتية : لا علم الله ، ولا قدرته ، ولا كلامه ، ولا شيئا من صفاته الثبوتية ، وانما ذكر السلوب .

توحيد الرسل

والتوحيد[٤] الذى بعث الله به رسوله ، وأنزل به كتابه هو عبادة الله وحده لا شريك له ، وهو توحيد ألوهيّته ، المتضمّن توحيد ربوبيته ، كما قال تعالى : (والهكم اله واحد)[٥] ، وقال تعالى : (وقال الله لا تتخذوا الـهين اثنين انما هو اله واحد فاياى فارهبون)[٦] ، وقال تعالى : (وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه أنه لا اله الا أنا فاعبدون)[٧] ، وقال تعالى : (ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة)[٨] .

والمشركون كانوا يقرون بأن الله[٩] رب العالمين واحد ، لكن كانوا يعبدون معه غيره ؛ كما قال تعالى : (ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله)[١٠] ، وقال تعالى : (ومايؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون)[١١] ،

/ = طبقات الشافعية للسبكي ٦/ ١٠٩- ١١٧ ؛ البداية والنهاية ١٢/ ١٨٦- ١٨٧ ؛ تاريخ ابن خلدون ٦/ ٤٦٤- ٤٧٢ ؛ الأعلام ٦/ ٢٢٨- ٢٢٩ .
ولعبد الله علي علام كتاب " الدعوة الموحدية بالمغرب " ط . المعرفة ، القاهرة ١٩٦٤م ، وكتاب " الدولة الموحدية بالمغرب في عهد عبد المؤمن بن علي " ط. المعارف بمصر.

(١) ص : على مذهب الجهمية .

(٢) قال ابن تيمية في " درء تعارض العقل والنقل " ٥/ ٢٠ : " ولهذا رأيت لابن التومرت كتابا في التوحيد صرح فيه بنفي الصفات " وقال في مجموع الفتاوى " ١١/ ٤٨٥ ان ابن تومرت ذكر في كتاب له كبير شرح فيه مذهبه أن الله تعالى وجود مطلق ، ولم يسم ابن تيمية هذا الكتاب .

(٣) المرشدة عقيدة مختصرة لابن تومرت ، تضمنها كتاب له عنوانه " أعز مايطلب " ، ص ٢٤١ - ٢٤٢ (ط . الجزائر ١٣٢١- ١٩٠١) ، وساقها السبكي في " طبقات الشافعية " في ترجمة عبد الرحمن بن محمد بن الحسن بن هبة الله بن عساكر ٨/ ١٨٥- ١٨٦ .

(٤) في هامش (س) كتب أمام هذا الكلام : مطلب توحيد الالوهية .

(٥) سورة البقرة : ١٦٣ .

(٦) سورة النحل : ٥١ .

(٧) سورة الأنبياء : ٢٥ .

(٨) سورة النحل : ٣٦ .

(٩) الله : في (ص) فقط .

(١٠) سورة لقمان : ٢٥ .

(١١) سورة يوسف : ١٠٦ . في (خ ، س ، ك) قدمت هذه الآية قبل آية سورة لقمان .

وقال تعالى : (قل لمن الأرض ومن فيها ان كنتم تعلمون . سيقولون لله قل أفلا تذكرون . قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم . سيقولون لله قل أفلا تتقون . قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه ان كنتم تعلمون . سيقولون لله قل فأنى تسحرون)[1] .

عود لبيان دليل الأصبهاني على الوحدانية

ونحن نوجّه ذلك بعد ذكر حجته ؛ وَوَجْهُ نظمها أن يقال : واجب الوجود لا تركيب فيه ، ومالا تركيب فيه فهو واحد ؛ فواجب الوجود واحد ؛ وإنما قلنا : لا تركيب فيه ، لأن المركَّب مفتقر إلى ماتركَّب منه ، وماتركَّب منه غيره ، وواجب الوجود لا يفتقر الى غيره ؛ فواجب الوجود لا تركيب فيه .

[وهذا معنى قوله : " والدليل على وحدته أنه لا تركيب فيه][2] بوجه ، وإلا لما كان واجبَ الوجود لذاته " أى لو كان فيه تركيب بوجه لما كان واجبَ الوجود لذاته ، ثم قال : " ضرورة افتقاره الى ماتركَّب منه " . أى لو/كان

ظ ١٨

مركَّباً للزم ضرورة أن يفتقر إلى ماتركَّب منه[3] ، ثم إنه حذف تمام الحجة - فانه لا يحتاج الى ذكره[4] - وهو أنه[5] اذا افتقر الى ماتركب منه كان مفتقرا الى غيره ، وواجب الوجود لا يفتقر الى غيره .

وأما قوله : " ويلزم من ذلك أن لا يكون من نوعه اثنان ، إذ لو كان اثنان واجبا الوجود ؛ فإن كان بينهما امتياز لزم تركيبهما مما به الاشتراك ومابه الامتياز ، وإلا لزم عدم التعيين[6] " .

فيقال : الجواب عن ذلك من طريقين :

---

(١) سورة المؤمنون : ٨٤- ٨٩ .
(٢) مابين القوسين المعكوفين ساقط من (ص) .
(٣) الى ماتركب منه : كذا في (ص) ؛ خ ، س ، ك : الى ماركب منه .
(٤) عبارة : " فانه لا يحتاج الى ذكره " : في (ص) فقط .
(٥) انه : سقطت من (ك) .
(٦) هذا معنى ماذكره الأصفهاني ، لا لفظه .

أحدهما - أنهما إذا اشتركا في وجوب الوجود، وامتاز كل منهما بتعيينه[١]؛ فمعلوم أن وجوب أحدهما ليس هو عينَ وجوبِ الآخر، كما أن عينَه ليست عينَه، بل هذا واجب وهذا واجب، كما أن هذا عينٌ وهذا عينٌ، واشتراكهما في وجوب الوجود المطلق كاشتراكهما في التعيين المطلق، والمطلق إنما يكون مطلقا في الأذهان لا في الأعيان، فعين هذا واجبة وجوبا يخصّها، وعين هذا واجبة وجوبًا يخصّها، والذهن يجرِّد وجوبا مطلقا وتعيينا[٢] مطلقا.

وإذا كان كذلك بطل قول القائل: إن كلاً منهما مركّب مما به الاشتراك وما به الامتياز، بل ما به الاشتراك عندهم[٣] وهو الوجوب هو[٤] مثل ما به الامتياز عند[هم][٥] وهو التعيين.

وهذه الحجة كثيرة في كلامهم، والغلط فيها قاطع[٦] لا حيلة فيه، وإنما نشأ الغلط حيث أخذوا في الوجوب ما يشتركان فيه، وفي التعيين ما يخص، وهذا يمكن معارضته بمثله؛ بأن يقال: هما مشتركان في التعيين؛ إذ هذا معيّن وهذا معيّن، ويمتاز كل منهما بوجوبه؛ إذ لكل منهما وجوب يخصّه[٧]، وإذا [أمكن][٨] العكس تبيّن أن ما فعلوه تحكّم محض.

الطريق الثاني - أن يقال: هب أن هذا تركيب[٩] مما به الاشتراك والامتياز، لكن دليلهم[١٠] على نفي مثل هذا التركيب باطل كما تقدم.

---

(١) بتعيينه: كذا في (خ)، وفي (ص، س، ك): بتعينه.
(٢) وتعيينا: كذا في (ص)، وفي (خ، س، ك): وتعينا.
(٣) عندهم: في (ص) فقط.
(٤) هو: ليست في (ك).
(٥) ص: عند. وسقطت الكلمة من النسخ الأخرى.
(٦) ك: واقع.
(٧) يخصه: كذا في (ص)، وفي (خ، س، ك): يخصصه.
(٨) أمكن: ساقطة من (ص).
(٩) تركيب: كذا في (س)؛ ص: تركيبا، خ، ك: تركب.
(١٠) س، ك: دليله.

وما ينبغي أن يُعلم[1] أن كثيرًا من متأخرى النُّظّار اضطربوا في معرفة التوحيد وأدلته العقلية ؛ حتى ظن منهم طائفة أنه لا يقوم عليه دليل عقليّ ، وأخذ[2] هذا عنهم بعض النفاة ، ولما ذكر ذلك تكلّم الناس في تكفيره .

والآمدى ذكر طرق الناس في التوحيد وزيّفها ، وذكر طريقة أضعف من غيرها[3] ، وابن عربي الطائيّ[4] اغترّ بذلك وظن أن ماذكره الآمدى من الدليل على التوحيد هو أمر عظيم لم يُسبق إليه[5] .

---

(١) من قوله هنا : " وما ينبغي أن يعلم . . . " الى قوله في صفحة ١٧٥ : " ولم يكن له من الخبرة بأقوال المتكلمين ماله من الخبرة بأقوال المتفلسفة ، والا " انفردت به (ص) .
وهناك ستنضم اليها (ك) ، أما (خ ، س) فيستمر انقطاعهما حتى صفحة ٣٤٤ . حيث تعودان عند قوله : " فصل ، وأما قوله : والدليل على علمه . . . " .

(٢) الأصل (ص) : واحد ، بلا نقاط . ولعل ما أثبته هو المراد .

(٣) في كتاب " غاية المرام في علم الكلام " ، ص ١٥١ - ١٥٥ قال الآمدى : ان عامة المتكلمين سلكوا في اثبات التوحيد مسلكين ضعيفين ، ذكرهما وبين ضعفهما ، ثم ذكر مسلكا ثالثا ، قال : انه الصواب ، ودافع عنه .
لكنه في كتاب " أبكار الأفكار " (مخطوط) ١/ج ١٦٧ - ظ ١٧١ وضع هذا المسلك المصوب والمسلكين المضعفين ضمن سبعة مسالك قال : انها ضعيفة ، ونقدها ثم قال (١/ظ ١٧١ - ج ١٧٢) : " وعلى هذا فاذا كانت الطرق العقلية الدالة على الوحدانية مضطربة غير يقينية ، فالأقرب في الدلالة انما هو الدلالة السمعية على ماذهب اليه حذاق المعتزلة ، وذلك قوله تعالى : (لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا) .
ووجه الاحتجاج به أنه أخبر بلزوم الفساد من تقدير وجود الآلهة ولا فساد ، ويلزم من انتفاء اللازم انتفاء الملزوم " . ثم أورد اعتراضات على هذا الدليل وأجاب عنها .

(٤) الأصل (ص) : وابن عدى ، وهو خطأ ، انظر التعليق رقم (٥) .
وابن عربي هو محمد بن علي بن محمد بن عربي - قال الشعراني في الطبقات الكبرى ١/١٨٨ : " ابن العربي ، بالتعريف ، كما رأيته بخطه " - الحاتمي الطائي الأندلسي (٥٦٠ - ٦٣٨) من صوفية الفلاسفة ومن أئمة أهل وحدة الوجود .
انظر عنه : ميزان الاعتدال ٣/٦٥٩ - ٦٦٠ ؛ البداية والنهاية ١٣/١٥٦ ؛ لسان الميزان ٥/٣١١ - ٣١٥ ؛ الطبقات الكبرى للشعراني ١/١٨٨ ؛ الأعلام ٦/٢٨١ - ٢٨٢ ؛ وانظر المجلد الأول من الفهارس العامة لمجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية (ط. الرياض) ، ص ٣٢ - ٣٩ .

(٥) أشار ابن تيمية في كتاب " درء تعارض العقل والنقل ٣/٢٦٣ الى ماذكره الآمدى في التوحيد ، ثم قال : " وكان ابن عربي صاحب " الفصوص " و " الفتوحات " وغيرهما يعظم طريقته ، ويقول : ان الطريقة التي ابتكرها في التوحيد طريقة عظيمة أو ماهو نحو هذا ، حتى أفضى الأمر ببعض أعيان القضاة الذين نظروا في كلامه الى أن قال : التوحيد لا يقوم عليه دليل عقلي ، وانما يعلم بالسمع ... " .
وقد تصفحت كتاب " فصوص الحكم " وكتاب " الفتوحات المكية " ولم أقف على ذكر للآمدى ، لكن ابن عربي قال في الفتوحات المكية ٢/٨٨ (ط. الهيئة المصرية) : " وهذه الأشياء لا توجد في الله تعالى ، فلا يعلمه العقل أصلا من حيث هو ناظر وباحث ... ولو نظر العاقل ... لعلم أن الله تعالى لا يعلم بالدليل أبدا ، . . . فمن أراد أن يعرف لباب التوحيد فلينظر في الآيات الواردة في التوحيد " . وانظر أيضا صفحة ١٠٠ .

وهذا الدليل الفلسفي الذى ذكره مصنِّف هذه العقيدة على التوحيد ؛ لما كان فاسداً حدثني الثقة من أصحابنا عن شيخ من أهل[1] أنه سمع هذا المصنِّف يقول للشيخ إبراهيم الجَعْبَرى[2] ـ رحمهما الله تعالى ـ : بتُّ البارحة أفكِّر في دليل عقليّ على التوحيد ليس له معارض فلم أجد ، فأجابه الجعبرى بما يناسب حال نفسه ؛ وقال له : كنت قلت : (قل هو الله أحد . الله الصمد . لم / يلد ولم يولد . ولم يكن له كفوا أحد .) .

ج ١٩

فصل

أنواع التوحيد

والكلام في التوحيد يتضمن ثلاثة أنواع :

أحدها ـ الكلام في الصفات .

والثاني ـ توحيد الربوبية ، وبيان أن الله خالق كل شيء .

والثالث ـ توحيد الإلهية ؛ وهو عبادة الله وحده لا شريك له .

توحيد الصفات

أما الأول ـ فان نفاة الصفات أدخلوا نفي الصفات في مسمى " التوحيد " ، وهذه الطريق التي سلكها هؤلاء المتفلسفة النفاة للصفات في أن الواجب لا يكون معنيين ؛ قصدهم بها نفي ثبوت الصفات لله تعالى ، قالوا : لأن إثبات الصفات لله تعالى يستلزم تعدد الواجب .

الفرق بين مسلك ابن سينا ونحوه ومسلك سلفهم اليونانيين في الالهيات

وابن سينا ونحوه سلكوا في الإلٰهيات مسلكاً مركّباً من كلام سلفهم اليونانيين وكلام المعتزلة ، فإن قدماءهم الفلاسفة اليونانيين ؛ كلامهم في الإلهيات قليل ، وعلمهم بها ناقص جداً ـ وعامة كلامهم في الطبيعيات ـ ويُسمُّون

---

(١) من أهل : كذا في الأصل (ص) ، ويبدو أن ثمة كلمة ساقطة قد تكون اسم بلد .

(٢) هو أبو اسحاق ابراهيم بن عمر بن ابراهيم بن خليل الجعبرى ، الشافعي ، ولد سنة ٦٤٠ هـ بقلعة جعبر على الفرات ورحل الى بغداد وسكن دمشق مدة وأقام ببلد الخليل نحو أربعين سنة يقرىء الناس الى أن مات بها سنة ٧٣٢ هـ ، صنف في القراءات والعربية والعروض .
انظر عنه فوات الوفيات ١/ ٣٩ - ٤١ ، الوافي بالوفيات ٦/ ٧٣ - ٧٦ ، طبقات الشافعية للسبكي ٩/ ٣٩٨ - ٣٩٩ ؛ البداية والنهاية ١٤/ ١٦٠ ؛ الدرر الكامنة ١/ ٥١ - ٥٢ ؛ الأعلام ١/ ٥٥ - ٥٦ .

هذا العلم " علم ماقبل الطبيعة " باعتبار وجوده ، أو " علم مابعدها " باعتبار معرفته ؛ لكون الأمور الطبيعية يستدل بها عليه ، وهم يُسمُّون ذلك " الحكمة العليا " و " الفلسفة الأولى " .

وجعلوا موضوع هذا العلم هو الوجود المطلق بأقسامه الكبار ؛ مثل انقسام الوجود إلى جوهر وَعَرَض ، وإلى واجب وممكن ، وإلى قديم ومحدَث ، وإلى علةٍ ومعلول ، وإلى واحد وكثير .

ومن المعلوم أن الوجود الكُلِّي المنقسم إلى هذه ؛ هو وجميع أقسامه الكُلِّية لا يثبت كُلِّياً إلا في الأذهان لا في الأعيان ، اذ ليس في الخارج وجود كُلِّيٌّ مطلق ، بشرط كونه كُلِّياً مطلقاً ، ولا جوهر كُلِّيٌّ مطلق ، ولا عَرَض كُلِّيٌّ مطلق ، بل تقسيم الوجود الى هذه الأنواع من جنس تقسيم الذات أو الماهية أو الحقيقة أو المعلوم ، وإن كان بعض هذه الأسماء أعم من بعض ؛ فإن لفظ " المعلوم " يدخل فيه الموجود والمعدوم .

وكذلك لفظ " الذات " ، و " الماهية " عند من يزعم أن لها تحققاً في العدم ، وإن كان هذا القول خطئًا ، اذ[1] كان الصواب أن المعدوم ليس بشيء في الخارج ؛ وإن كان شيئاً في العلم .

وكذلك ماهيات الأشياء وحقائقها ليست في الخارج غير[2] الموجودات الثابتة في الخارج ، ولكن الذهن قد يتصورها وإن لم توجد ؛ فتكون ثابتة في التصور لا في الخارج . فأما أن يكون الذهن إذا تصوَّر مثلثاً ؛ ولم يعلم وجوده في الخارج ؛ يجب أن يكون له وجود في الخارج - فهذا خطأ بَيِّنٌ ، به يظهر خطأ[3] من جعل الوجود في الخارج أمراً زائداً على الحقائق الثابتة في الخارج .

وأما من فرَّق بين الحقائق والماهيات وبين وجودها ؛ وأراد بالماهيات ما في الذهن ، وبالوجود ما في الخارج فقد أصاب .

(١) في الأصل (ص) : اذا . ولعل الصواب ما أثبته .
(٢) في الأصل (ص) : عند . ولعل الصواب ما أثبته .
(٣) في الأصل (ص) : فهذا خطأ بين به خطأيظهر خطأ .

والمقصود هنا أنه إذا قيل: العلم الأعلى هو أمر كُلِّيٌّ مطلق، لم يكن المعلوم شيئا موجودًا في الخارج؛ لا واجبا ولا ممكنًا، وليس هذا هو العلم بالله تعالى، ولكنه عِلْمٌ/ بمعنى كلِّيٍّ عام؛ يتناول الواجب والممكن كالعلم بمسمّى "الذات" ومسمّى "الحقيقة" ومسمّى "الشيء" ونحو ذلك.

ظ ١٩

فإذا قيل: الشيء ينقسم إلى واجب وممكن، وقديم ومحدَث؛ لم يكن العلم بمسمّى "الشيء" أعلى العلوم؛ وإن كان عِلما بالمسمى الذى هو أعمُّ من غيره، سواء كان هو الأعم مطلقًا أو لم يكن.

العلم الأعلى هو العلم بالله تعالى

بل العلم الأعلى هو العلم بالله نفسه؛ الذى هو في نفسه أعلى الموجودات، والعلم به أعلى العلوم، وإرادة وجهه أعلى الإرادات، وذكره أعلى الأذكار، واسمه أعلى الأسماء؛ قال تعالى: (سبح اسم ربك الأعلى. الذى خلق فسوى. والذى قدر فهدى. والذى أخرج المرعى. فجعله غثاء أحوى.)[1]، فانه سبحانه هو في نفسه غنيٌّ عن كل ماسواه؛ وكل ماسواه مفتقر إليه، وهو ربُّ كلِّ ماسواه ومبدِعه؛ فوجود كل ماسواه مفتقر إلى وجوده، ووجوده غنيٌّ عن وجود كل ماسواه.

وكذلك العلم به باعتبار أشرف نوعَي الاستدلال؛ الذى يسمى برهان "لِمَ"، ويسمّى برهان العلة[2] - أصل للعلم بكل ماسواه، والعلم بما سواه فرع للعلم به

(١) سورة الأعلى: ١-٥.

(٢) في كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوى ١/١٥٠ "البرهان اما برهان "لم"، ويسمى برهانا لميا وتعليلا أيضا، أو برهان "ان"، ويسمى برهانا انيا واستدلالا أيضا.

لأن الحد الأوسط في البرهان لا بد أن يكون علة لنسبة الأكبر الى الأصغر في الذهن، أى علة للتصديق بثبوت الأكبر للأصغر فيه، فان كان مع ذلك علة لوجود تلك النسبة في الخارج أيضا فهو برهان "لمي"، لأنه يعطي اللمية في الخارج والذهن، كقولنا: هذا متعفن الأخلاط، وكل متعفن الأخلاط فهو محموم، فهذا محموم. فتعفن الأخلاط كما أنه علة لثبوت الحمى في الذهن كذلك علة لثبوتها في الخارج.

وان لم يكن علة لوجودها في الخارج، بل في الذهن فقط، فهو برهان "اني"، لأنه مفيد انية النسبة في الخارج، دون لميتها، كقولنا: هذا محموم، وكل محموم متعفن الاخلاط، فهذا متعفن الأخلاط. فالحمى وان كانت علة لثبوت تعفن الأخلاط في الذهن، الا أنها ليست علة له في الخارج، بل الأمر بالعكس.

والحاصل أن الاستدلال من المعلول على العلة برهان "اني"، وعكسه برهان "لمي". / =

باعتبارات متعددة ، فلا يكون الإنسان عالماً بغيره على الوجه الذى ينبغي حتى يعلم مابه وُجد وتحقق ، وذلك لا يكون إلا مع العلم بالله تعالى ؛ ولهذا لا يزال العقل يَطلب للموجود - الذى لم يوجد بنفسه - مابه وُجد ؛ سواء سمّي ذلك مؤثرا أو فاعلا أو علة فاعلة أو صانعا أو ربًّا ، حتى ينتهي النظر إلى الله سبحانه وتعالى فحينئذٍ يقف الطلب .

ولهذا كان أول ما أنزل اللّه على نبيّه : (اقْرَأ باسم ربك الذى خلق . خلق الانسان من علق . اقرأ وربك الأكرم . الذى علم بالقلم . علم الانسان مالم يعلم .)[1] فبَيَّن[2] أنه هو الذى خلق الأعيان الموجودة ، وعلَّم العلم ؛ فوجوده أصل كل وجود ، وعلمه أصل كل علم .

والمصدر يضاف إلى الفاعل تارة ، وإلى المفعول أخرى ؛ كما يقول : (ذِكْر الله) . يريد الذِّكر الذى هو ذكره وهو كلامه ، ويريد به ذكر العبد ربه . ويقول : (خَلْق الله) . يريد به أنه خالق ، ويقول : (خَلْق السموات والأرض) . يريد به كونها مخلوقة .

فعلمُ الله بالمعنى الأول هو كونه عالما ، وبالمعنى الثاني كونه معلوما ، وهو بكلا الاعتبارين أصل لما سواه ؛ فإن الناس لا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء ، وعلَّم المخلوقات من علمه ماشاء ، والعلم به أعلى العلوم ، وغاية العلوم ومنتهى العلوم ، وتحقيق العلوم ، وأصل العلوم . وإن كان العلم[3] بغيره أسبق إلى بعض الأذهان من العلم به ، أو يكون دليلا على العلم به - فالعلم به مع كونه أعلى وأكمل وأنفع ، فإن الحاجة اليه ضرورية ، وإنه لا صلاح للعبد إلا به ، ولا سعادة بدونه ، فهو أصل لتحقيق تلك العلوم التي به تستحق أن تكون علوما .

/ * وانظر كتاب " منهاج السنة " لابن تيمية ١/ ١٧٧ تحقيق الدكتور محمد رشاد سالم ؛ وكتاب " الحروف " للفارابي ، ص ٢٠٤ ؛ وكتاب " البرهان " لابن سينا ، ص ٧٨- ٨٤ ، وهو الفن الخامس من منطق كتاب الشفاء ، تحقيق الدكتور أبو العلا عفيفي . ط. الأميرية بالقاهرة ١٣٧٥هـ - ١٩٥٦م ، والمعجم الفلسفي ، ص ٣٣ .

(١) سورة العلق : ١- ٥ .

(٢) الأصل (ص) : فبين .

(٣) الأصل (ص) : العلوم . ولعل الصواب ما أثبته .

وكلام الفلاسفة اليونانيين كأرسطو وأتباعه في الإلهيات؛ مع كونه قليلا ففيه خطأ / كثير، وليس في كلامهم ذكر واجب الوجود؛ وإنما يقولون: "العلة الأولى".

ج ٢٠

وهم لم يسلكوا في إثباته[1] الطريقة التي سلكها متأخروهم المنتسبون للإسلام كابن سينا، وإنما أثبتوه بطريق الحركة؛ فأثبتوا أنه علةٌ غائيةٌ؛ بمعنى أن الفلك يتحرك للتّشبه به، فإنهم لما اعتقدوا أن حركة الفلك شوقية اختيارية قالوا: إن الحركة الشوقية لا بدّ لها من محرِّك لا يتحرك، وهو يحرِّكها كما يحرِّك المعشوقُ عاشقَه، وليس هو عندهم أنه يحب ذات الرّب، بل يحب التَّشَبُّه[2] به؛ فتحريكه له كتحريك الامام المقتدَى به للمأموم المقتدِي، هذا هو الذى صرّح به أرسطو في آخر كلامه في الإلهيات، وهي مقالة "اللام"[3].

وقد سلك مسلكهم مَن تصوَّف على طريقهم من المتأخرين؛ ولهذا قالوا: "إن الفلسفة هي التَشَبُّه بالإله على قدر الطاقة"، فجعلوها من جنس تحريك المراد للمريد، كتحريك الطعام للاكل، والمحبوب للمحبّ. قالوا: وذلك أن الفلك يتحرك للتّشبه بالعلة الأولى، ولا قوام له إلا بالطبيعة[4]، ولا قوام لطبيعته إلا بحركته، ولا قوام لحركته إلا بالمحبوب الذى يتحرك الفلك للتّشبّه به.

---

(١) الأصل (ص): اثبات. ولعل الصواب ما أثبته.

(٢) الأصل (ص): التشبيه.

(٣) وردت هذه الفكرة في "مقالة اللام" ضمن كتاب "أرسطو عند العرب" لعبدالرحمن بدوى، فيها يقول أرسطو (ص ٥ - ٦): "... فان كانت السماء تتحرك حركة دائمة أزلية، فالمحرك لها بهذه الصفة، وان كان هاهنا شيء يحرك بأن يتحرك، فيجب أن يوجد شيء يحرك من غير أن يتحرك هو جوهر، وذاته فعله، وتحريكه انما هو على طريق أنه معشوق ومعقول، فالأشياء المحركة على هذه الجهة انما تحرك من غير أن تتحرك، وفي المبادىء الأول، المعشوق والمعقول هما شيء واحد".

(٤) الأصل (ص): بالطبيعية.

وهذا الذى ذكروه مع ما فيه من المقدمات الباطلة ؛ غايته أنهم جعلوا حركة الفلك علة غائية ، لا علة فاعلة ، ولم يثبتوا واجبا بنفسه أبدع الأفلاك ، وقد بسط الكلام عليهم في غير هذا الموضع .

والمقصود هنا أن ابن سينا وأتباعه ركّبوا مذهبًا من قولهم ومن قول الجهمية نفاة الصفات من المعتزلة وغيرهم - كما سنبيّن طريقة أولئك - فأثبتوا واجب الوجود : بأن الوجود لابدّ له من واجب ، ثم أخذوا يصفون الواجب الذى ادّعوا ثبوته بما لادليل عليه ، وسمّوا هذا " العلم الإلهي " ، وذكروا مايُقَرِّبه إلى ماجاء به الأنبياء ، وتكلّموا في النبوات بما لايناقض أصول سلفهم ؛ إذْ كان أولئك الفلاسفة ليس لهم في النبوات كلام معروف ، وليس لها ذكر في كتب أرسطو وأمثاله لابنفيٍ ولا بإثبات .

والجهمية وغيرهم أثبتوا الصانع بطريقة الاستدلال بحدوث الأجسام ؛ وأنها لاتخلو عن الحوادث ؛ ومالا يخلو عن الحوادث فهو حادث . وبنوا على ذلك نفي صفات الربّ تعالى ؛ وأنه لو قامت به الصفات والأفعال للزم أن يكون محدَثًا ، وقالوا : التوحيد هو أن يُجعل القديم شيئًا واحدا ، فلا تُثبت له صفة قديمة ؛ لأن إثبات صفة للقديم يوجب تعدد القديم .

فلما كان شعار هؤلاء أن القديم لايتعدد ، أخذ ابن سينا وأتباعه معنى ذلك منهم ؛ وقالوا : الواجب لايتعدد ، وصار هؤلاء يدّعون وحدة الواجب ، كما يدّعي أولئك وحدة القديم ، ويدّعي كلٌ من هؤلاء أن هذا هو التوحيد ، وأن / إثبات الصفات تشبيه وتركيب . ظ ٢٠

ومن المعلوم لكل من عرف ماجاءت به الرسل أن التوحيد الذى أرسل الله به رسله وأنزل به كتبه لم يتضمن نفي صفات الله ، بل الكتب الإلهية مملوءة بإثبات صفات الله تعالى ، وكذلك العقل الصريح هو موافق لما جاءت به الكتب الإلهية من إثبات صفات الكمال لله تعالى .

وقول هؤلاء بامتناع إثبات واجبَيْن قديمَيْن : لفظ فيه إجمال وإبهام؛ فإن أريد بذلك نفي إلٰهَيْن واجبَيْن أو إلٰهَيْن قديمَيْن فهذا حق لا ينازع فيه مسلم ، وكذلك إن عنوا نفي موجودَيْن قائمَيْن بأنفسهما واجبَيْن أو قديمَيْن فهذا حق .

فهم وإن كان هذا بعض مرادهم فلم يقتصروا عليه ، بل أرادوا نفي صفات الله الواجبة القديمة : كعلمه وقدرته ، وحينئذ فنفي واجبَين قديمَين بهذا الاعتبار باطل .

وهم قد يقولون : لو كانت الصفة [ثابتة] لكانت[1] مشاركة له في أخص صفاته فتكون الصفة إلٰها ، ويدّعون أن من أثبت الصفات فقد قال بقول النصارى ؛ كما حكاه الإمام أحمد وغيره من أئمة السُّنة عنهم[2] ، وهو موجود في كلامهم ، وهذا باطل .

ومن المعلوم أن صفة الموصوف المحدَث الممكن : إذا وافقته في كونها محدَثة ممكنة - لم يلزم أن تكون مماثلة له ؛ فليست صفة النبي نبياً ، ولا صفة الإنسان إنساناً ، فكيف يجب أن تكون صفة الإلٰه إلٰها ؟! بل هو سبحانه إلٰه واحد ، مختص[3] بما لا يماثله فيه غيره من صفات الكمال ، متنزّه عن صفات النقص مطلقا ؛ وعن أن يكون له كفؤ في شيء من صفات الكمال ، وهذا الذى نبهّنا عليه هنا هو مبسوط في موضع آخر .

ومعرفة هذا من أهم الأمور ؛ فإن نفاة الصفات أدخلوا ذلك في مسمى " التوحيد " ، وجعلوا هذا جزءاً من مسمى " التوحيد " ، فلبّسوا بذلك

---

(١) الأصل (ص) : لو كانت الصفة لكانت . وقد رأيت محمد بن أحمد السفاريني في كتابه " لوامع الأنوار البهية " ، ص ١٤٧ - ١٤٨ نقل هذا الكلام عن كتاب " شرح الأصبهانية " وجاءت هذه العبارة كما أثبت .

(٢) تقدم نص كلام الامام أحمد في ذلك ، ص ٦٢ .

(٣) الأصل (ص) : مسحص . بلا نقاط .

على كثير من الناس ؛ إذْ كان مسمى " التوحيد " في غاية العظمة عند أهل الملل ،فإذا ظنّ من لم يعرف حقائق الأمور أن ماذكروه من النفي المستلزم للتعطيل : هو من التوحيد الذى بعث الله به الرسول ، انقلب دين الإسلام في نفسه ، فجعل ماهو داخل في التعطيل - الذى ذمّ الله به فرعون وغيره من الكافرين - هو من التوحيد الذى بعث الله به المرسلين ، ولهذا كان علماء الحديث يصنّفون الكتب في التوحيد ، ويذكرون[1] إثبات ما أثبته الله ورسوله من الأسماء والصفات مناقضة لهؤلاء النفاة .

ولما كان قول هؤلاء مستلزماً لتعطيل الخالق تعالى ؛ ولم يكن[2] عامتهم يهتدون الى هذا التلازم - صاروا بين أمرين : إما أن يعطّلوا العبادة ، ويغلب عليهم الغيّ واتباع الهوى والشهوات ؛ وإما أن تكون فيهم عبادة وتألّه ،/ وإذا صار فيهم عبادة وتألّه ، فالغالب عليهم الشرك بعبادة غير الله تعالى ؛ تارة يعبدون سبباً معيّناً من المخلوقات - إما مع القول بالحلول والاتحاد فيه وإما بدون ذلك - وتارة يقولون بالحلول والاتحاد في جميع المخلوقات ، فإن القائلين بالحلول والاتحاد : منهم من يقول به في شيء مُعيّن كالنصارى وأهل الإلحاد من الشيعة وغلاة الصوفية وغيرهم من المنتسبين إلى الإسلام ، ومنهم من يقول به في كل شيء كالجهمية القائلين بأن ذاته في كل مكان ، أو أنه وجود كل موجود ونحو ذلك ؛ فمن غلب عليه التعطيل من الجهمية لا يعبد شيئا ، ومن عبد منهم شيئا صار إلى الحلول ؛ ولهذا -كما قيل - متكلّمة الجهمية لا يعبدون شيئا ، ومتصوّفة الجهمية يعبدون كل شيء .

ج ٢١

---

(١) الأصل (ص) : يذكرون . وزدت الواو .
(٢) الأصل (ص) : وان يكن . ولعل الصواب ما أثبته .

وينظم[1] هذا اسمُ الانسان ؛ كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح : (أصدق الأسماء الحارث وهمّام)[2]. فكل إنسان حارث : أى كاسب عامل ، وهو همّام : كثير الهمّ ، الذى هو مبدأ الإرادة ، وهو - كما يقال - متحرك بالإرادة ، فكل إنسان لابدّ له من العمل بإرادته ؛ ولابدّ للإرادة من مراد ، والشيء إما أن يراد لنفسه وإما يراد لغيره ، وما أريد لغيره فذلك الغير إما أن يكون مراداً لنفسه ، وإما أن [يكون][3] مراداً لغيره ، والتسلسل في العلل ممتنع بالضرورة وإتفاق العقلاء سواء كانت العلّة فاعلية أو غائية ، فلا بدّ أن ينتهي الأمر إلى مراد لنفسه .

ولا يصلح أن يكون غير الله مراداً مقصوداً لنفسه ، كما لا يكون غيره موجودا بنفسه ، بل وحدانيته واجبة : في كونه ربّاً خالقاً ، وفي كونه إلٰهاً معبوداً ، فمن لم يكن الله معبوده الذى هو غاية مراده ، فلابُدَّ أن يعبد ماسواه ، فيكون ذلك مراده ، وحينئذ فيكون فاسد الإرادة ، فاسد العمل ، يضُرّه ذلك ولا ينفعه ، وهذا مما يبيِّن بعض معنى قوله تعالى :

---

(١) الأصل (ص) : وىىصم ، بلا نقاط ، ولعل الصواب ما أثبته ، جاء في " الصحاح " مادة " نظم " : " نظمت اللؤلؤ ، أى جمعته في السلك . . . والنظام : الخيط الذى ينظم به اللؤلؤ . . . والانتظام : الاتساق " .

(٢) الحارث وهمام : كذا في الأصل (ص) ، وكذا أورده ابن تيمية في " درء تعارض العقل والنقل ٨/ ٤٥٧، ٩/ ٣٧٢ .

والحديث في مسند الامام أحمد (ط . الحلبي) ٤/ ٣٤٥ ؛ وسنن أبي داود (عون المعبود) ١٣/ ٢٩٣ كتاب الأدب ، باب في تغيير الأسماء ؛ الأدب المفرد للبخارى ، ص ٢١١ ، عن عقيل ابن شبيب عن أبي وهب الجشمي - وكانت له صحبة - قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (تسموا بأسماء الأنبياء ، وأحب الأسماء الى الله عبد الله وعبد الرحمن ، وأصدقها حارث وهمام ، وأقبحها حرب ومرة) .

قال ابن حجر في تهذيب التهذيب ٧/ ٢٥٤ عن عقيل بن شبيب : " ذكره ابن حبان في الثقات وقال ابن القطان : مجهول الحال ، وكذا قال أبو حاتم في كتاب العلل " .

وقال ابن الأثير في النهاية ١/ ٣٦٠ " الحارث هو الكاسب ، والانسان لا يخلو من الكسب طبعا واختيارا " . وفي (٥/ ٢٧٤) : " همام هو فعال من هم بالأمر يهم ، اذا عزم عليه ، وانما كان أصدقها لأنه ما من أحد الا وهو يهم بأمر خيرا كان أو شرا " .

(٣) الأصل (ص) : واما أن مرادا . ولعل مازدته يستقيم به الكلام .

(إنّ اللّهَ لا يَغْفِرُ أنْ يُشْرَكَ بهِ)[1] ، وقوله تعالى : (لو كان فيهما آلِهَةٌ الا اللّهُ لَفَسَدَتا)[2].

والمعبود المراد المحبوب لا يكون إلا موجوداً ؛ فإن المعدوم لا يراد لذاته ،وما كان منفيّ الصفات لم يكن إلا معدوما ؛ فإن إثبات ذات بلا صفات ، أو وجود مطلق لا يتعين - إنما يتحقق في الأذهان لا في الأعيان ، فمن لم يثبت لله الصفات لم يحقق عبادته له ، فلهذا وغيره كان الشرك بعبادة غير الله واقعاً في نفاة الصفات .

فصل

توحيد الربوبية

والنوع الثاني - توحيد الربوبية ؛ كالإقرار بأن الله خالق كل شيء ، وأنه ليس للعالم صانعان متكافئان في الصفات والأفعال ، وهذا التوحيد حق لا ريب فيه ، وهو الغاية عند كثير من أهل النظر والكلام وطائفة من الصوفية .

وهذا التوحيد لم يذهب إلى نقيضه[3] طائفة معروفة من بني آدم ، ولم يُعرف عن أحد من الطوائف / أنه قال : " إن العالم له صانعان متماثلان في الصفات والأفعال " ، فإن الثنوية من المجوس والمانوية[4]

ظ ٢١

قول الثنوية

---

(١) سورة النساء : ٤٨ .
(٢) سورة الأنبياء : ٢٢ .
(٣) الأصل (ص) : نقيضيه .
(٤) الثنوية هم الذين قالوا بصدور العالم عن أصلين : النور والظلمة .
ويظهر من كلام الشهرستاني في الملل والنحل ٢ / ٧٢-٩٣ أنه يقسم الثنوية الى قسمين ، فهو يتحدث أولا (٢ / ٧٣- ٨٠) عمن يسميهم "المجوس الأصلية" ، وهؤلاء قالوا : ان الأصلين لا يجوز أن يكونا قديمين أزليين ، بل النور أزلي ، والظلمة محدثة ، ثم يتحدث (٢ / ٨٠- ٩٣)عن الثنوية أصحاب الاثنين الأزليين القديمين .
وقال عن المجوس الأصلية : ان لهم اختلافا في سبب حدوث الظلمة " أمن النور حدثت؟ والنور لا يحدث شرا جزئيا ، فكيف يحدث أصل الشر ! أم شيء آخر ؟ ولا شيء يشترك [مع] النور في الاحداث والقدم ، وبهذا يظهر خبط المجوس" .
وفصل أقوال فرق هذا القسم ، فذكر (الكيومرثية) أصحاب كيومرث ، وهؤلاء قالوا : " ان يزدان [بالفارسية يعني النور] فكر في نفسه أنه لو كان لي منازع كيف يكون ؟ وهذه الفكرة رديئة غير مناسبة لطبيعة النور فحدث الظلام من هذه الفكرة ، وسمي " أهرمن " [بالفارسية يعني الظلمة] ".
وأوضح كيف أن الظلمة خالفت النور ، وجرت محاربة بين عسكريهما ، وتوسط الملائكة وصالحوهما.
وذكر (الزروانية) الذين قالوا : ان النور أبدع أشخاصا من نور كلها روحانية نورانية ربانية ، لكن / =

القائلين بالأصلين : النور والظلمة ، وأن العالم صدر عنهما - متفقون على أن النور خير من الظلمة ؛ وهو الإله[1] المحمود عندهم ، وأن الظلمة شريرة مذمومة ، وهم متنازعون في الظلمة هل هي قديمة أو محدَثة ؟ فلم يثبتوا[2] ربَّين متماثلين .

قول النصارى

وأما النصارى القائلون بالتثليث فإنهم لم يثبتوا للعالم ثلاثة آلهة أرباب ينفصل بعضهم عن بعض ، بل هم متفقون على أن صانع العالم واحد ؛ ويقولون : باسم الأب والابن وروح القدس إله واحد .

= / الشخص الأعظم الذى اسمه زروان شك في شيء من الأشياء فحدث اهرمن : من ذلك الشك ، وقالت هذه الفرقة بنحو ماقالت الكيومرثية من الخلاف والحرب وتوسط الملائكة والصلح .

ثم ذكر (المسخية) و (الخرمدينية) ، وهؤلاء قالوا : ان النور كان وحده نوراً محضا ، ثم انمسخ بعضه فصار ظلمة .

وذكر (الزرادشتية) وهم يعتقدون أن الله بعث زرادشت بن بورشب نبيا رسولا ، وأنه قال : النور والظلمة أصلان متضادان ، وهما مبدأ موجودات العالم ، والبارى تعالى خالقهما ومبدعهما ، وهو واحد لا شريك له ولا ضد ولا ند ، ولا يجوز أن ينسب اليه وجود الظلمة ، لكن انما حصل الخير والشر من امتزاج النور والظلمة ، والبارى مزجهما لحكمة ، وربما قال : النور أصل أبدعه الله ، وحصلت الظلمة تبعا ، لا بالقصد الأول .

ثم فصل الشهرستاني أقوال فرق القسم الثاني ، فذكر (المانوية) أصحاب ماني بن فاتك ، وكان بعد عيسى عليه السلام ، وأخذ دينا بين المجوسية والنصرانية ، و (المزدكية) أصحاب مزدك الذى ظهر في أيام قباد والد أنو شروان ، وهو القائل باشتراك الناس في النساء والأموال ، و (الديصانية) أصحاب ديصان ، وهو أقدم من ماني ، و (المرقونية) .

وقال ان (المرقونية) أثبتوا أيضا أصلا ثالثا هو المعدل الجامع بين النور والظلمة ، ومنزلته دون النور وفوق الظلمة ، ونقل أن (الديصانية) زعموا أن المعدل هو الانسان ، اذ هو ليس بنور محض ولا ظلام محض .

لمزيد من البيان عن الثنوية يراجع : سائر كلام الشهرستاني في الملل والنحل ٢ / ٧٢ - ٩٣ ؛ أصول الدين للبغدادى ، ص ٥٣ - ٥٤ ، ٥٩ ، ٨٢ ، ٨٣ ، ١٢٥ ؛ الفصل لابن حزم ١ / ٣٤ - ٤٤ ؛ الشامل للجويني ، ص ٢٤٣ - ٢٤٤ ؛ الحور العين لنشوان ، ص ١٣٥ - ١٤٣ ؛ تلبيس ابليس ، ص ٤٣ - ٤٥ ، ٧٥ - ٧٧ ؛ اعتقادات فرق المسلمين والمشركين للرازى ، ص ١٣٤ - ١٤٢ ؛ اغاثة اللهفان من مصايد الشيطان ٢ / ٢٣٩ - ٢٤١ ؛ الخطط للمقريزى ٢ / ٣٤٤ .

(١) الأصل (ص) : الالهة .

(٢) الأصل (ص) : يسوو .

وقولهم في التثليث قول متناقض في نفسه ، وقولهم في الحلول أفسد منه ؛ ولهذا كانوا مضطربين في فهمه وفي التعبير عنه ، وكانوا يكتمون قولهم عن كثير من أصحابهم ؛ فإنهم إذا فهموه نفروا عنه بفطرة عقولهم .

وكذلك الجهمية تكتم حقيقة قولها عن أتباعهم ، وكذلك الملاحدة يكتمون حقيقة قولهم عن أكثر أتباعهم ؛ لأن المقالات الفاسدة في الإلهيات قد فطر الله عباده على العلم بفسادها بعد التصور التام .

ولهذا لا يكاد أحد من النصارى يعبّر عن قولهم بمعنى معقول ، ولا يكاد اثنان يتفقان على معنى واحد ؛ فإنهم يقولون : " هو واحد بالذات ثلاثة بالأقنوم " ، والأقانيم تفسَّر تارة بالخواص ، وتارة بالصفات ، وتارة بالأشخاص .

ويقولون : " إن الأقانيم هي أقنوم الأب وأقنوم الابن وأقنوم روح القدس " ، ويفسّرون الأب بالوجود ، والابن يعبّرون عنه بالكلمة وبالعلم ، وروح القدس بالحياة وتارة يقولون : هو القدرة .

فتارة يقولون : هو موجود حي عليم ، أو موجود حي عليم ناطق ، وتارة : موجود حي عليم قدير ، ويقولون : إن المتحد بالمسيح هو أقنوم الكلمة .

وكثير منهم يقول : إن هذا مثل قولك : " زيد الكاتب الحاسب الطبيب " ، فهو مع الكتابة شيء ومع الحساب شيء ومع الطب شيء ؛ فهكذا الخالق مع وجوده شيء ومع علمه ومع حياته شيء ، وهذا عند التحقيق يرجع إلى إثبات الصفات لموصوف واحد ، لكن ضلّوا في جعلها ثلاث صفات فقط ، إذ لا فرق بين العلم وبين القدرة .

وأيضا فهم يجعلون[1] أقنوم الكلمة إلها وأقنوم الروح إلها ، مع قولهم :

---

(١) في الأصل (ص) : ويجعلون .

" إن الإله واحد " ، ويقولون : " إن المتحد بالمسيح هو أقنوم الكلمة ،وإن المسيح هو إله يخلق ويرزق ".

وهذا تناقضٌ بيِّن ؛ فإن المتحد بالمسيح إن كان هو الذات الموصوفة فهو الأب ، فيكون المسيح هو الأب[1] والابن وروح القدس ، وهم مع قولهم : " إنه الله " يقولون : " إنه ابن الله " ولا يقولون : إنه الأب .

وإن كان المتحد بالمسيح هو صفة العلم والكلام : فالصفة لا تقوم بنفسها ولا تكون إلٰها ، ولا تخلق ولا ترزق .

ج ٢٢ وإن قالوا : " المتحد هو الذات مع هذه / الصفة ، دون الصفة الأخرى " ، فالصفة الأخرى لا تفارق الذات ،ولا تقوم [بغير الذات][2] وليس هنا ثلاث ذوات قائمة بأنفسها .

وفي الجملة فقولهم متناقض في نفسه باتفاق كل عاقل تصوَّرَ قولهم ،لكنهم مع هذا لا يقولون بإثبات خالقَيْن متماثلَيْن .

ومبدأ ضلالهم تمسكهم بألفاظ متشابهة لم يردوها إلى المحكم ؛ فإن [ما]ينقلونه[3] في الإنجيل الذى بأيديهم ، إن كان حقاً ، وأن المسيح قال لهم :" عمِّدوا الناس باسم الأب والابن وروح القدس[4]"، فالاسم " الأب " في لغتهم بمعنى المربِّي ، وهذا كثير في الإنجيل الذى بأيديهم ؛ كقوله : " تشبَّهوا بأبيكم السماوى " وقوله :" أبي وأبيكم[5] ".

---

(١) الأصل (ص) : الأرب .
(٢) الأصل (ص) : ولا تقوم . ولعل مازدته يقيم الكلام .
(٣) الأصل (ص) : فان ينقلونه .
(٤) في انجيل متى ،الاصحاح الثامن والعشرين ، (ص ٥٠) من العهد الجديد ضمن الكتاب المقدس ط. العيد المئوى ١٩٨٣م ، ورد القول التالي منسوبا للمسيح :" فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم ، وعمدوهم باسم الأب والابن والروح القدس".
(٥) في انجيل متى ، الاصحاح الخامس، (ص ٩) ورد منسوبا الى المسيح مايلي :" لكي تكونوا أبناء أبيكم الذى في السموات . . . فكونوا أنتم كاملين ، كما أن أباكم الذى في السموات كامل" ، وفي الاصحاح السادس، (ص ١٠) :" يغفر لكم أيضا أبوكم السماوى" ، وفي الاصحاح الثامن عشر، (ص ٣١) : " فهكذا أبي السماوى يفعل بكم ".
وفي انجيل يوحنا ، الاصحاح العشرين ، (ص ١٦٩) النص التالي :" قال لها يسوع : يامريم ! / =

وحينئذ فالابن بمعنى المربّي المصطفَى ، وروح القدس هو جبريـــــل ، والمعنى يتضمن الإيمان بالله ، وبنبيّه الذى أرسله ، وبالملك الذى جـــاء بالوحي ، وبهذا يتم الإيمان . أو يراد بروح القدس الوحي الذى أُنزل عليه وهو الكتاب ، أو مجموع الأمرين ؛ قال تعالى : (وآتَيْنا عيسى بنَ مَرْيَمَ البَيِّنَاتِ وأيَّدْناه برُوح القُدُسِ)(١) ، وقال تعالى : (وكذلكَ أوْحَيْنَا اليكَ رُوحاً من أمْرِنا)(٢) ، وقال تعالى : (أولئك كَتَبَ في قُلوبِهِمُ الإيمان وأيَّدَهُمْ برُوحٍ منه)(٣) .

وأصل ضلالهم أنهم فرّقوا بين المتماثلين في صفات الله تعالى وصفات رسوله ، فلا يمكنهم إثبات خصيصة للمسيح يكون بها أفضل من إبراهيم وموسى ، بل كل مايدّعونه في المسيح : إن كان ممكناً فهو ممكن لإبراهيم وموســـى ، وإن كان ممتنعا فهو ممتنع في المسيح وغيره ، وهذا مبسوط في موضعه(٤) .

والمقصود هنا أنه ليس في الطوائف من يثبت للعالَم صانعَيْن متماثلَيْن، مع أن كثيراً من أهل الكلام والنظر والفلسفة تعبوا في إثبات هذا المطلوب وتقريره ؛ ومنهم من اعترف بالعجز عن تقرير هذا بالعقل ، وزعم أنه يُتلقى من السمع ؛ ومنهم من يطعن في طرق غيره ، ويذكر طريقةً أضعف مما زيّفه كالآمدى ونحوه .

= / فالتفتت تلك ، وقالت له : ربوني ! - الذى تفسيره يامعلم - قال لها يسوع : لا تلمسيني ، لأنـــي لم أصعد بعد الى أبي ، ولكن اذهبي الى أخوتي ، وقولي لهم : اني أصعد الى أبي وابيكم والهي والهكم " .

وانظر مادة " أب " في " الفهرس العربي لكلمات العهد الجديد اليونانية " للقس غسان خلف (ط. دار النشر المعمدانية ، بيروت ، ص ٥٩٣ - ٥٩٦ .

(١) سورة البقرة : ٨٧ .

(٢) سورة الشورى : ٥٢ .

(٣) سورة المجادلة : ٢٢ .

(٤) في كتاب " الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح " تكلم ابن تيمية عن غلو النصارى في المسيح عليه السلام ، وقولهم بالتثليث ، واعتمادهم على ألفاظ متشابهة في أناجيلهم التي بـــين أيديهم . انظر على وجه الخصوص ١ / ١٧٠ - ١٧٤ ، ٢٣٥ - ٢٤١ ، ٢ / ٩٠ ، ٣ / ١٩٦ - ١٩٩ .

صحة دليل التمانع وخطأ الآمدي في الاعتراض عليه

والمشهور عند النُّظَّار إثبات هذا بدليل التمانع ، وهو دليل صحيح في نفسه ، لكن من المتأخرين من لم يفهم وجه تقريره كالآمدي وغيره فزيّفوه[(١)] .

وذلك أن وجه تقريره المشهور : أنه لو كان للعالم صانعان متكافئان ؛ فعند اختلافهما مثل أن يريد أحدهما تحريك جسم ويريد الآخر تسكينه ، أو يريد الآخر إحياءه ويريد الآخر إماتته - إما أن يحصل مرادهما ، أو مراد أحدهما ، أو لا يحصل مراد واحد منهما ؛ والأول ممتنع ، لأنه يستلزم الجمع بين الضدين ؛ والثالث ممتنع ، لأنه يلزم خلو الجسم عن الحركة والسكون، وهو ممتنع ، ويلزم أيضا عجز كل منهما والعاجز لا يكون إلٰهاً ،ولأن المانع من فعل أحدهما هو فعل الآخر ، فلو امتنع مرادهما لزم كون كل منهما مانعا للآخر وممنوعا / للآخر ،وذلك يستلزم كون كل منهما قادراً غير قادر؛ لأن كونه مانعا يقتضي القدرة ، وكونه ممنوعا يقتضي العجز ،وذلك تناقض[(٢)]. وإذا حصل مراد أحدهما دون الآخر كان هذا هو الإله القادر ؛ والآخر عاجز لا يصلح للألٰهية .

ظ ٢٢

فأوردوا عليهم سؤالاً ؛ وهو أنه يجوز أن يتفقا فلا يختلفا ؛وحينئذ فلا يلزم ماذكرتم .

فأجابوا عنه بأجوبة متعددة ؛ كقولهم : إن جواز اختلافهما ممكن من كل منهما حال انفراده ،فإن كلاً منهما قادر على التحريك والإحياء ،وعلى التسكين والإماتة ،لولا معارضة الآخر، وذلك ممكن منه ؛ فلو قُدِّر ممتنعا حال وجود الآخر لزم أن يكون كل منهما ممنوعاً بالآخر وهذا عجز ينافي الإلهية .

---

(١) انظر نقد الآمدي لدليل التمانع في كتاب " غاية المرام "،ص ١٥١-١٥٢ ،وفي كتاب " أبكار الأفكار " (مخطوط) الجزء الأول وجه وظهر ورقة ١٦٨ ، ووجه ورقة ١٦٩ .
(٢) الأصل (ص) : سامص به : بلا نقاط.

فقال المعترض : هذا بمنزلة القدرة على كل من الضدين على سبيل البدل لاعلى سبيل الجمع ؛ فإن القدرة ثابتة على تحريك الجسم المعيّن وعلى تسكينه لكن على سبيل البدل ، فأما على سبيل الجمع فلا ؛ فكذلك قدرة كل منهما على [ذلك] تكون(١) حال الانفراد ، لا حال الاجتماع .

وهذا مما اعترض به الآمدي وغيره(٢) ، وهو باطل ؛ فإن القدرة على كل من الضدين على سبيل البدل لا توجب عجز القادر ولا تنافي كمال قدرته ؛ إذ الجمع بين الضدين ممتنع لنفسه ، وليس بشيء باتفاق العقلاء ، فلا يدخل في مسمى قوله تعالى : (على كل شيء قدير) . إذْ لا حقيقة لهذا في الخارج أصلا ، ولكن الذهن يفرضه ليعرف امتناع ثبوته في الخارج ، وأما القادر إذا كان ممنوعا من غيره لا يقدر مع وجود الغير على مايقدر(٣) عليه حال عدمه ؛ فإنه يلزم أن يكون عاجزاً ممنوعاً بغيره ، وهذا يقدح في قدرته .

والعقل الصريح يفرّق بين من لا يكون قادرا متمكناً إلا في حال انفراده ، لا في حال وجود نظيره ، وبين من يكون قادرا مطلقا ، فيعلم أن الأول عاجز ، قدرتُه مشروطةٌ بتمكين الغير له ، بخلاف الثاني .

وكثير من أهل النظر يزعمون أن دليل التمانع هو معنى قوله تعالى : (لو كان فيهما آلِهَةٌ الا اللّهُ لَفَسَدَتَا(٤)) ، لاعتقادهم أن توحيد الربوبية الذى قرروه ، هو توحيد الإلهية الذى بيّنه القرآن ، ودعت إليه الرسل

---

(١) الأصل (ص) : على تكون . ولعل الكلام يستقيم بما زدته .

(٢) بعد أن ذكر الآمدى دليل التمانع في كتابه " أبكار الأفكار " قال (١/ظ ١٦٨) : " وفيه نظر ؛ اذ لقائل أن يقول : ماذكرتموه من الأقسام المحالة انما هو فرع تصور اختلاف الالهين في الارادة ، وهو غير مسلم ، فلئن قلتم : دليل تصور ذلك من خمسة أوجه . . . " وذكر هذه الوجوه واعترضها (١/ظ ١٦٨ - ج ١٦٩) ، ومنها الوجه الذى ذكره ابن تيمية هنا .

(٣) الأصل (ص) : مايقدر ، بلا نقاط .

(٤) سورة الأنبياء : ٢٢ .

وليس الأمر كذلك ،بل التوحيد الذى دعت إليه الرسل ، ونزلت به الكتب، هو توحيد الإلٓهية المتضمن توحيد الربوبية ، وهو عبادة الله وحده لا شريك لـه .

اقرار مشركي العرب بتوحيد الربوبية

ج ٢٣

فإنَّ المشركين من العرب كانوا يُقرّون بتوحيد الربوبية ،وأن الله خالق السموات والأرض واحدٌ ؛ كما أخبر عنهم تعالى بقوله : (وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمواتِ والأرضَ ليقولُنَّ اللهُ قُلِ الحمدُ للهِ بل أكثرهم/لا يعلمون)[١]، وقال تعالى : (ولئِنْ سألْتَهم مَنْ خَلَقَ السَّمواتِ والأرضَ وسَخَّر الشمسَ والقمرَ ليقولُنَّ اللهُ فأنّى يؤفكون)[٢] (وَلَئِنْ سَأَلْتَهم مَنْ نَزَّلَ من السَّماءِ ماءً فأَحْيَا به الأرضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِها ليقُولُنَّ اللهُ قل الحمد للّه بلْ أكثرهُم لا يعقلون)[٣]، وقال تعالى : (ولَئِنْ سَأَلْتَهم مَنْ خَلَقَ السَّمواتِ والأرْض ليقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ العزيزُ العليم)[٤]، وقال تعالى : (وَلَئِنْ سألْتَهم مَنْ خَلَقَ السَّمواتِ والأرضَ ليقولُنَّ اللهُ قُلْ أفرأيتُم ماتَدْعُون من دُونِ اللهِ إنْ أرادَني اللهُ بضُرٍّ هل هُنَّ كاشفاتُ ضُرِّه أو أرادني برحمةٍ هل هنَّ ممسكاتُ رحمته قل حسبي اللهُ عليه يتوكَّلُ المتوكِّلون)[٥] .

وأيضا ففي القرآن العزيز من باب استفهام الإنكار، الذى يتضمن إقرارهم بتوحيد الربوبية ، مايطول ذكره هنا ؛ كقوله تعالى : (قُلْ أرَأَيْتُمْ إنْ أَخَذَ اللّهُ سمعَكُمْ وأبصارَكُمْ وخَتَمَ على قلوبِكُمْ مَنْ إلٓهٌ غيرُ اللهِ يأتيكم به)[٦]، وقوله تعالى : (أمَّنْ خَلَقَ السَّمواتِ والأرضَ وأنْزَلَ لكم مِنَ السَّماءِ ماءً فأنبتْنَا به حدائقَ ذاتَ بهجَةٍ ماكان لكم أن تُنْبِتُوا شَجَرَها أ إلٓه مع اللهِ بل هُمْ قومٌ يَعْدِلُون)[٧] .

---

(١) سورة لقمان : ٢٥ .
(٢) سورة العنكبوت : ٦١ .
(٣) سورة العنكبوت : ٦٣ .
(٤) سورة الزخرف : ٩ .
(٥) سورة الزمر : ٣٨ .
(٦) سورة الأنعام : ٤٦ .
(٧) سورة النمل : ٦٠ .

وهذا في القرآن كثير، مما يحتج عليهم في إثبات توحيد الإلٰهية بما اعترفوا به من توحيد الربوبية .

وقال تعالى : (قُلْ لِمَنْ الأرْضُ ومن فيها إنْ كُنتُمْ تَعْلَمون . سيقولون للّٰه قل أفلا تَذَكَّرون) الآيات الثلاث[1].

ولم يكونوا يعتقدون في الأصنام أنها مشاركة لله في خلق العالم ، بل غالب شرك الأمم كان حالهم فيها كحال أمثالهم من مشركي الأمم من الهند والترك والبربر من سببين:
(- تعظيم قبور وغيرهم : تارة يعتقدون أنها تماثيل قوم صالحين من الأنبياء، الصالحين ، وتماثيل الصالحين
ويتخذونهم شفعاء يتوسلون بهم إلى الله .

وهذا كان أصل شرك العرب ؛ فإنه قد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم : (أن عمرو بن لُحَيٍ بن قَمَعَة بن خِنْدِف هو أول من غيَّر دين إبراهيم عليه الصلاة والسلام ، ونصب الأنصاب حول البيت ، وسَيَّب السوائب ، وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم : (أنه رآه يَجُرُّ قُصْبَهُ في النار) أي أمعاءه[2].

---

(١) وهي قوله جل وعز : (قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم . سيقولون لله قل أفلا تتقون . قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه ان كنتم تعلمون . سيقولون لله قل فانى تسحرون .) سورة المؤمنون : ٨٤-٨٩ .

(٢) في صحيح البخارى (فتح البارى ٦/ ٥٤٧ رقم (٣٥٢١) كتاب المناقب، باب قصة خزاعة ؛ وصحيح مسلم (٤/ ٢١٩٢ رقم ٢٨٥٦) كتاب الجنة . . . ، باب النار يدخلها الجبارون . . . ؛ مسند أحمد (ط. المعارف ١٦/ ١٩ (٣- ٣٢٠ رقم ٨٧٧٣) عن أبي هريرة قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : (رأيت عمرو بن عامر بن لحي الخزاعي يجر قصبه في النار ، وكان أول من سيب السوائب) ، زاد أحمد (وبحر البحيرة) .

وجاء اسم عمرو كما أثبت ابن تيمية هنا في روايات أخرى لحديث أبي هريرة ، في صحيح البخارى ٦/ ٥٤٧ (رقم ٣٥٢٠) ، وفي صحيح مسلم ٤/ ٢١٩١ .

وروى ابن جرير الطبرى (ط. المعارف ١١/ ١١٧- ١١٨) بسنده - وهو في السيرة النبوية لابن هشام ١/ ٧٨- ٧٩ - عن محمد بن اسحاق عن محمد بن ابراهيم بن الحارث التيمي عن أبي صالح السمان عن أبي هريرة قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لأكثم بن الجون الخزاعي : (يا أكثم رأيت عمرو بن لحي بن قمعة بن خندف يجر قصبه في النار ، فما رأيت رجلا أشبه برجل منك به ، ولا به منك) فقال أكثم : عسى أن يضرني شبهه ، يا رسول الله ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لا ، انك مؤمن وهو كافر، انه أول من غير دين اسماعيل - في السيرة زيادة : فنصب الأوثان - وبحر البحيرة ، وسيب السائبة - في السيرة زيادة : ووصل الوصيلة - وحمى الحامي) .

وروى ابن جرير ١١/ ١١٩ ، والحاكم في المستدرك ٤/ ٦٠٥ باسناديهما عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة قريبا من هذا ، وفيه عند ابن جرير : (وهو أول من غير دين ابراهيم) / =

وكانت خزاعة ولاة البيت الحرام قبل قريش ، وكان عمرو هذا ـ فيما ذكره أهل السير ـ قد قدم أرض البلقاء من الشام فوجدهم يعبدون الأصنام ، ويقولون : إنهم يطلبون بهم الرزق والنصر . فجلب الأصنام إلى مكة ؛ فكان ذلك أوّل الشرك الذى غيّر به دين إبراهيم[(١)] .

وقد قال تعالى : (وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن وَدّاً ولا سُوَاعاً ولا يَغُوثَ ويَعوقَ ونَسْراً . وقد أضَلُّوا كثيراً)[(٢)] . وقد ثبت في صحيح البخارى وكتب التفسير وقصص الأنبياء وغيرها ،/ عن ابن عباس وغيره من السلف ، أن هذه أسماء قوم صالحين كانوا في قوم نوح ، فلما ماتوا عكفوا على قبورهم ، ثم صوّروا تماثيلهم ، ثم طال عليهم الأمد فعبدوهم ، وأن هذه الأصنام

ظ ٢٣

/ = وعند الحاكم : (وغير عهد ابراهيم) ، وقال الحاكم : " هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه " ، وصحح محمود شاكر هذين الخبرين في تفسير الطبرى (١١٨/١ ، ١١٩) .

وقد فسر سعيد بن المسيب ـ كما في صحيح البخارى (رقم ٣٥٢١) وصحيح مسلم ٢١٩٢/٤ : " البحيرة التي يمنع درها للطواغيت فلا يحلبها أحد من الناس ، والسائبة التي يسيبونها لآلهتهم فلا يحمل عليها شيء " ، وفي صحيح البخارى (٢٨٣/٨ رقم ٤٦٢٣) كتاب التفسير ، باب (ماجعل الله من بحيرة ...) زيادة : " والوصيلة الناقة البكر تبكر في أول نتاج الابل بأنثى ، ثم تثنى بعد بأنثى ، وكانوا يسيبونهم لطواغيتهم أن وصلت احداهما بالأخرى ، ليس بينهما ذكر ، والحام فحل الابل يضرب الضراب المعدود ، فاذا قضي ضرابة ودعوه للطواغيت وأعفوه من الحمل ، فلم يحمل عليه شيء ، وسموه الحامي " .

وفيه أحاديث أخرى ، في صحيحي البخارى (٨١/٣) ومسلم (٦١٩/٢) وسنن النسائي (١٠٧/٣) عن عائشة ، وفي صحيح مسلم (٦٢٢/٢) ومسند أحمد (ط. الحلبي) ٣٧٤/٣ عن جابر ، وفي مسند أحمد (ط. المعارف ١٣٠/٦) عن عبد الله بن مسعود .

(١) كانت ولاية البيت الحرام بعد اسماعيل عليه السلام في ولده ، ثم في جرهم ، ثم في خزاعة حيث صارت الى عمرو هذا ، ثم في قريش .

انظر عن ذلك ، وعن عمرو : اسمه وسيرته وخبر خروجه الى الشام وقدومه بالأصنام ودعوته العرب لعبادتها ـ: كتاب " الأصنام " لابن الكلبي ، ص ٨ - ٩ ، ٥٣ ؛ السيرة النبوية لابن هشام ٧٨/١ - ٨٢ ؛ تلبيس ابليس ، ص ٥٣ - ٥٦ ؛ اغاثة اللهفان من مصايد الشيطان ٢٠٣/٢ - ٢٠٧ ؛ البداية والنهاية ١٨٤/٢ - ١٩٣ ؛ فتح البارى ٥٤٧/٦ - ٥٤٩ ؛ الأعلام ٨٤/٥ .

(٢) سورة نوح : ٢٣ - ٢٤ .

بعينها صارت إلى قبائل العرب ؛ ذكرها ابن عباس قبيلةً قبيلةً[(١)].

فتبين أن شرك العرب كان من جنس شرك قوم نوح ، وأنّ الأصنام أصلها تماثيل قوم صالحين ، وشرك النصارى من هذا الجنس ؛ فإنهم يصوّرون في الكنائس صور من يحسنون به الظن ويتخذونه شفيعا ووسيلة إلى الله .

وقد ثبت في صحيح مسلم عن أبي الهَيَّاج الأسَدِي[(٢)] قال : قال لي علي بن أبي طالب رضي الله عنه : ألا أبْعَثُك على مابعثني عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ أمرني أن لا أدع قبراً مُشْرِفا إلا سَوَّيته ، ولا تمثالا إلا طمسته[(٣)] . وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال في مرض موته : (لعن الله اليهود والنصارى ، اتّخَذُوا قبور أنبيائهم مساجد) .

---

(١) روى البخاري في صحيحه (فتح الباري ٨/ ٦٦٧ رقم ٤٩٢٠) كتاب التفسير ، باب (ودا ولا سواعا ...) عن ابن عباس رضي الله عنهما : " صارت الأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب بعد ، أما ود فكانت لكلب بدومة الجندل ، وأما سواع فكانت لهذيل ، وأما يغوث فكانت لمراد ، ثم لبني غطيف بالجرف عند سبأ ، وأما يعوق فكانت لهمدان ، وأما نسر فكانت لحمير : لآل ذي الكلاع . أسماء رجال صالحين من قوم نوح ، فلما هلكوا أوحى الشيطان الى قومهم أن انصبوا الى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصابا وسموها بأسمائهم ، ففعلوا ، فلم تعبد ، حتى اذا هلك أولئك وتنسخ العلم عبدت " .

وأورده الطبري في تفسيره (ط. الحلبي) ٢٩/ ٩٩ عن قتادة .

وذكر ابن الكلبي في كتاب " الأصنام " ، ص ٥٣- ٥٧ أن ماء الطوفان قذف هذه الأصنام الى أرض جدة ، فسفت الريح عليها حتى وارتها ، ثم ان عمرو بن لحي كان كاهنا له رئي من الجن ، فقال له : عجل بالمسير والظعن من تهامة ، بالسعد والسلامة ، ائت ضف جدة ، تجد فيها أصناما معدة ، فأوردها تهامة ولا تهب ، ثم ادع العرب الى عبادتها تجب ، فأتى شط جدة فاستثارها ، ثم حملها حتى ورد تهامة ، وحضر الحج فدعا العرب الى عبادتها قاطبة ، ومن أجابه دفع اليه صنما منها ، فصارت اليهم كما ذكر ابن عباس وقتادة ولكن أول صنم نصبه عمرو هو الذي قدم به من الشام ، وقد ذكر ابن هشام في السيرة ١/ ٧٩ أنه يقال له : هبل . ولم تزل هذه الأصنام وغيرها تعبد حتى بعث الله النبي صلى الله عليه وسلم فسأمر بهدمها .

(٢) هو أبو الهياج حيان بن حصين الاسدي ، الكوفي ، ثقة روى عن عمر وعلي .
انظر الجرح والتعديل ٣/ ٢٤٣ ، خلاصة تذهيب تهذيب الكمال ، ص ٩٦ .

(٣) الحديث في صحيح مسلم ٢/ ٦٦٦ - ٦٦٧ (رقم ٩٦٩) كتاب الجنائز ، باب الأمر بتسوية القبر ؛ سنن أبي داود (عون المعبود ٩/ ٣٥- ٣٦) كتاب الجنائز ، باب في تسوية القبور ، سنن النسائي ٤/ ٧٣ ، كتاب الجنائز ، باب تسوية القبور ؛ جامع الترمذي (تحفة الأحوذي ٤/ ١٥٠) أبواب الجنائز ، باب ما جاء في تسوية القبر ؛ مسند أحمد (ط. المعارف) ٢/ ١٠٥ (رقم ٧٤١) ٢/ ٢٣٦ - ٢٣٧ (رقم ١٠٦٤) .

ولم يرد في هذه المواضع عبارة " أمرني " ، وقوله : (أن لا أدع ...) الى آخره ، هو لفظ سنن أبي داود ، لكن في صحيح مسلم : (أن لا تدع تمثالا الا طمسته ، ولا قبرا مشرفا الا سويته) ، وفي رواية لمسلم : (ولا صورة الا طمستها) .

يُحذِّر مافعلوا ، قالت عائشة : ولولا ذلك لأُبرز قبره ، ولكن كره أن يُتخذ مسجدا[١] .

وفي الصحيحين أنه ذُكر له صلى الله عليه وسلم في مرض موته كنيسة بأرض الحبشة ؛ وذَكر من حسنها وتصاوير فيها . فقال صلى الله عليه وسلم : (إن أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجدا ، وصوّروا فيه تلك الصور ، أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة)[٢] . وفي صحيح مسلم عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال قبل أن يموت بخمس : (إن من كان قَبْلكم كانوا يتّخذون القبور مساجد ، ألا فلا تَتّخذوا القبور مساجد فإني أنهاكم عن ذلك ، ولو كنت متّخذا من أهل الأرض خليلا لاتّخذت أبا بكر خليلا)[٣] .

---

(١) في صحيح البخاري (فتح الباري ١/ ٥٣٢ رقم ٤٣٥ ، ٤٣٦) كتاب الصلاة ، باب حدثنا أبو اليمان قال أخبرنا شعيب . . . ، وصحيح مسلم ١/ ٣٧٧ (رقم ٥٣١) كتاب المساجد . . . ، باب النهي عن بناء المساجد على القبور . . . ، عن عائشة وعبد الله بن عباس قالا : لما نزل برسول الله صلى الله عليه وسلم طفق يطرح خميصة له على وجهه ، فاذا اغتم بها كشفها عن وجهه ، فقال :- وهو كذلك - (لعنة الله على اليهود والنصارى ، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد) يحذر ماصنعوا .

وفي صحيح البخاري (فتح الباري ٣/ ٢٥٥ (رقم ١٣٩٠) كتاب الجنائز ، باب ماجاء في قبر النبي صلى الله عليه وسلم . . . ، وصحيح مسلم ١/ ٣٧٦ (رقم ٥٢٩) عن عائشة قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه الذى لم يقم منه : لعن الله اليهود والنصارى ، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد) ، لولا ذلك أبرز قبره ، غير أنه خَشي - أو خُشي - أن يتخذ مسجدا) . هذان لفظ البخاري ، ورواهما في مواضع أخر بألفاظ متقاربة ، وروى البخاري ومسلم بمعناهما عن أبي هريرة أيضا .

(٢) الحديث عن عائشة ، أوله : أن أم حبيبة وأم سلمة ذكرتا كنيسة رأينها بالحبشة فيها تصاوير . . . الخ .

وهو في صحيح البخاري (فتح الباري ١/ ٥٢٣ - ٥٢٤ رقم ٤٢٧) كتاب الصلاة ، باب هل تنبش قبور مشركي الجاهلية . . . ، وصحيح مسلم ١/ ٣٧٥ (رقم ٥٢٨) ، كتاب المساجد . . . ، باب النهي عن بناء المساجد على القبور . . .

(٣) في صحيح مسلم ١/ ٣٧٧ - ٣٧٨ (رقم ٥٣٢) كتاب المساجد . . . ، باب النهي عن بناء المساجد على القبور . . . ، عن جندب بن عبد الله قال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم ، قبل أن يموت بخمس ، وهو يقول : (اني أبرأ الى الله أن يكون لي منكم خليل ، فان الله تعالى قد اتخذني خليلا ، كما اتخذ ابراهيم خليلا ، ولو كنت متخذا من أمتي خليلا لا تخذت أبا بكر خليلا ، ألا وان من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد ، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد ، اني أنهاكم عن ذلك) .

٢- عبادة الكواكب

ومن أسباب الشرك عبادة الكواكب واتخاذ [الأصنام لها] بحسب[١] مايُظن أنه مناسب للكواكب من طبائعها وغير ذلك ، وشرك قوم إبراهيم عليه الصلاة والسلام كان فيما يقال من هذا الباب ، وكذلك الشرك بالملائكة والجن واتخاذ الأصنام لهم .

وهؤلاء المشركون كانوا مقرّين بالصانع سبحانه ، وأنه ليس للعالم صانعان ؛ ولكن اتخذوا هذه الوسائط شفعاء ؛ كما أخبر الله عنهم بقوله تعالى : (ويَعْبُدونَ من دُونِ اللّهِ مالا يَضُرُّهُمْ ولا يَنْفَعُهُمْ ويقولون هؤلاءِ شُفَعاؤُنا عند اللّهِ قل أَتُنَبِّئُونَ اللّهَ بما لا يَعْلَمُ في السّمواتِ ولا في الأرضِ سبحانَهُ وتعالى عمّا يشركون)[٢]. وقال تعالى : (ولقد جئتُمُونا فُرادى كما خَلَقْناكُمْ أوّلَ مَرّةٍ وتركتمُ ماخَوّلناكم وراءَ ظهوركم ومانَرى معكم شُفَعاءَكم الذين زعمتُمْ أنّهم فيكم شُركاءُ لقد تقطّعَ بينكم وضَلَّ عنكم ماكنتم تزعُمُون)[٣].

وقال تعالى عن صاحب يس : (ومالِيَ لا أعبُدُ الّذى فَطَرَني واليه تُرجعون . أأتّخِذُ من دونه آلهةً إنْ يُرِدْنِ الرحمنُ بضُرٍّ لا تُغْني عنّي شفاعتُهم شيئاً ولا يُنْقِذُون . إنّي إذاً لفي ضَلالٍ مبينٍ . إنّي آمنتُ بربّكم فاسمَعُونِ)[٤]. وقال تعالى : (والّذين / اتّخذوا مِنْ دونه أولياءَ مانَعْبُدُهم إلاّ ليقرّبونا الى الله زلفى)[٥]. وقال تعالى : (ومن النّاسِ مَنْ يَتّخِذُ من دون اللّهِ أنداداً يُحِبّونَهم كحُبِّ اللّهِ والّذين آمنوا أشدُّ حُباً للهِ)[٦].

ج ٢٤

ولهذا يقول سبحانه : (ومَنْ يَدْعُ مَعَ اللّهِ إلٰهاً آخرَ لا بُرهانَ له به فإنّما حِسابُه عند ربّه إنّه لا يُفْلِحُ الكافرون)[٧]. فإن الله تعالى

---

(١) الأصل (ص) : واتخاذ بحسب. وزدت ما بين المعكوفين .
(٢) سورة يونس: ١٨ . في الأصل (ص) : ويعبدون من دون الله مالا ينفعهم ولا يضرهم .
(٣) سورة الأنعام : ٩٤ .
(٤) سورة يس : ٢٢- ٢٥ .
(٥) سورة الزمر : ٣ .
(٦) سورة البقرة : ١٦٥ .
(٧) سورة المؤمنون : ١١٧ .

لم ينزل بهذا الشرك كتابا ، ولا أرسل به رسولا ؛ كما قال تعالى : (واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون) (١) .
وقال تعالى : (وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه أنه لا اله الا أنا فاعبدون) (٢) .

وقال تعالى عن أهل الكهف : (هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه آلهة لولا يأتون عليهم بسلطان بين) (٣) . وقال تعالى : (فاقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون . منيبين اليه واتقوه واقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين . من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا كل حزب بما لديهم فرحون). الى قوله : (اذا هم يقنطون) (٤) .

وكذلك قوم ابراهيم صلى الله عليه وسلم لم يكونوا معطلة للصانع سبحانه ، ولا كان استدلال ابراهيم بالأفول على اثبات الصانع ، كما تظنه طائفة من أهل الكلام ؛ بل كانوا مشركين مقرين بالصانع ؛ ولهذا قال الخليل : (أفرأيتم ماكنتم تعبدون . أنتم وآباؤكم الأقدمون . فانهم عدو لي الا رب العالمين) (٥) .
وقال تعالى : (فلما أفلت قال ياقوم اني برئ مما تشركون . اني وجهت وجهي للذى فطر السموات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين . وحاجه قومه قال أتحاجوني في الله وقد هداني ولا أخاف ماتشركون به الا أن يشاء ربي شيئا وسع ربي كل شيء علما أفلا تتذكرون . وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون أنكم أشركتم بالله مالم ينزل به عليكم سلطانا فأى الفريقين أحق بالأمن ان كنتم تعلمون) (٦) .

---

(١) سورة الزخرف : ٤٥ .
(٢) سورة الأنبياء : ٢٥ .
(٣) سورة الكهف : ١٥ .
(٤) وهو قوله تعالى : (واذا مس الناس ضر دعوا ربهم منيبين اليه ثم اذا أذاقهم منه رحمة اذا فريق منهم بربهم يشركون . ليكفروا بما آتيناهم فتمتعوا فسوف تعلمون . أم أنزلنا عليهم سلطانا فهو يتكلم بما كانوا به يشركون . واذا أذقنا الناس رحمة فرحوا بها وان تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم اذا هم يقنطون .) سورة الروم : ٣٠- ٣٦ .
(٥) سورة الشعراء : ٧٥- ٧٧ .
(٦) سورة الأنعام : ٧٨- ٨١ .

وقال تعالى : (واذ قال ابراهيم لأبيه وقومه انني براء مما تعبدون . الا الذى فطرني فانه سيهدين . وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون)[١] . وقال تعالى : (قد كانت لكم أسوة حسنة في ابراهيم والذين معه اذ قالوا لقومهم انا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده)[٢] .

فلو أقر الرجل بتوحيد الربوبية الذى يقر به هؤلاء النظار ، ويفنى فيه كثير من أهل التصوف ويجعلونه غاية السالكين ؛ كما ذكره صاحب " منازل السائرين "[٣] وغيره ، وهو مع ذلك لم يعبد الله وحده ويبرأ من عبادة ماسواه - كان مشركا من جنس أمثاله من المشركين .

---

(١) سورة الزخرف : ٢٦-٢٨ .
(٢) سورة الممتحنة : ٤ .
(٣) هو أبو اسماعيل عبدالله بن محمد بن علي بن محمد الأنصارى الهروى (٣٩٦- ٤٨١هـ) يدعى شيخ الاسلام ، فقيه حنبلي ، وامام في التفسير والحديث والتصوف ، توفي بهراة .
انظر عنه : طبقات الحنابلة ٢/٢٤٧ - ٢٤٨ ؛ الذيل على طبقات الحنابلة ١/٥٠ - ٦٨ ؛ مناقب الامام أحمد بن حنبل لابن الجوزى ، ص ٦٣٢ ؛ البداية والنهاية ١٢/١٣٥ ؛ الأعلام ٤/١٢٢ .
وقد طبع كتاب " منازل السائرين " ، الطبعة الأولى سنة ١٣٢٦ هـ - ١٩٠٨م بمصر ، وشرحه ابن قيم الجوزية في كتاب " مدارج السالكين " وبين ابن القيم في مدارج السالكين ماملخصه : أن الفناء مصدر فني يفنى فناء ، اذا اضمحل وتلاشى وعدم ، . . . ولكن القوم اصطلحوا على وضع هذه اللفظة لتجريد شهود الحقيقة الكونية ، والغيبة عن شهود الكائنات .
وهذا الاسم يطلق على ثلاثة معان : الفناء عن وجود السوى ، والفناء عن شهود السوى ، والفناء عن ارادة السوى .
فأما الفناء عن وجود السوى ، فهو فناء الملاحدة القائلين بوحدة الوجود ، وأنه ماثم غير . .
وأما الفناء عن شهود السوى ، فهو الفناء الذى يشير اليه أكثر الصوفية المتأخرين ، ويعدونه غاية ، وهو الذى بنى عليه أبو اسماعيل الأنصارى كتابه ، وجعله الدرجة الثالثة في كل باب من أبوابه ، وليس مرادهم فناء وجود ماسوى الله في الخارج ، بل فناؤه عن شهودهم وحسهم ، فحقيقته غيبة أحدهم عن سوى مشهوده ، بل غيبته أيضا عن شهوده نفسه ، لأنه يغيب بمعبوده عن عبادته ، وبمذكوره عن ذكره . . . وأصل هذا الفناء الاستغراق في توحيد الربوبية .
والفناء عن ارادة السوى هو فناء خواص الأولياء والمقربين ، وهو أن يفنى بعبادة محبوبه عن عبادة ماسواه ، وبحبه وخوفه ورجائه والتوكل عليه والاستعانة به والطلب منه ، عن حب ماسواه وخوفه ورجائه والتوكل عليه .
انظر سائر كلامه ١/١٥٤- ١٦٩ .

ظ ٢٤
تقرير القرآن لتوحيد الربوبية المستلزم لتوحيد الالهية .

والقرآن مملوء من تقرير هذا التوحيد ، وبيانه ، وضرب / الأمثال له ؛ ومن ذلك أنه يقرر توحيد الربوبية ، ويبين أنه لا خالق غير الله ، وأن ذلك مستلزم أن لا يعبد الا الله ؛ فيجعل الأول دليلا على الثاني ، اذ كانوا يسلمون الأول وينازعون في الثاني ؛ فبين لهم سبحانه أنه اذا كنتم تعلمون أنه لا خالق الا الله ، وهو الذى يأتي العباد بما ينفعهم ، ويدفع عنهم مايضرهم ، لا شريك له في ذلك - فلماذا تعبدون غيره ؟ وتجعلون معه آلهة أخرى ؟ .

كقوله تعالى : (قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى الله خير أما يشركون) . الى قوله : (أمن جعل الأرض قرارا وجعل خلالها أنهارا وجعل لها رواسي وجعل بين البحرين حاجزا أاله مع الله بل أكثرهم لا يعلمون)[١] . يقول تعالى : أاله مع الله فعل هذا ؟ . وهذا استفهام الانكار يتضمن نفي ذلك ، وهم كانوا مقرين بأنه لم يفعل ذلك غير الله ، فاحتج بذلك عليهم .

وليس المعنى أنه استفهام : هل مع الله إله ؟ . كما ظنه بعضهم ؛ فان المعنى لا يناسب سياق الكلام ، والقوم كانوا يجعلون مع الله آلهة أخرى ، كما قال تعالى : (أئنكم لتشهدون أن مع الله آلهة أخرى قل لا أشهد)[٢] . وكانوا يقولون : (أجعل الآلهة إلها واحدا ان هذا الشيء عجاب)[٣] . لكنهم ماكانوا يقولون : ان معه إلها جعل الأرض قرارا ، وجعل خلالها أنهارا ، وجعل لها رواسي ، وجعل بين البحرين حاجزا ، بل هم مقرون بأن الله وحده[٤] فعل هذا ، وهكذا سائر الآيات بعد هذه الآية .

---

(١) (. . . أما يشركون . أمن خلق السموات والأرض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ماكان لكم أن تنبتوا شجرها أاله مع الله بل هم قوم يعدلون . أمن جعل الأرض قرارا . . . لا يعلمون) سورة النمل : ٥٩ - ٦١ .

(٢) سورة الانعام : ١٩ .

(٣) سورة ص : ٥ .

(٤) الأصل (ص) : بل هم مقرين بالله .

كما تقوله الثنوية في الظلمة ، وكما تقوله القدرية في أفعال الحيوان ، وكما تقوله الفلاسفة الدهرية في حركة الأفلاك ، أو حركات النفوس والأجسام الطبيعية ، فان [هؤلاء و] نحوهم[1] يثبتون أمورا محدثة بدون احداث الله تعالى اياها ؛ فهم مشركون[2] في بعض الربوبية ، وكثير من مشركي العرب وغيرهم قد يظن في آلهته شيئا[3] من هذا ، وأنها تنفعه وتضره ، بدون أن يخلق الله ذلك.

فلما كان هذا الشرك في الربوبية موجودا في الناس ، بين القرآن بطلانه ؛ كما في قوله تعالى : (ما اتخذ الله من ولد وماكان معه من اله اذا لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض)[4] .

مقدمة في بيان امتناع وجود العالم عن خالقين متماثلين

وبيانه أن تقدم مقدمة تبين[5] أن وجود العالم عن صانعين متماثلين ممتنع لذاته ، وأن العلم بذلك مستقر في الفطرة ، معلوم بصريح العقل ، بل ممتنع في جميع مايقدر مؤثرا ، سواء سمي علة أو فاعلا أو غير ذلك ؛ يمتنع أن يجتمع [في] الأثر[6] الواحد مؤثران كل منهما مستقل بالتأثير.

وامتناع هذا متفق عليه بين العقلاء ؛ فانه اذا قدر أن هذا وحده استقل بالتأثير امتنع أن يكون له شريك ، فضلا عن أن يكون غيره مستقلا بالتأثير وحده .

وذلك أنه اذا قدر للعالم صانعان متماثلان ، فلا بد أن يكونا متساويين في القدرة ، بل اذا قدر صانعان متماثلان ، أو غير متماثلين ، فلابد من كون كل منهما قادرا ؛ اذ الفعل بدون القدرة ممتنع .

وحينئذ فاما أن يكون كل منهما حال انفراده قادرا ، واما أن لا يكون قادرا الا مع الآخر ، والثاني ممتنع لذاته ؛ وذلك أنه اذا لم يكن هذا

---

(١) الأصل (ص) : فان نحوهم ، ولعل مازدته يستقيم به الكلام.
(٢) " " : فهم المشركون .
(٣) " " : في الهيه شيء.
(٤) سورة المؤمنون : ٩١ .
(٥) الأصل (ص) : وبيان أن تقدم مقدمة فبين ، ولعل الصواب ما أثبته .
(٦) " " : يجتمع الأثر. وزدت " في " ليستقيم الكلام .

حال انفراده قادرا ولا هذا حال انفراده قادرا : فعند اجتماعهما اما أن يحصل شيء مما كان حاصلا حين انفرادهما ، واما أن لا يحصل ، والأول ممتنع، فتعين الثاني ؛ وحينئذ فيلزم أنهما اذا كانا مسلوبي القدرة حال الانفراد ، أن يكونا مسلوبي القدرة حال الاجتماع .

وبيان امتناع الأول ،أنه حال الاجتماع لو حصل لهما قدرة لم تكن حال الانفراد : فاما أن تحصل منهما أو من غيرهما ،وكلاهما ممتنع ؛ أما منهما[١] فلا يحصل ذلك ، [لأنه] انما يحصل[٢] اذا كان لأحدهما قدرة حال انفراده، واما اذا لم يكن لواحد منهما قدرة حال انفراده : امتنع أن يجعل غيره قادرا حال اجتماعه معه ؛ لأن ذلك يستلزم الدور القبلي ،وهو الدور/ في المؤثرات الذى هو باطل باتفاق العقلاء .

ظ ٢٥

فانه اذا كان كل منهما غير قادر حال الانفراد ، امتنع أن يجعل أحدهما الآخر قادرا حين الاجتماع ؛ فان الاقدار فرع على القدرة فمن لا يكون في نفسه قادرا : امتنع أن يجعل غيره قادرا ، واذا كان هذا لا يقدر حتى يجعله ذاك قادرا ، وذاك لا يكون قادرا حتى يجعله هذا قادرا - لم يصر واحد منهما قادرا ، كما أنه اذا لم يصر هذا فاعلا أو موجودا حتى يجعله ذاك[٣] فاعلا أو موجودا- امتنع أن يصير واحد منهما فاعلا وموجودا .

بخلاف هذا ،الدور المعي الاقتراني ؛ كما اذا قيل : لا تحدث الأبوة الا مع البنوة ،ولا البنوة الا مع الأبوة ،فان هذا ممكن ، اذا لم يكن أحدهما مؤثرا في حدوث الآخر ، ولا جزءا من المؤثر ، بل كلاهما حادث عن سبب منفصل ؛ فان ايلاد الأب أوجب أبوته وبنوة الابن في حال واحد .

---

(١) الأصل (ص) : ممتنع مهما أما مهما .
(٢) ،، ،، : انما يحصل ، وزدت " لأنه ".
(٣) كذا في الأصل (ص) ولعل الصواب : هذا .

والقدرة[1] بها يصير الفاعل فاعلا ؛ فاذا كان يمتنع أن يكون فعل كل منهما موثرا في كون الآخر فاعلا : فامتناع أن تكون قدرة كل منهما هي الموثرة في كون الآخر قادرا أظهر وأظهر ، بخلاف ما اذا كان لهذا نوع قدرة ولهذا نوع قدرة ،فانه عند الاجتماع تجتمع القدرتان ، فتكون قدرة الاثنين حال الاجتماع أقوى من قدرة أحدهما حال الانفراد ، وكذلك اذا كان هذا فاعلا بنفسه وهذا فاعلا بنفسه ؛ فانهما اذا تعاونا كان فعلهما أقوى من فعل أحدهما وحده .

وأما اذا قدر أحدهما حال انفراده لاقدرة له أصلا ، ولا فعل له أصلا، امتنع أن يصيرا حال الاجتماع قادرين فاعلين ، الا [أن] يحدث[2] لهما ذلك من ثالث غيرهما ، وهذا هو التقدير الثاني ، وهو أن يقال : انه لاقدرة لواحد منهما حال الانفراد أصلا ،لكن حال الاجتماع يصيران قادرين بسبب من غيرهما .

فيقال : هذا ممتنع في حق الربين اللذين[3] قدر أنهما خالقان لكل ماسواهما ؛ اذ ليس فوقهما أحد يعطيهما قدرة ولا غيرها ، ولأن الرب الخالق متى جعله غيره قادرا ،كان ذلك الذى أقدره هو ربه ؛ وهو أحق بأن يكون الخالق دونه ، اذ كان في نفسه عاجزا ،لم تحصل له القدرة الا من ذاك .

وبهذا يتبين لك الفرق بين اشتراك الاثنين المخلوقين وبين تقدير اشتراك الاثنين الخالقين ؛ فانه مثلا اذا جمع[4] بين الأجزاء المختلطة ، كأجزاء الطبيخ وأجزاء البناء ونحو ذلك ، فقد تحدث بالاجتماع حال ثالثة لم تكن لأحدهما حال الانفراد ، لكن تلك تكون بسبب منفصل عنهما أو بشركة في فعلهما ، أما اذا قدر أنه لاقدرة لواحد منهما حال انفراده ، ولا هناك

---

(١) الأصل (ص) : والقدر.
(٢) " " : الا يحدث. ولعل زيادة " ان " يستقيم بها الكلام .
(٣) " " : الذى .
(٤) " " : أجمع .

ثالث غيرهما يعطيهما قدرة حال اجتماعهما ، امتنع أن يصيرا حال الاجتماع قادرين ، الا أن يكونا حال الانفراد قادرين .

ج ٢٦ فتبين بهذا البيان الباهر ،أن تقدير ربين للعالم ،لا يكونان / قادرين ، الا حال الاجتماع ممتنع لذاته ،وان كان ذلك ممكنا في اثنين مخلوقين ، يحدث لهما[1] حال الاجتماع صفة لم تكن حاصلة لهما حال الانفراد ؛ فذاك من غيرهما ، أو بسبب قوة فيهما حال الانفراد ، فأما مع انتفاء هذين فممتنع، وهذا المعنى قد ذكره غير واحد من النظار: كالقاضي أبي بكر الباقلاني[2] والقاضي أبي يعلى[3] وغيرهما . —

ومما يبين ذلك أن الصانع للعالم لا بد أن تكون له قدرة من لوازم ذاته ،يمتنع أن تكون قدرته مستفادة من غيره ؛ فان ذلك الغير ان كان مصنوعا له لزم الدور القبلى : وهو أن يكون هذا هو الذى أقدر هذا ، وذلك ممتنع بصريح العقل واتفاق العقلاء كما تقدم بيانه ، كما يمتنع أن يكون هذا هو الذى خلق هذا ، وهذا هو الذى خلق هذا . وان كان مصنوعا لغيره لزم التسلسل في العلل والمؤثرات ،وهذا فاسد بالضرورة واتفاق العقلاء كما قد بسط هذا في موضع آخر . وان لم يكن مصنوعا له ولا لغيره لزم أن يكون قديما واجب الوجود بنفسه .

وحينئذ فقدرته ان كانت من لوازم نفسه ،ثبت أن قدرة الرب القديم الواجب من لوازم نفسه ، وهو المطلوب ، وان كانت من غيره لزم الدور القبلي والتسلسل في التأثير، وكلاهما ممتنع بالضرورة واتفاق العقلاء . واحترزنا بذلك

---

(١) الأصل (ص) : يحدثه لها ،ولعل الصواب ما أثبته .

(٢) ذكر الباقلاني في كتاب " الانصاف " ،ص ٣٠ دليل التمانع،ثم قال ص ٣٠- ٣١ : " فان قيل : فيجوز أن لا يختلفا في الارادة ،قلنا هذا القول يؤدى الى أحد أمرين : اما أن يكون ذلك لقول أحدهما للآخر : لا ترد الا ما أريد ،فيصير أحدهما آمرا والآخر مأمورا ،والمأمور لا يكون الها ، والآمر على الحقيقة هو الاله ،أو يكون كل واحد منهما لا يقدر أن يريد الا ما أراده الآخر ،ولو كان كذلك دل على عجزهما ،اذ لم يتم مراد واحد منهما الا بارادة الآخر معه ، واذا ثبت هذا بطل أن يكون الاله الا واحدا ، على ماقررناه " .

(٣) في كتاب " المعتمد " ،ص ٤١ ذكر القاضي أبو يعلي دليل التمانع، ولم يزد عليه .

عن التسلسل في الآثار فان فيه نزاعا ؛ وأكثر أئمة الحديث وأئمة الفلاسفة يجيزونه ،وكثير من أهل الكلام يمنعه .

واذا كانت قدرة صانع العالم من لوازم نفسه : فاذا قدر صانعان لزم أن تكون قدرة كل منهما من لوازم نفسه ،اذ لو كانت قدرته مستفادة من الآخر، أوبالثالث ، لزم الدور أو التسلسل الباطلان .

وهذا المعنى صحيح ثابت ، كلما أمعن النظر فيه ازداد بيانا ووضوحا ؛ وذلك أن كون الفاعل الخالق لابد أن يكون قادرا هو من المعلوم بضرورة العقل ؛ فاذا قدر خالقان فلابد أن يكون كل منهما قادرا ، ويمتنع أن لا يصير هذا قادرا الا بهذا ، ولا يصير هذا قادرا الا بهذا ، كما يمتنع أن لا يكون فاعلا موثرا الا به ،وكما يمتنع أن لا يكون موجودا الا به ؛ فان كونه موجودا بنفسه ، قادرا بنفسه[1]، فاعلا بنفسه ـ من لوازم كونه واجبا بنفسه.

وحينئذ ، فاذا كان لابد من قدرة كل منهما حال الانفراد : فمن هنا يظهر صحة دليل التمانع ،الذى استدل به النظار ،وغيره من الأدلة، ويبين أن كثيرا من النظار، انما لم يقرر هذه المقدمة لظهورها ووضوحها ، وكونها من المقدمات الضرورية ؛ مثل امتناع الدور القبلي وتسلسل الفاعل ؛ فان أكثر النظار لم يحتاجوا الى تقدير ذلك بالدليل ؛ لكونه من العلوم الضرورية التي تحصل عند التصور التام حصولا لا يمكن دفعه ، وانما تشتبه على بعض الناس لعدم التصور التام المستلزم للعلم الضروري ، وقد يكون بعض النظار يترك تقدير بعض المقدمات لأسباب أخر .

وكان عادة بعض النظار يأخذون وجوب كون الصانع قادرا حال الانفراد مسلما ؛ لأن كل / واحد يعلم أن الصانع لابد أن يكون قادرا ،وأن المشتركين المتعاونين على الفعل لابد أن تكون لأحدهما قدرة على معاونة الآخر ، وتلك

ظ ٢٦

---

(١) الأصل (ص) : نفسه .

القدرة حاصلة حال انفراده - وان كانت بمشاركة الآخر تزيد القوة - وان لم تكن له حال الانفراد[1] قوة : فما يحدث حال الاجتماع لا بد فيه من سبب ثالث؛ ولهذا لم يحتج بيان القرآن الى ذكر هذه المقدمة لظهورها.

ظهور امتناع وجود خالقين من وجوه :
الوجه الأول :

اذا تبين هذا ظهر امتناع وجود خالقين من وجوه متعددة :

أحدها - أن يقال : اذا كان كل منهما قادرا حال الانفراد : فقدرته من لوازم ذاته ؛ ليست مستفادة من غيره، وقد فرضنا أنهما متماثلان - اذ التقدير الآخر سيأتي الكلام عليه - فلابد حينئذ أن يقدر[2] كل منهما حال انفراده على مايقدر عليه الآخر حال انفراده، والا لم يكونا متماثلين.

واذا كان كذلك، فعند الاجتماع اما [أن] لا تبقى[3] قدرة كل منهما كما كانت واما أن تبقى ؛ فان كان الأول لزم أن يقدر كل منهما على كل مايقدر عليه الآخر حال الاجتماع، لكن هذا ممتنع لذاته ؛ لأن أحدهما حال الانفراد يقدر على تحريك هذا ان شاء، وعلى تسكينه ان شاء، وفي حال الاجتماع، اذا جعل هذا قادرا على التحريك والتسكين، كان هذا ممتنعا لذاته سواء اتفقا أو اختلفا.

أما [اذا] اتفقا[4]، فلأن أحدهما لا يمكنه تحريك هذا الا اذا لم يحركه الآخر، والا فوجود المفعول الواحد من كل منهما على التمام ممتنع لذاته، وهذا هو الذى يقال فيه : يمتنع وجود مقدور واحد بين قادرين مستقلين ؛ وأثر واحد بين مؤثرين مستقلين، وفعل واحد بين فاعلين مستقلين ؛ فان الاستقلال يقتضي أن هذا فعله وحده، وهذا يناقض كون الآخر فعل[5] بعضه، فضلا عن أن يكون الآخر فعله كله.

---

(١) الأصل (ص) : الانفراده.
(٢) " " : ىعدر. بدون نقاط.
(٣) " " : اما لا ىىعى. بدون نقاط.
(٤) " " : أما اىعا. بدون نقاط.
(٥) " " : فعله.

وهذا بين واضح ،مستقر في العقول بعد تصوره ؛ فان الانسان يعلم أنه يمتنع أن يكون هذا وحده بنى هذه الدار، وهذا وحده بناها بعينها ، حال بناء الأول ، وكذلك في سائر المفعولات .

واذا كان صدور المقدور عن كل منهما على سبيل الاستقلال حال صدوره عن الآخر ، ممتنعا لذاته ؛ لأنه يستلزم الجمع بين النقيضين ، ويلزم أن يكون كل منهما هو الذى فعله وهو لم يفعله - تبين أن كون أحدهما قادرا على أن يفعل شيئا حال مايكون الآخر قادرا على أن يفعله [- ممتنع[(١)]] .

وهذا موجود في المخلوقين ؛ فان القادرين على الفعل ، لا يمكن أحدهما فعله الا في حال لم يفعله الآخر فيه ، فلا يكون أحدهما قادرا على الفعل حال كون الآخر قادرا عليه ،واذا قيل :" هما قادران " ،فالمراد أنهما قادران على البدل ؛ أى هذا قادر [على الفعل[(٢)]] في حال لا يمكن الآخر أن يفعله أيضا في تلك الحال ، وهذان[(٣)] القادران لا يكون أحدهما متمكنا من الاستقلال بالفعل الا اذا مكنه الآخر ،فلم يفعله ، ولم يشاركه فيه ، كما هو / المفعول في الفاعلين ؛ فاذا كانت قدرة كل منهما على كل مقدور الآخر: من لوازم ذاته ، وفي حال الاجتماع تمتنع هذه القدرة - لزم في حال الاجتماع زوال قدرة كل منهما ، وهذا ممتنع من وجوه :

ج ٢٧

منها أن لوازم ذات واجب الوجود لا تعدم الا بعدم ذاته ؛ فان اللازم لا يعدم الا اذا عدم الملزوم ، والا لم يكن لازما ، وعدم ذات واجب الوجود ممتنع ؛ فعدم لوازم ذاته ممتنع ؛ فعدم قدرته ممتنع ، ووجود[(٤)] قادر مستقل حال قدرته عليه ممتنع ؛ لاستلزامه الجمع بين النقيضين كما تقدم ، ووجود[(٤)] مساو له في القدرة ممتنع ، وهذا هو المطلوب : أن وجود ربين متماثلين في القدرة ممتنع لذاته .

---

(١) ممتنع : ليست في الأصل (ص) : وأضفتها ليتم الكلام .
(٢) على الفعل : ليست في الأصل (ص) : وأضفتها ليستقيم الكلام .
(٣) الأصل (ص) : وهذاان .
(٤) ،، ،، في الموضعين : بوجود ،ولعل الصواب ما أثبته .

ومنها أنه اذا كان كل منهما قادرا حال الانفراد ، امتنع زوال قدرته حال الاجتماع ؛ لأن المؤثر في زوال قدرة كل منهما [قدرة كل منهما][١] حال عدم قدرة كل منهما ، وهو جمع بين النقيضين .

ومنها أنه اذا قدر زوال قدرتهما حال اجتماعهما لزم امتناع الفعل حال الاجتماع ؛ فيكون صدور الفعل منهما حال الاجتماع ممتنعا ، وهذا هو المطلوب .

ومنها أن الحوادث موجودة ضرورة ، وصدورها [عن خالقين][٢] متفقين ممتنع ؛ فيلزم امتناع اثنين متفقين مستقلين متماثلين ، وهو المطلوب .

فهذا اذا قدر اتفاقهما ، وأما اذا قدر اختلافهما ، بحيث[٣] يريد أحدهما ضد مراد الآخر - والتقدير أنهما متماثلان في القدرة - فممتنع[٤] أيضا ، لأنه حينئذ يمتنع وجود أحد المرادين لتساوى القادرين ، فترجيح أحدهما مع التساوى ممتنع ؛ فلا يوجد مراد واحد منهما ؛ فيلزم عجز كل منهما عن بلوغ مراده وعدم قدرته عليه ، فيلزم عدم قدرة كل منهما عند الاختلاف ، كما يلزم عدم قدرة كل منهما عند الاتفاق ، اذا قدر كل منهما مستقلا بالفعل .

لكن عدم قدرة كل منهما محال ، لما تقدم من أنها ممتنعة العدم ؛ لأنها من لوازم مايمتنع عدمه ،وما امتنع عدمه امتنع عدم شيء من لوازمه ؛ فان عدم اللازم يوجب عدم الملزوم ،فاذا كان عدم الملزوم ممتنعا كان عدم لوازمه ممتنعا .

وأيضا فلأنه لو عدمت قدرة كل منهما بالآخر ،كان كل منهما قادرا حين لا يكون قادرا ؛ فانه انما تمتنع قدرة الآخر بقدرته ، فيمتنع أن يكون هذا

---

(١) مابين المعكوفين ليس في الأصل (ص) ، ورجحت أن يكون ساقطا .
(٢) مابين المعكوفين بياض في الأصل (ص) ولعل المطلوب ما أثبته .
(٣) الأصل (ص) : بحسب .
(٤) " " : ممتنع .

مانعا لقدرة هذا ؛ وهذا مانعا لقدرة هذا ،كما يمتنع أن يكون هذا محصلا لقدرة هذا ؛ وهذا محصلا لقدرة هذا .

فتبين أن وجود ربين قادرين مستقلين ممتنع لذاته سواء فرض اتفاقهما أو اختلافهما ، وقد تبين امتناع وجود ربين غير مستقلين ؛ فثبت امتناع وجود ربين للعالم على كل حال ، وهو المطلوب .

الوجه الثاني

ومن وجه آخر ؛ أن يقال : اذا كان كل منهما قادرا حين الانفراد كما تقدم : أمكن وجود مقدوره ، والا لم / يكن قادرا ، وحينئذ فيمكن أن يريد تحريك ما أراد الآخر تسكينه ،اذ لو لم يتمكن من هذه الارادة لكان عاجزا ،وحينئذ فاذا أراد أحدهما ضد مراد الآخر، امتنع حصول مرادهما جميعا ،وعدم مرادهما جميعا ،ولزم وجود مراد أحدهما دون الآخر، والذي[1] حصل مراده هو القادر فهو الرب ،والآخر ليس بقادر فليس برب .

ظ ٢٧

وذلك أنه ان حصل مرادهما لزم اجتماع الضدين وهو محال ، وان لم يحصل مراد أحدهما لزم كون كل منهما غير قادر على تحصيل مراده ؛ وقد ثبت أن كلا منهما قادر[2] على مثل مقدور الآخر ؛ فيلزم أن يكون كل منهما قادرا على تحصيل مراده ؛ وأن لا يكون قادرا على تحصيل مراده وهذا جمع بين النقيضين ،وأن يكون كل منهما قادرا على مثل مقدور الآخر ،غير قادر على مثل مقدور الآخر ، وهو جمع بين النقيضين أيضا .

فان أحدهما حال الانفراد هو قادر على مثل مقدور الآخر ، فاذا كان غير قادر حال الاجتماع ، يلزم زوال قدرة كل منهما ، وهو ممتنع كما تقدم ، فتبين أن تقدير ربين متماثلين ممتنع لذاته ، مستلزم أن يكونا قادرين ، غير قادرين ، وذلك ممتنع لذاته .

---

(١) الأصل (ص) : لاب . بلا نقاط ،ولعل الصواب ما أثبته .
(٢) ،، ،، : قادرا ، وهو خطأ .

الوجه الثالث

ومن وجه آخر ؛ أن يقال : اذا قدر ربان ؛ فاذا أراد أحدهما فعلا ، فان أمكنه أن يستقل به ، لزم قدرة كل منهما على أن يستقل بما لا يستقل به الآخر ، وذلك يستلزم الجمع بين النقيضين ؛ لاستلزام ذلك كون الفعل الواحد بين الفاعلين المستقلين ، وهو ممتنع ، مستلزم للجمع بين النقيضين كما تقدم .

وان لم يمكنه أن يستقل به ، بل لابد من معاونة الآخر له ، لزم أن لا يكون أحدهما حال الانفراد قادرا على شيء ، بل يصيران قادرين حال الاجتماع ، بدون سبب يوجب ذاك لا منهما ولا من غيرهما ، وهذا ممتنع ، وقد تقدم أن هذا ممتنع ، ومستلزم للدور القبلي ، الباطل بصريح العقل واتفاق العقلاء .

وأيضا فلابد أن تكون للرب قدرة من لوازم نفسه ، لا يفتقر فيها الى غيره ، والا لزم الدور القبلي والتسلسل في المؤثرات ؛ وحينئذ فيمتنع أن تكون قدرة أحدهما موقوفة على غيره ، وافتقاره الى من يعينه يستلزم أن تكون قدرته موقوفة على غيره .

وهذه الأدلة وما أشبهها ، كلما فهمها الانسان ازداد بصيرة ، وعلم أنه من الممتنع أن لا يكون الرب قادرا ؛ ومن الممتنع لذاته وجود ربين متماثلين في القدرة .

لازما تقدير خالقين متفاضلين

وحينئذ فاذا قدر ربان فلابد أن يكون أحدهما مختصا بقدرة لا يماثله فيها الآخر ؛ وحينئذ فيلزم أن يذهب كل اله بما خلق ، ويعلو بعضهم على بعض .

اللازم الأول : ذهاب كل اله بما خلق ج ٢٨

أما اللازم الأول - وهو ذهاب كل اله بما خلق - فهذا لازم ، سواء فرضنا متماثلين في القدرة أو متفاضلين فيها ، وان كان كل / من التقديرين ممتنعا ، لكن بطلان هذا اللازم مما يدل على امتناع كل منهما ؛ وذلك لأنه قد تبين أنه يمتنع أن يكون المفعول الواحد فعلا[1] لكل منهما على سبيل

---

(١) الأصل (ص) : فعل ، وهو خطأ .

الاستقلال، ويمتنع أيضا التعاون : بحيث لا يصير أحدهما قادرا الا اذا أعانه الآخر، ولا يصير فاعلا الا اذا [أعانه] الآخر[1].

ويبين ذلك ، أن ذلك ممتنع لذاته ، بل لا بد أن يكون أحدهما قادرا على الفعل ؛ يفعل بارادته دون معاونة الآخر ، واذا كان كذلك ، وجب أن يتميز مفعوله عن مفعول الآخر ، وأن يذهب بمفعوله ؛ لأنه لا يجب اختلاط المفعولين الا اذا احتاج أحد الفاعلين الى الآخر ؛ كالحاملين للخشبة ، لا يقدر أحدهما على حملها الا بمعاونة الآخر ، فلا يتميز أثره في الخشبة عن أثر الآخر.

فأما القادر - الذى يمتنع افتقاره الى من يعينه ، وقدرته من لوازم ذاته ، الغنية عن أن يجعله غيره قادرا - فهذا مقدوره متميز مستقل.

فان اختلاط أحد المقدورين بالآخر ، ان كان لحاجته اليه ، لزم افتقار القادر الغني عما سواه الى غيره ، وهو جمع بين النقيضين ، وان اختلط بغيره مع استقلاله وغناه عن غيره ، كان هذا ممتنعا مستلزما للجمع بين النقيضين أيضا.

لأن الاختلاط حينئذ أمر ممكن - ليس بواجب - فلابد له من فاعل ، والفعل لا يخرج عنهما ؛ فان كان أحدهما خلط مفعول الآخر بمفعوله : لزم من هذا أن يكون أحدهما مؤثرا في الآخر ، غالبا له ، مغيرا لمفعوله ؛ سواء كان بمشيئة الآخر وقدرته ، أو بدون مشيئته وقدرته .

ومعلوم أن مفعولاته من لوازم مشيئته وقدرته ؛ فان القادر اذا شاء شيئا فعله ، وقدرته ومشيئته من لوازم نفسه ؛ فيلزم من تغيير اللازم تغيير الملزوم ؛ فاذا فرض أن غيره غير مقدوره بدون مشيئته وقدرته ، لزم من ذلك أن يكون مغيرا لذاته ، وحينئذ فيلزم أن يكون هذا مغيرا لهذا ، وهذا مغيرا لهذا.

وقد تقدم أن ذلك ممتنع ؛ اذ قدرة كل منهما ومشيئته من لوازم ذاته

---

(١) في الأصل (ص) : الا اذا الآخر. ولعل الصواب ما أثبته.

التي لا تقبل العدم ، ولا يمكن غيره أن يعدم ذلك ، وما[(١)] كان من لوازم ذاته - التي يجب وجودها ووجود لوازمها - إذا قُدِّر زواله لزم الجمع بين النقيضين ، فتبين أنه يمتنع[(٢)] كون المغيِّر قادراً على ذلك .

ولأن قدرة كل منهما على تغيير قدرة الآخر مشروطة بنفاذ[(٣)] قدرته ، وحينئذ فيلزم أن يكون كل منهما قادراً حين لا يكون قادراً .

وكما[(٤)] أن الدور القَبْلي ممتنع في الإيجاد ، فكذلك هو ممتنع في الإعدام ؛ فإذا كان يمتنع أن لا يصير أحدهما قادرا إلا بإقدار الآخر : فيمتنع أن لا يصير كل منهما غير قادر إلا بأن يصيره الآخر غير قادر ، فتأثير قدرة كل منهما في قدرة الآخر ، كتأثير قدرة كل منهما في عدم قدرة الآخر .

وتأثير عدم قدرة كل منهما في عدم قدرة الآخر ، أو في قدرته : أَوْلى بالبطلان ؛ فإن هذه[(٥)] الأمور تستلزم / من الجمع بين النقيضين ، أكثر مما يستلزمه تأثير قدرة كل منهما في وجود قدرة الآخر . ظ ٢٨

وهذا كله ممتنع ؛ إنْ خَلَطَ أحدهما مفعوله بمفعول الآخر بمشيئته وقدرته ، أو قيل : إنه بدون مشيئته وقدرته ، فإنه يلزم أن يكون كل منهما مؤثرا أيضاً في قدرة الآخر ومشيئته .

وقد تقدم أن تعاونهما ممتنع لذاته ؛ سواء قُدِّر أن كلاً منهما يقدر على الاستقلال ، أو قُدِّر أنه لا يقدر على الاستقلال ، وتمانعهما ممتنع لذاته .

وخلطُ أحد المفعولين بالآخر لا يخرج عن التمانع والتعاون ؛ فإنه إن كان بمشيئة الآخر لزم التعاون ، وإن كان بدون مشيئته لزم التمانع ،

---

(١) الأصل (ص) : ولا ما ، ولعل الصواب ما أثبته .
(٢) الأصل (ص) : ممتنع ، ولعل الصواب ما أثبته .
(٣) الأصل (ص) : مشروط بنفا ، ولعل الصواب ما أثبته .
(٤) الأصل (ص) : كما ، بدون الواو .
(٥) الأصل (ص) : هذا .

وكلاهما ممتنع لذاته في الربَّيْن المقدَّريْن ، وما لزم منه الممتنع [فهو ممتنع][1].

فتبيَّن أنه لو كان مع الله آلهة تخلق لذهب كل إله بما خلق ، والموجود خلاف هذا ؛ فإن العالم مرتبط بعضه ببعض ، متعلق بعضه ببعض ، ما من مخلوق إلا وهو متصل بغيره من المخلوقات ؛ محتاج إليه ؛ مرتبط به .

فالحيوان الواحد ، والنبات الواحد ، من أصل ، وذلك الأصل من غيره ، وهلمّ جرا ، وهو أيضا مفتقر إلى الهواء والماء والتراب ، بل وإلى أنواع النباتات والحيوانات ، ومفتقر إلى أثر الشمس والقمر والليل والنهار وغير ذلك.

والفلك مرتبط بعضه ببعض ، والأفلاك مفتقر بعضها إلى بعض ، والعالم العلويّ مرتبط بالعالم السفليّ .

فلو قُدِّر أن صانع الأرض غير صانع السماء ، وأنه مستغن عنه ، لا يُغيِّر أحدهما مصنوع الآخر : لزم من ذلك أن لا يكون ما في السماء موثِّراً في الأرض ؛ فلا تؤثر الشمس والقمر في الأرض ، وأن يكون ما يصعد من الأبخرة والأدخنة لا تؤثر في نور الشمس والقمر .

والهواء ، إن كان لربِّ السماء لزم أن لا تؤثر فيه الأبخرة والأدخنة والأغبرة ، وإن كان لربِّ الأرض لزم أن لا تؤثر فيه الشمس ولا غيرها بالتسخين ولا غيره[2] ، من حوادث الجو : كالسحاب والمطر وغير ذلك ، من الحوادث التي تحدث بأسباب سماوية ، وهذا أمر واسع لمن اعتبره .

فتبين انتفاء اللازم في قوله تعالى : (إذاً لذهب كل إله بما خلق) ، وحذف سبحانه نفي اللازم لظهوره ووضوحه ؛ فإن ذهاب كل إله بمخلوقه ، وانفراده به ، واستقلاله به : أمر يظهر بطلانه لعموم العقلاء ، والمقدمات الظاهرة البيِّنة لا يُحتاج إلى ذكرها في البيان الفصيح ، الذى هو طريقة القرآن .

---

(١) الكلام في الأصل (ص) : ناقص ، ولعله يتم بما زدته .
(٢) الأصل (ص) : ولا غير.

واختصار ذلك ،أن الخالق لابدّ أن يكون قادرا ، وأن يكون كونه قادرا من لوازمه ، لا يفتقر في ذلك إلى غيره .

والعلم بأن الفاعل لابدّ أن يكون قادرا ، هو من العلوم الضرورية البيّنة بنفسها بعد التصور الصحيح ؛ لكونه فاعلا ، ولهذا كان وصف الربّ تعالى بكونه قادرا هو مما نطقت به جميع الكتب ، / وقال به جماهير العقلاء من المسلمين وأهل الكتاب والمشركين .

ج ٢٩

قول بعض الفلاسفة : ان الرب موجب بذاته

ومايقوله بعض المتفلسفة من كونه موجِبا بذاته ، إن أريد به كونه موجِبا بذات قادرة مختارة ، فهذا مما يُقرّ به جمهور المسلمين نُظّارهم وغير نُظّارهم .

فإن القدرة التامة ، مع الإرادة التامة ، تستلزم وجود المقدور ، ومع عدم واحدة[1] منهما يمتنع وجود شيء ؛ فإنه سبحانه ماشاء كان ومالم يشأ لم يكن ، فما شاءه وجب وجوده بمشيئته المستلزمة لقدرته ، ومالم يشأه امتنع وجوده بعدم مشيئته ؛ وإن كان ممكنا مقدوراً عليه .

وإن أريد بكونه موجِبا بذاته ، أنه موجِب لمفعوله بذات عارية عن المشيئة والقدرة ـ فهذا ممتنع لوجوه :

منها أن فعل الفاعل بدون قدرة ممتنع ، والمتفلسفة يُسَلِّمون وجود القُوَى فيما يَفعل بطبعه من الأجسام الطبيعية ، وفيما يفعل بإرادته من الحيوان ، فلا يعرفون فاعلا قط بدون قوة يتصف بها الفاعل ، واتصافه بالقدرة على الفعل[2] صفة كمال .

وليس المراد هنا مايقال في ماهو بالقوة وماهو بالفعل ؛ فإن ذاك يُعنى به الاستعداد ، وإنما المراد مايفعل الأفعال بقوة فيه .

---

(١) الأصل (ص) : واحد .
(٢) الأصل (ص) : على على الفعل .

فإذا لم يُعرف فاعل إلا بالقوة ،والقوة صفة كمال ـ فإثبات الفاعل لكل شيء أنه بلا قوة ، من أفسد الأقوال وأعظمها تناقضا .

وإذا كان لابدّ من كونه قادرا ، فقدرته[١] من لوازم نفسه ، لامتناع افتقاره إلى غيره ،فإن ذلك الغير: إن كان مخلوقا له لزم الدور القَبْليّ الممتنع ،وإن كان خالقا آخر لزم التسلسل في الفاعِلِيْن ؛ وهو أيضا ممتنع.

وامتناع كلاهما متفق عليه بين العلماء ، معلوم بضرورة العقل بعد التصور التام ، وبالنظر والاستدلال أيضا .

فإنه إذا قيل : لا يوجد هذا إلا بعد ذاك ؛ ولا يوجد ذاك إلا بعد هذا ، [فهذا][٢] مما يعلم فساده وامتناعه بنفس تصوره التام .

وكذلك إذا قيل : لا يوجد شيء إلا بعد أن يكون له فاعل ، ولا يكون فاعل إلا مفعولاً لغيره .

فتقدير وجود مفعولات متسلسلة ، كل منها فاعلٌ مفعولٌ ، ليس فيها فاعل موجود بنفسه ، مع العلم بأن الفاعل لا يكون إلا موجوداً ـ فإن هذا يستلزم أن تكون مفعولات متسلسلة ليس لها فاعل ، وفَرْضُ مفعول واحد لا فاعل له ممتنع ، فإذا قُدِّر كثرتها وتسلسلها إلى غير نهاية ، كان ذلك أبعد في كثرة الممتنعات .

كما إذا قُدِّر معدوم وُجد بنفسه ،فإن هذا ممتنع ، فإذا قُدِّر مع ذلك كثرةُ ذلك ، أو وجود مالا نهاية منه ، كان أبلغ في الامتناع .

وإذا عُرف أنه لابدّ أن يكون قادرا بنفسه ، لا يفتقر إلى غيره ـ فتقدير خالقَيْن قادرَيْن بأنفسهما [ممتنع] ؛ فإنه يمتنع[٣] فعل كل منهما لشيء واحد على سبيل الاستقلال ؛ لأنه يوجب كون هذا وَحدَه هو الفاعل لا مشارك له فيه ،

---

(١) الأصل (ص) : وقدرته ، ولعل الصواب ما أثبته .
(٢) فهذا : ليست في الأصل (ص) ، وزدتها ليستقيم الكلام .
(٣) الأصل (ص) : بأنفسهما فانه ممتنع . ولعل الصواب ما أثبته .

والآخر كذلك ، فيلزم أن يكون كل منهما فاعلا له وحده ، غير فاعل له وحده ، وهو جمع بين النقيضين .

ظ ٢٩ / وإذا لم يكونا مستقلَّيْن كانا متعاونَيْن ؛ فإن [كان] كل منهما محتاجاً[1] إلى إعانة الآخر ؛ لا يمكنه الفعل إلا به - لم يكن واحد منهما قادراً بنفسه ، وقد تبيَّن أنه لابدَّ من وجود القادر بنفسه .

وإن كان كل منهما غنيّاً عن الآخر في فعل شيء - كان مستقلا بذلك ، فيكون مفعول هذا مميّزاً[2] عن مفعول ذلك ؛ فيذهب كل إلٰه بما خلق .

فاستقلال كل منهما بالجميع جمع بين النقيضين ، واحتياج كل منهما إلى الآخر في فعل كل شيء ، يوجب أن لا يكون واحد منهما قادراً بنفسه ، فلم يبق إلا أن يكون كل منهما مستقلا بشيء يقدر بنفسه عليه ، وحينئذ فيلزم أن يتميَّز مفعول هذا عن مفعول هذا ؛ فيذهب كل إلٰهٍ بما خلق ، وسواء قُدِّر أنهما متماثلان في القدرة أو مختلفان فيها .

وأيضا فتماثلهما في القدرة يوجب أن لا يكون واحد[3] منهما قادراً ؛ فإن قدرة كل منهما على مايقدر عليه الآخر ، توجب أن لا يقدر واحد منهما على شيء مما يقدر عليه الآخر ؛ فإنه إذا قُدِّر [كل منهما قادراً على[4]] فعل شيء استقلالا - لم يقدر عليه إلا إذا لم يفعله الآخر ؛ فيكون كل منهما ممنوعاً من فعل مافعله الآخر ؛ فلا يكون أحدهما قادراً على شيء في الحال التي يكون [فيها] الآخر قادرا على [نفس] الشيء[5] ، وإذا كانا عادمَي القدرة لزم أن لا تكون لواحد منهما قدرة على شيء ؛ فيلزم من قدرتهما انتفاء قدرتهما ، وهو جمع بين النقيضين .

---

(١) الأصل (ص) : فان كل منهما محتاجا . وأجرى على العبارة تعديل بحيث تقرأ : فان كلا منهما محتاج . ولعل الصواب ما أثبته .
(٢) الأصل (ص) : مسبر . بدون نقاط .
(٣) الأصل (ص) : واحدا .
(٤) مابين المعكوفين بياض في الأصل (ص) : ، ولعل تمام الكلام يحصل بما أثبته .
(٥) الأصل (ص) : في الحال التي يكون الآخر قادرا على الشيء ، وأضفت مابين المعكوفين .

فامتنع تماثلهما في القدرة ولزم تفاضلهما ، وحينئذ فالأعلى يقهر الأدنى ، مع ذهابه بما خلق ، فيلزم أن يعلو بعضهم على بعض ، مع ذهاب كل منهم بما خلق .

اللازم الثاني - علو بعضهم على بعض

وأما الدليل الثاني الذى ذكره سبحانه في قوله : (ولعلا بعضهم على بعض) ؛ فقد تبين امتناع ربّين متماثلين في القدرة ، وحينئذ فإذا قُدّرت آلهة فلا بدّ أن يكون أحدهما له من القدرة ماليس للآخر ، ومن المعلوم بالاضطرار أن الأقدر يعلو على من دونه في القدرة .

ومما يبين ذلك أن المرجوح إما أن يكون مستغنياً عن الآخر في كل شيء ، بحيث يستقل بمفعولاته ، ويمكنه دفع الآخر عن معارضته ؛ أو لا يكون كذلك .

فإن فُرض أنه قادر على الاستقلال ودفع الآخر لم يكن دونه في القدرة ؛ فإن القادر على منع غيره لا تكون قدرته دون قدرته ؛ بل لا بدّ أن تكون قدرته مثل قدرته أو أقوى .

والا فالقادران إذا اختلفا ،فإن كانا متماثلين[1] تمانعا وتدافعا ، وإن كان أحدهما أقوى من الآخر قهر القوى الضعيف ، ونفذ مراد القوى دون مراد الضعيف .

فإذا قُدِّر أن أحدهما لو أراد مخالفة الآخر في شيء من مفعولاته ، ويغيّر ذلك: لم يقدر على ذلك بمنع الآخر له - لم يكن المانع الدافع أضعف من الممنوع المدفوع .

فتبين أنه إذا كان أحدهما أضعف من الآخر لم يكن قادراً على ممانعته ، وحينئذ فلا يتمكن من شيء إلا بتمكين الآخر له وتخليته ، والمحتاج إلى غيره / المفتقر إليه يكون مغلوباً مقهوراً معه ،ويكون الآخر قاهرا غالبا .

ج ٣٠

---

(١) الأصل (ص) : متماثلان ، وهو خطأ .

فثبت أنه لو كان معه آلهة لعلا بعضهم على بعض ، وثبت أن الوحدانية والقهر متلازمان ؛ كما قال تعالى : (وَبَرَزُوا لِلَّهِ الواحِدِ القَهَّارِ)[1] ، وأن قول : " الله أكبر " ملازم لقول : " لا إله الا الله " .

ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم لعَدِي بن حاتم : (ياعَدِي ، مايُغِرُّكَ ؟ أيُغِرُّك أن يُقال : لا إله الا الله ، فهل تعلم من اله غير الله ؟ ياعدى أيغرك أن يقال : الله أكبر ، فهل تعلم شيئا أكبر من الله ؟) . رواه أحمد والترمذى وصححه[2] .

ومنه قوله تعالى : (وَقُلِ الحمدُ لِلَّهِ الذى لم يَتَّخِذْ وَلَداً ولم يكن له شريكٌ في المُلْكِ ولم يكنْ له وليٌّ من الذُّلِّ وكَبِّرْهُ تَكْبِيراً)[3] .

وكلمات الأذان مؤلَّفة من الشهادتين والتكبير ، لا يخرج عن ذلك إلا دعوة الخلق بالحيعلتين .

ولما كان الخلق هو الدال على قدرة الربّ ، وغير ذلك من صفاته ، كان أول ما أنزل من القرآن : (اقْرأْ باسْمِ رَبِّكَ الَّذى خَلَقَ . خَلَقَ الإنسانَ من عَلَقٍ)[4] فعَمَّ الخلق وخَصَّ الإنسان ، ثم ذكر التعليم والهداية التي هي كمال الإنسان ، كما قال موسى : (رَبُّنا الَّذى أعْطَى كُلَّ شيءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى)[5] . وقال تعالى : (سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأعْلَى . الذى خَلَقَ فسوَّى . والذى قدَّر فَهَدى)[6] .

[وهذا][7] مما يُستقرأ في الموجودات ، فلا يكون اثنان يشتركان في أمر إلا وفوقهما ثالث[8] يطيعونه ، أو يكون أحدهما مطيعا للآخر .

---

١) سورة ابراهيم : ٤٨ .
٢) هذا المعنى جزء من حديث في مسند الامام أحمد (ط. الحلبي) ٤/ ٣٧٨ وسنن الترمذى (تحفة الأحوذى ٨/ ٢٨٧) تفسير القرآن ، سورة فاتحة الكتاب في المسند : (ما أفرك أن يقال ...) وفي سنن الترمذى : (مايفرك أن تقول ...) وقال الترمذى (٨/ ٢٨٩) : " هذا حديث حسن غريب " .
٣) سورة الاسراء : ١١١ .
٤) سورة العلق : ١ - ٢ .
٥) سورة طه : ٥٠ .
٦) سورة الأعلى : ١ - ٣ .
٧) وهذا : ليست في الأصل (ص) وزدتها ليستقيم الكلام .
٨) الأصل (ص) : ثالثة .

يمتنع أن يكونا متكافئَيْن وليس فوقهما غيرهما ، فإن تماثلهما يوجب التمانع ؛ فإن هذا إذا كان لا يريد حتى يريد ذاك ، وذاك لا يريد حتى يريد هذا - لم يرد أحدهما شيئا ، فلا يفعلان شيئا .

وإذا أراد كل منهما بدون إرادة الآخر ؛ فإن كان لا يفعل حتى يُمَكِّنه الآخر لزم التمانع ، وأن لا يفعل واحد منهما ؛ وإن أمكن كلا منهما الفعل بدون تمكين الآخر ، استقل كل منهما بفعله ،ولم يكن الآخر مشاركا ، فذهب كل منهما بما فعل .

وإذا لم يكونا متماثلين ،كان الأضعف مقهورا مع الأقوى ، إما محتاجا إلى إعانته ، وإما إلى تخليته وترك ممانعته ؛ وكل من كان لا يمكنه الفعل إلا بأن يعينه غيره ، أو بأن يخلّيه(١) ولا يعوقه ولا(٢) يمنعه ،وذلك الغير مستقل بالفعل دون هذا ،من غير معاونة ولا ممانعة - كان ذلك الغير هو القاهر العالي على ذلك الضعيف العاجز .

فساد قول الثنوية

وهذا مما يظهر به فساد قول الثنوية من المجوس والمانوية ؛ فإن الظلمة إما أن تكون محدَثة وإما أن تكون قديمة ، ولهم في ذلك قولان . فإن كانت الظلمة محدَثة ، أحدثها النور اما بفكرة رديئة فكّرها النور كما يقوله بعضهم ، أو بغير ذلك ؛ فيكون النور هو خالق الظلمة ، كما هو خالق سائر الأشياء ؛ وهذا يبطل أن يكون شيء من العالم صدر عن أصلين(٣) ، ثم إنهم نزّهوا النور أن يضيفوا إليه شرا ، وجعلوه قد [خلق] أصل(٤) كل شيءٍ شر .

---

(١) الأصل (ص) : يحلسه . بلا نقاط.
(٢) الأصل (ص) : الا .
(٣) الأصل (ص) : ألس ،بلا نقاط .
(٤) الأصل (ص) : وجعلوه قد أصل ،ولعل الصواب ما أثبته ،قال ابن تيمية في كتاب " الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح " ١١٩/١ ردا على هؤلاء " نقال لهم أهل التوحيد : أنتم بزعمكم كرهتم أن تضيفوا الى الرب سبحانه وتعالى خلق مافي العالم من الشر ،وجعلتموه خالقا لأصل الشر " .

ثم إما أن يقولوا بقول أهل السنة : إن الله خالق أفعال الحيوان، وإما أن / يقولوا بقول القدرية ؛ فإن قالوا بالأول ، لزم أن يكون خالقا لجميع أفعال الظلمة التي خلقها ، وهذا ينقض قولهم ، وإن قالوا بالثاني فهذا قول القدرية من أهل الملل ، وحينئذ فالظلمة كسائر الحيوانات لا فرق بين هذا وهذا .

ظ ٣٠

وأما قول من جعل الظلمة قديمة ، فإن كانت قدرتها مساوية لقدرة النور كان ذلك ممتنعا كما تقدم ، وإن كان النور أقوى منها كان غالباً قاهراً لها .

وحينئذ فإما أن يكون مُعِيناً لها أو قادرا[1] على منعها ، وإذا كان لا يفعل إلا خيرا - ومنعُ الظلمة من الشر [خير][2] - وجب أن يمنع الظلمة ، فإن لم يمنعها لزم أن لا يكون قادرا ، وإما أن لا يكون مريدا للخير ، [وهذا][3] على أصلهم وكلامهم يبطل مذهبهم .

والكلام على هذا قد بُسط في غير هذا الموضع ، لكن لما بيَّنَّا فساد ماذكره هؤلاء في معنى التوحيد وفساد دليلهم - ذكرنا من معنى التوحيد ودليله ، مايليق بجواب هذا السؤال الذى طُلب في شرح هذا الاعتقاد ، مع أن كثيرا من متأخرىّ النُظَّار قصّروا في هذا الباب - حكماً ودليلاً - تقصيراً ظاهراً يعرفه من له خبرة بما قالوه .

فصل

مسألة " حدوث العالم " أغفال الاصبهاني هذه المسألة

وهذا المصنِّف لم يذكر مسألة " حدوث العالم " في هذه العقيدة ، وكأنّ ذلك لِما رأى فيها من الاضطراب ، لا سيما فيما عنده من طريقة الرازى وأمثاله ؛ فإن كلامهم فيها يوجب الحيرة والشك .

---

(١) الأصل (ص) : أو قادر ، وهو خطأ .
(٢) مابين المعكوفين بياض في الأصل (ص) بقدر كلمة ، ولعل ما أثبته يتم الكلام .
(٣) وهذا : ليست في الأصل (ص) وزدتها ليستقيم الكلام .

أو لاعتقاده[1] أن ماذكره من الطريق إلى إثبات الصانع لا يحتاج إلى إثبات حدوث العالم ؛ فيمكن مع ذلك العلم به من جهة السمع ، كما يقول ذلك طوائف من النُظّار كما هو قول الرازي وغيره .

انكار أئمة الاسلام طريقة الجهمية وموافقيهم في اثبات الصانع وحدوث العالم

وهؤلاء أنكروا على من زعم أن إثبات الصانع لا يمكن إلا بمعرفة حدوث [العالم][2] ، وذلك لا يمكن إلا بمعرفة حدوث الأجسام ؛ ومعرفة حدوث الأجسام هو بمعرفة استلزامها للحوادث ؛ وأن مالا يخلو عن الحوادث فهو حادث وهذه طريقة الجهمية والمعتزلة ومن وافقهم من الكُلّابية وغيرهم .

- كما فعل ذلك[3] كثير من المنتسبين إلى الأئمة الأربعة وغيرهم، وجعلوا القول بذلك عن الأئمة الكبار من أتباع الأربعة وسائر أئمة المسلمين- وهؤلاء أخطأوا من وجوه :

منها دعواهم أن الربّ تعالى لا يُعرف إلا بهذه الطريق .

ومنها دعواهم أنها أول واجب[4] على العباد .

ومنها التزامهم للوازمها ؛ كنفي الصفات والأفعال ، أو رؤية الله ، أو غير ذلك من اللوازم المبسوطة في غير هذا الموضع .

وقد عُلم بالاضطرار من دين الإسلام أن الرسول لم يدع أحداً بهذه الطريق ، فضلاً عن أن يوجبها على كل مكلف ، ولا سلك هذه أحد من الصحابة .

ج ١ ٣١

بل لما / أحدثها من أحدثها من أهل الكلام تطابقت أئمة الإسلام على ذمّ هذا الكلام ؛ كما هو مشهور عنهم متواتر ؛ كما هو معروف عن مالك

---

(١) الأصل (ص) : أولا لاعتقاده ، ولعل الصواب ما أثبته .

(٢) العالم : ليست في الأصل (ص) ، وفيه بعد كلمة " حدوث " سهم يشير الى الهامش دون أن يكتب فيه شيء ، ولعل ما أثبته هو الصواب.

(٣) أي الانكار على من زعم أن اثبات الصانع لا يمكن الا بهذه الطريقة .

(٤) الأصل (ص) : أول الواجبات واجب ، ولعل كلمة " الواجبات " زيدت سهوا .

وأبي حنيفة ، وحَمَّاد بن زيد(١) وحَمَّاد بن سَلَمة(٢) ، وعبدالله ابن المبارك(٣) وأبي يوسف(٤) ، والشافعي وأحمد وإسحاق بن راهوية(٥) ، وغيرهم من أئمة الإسلام .

وجمهور الناس أنكروا عليهم إيجاب سلوك هذه الطريق ؛ ودعواهم أنه لا سبيل إلى معرفة الله تعالى إلا بها ؛ لظهور فساد ذلك في شريعة الاسلام .

لكن من هؤلاء من سلَّم صحتها ؛ ولكن رآها طويلةً كثيرة الشبهات ، وأما أئمة الإسلام والسنة فرأوها طريقة فاسدة في العقل ، كما هي بدعة في الشرع ؛ وأنها إلى نفي حدوث العالم ، وعدم الدلالة على إثبات الصانع ، أقرب منها إلى إثبات حدوث العالم وإثبات الصانع . —

---

(١) أبو اسماعيل حماد بن زيد بن درهم الأزدى الجهضمي ، مولاهم ، ولد بالبصرة سنة ٩٨ ومات بها سنة ١٧٩ ، أحد كبار أئمة الحديث الحفاظ المجودين . انظر : الطبقات الكبرى لابن سعد ٢٨٦/٧ - ٢٨٧ ؛ الجرح والتعديل ١٧٦/١ - ١٨٣ ، ١٣٧/٣ - ١٣٩ ؛ حلية الأولياء ٢٥٧/٦ - ٢٦٧ ؛ تذكرة الحفاظ ٢٢٨/١ - ٢٢٩ ؛ تهذيب التهذيب ٩/٣ - ١١ ؛ الأعلام ٢٧١/٢ .

(٢) أبو سلمة حماد بن سلمة بن دينار البصرى ، مولى ربيعة بن مالك ، امام في الحديث والفقه والعربية ، حافظ ثقة ، توفي سنة ١٦٧ .
انظر : الطبقات الكبرى لابن سعد ٢٨٢/٧ ؛ الجرح والتعديل ١٤٠/٣ - ١٤٢ ؛ حلية الأولياء ٢٤٩/٦ - ٢٥٧ ؛ تذكرة الحفاظ ٢٠٢/١ - ٢٠٣ ؛ ميزان الاعتدال ٥٩٠/١ - ٥٩٥ ؛ تهذيب التهذيب ١١/٣ - ١٦ ؛ الأعلام ٢٧٢/٢ .

(٣) الامام العلامة أبو عبدالرحمن عبدالله بن المبارك بن واضح المروزى (١١٨ - ١٨١) كان أبوه مولى لرجل من بني حنظلة من أهل همذان ، سمع عبدالله عددا من أئمة التابعين ، وحدث عنه خلائق من الناس ، وهو موصوف بالحفظ والفقه والعربية والشعر ، والزهد والكرم والشجاعة ، وكثرة الأسفار غازيا وحاجا وتاجرا ، توفي بهيت على الفرات .
انظر : الطبقات الكبرى لابن سعد ٣٧٢/٧ ؛ الجرح والتعديل ٢٦٢/١ - ٢٨١ ؛ حلية الأولياء ١٦٢/٨ - ١٩٠ ؛ تذكرة الحفاظ ٢٧٤/١ - ٢٧٩ ؛ البداية والنهاية ١٧٧/١٠ - ١٧٩ ؛ تهذيب التهذيب ٣٨٢/٥ - ٣٨٧ ؛ الأعلام ١١٥/٤ ؛ تاريخ التراث العربي (المجلد الأول) ١٧٥/١ - ١٧٦ .

(٤) الفقيه المحدث أبو يوسف يعقوب بن ابراهيم بن حبيب الأنصارى الكوفي البغدادى ، (١١٣ - ١٨٢) ولي قضاء بغداد ومات بها ، لزم الامام أبا حنيفة وتفقه ، يقال : انه أعلم أصحاب أبي حنيفة وأتبعهم للحديث .
انظر : الطبقات الكبرى لابن سعد ٣٣٠/٧ - ٣٣١ ؛ الجرح والتعديل ٢٠١/٩ - ٢٠٢ ؛ تذكرة الحفاظ ٢٩٢/١ - ٢٩٤ ؛ البداية والنهاية ١٨٠/١٠ - ١٨٢ ؛ الجواهر المضية ٢٢٠/٢ - ٢٢٢ ؛ لسان الميزان ٣٠٠/٦ - ٣٠١ ؛ تاج التراجم لابن قطلوبغا ، ص ٨١ ؛ الأعلام ١٩٣/٨ - ١٩٤ ؛ تاريخ التراث العربي (المجلد الأول) ٥١/٣ - ٥٤ .

(٥) الامام الحافظ الكبير أبو يعقوب اسحاق بن ابراهيم بن مخلد بن ابراهيم بن مطر التميمي الحنظلي المروزى ، المعروف بابن راهويه ، نزيل نيسابور ، ولد سنة ١٦١ أو ١٦٦ وتوفي سنة ٢٣٨ ، روى عنه الجماعة سوى ابن ماجة . انظر : الجرح والتعديل ٢٠٩/٢ - ٢١٠ ؛ تذكرة الحفاظ ٤٣٣/٢ - ٤٣٥ ، ميزان الاعتدال ١٨٢/١ - ١٨٣ ؛ تهذيب التهذيب ٢١٦/١ - ٢١٩ ؛ الأعلام ٢٩٢/١ ، تاريخ التراث العربي (المجلد الأول) ٢٠٨/١ - ٢٠٩ .

فإن مبناها على ترجيح أحد المتماثلين بلا مرجّح ، وحدوث الحادث بلا سبب لحدوثه ولا حكمة لإحداثه ، وأن ماقامت به الصفات والأفعال فهو محدَث : كائن بعد أن لم يكن ، وغير ذلك من لوازمها المنافية لصريح المعقول وصحيح المنقول .

بطلان دعوى المتكلمين أن طريقتهم طريقة ابراهيم عليه السلام

وأعجب من ذلك دعوى كثير منهم أنها طريقة إبراهيم الخليل ، المذكورة في قوله : (لا أحب الآفلين)[1] ؛ فزعموا أن إبراهيم أثبت بذلك وجود الصانع وحدوث العالم ، وهذا غلط على إبراهيم من وجوه :

منها أن مقصوده كان إثبات التوحيد لا إثبات الصانع ؛ كما قد بُسط في موضعه .

ومنها أنه لو كان مقصوده إثبات الصانع لكان ذلك دليلا على نقيض مطلوبهم ؛ فإن الخليل لم يستدل بنفس الأعراض الحادثة : كالحركة والانتقال والبزوغ والجريان في الفلك ،وماجعل ذلك منافياً لمقصوده ، وإنما استدل بالأفول وهو المغيب والاحتجاب ، فلو كان مطلوبه إثبات العلم بالصانع لكانت الأعراض الحادثة لاتنافي ذلك ؛ وإنما ينافيه الأفول والاحتجاب ، وهذا مناقض لقولهم ، وهذا مبسوط في موضع آخر .

وأئمة الذين سلكوا هذه الطريق يقولون : إنه لاطريق لنا إلى العلم بحدوث العالم والردّ على الدهرية إلا من جهتها ؛ كما هو قول أئمتها ، مثل الجهم وأبي الهُذَيْل[2]

---

(١) سورة الأنعام : ٧٦ .

(٢) أبو الهذيل محمد بن الهذيل بن عبدالله بن مكحول العبدى ، نسبة الى عبدالقيس وكان مولاهم ، ولقب بالعلاف لأن داره كانت بالعلافين من البصرة ، ولد بالبصرة سنة ١٣٥ ، وتوفي بسامرا سنة ٢٣٥ على الراجح في تاريخهما ، وهو من رؤوس المعتزلة ، تنسب اليه طائفة الهذيلية منهم . انظر : الانتصار ، لعبدالرحيم بن محمد الخياط المعتزلي ، تحقيق د . نيبرج ، القاهرة ، ١٣٤٤ - ١٩٢٥ ، ص ٧- ١٦ ، ٧٠- ٧٨ ، ١٢٣- ١٢٥ ؛ باب ذكر المعتزلة ، ص ٦٩- ٧٠ ، وهذا الباب نشر مقتطعاً من كتاب " مقالات الاسلاميين " لأبي القاسم البلخي الكعبي المعتزلي ؛ كتاب فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة للقاضي عبدالجبار المعتزلي ، ص ٢٥٤- ٢٦٣ ، حققهما فؤاد سيد ، ط . الدار التونسية للنشر - تونس ١٣٩٣ - ١٩٧٤ ؛ أصول الدين للبغدادى ، ص ٤٠ ، ٥٠ ، ٩١ ؛ الفصل لابن حزم ٤ / ٨٣- ٨٤ ، ١٩٢ ؛ تاريخ بغداد ٣ / ٣٦٦- ٣٧٠ ؛ الملل والنحل للشهرستاني ١ / ٦٢- ٦٧ ؛ لسان الميزان ٥ / ٤١٣- ٤١٤ ؛ الأعلام ٧ / ١٣١ ؛ تاريخ التراث العربي لسزكين ، المجلد الأول ٤ / ٦٦- ٦٨ ؛ مذاهب الاسلاميين لبدوى ١ / ١٢١- ١٩٧ .

والنَّظَّام[١] ومن تبعهم .

استطالة الفلاسفة الدهرية عليهم بهذه الطريقة

وهم مع هذا لا للإسلام نصروا ، ولا للدهرية كسروا ؛ فإن الدهرية القائلين بقدم الأفلاك ، استطالوا عليهم بهذه الطريق ؛ كما سلكه الفارابي[٢] وابن الهيثم[٣] وابن سينا والسُّهْرَوَرْدِي المقتول[٤] وابن رُشْد[٥] وأمثالهم من الفلاسفة .

---

(١) أبو اسحاق ابراهيم بن سيار بن هانئ البصرى ، النظام ، قيل في سبب هذا اللقب : لأنه كان ينظم الخرز في سوق البصرة ، وقيل : لاجادته نظم الكلام ، وهو من أئمة المعتزلة ، صحب أبا الهذيل وخالفه في مسائل ، تنسب اليه-طائفة النظامية ، مات سنة بضع وعشرين ومائتين . انظر : الانتصار ، ص ١٧-١٨ ، ٢٣ ، ٥٢ ، ٩٣ ، ٩٨ ؛ باب ذكر المعتزلة من كتاب مقالات الاسلاميين للكعبي ، ٧٠- ٧١ ، فضل الاعتزال ص ٢٦٤-٢٦٥ ، أصول الدين للبغدادى ، ص ١٩- ٢٠ ، ٢٧ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٩٠ ، ٩١ ، تاريخ بغداد ٦/ ٩٧-٩٨ ، الملل والنحل للشهرستاني ١/ ٦٧-٧٦ ، لسان الميزان ١/ ٦٧ ، الأعلام ١/ ٤٣ ، تاريخ التراث العربي لسزكين ، المجلد الأول ٤/ ٦٨- ٧٠ ، مذاهب الاسلاميين لبدوى ١/ ٩٨-٢٧٩ .

(٢) أبو نصر محمد بن محمد بن طرخان الفارابي (٢٦٠- ٣٣٩) ، ولد في فاراب ، واستوطن بغداد ، وتوفي بدمشق ، لقب " بالمعلم الثاني " كما لقب أرسطو " المعلم الأول " ، له مؤلفات كثيرة في الفلسفة والموسيقى .

انظر : الفهرست للنديم ، ص ٣٢١ ؛ تاريخ الحكماء ، ص ٢٧٧- ٢٨٠ ؛ عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، ص ٦٠٣- ٦٠٩ ؛ البداية والنهاية ١١/ ٢٢٤ ؛ الأعلام ٧/ ٢٠ .

(٣) أبو علي محمد بن الحسن - وقيل : الحسن بن الحسن ، وقيل : الحسن بن الحسين - بن الهيثم ، ولد بالبصرة ، ونزل مصر ، ومات بالقاهرة في حدود سنة ٤٣٠ ، لقب " ببطليموس الثاني " ، صنف في الطب والفلسفة والهندسة .

انظر : تاريخ الحكماء ، ص ١٦٥- ١٦٨ ؛ عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، ص ٥٥٠ - ٥٦٠ ؛ الأعلام ٦/ ٨٣ - ٨٤ .

(٤) أبو الفتوح يحيى بن حبش بن أميرك ، الملقب بشهاب الدين ، السهروردى المقتول ، وقيل : اسمه أحمد ، وقيل : كنيته اسمه وهي أبو الفتوح ، فيلسوف ، ولد حوالي سنة ٥٥٠ في سهرورد : من قرى زنجان من عراق العجم ، وقتل بحلب سنة ٥٨٧ لسوء معتقده ، قيل فيه : كان ذكيا متهورا ، كثير العلم ، قليل العقل .

انظر : درء تعارض العقل والنقل ١/ ١٥٢ ، ٣١٨ ، ٣/ ١٧٢ ، ١٧٩ ، ٢٦٧ ؛ لسان الميزان ٦/ ١٥٦-١٥٨ ؛ اعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء ٤/ ٢٩٢- ٣٠٤ ؛ الأعلام ٨/ ١٤٠ ؛ وللدكتور محمد علي أبو ريان كتاب " أصول الفلسفة الاشراقية عند شهاب الدين السهروردى " ط . بيروت ١٩٦٩ م .

(٥) القاضي أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد (٥٢٠- ٥٩٥) ، يلقب بالحفيد تمييزا له عن جده الذى يشاركه في الكنية والاسم المتوفي سنة ٥٢٠ ، ولد الحفيد ونشأ بقرطبة ، وتوفي بمراكش ، صنف في الفقه والفلسفة والطب .

انظر : عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، ص ٥٣٠- ٥٣٣ ؛ الديباج المذهب لابن فرحون ، ص ٢٨٤- ٢٨٥ ؛ الأعلام ٥/ ٣١٨- ٣١٩ .

وقالوا : إثبات ذات كانت معطّلة عن الكلام والفعل ثم حدث الفعل عنها بلا سبب - معلوم الفساد بصريح العقل ؛ فإنا إذا فرضنا ذاتا لم تفعل ثم فعلت فلابدّ من حدوث أمر : إما قدرة ، وإما إرادة ، وإما علم، وإما سبب من الأسباب .

ظ ٣١ وأما إذا قدّرنا [ذاتا][1] كانت ولم تفعل ، وهي / الآن كما كانت ، فهي الآن لم تفعل ، فإذا قيل : " إنها فعلت بعد أن لم تفعل " ، فلابد من حدوث أمر من الأمور ، ثم القول في ذلك الأمر كالقول في غيره ؛ يمتنع حدوثه في وقت دون وقت ، وحدوثه دون غيره ، مع تماثل أحوال الفاعل ، وأوقات الفعل ، وعدم اختصاص الفعل عن غيره بسبب ما .

وهذا أعظم عمدتهم.[2] وصاروا[3] يتنازعون في إمكان حوادث لا تتناهى ولا أول لها ؛ فهؤلاء يجوزون ذلك في الواجب والممكن ، ويقولون : إن الفلك أزلي ، لم تزل الحوادث متعاقبة عليه .

وأولئك[4] يمنعون ذلك في الواجب والممكن ، ويمنعون أن يكون الرب تعالى لم يزل متكلما إذا شاء ، أو يكون لم يزل قادراً على الفعل ، بل يمنعون أن يكون فاعلا بنفسه بحال .

ثم ينازعون في إمكان دوام الحوادث في المستقبل ؛ فقال رؤساء هذه الطريقة جهم وأبو الهذيل بامتناع دوام الحوادث في المستقبل ، ثم قال جهم بفناء الجنة والنار ، وقال أبو الهذيل بفناء حركاتهم وأنهم يبقون في سكون دائم .

---

(١) ذاتا : ليست في الأصل (ص) ، وزدتها ليستقيم الكلام .

(٢) الأصل (ص) : وهذا أعظم من غيره وعمدتهم ، لكن خط على عبارة " من غيره " بخط . ومعنى الكلام : وهذا أعظم عمد الفلاسفة في الاحتجاج على قدم العالم .

(٣) الأصل (ص) : وصار ، ولعل الصواب ما أثبته .

(٤) الاشارة بهؤلاء للفلاسفة الدهرية ، وبأولئك للجهمية وأتباعهم . وسيأتي لذلك تفصيل ، ص ٢٦٧ ومابعدها .

وأما سلف الأمة وأئمتها ، وأئمة الفلاسفة الذين كانوا قبل أرسطو -:
فيفرّقون بين الواجب والممكن ، [والخالق[١]] والمخلوق .

بيان حدوث كل ماسوى الله

وقد بسطنا الكلام على مايتبين به حدوث كل ماسوى الله من الأفلاك وغيرها، وذكرنا كل ما احتجوا به ، وبيّنّا فساده بالوجوه البيّنة العقلية ، لما رأينا من ضعف أجوبة هؤلاء المتكلمين المبتدعين لأهل الالحاد ، وما أدخلوا في الشرع والعقل من الفساد ، وقد أغنى الله سبحانه بالحق عن الباطل .

ونحن ننبّه هنا على مابه يُعرف تحقيق ما أخبرت به الرسل من أن الله تعالى خالق كل شيء ؛ فكل ماسواه محدَث مسبوق بالعدم ؛ [وأنه خلق السموات والأرض ومابينهما في[٢]] ستة أيام ، وأنه يُعلم امتناع قدم شيء من ذلك ؛ من غير حاجة إلى تلك الطريق الفاسدة شرعا وعقلا ، بعد أن ننبّه على فساد حجة الفلاسفة ، التي يسمونها المعضلة الزّبّاء[٣] والداهية الدهياء .

وذلك بأن يقال : دوام حدوث الحوادث ، وإن الحوادث لا أول لها ، والتسلسل في الآثار - إما أن يكون ممتنعاً وإما أن يكون ممكناً ؛ فإن كان ممتنعاً بطل قولهم ، وأمكن أن تحدث الحوادث بلا سبب ، وبطلت حجتهم ، وبطل قولهم بقدم الأفلاك التي لا تخلو عن الحوادث عندهم .

وإن كان ممكنا ، أمكن حدوث الأفلاك بسبب حادث قبلها ، وحينئذ فيكون القول بوجوب قدمها باطلا .

فإن مطلوبهم إثبات قدم الأفلاك ، أو قدم[٤] شيء بعينه من العالم ، وهذا لا دليل عليه أصلا ، بل جميع مايذكرونه إنما يدل على دوام نوع الفعل ، والفرق بين النوع والعين معلوم بالاضطرار ، وهم يسلّمون الفرق .

---

١) والخالق : ليست في الأصل (ص) ، والسياق يقتضي زيادتها .
٢) عبارة " وأنه خلق السموات والأرض ومابينهما في" ليست في الأصل (ص)، وزدتها مراعاة للسياق .
٣) الأصل (ص) : الدبا . بالدال وبلا نقاط ، والصواب ما أثبته ، في القاموس المحيط مادة " الزبب " : " والزباء ، من الدواهي : الشديدة " .
٤) الأصل (ص) : أقدم .

وإذا لم يكن دليل على قدم شيء من العالم، كان الجزم بذلك باطلاً؛ فكيف إذا كانت الأدلة تدل على امتناعه[1].

وهكذا سائر حججهم المبنية على "الفاعل" و"الغاية" و"المادة" و"المدة"، وقد بسطنا الكلام عليها في غير هذا الموضع؛ وبيّنا أنه ليس لهم حجة واحدة تدل على قدم شيء من العالم أصلا؛ بل غاية مايستدلون عليه دوام نوع الفعل؛ وذلك لايدل / على قدم شيء معين للفرق [بين][2] العين والنوع، الذى يعترفون بصحته، وإن لم يعترفوا بصحته لزم فساد مذهبهم من أصله، فكيف إذا كان فعل الشيء المعين يمتنع أن يقارن[3] الفاعل، بل يجب تقدم الفاعل على الفعل المعيّن والمفعول المعيّن، وإن قيل: إنه مستلزم لنوع الفعل والكلام.

ج ٣٢

بيان امتناع قدم شيء مع الله

وأما بيان امتناع قدم شيء مع الله كائنا ماكان - فهذا يُعرف بوجوه:

منها - أن يقال: لو كان في الممكنات قديم للزم أن يكون مفعولاً[4] لعلة تامة قديمة، وأن يكون الواجب موجباً لها بذاته، سواء قُدِّر أن له مع ذلك قدرة أو لم يُقدَّر، لكن كون الواجب علة تامة أزلية ممتنع فقدم شيء من العالم ممتنع.

وإن شئت قلت: لكن كونه موجِبا بذاته في الأزل ممتنع، فقِدَم شيء من العالم ممتنع.

أما المقدمة الأولى - فمتفق عليها، فإنهم يسلِّمونها، وهي مع ذلك معلومة بصريح العقل.

---

(١) الأصل (ص): امتناع.
(٢) بين: ليست في الأصل (ص)، وزدتها ليستقيم الكلام.
(٣) الأصل (ص): يفارق، ولعل الصواب ما أثبته.
(٤) الأصل (ص): مفعولا له.

وذلك أن الناس في هذا المقام على قولين : فجمهور العقلاء من الأولين والآخرين يقولون : يمتنع أن يكون الممكن قديما ، ولا يكون الممكن إلا محدثا ؛ فإن الممكن هو الذى يمكن وجوده ويمكن عدمه ؛ وهذا ممتنع في القديم ؛ فإن القديم واجب إما بنفسه وأما بغيره ؛ فيمتنع عدمه على التقديرين ؛ وما امتنع عدمه لم يقبل العدم .

وإذا قيل : هو باعتبار نفسه يقبل الأمرين ، وإنما يجب وجوده أو عدمه بغيره .

قيل : هذا باطل لثلاثة أوجه :

أحدها - أن هذا مبني على [أن](١) ماهيته الثابتة في الخارج غير الوجود الثابت في الخارج ، وتلك الماهية تقبل الأمرين ، وهذا باطل عند جماهير العلماء ، بل فساده معلوم بالضرورة بعد التأمل ، وقد بُسط الكلام على هذا في مواضع كثيرة .

الثاني - أنه بتقدير(٢) ثبوت ذلك ، فتلك الماهية إذا كانت قديمة ، واجبة الوجود بغيرها ، امتنع عدم وجوبها ؛ فلم يكن وجودها قابلا للعدم ؛ فلا يكون لها حال تقبل فيه الوجود والعدم ، وهذا بخلاف المعدوم إذا وجد ، فإنه يقبل الوجود والعدم ؛ فإنه تارة يكون(٣) موجوداً وتارة يكون معدوما .

الثالث - أن المعدوم يفتقر في وجوده إلى فاعل يوجده ، فأما العدم(٤) المستمر فلا يحتاج إلى من يجعله معدوما ، فالممكن إنما يفتقر إلى من يرجح وجوده على عدمه ، فأما العدم فلا يفتقر إلى علة ، كما ذهب اليه جماهير النُظّار من المسلمين وغيرهم .

---

(١) ان : ليست في الأصل (ص) ، وزدتها ليستقيم الكلام .
(٢) الأصل (ص) : تقدير .
(٣) الأصل (ص) : يكون يكون .
(٤) الأصل (ص) : فا العدم .

تجويز ابن سينا وأتباعه وجود ممكن قديم واجب بغيره

وإنما خالف في ذلك هذه الطائفة القليلة كابن سينا وأمثاله ؛ الذين قالوا : " إن الممكن قد يكون واجبا بغيره (١) ، قديما ، أزليا ، يمتنع عدمه " . وخالفوا في ذلك سلفهم وجماهير العقلاء ؛ فإن أرسطو وقدماء الفلاسفة يوافقون جمهور العقلاء في أن الممكن لا يكون إلا محدَثا ، وأما القديم الأزلي فلا يكون ممكناً . وهذا مما عدّه ابن رشد الحفيد وغيره من المواضع التي خالف فيها ابن سينا لأرسطو وقدماء الفلاسفة .

ولهذا لما جوّز ابن سينا وأتباعه ، كالرازى والسهروردى والآمدى ، أن الممكن قد يكون / قديما أزليا - ورد عليهم من السؤالات القادحة في هذا الإمكان مالم يمكنهم جوابه ، كما قد بسط في موضعه .

ظ ٣٢

ومايثبتون به إمكان هذا ، من قولهم : " هذا بمنزلة الشعاع مع الشمس ، وبمنزلة الصوت مع الحركة ، وبمنزلة قول القائل : حركتُ يدى فتحرك الخاتم أو كمي ، فإن هذا يقتضي كون الأول علةً للثاني مع اقترانهما في الزمان " - فهذا باطل لوجهين :

أحدهما - أنه ليس فيما ذكروه أن فاعلا لم يتقدم على فعله ؛ فإن الحركة ليست فاعلة للصوت ، ولا حركة اليد فاعلة لحركة الكم ، ولا الشمس فاعلة للشعاع ، بل الأول هنا شرط في الثاني ، وشرط الشيء قد يقارنه في الزمان ، وأين الفاعل من الشرط ؟ ! لا سيما الفاعل الذى هو وحده يفعل مفعوله .

والشمس والنار لا يفيض عنها الشعاع إلا بشرط جسم يقبل ذلك ، وكذلك الصوت ، والحركة الثانية إنما تحصل عن الأولى بشرط أمور أخرى ، فليس هنا ماهو فاعل وحده ، بل ولا هو فاعل أصلا .

ولفظ " العلة " مجمل ، والكلام إنما هو في العلة الفاعلة لمفعول ؛ هل تقارنه في الزمان ؟ ولا شيء في الوجود قط فاعل قارن مفعولا ، وهذا مما ينبغي التفطن له ؛ فإنهم يلبّسون به .

---

(١) الأصل (ص) : واجبا بغيره .

وإذا كان الممكن لا يكون إلا محدثا ، وكل ماسوى الواجب بنفسه فهو ممكن ، فكل ماسواه فهو محدث .

وإذا قيل : بل يمكن قدمه .

فيقال : لا ريب أنه لا يكون قديما إلا إذا كانت له [علة][١] تامة أزلية ، وهذا متفق عليه ، وذلك أنه إذا كان ممكنا - ليس موجوداً بنفسه - وهو مع ذلك قديم أزلي : فإنه لابدّ له من موجِب بذاته في الأزل ؛ بحيث يلزم من وجوده وجوده ، وهذا هو العلة التامة الأزلية التي تستلزم ثبوت معلولها في الأزل .

إذ لو لم يكن في الأزل موجِب بذاته هو علة تامة ، لم يجب وجود المعلول ، بل كان ممكن الوجود ممكن العدم[٢] ؛ وحينئذ فلا يجوز وجوده ، كما تقدم بيانه من أن الممكن - القابل للوجود والعدم - يمتنع وجوده بنفسه ، ويمتنع وجوده بدون مرجح تام يجب وجوده به .

وأما المقدمة الثانية - فلأن العالم مستلزم للحوادث مقارن لها ، بحيث ليس فيه شيء إلا [ويقترن][٣] بالحوادث مقارنة لا تقدم عليها ، وقد دخل في ذلك العقول والنفوس التي يثبتها الفلاسفة - إذا قيل بوجودها[٤] - فإن العقول ، وإن لم تقم بها الحوادث عند كثير منهم ، فإنها مقارنة للحوادث لا تتقدم عليها .

وهذه المقدمة مسلّمة ، والدليل عليها أن كل جزء من العالم إما أن يقترن بالحوادث ، بحيث يمتنع تقدمه عليها ، وإما أن يجوز وجوده قبل وجود شيء من الحوادث .

فإن كان الأول فهو المطلوب ، وإن كان الثاني لزم أن يكون لجميع الحوادث أول ؛ وهذا مع أنه يبطل عمدة الفلاسفة الدهرية إذا التزموه

---

(١) علة : ليست في الأصل (ص) : وزدتها ليستقيم الكلام .
(٢) الأصل (ص) : العالم ، وكتب في الهامش : لعله العدم .
(٣) ويقترن : ليست في الأصل (ص) ، وترك مكانها بياضا .
(٤) الأصل (ص) : لوجودها .

ـ فإنه باطل ؛ وذلك [أنه][1] يستلزم ترجيح أحد المتماثلين على الآخر بلا مرجح ، وحدوث الحوادث بلا سبب .

ج ٣٣ وإذا / كان كل جزء من العالم مستلزما لمقارنة الحوادث ـ لا يجوز أن يوجد قبلها ـ امتنع أن يكون مفعولَ العلة التامة القديمة ، وأن يكون صادرا عن موجِب بالذات في الأزل ، فإن وجود الملزوم بدون اللازم محال .

وما كان[2] مستلزما للحوادث ـ بمعنى أنه لا يوجد إلا مقارنا ، بل لا يكون وجوده إلا مقارنا لها ـ امتنع وجوده دونها ، وامتنع أيضا وجود الحوادث المتسلسلة عن علة تامة أزلية ، وهو الموجِب بالذات في الأزل ؛ لأن العلة التامة الأزلية تستلزم معلولها في الأزل ، وإن شئت قلت : لأن الموجِب بالذات في الأزل يجب وجود موجَبه في الأزل ، لا يتأخر عنه شيء من معلوله وموجَبه .

والحوادث المتعاقبة شيئا بعد شيء لا تكون جملتها ؛ بل ولا واحد منها بعينه في الأزل ؛ فامتنع صدور الحوادث أو ما[3] يستلزم الحوادث عن علة تامة أزلية ؛ فامتنع ثبوت الموجب بالذات في الأزل ؛ فامتنع صدور شيء من العالم عن علة تامة في الأزل ؛ فامتنع قدم شيء من العالم ، وهو المطلوب .

وإذا قيل : هو موجب الحادث الثاني بشرط الأول ، كقاطع المسافة .

قيل : إذا كان علة تامة أزلية على حال واحدة أزلاً وأبداً ـ فما من وقت إلا ويمتنع اختصاصه فيه بما يوجب صدور حادث عنه ، فلا يصدر عنه شيء من الحوادث ، وهذا بخلاف قاطع المسافة ؛ فإنه إذا قطع الجزء الأول حدث في نفسه إرادة وقدرة لم تكن ؛ فبها[4] أحدث الحادث الثاني .

(١) أنه : ليست في الأصل (ص) ، والسياق يقتضي زيادتها .
(٢) الأصل (ص) : ماكان .
(٣) الأصل (ص) : ... الحوادث وأما ، ولعل الصواب ما أثبته .
(٤) الأصل (ص) : لم يكن فبها ، والحرف الذى يلي الفاء غير منقوط .

فإن قيل : هذا يبطل قول من لا يقول بقيام الحوادث بالواجب من الفلاسفة ، وأما القائلون به مثل الأساطين وأبي البركات وغيرهم ؛ فهم يقولون: إنما أحدث الثاني بما قام في نفسه من الأمور المتجددة كالإرادة ونحوها .

قيل : وعلى هذا القول يكون القول بأنه ليس في العالم شيء قديم - أظهر وأظهر .

وذلك أنه إذا كان إنما يفعل بأمور متجددة تقوم بنفسه - كان فعل كل مفعول له متجدداً ، وإذا كان فعل المفعول حادثاً ، فالمفعول يكون حادثا بطريق الأولى والأحرى ؛ فإنه على هذا القول يكون امتناع فعل قديم لمفعول قديم أظهر وأظهر.

ولأنه على هذا التقدير لابدّ أن تكون ذاته علة تامة لذات الفلك، ووجود الفلك بدون لوازمه ممتنع ؛ فلابد أن يكون علة له وللوازمه الحادثة، وهو لا يكون على هذا القول علة بذات مجردة ، بل بذات موصوفة بالإرادة المتعاقبة شيئا بعد شيء ، وما كان كذلك امتنع أن يكون شيء من مراداته المفعولة له قديماً أزلياً .

وسنبين[1] - إن شاء الله تعالى - أن كل فاعل يمتنع أن يقارنه مفعوله؛ فضلا عن الفاعل بالإرادة ؛ فضلا عن أكمل الفاعلين ؛[خالق] كل شيء [وربه ومليكه[2]] ؛ نوضح بذلك أن هؤلاء المتفلسفة الدهرية يزعمون أن الرب تعالى دائم الفيض ، وأن فيضه إنما يتوقف على حدوث الاستعدادات/والقوابل؛

نظرية الفيض عند الفلاسفة الدهرية

ل ٣٣

كما يقولونه في العقل الفعّال ، ويقولون : إنه دائم الفيض على هذا العالم، لكن تأخير فيضه بسبب تأخير حدوث الاستعدادات والقوابل .

فيقال لهم : ماذكر في العقل الفعّال وإن كان باطلا ؛ لكن بتقدير[3] تسليمه فالعقل ليس هو المبدع لما سواه ، بل مايصدر عنه متوقف عليه وعلى

---

(١) الأصل (ص) : سنبين . بدون الواو .
(٢) الأصل (ص) : الفاعلين كل شيء . . . (ثم بياض بقدر كلمة) ولعل الصواب ما أثبته .
(٣) الأصل (ص) : تقدير .

غيره ، فلما صار له شريك في الإحداث توقف فيضه على إحداث شركائه ، وأما واجب الوجود المبدع لكل ماسواه فلا يتوقف فعله على غيره ، ولا يحتاج في شيء من أموره إلى غيره .

فلو قيل : إن فعله يتوقف على حدوث استعداد وحدوث قوابل .

قيل : الكلام في حدوث الاستعداد والقوابل كالقول في المحدِث غيره ، وهم يقولون : إن حركة الفلك هي أصل حدوث كل حادث .

قولهم في حركة الفلك

فيقال لهم : ماالموجب لحركة الفلك ؛ وهي قائمة بالفلك الذى هو ممكن معلول لغيره ؟ .

إن قلتم : تجدد تصورات وإرادات الفلك .

قيل : والكلام في تجدد تلك التصورات والإرادات ؛ فإنها أمور ممكنة قائمة بأعيان ممكنة ؛ فهي ومحلها مفتقرة إلى مبدع فاعل لها ؛ فما الموجب لحدوثها ، والواجب عندكم لا يحدث عنه أمر من الأمور أصلا ؟ .

حقيقة قولهم أن الحوادث تحدث بلا محدث

فحقيقة قولكم أن جميع الحوادث تحدث بلا محدث أصلا ، وهذا أشد فساداً من قول الجهمية والمعتزلة وموافقيهم ؛ الذين قالوا : تحدث عن فاعل مختار بدون سبب حادث ، وبدون مرجح لأحد المتماثلين على الآخر - فإن إنكار المحدِث أعظم فساداً في العقل من إنكار سبب الحدوث .

وحقيقة قول هؤلاء الفلاسفة - الذين قالوا بأن العالم معلول علة قديمة - أن حوادث العالم لا محدِث لها أصلا ؛ فإن منتهى قولهم إضافة الحوادث إلى حركة الفلك ، ثم لا يثبتون لحركته(١) القائمة بالممكنات محدِثاً لها ، فإنه ليس فوق ذلك إلا علة تامة أزلية - وهو الذى يسمونه موجِبا بالذات - أو ما هو من لوازم وجوده ، كالعقول التي يثبتونها فإنها لازمة له مفعولة ، لا تنفك لا هي ولا شيء من أحوالها .

---

(١) الأصل (ص) : لحركة .

ومن المعلوم بصريح العقل أن العلة التامة الأزلية ولوازمها يقارنها معلولها - وهي موجِبة بذاتها له في الأزل - لا يتأخر عنها، فلا يكون شيء من الحوادث معلولاً لها ولا موجَبا بها؛ فلا تكون الحوادث صادرة عنها لا بواسطة ولا بغير واسطة، ولا يمكن إسناد الحوادث إلى غيرها؛ فإنه إن كان واجبا بنفسه كان باطلا من وجوه:

منها، لزوم إثبات واجبين قائمين بأنفسهما مشتركَيْن في العالم؛ هذا أبدع الذوات وهذا أبدع الحوادث، مع أنه مما اتفق أهل الأرض على فساده، ففساده معلوم بصريح العقل، وقد تقدم بيان فساده.

ومنها، أن الكلام في صدور الحوادث عن هذا الواجب بنفسه، كالكلام في صدورها عن الأول؛ فإن صدور الحوادث عن علة تامة أزلية ممتنع كيفما قُدِّر.

وإن قيل: بل هذا الواجب تقوم به أمور اختيارية، هي سبب حدوث الحوادث - أمكن أن يقال مثل هذا في / الواجب بنفسه الحق، فلا حاجة إلى إثبات ربٍ ثانٍ واجبٍ بنفسه، مع أنه معلوم الامتناع بصريح المعقول وصحيح المنقول.

ج ٣٤

فحقيقة قول هؤلاء في حركات الأفلاك من جنس قول القدرية في أفعال الحيوان، مع أنهم ينكرون على القدرية قولهم، والقدرية خير منهم؛ فإن الحيوان يعلم الناسُ أنه متحرك باختياره وقدرته بالضرورة بخلاف الفلك، ويعلمون ما يحدث بأفعاله بخلاف الفلك.

فقول هؤلاء باطل من وجوه:

منها، أنهم جعلوا جميع الحوادث لا سبب لها إلا حركة الفلك، وهذا باطل قطعاً.

ومنها، أنهم أخرجوا الفاعل عن أن يكون فاعلا، وسوّوا بين صفاته اللازمة له بأعيانها وبين أفعاله التي يفعلها منفصلة عنه، لا سيما وهو فاعل لها بقدرته ومشيئته.

أما الأول فلأن غاية حركة الفلك أن تكون سبباً في حدوث أمور حادثة ، والأسباب الموجودة في العالم ليس فيها شيء مستقل بالتأثير ؛ بل كل منها لا بدّ له من شريك معاون وله معارض مانع ؛ فإن لم تحصل الشروط وتنتفي الموانع لم يحصل المسبَّب .

وهؤلاء غايتهم أن يثبتوا سبباً ، لم يثبتوا معه الأسباب[1] التي هي شروط له ، ولم ينفوا الموانع المعارضة .

وهذا شأنهم دائما في جميع الحوادث ، مثل إضافتهم لما يضيفونه إلى الطبيعة ، والطبيعة هيَ قوة في الجسم ؛ فغايتها أن تكون سبباً مفتقراً إلى أمور أخرى تنضم إليها ، ولها موانع معارضة تدفع مقتضاها .

قول الجبرية الأشاعرة في طبائع الأجسام

وقد قابلهم طوائف من المتكلمين فمنعوا ثبوت الطبيعة ؛ وزعموا أن ليس في الأجسام قُوى وطبائع ، ثم طوائف من هؤلاء طردوا هذا في الحيوان والجماد ؛ وسلبوا[2] الحيوان أن تكون له قدرة لها أثر في مقدوره ، وقالوا : "إن الإنسان لا يفعل أفعاله بل يكسبها " ، وفسّروا الكسب بما قارن القدرة المحدثة في محلها .

ومجرد المقارنة لا يميّز القدرة عن غيرها ؛ فإن الفعل يقارن العلم والإرادة وغير ذلك ، ولهذا قال جمهور العقلاء : ثلاثة أشياء لا حقيقة لها : " طَفْرَة النَّظَّام[3] ،

---

(١) في الأصل (ص) : جاءت هذه الكلمات الأخيرة كما يلي : أن يثبتوا سببا لم يثبتوا عنه الاسيا ، ولعل الصواب ما أثبته .

(٢) الأصل (ص) : وسلموا ، ولعل الصواب ما أثبته .

(٣) في الصحاح مادة " طفر " : " الطفرة : الوثبة " .

والقول بالطفرة من أشهر آراء النظام في الطبيعيات ، وهي قوله : ان كل مسافة تقطع بالطفرة فلا يجب أن يمر أو يحاذى القاطع جميع الأجزاء ، بل يجوز أن يكون في مكان ثم يصير الى المكان الثالث ، ولم يمر بالثاني ، على جهة الطفرة .

وأصل هذا القول أن أكثر المعتزلة - ووافقهم أكثر الأشعرية - قالوا : ان الأجسام مركبة من أجزاء لا تتجزأ ، وهي الجواهر المنفردة التي لا تقبل القسمة ، وخالفهم النظام ونفى الجزء الذى لا يتجزأ ، وقال : ان الأجسام مركبة من أجزاء أو جواهر غير متناهية .

وعلى هذا بنى القول بالطفرة ، اذ التزم أن الطافر لا يحاذى ما تحته من الأجزاء ، لئلا يقع مالا يتناهى تحت مايتناهى .

انظر : في طفرة النظام والرد عليه : مقالات الاسلاميين للأشعرى ٢ / ١٩ ؛ الفصل لابن حزم ٥ / ٦٤ - ٦٥ ؛ المعتمد في أصول الدين لأبي يعلى ، ص ٣٩ ؛ الشامل للجويني ، ص ٤٣٠ - ٤٤٤ ؛ الملل والنحل للشهرستاني ١ / ٧٠ - ٧١ ؛ درء تعارض العقل والنقل ٣ / ٤٤٢ - ٤٤٤ ، ٨ / ٣٢٠ - ٣٢١ .

وأحوال أبي هاشم[١]، وكسب الأشعري[٢]".

والكسب الذي أنكره الجمهور على الأشعري تابعه عليه طوائف من المنتسبين إلى السنة ؛ من الفقهاء أصحاب مالك والشافعي وأحمد ، ومن أهل الحديث والصوفية وغيرهم .

نفي الأشاعرة للأسباب والحكم

وهؤلاء لا يثبتون للحوادث سبباً ولا حكمة ، بل يجعلون نفس الإرادة القديمة الأزلية اقتضت حدوث الحوادث جميعها ؛ بصفاتها وأقدارها وأزمنتها المعيّنة ؛ مع تماثل الأزمنة وتماثل الحوادث بالنسبة إلى الإرادة ، ويقولون : " إن من شأن الإرادة تخصيص أحد المتماثلين على الآخر بدون مخصّص ".

وأما جمهور العقلاء من أهل الحديث والكلام والفقه والتصوف والفلسفة وغيرهم - يقولون : " فساد هذا معلوم بصريح العقل ".

---

(١) تقدم الكلام عن الأحوال ، ص ٧٥ ت ٦ .

(٢) قال أبو الحسن الأشعري في كتاب " مقالات الاسلاميين " ٢ / ٢٢١ : " والحق عندي أن معنى الاكتساب ، هو أن يقع الشيء بقدرة محدثه ، فيكون كسبا لمن وقع بقدرته ".
وبسط في كتاب " اللمع " الكلام عن نظريته في الكسب ، وأجاب على اعتراضات أوردها ، ومما قال ، ص ٧٢ - ٧٤ : " فان قال قائل : فلم لا دل وقوع الفعل الذي هو كسب ، على أنه لا فاعل له الا الله ، كما دل على أنه لا خالق له الا الله تعالى ؟ قيل له : كذلك نقول ، فان قال : فلم لا دل على أنه لا قادر عليه الا الله عز وجل ؟ قيل له : لا فاعل له على حقيقته الا الله تعالى ، ولا قادر عليه أن يكون على ما هو عليه من حقيقته أن يخترعه الا الله تعالى .
فان قال : فلم لا دل كونه كسبا على حقيقته ، على أنه لا مكتسب له في الحقيقة الا الله ؟ قيل له : الأفعال لا بد لها من فاعل على حقيقتها ، لأن الفعل لا يستغني عن فاعل ... وليس لا بد للفعل من مكتسب يكتسبه على حقيقته ... ألا ترى أن حركة الاضطرار تدل على أن الله تعالى هو الفاعل لها على حقيقتها ، ولا تدل على أن المتحرك بها في الحقيقة هو الله تعالى ... ولا يجب أن يكون المتحرك المضطر اليها فاعلا لها على حقيقتها ، اذ كان متحركا بها على الحقيقة ، اذ كان معنى المتحرك أن الحركة حلته ، ولم يكن ذلك جائزا على ربنا تعالى .
وكذلك اذا كان الكسب دالا على فاعل فعله على حقيقته ، لم يجب أن يدل على أن الفاعل له على حقيقته هو المكتسب له ، ولا على أن المكتسب له على الحقيقة هو الفاعل له على الحقيقة ، اذ كان المكتسب مكتسبا للشيء لأنه وقع بقدرة له عليه محدثة ، ولم يجز أن يكون رب العالمين قادرا على الشيء بقدرة محدثه ، فلم يجز أن يكون مكتسبا للكسب ، وان كان فاعلا له في الحقيقة ".
انظر سائر كلامه ، ص ٦٩ - ٨٠ ، وانظر كلامه بعد ذلك في الاستطاعة ، ص ٩٣ - ١٠٢ ، حيث يقول بوجود الاستطاعة مع الفعل للفعل ، واستحالة تقدمها عليه .
وانظر في كتب أتباعه : أصول الدين للبغدادي ، ص ١٣٣ - ١٣٧ ؛ الارشاد للجويني ، ص ١٨٧ - ٢١٠ ، ٢١٥ - ٢٢٥ ؛ الملل والنحل للشهرستاني بهامش الفصل ١ / ١٢٥ .

قول القدرية المعتزلة
ظ ٣٤

وأما القدرية من المعتزلة ونحوهم ، فأثبتوا مافي الحيوان من القدرة والاختيار والأفعال ، دون سائر القوى / والطبائع والأفعال التي فيه أو في غيره من الأجسام ، وغلو في أفعال الحيوان حتى جعلوها تحدث ارادية بلا سبب محدث لها - كما زعمه أولئك الفلاسفة في الحركة الفلكية - .

وجعل أكثرهم مايحدث بسبب منه ومن غيره أفعالا[1] يسمونها " الأفعال المتولدة " : كالشبع والرى عن الأكل والشرب ، وخروج السهم عن النزع ، وحصول الموت عن الضرب ونحو ذلك .

وهؤلاء القدرية تارة يثبتون حادثا بلا محدث ؛ وممكنا يرجح وجوده على عدمه بلا مرجح ؛ كحدوث فعل الحيوان ، وتارة يضيفون الحادث الى بعض أسبابه دون سائر أسبابه ؛ كاضافة المتولدات الى فعل الانسان دون غيره ؛ وتارة ينكرون الأسباب كانكارهم مافي الأجسام من القوة الطبيعية غير الارادية[2] .

---

(١) الأصل (ص) : فعلا ، ولعل الصواب ما أثبته .

(٢) فصل الأشعرى في كتاب " مقالات الاسلاميين " ٢ / ٨٦ - ٩٣ أقوال المعتزلة في الأفعال المتولدة ، وهي التي تتولد أو تحصل عن أفعال أخرى ؛ فقال ماملخصه :

قال بشر بن المعتمر : ماتولد عن فعلنا فهو فعلنا ، حادث عن الأسباب الواقعة منا ، وزعم أن الناس يفعلون اللون والحلاوة والرائحة والألم واللذة والصحة والزمانة والشهوة .

وقال أبو الهذيل : ان كل ماتولد عن فعله مما تعلم كيفيته فهو فعله ، وذلك كالألم الحادث عن الضرب ، وذهاب الحجر عند دفعه له ، وكالصوت الحادث عند اصطكاك الشيئين . فأما اللذة والألوان والطعوم والأراييح ، والحرارة والبرودة ، والعلم الحادث في غيره عند فعله فذلك فعل الله سبحانه .

وقال ابراهيم النظام : لا فعل للانسان الا الحركة ، وانه لا يفعل الحركة الا في نفسه ، وكان يقول : ان ماحدث في غير حيز الانسان فهو فعل الله سبحانه بايجاب خلقه للشيء ، كذهاب الحجر عند دفعه الدافع ، ومعنى ذلك أن الله سبحانه طبع الحجر طبعا اذا دفعه دافع أن يذهب ، وكذلك سائر الأشياء المتولدة .

وقال معمر : المتولدات ومايحل في الأجسام من حركة وسكون ، ولون وطعم ورائحة ، وحرارة وبرودة ، ورطوبة ويبوسة ، فهو فعل للجسم الذى حل فيه بطبعه .

وقال صالح قبة : ان الانسان لا يفعل الا في نفسه ، وان ماحدث عند فعله - كذهاب الحجر عند الدفعة - فالله سبحانه الخالق له ، وجائز أن يخلق سكون الحجر الصغير عند دفعة الدافع له ، ولا يخلق ذهابه ولو دفعه أهل الأرض جميعا واعتمدوا عليه ، وجائز أن يضع الله سبحانه الادراك مع العمى ، والعلم مع الموت .

وقال ثمامة : لا فعل للانسان الا الارادة ، وأن ماسواها حدث لا من محدث ، كنحو ذهاب الحجر عند الدفعة ، وزعم أن ذلك يضاف الى الانسان على المجاز .

وقال الجاحظ : مابعد الارادة فهو للانسان بطبعه ، وليس باختيار له ، وليس يقع منه فعل باختيار سوى الارادة ./ =

والأسباب ثابتة ، وهي حادثة باحداث الله تعالى ، وهي مفتقرة الى أسباب أخر، ولها موانع . وهؤلاء ينفون بعضها ، ويجعلون بعضها حادثا بغير احداث الله ؛ ويجعلون ذلك المحدث مستقلا لا يفتقر الى مشارك .

وأما مقابلوهم المائلون الى الجبر فأثبتوا أن الله خالق كل شيء وربه ومليكه ،وهذا جيد ، لكن نفوا تأثير الأسباب والحكم في الجماد والحيوان ، وأنكروا أن يكون للحيوان - الانسان أو غيره - فعل يفعله بقدرته .

وحقيقة قول هؤلاء ترجيح أحد المتماثلين بلا مرجح ؛ وحدوث الحوادث بلا سبب أصلا .

قول الفلاسفة أفسد من قول القدرية والجبرية من وجوه

وقول هؤلاء وهؤلاء مع مافيه من الخطأ والفساد ؛ فهو خير من قول أولئك المتفلسفة وأهل الطبع والنجوم من وجوه :

فان قول أولئك يتضمن مايتضمنه قول هؤلاء وقول(١) هؤلاء ، من ترجيح أحد المتماثلين على الآخر بلا مرجح ، ومن حدوث الحوادث بلا سبب، ويزيد عليه بأنه يتضمن حدوث جميع الحوادث بلا محدث أصلا .

ويتضمن اضافتهم الحوادث الى مالا يعلم ثبوته ،بل يعلم انتفاؤه من الأسباب .

ويتضمن أنهم يجعلون السبب مستقلا بالاحداث ، مع افتقاره الى شريك يعاونه ، ومانع يعارضه ،وافتقاره الى محدث يحدثه ؛ فلا يثبتون لامحدثه ولا شريكه(٢) ولا مانعه ، بل يضيفون الى السبب المحدث الذى له شركاء وموانع، وحصول الأثر به موقوف على فعل الله تعالى - يضيفون اليه مع هذا ، ماهو مخلوق للرب الذى لا شريك له ولا ضد له ولا رب له .

= وقال ضرار وحفص الفرد : ماتولد من فعلهم مما يمكنهم الامتناع منه متى أرادوا فهو فعلهم ، وماسوى ذلك مما لا يقدرون على الامتناع منه متى أرادوا فليس بفعلهم .
وقد أشار الى بعض هذه الأقوال القاضي عبد الجبار في شرح الأصول الخمسة ،ص ٣٨٧- ٣٨٨ ، وحاول الخياط في كتاب " الانتصار " ،ص ٧٦- ٧٨ رد النقد الموجه للقائلين بالتولد .
وانظر من الكتب الناقدة أصول الدين للبغدادى ،ص ١٣٧- ١٤٠ ؛ الارشاد للجويني ،ص ٢٣٠ - ٢٣٤ ؛ الفصل لابن حزم ٥/ ٥٩- ٦٠ ؛ المواقف للأيجي ،ص ٣١٦- ٣١٩ .

(١) الأصل (ص) : وفوق ،ولعل الصواب ما أثبته .
(٢) الأصل (ص) : ولا شريك .

ولهذا كان الحاد هؤلاء ظاهرًا[1] عند أهل الملة ، بخلاف الأولين فانهم معدودون من أهل البدع .

وهذا المقام من أعظم المقامات التي اضطرب فيها مبتدعة المتكلمين وملاحدة الفلاسفة ، حتى ان الرجل الواحد يصنف الكتب المتعددة ، فينصر قول هؤلاء في كتاب ، [وينصر قول أولئك في كتاب[2]] ، كما يقع في كتب الرازي والآمدي ، بل وأبي حامد وغيرهم ، والقول الوسط ، الجامع للحق ، الموافق لصحيح المنقول وصريح المعقول - لا يهتدون اليه .

وأشهر الطوائف انتسابا الى السنة هم مثبتة القدر ؛ الذين يقرون بما اتفق عليه سلف الأمة وأئمتها / من أن الله تعالى خالق كل شيء وربه ومليكه، وأنه ماشاء كان ومالم يشأ لم يكن ، وأنه خالق كل شيء بقدرته ومشيئته . ج ٣٥

فهؤلاء يردون على أهل التعطيل من المتفلسفة وفروعهم ، الذين يثبتون بعض الأسباب للحوادث ويعرضون عما سوى ذلك ؛ ويردون على القدرية الذين يزعمون أن مايحدث من أفعال الحيوان يحدث بدون قدرة الله ومشيئته وخلقه ، ويثبتون هذا من جملة الحوادث .

مع أن الدليل على أن الله تعالى خالق كل شيء يتناول هذا كما يتناول غيره ؛ سواء استدل بالامكان ، أو بالحدوث ، أو مجموعهما ، أو كل منهما ، أو غير ذلك ؛ مما به يعلم أن الله خالق الممكنات المحدثات من الأعراض القائمة بالحيوان والجماد - يعلم به أنه[3] خالق أفعال الحيوان ، كما هو مبسوط في غير هذا الموضع .

لكنْ هؤلاء المنتسبون الى السنة ، لم يثبت كثير منهم للرب حكمة يفعل لأجلها ؛ قائمة به ولا منفصلة عنه ، ولا يثبتون له رحمة ومحبة ورضا وسخطا ، غير

---

(١) الأصل (ص) : ظاهر .
(٢) مابين المعكوفين ليس في الأصل (ص) ، والسياق يقتضي اضافته .
(٣) في الأصل : أن ، ولعل الصواب ما أثبته .

محض المشيئة التي نسبتها الى جميع الممكنات نسبة واحدة ، ولا يثبتون للحوادث أسبابا تقتضي التخصيص ، ولا يثبتون ماخلقه الله من الأسباب والموانع .

بل غايتهم أن يجعلوا مجرد القدرة والمشيئة والارادة القديمة ، موثرة في كل حادث ، مع نفي تأثير الأسباب بوجه من الوجوه ، ويقولون : ان الله يفعل هذه الحوادث عند هذه الأمور المقارنة لا بها ؛ وان ذلك عادة محضة ، ويجعلون " اللام " في أفعاله " لام العاقبة " لا " لام التعليل " .

دلالة القرآن على اثبات الأسباب في أفعال الله

والله سبحانه وتعالى يقول في كتابه : (وهو الذى يرسل الرياح بشرا بين يدى رحمته حتى اذا أقلت سحابا ثقالا سقناه لبلد ميت فأنزلنا به الماء فأخرجنا به من كل الثمرات)(١) . فبين سبحانه أنه ينزل الماء بالسحاب ويخرج الثمر بالماء .

وقال تعالى : (ان في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجرى في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة)(٢) . وقال تعالى : (ونزلنا من السماء ماء مباركا فأنبتنا به جنات وحب الحصيد . والنخل باسقات لها طلع نضيد . رزقا للعباد وأحيينا به بلدة ميتا كذلك الخروج)(٣) .

وقال تعالى : (قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين . يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام)(٤) . وقال تعالى : (قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم)(٥) . وقال تعالى : (ولكن جعلناه نورا نهدى به من نشاء من عبادنا)(٦) . وقال

(١) سورة الأعراف : ٥٧ .

(٢) سورة البقرة : ١٦٤ . وآخر الآية : (وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون) .

(٣) سورة ق : ٩ - ١١ .

(٤) سورة المائدة : ١٥ - ١٦ .

(٥) سورة التوبة : ١٤ .

(٦) سورة الشورى : ٥٢ .

تعالى : (يضل به كثيرا ويهدى به كثيرا)[١]. ومثل هذا الكثير .

دلالة القرآن على اضافة آثار المخلوقات من الحيوان والجماد اليها

وأيضا ففي القرآن من اضافة الآثار الى المخلوقات من الحيوان والجماد مالا يكاد يحصى ؛ كقوله في الآدميين : (يعلمون) و (يعقلون) و (يؤمنون) و (يتقون) و (يشكرون) ، وأمثال ذلك ، وأمره لهم بالأفعال ونهيه لهم عن الأفعال ، وهذا كثير .

قال في الجماد : (وأخرجت الأرض أثقالها)[٢] . وقال : (اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج)[٣] . وقال تعالى في[٤] : (تدمر كل شيء بأمر ربها)[٥] . وقال تعالى : (فأما ثمود فأهلكوا بالطاغية . وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية)[٦] .

ظ ٣٥

وقال تعالى : (انا لما طغى الماء حملناكم في الجارية)[٧] / وقال تعالى : (ووصينا الانسان بوالديه)[٨] . والولادة ليست من الأفعال الاختيارية ؛ وان كان بعض أسبابها اختياريا .

وقال تعالى : (والذاريات ذروا . فالحاملات وقرا . فالجاريات يسرا)[٩] . وقال : (والمرسلات عرفا . فالعاصفات عصفا . والناشرات نشرا . فالفارقات فرقا)[١٠] .

وقال تعالى : (وهو الذى يرسل الرياح بشرا بين يدى رحمته حتى اذا أقلت سحابا ثقالا)[١١] . وقال تعالى : (وأرسلنا الرياح لواقح)[١٢] .

---

(١) سورة البقرة : ٢٦ .
(٢) سورة الزلزلة : ٢ .
(٣) سورة الحج : ٥ .
(٤) كذا في الأصل ، ولعل الصواب : . . . في الريح .
(٥) سورة الأحقاف : ٢٥ .
(٦) سورة الحاقة : ٥ - ٦ .
(٧) سورة الحاقة : ١١ .
(٨) سورة العنكبوت : ٨ .
(٩) سورة الذاريات : ١ - ٣ .
(١٠) سورة المرسلات : ١ - ٤ .
(١١) سورة الأعراف : ٥٧ .
(١٢) سورة الحجر : ٢٢ .

وقال تعالى : (والله جعل لكم مما خلق ظلالا وجعل لكم من الجبال أكنانا وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر وسرابيل تقيكم بأسكم)[١]. وقال تعالى : (وان من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء وان منها لما يهبط من خشية الله)[٢].

وقال تعالى : (وقيل يا أرض ابلعي ماءك وياسماء اقلعي وغيض الماء وقضى الأمر واستوت على الجودى)[٣]. وقال تعالى : (وهي تجرى بهم في موج كالجبال)[٤].

وقال تعالى : (كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه)[٥].

وقال تعالى : (كمثل جنة بربوة أصابها وابل فآتت أكلها ضعفين)[٦]. وقال تعالى : (كلتا الجنتين آتت أكلها ولم تظلم منه شيئا)[٧].

وقال تعالى : (مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة)[٨]. وقال تعالى : (كمثل صفوان عليه تراب فأصابه وابل فتركه صلدا)[٩]. وقال تعالى : (مثل ماينفقون في هذه الحياة الدنيا كمثل ريح فيها صر أصابت حرث قوم ظلموا أنفسهم فأهلكته)[١٠]. وقال تعالى : (حتى اذا أخذت الأرض زخرفها وازينت)[١١]. ومثل هذا كثير في القرآن العزيز .

---

(١) سورة النحل : ٨١ .
(٢) سورة البقرة : ٧٤ .
(٣) سورة هود : ٤٤ .
(٤) سورة هود : ٤٢ .
(٥) سورة الفتح : ٢٩ .
(٦) سورة البقرة : ٢٦٥ .
(٧) سورة الكهف : ٣٣ .
(٨) سورة البقرة : ٢٦١ .
(٩) سورة البقرة : ٢٦٤ .
(١٠) سورة آل عمران : ١١٧ .
(١١) سورة يونس : ٢٤ .

دلالة القرآن على اثبات حكم الله في خلقه وأمره

وكذلك ذكر حكمته سبحانه - في غير موضع[(١)] - في خلقه وأمره ؛ في تكوينه وتشريعه ؛ في مثل قوله تعالى : (وما جعله الله الا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به)[(٢)]. وقال تعالى : (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ماهداكم ولعلكم تشكرون)[(٣)]. وقوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون)[(٤)]. وقوله : (اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون)[(٥)].

وقال تعالى : (لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل)[(٦)]. وقال تعالى (كيلا يكون دولة بين الأغنياء منكم)[(٧)]. وقال تعالى : (لئلا يعلم أهل الكتاب أن لا يقدرون على شيء من فضل الله)[(٨)]. وقوله : (فرددناه الى أمه كي تقر عينها ولا تحزن ولتعلم أن وعد الله حق)[(٩)].

وقال تعالى : (ليجزى الذين أساؤا بما عملوا ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى)[(١٠)]. وقوله تعالى : (ليستيقن الذين أوتوا الكتاب ويزداد الذين آمنوا ايمانا)[(١١)]. وقال تعالى : (وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن / جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا)[(١٢)]. وقوله تعالى : (أو يوبقهن بما كسبوا ويعف عن كثير. ويعلم الذين يجادلون في آياتنا مالهم من محيص)[(١٣)].

ج ٣٦

---

(١) سبحانه في غير موضع: هذا الكلام كتب في هامش الأصل (ص) .
(٢) سورة آل عمران : ١٢٦ .
(٣) سورة البقرة : ١٨٥ .
(٤) سورة البقرة : ١٨٣ .
(٥) سورة البقرة : ٢١ .
(٦) سورة النساء : ١٦٥ .
(٧) سورة الحشر : ٧ .
(٨) سورة الحديد : ٢٩ .
(٩) سورة القصص : ١٣ .
(١٠) سورة النجم : ٣١ .
(١١) سورة المدثر : ٣١ .
(١٢) سورة الفرقان : ٣٢ . في الأصل (ص) : (وقالوا لولا . . .) . وهو خطأ .
(١٣) سورة الشورى : ٣٤-٣٥ .

وقوله تعالى : (جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس والشهر الحرام والهدى والقلائد ذلك لتعلموا أن الله يعلم مافي السموات ومافي الأرض وأن الله بكل شيء عليم)[١] . وقوله تعالى : (الله الذى خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهن لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علما)[٢] .

وقوله تعالى : (انا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون)[٣] . وقوله تعالى : (فانما يسرناه بلسانك لتبشر به المتقين وتنذر به قوما لدا)[٤] . وقال تعالى: (وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم)[٥] . وقال تعالى : (وماجعلنا الرؤيا التي أريناك الا فتنة للناس والشجرة الملعونة في القرآن)[٦] .

وقال تعالى : (ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون)[٧] . وقال تعالى : (هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب)[٨] . وقال تعالى : (والأرض وضعها للأنام)[٩] . وقال تعالى : (وسخر لكم مافي السموات ومافي الأرض جميعا منه)[١٠] .

وقال تعالى : (مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم)[١١] . وقال تعالى : (وهو الذى جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر)[١٢] . وقال تعالى

---

(١) سورة المائدة : ٩٧ .
(٢) سورة الطلاق : ١٢ .
(٣) سورة يوسف : ٢ .
(٤) سورة مريم : ٩٧ .
(٥) سورة ابراهيم : ٤ .
(٦) سورة الاسراء : ٦٠ .
(٧) سورة القصص : ٧٣ .
(٨) سورة يونس : ٥ .
(٩) سورة الرحمن : ١٠ .
(١٠) سورة الجاثية : ١٣ .
(١١) سورة الحج : ٥ .
(١٢) سورة الأنعام : ٩٧ .

: (ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على مارزقهم من بهيمة الأنعام)[١].
ومثل هذا في القرآن كثير .

وهذه المسائل مبسوطة في غير هذا الموضع ؛ وانما المقصود هنا التنبيه على أصول المقالات بحسب مايحتمله جواب هذا السؤال ؛ والتنبيه على أن القول الصحيح هو الموافق لصحيح المنقول وصريح المعقول ؛ الذى يجمع مافي الأقوال المختلفة من الصواب ويجتنب مافيها من الخطأ ؛ وهذه هي طريقة سلف الأمة وأئمة الدين ، وهي التي يدل عليها الكتاب والسنة واجماع السلف .

فان الله تعالى بين في كتابه الحق وأدلته ، بما ضربه فيه من الأمثال وسنه من البراهين العقلية ؛ أن[٢] كانت دلالة القرآن ليست مجرد الاخبار ، حتى يكون الاستدلال به موقوفا على العلم بصدق المخبر ؛ بل القرآن - وان أخبر بالحقائق الثابتة في أمر الايمان بالله واليوم الآخر ، في المبدأ والمعاد - فهو يذكر الأدلة الدالة على ذلك ، ويرشد اليها ، ويهدى اليها .

فاذا تأمل العاقل الخبير نهاية مايذكره أهل النظر من جميع طوائف الكلام والفلسفة وغيرهم - وجد الذى في القرآن أكمل منه ؛ مع سلامته / عن الخطأ والتناقض والتلبيس والتعقيد والتطويل الذى يكثر في كلام أولئك .

ظ ٣٦

مشروعية استعمال قياس الأولى في ذات الله وصفاته

والله سبحانه وتعالى لا ينبغي أن يستعمل في ذاته وصفاته وأفعاله - قياس التمثيل الذى يستوى أفراده ، فانه سبحانه لا مثل له ؛ ولا القياس الشمولي الكلي [الذى[٣]] يستوى أفراده ، فانه لا يساويه شيء من الأشياء في أمر من الأمور ، بل انما يستعمل قياس الأولى ؛ مثل أن يبين أن ما اتصف به غيره من صفات الكمال التي لا نقص فيها بوجه من الوجوه فهو أحق به ؛ ومانفي عن غيره من صفات النقص فهو أحق بتنزيهه عنه . وقد بسط الكلام في ذلك في غير هذا الموضع.

---

(١) سورة الحج : ٣٤ .
(٢) الأصل (ص) : اذا .
(٣) الذى : ليست في الأصل (ص) ، وزدتها لوصل الكلام .

عود للكلام على مذهب الفلاسفة الدهرية في الحوادث

ومما يوضح كونهم لم يثبتوا لحركة الفلك ، ولا غيرها من الحوادث - محدثا ؛ فلأنه ليس عندهم الا علة تامة قديمة مستلزمة لمعلولها ، وهذه يمتنع أن يصدر عنها حادث بوسط وبغير وسط ؛ بل لا يكون معلولها الا قديما أزليا مقارنا لها ، مع أن هذا باطل أيضا ؛ فانه قد تبين أن المفعول المعين يمتنع أن يكون مقارنا لفاعله ، كما قرر في غير هذا الموضع .

واذا كانت العلة التامة الأزلية يجب أن يقارنها معلولها - لم يكن شيء من الحوادث معلولا لها ، وليس هناك فاعل آخر ؛ فيلزم حدوث الحوادث بلا محدث ؛ وهذا أعظم مايكون من السفسطة والالحاد .

وقولهم : ان الذات البسيطة - التي لا يقوم بها صفة ولا فعل - يحدث عنها الحادث الثاني بشرط الأول ؛ فتأخر الأثر كان لتأخر شرطه - باطل من وجوه :

أحدها - أن يقال : شرط الفعل لابد أن يكون ثابتا مع الفعل ، لا يكفي ثبوته قبل الفعل ؛ ولهذا كان مذهب السلف أهل السنة : أن القدرة لابد أن تكون مع الفعل ؛ وان قيل : [يجوز] وجودها[1] قبل الفعل أيضا ؛ لكن لا يجوز أن تكون معدومة عند وجود الفعل .

وكذلك الارادة وسائر مايتوقف عليه الفعل ؛ لأن هذه جميعا هي شروط كون الفاعل فاعلا ، سواء سمي موءثرا أو علة أو غير ذلك . ويمتنع وجود الفعل بفاعل موجود قبل وجوده ، معدوم عند وجوده ، وكذلك سائر مابه يصير الفاعل فاعلا .

فان قيل : الشرط هو عدم الحادث الأول ، وهذا العدم مقارن للحادث الثاني .

قيل : فالعدم لا يكون تمام الموءثر ؛ فان العدم يمتنع أن يكون موءثرا في الوجود ؛ اذا قدر أنه يشترط في فعل أحد الضدين عدم الآخر ونحو ذلك ؛ فلابد أن يتضمن عدم المانع أمرا ثبوتيا يحصل به تمام كون الفاعل فاعلا ،

---

١) الأصل (ص) : وان قيل وجودها . وأضفت كلمة " يجوز " .

وعندهم الفاعل هنا ، حاله قبل الحادث وبعده سواء .

وإن قالوا : تجدد قبول المحل للحدوث ، وهذا كان ممتنعاً قبل انقضاء الحادث الأول .

قيل : فانقلاب الشيء من الامتناع إلى الإمكان لابدّ أن يكون بسببٍ حادث ؛ والكلام في حدوث هذا القبول كالكلام في الحادث المقبول ، وليس هناك / سبب أوجب حدوثه ؛ فيلزم الحدوث بلا سبب .

ج٣٧

فإن قيل : فهذا السؤال وإن كان مفحماً ؛ لكن يلزم مثله غيرنا من الطوائف ؛ ولهذا استعظم الرازى هذا السؤال ، ورأى أنه وارد على جميع الطوائف ؛ فإن من قال : " يفعل بعد أن لم يكن فاعلا من غير شيء " يلزمه مثل ذلك[1] .

قيل لهم : هؤلاء وإن شاركوهم في أصل هذا السؤال ؛ لكن أولئك قالوا بتجدد جنس الفعل بدون سبب حادث ، وأنتم قلتم بدوام حدوث الحوادث عن ذات بسيطة مستلزمة لمعلولها ، لا يحدث عنها شيء ؛ فقولكم أظهر فساداً وتناقضاً .

وأما سلف الأمة وأئمتها الذين يقولون : إنه لم يزل سبحانه متكلماً إذا شاء ؛ ويقولون : لم يزل فاعلاً لما يشاء ؛ ويقولون : إنه تقوم بذاته الأمور الاختيارية ؛ ويقولون : إنه كان ولم يزل متصفا بما أخبر أنه كان موصوفاً به - فهذا السؤال المفحم لا يرد عليهم .

أما من[2] يقولون : هو متكلّم وفاعل بمشيئته وقدرته ؛ كلاماً بعد كلام وفعلاً بعد فعل ؛ ونفسه هي موجِبة لما يصدر عنها من أقوال وأفعال ؛ لكن يوجب الثاني بشرط انقضاء الأول ؛ فالأول إذا انقضى أوجبت النفس لها حالاً[3] بها تفعل الثاني ؛ والموجِب لتلك الحال هو نفسها المتصفة بالأمور الثبوتية التي هي كمال في حقها .

---

(١) سيأتي نقل ابن تيمية لكلام الرازى في كتاب " المطالب العالية " بعد قليل .
(٢) الأصل (ص) : مان .
(٣) الأصل (ص) : حلا .

ومعلوم أنه يمتنع فعل الشيء إلا بلوازمه، ويمتنع وجوده مع ضده ؛ فإذا كان تأخير الثاني لوجود ضده أو لامتناع لوازمه ،كان قد صار ممكناً بعد أن لم يكن : بما[1] تجدد من الحوادث التي[2] جملته ممكناً .

وهذا بخلاف ما إذا كانت الذات لا تقوم بها الأحوال ؛ فإنه ليس هناك مايتصور حدوث شيء عنها[3] - فلم يثبتوا حوادث مختلفة متجددة عن ذاتٍ بسيطة ؛ بل ذاتٍ متصفة بصفات وأفعال ، وهذا أمر ممكن باتفاق العقلاء .

وإنما الأمر المردود في فطرة كل عاقل فهو ماادّعوه ؛ ولهذا كان عامة حذّاقهم يقدرونه من محارات عقولهم ؛ كما ذكر ذلك ابن رشد الحفيد الفيلسوف في " تهافت التهافت " ، وكما ذكره أبو عبد الله الرازى في " المطالب العالية " .

كلام الرازى في كتاب المطالب العالية عن أفعال الله

قال[4] : " وأما معرفة أفعال الله[5] ففيه موقف حارت[6] العقول وضلّت الأفهام فيه[7] ؛ وهو إسناد الأثر المتغيّر إلى مؤثّر لا يتغيّر ألبتة ، كيف يعقل ؟ فإنه مالم يُحدث إرادة ، أو يُغير وقت ، أو حدوث مصلحة ، أو زوال عائق - فإنه يمتنع أن يصير فاعلا بعد أن لم يكن كذلك .

أما[8] القائلون بحدوث العالم فقد احتاجوا[9] إلى دفع هذه العقدة ، وأما القائلون بقدم[10] العالم فقد ظنوا أنهم تخلصوا من[11] هذه العقدة[12] .

---

(١) الأصل (ص) : لها . ولعل الصواب ما أثبته .
(٢) الأصل (ص) : الذى . ولعل الصواب ما أثبته .
(٣) الأصل (ص) : عنه . ولعل الصواب ما أثبته .
(٤) في كتاب " المطالب العالية " مخطوط بدار الكتب المصرية (علم الكلام (م) ٥ ٤) يقول الرازى في مقدمة الكتاب ، الفصل الرابع ق ٥ (ب) " اعلم أن الانسان له أحوال ثلاثة : الماضي والحاضر والمستقبل ، أما الماضي فهو يريد أن يعرف أن هذه الأحوال كيف كانت في الماضي وذلك لا يحصل الا بأن يعرف المبدأ الأول ويعرف صفاته ويعرف أنه كيف صدر عنه هذه الأفعال فهذه مقدمات ثلاث وعلى طريق كل واحد [كذا] منها عقدة هائلة . . . " والنص المنقول في : ق ١٦ (أ) .
(٥) المطالب : الأفعال .
(٦) المطالب : جازت .
(٧) فيه : ليست في " المطالب " .
(٨) المطالب : وأما .
(٩) الأصل (ص) : احتاجون .
(١٠) المطالب : تقدم . وهي غير منقوطة في الأصل (ص) ولعل الصواب ما أثبت .
(١١) المطالب : يخلصوا عن .
(١٢) الأصل (ص) : العقد ، والمثبت من " المطالب " .

وليس الأمر كذلك ؛ فإنه لا شك في حدوث الصور[(١)] والأعراض في هذا العالم ؛ وأن هذه الأحوال قد توجد بعد عدمها ، وتعدم[(٢)] بعد وجودها ؛ فإن أسندنا كل حادث إلى حادث [آخر][(٣)] من غير إسنادها إلى موجود واجب قائم بنفسه[(٤)] - فهو محال ؛ وإن وجب انتهاؤها وإسنادها بالآخر[(٥)] ؛ إلى موجود واجب الوجود لذاته ، متنزه[(٦)] عن جهات التغير ، فقد عاد الإشكال ".

تعليق ابن تيمية
ظ ٣٧

/ قلت : فقد تبين أن هذه المقدمة التي لزمت هؤلاء وهؤلاء ، إنما لزمتهم لكونهم لم يوافقوا النصوص النبوية فيما دلت عليه من أن الفاعل تعالى تقوم به الأمور الاختيارية ؛ فإن القرآن والسنة مملوء من تقرير هذا الأصل ، وهو مذهب أئمة أهل السنة والحديث .

وليس في أئمة الإسلام من نازع في هذا ؛ وإنما نازع فيه من أخذ قوله عن الجهمية والمعتزلة ؛ وحينئذٍ فلا إشكال ولله الحمد على مذهب السلف والأئمة ؛ بل هو الذى تَطابق عليه صريحُ المعقول مع صحيح المنقول .

وهذا الأصل يوافق عليه أئمة الطوائف الكبار من أهل الملل : المسلمين واليهود والنصارى وغيرهم ؛ ومن الفلاسفة أيضا ؛ كما قد بُسط الكلام على أقوال الناس في هذا الأصل وغيره في غير هذا الموضع .

أقوال الفلاسفة
في أفعال الله

وقد ذكر اختلاف الفلاسفة في ذلك ، غيرُ واحد ممن صَنَّف في مقالاتهم ؛ كما ذكر ذلك أبو عيسى الوَرَّاق[(٧)] وغيره .

---

(١) المطالب: التصور.
(٢) المطالب: وبعدم ،ولم تنقط في الأصل (ص) .
(٣) آخر: ساقطة من الأصل (ص) ،وأثبتها من " المطالب " .
(٤) المطالب: الى موجود قديم .
(٥) المطالب : بالآخرة .
(٦) المطالب : منزه .
(٧) أبو عيسى محمد بن هارون الوراق ، معتزلي ، توفي ببغداد سنة ٢٤٧هـ . انظر عنه : لسان الميزان ٤١٢/٥ ؛ الأعلام ١٢٨/٧ ؛ تاريخ التراث العربي (المجلد الأول) ٧١/٤ - ٧٢ ، وانظر كتاب " الانتصار " للخياط المعتزلي ،ص ٩٧، ١٤٩، ١٥٠، ١٥٢، ١٥٥ .

قالوا[١]: " قال سقراط[٢] وأفلاطون[٣] وأرسطو[٤]: إن الباري لا يُعبَّر عنه إلا بِهُو فقط ، وهو الهوية المحضة غير المتكثرة ، وهُو[٥] الحكمة المحضة ، والحق المحض". وذكر تمام كلامهم[٦] .

قالوا[٧]: " وقال تاليس[٨] وبلاطوحسس[٩] ولوقيوس[١٠]

---

(١) لأبي عيسى الوراق كتاب بعنوان " المقالات " ، لم يطبع ، ولم أر من ذكر له نسخا خطته ، ولعل النص التالي منه ، وقد أورد ابن تيمية هذا النص في كتاب " د ر ، تعارض العقل والنقل ٢ / ١٥٩ - ١٦٤ " تحقيق الدكتور محمد رشاد سالم ، دون أن يسمي الكتاب المنقول عنه أو صاحبه ، وسأقابل - ان شاء الله - ماهنا على مافي " د ر " .

(٢) ولد سقراط بأثينا عام ٤٦٩ ، أو ٤٧٠ ق م ، وهو من تلاميذ فيثاغورس ، اقتصر من الفلسفة على العلوم الالهية والأخلاقية ، ونهى عن الشرك وعبادة الأوثان ، ودعا الى الزهد وتهذيب الأخلاق ، قتل مسموما عام ٣٩٩ ق م .
انظر: طبقات الأطباء والحكماء ، ص ٣٠ - ٣١ ؛ الملل والنحل ٢ / ١٨٥ - ١٩٠ ؛ كتاب " الله " للعقاد ، ص ١٣٣ - ١٣٤ ؛ تاريخ الحكماء ، ص ١٩٧ - ٢٠٦ ؛ تاريخ الفلسفة الغربية لبرتراند رسل ، ترجمة د / زكي نجيب محفوظ ، ص ١٤٣ - ١٥٩ ؛ تاريخ الفلسفة اليونانية ليوسف كرم ، ص ٥٠ - ٥٧ ؛ الفلسفة عند اليونان لأميرة حلمي مطر ، ص ١٣٥ - ١٦٠ .

(٣) ولد أفلاطون في أجينا (الجزيرة الواقعة قبالة أثينا) سنة ٤٢٧ ق م ، وهو أحد أساطين الفلسفة اليونانية ، تعرف الى سقراط ، ورحل الى جنوبي ايطاليا بقصد الوقوف على المذهب الفيثاغوري في منبته ، ثم رجع الى أثينا وأنشأ سنة ٣٨٧ ق م مدرسة الجامعة في أبنية تطل على بستان أكاديموس فسميت لذلك بالأكاديمية ، توفي سنة ٣٤٧ ق م .
انظر الفهرست للنديم ، ص ٣٠٦ - ٣٠٧ ؛ الملل والنحل ٢ / ١٩٠ - ١٩٣ ، ٣ / ٢ - ٦ ؛ تاريخ الحكماء ، ص ١٧ - ٢٧ ؛ كتاب " الله " للعقاد ، ص ١٣٤ - ١٣٦ ؛ تاريخ الفلسفة الغربية ، ص ١٦٠ - ٢٥٧ ؛ تاريخ الفلسفة اليونانية ، ص ٦٢ - ١١١ ؛ الفلسفة عند اليونان ، ص ١٦١ - ٢٣٩ ؛ " أفلاطون " للدكتور أحمد فؤاد الأهواني ط. المعارف بمصر ١٩٦٥ م .

(٤) أرسطو تقدمت ترجمته ، ص ٣٨ .

(٥) د ر : وهي .

(٦) وقد نقله ابن تيمية في " د ر " ٢ / ١٦٠ . بسبعة سطور تقريبا .

(٧) قالوا : ليست في " د ر " .

(٨) تاليس الملطي ، أول الفلاسفة اليونانيين ، وأحد الحكماء السبعة عندهم ، اشتهر عام ٥٨٥ ق م .
انظر الملل والنحل ٢ / ١٥٨ - ١٦٢ ؛ تاريخ الحكماء ، ص ١٠٧ ، تاريخ الفلسفة الغربية ، ص ٢٣ ، ٥٥ - ٥٨ ؛ تاريخ الفلسفة اليونانية ، ص ١٢ - ١٤ ؛ ربيع الفكر اليوناني لعبد الرحمن بدوي ، ص ٩٥ - ٩٧ ؛ فجر الفلسفة اليونانية قبل سقراط للأهواني ، ص ٤٨ - ٥٦ ؛ الفلسفة عند اليونان ، ص ٤٥ - ٤٧ .

(٩) وبلاطوحسس (بدون نقاط) : كذا في الأصل (ص) ، وفي (د ر) : وبلاطرخس ، وذكر الشهرستاني في الملل والنحل ٣ / ٨ - ٩ فلوطرخيس ، وقال عنه : " قيل : انه أول من شهر بالفلسفة ، ونسبت اليه الحكمة ، تفلسف بمصر ، ثم سار الى ملطية وأقام بها ، وقد يعد من الأساطين " .
وفي كتاب " الفهرست " ص ٣١٤ ، وتاريخ الحكماء ، ص ٢٥٧ ذُكر اثنان باسم " فلوطرخس " وأنهما فيلسوفان لهما تصانيف . وانظر أيضا خريف الفكر اليوناني لبدوي ، ص ٣٧ ، ٩٨ .

(١٠) ولوعس (بدون نقاط) : كذا في الأصل (ص) ، وهو منقوط كما أثبت في (د ر) .
وذكر النديم في الفهرست ، ص ٣١٥ " لوقيس " تحت عنوان : " أسماء فلاسفة طبيعيين لا نعرف أوقاتهم ولا مراتبهم " ، وذكر ابن القفطي (تاريخ الحكماء ، ص ٢٦٨) لوقيس ، وقال عنه : " رومي من / =

وكسمايس[(١)] وأنبدقليس[(٢)] جميعا : "إن البارى واحد ساكن"، غير [أن][(٣)] إنبدقليس قال : إنه متحرك بنوع سكون؛ كالعقل المتحرك بنوع سكون، وذلك[(٤)] جائز، لأن العقل إذا كان مبدعا فهو متحرك بنوع سكون، فلا محالة أن المبدع متحرك بنوع سكون[(٥)]، لأنه [علة[(٦)]]."

قالوا : "وتابعه[(٧)] على هذا القول فيثاغورس[(٨)] ومن بعده إلى زمن أفلاطون. وقال

/= جملة الفلاسفة الذين تعرضوا لشرح كتب أرسطوطاليس".
والمشهور هو "لوقيبوس" الذى عرف بأنه وتلميذه ديمقريطس مؤسسا ما يسمى المذهب الذَّرِّي أو الجزء الذى لا يتجزأ.
انظر عن لوقيبوس : تاريخ الفلسفة الغربية، ص ١١٤ - ١٢٧ ؛ تاريخ الفلسفة اليونانية، ص ٣٨ - ٣٩ ؛ ربيع الفكر اليوناني، ص ١٥١ - ١٥٦ ؛ فجر الفلسفة اليونانية، ص ٢٠٧ - ٢١٦ ؛ الفلسفة عند اليونان، ص ١٠٧.

(١) وكسمايس : هكذا في الأصل (ص)، وفي (د ر) : وكسيفايس، وقال المحقق : "لم أعرف من المقصود". وهناك فيلسوف مشهور ذكر الشهرستاني في الملل والنحل ٢ / ١٦٢، ١٧١. أنه قال : ان البارى ساكن" وهو انكساغورس (٥٠٠ - ٤٢٨ ق م)، فلعله المقصود هنا، انظر عنه :
الملل والنحل ٢ / ١٦٢ - ١٦٤، تاريخ الحكماء، ص ٦٠ ؛ كتاب الله" للعقاد، ص ١٢٥ ؛ تاريخ الفلسفة الغربية، ص ١١١ - ١١٣ ؛ تاريخ الفلسفة اليونانية، ص ٤١ - ٤٣ ؛ ربيع الفكر اليوناني، ص ١٥٧ - ١٦٢ ؛ فجر الفلسفة اليونانية، ص ١٩١ - ٢٠٦ ؛ الفلسفة عند اليونان، ص ١٠٢ - ١٠٦.

(٢) أنبدقليس، ويكتب أحيانا بالذال، قال عنه الشهرستاني وابن القفطي : "كان في زمن داود النبي عليه السلام، وقيل : انه أخذ الحكمة عن لقمان" وقال ابن القفطي : "وهو أول الحكماء الخمسة المعروفين بأساطين الحكمة وأقدمهم زمانا، والخمسة هم : أنبذقليس هذا، ثم فيثاغورس، ثم سقراط، ثم أفلاطون، ثم أرسطوطاليس".
انظر : الملل والنحل ٢ / ١٦٦ - ١٧٣ ؛ تاريخ الحكماء، ص ١٥ - ١٦ ؛ تاريخ الفلسفة الغربية، ص ٩٨ - ١٠٥ ؛ تاريخ الفلسفة اليونانية، ص ٣٥ - ٣٧ ؛ ربيع الفكر اليوناني، ص ١٤٤ - ١٥٠ ؛ الفلسفة عند اليونان، ص ٩٦ - ١٠١.

(٣) أن : ليست في الأصل (ص)، وزدتها من (د ر).

(٤) د ر : فذلك.

(٥) د ر : متحرك بسكون.

(٦) علة : سقطت من الأصل (ص)، وأثبتها من (د ر).

(٧) د ر : وشايعه، وذكر المحقق في الهامش أن في نسختين : وتابعه.

(٨) فيثاغورس: كذا في (د ر)، وذكر المحقق في الهامش أن في ثلاث نسخ : أفكساغورس، ورسمت الكلمة في الأصل (ص) : انكاغورس، بدون نقاط، ويشهد لما في (د ر) كتاب الملل والنحل، فقد ذكر الشهرستاني قول أنبذقليس ثم قال (٢ / ١٧١ بهامش الفصل، وراجعت النص أيضا في سائر طبعات كتاب الملل والنحل) : "وشايعه على هذا الرأى فيثاغورس، ومن بعده من الحكماء الى أفلاطن، وأما زينون الأكبر وديمقراط والشاعريون فصاروا الى أنه تعالى متحرك". لكن في الملل والنحل (٣ / ١٤ بهامش الفصل، وراجعته في سائر الطبعات) يقول الشهرستاني : "ومما نقل عن ديمقراطيس وزينون الأكبر وفيثاغورس أنهم كانوا يقولون : ان البارى تعالى متحرك بحركة فوق هذه الحركات الزمانية".
وفيثاغورس، قال عنه صاحب "الملل والنحل" : كان في زمن سليمان عليه السلام" وفي تاريخ /=

زينـون(١) ود يمقراط(٢) وساعورس(٣): إن البارى تعالى(٤) متحرك في الحقيقة، وإن حركته فوق [الذهـن](٥) فليست زوالا ".

قالوا: " وقال تاليس - وهو أحد أساطين الحكمة -: إن صفة البـارى تعالى(٤) لا تدركها العقول إلا من جهة آثاره، فأما من جهة هُويّته فغير مُدْرَكٍ له صفة من نحو ذاته، بل من نحو ذواتنا، وكان يقول: أبدع اللـه(٦) العالم ليس لحاجة(٧) إليه، بل لفضله ولولا ظهور أفاعيل الفضيلة لم يكن هٰهنا وجود، وكان يقول: إن فوق السماء عوالم مبدَعة، أبدعها مَنْ لا تدرك العقول كنهه.

/ = الحكماء: " الفيلسوف المشهور المذكور من فلاسفة يونان وحكمائهم، كال بعد أبيذقليس الحكيم بزمان، وأخذ الحكمة عن أصحاب سليمان بن داود النبي بمصر ".
انظر: الملل والنحل ٢/ ١٧٣- ١٨٤؛ تاريخ الحكماء، ص ٢٠٨- ٢٠٩؛ تاريخ الفلسفة الغربية، ص ٦٢- ٧٤؛ تاريخ الفلسفة اليونانية، ص ٢٠- ٢٦ وفيه أن ولادته سنة ٥٧٢ ووفاته سنة ٤٩٧ق م؛ فجر الفلسفة اليونانية قبل سقراط، ص ٧٠- ٩٢؛ الفلسفة عند اليونان، ص ٦٧- ٨٠.

(١) الأصل (ص): زينول، والمثبت في (د ر)، وهناك فيلسوفان بهذا الاسم، أحدهما زينون الايلي ٤٩٠- ٤٣٠ ق م)، والثاني زينون الرواقي ٣٣٦- ٢٦٤ق م) ولعل الأول هو المراد حيث عرف بحججه الجدلية في تأييد آراء أستاذه بارمنيدس في الكثرة والحركة وغيرها.
انظر عنه: الملل والنحل ٣/ ١٠- ١٣؛ كتاب " الله " للعقاد، ص ١٢٦- ١٢٨؛ تاريخ الفلسفة اليونانية، ص ٣٠- ٣٣؛ ربيع الفكر اليوناني، ص ١٢٥- ١٣٤؛ فجر الفلسفة اليونانية قبل سقراط، ص ١٤٥- ١٥٤؛ الفلسفة عند اليونان، ص ٩٠- ٩٤.
وانظر عن زينون الرواقي: كتاب " الله " للعقاد، ص ١٢٨- ١٣٠؛ تاريخ الفلسفة اليونانية، ص ٢٢٣.

(٢) د يمقراط = د يموقريطس. يقال: انه ولد سنة ٤٧٠، واشتهر سنة ٤٢٠، وتوفي سنة ٣٦١ق م، عرف عنه القول بفرض الذرة أو الجزء الذى لا يتجزأ.
انظر: طبقات الأطباء والحكماء لابن جلجل، ص ٣٣؛ الملل والنحل ٢/ ١٨٣، ٣/ ١٣، ٢٨؛ تاريخ الحكماء، ص ١٨٢؛ تاريخ الفلسفة الغربية، ص ١١٤- ١٢٧؛ تاريخ الفلسفة اليونانية، ص ٣٨- ٤١؛ فجر الفلسفة اليونانية ص ١١٧- ٢٢٨؛ الفلسفة عند اليونان ص ١٠٧- ١١١.

(٣) وساعورس (بدون نقاط): كذا في الأصل (ص)، وفي (د ر): وساغوريون، وذكر المحقق أن في نسخة: وساغورن، وفي النص المنقول عن " الملل والنحل " ، ص ١٦٥ ت ٨: والشاعريون، ولم أجد هذا الاسم فيما بين يدى منَ المراجع لا لمغرد ولا لجماعة.

(٤) تعالى: ليست في (د ر) في الموضعين.

(٥) الذهن: سقطت من الأصل (ص)، وأثبتها من (د ر).

(٦) الأصل (ص): .. ذواتنا الله أبدع، وكان يقول: أبدع الله.

(٧) د ر: لا لحاجة. وذكر المحقق في الهامش أن في نسخة: ليس لحاجة.

وقال فيثاغورس نحو قول تاليس : لا يُدْرَك من جهة النفس، هو فوق الصفات العلوية الروحانية[١]، غير مدرك من نحو هُوِيَّته[٢]؛ بل من قبل آثاره في كل عالم [فيوصف وينعت بقدر ظهور تلك الآثار في ذلك العالم[٣]]، وهو الواحد الذى إذا رامت العقول إدراك معرفته، عرفت أن ذواتها مبدَعة مسبوقة مخلوقة[٤]".

قالوا : " وقال أنكسمانس[٥] نحو مقالة هذين، غير أنه قال : يجوز[٦] لقائل أن يقول : إن البارى يتحرك بحركة فوق هذه الحركات".

كلام أبي البركات ابن ملكا في "المعتبر" عن أفعال الله وأقوال الفلاسفة فيهما ج ٣٨

قلت : وممن ذكر القولين من متأخريهم أبو البركات صاحب / "المعتبر" ؛ حكى المقالتين عن غيره، بل عن القائلين بقدم العالم، واختار قول المثبتة فقال[٧]:

" قال القائلون بالحدوث للقدميين : فإذا كان الله[٨] لم يزل [جوادا[٩]] خالقا قديماً في الأزل، فالحوادث في العالم كيف وجدت ؟ أعن القديم أم عن غيره.

فإن قلتم : هو خالقها وعنه صدر[١٠] وجودها، فقد قلتم بأن القديم خلق المحدَث وأراد خلقه بعد أن لم يرد، وإن قلتم : [إن[١١]] غيره فعل الحوادث[١٢]،

---

(١) الأصل (ص) : الووحانية.
(٢) د ر : غير مدرك بجوهريته. وذكر المحقق في الهامش أن في نسخ : من نحو هويته.
(٣) ما بين القوسين سقط من الأصل (ص)، وأضفته من (د ر).
(٤) الأصل (ص) : بمخلوقة.
(٥) انكسمانس، من فلاسفة ملطية، اشتهر قبل سنة ٤٩٤.
انظر عنه : الملل والنحل ٢/ ١٦٤ - ١٦٦ ؛ كتاب "الله" للعقاد، ص ١٢١ - ١٢٢ ؛ تاريخ الفلسفة الغربية، ص ٦٠ - ٦١ ؛ تاريخ الفلسفة اليونانية، ص ١٦ - ١٧ ؛ ربيع الفكر اليوناني، ص ١٠١ - ١٠٣ ؛ فجر الفلسفة اليونانية قبل سقراط، ص ٦٥ - ٦٩ ؛ الفلسفة عند اليونان، ص ٥١ - ٥٢.
(٦) د ر : غير أنه يجوِّز.
(٧) في كتاب "المعتبر" ٣/ ٤٤ - ٤٥. تحت عنوان " الفصل التاسع في تمام النظر في الحدوث والقدم".
وقد أورد ابن تيمية أيضا النصوص التالية من كتاب "المعتبر" في كتاب "د ر" تعارض العقل والنقل" ٢/ ١٦٤ - ١٦٧، وسأقابل - ان شاء الله - ماهنا على مافي (د ر) وعلى "المعتبر".
(٨) المعتبر : الله تعالى.
(٩) جوادا : ليست في الأصل (ص) وهي في (د ر، المعتبر).
(١٠) المعتبر : صدور.
(١١) ان : ليست في الأصل (ص) وهي في (د ر، المعتبر).
(١٢) المعتبر : خلق الحوادث.

فقد أشركتم بعدما بالغتم في التوحيد لواجب الوجود بذاته".

قال[١]: " فقال القدميون : بل الخالق الأول الواحد القديم[٢]، هو خالق المخلوقات بأسرها من قديم وحديث ؛ وحده لا شريك له في وجوده وخلقه وملكه وأمره .

وتشعّب رأيهم في ذلك إلى[٣] مذهبين ؛ فمنهم من قال : إنه خلق الأشياءَ القديمة دائمة[٤] الوجود بدوام وجوده[٥]، والحوادثَ شيئا بعد شيء ؛ أراد فخلق وخلق فأراد ، أوجب[٦] خلقه إرادته وأوجب[٧] إرادته خلقه .

مثال ذلك أنه أراد خلق آدم الذى هو الأب ، فخلقه وأوجده ؛ واقتضى وجود الأب من جوده وجود الابن[٨] ؛ أراد فجاد وجاد فأراد ، إرادة بعد إرادة ، لموجود بعد موجود .

فإذا قلتم : لِمَ أوجد ؟ .

قيل : لأنه أراد فجاد .

ولِمَ أراد ؟

[قيل[٩]] : لأنه أوجد ،فوجود الحوادث يقتضي بعضها[١٠] بعضاً من جوده[١١] السابق واللاحق[١٢].

---

(١) بعد الكلام السابق مباشرة، المعتبر ٣/ ٤٥ .
(٢) الأصل (ص) : القيوم ، وما أثبته في " د ر ، المعتبر ".
(٣) الأصل (ص) : على . وما أثبته في " د ر ، المعتبر ".
(٤) الأصل (ص) : وأتم ، وما أثبته في " د ر ، المعتبر ".
(٥) المعتبر : جوده .
(٦) الأصل (ص) : أوجبت ، المعتبر : فأوجب ، وما أثبته في (د ر) .
(٧) الأصل (ص) : وأوجبت .
(٨) واقتضى وجود الأب . . . الخ : كذا في (المعتبر) ؛ الأصل (ص) : واقتضى من وجود الأب من وجوده وجود الابن ؛ د ر : وأراد بوجود الأب وجود الابن .
(٩) قيل : ليست في الأصل (ص) . وهي في " د ر ، المعتبر ".
(١٠) المعتبر : بعضه .
(١١) الأصل (ص) : وجوده . وما أثبته في " د ر ، المعتبر ".
(١٢) المعتبر : السابق اللاحق .

[فإن(١)] قالوا : كيف تحدث له الإرادة بعد الإرادة ، وكيف تكون(٢) له حال منتظرة تكون بعد أن لم تكن(٣) ، وكيف يكون محل الحوادث ؟ .

قيل : وكيف يكون(٤) محلاً لغير الحوادث ؛ أعني الإرادة القديمة ؟ .

فإن قيل : لأنها له منه .

قيل : والإرادات الحديثة(٥) له منه .

فإن قيل : الإرادة(٦) القديمة له في قدمه .

قيل : والحديثة له من قدمه(٧) ؛ لأن السابق من جوده(٨) بالإرادة السابقة أوجب عنده إرادة لاحقة ، فأحدث(٩) خلقا بعد خلق بإرادة بعد إرادة ، وجبت في حكمته من خلقه بعد خلقه ، فاللاحق من إراداته وجب عن(١٠) سابق إرادته بتوسط مراداته ، وهكذا هلم جرا " .

قال(١١) : " والتنزيه عن الإرادة الحادثة كالتنزيه عن الإرادة القديمة في كونه محلاً لها ، لكنه لا وَجْه لهذا التنزيه كما سنتكلّم عليه في " فصل العلم " إذا قلنا في علمه لِمَ(١٢) يعلم ؟ وكيف يعلم ؟ .

قال(١٣) : " فهذا أحد المذهبين " .

قال(١٤) : " وأما المذهب الآخر فإن أهله يقولون : إن كل حادث يتجدد

---

(١) فان : سقطت من (الأصل (ص) وأضفتها من " د ر " ، المعتبر " .
(٢) تكون : كذا في " المعتبر " ، وفي الأصل (ص) غير منقوطة ، وفي " د ر " : يكون .
(٣) الأصل (ص) : يكن . وما أثبته في " د ر " ، المعتبر " .
(٤) المعتبر : وكيف كان .
(٥) الحديثة : كذا في الأصل (ص) ؛ المعتبر : الحادثة ؛ وسقطت الكلمة من " د ر " .
(٦) المعتبر : ان الارادة .
(٧) د ر : في قدمه .
(٨) الأصل (ص) : لأن السابق موجود . د ر : لأن السابق من وجوده . وما أثبته من " المعتبر " .
(٩) الأصل (ص) : بما حدث . وما أثبته في " د ر ، المعتبر " .
(١٠) الأصل (ص) : على . وما أثبته في " د ر ، المعتبر " .
(١١) بعد الكلام السابق مباشرة ، المعتبر ٣ / ٤٥ .
(١٢) الأصل (ص) : لما ، المعتبر : بما ، والمثبت في " د ر " .
(١٣) بعد الكلام السابق مباشرة ، المعتبر ٣ / ٤٥ .
(١٤) بعد الكلام السابق مباشرة .

بعد عدمه فله سبب يوجب حدوثه ، وذلك[1] السبب حادث أيضا ، حتى ترتقي أسباب الحوادث إلى الحركة الدائمة في المتحركات الدائمة[2] ". وساق تمام قول هؤلاء ، وهو قول أرسطو وأتباعه[3].

قلت : وقد نقل غير واحد أن أول من قال بقدم العالم من الفلاسفة هو أرسطو ، وأما الأساطين قبله فلم يكونوا يقولون بقدم صورة الفلك ؛ وإن كان لهم في المادة أقوال أخر .

ظ ٣٨ وقال أيضا أبو البركات في " مسألة / العلم[4] " ، لما ردّ على من زعم أنه سبحانه لا يعلم الجزئيات ، حذراً من التغير والتكثر[5] في ذاته ، وذكر حجة أرسطو وابن سينا ونقضها[6] ، وقال[7] : " فأما القول بإيجاب الغيرية فيه بإدراك الأغيار ؛ والكثرةِ بكثرة المدركات ، فجوابه المحقق : أنه لا يتكثر بذلك تكثراً في ذاته ، بل في إضافاته ومناسباته ؛ وتلك مما لا تعيد[8] الكثرة على هُويّته وذاته ، ولا الوحدة التي أوجبت له في[9] وجوب وجوده بذاته ، ومبدئيته الأولى التي بها عرفناه ، وبحسبها أوجبنا له ما أوجبناه وسلبنا عنه ما سلبنا ، هي وحدة مدركاته ونِسَبه وإضافاته ، بل إنما هي وحدة حقيقته وذاته وهُويّته ".

قال[10] : " ولا تعتقدن أن الوحدة المقولة في صفات واجب الوجود

---

(١) الأصل (ص) : وكذلك . والمثبت في " د ر " ، المعتبر " .
(٢) المعتبر : ... الدائمة الحركة ...
(٣) انظر " المعتبر " ٣ / ٤٥ - ٤٧ .
(٤) الأصل (ص) : العالم .
(٥) الأصل (ص) : التكثر . بلا نقط .
(٦) الأصل (ص) : ونقضهما . في كتاب المعتبر ٣ / ٦٩ يعقد ابن ملكا " الفصل الرابع عشر في شرح كلام من قال ان الله تعالى لا يحيط علمه بالموجودات " وفي (٣ / ٧٤) يعقد " الفصل الخامس عشر في اعتبار الحجج المنقولة عن أرسطوطاليس " .
(٧) ينقل ابن تيمية النصوص التالية من الفصل الخامس عشر في " المعتبر " ٣ / ٧٦ - ٧٧ . ونقلها أيضا في كتابه " د ر ، تعارض العقل والنقل " جـ ٢ ص ١٦٧ - ١٧٢ ، وسأقابل ماهنا على " د ر ، تعارض العقل والنقل " و " المعتبر " .
(٨) تعيد : كذا في " المعتبر " وفي " د ر " : يعيد ، وفي الأصل (ص) غير منقوطة .
(٩) له في : ليست في " د ر " .
(١٠) بعد الكلام السابق مباشرة ، المعتبر ٣ / ٣٧ .

بذاته - قيلت على طريق التنزيه، بل لزمت بالبرهان[١] عن مبدئيته الأولى[٢] ووجوب وجوده بذاته، والذى لزم عن ذلك لم يلزم إلا في حقيقته وذاته، لا في مدركاته ومضافاته[٣]، فأما أن[٤] يتغير بإدراك المتغيرات فذلك أمر إضافي، لا معنى له[٥] في نفس الذات، وذلك مما لا[٦] تبطله الحجة، ولم يمنعه البرهان[٧]، ونفيه من طريق التنزيه والإجلال لا وجه له، بل التنزيه من هذا التنزيه، والإجلال من هذا الإجلال أولى".

وتكلم أبو البركات على قول أرسطو إن[٨] قال[٩]:

---

(١) الأصل (ص): بطريق البرهان، وعلقت عبارة "بطريق" فوق السطر.
(٢) مبدئته الأولى: كذا في "د ر"، الأصل (ص): مبدئية الأولى، المعتبر: مبدئية الأول.
(٣) د ر: واضافاته.
(٤) المعتبر: أنه.
(٥) له: ليست في "د ر، المعتبر".
(٦) د ر، المعتبر: مما لم.
(٧) البرهان: كذا في "د ر"، وفي الأصل (ص): برهان. وفي "المعتبر": وذلك مما لم يبطل بحجة ولم يمنع ببرهان.
(٨) بعد كلمة "ان" يوجد كلام في هامش الأصل (ص)، هو نقل للكلام التالي للنص السابق من كتاب "المعتبر"، وهذا الكلام ليس في "د ر" تعارض العقل والنقل"، وقول أرسطو الذى يذكر ابن تيمية هنا أن أبا البركات تكلم عليه - ذكره ابن ملكا قبل صفحات (المعتبر ٣/ ٧٠) فربما - والله أعلم - أن الناسخ قابل هذه النصوص على كتاب "المعتبر" ولم يهتد للموضع الذى ذكر فيه ابن ملكا كلام أرسطو، فاستمر في النقل من "المعتبر" حتى يربط النص السابق بالنص اللاحق الذى سيورده ابن تيمية بعد كلام أرسطو.
يدل لذلك أيضا أنه أورد في آخر نقله أكثر من سطرين مع وجودهما في الأصل.
وفيما يلي نص ما في الهامش، مع مقابلته في "المعتبر":
قال: [بعد الكلام السابق مباشرة، المعتبر ٣/ ٧٧] "فكيف يقول: ان ادراك المتغيرات يوجب تغيرا في الذات، وهو القائل في كتاب "قاطيغورياس": ان الظن الواحد لا يكون موضوعا للصدق والكذب بتغيره في نفسه، بل من حيث تتغير الأمور المظنونة عما هي عليه من موافقة الى مخالفة [المعتبر: من موافقته الى مخالفته]، لأن ذلك التغير ليس للظن في ذاته، بل للأمر المظنون، حيث وافق تارة ثم تغير فخالف، فكيف كان ذلك لا يغير الظن والاعتقاد والعلم، وهذا يغير العلم ثم يتأدى الى تغير [المعتبر: تغيير] العالم.
فأما الذى قاله - يعني أرسطو - في منع [المعتبر: فأما الذى قد قاله قبل هذا في منع] التغير مطلقا، حتى يمنع [يمنع: كذا في "المعتبر". هامش الأصل: يمتنع] التغير في المعارف والعلوم، فهو غير لازم في التغير مطلقا، بل هو [هو: ليست في هامش الأصل، وهي في "المعتبر"] غير لازم البتة، وان لزم كان لزومه في بعض تغيرات الأجسام".
(٩) أى أرسطو فيما حكاه عنه ابن ملكا في "المعتبر" ٣/ ٧٠.

" من المحال أن يكون كماله بعقل[1] غيره، إذ كان جوهرا في الغاية من الإلهية والكرامة والعقل فلا يتغير، والتغير فيه انتقال إلى الأنقص، وهذا هو حركة ما، فيكون هذا العقل ليس عقلا بالفعل لكن بالقوة ".

فقال أبو البركات[2]: " ماقيل في منع[3] التغير مطلقا حتى يمنع التغير في المعارف والعلوم: فهو غير لازم في التغير مطلقا، بل هو غير لازم ألبته، وإن لزم كان لزومه في بعض تغيرات الأجسام، مثل الحرارة والبرودة، وفي بعض الأوقات، لا في كل حال ووقت، ولا يلزم مثل ذلك في النفوس التي تخصها المعرفة والعلم دون الأجسام؛ فإنه يقول: إن كل تغيّر وانفعال[4] فإنه يلزم أن يتحرك قبل ذلك التغير[5] حركة مكانية ".

قال[6]: " وهذا محال، فإن النفوس[7] تتجدد لها المعارف والعلوم من غير أن تتحرك على[8] المكان على رأيه، فإنه[9] لا يعتقد فيها أنها ما تكون[10] في مكان ألبته، فكيف أن تتحرك فيه؟.

وإنما ذلك للأجسام في بعض التغيرات والأحوال كالتسخن والتبرد[11]، ولا يلزم فيهما أبداً[12]، وإنما[13] ذلك فيما يصّعد بالبخار من الماء،

---

(١) بعقل: كذا في " د ر "؛ الأصل (ص): بفعل، المعتبر: يعقل.
(٢) المعتبر ٣/٧٧-٧٨.
(٣) المعتبر: فأما الذى قد قاله قبل هذا في منع.
(٤) الأصل (ص): وانتقال. والمثبت في " د ر، المعتبر ".
(٥) المعتبر: قبله ذلك المتغير.
(٦) أي ابن ملكا بعد الكلام السابق مباشرة.
(٧) الأصل (ص): فالنفس. والمثبت في " د ر، المعتبر ".
(٨) المعتبر: في.
(٩) الأصل (ص): بأنه، وما أثبته من " د ر، المعتبر ".
(١٠) تكون: كذا في " المعتبر " وفي الأصل (ص): الكلمة غير منقوطة. د ر: يكون.
(١١) الأصل (ص): كالتسخين والتبريد. والمثبت في " د ر، المعتبر ".
(١٢) المعتبر: ولا يلزم فيها أبدا، فان الحجر الكبير يسخن ولا يصعد، ويبرد ولا يهبط، بل ولا يتحرك من مكانه.
(١٣) الأصل (ص): فانما. والمثبت في " د ر، المعتبر ".

ويتدخن من الأرض من الأجزاء التي هي كالهَبَاء ، دون غيرها من الأحجار الكبار [الصلبة[(١)] التي تحمى حتى تصير بحيث تحرق وهي في مكانها لا تتحرك ، والماء يسخن بسخونة[(٢)] كثيرة وهو في مكانه لا يتبخر ، وإنما يتبخر[(٣)] منه بعض الأجزاء .

ثم تكون الحركة المكانية بعد الاستحالة لا قبلها ؛ كما قال : إن جميع هذه هي حركات توجد بأُخَرة بعد الحركة المكانية ، وفيما عدا ذلك فقد يسوَدّ الجسم ويبيضّ وهو[(٤)] في مكانه لم يتحرك ، ولا يتحرك قبل الاستحالة ولا بعدها .

فما لزم[(٥)] هذا في كل جسم ، بل في بعض الأجسام ، ولا في كل حال ووقت ؛ بل في بعض الأحوال والأوقات ، ولا كان ذلك على طريق التقدم كما قال ، بل على طريق التبع[(٦)] ، ولو لزم في التغيرات الجسمانية لما لزم في التغيرات النفسانية ، ولو لزم في التغيرات النفسانية أيضا لما لزم انتقال الحكم فيه الى التغيرات في المعارف والعلوم / والعزائم والإرادات، فالحكم الجزئي لا يلزم كلياً ولا يتعدى من البعض إلى البعض ، وإلا لكانت الأشياء على حال واحد[(٧)] " .

ج ٣٩

قال[(٨)] : " والقائلون بالحدوث قالوا : إنه لا يحتاج[(٩)] الى هذا التمحل[(١٠)] - وسمّوه على طريق المجادلة باسم " التمحل[(١١)] " للتشنيع والتسفيه - بل نقول :

---

(١) الصلبة : ليست في الأصل (ص) وأضفتها من " د ر ، المعتبر " .
(٢) د ر : سخونة .
(٣) الأصل (ص) : وهو في مكانه لا يتحرك ، وانما يتحرك . والمثبت من " د ر ، المعتبر " .
(٤) د ر : هو بسقوط الواو .
(٥) الأصل (ص) : فما يلزم . والمثبت من " د ر ، المعتبر " .
(٦) الأصل (ص) : التتبع . والمثبت من " د ر ، المعتبر " .
(٧) حال واحد : كذا في الأصل (ص) ، وفي " د ر " : حالة واحدة . وفي " المعتبر " : والا لكانت الأشياء كلها على حال واحدة .
(٨) يعود ابن تيمية للنقل عن الفصل التاسع في " المعتبر " ٣ / ٤٧ .
(٩) المعتبر : قالوا : انا لا نحتاج .
(١٠) الأصل (ص) : التحميل . والمثبت من " د ر ، المعتبر " .
(١١) الأصل (ص) : التمحيل . والمثبت من " د ر ، المعتبر " .

بأن المبدئ المعيد خلق العالم وأحدثه بإرادة قديمة أزليّة ، أراد بها في القدم[1] إحداث العالم حين[2] إحداثه[3] " .

قال[4] : " وقد قيل[5] في جوابهم : إن ذلك المبدأ - يعني المفعول الأول[6] - لا يتغير ويتخصص[7] في القدم ، إلا بمعقول يجعله مقصوداً[8] في العلم القديم عند الإرادة القديمة ؛ حيث أراده[9] في مدة القدم[10] السابق لحدوث[11] العالم التي هي مدة غير متناهية البداية ، ومالا يُعقل[12] ولا يُتصور لا يُعلم ، ومالا يمكن أن يُعلم لا يعلمه عالم ؛ لا لأن[13] الله[14] لا يقدر على علمه ، لكن لأنه في نفسه غير مقدور عليه .

ثم ما الذي يقولونه في حوادث العالم ؛ من[15] مشيئة الله تعالى وإرادته التي بها يقبل الدعاء من الداعي ، ويحسن إلى المحسن ، ويسيء إلى المسيء ، ويقبل توبة التائب ، ويغفر للمستغفر - هل يكون ذلك عنه أو[16] لا يكون ؟ .

---

(١) الأصل (ص) : من القدم . والمثبت من " د ر ، المعتبر " .
(٢) د ر : حتى .
(٣) احداثه : كذا في الأصل (ص) ، وفي " د ر ، المعتبر " : أحدثه .
(٤) بعد الكلام السابق مباشرة .
(٥) د ر : وقيل .
(٦) يعني المفعول الأول : هذه العبارة في الأصل (ص) فقط ، وليست في " د ر ، المعتبر " والظاهر أنها من ابن تيمية للايضاح .
(٧) المعتبر : لا يتعين ولا يتخصص .
(٨) الأصل (ص) : ويتخصص من العدم الا لمغعول يجعله متصورا ، والمثبت من " د ر ، المعتبر " .
(٩) الأصل (ص) : أراد .
(١٠) د ر : العدم .
(١١) المعتبر : بحدث .
(١٢) الأصل (ص) : ومالا يفعل . والمثبت من " د ر ، المعتبر " .
(١٣) الأصل (ص) : عالم ، لا ن . والمثبت من " د ر ، المعتبر " .
(١٤) المعتبر : الله تعالى .
(١٥) الأصل (ص) : عن . وما أثبته في " د ر ، المعتبر " .
(١٦) المعتبر : أم .

فإن قالوا بأنه لا يكون، أبطلوا بذلك الشرع الذى قصدُهم نُصرتــه، وأبطلوا حكم أوامره ونواهيه، وكلّ ما جاء لأجله من الحثّ على الطاعة والنهيّ عن المعصية.

وإن قالوا: "يكون ذلك بأسره عنه"، فهل هو بإرادة أم بغير إرادة؟، وكونه بغير إرادة أشنع، وإن كان بإرادة فهل هي إرادة[1] قديمة أم محدثة؟

فإن كانت قديمة فالإرادات القديمة غير واحدة، وما أظنهم يقولون: إن المرادات الكثيرة صدرت عن إرادة واحدة".

قال[2]: "وإن قالوا-إن ذلك يصدر عنه بإرادات حادثة فقد قالوا بما هربوا منه أوّلاً".

تعليق ابن تيمية

قلت: أبو البركات لاستبعاد عقله أن تَصدُر المرادات الكثيرة عن إرادة واحدة ـ ظن أنهم لا يقولون به؛ ولم يكن له من الخبرة بأقوال المتكلمين ماله من الخبرة بأقوال المتفلسفة؛ وإلا[3] فكثير من النُظّار؛ كابن كُلّاب وموافقيه؛ كالأشعرى وأكثر متبعيه من أهل الكلام والرأى والحديث والتصوف من أصحاب الأئمة الأربعة وغيرهم؛ كالقاضي أبي يعلى وأبي المعالي الجويني وأبي الوليد الباجي[4] وأبي منصور الماتُرِيْدى[5] وغيرهم ـ يقولون: إنه يعلم المعلومات كلها بعلم واحد

---

(١) الأصل (ص): ارادات. والمثبت في "د" ، "المعتبر".
(٢) بعد الكلام السابق مباشرة، المعتبر ٣/ ٤٧.
(٣) هنا ينتهي ما انفردت به (ص) والذى بدأ في صفحة ٨٨، وتنضم اليها (ن) وقد انقطعت في صفحة ٣٧، و (ك) التي انقطعت في صفحة ٨٨، وجاء الكلام فيهما هكذا "فصل، كثير من النظار كابن كلاب وموافقيه ... الخ" وتستمر موافقتهما لـ(ص) حتى صفحة ٢٢٨.
(٤) أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب التجيبي الباجي، نسبة الى باجة بالأندلس (٤٠٣- ٤٧٤) القاضي والفقيه المالكي، المحدث، المتكلم، رحل الى المشرق سنة ٤٢٦، وأقام نحو ثلاثة عشر عاما متنقلا بين بلدانه يجتمع بأئمة ذلك الوقت، وجل قدره بالشرق والأندلس. انظر عنه وعن مؤلفاته: ترتيب المدارك للقاضي عياض ٤/ ٢ ٨٠٢- ٨٠٨؛ البداية والنهاية ١٢/ ١٢٢ - ١٢٣؛ الديباج المذهب لابن فرحون، ص ١٢٠- ١٢٢؛ الأعلام ٣/ ١٢٥.
(٥) أبو منصور محمد بن محمد بن محمود الماتريدى، نسبته الى ماتريد بسمرقند، رأس الماتريدية، حنفي المذهب، له كتب شتى، توفي سنة ٣٣٣ بسمرقند.
وهو معاصر لأبي الحسن الأشعرى (توفي سنة ٣٢٤ أو ٣٣٠)، ويعتبران امامي أهل الكلام المنتسبين الى السنة، الماتريدى فيما وراء النهر، والأشعرى في العراق، وآراؤهما متقاربة، وبينهما مسائل خلاف ./ =

بالعين ؛ ويريد المرادات كلها بإرادة واحدة بالعين .

بل يقولون : إن كلامه الذى يتضمن كلّ أمرٍ أمر [به][١] ، وكلّ خبرٍ أخبر به ، هو أيضا واحد بالعين - وإن كان جمهور العقلاء يقولون : إن فساد هذا معلوم بالضرورة بعد التصور التام -

ثم تنازع القائلون بهذا الأصل ؛ هل كلامه معنى فقط ، والقرآن العربي لم يتكلّم به ، ولا بالتوراة العبرانية ، ولا تكلّم بشيء من الحروف ؛ أو كلامه[٢] الحروف ؛ أو الحروف والأصوات التي نزل بها القرآن وغيره ، وهي قديمة أزلية ؟ - على قولين .

ظ ٣٩ ومن القائلين بقدم أعيان الحروف ، أو الحروف والأصوات ، من لا / يقول : هي واحدة بالعين ، بل يقول : هي متعددة ، وإن كانت لا نهاية لها ، ويقول : بثبوت[٣] حروف أو حروف ومعان لا نهاية لها في آن واحد ، وأنها لم تزل ولا تزال .

ومن القائلين بقدم معنى الكلام ، وأنه لم يتكلم بحروف من يقول : القديم خمسة معان ؛ ومنهم [من][٤] يقول : ذلك المعنى يعود إلى الخبر ، ويجعل الأمر داخلاً في معنى الخبر ، ومنهم من يرد الخبر إلى العلم ، ومنهم من يقول - مع ذلك - : إن العلم ليس صفة قائمة بالعالم[٥] .

/ = انظر في هذه المسائل كتاب " اشارات المرام من عبارات الامام " لأحمد بن حسن البياضي ، تحقيق يوسف عبد الرزاق ، ط. الحلبي بمصر ، ١٣٦٨هـ - ١٩٤٩م ؛ وكتاب " الروضة البهية فيما بين الأشاعرة والماتريدية " للحسن بن عبد المحسن أبي عذبة ، ط. حيدر آباد سنة ١٣٢٢هـ ، وانظر للماتريدى كتاب " شرح الفقه الأكبر لأبي حنيفة " ط. حيدر آباد سنة ١٣٢١هـ ، وكتاب " التوحيد " ، تحقيق الدكتور فتح الله خليف ، ط. دار الجامعات المصرية - الاسكندرية .
وانظر عن الماتريدى وكتبه : الجواهر المضية ٢/ ١٣٠ - ١٣١ ؛ تاج التراجم لابن قطلوبغا ، ص ٥٩ ؛ مفتاح السعادة لطاش كبرى زادة ٢/ ٢١ - ٢٢ ؛ الفوائد البهية ، ص ١٩٥ ؛ الأعلام ٧/ ١٩ ؛ معجم المؤلفين ١١/ ٣٠٠ ؛ تاريخ التراث العربي (المجلد الأول) ٤/ ٤٠ - ٤٢ .

(١) به : سقطت من (ص) .
(٢) كلامه : سقطت من (ن ، ك) .
(٣) بثبوت : كذا في (ن) ، ص ، ك : ثبوت .
(٤) من : سقطت من (ص) .
(٥) ص ، ن ، ك : بالعلم . ولعل الصواب ما أثبته .

أقوال ومرويات السلف والمقاربين لهم في بيان مذهبهم في أفعال الله

وأما أقوال السلف وعلماء الإسلام في هذا الأصل ؛ ومافي ذلك من نصوص الكتاب والسنة ؛ فهذا أعظم من أن يسعه هذا الشرح .

ومن كتب التفسير المنقولة عن السلف ؛ مثل تفسير عبد الرزاق(١) ، وعَبْد بن حُمَيْد(٢) ، وأحمد بن حنبل ، وإسحاق بن راهوية ، وبَقِيّ بن مَخْلَد(٣) ، وعبد الرحمن بن إبراهيم : دُحَيْم(٤) ، وعبد الرحمن بن أبي حاتم(٥) ،

---

(١) أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميرى مولاهم ، ولد بصنعاء سنة ١٢٦ ، وتوفي سنة ٢١١ ، أحد الأعلام الثقات ، صنف في التفسير والحديث .
انظر : الطبقات الكبرى لابن سعد ٥/٥٤٨ ؛ الجرح والتعديل ٦/٣٨-٣٩ ؛ طبقات الحنابلة ١/٢٠٩ ؛ تذكرة الحفاظ ١/٣٦٤ ؛ ميزان الاعتدال ٢/٦٠٩-٦١٤ ؛ تهذيب التهذيب ٦/٣١٠-٣١٥ ؛ الأعلام ٣/٣٥٣ ؛ تاريخ التراث العربي (المجلد الأول) ١/١٦٤، ١٨٤-١٨٥ ، وقد أشار الزركلي وسزكين الى وجود تفسير عبد الرزاق مخطوطا .

(٢) أبو محمد عبد ـ قيل : ان اسمه عبد الحميد فخفف ـ بن حميد بن نصر الكسي ، من قرية " كس " من أعمال سمرقند ، من الأئمة الثقات ، صنف " المسند الكبير " و " التفسير " وغيرهما ، مات سنة ٢٤٩ .
انظر : تذكرة الحفاظ ٢/٥٣٤ ؛ تهذيب التهذيب ٦/٤٥٥-٤٥٧ ؛ شذرات الذهب ٢/١٢٠ ؛ الأعلام ٣/٢٦٩ ، تاريخ التراث العربي (المجلد الأول) ١/٢١٦-٢١٧ .

(٣) الحافظ الكبير أبو عبد الرحمن بقي بن مخلد بن يزيد القرطبي (٢٠١-٢٧٦) ، رحل الى المشرق وسمع في العراق من الامام أحمد وغيره من أئمة الحديث ، وكان قدوة مجتهدا صالحا عابدا ، مدح العلماء مصنفاته خاصة " التفسير " و " المسند " .
انظر : تذكرة الحفاظ ٢/٦٢٩-٦٣١ ؛ البداية والنهاية ١١/٥٦-٥٧ ؛ طبقات المفسرين للسيوطي ، ص ٤٠-٤٢ ؛ معجم المؤلفين ٣/٥٣-٥٤ ؛ الأعلام ٢/٦٠ ؛ تاريخ التراث العربي المجلد الأول ١/٢٩٦-٢٩٧ .

(٤) ك : رحيم ، وهو خطأ .
وهو القاضي الحافظ أبو سعيد عبد الرحمن بن ابراهيم بن عمرو الأموى مولاهم ، الدمشقي ، المعروف بدحيم (١٧٠-٢٤٥) ، وهو ثقة حجة ، كان على مذهب الأوزاعي في الفقه توفي بفلسطين .
انظر : تاريخ بغداد ١٠/٢٦٥-٢٦٧ ؛ طبقات الحنابلة ١/٢٠٤ ؛ تذكرة الحفاظ ٢/٤٨٠ ؛ تهذيب التهذيب ٦/١٣١ ؛ الأعلام ٣/٢٩٢ .

(٥) الحافظ الكبير أبو محمد عبد الرحمن بن الحافظ الكبير أبي حاتم محمد بن ادريس بن المنذر التميمي الحنظلي الرازى (٢٤٠-٣٢٧) له كتب جليلة نافعة ، منها " التفسير " و " المسند " و " الجرح والتعديل " و " الرد على الجهمية " .
انظر : طبقات الحنابلة ٢/٥٥ ؛ تذكرة الحفاظ ٣/٨٢٩-٨٣٢ ؛ طبقات الشافعية للسبكي ٣/٣٢٤-٣٢٨ ؛ البداية والنهاية ١١/١٩١ ؛ لسان الميزان ٣/٤٣٢-٤٣٣ ؛ الأعلام ٣/٣٢٤ ؛ تاريخ التراث العربي (المجلد الأول) ١/٣٥٢-٣٥٥ . وذكر سزكين نسخا خطية لتفسيره .

ومحمد بن جَرِير الطَّبَرى(١)، وأبي بكر [بن] المُنْذِر(٢)، وأبي بكر عبد العزيز(٣)، وأبي الشيخ الأصفهاني(٤)، وأبي بكر [بن] مَرْدُويه(٥)، وغيرهم - من ذلك ما تطول حكايته.

---

(١) الامام العلم المجتهد أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبرى (٢٢٤-٣١٠) من أهل آمل طبرستان، استوطن بغداد وتوفي بها، له كتب متعددة أهمها وأكبرها كتاب "التفسير" وكتاب "التاريخ"، وهما مطبوعان مشهوران.
انظر: تاريخ بغداد ٢/١٦٢-١٦٩؛ ارشاد الأريب ٦/٤٢٣-٤٦٢؛ وفيات الأعيان ٤/١٩١-١٩٢؛ تذكرة الحفاظ ٢/٧١٠-٧١٦؛ طبقات الشافعية للسبكي ٣/١٢٠-١٢٨؛ البداية والنهاية ١١/١٤٥-١٤٧؛ شذرات الذهب ٢/٢٦٠-٢٦١؛ الأعلام ٦/٦٩؛ تاريخ التراث العربي (المجلد الأول) ٢/١٥٩-١٦٨.

(٢) ص: وأبي بكر المنذر.
وهو أبو بكر محمد بن ابراهيم بن المنذر النيسابورى (٢٤٢-٣١٨) فقيه مجتهد، من الحفاظ صنف في التفسير والفقه، عاش في مكة وتوفي بها.
انظر: تذكرة الحفاظ ٣/٧٨٢-٧٨٣؛ طبقات الشافعية للسبكي ٣/١٠٢-١٠٨؛ لسان الميزان ٥/٢٧-٢٨؛ الأعلام ٥/٢٩٤-٢٩٥؛ تاريخ التراث العربي (المجلد الأول) ٣/٢٠٠-٢٠٢، وفي هذين الكتابين الاشارة لوجود تفسيره أو بعضه مخطوطا.

(٣) النسخ الثلاث (ص، ن، ك): وأبي بكر بن عبد العزيز، وهذا خطأ.
وهو أبو بكر عبد العزيز بن جعفر بن أحمد بن يزداد بن معروف (٢٨٥-٣٦٣) الملقب بغلام أو صاحب الخلال، أحد مشاهير الحنابلة، من مصنفاته "الشافي" و"المقنع" و"تفسير القرآن" و"الخلاف مع الشافعي" و"كتاب القولين" وغير ذلك، توفي ببغداد.
انظر: طبقات الحنابلة ٢/١١٩-١٢٧؛ مناقب الامام أحمد بن حنبل لابن الجوزى، ص ٦٢٢-٦٢٣؛ البداية والنهاية ١١/٢٧٨؛ الأعلام ٤/١٥؛ تاريخ التراث العربي (المجلد الأول) ٣/٢٣٧-٢٣٨.

(٤) أبو محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان الأنصارى الأصبهاني، يعرف بأبي الشيخ (٢٧٤-٣٦٩)، حافظ ثقة، له مصنفات منها "التفسير" و"السنة" و"العظمة".
انظر عنه وعن مصنفاته: ذكر أخبار اصبهان لأبي نعيم ٢/٩٠؛ اللباب لابن الأثير ١/٤٠٤-٤٠٥؛ تذكرة الحفاظ ٣/٩٤٥-٩٤٧؛ شذرات الذهب ٣/٦٩؛ الأعلام ٤/١٢٠؛ معجم المؤلفين ٦/١١٤؛ تاريخ التراث العربي ١/١/٤٠٤-٤٠٦.

(٥) ص: وأبي بكر مردوية.
وهو الحافظ الثبت أبو بكر أحمد بن موسى بن مردويه الأصبهاني (٣٢٣-٤١٠) من مؤلفاته "التفسير" و"التاريخ" و"المستخرج على صحيح البخارى".
انظر: ذكر أخبار اصبهان ١/١٦٨؛ تذكرة الحفاظ ٣/١٠٥٠-١٠٥١؛ الوافي بالوفيات ٨/٢٠١؛ شذرات الذهب ٣/١٩٠؛ الأعلام ١/٢٦١؛ معجم المؤلفين ٢/١٩٠؛ تاريخ التراث العربي ١/١/٦٦٢-٦٦٣.

وكذلك الكتب المصنفة في السنة ، والرد على الجهمية ، وأصول الدين ؛ المنقولة عن السلف ؛ مثل كتاب " الرد على الجهمية " لمحمد بن عبد الله الجعفي شيخ البخاري [١] ، وكتاب " خلق الأفعال " للبخاري ، وكتاب " السنة " لأبي داود السجستاني [٢] ، ولأبي بكر الأثرم ، ولعبد الله بن أحمد بن حنبل [٣] ،

---

(١) مثل كتاب " الرد على الجهمية " ... الخ : كذا في النسخ الثلاث (ص ، ن ، ك) ، ولم أجد هذا الاسم في شيوخ الامام البخاري ، وقد جاء اسم هذا الكتاب وصاحبه كما هنا في كتاب " منهاج السنة " ٢ / ٢٨٣ تحقيق د / رشاد سالم ؛ ضمن بعض مصنفات السلف ، الا أنه لم يقل : شيخ البخاري ؛ فترجم الأستاذ المحقق للقاضي الحنفي الكوفي أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن الحسين الجعفي المعروف بابن الهرواني (٣٠٥-٤٠٢) ، وذكر مراجع الترجمة ، وقال : " ولم تذكر هذه المراجع كتاب الرد على الجهمية " .
وهذا الرجل لا يمكن أن يكون شيخا للبخاري المولود سنة ١٩٤ والمتوفى سنة ٢٥٦ ، وبحثت في مراجع ترجمته فلم أجد أن له صلة ببخاري ، فلا يحتمل أن تكون العبارة مثلا محرفة عن " شيخ بخاري " ، لكن ابن تيمية ذكر بعض كتب السلف في " الحموية " (مجموع فتاوى يخ الاسلام ، ط . الرياض ٥ / ٢٤) ومما قال : " والرد على الجهمية لجماعة : مثل البخاري ، وشيخه عبد الله ابن محمد بن عبد الله الجعفي " ، وذكره أيضا في درء تعارض العقل والنقل ٧ / ١٠٨ باسم عبد الله بن محمد الجعفي .
فيبدو -والله أعلم- أن هذا هو المراد ، وأنه وقع خطأ في اسمه في كتابنا هذا وفي كتاب منهاج السنة .
وشيخ البخاري هذا هو الحافظ أبو جعفر عبد الله بن محمد بن عبد الله بن جعفر بن اليمان الجعفي البخاري المسندي ، لقب بالمسندي لأنه كان يطلب الأحاديث المسندة ، ويرغب عن المقاطيع والمراسيل ، أو لأنه أول من جمع مسند الصحابة بما وراء النهر ، روى عنه البخاري وغيره ، وروى الترمذي عن البخاري عنه ، توفي سنة ٢٢٩ .
انظر عنه : التاريخ الكبير للبخاري ٥ / ١٨٩ ؛ الجرح والتعديل ٥ / ١٦٢ ؛ تاريخ بغداد ١٠ / ٦٤ - ٦٥ ؛ الجمع بين رجال الصحيحين ١ / ٢٦٦-٢٦٧ ؛ اللباب ١ / ٢٨٤ ؛ تذكرة الحفاظ ٢ / ٤٩٢-٤٩٣ ؛ تهذيب التهذيب ٦ / ٩-١٠ ؛ الأعلام ٤ / ١١٧ ؛ تاريخ التراث العربي لسزكين ١ / ١ / ١٤٩ . ولم تذكر هذه الكتب من تأليفه الا أنه جمع مسند الصحابة .

(٢) هو أبو داود سليمان بن الأشعث بن اسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني (٢٠٢-٢٧٥) ، أحد أئمة الحديث الرحالين الى الآفاق في طلبه ، وصاحب " السنن " المعروفة ، سكن البصرة وتوفي بها ، وقدم بغداد غير مرة .
انظر : الجرح والتعديل ٤ / ١٠١-١٠٢ ؛ تاريخ بغداد ٩ / ٥٥-٥٩ ؛ طبقات الحنابلة ١ / ١٥٩ - ١٦٢ ؛ تذكرة الحفاظ ٢ / ٥٩١-٥٩٣ ؛ البداية والنهاية ١١ / ٥٤-٥٦ ؛ تهذيب التهذيب ٤ / ١٦٩-١٧٣ ؛ الأعلام ٣ / ١٢٢ ؛ تاريخ التراث العربي ١ / ١ / ٢٩٠-٢٩٦ .

(٣) طبع كتاب " السنة " لعبد الله بن أحمد بن حنبل بالمطبعة السلفية بمكة المكرمة عام ١٣٤٩ هـ ، وذكر له فؤاد سزكين في كتاب تاريخ التراث العربي ١ / ٣ / ٢٣٢ - نسخة خطية .

ولحنبل بن اسحاق[(١)]، ولأبي بكر الخلال[(٢)]، ولأبي الشيخ الأصفهاني، ولأبي القاسم الطبراني[(٣)]، ولأبي عبد الله بن مَنْدَهْ[(٤)]، وأمثالهم .

---

(١) أبو علي حنبل بن اسحاق بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني ، ابن عم الامام أحمد وأحد الرواة عنه ، له كتاب " الفتن " و " المحنة " و " التاريخ " مات بواسط سنة ٢٧٣ ، في طبقات الحنابلة : " قال أبو بكر الخلال : قد جاء حنبل عن أحمد بمسائل أجاد فيها الرواية ، وأغرب بغير شيء " ، وذكر ابن تيمية في كتاب الاستقامة ١/ ٧٥ خلافا بين الأصحاب في مفاريد حنبل التي خالفه فيها الجمهور هل تثبت أو لا ؟ .
انظر عنه : تاريخ بغداد ٨/ ٢٨٦- ٢٨٧ ؛ طبقات الحنابلة ١/ ١٤٣- ١٤٥ ؛ تذكرة الحفاظ ٢/ ٦٠٠- ٦٠١ ؛ البداية والنهاية ١١/ ٥٢ ؛ الأعلام ٢/ ٢٨٦ ؛ تاريخ التراث العربي ١/ ٣/ ٢٣٠- ٢٣١ .

(٢) نقل ابن تيمية فيما تقدم ، ص ١٢ عن كتاب " السنة " للخلال ، وأشرت هناك الى أني اطلعت على صورة لمخطوط في المتحف البريطاني عنوانه " الجزء الأول من كتاب المسند من مسائل أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل " للخلال ، واستخرجت منه ذلك المنقول ، وقد حاولت أن أجد فيه النصوص التي سيوردها ابن تيمية بعد قليل نقلا عن كتاب " السنة " فلم أتمكن ، وبعض صفحاته غير واضحة .

(٣) الامام الحافظ أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الطبراني ، أصله من طبرية الشام ، ولد بعكا سنة ٢٦٠ ، وسمع عددا كبيرا من الشيوخ بمدائن الشام وغيرها ، وتوفي بأصبهان سنة ٣٦٠هـ ، له ثلاثة معاجم في الحديث : " الكبير " و " الأوسط " و " الصغير " ، وله كتاب " السنة " ، وكتاب " مسند الشاميين " وكتاب " الدعاء " وغيرها .
انظر عنه وعن مؤلفاته : ذكر أخبار اصبهان ١/ ٣٣٥- ٣٣٦ ؛ طبقات الحنابلة ١/ ٤٩ - ٥٠ ؛ تذكرة الحفاظ ٣/ ٩١٢- ٩١٧ ؛ البداية والنهاية ١١/ ٢٧٠ ؛ لسان الميزان ٣/ ٧٣- ٧٥ ؛ الأعلام ٣/ ١٢١ ؛ تاريخ التراث العربي ١/ ١/ ٣٩٣- ٣٩٦ .

(٤) الامام الحافظ أبو عبد الله محمد بن اسحاق بن محمد بن يحيى بن مندة الأصبهاني (٣١٠-٣٩٥) من أولاد المحدثين ، رحل الى نيسابور وبغداد ودمشق ومكة وبقي في الرحلة نحوا من أربعين سنة ، ثم عاد الى وطنه شيخا ، وحدث بالكثير ، وكان ثبت الحديث والحفظ ، كثير التصانيف ، توفي بأصبهان .
انظر عنه : ذكر أخبار اصبهان ٢/ ٣٠٦ ؛ طبقات الحنابلة ٢/ ١٦٧ ؛ تذكرة الحفاظ ٣/ ١٠٣١- ١٠٣٦ ؛ ميزان الاعتدال ٣/ ٤٧٩ - ٤٨٠ ؛ البداية والنهاية ١١/ ٣٣٦ ؛ لسان الميزان ٥/ ٧٠ - ٧٢ ؛ شذرات الذهب ٣/ ١٤٦ ؛ الأعلام ٦/ ٢٩ ؛ تاريخ التراث العربي ١/ ١/ ٤٣٨ - ٤٤٠ .
وأشار الزركلي وسزكين الى وجود كتابيه " التوحيد " و " الرد على الجهمية " مخطوطين ، ولعل أحدهما هو الذي يشير اليه ابن تيمية هنا .

وكتاب " الشريعة " لأبي بكر الآجُرِّي[(١)] ، و " الابانة " لأبي عبد الله بن بطة[(٢)] ، وكتاب " الأصول " لأبي عمر الطَّلَمَنْكي[(٣)] ، وكتاب " رد عثمان بن سعيد الدارمي ، وكتاب " الرد على الجهمية " له[(٤)] ، وأضعاف هذه الكتب .

---

(١) الامام أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الآجرى (بضم الجيم ، نسبة الى آجر قرية من قرى بغداد) ، ثقة صدوق دين ، له تصانيف كثيرة ، حدث ببغداد قبل سنة ٣٣٠ ثم انتقل الى مكة فسكنها حتى توفي بها سنة ٣٦٠ ، وقد طبع كتاب " الشريعة " بتحقيق محمد حامد الفقي ، بمطبعة السنة المحمدية ١٣٦٩هـ - ١٩٥٠م ، وذكر له سزكين نسخا خطية .
انظر: تاريخ بغداد ٢٤٣/٢ ؛ تذكرة الحفاظ ٩٣٦/٣ ؛ الوافي بالوفيات ٣٧٣/٢ - ٣٧٤ ؛ طبقات الشافعية للسبكي ١٤٩/٣ ؛ البداية والنهاية ٢٧٠/١١ ؛ شذرات الذهب ٣٥/٣ ؛ الأعلام ٩٧/٦ ؛ تاريخ التراث العربي لسزكين ٣٨٩/١/١ - ٣٩٢ .

(٢) الامام أبو عبد الله عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان العكبرى ، المعروف بابن بطة (٣٠٤ - ٣٨٧) عالم بالحديث من فقهاء الحنابلة ، توفي بعكبرا بليدة على دجلة ، من مصنفاته "الابانة الكبيرة " و " الابانة الصغيرة " ، ذكر لهما فؤاد سزكين نسخا خطية ، وطبع " الابانة الصغيرة " بتحقيق الدكتور رضا بن نعسان معطي ، مكة المكرمة ١٤٠٤هـ .
انظر: تاريخ بغداد ٣٧١/١٠ - ٣٧٥ ؛ طبقات الحنابلة ١٤٤/٢ - ١٥٣ ؛ اللباب ١٦٠/١ ، ٣٥١/٢ ؛ ميزان الاعتدال ١٥/٣ ؛ البداية والنهاية ٣٢١/١١ - ٣٢٢ ؛ لسان الميزان ١١٢/٤ - ١١٥ ؛ شذرات الذهب ١٢٢/٣ - ١٢٤ ؛ الأعلام ١٩٧/٤ ؛ تاريخ التراث العربي ٢٣٩/٣/١ - ٢٤٠ .

(٣) أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد الله بن لب بن يحيى المعافرى - نسبة الى المعافر بطن من قحطان - الطلمنكي (٣٤٠ - ٤٢٩) أصله من طلمنكة مدينة بالأندلس ، سكن قرطبة ، ورحل الى المشرق ، وتوفي بطلمنكة ، عالم بالقراءات والتفسير والحديث ، من مصنفاته " الوصول الى معرفة الأصول " .
انظر: تذكرة الحفاظ ١٠٩٨/٣ - ١١٠٠ ؛ الوافي بالوفيات ٣٢/٨ - ٣٣ ؛ الديباج المذهب لابن فرحون ، ص ٣٩ - ٤٠ ؛ غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزرى ١٢٠/١ ؛ شذرات الذهب ٢٤٣/٣ - ٢٤٤ ؛ الأعلام ٢١٢/١ - ٢١٣ .

(٤) هو الحافظ الحجة أبو سعيد عثمان بن سعيد بن خالد السجستاني الدارمي (٢٠٠ - ٢٨٠) ، محدث هراة ، جالس الامام أحمد بن حنبل ويحيى بن معين وعلي بن المديني وغيرهم ، وصنف في الحديث والرد على الجهمية ، وقد نشر " رد الامام الدارمي عثمان بن سعيد على بشر المريسي العنيد " و " الرد على الجهمية " مرات ، أحدها ضمن مجموعة بعنوان " عقائد السلف " الاسكندرية ١٩٧١م .
انظر عن الدارمي ومصنفاته : الجرح والتعديل ١٥٣/٦ ؛ تذكرة الحفاظ ٦٢١/٢ - ٦٢٢ ؛ طبقات الشافعية للسبكي ٣٠٢/٢ - ٣٠٦ ؛ شذرات الذهب ١٧٦/٢ ؛ الأعلام ٢٠٥/٤ - ٢٠٦ ؛ تاريخ التراث العربي ٣١/٤/١ - ٣٢ .

نماذج من أقوالهم ومروياتهم في كتب متفرقة

وذلك مثل ما ذكره الخلال وغيره ، عن اسحاق بن راهوية ، ثنا[١] بشر بن عمر[٢] ، قال : سمعت غير واحد من المفسرين يقول : (الرحمن على العرش استوى[٣]) أي ارتفع .

وقال البخاري في " صحيحه " : " قال : أبو العالية[٤] : (استوى الى السماء[٥]) : ارتفع " ، " وقال مجاهد[٦] : استوى : علا على العرش[٧] " .

وقال البغوي[٨] في " تفسيره " : " قال ابن عباس وأكثر مفسري السلف : (استوى الى السماء) : ارتفع الى السماء[٩] " .

---

(١) ثنا : كذا في (ص) ؛ ك : حدثنا ؛ ن : أنبأ .

(٢) هو أبو محمد بشر بن عمر بن الحكم بن عقبة الزهراني الأزدي البصري ، ثقة ، توفي بالبصرة سنة ٢٠٧ أو ٢٠٩ .
انظر : الطبقات الكبرى لابن سعد ٧/ ٣٠٠ ؛ تذكرة الحفاظ ١/ ٣٣٧ ؛ تهذيب التهذيب ١/ ٤٥٥-٤٥٦ .

(٣) سورة طه : ٥ .

(٤) أبو العالية البراء البصري ، مولى قريش ، قيل : اسمه زياد بن فيروز ، وقيل غير ذلك ، تابعي ثقة ، مات سنة ٩٠هـ .
انظر : الطبقات الكبرى لابن سعد ٧/ ٢٣٧ ؛ ميزان الاعتدال ٤/ ٥٤٣ ؛ تهذيب التهذيب ١٢/ ١٤٣-١٤٤ .

(٥) سورة البقرة : ٢٩ .

(٦) الامام أبو الحجاج مجاهد بن جبر المخزومي مولاهم المكي المقرئ المفسر ، ولد سنة ٢١ وسمع عددا من الصحابة ، ولزم ابن عباس مدة ، وأخبر أنه عرض عليه القرآن مرات يقف عند كل آية ويسأله عن تفسيرها ، توفي بمكة سنة ١٠٣ أو ١٠٤ .
انظر الطبقات الكبرى لابن سعد ٥/ ٤٦٦-٤٦٧ ؛ حلية الأولياء ٣/ ٢٧٩ - ٣١٠ ؛ تذكرة الحفاظ ١/ ٩٢-٩٣ ؛ ميزان الاعتدال ٣/ ٤٣٩-٤٤٠ ؛ تهذيب التهذيب ١٠/ ٤٢ - ٤٤ ؛ الأعلام ٥/ ٢٧٨ ؛ تاريخ التراث العربي ١/ ١/ ٧٠-٧١ .

(٧) القولان في صحيح البخاري (فتح الباري ١٣/ ٤٠٣) كتاب التوحيد ، باب (وكان عرشه على الماء) .

(٨) الامام الحافظ أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد الفراء البغوي ، الفقيه الشافعي المفسر المحدث ، يلقب بمحيي السنة ، ولد سنة ٤٣٦ ، وتوفي بمرو الروذ سنة ٥١٦ أو ٥١٠ .
انظر : وفيات الأعيان ٢/ ١٣٦ - ١٣٧ ؛ تذكرة الحفاظ ٤/ ١٢٥٧-١٢٥٩ ؛ طبقات الشافعية للسبكي ٧/ ٧٥-٨٠ ؛ البداية والنهاية ١٢/ ١٩٣ ؛ شذرات الذهب ٤/ ٤٨-٤٩ ؛ الأعلام ٢/ ٢٥٩ .

(٩) قال البغوي في تفسيره (بهامش تفسير ابن كثير ١/ ١٢٢) (ثم استوى الى السماء) [سورة البقرة : ٢٩] : " قال ابن عباس وأكثر مفسري السلف : أي ارتفع الى السماء " .

وكذا[١] قال الخليل بن أحمد[٢].

وروى البيهقي[٣] عن الفراء[٤] : "استوى أي صعد ، وهو كقول الرجل : كان قاعدا فاستوى قائما[٥]".

---

(١) ك : وكذلك .

(٢) الامام أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي (نسبة الى فراهيد بطن من الأزد) ، امام في علم اللغة والنحو ، أخذ عنه سيبويه وغيره من أكابرهم ، وهو الذي استنبط علم العروض ، ولد سنة ١٠٠ ، ومات بالبصرة سنة ١٧٠ أو ١٧٥ .
انظر: انباه الرواة على انباه النحاة ١/ ٣٤١- ٣٤٧ ؛ وفيات الأعيان ٢/ ٢٤٤- ٢٤٨ ؛ البداية والنهاية ١٠/ ١٦١- ١٦٢ ؛ تهذيب التهذيب ٣/ ١٦٣ - ١٦٤ ؛ شذرات الذهب ١/ ٢٧٥- ٢٧٧ ؛ الأعلام ٢/ ٣١٤ .
قال أبو عمر بن عبد البر في التمهيد (تحقيق عبد الله بن الصديق ، ١٣٩٩- ١٩٧٩) ٧/ ١٣٢ "وقد ذكر النضر بن شميل ، وكان ثقة مأمونا جليلا في علم الديانة واللغة ، قال حدثني الخليل ، وحسبك بالخليل ، قال : أتيت أبا ربيعة الأعرابي ، وكان من أعلم من رأيت فاذا هو على سطح ، فسلمنا فرد علينا السلام ، وقال لنا : استووا ، فبقينا متحيرين ، ولم ندر ما قال ، قال : فقال لنا أعرابي الى جنبه : انه أمركم أن ترتفعوا ، قال الخليل : هو من قول الله عز وجل : (ثم استوى الى السماء وهي دخان) [سورة فصلت : ١١] فصعدنا اليه".
وقد رجعت الى معاجم اللغة ولم أجد نقلا عن الخليل في معنى "الاستواء" ، لكن في كتاب "العين" للخليل بن أحمد ، تحقيق الدكتور مهدي المخزومي والدكتور ابراهيم السامرائي ٧/ ٣٢٦ مادة "سوى" : "وساويت هذا بهذا ، أي رفعته حتى بلغ قدره ومبلغه" ثم قال في نفس الصفحة : "والمساواة والاستواء واحد".

(٣) الحافظ أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن عبد الله بن موسى البيهقي ، الفقيه الشافعي ، المتكلم الأشعري (٣٨٤- ٤٥٨) نشأ في بيهق ، ومات في نيسابور ، كان محدثا فقيها أصوليا ، صاحب تصانيف كثيرة .
انظر: تبيين كذب المفتري ، ص ٢٦٥- ٢٦٨ ؛ وفيات الأعيان ١/ ٧٥- ٧٦ ؛ تذكرة الحفاظ ٣/ ١١٣٢- ١١٣٥ ؛ طبقات الشافعية للسبكي ٤/ ٨ - ١٦ ؛ البداية والنهاية ١٢/ ٩٤ ؛ شذرات الذهب ٣/ ٣٠٤ - ٣٠٥ ؛ الأعلام ١/ ١١٦ .

(٤) الامام أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور ، مولى بني أسد ، المشهور بالفراء (١٤٤- ٢٠٧) ، كوفي نزل بغداد ومات بها ، وقيل : مات بطريق مكة ، ويعد أبرع الكوفيين وأعلمهم بالنحو واللغة وفنون الأدب .
انظر: تاريخ بغداد ١٤/ ١٤٩- ١٥٥ ؛ انباه الرواة ٤/ ١- ١٧ ؛ وفيات الأعيان ٦/ ١٧٦ - ١٨٢ ؛ تذكرة الحفاظ ١/ ٣٧٢ ؛ البداية والنهاية ١٠/ ٢٦١ ؛ تهذيب التهذيب ١١/ ٢١٢ - ٢١٣ ؛ الأعلام ٨/ ١٤٥- ١٤٦ .

(٥) قال الفراء في كتابه "معاني القرآن" ١/ ٢٥ : (ثم استوى الى السماء فسواهن) [سورة البقرة : ٢٩] : "الاستواء في كلام العرب على جهتين : احداهما أن يستوي الرجل وينتهي شبابه ، أو يستوي عن اعوجاج ، فهذان وجهان ، ووجه ثالث أن تقول : كان مقبلا على فلان ثم استوى علي يشاتمني والي ، سواء ، على معنى أقبل الي وعلي ، فهذا معنى قوله : (ثم استوى الى السماء) والله أعلم .
وقال ابن عباس: ثم استوى الى السماء : صعد ، وهذا كقولك للرجل : كان قائما فاستوى قاعدا ، وكان قاعدا فاستوى قائما ، وكل في كلام العرب جائز" وقد روى البيهقي ذلك بسنده عن الفراء في كتاب "الأسماء والصفات" ، ص ٤١٢- ٤١٣ .

وروى الشافعي في مسنده عن أنس بن مالك رضي الله عنه ، أنه قال عن يوم الجمعة : (وهو اليوم الذى استوى فيه ربكم على العرش)[١] .

وروى أبو بكر الأثرم " عن الفضيل بن عياض[٢] قال : ليس لنا أن نتوهم في الله كيف وكيف ؛ لأن الله وصف فأبلغ ؛ فقال : (قل هو الله أحد الله الصمد)[٣] فلا صفة أبلغ مما وصف به نفسه ؛ وكل[٤] هذا النزول والضحك ، وهذه المباهاة وهذا[٥] الاطلاع ؛ كما شاء أن ينزل[٦] ، وكما شاء أن يضحك ؛ فليس لنا أن نتوهم أن كيف وكيف[٧] . واذا قال لك الجهمي : أنا أكفر

---

(١) أورد ابن تيمية هذا المتن في كتابه " درء تعارض العقل والنقل " ٢ / ٢١ مرفوعا ، وهو كذلك في مسند الامام الشافعي (بهامش الجزء السادس من كتاب " الأم " ، ص ١٠٤ - ١٠٥ (ط . الأولى بولاق - مصر ١٣٢٤ هـ) .
أوله ، عن أنس بن مالك قال : أتى جبريل بمرآة بيضاء ، فيها وَكْتَةٌ الى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : (ماهذه ؟ فقال : هذه الجمعة فضلت بها أنت وأمتك ...)
وفيه (وهو اليوم الذى استوى فيه ربكم على العرش) .
الوكتة في لسان العرب مادة " وكت " : الأثر في الشيء كالنقطة من غير لونه .

(٢) أبو علي الفضيل بن عياض بن مسعود بن بشر التميمي اليربوعي ، ولد سنة ١٠٥ بسمرقند ، وسمع بالكوفة ، ثم نزل مكة وتوفي بها سنة ١٨٧ ، وهو من كبار العباد ، مجمع على ثقته وجلالته .
انظر : الطبقات الكبرى لابن سعد ٥ / ٥٠٠ ؛ طبقات الصوفية ، ص ٦ - ١٤ ؛ حلية الأولياء ٨ / ٨٤ - ١٣٩ ؛ صفة الصفوة ٢ / ١٣٤ - ١٣٩ ؛ وفيات الأعيان ٤ / ٤٧ - ٤٩ ؛ تذكرة الحفاظ ١ / ٢٤٥ - ٢٤٦ ؛ ميزان الاعتدال ٣ / ٣٦١ ؛ البداية والنهاية ١٠ / ١٩٨ - ١٩٩ ؛ تهذيب التهذيب ٨ / ٢٩٤ - ٢٩٧ ؛ الأعلام ٥ / ١٥٣ ؛ تاريخ التراث العربي ١ / ٤ / ١٠٦ - ١٠٧ .

(٣) أورد ابن تيمية في درء تعارض العقل والنقل ٢ / ٢٣ - ٢٤ ، وابن القيم في اجتماع الجيوش الاسلامية ، ص ١٨٥ ، هذا القول من رواية الأثرم في كتاب " السنة " ، وفيه " لأن الله وصف نفسه فأبلغ ، فقال : (قل هو الله أحد . الله الصمد . لم يلد ولم يولد . ولم يكن له كفوا أحد) .

(٤) وكل : كذا في (ص) ؛ ن ، ك : ومثل .

(٥) ص : وهذه .

(٦) في المصدرين السابقين ت رقم (٣) " كما شاء أن ينزل ، وكما شاء أن يباهي ، وكما شاء أن يطلع " .

(٧) ن ، ك : أن نتوهم أن ينزل عن مكانه كيف وكيف .

ج ٤٠ برب ينزل عن مكانه ./ فقل أنت[١] : أنا أؤمن برب يفعل مايشاء".

وقال البخارى في كتاب " خلق الأفعال[٢] ": " وقال الفضيل بن عياض: اذا قال لك الجهمي[٣] : أنا أكفر برب يزول عن مكانه . فقل : أنا أؤمن برب يفعل مايشاء".

قال البخارى[٤] : " وحدث[٥] يزيد بن هارون[٦] عن الجهمية ؛ فقال[٧] : من زعم أن الرحمن على العرش استوى على خلاف ماتقرر[٨] في قلوب العامة فهو جهمي".

وروى الخلال عن سليمان بن حرب[٩] أنه سأل بشر بن السرى[١٠] حماد بن زيد ؛ فقال : يا أبا اسماعيل ، الحديث : (ينزل الله الى السماء الدنيا)[١١]

---

(١) ن : أنا أكفر برب ينزل. فقلت أنت، ك : أنا كفرت برب ينزل . فقل أنت .

(٢) كتاب خلق أفعال العباد ، ص ١٢٦ - ١٢٧ ضمن مجموع " عقائد السلف " ط. الاسكندرية (١٩٧١) .

(٣) خلق أفعال العباد : جهمي .

(٤) في خلق أفعال العباد ، ص ١٢٧ .

(٥) خلق أفعال العباد : وحذر .

(٦) أبو خالد يزيد بن هارون بن زاذى - أو يقال : زاذان - بن ثابت السلمي مولاهم ، ولد بواسط سنة ١١٨ ، ومات بها سنة ٢٠٦ ، أحد حفاظ الحديث الثقات ، من شيوخ الامام أحمد .
انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد ٧/ ٣١٤ - ٣١٥ ؛ الجرح والتعديل ٩/ ٢٩٥ ؛ طبقات الحنابلة ١/ ٤٢٢ ؛ تذكرة الحفاظ ١/ ٣١٧ - ٣٢٠ ؛ تهذيب التهذيب ١١/ ٣٦٦ - ٣٦٩ ؛ الأعلام ٨/ ١٩٠ ؛ تاريخ التراث العربي ١/١/ ٩٢ - ٩٣ .

(٧) خلق أفعال العباد : وقال .

(٨) خلق أفعال العباد : مايقر .

(٩) أبو أيوب سليمان بن حرب بن بجيل الواشحي نسبة الى واشح (بطن من الأزد) من أهل البصرة ولد سنة ١٤٠ ، ولي قضاء مكة سنة ٢١٤ ثم عزل سنة ٢١٩ فرجع الى البصرة فتوفي فيها سنة ٢٢٤ ، وهو ثقة ، كثير الحديث .
انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد ٧/ ٣٠٠ ، تاريخ بغداد ٩/ ٣٣ - ٣٧ ؛ تذكرة الحفاظ ١/ ٣٩٣ ؛ تهذيب التهذيب ٤/ ١٧٨ - ١٨٠ ؛ الأعلام ٣/ ١٢٢ - ١٢٣ .

(١٠) أبو عمرو بشر بن السرى ، المعروف بالأفوه ، بصرى سكن مكة ، ثقة متقن ، طعن فيه برأى جهم ثم اعتذر وتاب ، مات سنة ١٩٥ أو ١٩٦ ، وله ٦٣ سنة .
انظر: الجرح والتعديل ٢/ ٣٥٨ ؛ تذكرة الحفاظ ١/ ٣٥٥ - ٣٥٦ ؛ تهذيب التهذيب ١/ ٤٥٠ - ٤٥١ .

(١١) خبر النزول خبر متواتر ، رواه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عدد من صحابته رضي الله عنهم ، منهم أبو هريرة الذى روي حديثه من طرق ، أحدها مافي صحيح البخارى (فتح البارى ٣/ ٢٩ رقم ١١٤٥) كتاب التهجد ، باب الدعاء والصلاة من آخر الليل ، ١١/ ١٢٨ - ١٢٩ رقم ٦٣٢١ كتاب الدعوات باب الدعاء نصف الليل ، ١٣/ ٤٦٤ رقم ٧٤٩٤ كتاب التوحيد ، باب قول الله تعالى : (يريدون أن يبدلوا كلام الله ؛ وصحيح مسلم ١/ ٥٢١ رقم ٧٥٨ كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل والاجابة فيه ؛ وسنن أبي داود (عون المعبود ٤/ ١٩٩) / =

يتحول[1] من مكان الى مكان ؟ فسكت حماد بن زيد ثم قال : هو في مكانه ، يقرب من خلقه كيف شاء .

قول الأشعري في كتاب "المقالات"

وهذا هو الذى نقله الأشعرى في كتاب " المقالات " عن أهل السنة والحديث ؛ فقال[2] : " ويصدقون بالأحاديث التي جاءت عن النبي صلى الله عليه وسلم[3] [ان الله سبحانه ينزل الى السماء الدنيا فيقول : هل من مستغفر؟ كما جاء في الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم[4]] ، ويأخذون بالكتاب والسنة ؛ كما قال تعالى[5] : (فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول[6]) .

/ = كتاب الصلاة ، باب أى الليل أفضل ، ١٣/ ٥٨-٥٩ ، كتاب السنة باب في الرد على الجهمية ؛ وجامع الترمذى (تحفة الأحوذى ٩/ ٤٧١) الدعوات ، باب حدثنا الأنصارى أخبرنا معن ... الخ ؛ وسنن ابن ماجة ١/ ٤٣٥ رقم ١٣٦٦ كتاب اقامة الصلاة والسنة فيها ، باب ماجاء في أى ساعات الليل أفضل ؛ وسند أحمد (ط. المعارف) ١٤/ ٢٥ رقم ٧٥٨٢ ، ١٤/ ٤٦ رقم ٧٦١١ ، والموطأ ١/ ٢١٤ رقم ٣٠ كتاب القرآن ، باب ماجاء في الدعاء .
عن ابن شهاب عن أبي سلمة بن عبد الرحمن وأبي عبد الله الأغر عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة الى السماء الدنيا ، حين يبقى ثلث الليل الآخر ، فيقول : من يدعوني فاستجيب له ؟ من يسألني فأعطيه ؟ من يستغفرني فأغفر له) . زاد ابن ماجة وأحمد : (حتى يطلع الفجر) .
ولم تختلف الروايات عن ابن شهاب الزهرى في تعيين وقت النزول ، لكن روايات أخرى اختلفت فيه : ففي صحيح مسلم ١/ ٥٢٢ ، وجامع الترمذى (تحفة الأحوذى ٢/ ٥٢٤) في الصلاة ، باب ماجاء في نزول الرب تبارك وتعالى الى السماء الدنيا كل ليلة ؛ وسند أحمد (ط. المعارف) ١٤/ ٢٠٤-٢٠٥ رقم ٧٧٧٩ عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة بلفظ (حين يمضي ثلث الليل الأول) .
وفي صحيح مسلم ١/ ٥٢٢ عن يحيى عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة (اذا مضى شطر الليل أو ثلثاه) ، وعن سعد بن سعيد عن ابن مرجانة عن أبي هريرة (لشطر الليل ، أو لثلث الليل الآخر) ، وفيه ١/ ٥٢٣ عن أبي اسحاق عن الأغر أبي مسلم عن أبي سعيد وأبي هريرة (اذا ذهب ثلث الليل الأول) .
وقد قال الامام الترمذى (جامع الترمذى بشرحه تحفة الأحوذى ٢/ ٥٢٥) وغيره من أهل الحديث : ان رواية (حين يبقى ثلث الليل الآخر) أصح الروايات .
وقال ابن تيمية في شرح حديث النزول (ضمن فتاوى ط. الرياض ٥/ ٤٧٠) معلقا على اختلاف هذه الروايات : " فان كان النبي صلى الله عليه وسلم قد ذكر النزول أيضا اذا مضى ثلث الليل الأول واذا انتصف ، فقوله حق وهو الصادق المصدوق ، ويكون النزول أنواعا ثلاثة : الأول اذا مضى ثلث الليل ، ثم اذا انتصف وهو أبلغ ، ثم اذا بقي ثلث الليل ، وهو أبلغ الأنواع الثلاثة .
وانظر : توجيه هذا الاختلاف عند ابن القيم في مختصر الصواعق المرسلة ٢/ ٢٣٢-٢٣٤ وابن حجر في فتح البارى ٣/ ٣١ .. وللاطلاع على أسانيد وألفاظ حديث النزول انظر كتاب " التوحيد " لابن خزيمة ، ص ١٢٥ - ١٣٦ .

(١) ك : أيتحول .
(٢) مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين ١/ ٣٤٨ تحت عنوان : " هذه حكاية جملة قول أصحاب الحديث وأهل السنة .
(٣) مقالات الاسلاميين : عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .
(٤) مابين المعكوفين ليس في (ص ، ن ، ك) وهو في " مقالات الاسلاميين " .
(٥) مقالات الاسلاميين : كما قال الله عز وجل .
(٦) سورة النساء : ٥٩ .

ويرون اتباع من سلف من أئمة الدين ، ولا يحدثون[(١)] في دينهم مالم يأذن به الله ، ويقرون أن الله تعالى[(٢)] يجيء يوم القيامة ؛ كما قال : (وجاء ربك والملك صفا صفا[(٣)]) . وأن الله يقرب من خلقه كما يشاء[(٤)] ؛ كما قال : (ونحن أقرب اليه من حبل الوريد[(٥)]) . " .

ثم قال الأشعري[(٦)] : " وبكل ما ذكرنا من قولهم نقول ، واليه نذهب " .

قول أبي عثمان الصابوني النيسابوري في رسالته في السنة

وقال أبو عثمان النيسابوري الملقب بشيخ الاسلام في رسالته المشهورة في السنة[(٧)] ؛ قال[(٨)] : " ويثبت أهل الحديث[(٩)] نزول الرب سبحانه في كل[(١٠)] ليلة الى السماء الدنيا من غير تشبيه له بنزول المخلوقين ولا تمثيل ولا تكييف ، بل يثبتون له[(١١)] ما أثبته له[(١١)] رسول الله صلى الله عليه وسلم وينتهون فيه اليه ، ويمرون الخبر الصحيح الوارد بذكره على ظاهره ويكلون علمه الى الله .

وكذلك يثبتون ما أنزل الله[(١٢)] في كتابه من ذكر المجيء والاتيان [المذكورين في قوله عز وجل : (هل ينظرون الا أن يأتيهم الله] في ظلل من الغمام والملائكة[(١٣)]) ،

---

(١) مقالات الاسلاميين : وألا يبتدعوا .
(٢) مقالات الاسلاميين : أن الله سبحانه .
(٣) سورة الفجر : ٢٢ .
(٤) مقالات الاسلاميين : كيف شاء .
(٥) سورة ق : ١٦ .
(٦) مقالات الاسلاميين ١ / ٣٥٠ .
(٧) هو أبو عثمان اسماعيل بن عبدالرحمن بن أحمد بن اسماعيل الصابوني ، ولد بنيسابور سنة ٣٧٣ ، ومات بها سنة ٤٤٩ ، الحافظ ، الواعظ ، المفسر ، الشافعي ، كان مقدما في خراسان ، لقب فيها بشيخ الاسلام .
انظر : طبقات الشافعية ٤ / ٢٧١ - ٢٩٢ ؛ البداية والنهاية ١٢ / ٧٦ ؛ شذرات الذهب ٣ / ٢٨٢ - ٢٨٣ ؛ الأعلام ١ / ٣١٧ .
وقد طبعت رسالته المشار اليها بعنوان " العقيدة المفيدة ، عقيدة السلف وأصحاب الحديث " ضمن مجموعة ، الطبعة الأولى بالمطبعة الحسينية بمصر ، وسأقابل - ان شاء الله - ما هنا على هذه الطبعة وأرمز لها برسالة النيسابوري .
(٨) رسالة النيسابوري ، ص ٢٤٩ - ٢٥٠ .
(٩) رسالة النيسابوري : أصحاب الحديث .
(١٠) رسالة النيسابوري : سبحانه وتعالى كل .
(١١) له : ليست في رسالة النيسابوري . في الموضعين .
(١٢) رسالة النيسابوري : ما أنزله الله عز اسمه .
(١٣) سورة البقرة : ٢١٠ . والمثبت في رسالة النيسابوري . وفي (ص، ن، ك) : والاتيان في ظلل من الغمام والملائكة .

وقوله عز وجل[١]: (وجاء ربك والملك صفا صفا[٢]).

وقال[٣]: " سمعت الحاكم أبا عبدالله الحافظ[٤] يقول : سمعت [٥أبا زكريا يحيى بن محمد العنبرى[٦] يقول سمعت ابراهيم بن٥] أبي طالب[٧]، سمعت[٨] أحمد بن سعيد الرباطي[٩] يقول : حضرت مجلس الأمير عبدالله بن طاهر[١٠] ذات يوم ؛ وحضر اسحاق بن ابراهيم - يعني ابن راهوية - فسُئل[١١] عن حديث النزول ،

---

(١) رسالة النيسابورى : وقوله عز اسمه .

(٢) سورة الفجر : ٢٢ .

(٣) رسالة النيسابورى ٢٥١ - ٢٥٢ .

(٤) الحافظ : ليست في رسالة النيسابورى .
وهو أبو عبدالله محمدبن عبدالله بن محمدبن حمدويه بن نعيم الضبي الطهماني النيسابورى ، يعرف بالحاكم ، وبابن البيع ، ولد بنيسابور سنة ٣٢١ وتوفي فيها سنة ٤٠٥ ، قال عنه الذهبي في ميزان الاعتدال ٢ / ٦٠٨ : " الحافظ ، صاحب التصانيف ، امام صدوق ، لكنه يصحح في " مستدركه " أحاديث ساقطة ، ويكثر من ذلك ... ثم هو شيعي مشهور بذلك من غير تعرض للشيخين ".
وانظر أيضا : تاريخ بغداد ٥ / ٤٧٣ - ٤٧٤ ؛ تبيين كذب المفترى ، ص ٢٢٧ - ٢٣١ ؛ تذكرة الحفاظ ٣ / ١٠٣٩ - ١٠٤٥ ؛ لسان الميزان ٥ / ٢٣٢ - ٢٣٣ ؛ الأعلام ٦ / ٢٢٧ ؛ تاريخ التراث العربي ١ / ١ / ٤٥٤ - ٤٥٧ .

(٥ - ٥) مابينهما سقط من (ص) .

(٦) أبو زكريا يحيى بن محمدبن عبدالله العنبرى النيسابورى ، المفسر ، المحدث ، الأديب . توفي سنة ٣٤٤ وهو ابن ٧٦ سنة .
انظر : العبر ٢ / ٢٦٥ - ٢٦٦ ؛ طبقات الشافعية للسبكي ٣ / ٤٨٥ - ٤٨٦ ؛ شذرات الذهب ٢ / ٣٦٩ .

(٧) أبو اسحاق ابراهيم بن أبي طالب محمدبن نوح بن عبدالله النيسابورى امام عصره بنيسابور في معرفة الحديث والرجال ، له كتاب " العلل " ، توفي سنة ٢٩٥ .
انظر : تذكرة الحفاظ ٢ / ٦٣٨ - ٦٣٩ ؛ شذرات الذهب ٢ / ٢١٨ .

(٨) رسالة النيسابورى : يقول سمعت .

(٩) رسالة النيسابورى : أحمدبن سعيد بن ابراهيم بن عبدالله الرباطي . وهو أبو عبدالله أحمد ابن سعيد بن ابراهيم الرباطي المروزى الخراساني الأشقر ، نزيل نيسابور ، روى عنه الجماعة سوى ابن ماجة ، ورد بغداد وسمع من الامام أحمد وغيره ، توفي سنة ٢٤٣ .
انظر : طبقات الحنابلة ١ / ٤٥ ؛ تذكرة الحفاظ ٢ / ٥٣٨ - ٥٣٩ ؛ تهذيب التهذيب ١ / ٣٠ - ٣١ ؛ شذرات الذهب ٢ / ١٠٢ .

(١٠) أبو العباس عبدالله بن طاهر بن الحسين بن مصعب بن رُزَيق الخزاعي بالولاء (١٨٢ - ٢٣٠) تدرج في الولايات في العصر العباسي حتى عينه المأمون أميرا لخراسان وما والاها ، فبقي الى أن توفي بنيسابور أو بمرو ، وكان جوادا سخيا .
انظر : تاريخ بغداد ٩ / ٤٨٣ - ٤٨٩ ؛ وفيات الأعيان ٣ / ٨٣ - ٨٩ ؛ البداية والنهاية ١٠ / ٣٠٢ - ٣٠٣ ؛ الأعلام ٤ / ٩٣ - ٩٤ .

(١١) ك : فسأل .

صحيح هو ؟ . فقال[١] : نعم . فقال[٢] بعض قواد عبدالله : يا أبا يعقوب ، أتزعم أن الله ينزل كل[٣] ليلة ؟ . قال : نعم . قال : كيف ينزل ؟ ، قال[٤] : أثبته فوق حتى أصف لك النزول . فقال الرجل : أثبته فوق . فقال اسحاق : قال الله عز وجل : (وجاء ربك والملك صفا صفا)[٥] . فقال له الأمير عبدالله بن طاهر[٦] : ياأبا يعقوب ،هذا يوم القيامة . فقال اسحاق : أعز الله الأمير من[٧] يجيء يوم القيامة من يمنعه اليوم ؟ ".

وروى باسناده[٨] عن اسحاق قال : قال لي الأمير عبدالله بن طاهر : يا أبا يعقوب،هذا الحديث الذى ترونه عن النبي[٩] صلى الله عليه وسلم : (ينزل ربنا كل ليلة الى السماء[١٠] الدنيا) . كيف ينزل ؟ قال : قلت : أعز الله الأمير، لا يقال لأمر الرب كيف ينزل[١١] ؟ انما ينزل بلا كيف .

ظ ٤٠ وباسناده أيضا[١٢] عن عبدالله بن المبارك أنه سأله سائل عن/ النزول ليلة النصف من شعبان[١٣] ؟ فقال عبدالله : ياضعيف ، ليلة النصف ؟!

---

(١) رسالة النيسابورى : أصحيح هو ؟ قال .
(٢) رسالة النيسابورى : فقال له .
(٣) ص : في كل .
(٤) رسالة النيسابورى : فقال له اسحاق .
(٥) سورة الفجر : ٢٢ .
(٦) رسالة النيسابورى : فقال الأمير عبدالله .
(٧) رسالة النيسابورى : ومن .
(٨) رسالة النيسابورى ،ص ٢٥٠ - ٢٥١ .
(٩) رسالة النيسابورى : ترويه عن رسول الله .
(١٠) رسالة النيسابورى : سماء .
(١١) ينزل : ليست في رسالة النيسابورى .
(١٢) رسالة النيسابورى ،ص ٢٥١ .
(١٣) وردت أحاديث في فضل ليلة النصف من شعبان ،وفي بعضها ذكر النزول ،ففي جامع الترمذى (تحفة الأحوذى ٣/٤٣٩ - ٤٤١) أبواب الصوم ،باب ماجاء في ليلة النصف من شعبان ، وسنن ابن ماجة ٤٤٤/١ رقم ١٣٨٩ كتاب اقامة الصلاة والسنة فيها ، باب ماجاء في ليلة النصف من شعبان ،عن يزيد بن هارون عن الحجاج بن أرطاة عن يحيى بن أبي كثير عن عروة عن عائشة قالت : فقدت رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة فخرجت فاذا هو بالبقيع . . . وفيه فقال - أى رسول الله صلى الله عليه وسلم -: (ان الله تبارك وتعالى ينزل ليلة النصف من شعبان الى سماء الدنيا فيغفر لأكثر من عدد شعر غنم كلب) .
وذكر الترمذى أن الحديث منقطع في موضعين : فالحجاج لم يسمع من يحيى، ويحيى لم يسمع من عروة ./. =

- أى وحدها[1] ؟ - ينزل[2] في كل ليلة . فقال الرجل : يا أبا عبدالرحمن[3] ، كيف ينزل ؟ أليس يخلو[4] ذلك المكان[5] ؟ . فقال عبدالله بن المبارك[6] : ينزل كيف شاء".

قال أبو عثمان النيسابورى[7] : " فلما صح خبر النزول عن النبي[8] صلى الله عليه وسلم أقر به أهل السنة ، وقبلوا الحديث ، وأثبتوا النزول[9] على ماقاله رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم يعتقدوا تشبيها له بنزول خلقه ، وعلموا وعرفوا واعتقدوا وتحققوا أن صفات الرب[10] لاتشبه صفات الخلق ، كما أن ذاته لاتشبه ذوات الخلق ، سبحانه وتعالى[11] عما يقول المشبهة والمعطلة علوا كبيرا ".

قول البيهقي في كتاب الأسماء والصفات

وروى البيهقي[12] باسناده عن اسحاق بن راهوية ؛ قال : جمعني وهذا المبتدع - يعني ابراهيم بن أبي صالح[13] - مجلس الأمير عبدالله بن طاهر ؛ فسألني الأمير عن أخبار النزول فثبتها[14] ، فقال ابراهيم : كفرت برب ينزل من سماء الى سماء . فقلت : آمنت برب يفعل مايشاء . فرضى عبدالله كلامي ، وأنكر على ابراهيم ".

/ = وفي سنن ابن ماجة (رقم ١٣٨٨) عن علي بن أبي طالب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (اذا كانت ليلة النصف من شعبان فقوموا ليلها وصوموا نهارها ، فان الله ينزل فيها لغروب الشمس الى سماء الدنيا ، فيقول : ألا من مستغفر لي فأغفر له ؟ . . . حتى يطلع الفجر) .
في سنده أبو بكر - عبدالله ، وقيل : محمد - بن عبدالله بن محمد بن أبي سبرة القرشي العامرى المدني ، قال ابن حجر في تقريب التهذيب ٢ / ٣٩٧ : " رموه بالوضع ".

(١) أى وحدها : ليست في رسالة النيسابورى ، والظاهر أنها زيادة من ابن تيمية للايضاح .
(٢) ك : هو ينزل .
(٣) رسالة النيسابورى : يا أبا عبدالله ، وهو خطأ .
(٤) ن ، ك : ألم يخل .
(٥) رسالة النيسابورى : ذلك المكان منه .
(٦) رسالة النيسابورى : فقال عبدالله .
(٧) رسالة النيسابورى ، ص ٢٦٠ .
(٨) رسالة النيسابورى : عن الرسول .
(٩) رسالة النيسابورى : وقبلوا الخبر ، وأثبتوا النزل .
(١٠) ن : الرب تعالى . رسالة النيسابورى : وعلموا وتحققوا واعتقدوا أن صفات الله سبحانه .
(١١) رسالة النيسابورى : الخلق ، تعالى الله .
(١٢) في كتاب " الأسماء والصفات " ، ص ٤٥٢ .
(١٣) ص ، ن ، ك : يعني ابن صالح . والمثبت من كتاب " الأسماء والصفات " في ميزان الاعتدال ١ / ٣٧ : " ابراهيم بن أبي صالح ، قال أبو الحسين : مسلم جهمي ، لا يكتب حديثه " وفي لسان الميزان (١ / ٦٩) " اسم أبي صالح هاشم ، قاله الحاكم " .
(١٤) الأسماء والصفات : فسردتها .

قول حرب الكرماني في مصنفه في مسائل أحمد واسحاق

وقال حرب بن اسماعيل الكرماني[١] في كتابه المصنف في مسائل أحمد واسحاق مع ماذكر فيها من الآثار عن النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين ومن بعدهم ؛ قال : " باب ، القول في المذهب ؛ هذا مذهب أئمة العلم وأصحاب الأثر المعروفين بها ، المقتدى بهم فيها : وأدركت من أدركت من علماء العراق والحجاز والشام عليها ؛ فمن خالف شيئا من هذه المذاهب أو طعن فيها أو عاب قائلها[٢] فهو مبتدع ، خارج عن الجماعة ، زائل عن سبيل السنة ومنهج الحق ؛ وهو مذهب أحمد واسحاق بن ابراهيم وبقي بن مخلد وعبدالله بن الزبير الحميدى[٣] وسعيدابن منصور[٤] وغيرهم ، ممن جالسنا وأخذنا عنهم العلم ".

وذكر الكلام في الايمان ، والقدر ، والوعيد ، والامامة ، وما أخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم من أشراط الساعة ، وأمر البرزخ ، وغير ذلك ، الى أن قال : " وهو سبحانه بائن من خلقه ، لا يخلو من علمه مكان ، ولله عرش ، وللعرش حملة يحملونه ، وله حد ، والله أعلم بحده ، والله تعالى على عرشه ، عز ذكره ، وتعالى جده ، ولا اله غيره .

والله تعالى سميع لا يشك ، بصير لا يرتاب ، عليم لا يجهل ، جواد لا يبخل ، حليم لا يعجل ، حفيظ لا ينسى ، يقظان لا يسهو ، رقيب لا يغفل ،

---

(١) أبو محمد - وقيل : أبو عبدالله - حرب بن اسماعيل بن خلف الحنظلي الكرماني ، الفقيه الحافظ ، صحب الامام أحمد ، ونقل مسائل كثيرة عن أحمد واسحاق بن راهوية ، توفي سنة ٢٨٠ .
انظر : طبقات الحنابلة ١/١٤٥-١٤٦ ؛ تذكرة الحفاظ ٢/٦١٣ ؛ شذرات الذهب ٢/١٧٦ .

(٢) ن : قائليها .

(٣) الامام الجليل الحافظ الفقيه أبو بكر عبدالله بن الزبير بن عيسى الحميدى القرشي الأسدى المكي ، من كبار أصحاب الشافعي وسفيان بن عيينة ، له كتاب " المسند " ، توفي بمكة سنة ٢١٩ .
انظر : الطبقات الكبرى لابن سعد ٥/٥٠٢ ؛ الجرح والتعديل ٥/٥٦-٥٧ ؛ تذكرة الحفاظ ٢/٤١٣-٤١٤ ؛ طبقات الشافعية للسبكي ٢/١٤٠-١٤٣ ؛ تهذيب التهذيب ٥/٢١٥-٢١٦ ؛ الأعلام ٤/٨٧ ؛ تاريخ التراث العربي ١/١/١٨٩-١٩٠ .

(٤) الامام أبو عثمان سعيد بن منصور بن شعبة الخراساني ، أصله من مرو ، يقال : ولد بجوزجان ، ونشأ ببلخ ، وطاف البلاد ، وسكن مكة ومات بها سنة ٢٢٧ ، ثقة من المتقنين الاثبات ، له كتاب " السنن " .
انظر : طبقات ابن سعد ٥/٥٠٢ ؛ الجرح والتعديل ٤/٦٨ ؛ تذكرة الحفاظ ٢/٤١٦-٤١٧ ؛ تهذيب التهذيب ٤/٨٩-٩٠ ؛ تاريخ التراث العربي ١/١/١٩٥-١٩٦ .

يتكلم ويتحرك، ويسمع ويبصر وينظر، ويقبض ويبسط، ويفرح ويحب، ويكره ويبغض، ويسخط ويغضب، ويرحم ويعفو ويغفر، ويعطي ويمنع، ينزل كل ليلة الى السماء الدنيا كيف شاء، متكلما، عالما، تبارك الله أحسن الخالقين".

قول الخلال في كتاب السنة

وروى أبو بكر الخلال في كتاب "السنة" قال: "أخبرني به يوسف بن موسى[1]: أن أبا عبدالله - يعني أحمد بن حنبل - قيل له: أهل الجنة ينظرون الى ربهم ويكلمونه ويكلمهم؟. قال: نعم؛ ينظر اليهم وينظرون اليه، ويكلمهم ويكلمونه، كيف شاء واذا شاء".

وقال أيضا: "أخبرني عبدالله بن حنبل[2]؛ أخبرني أبي: حنبل بن اسحاق قال: قال عمي[3]: نحن نؤمن بأن / الله على العرش، كيف شاء وكما شاء".

ج ١ ٤١

قال الخلال: "وأخبرني علي بن عيسى[4] أن حنبلا حدثهم؛ قال: قلت لأبي عبدالله: الله يكلم عبده يوم القيامة؟. قال: نعم، فمن يقضي بين الخلائق الا الله عز وجل؟! يكلم عبده ويسأله، الله متكلم؛ لم يزل الله متكلما[5]: يأمر بما شاء ويحكم بما شاء - وليس له عدل ولا مثل - كيف شاء وأين شاء".

قال الخلال: "وأنا[6] محمد بن علي بن بحر[7] أن يعقوب بن بُخْتان[8] حدَّثهم:

---

(١) ترجم ابن أبي يعلى في طبقات الحنابلة لاثنين باسم "يوسف بن موسى" رويا عن الامام أحمد، الأول (١/٤٢٠-٤٢١) يوسف بن موسى العطار الحربي، حدث عنه أبو بكر الخلال، وأثنى عليه ثناء حسنا، وكان يوسف هذا يهوديا أسلم على يدى أحمد بن حنبل، وهو حدث فحسن اسلامه، ولزم العلم.
والثاني (١/٤٢١) أبو يعقوب يوسف بن موسى بن راشد القطان الكوفي، أصله من الأهواز، سكن بغداد، روى عنه البخاري وابراهيم الحربي، وقال عنه يحيى بن معين: صدوق.
وفي ترجمة الخلال (الطبقات ١٢/٢) ذكر ممن سمع الخلال من أصحاب أحمد "يوسف بن موسى القطان الحربي" هكذا؟.

(٢) ن: عبدالله بن أحمد بن حنبل، وهو خطأ.
وقد قال ابن أبي يعلى في ترجمة حنبل بن اسحاق بن حنبل (طبقات الحنابلة ١/١٤٣): "حدث عنه ابنه، وقد اختلف في اسمه، فقوم قالوا: عبيدالله، وقوم قالوا: عبدالله". لكن لم يفرده بترجمة.

(٣) حنبل هو ابن عم الامام أحمد، لكنه يقول عنه: "عمي"، انظر مراجع ترجمة حنبل فيما تقدم، ص١٨٠.

(٤) لم أعرف من المقصود.

(٥) ص: يتكلم.

(٦) ك: وأن.

(٧) لم أقف له على ترجمة.

(٨) أبو يوسف يعقوب بن اسحاق بن بختان، سمع الامام أحمد، وكان أحد الصالحين الثقات. انظر عنه: طبقات الحنابلة ١/٤١٥-٤١٦.

أن أبا عبدالله سئل عن زعم أن الله لم يتكلم بصوت ؟. قال : بلى ، تكلم بصوت ؛ وهذه الأحاديث كما جاءت نرويها ؛ لكل حديث وجه ؛ يريدون أن يموهوا على الناس ؛ من زعم أن الله لم يكلم موسى فهو كافر .

وأخبرنا المروذي[١] : سمعت أبا عبدالله ، وقيل له : ان عبدالوهاب[٢] قد تكلم ؛ وقال : من زعم أن الله كلم موسى بلا صوت ، فهو جهمي عدو الله وعدو الاسلام - فتبسم أبو عبدالله وقال : " ما أحسن ماقال ! عافاه الله ".

قول عبدالله بن أحمد في كتاب السنة

وعن عبدالله بن أحمد أيضا[٣] : " سألت أبي عن قوم يقولون : لما كلم الله موسى لم يتكلم بصوت ، فقال أبي : بل[٤] تكلم تبارك وتعالى[٥] بصوت ، وهذه[٦] الأحاديث نرويها كما جاءت ، وحديث[٧] ابن مسعود : (اذا تكلم الله بالوحي[٨] سمع له صوت كجر السلسلة على الصفوان)[٩].

---

(١) ن ، ك : المروزى ، وقد نقل ابن تيمية هذا النص في كتاب درء تعارض العقل والنقل ٢ / ٣٨ ، وفيه " أبو بكر المروذى " وهو أبو بكر أحمد بن محمد بن الحجاج بن عبدالعزيز المروذى (نسبته الى مرو الروذ من مدن خراسان) أمه مروذيه ، وأبوه خوارزمي ، وكان مقدما في أصحاب الامام أحمد ، خصيصا بخدمته ، وروى عنه مسائل كثيرة ، توفي ببغداد سنة ٢٧٥ .
انظر : تاريخ بغداد ٤ / ٤٢٣ - ٤٢٥ ؛ طبقات الحنابلة ١ / ٥٦ - ٦٣ ؛ مناقب الامام أحمد لابن الجوزى ، ص ٦١١ ؛ تذكرة الحفاظ ٢ / ٦٣١ - ٦٣٣ ؛ العبر ٢ / ٥٤ ؛ الأعلام ١ / ٢٠٥ .

(٢) لعله أبو الحسن عبدالوهاب بن عبدالحكم بن نافع الوراق ، نسائي الأصل ، سكن بغداد ، صحب الامام أحمد ، وقال عنه : عبدالوهاب رجل صالح ، مثله يوفق لاصابة الحق ، مات سنة ٢٥٠ أو ٢٥١ .
انظر : طبقات الحنابلة ١ / ٢٠٩ - ٢١٢ ؛ تذكرة الحفاظ ٢ / ٥٢٦ - ٥٢٧ ؛ تهذيب التهذيب ٦ / ٤٤٨ .

(٣) جاء النص التالي في كتاب " السنة " ، ص ٦٢ لعبدالله بن أحمد بن حنبل ، وسأقابله عليه .

(٤) السنة : بلى .

(٥) عبارة " تبارك وتعالى " : ليست في كتاب " السنة ".

(٦) السنة : هذه ، بدون الواو .

(٧) السنة : وقال أبي : حديث .

(٨) بالوحي : سقطت من كتاب " السنة ".

(٩) روى أبو داود في سننه (عون المعبود ١٣ / ٦٥ - ٦٧) كتاب السنة ، باب في القرآن ، حدثنا أحمد ابن أبي سريج الرازى وعلي بن الحسين بن ابراهيم وعلي بن مسلم ، قالوا : أخبرنا أبو معاوية ، أنبأنا الأعمش عن مسلم عن مسروق عن عبدالله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (اذا تكلم الله تعالى بالوحي سمع أهل السماء للسماء صلصلة كجر السلسلة على الصفا ، فيصعقون فلا يزالون كذلك حتى يأتيهم جبريل ، حتى اذا جاءهم جبريل فزع عن قلوبهم ، قال : فيقولون : ياجبريل ماذ قال ربك ؟ فيقول : الحق ، فيقولون : الحق ، الحق) .
وذكره ابن القيم (مختصر الصواعق ٢ / ٢٧٨) فقال : " وروى أبو داود من حديث علي بن الحسين بن اشكاب حدثنا أبو معاوية ... الخ " وقال : " وهذا الاسناد كلهم أئمة ثقات ". / =

قال أبي : والجهمية[1] تنكره ، قال أبي : وهؤلاء كفار، يريدون أن يموهوا على الناس، من زعم أن الله لم يتكلم فهو كافر[2] ".

قلت : قد بين الامام أحمد وغيره من السلف أن الصوت الذى تكلم الله تعالى به ليس هو الصوت المسموع ؛ وسئل أحمد عن قوله صلى الله عليه وسلم : (ليس منا من لم يتغن بالقرآن) ، قال : هو الرجل يرفع صوته به ،هذا معناه[3].

/ = وأورده البخارى في صحيحه (فتح البارى ١٣/ ٤٥٢-٤٥٣) كتاب التوحيد ، باب قول الله تعالى : (ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن الله) - معلقا موقوفا ، فقال : " وقال مسروق عن ابن مسعود : اذا تكلم الله بالوحي سمع أهل السماوات شيئا ، فاذا فزع عن قلوبهم ، وسكن الصوت، عرفوا أنه الحق ، ونادوا ماذا قال ربكم ؟ قالوا : الحق ".

ووصله في " خلق أفعال العباد ، ص ١٩٣ من طريقين موقوفا أيضا ، ولفظه " عن مسروق ، قال : من كان يحدثنا [بتفسير] هذه الآية ، لولا ابن مسعود ، سألناه (حتى اذا فزع عن قلوبهم) سمع أهل السموات صلصلة مثل صلصلة السلسلة على الصفوان ، فيخرون ، حتى اذا فزع عن قلوبهم سكن الصوت عرفوا أنه الوحي ، ونادوا ماذا قال ربكم ؟ قالوا : الحق ".

(١) السنة : وهذه الجهمية .

(٢) السنة : فهو كافر، الا أنا نروى هذه الأحاديث كما جاءت .

(٣) أخرج الحديث عن أبي هريرة البخارى في صحيحه (فتح البارى ١٣/ ٥٠١ رقم ٧٥٢٧) كتاب التوحيد ، باب قول الله تعالى : (وأسروا قولكم أو اجهروا به) بهذا اللفظ .

وأخرجه البخارى في صحيحه ٩/ ٦٨ رقم ٥٠٢٣ كتاب فضائل القرآن ، باب من لم يتغن بالقرآن، ١٣/ ٤٥٣ رقم ٧٤٨٢ كتاب التوحيد ، باب قول الله تعالى : (ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له) ، ١٣/ ٥١٨ رقم ٧٥٤٤ كتاب التوحيد ، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم : (الماهر بالقرآن مع سفرة الكرام البررة ؛ ومسلم في صحيحه ١/ ٥٤٥، ٥٤٦ رقم ٧٩٢ كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب استحباب تحسين الصوت بالقرآن بلفظ (ما أذن الله لشيء ما أذن لنبي يتغنى بالقرآن) وألفاظ نحو هذا .

وورد في هذه المواضع تفسير (يتغن بالقرآن) : يجهر به .

وأخرجه عن أبي هريرة أيضا البخارى (رقم ٥٠٢٤) ، ومسلم ١/ ٥٤٥ من طريق سفيان بن عيينة، ولم يذكر فيه الجهر ، بل عند البخارى " قال سفيان : تفسيره يستغني به ".

وقد تحدث ابن حجر طويلا في تفسير (يتغن) في فتح البارى ٩/ ٦٩-٧٢ وذكر الآثار الواردة وأقوال العلماء في ذلك ، ونقل نصا للطبرى يقول فيه : " ان الشافعي وابن أبي مليكة وعبد الله بن المبارك والنضر بن شميل فسروا التغني بتحسين الصوت، وتؤيده الروايات الأخرى للحديث التي فيها ذكر " الترنم " و " حسن الصوت " ، ولا نعلم في كلام العرب تغنى بمعنى استغنى ، ولا في أشعارهم ".

ثم علق ابن حجر على هذا النص رادا انكار الطبرى أن يكون تغني بمعنى استغنى ، منتهيا الى مايلي : " وفي الجملة ما فسر به ابن عيينة ليس بمدفوع ، وان كانت ظواهر الأخبار ترجح أن المراد تحسين الصوت، ويؤيده قوله " يجهر به "، فانها ان كانت مرفوعة قامت الحجة ، وان كانت غير مرفوعة فالراوى أعرف بمعنى الخبر من غيره ، ولا سيما اذا كان فقيها ، وقد جزم الحليمي بأنها من قول أبي هريرة ، والعرب تقول : سمعت فلانا يتغنى بكذا ، أى يجهر به " اهـ .

والحديث بلفظ (ما أذن الله لشيء . .) أيضا في سنن أبي داود (عون المعبود ٤/ ٣٤٣) الوتر، باب كيف يستحب الترتيل في القراءة ؛ وسنن النسائي ٢/ ١٤٠ كتاب الافتتاح ، باب تزيين القرآن / =

وقال في قوله صلى الله عليه وسلم : (زينوا القرآن بأصواتكم)[١] . يحسنه بصوته[٢] .

قول البخاري في كتاب " خلق أفعال العباد "

وقال البخاري في كتاب " خلق الأفعال[٣] " : " ويذكر عن النبي صلى الله عليه وسلم (أن الله ينادي[٤] بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب ، وليس هذا لغير الله[٥]) . قال البخاري[٦] : " وفي هذا دليل على أن[٧] صوت الله لا يشبه أصوات الخلق ، لأن صوت الله[٨] يسمع من بعد كما يسمع من قرب؛ وأن الملائكة يصعقون من صوته ، فاذا تنادى[٩] الملائكة لم يصعقوا . قال تعالى[١٠] : (فلا تجعلوا لله أندادا[١١]) . فليس لصفة الله ند ولا مثل ، ولا يوجد شيء من صفاته في المخلوقين " .

= بالصوت ؛ ومسند أحمد (ط. المعارف) ١٤ /٨٦-٨٧ رقم ٧٦٥٧ ، ١٤ /٢٢٩ رقم ٧٨١٩ .
ومعنى (ما أذن) : ما استمع .
وأخرج الحديث عن سعد بن أبي وقاص، بلفظ (ليس منا من لم يتغن بالقرآن) أبو داود في سننه (عون المعبود ٤ /٣٤٢) ، وابن ماجة في سننه ١ /٤٢٤ رقم ١٣٣٧ كتاب اقامة الصلاة والسنة فيها ، باب في حسن الصوت بالقرآن ، وأحمد في مسنده (ط. المعارف) ٣ /٤٣-٤٤ رقم ١٤٧٦ ، ٣ /٥٩ رقم ١٥١٢ ، ٣ /٧٥ رقم ١٥٤٩ .

(١) ذكر البخاري هذا الحديث في صحيحه (فتح الباري ١٣ /٥١٨) كتاب التوحيد - معلقا ، فقال : " باب قول النبي صلى الله عليه وسلم : (الماهر بالقرآن مع سفرة الكرام البررة) و (زينوا القرآن بأصواتكم) ، ووصله في كتاب خلق أفعال العباد ، (مجموعة عقائد السلف) ، ص ١٥٩ - ١٦٠) من طرق عن عبد الرحمن بن عوسجة عن البراء بن عازب رضي الله عنه .
وأخرجه من هذا الوجه أبو داود (عون المعبود ٤ /٣٤١) الوتر ، باب كيف يستحب الترتيل في القراءة ؛ النسائي ٢ /١٣٩ ، ١٤٠ كتاب الافتتاح ، باب تزيين القرآن بالصوت ؛ ابن ماجة ١ /٤٢٦ كتاب اقامة الصلاة ، باب في حسن الصوت بالقرآن ، أحمد في المسند (ط. الحلبي) ٤ /٢٨٣ ، ٢٨٥ ، ٢٩٦ ، ٣٠٤ .

(٢) في كتاب " درء تعارض العقل والنقل " ٢ /٤٠-٤١ قال ابن تيمية : " ذكر الخلال عن اسحاق بن ابراهيم ، قال لي أبو عبد الله يوما ، وكنت سألته عنه : تدرى ما معنى (من لم يتغن بالقرآن) ؟ قلت : لا ، قال : هو الرجل يرفع صوته ، فهذا معناه ، اذا رفع صوته لقد تغنى به .
وعن صالح بن أحمد أنه قال لأبيه : (زينوا القرآن بأصواتكم) فقال : التزيين أن يحسنه " .

(٣) خلق أفعال العباد ، ص ١٩٢ . ضمن مجموع " عقائد السلف " ، ط. الاسكندرية ١٩٧١ م .

(٤) خلق أفعال العباد : ويذكر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يحب أن يكون الرجل خفيض الصوت ، ويكره أن يكون رفيع الصوت ، وأن الله عز وجل ينادي . . . الخ .

(٥) خلق أفعال العباد : فليس هذا لغير الله جل ذكره .

(٦) خلق أفعال العباد : قال أبو عبد الله .

(٧) خلق أفعال العباد : دليل أن .

(٨) خلق أفعال العباد : صوت الله جل ذكره .

(٩) ك : ينادى .

(١٠) خلق أفعال العباد : وقال عز وجل .

(١١) سورة البقرة : ٢٢ .

ثم روى[١] باسناده حديث عبدالله بن أنيس : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : (يحشر الله العباد ، فيناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب : أنا الملك ، أنا الديان ، لا ينبغي لأحد من أهل الجنة ،أن يدخل الجنة ، وأحد من أهل النار[٢] يطلبه بمظلمة)[٣] .

وذكر[٤] الحديث الذى رواه أيضا في صحيحه في هذا المعنى في قوله : (حتى اذا فزع عن قلوبهم) الآية[٥] : عن أبي سعيد قال : قال رسول الله[٦] صلى الله عليه وسلم : (يقول الله[٧] يوم القيامة : يا آدم . فيقول : لبيك وسعديك[٨] . فينادى بصوت : ان الله يأمرك / أن تخرج من ذريتك بعثا الى النار . قال : يارب ،مابعث النار[٩] ؟ . قال : من كل ألف ـ أراه قال ـ تسعمائة وتسعة وتسعين[١٠] . فحينئذ تضع الحامل حملها ، وترى الناس

ظ ٤١

---

(١) بعد الكلام السابق مباشرة، ص ١٩٢ - ١٩٣ .

(٢) خلق أفعال العباد : واحد من النار .

(٣) روى الامام أحمد في مسنده (ط. الحلبي) ٣ / ٤٩٥ ،والامام البخارى في الأدب المفرد ، ص ٢٥٢ من طريق عبدالله بن محمد بن عقيل أنه سمع جابر بن عبدالله يقول : بلغني حديث عن رجل سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ،فاشتريت بعيرا ، ثم شددت عليه رحلي ، فسرت اليه شهرا ، حتى قدمت الشام ،فاذا عبدالله بن أنيس . . . الخ الحديث بمعنى ماهنا وزيادة .
وقال البخارى في صحيحه (فتح البارى ١٣ / ٤٥٣) كتاب التوحيد ، باب قول الله تعالى : (ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له) : " ويذكر عن جابر عن عبدالله بن أنيس قال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : (يحشر الله العباد ، فيناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب : أنا الملك ، أنا الديان " .
وذكر في موضع آخر من الصحيح (فتح البارى ١ / ١٧٣) كتاب العلم ، باب الخروج في طلب العلم خبر الرحلة جازما به ، فقال : " ورحل جابر بن عبدالله مسيرة شهر الى عبدالله بن أنيس في حديث واحد " لكن لم يذكر الحديث .

(٤) بعد الحديث السابق مباشرة ، ص ١٩٣ .

(٥) سورة سبأ : ٢٣ .

(٦) خلق أفعال العباد : قال : قال النبي .

(٧) خلق أفعال العباد : يقول الله عز وجل .

(٨) خلق أفعال العباد : لبيك ربنا وسعديك .

(٩) خلق أفعال العباد : ومابعث النار .

(١٠) ص ، ن ، ك : وتسعون ، والمثبت في خلق أفعال العباد وكذلك هو في الصحيحين ومسند أحمد .

سكارى وماهم بسكارى ولكن عذاب الله شديد).[١]

وذكر البخارى حديث ابن مسعود ،الذى استشهد به أحمد[٢] ، وذكر[٣] الحديث الذى رواه في صحيحه عن عكرمة قال : سمعت أبا هريرة[٤] يقول : ان نبي الله صلى الله عليه وسلم قال : (اذا قضى الله[٥] الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانا لقوله ، كأنه سلسلة على صفوان ، فاذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير).[٦]

وذكر البخارى[٧] حديث ابن عباس المعروف ، من حديث الزهرى[٨]

---

(١) هذا بعض من حديث أخرجه عن أبي سعيد الخدرى البخارى في صحيحه (فتح البارى ٤٤١/٨ رقم ٤٧٤١) كتاب التفسير ، سورة الحج باب (وترى الناس سكارى) ، وأخرجه مختصرا في (٤٥٣/١٣ رقم ٧٤٨٣) كتاب التوحيد ، باب قول الله تعالى : (ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له) . وورد الحديث - لكن بدون ذكر الصوت - في صحيح البخارى (فتح البارى ٣٨٢/٦ رقم ٣٣٤٨) كتاب الأنبياء ، باب قصة يأجوج ومأجوج ، (٣٨٨/١١ رقم ٦٥٣٠) كتاب الرقاق ، باب قوله عز وجل (ان زلزلة الساعة شيء عظيم) ، وصحيح مسلم (٢٠١/١ رقم ٢٢٢ كتاب الايمان ، باب قوله (يقول الله لآدم أخرج بعث النار . . .) ، ومسند الامام أحمد (ط . الحلبي) ٣٢/٣-٣٣ .

(٢) في خلق أفعال العباد بعد الحديث السابق مباشرة ، ص ١٩٣ وقد رواه من طريقين موقوفا على ابن مسعود وتقدم استشهاد الامام أحمد به ، ص١٩٣ .

(٣) في خلق أفعال العباد بعد أثر ابن مسعود مباشرة ، ص ١٩٣ .

(٤) خلق أفعال العباد : أبا هريرة رضي الله عنه .

(٥) خلق أفعال العباد : الله عز وجل .

(٦) الحديث عن عكرمة عن أبي هريرة ، في صحيح البخارى (فتح البارى ٣٨٠/٨) رقم ٤٧٠١ كتاب تفسير القرآن ، سورة الحجر ، باب (الا من استرق السمع) ، ٥٣٧/٨ رقم ٤٨٠٠ كتاب تفسير القرآن سورة سبأ ، باب (حتى اذا فزع عن قلوبهم) ٤٥٣/١٣ رقم ٧٤٨١ كتاب التوحيد ، باب قول الله تعالى : (ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له) ؛ وفي سنن الترمذى (تحفة الأحوذى ٩٠/٩ ، تفسير القرآن ، سورة سبأ ؛ سنن ابن ماجة (٦٩/١ - ٧٠ رقم ١٩٤ ، المقدمة ، باب فيما أنكرت الجهمية .

(٧) خلق أفعال العباد ، ص ١٩٤ .

(٨) هو الامام العلم أبو بكر محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبدالله بن شهاب الزهرى ، من بني زهرة بن كلاب بن مرة من قريش (٥٨هـ - ١٢٤) تابعي من أهل المدينة ، من أكابر العلماء الحفاظ ، وأحد أوائل مدوني الحديث .

انظر الجرح والتعديل ٧١/٨-٧٤ ؛ تذكرة الحفاظ ١٠٨/١-١١٣ ؛ البداية والنهاية ٣٤٠/٩-٣٤٨ ؛ تهذيب التهذيب ٤٤٥/٩-٤٥١ ؛ شذرات الذهب ١٦٢/١-١٦٣ ؛ الأعلام ٩٧/٧ ؛ تاريخ التراث العربي ٧٤/٢/١-٧٩ .

عن علي بن الحسين[١] عن ابن عباس عن نفر من الأنصار، وقد رواه أحمد ومسلم في صحيحه، وساقه البخارى من طريق ابن اسحاق عنه[٢] أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهم: (ماتقولون في هذه النجوم التي يرمى بها[٣]؟)، قالوا: كنا نقول[٤] حين رأيناها يرمى بها[٥]: مات ملك، ولد مولود[٦]. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ليس ذلك كذلك، ولكن اذا قضى الله في خلقه أمرا يسمعه حملة العرش فيسبحون[٧] فيسبح من تحتهم بتسبيحهم، فيسبح

---

(١) هو الامام أبو الحسن، ويقال: أبو الحسين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الهاشمي القرشي، المشهور بزين العابدين، ولد بالمدينة سنة ٣٨ وتوفي فيها سنة ٩٤، من سادات التابعين علما ودينا، ثقة صاحب حلم وورع وصدقة سر.
وله أخ أكبر منه اسمه علي أيضا، وقد شهدا مع أبيهما معركة كربلاء سنة ٦١ فقتل الأكبر وترك الأصغر لمرضه.
انظر: طبقات ابن سعد ٥/٢١١-٢٢٢؛ الجرح والتعديل ٦/١٧٨-١٧٩؛ تذكرة الحفاظ ١/٧٤-٧٥؛ البداية والنهاية ٩/١٠٣-١١٣؛ تهذيب التهذيب ٧/٣٠٤-٣٠٧؛ شذرات الذهب ١/١٠٤-١٠٥؛ الأعلام ٤/٢٧٧؛ تاريخ التراث العربي ١/٣/٢٦٢-٢٦٦.

(٢) سند الحديث في خلق أفعال العباد " حدثنا عمرو بن زرارة، ثنا زياد، عن محمد بن الحسن، حدثني محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب الزهرى... الخ " وقد رجعت الى ترجمة الزهرى في كتاب " تهذيب الكمال في أسماء الرجال " لجمال الدين المزى، حيث ذكر ٣/١٢٦٩-١٢٧٠ من روى عن الزهرى وليس فيهم من اسمه محمد بن الحسن فلعله مصحف عن محمد بن اسحاق، وهو أبو بكر، وقيل: أبو عبد الله محمد بن اسحاق بن يسار المطلبي بالولاء المدني، امام المغازى والسير، نزل العراق، ومات ببغداد سنة ١٥١، صدوق.
انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد ٧/٣٢١-٣٢٢؛ الجرح والتعديل ٧/١٩١-١٩٤؛ تاريخ بغداد ١/٢١٤-٢٣٤؛ وفيات الأعيان ٤/٢٧٦-٢٧٧؛ تذكرة الحفاظ ١/١٧٢-١٧٤؛ تهذيب التهذيب ٩/٣٨-٤٦؛ الأعلام ٦/٢٨؛ تاريخ التراث العربي ١/٢/٨٧-٩١.
والحديث بمعناه رواه مسلم في صحيحه ٤/١٧٥٠-١٧٥١ رقم ٢٢٢٩ كتاب السلام، باب تحريم الكهانة واتيان الكهان بأسانيده عن صالح بن كيسان والأوزاعي ويونس ومعقل بن عبيد الله، أربعتهم عن الزهرى عن علي بن الحسين عن ابن عباس عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم من الأنصار، غير أن يونس قال عن رجال من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأنصار وهو في المسند (ط. المعارف) ٣/٢٦٩ رقم ١٨٨٣ من طريق الأوزاعي عن الزهرى عن علي ابن حسين عن ابن عباس حدثني رجال من الأنصار من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم.
وفي المسند ٣/٢٦٨-٢٦٩ رقم ١٨٨٢، وسنن الترمذى (تحفة الأحوذى ٩/٩١-٩٢) تفسير القرآن، سورة سبأ، عن معمر عن الزهرى عن علي بن حسين عن ابن عباس قال: " كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا في نفر من أصحابه فرمي بنجم... الخ ".

(٣) خلق أفعال العباد: ماتقولون في هذا النجم الذى يرمى به؟.

(٤) خلق أفعال العباد: قالوا كنا يارسول الله أنا نقول.

(٥) ن: ترمى بها.

(٦) خلق أفعال العباد: مات ملك، ولد مولود، مات مولود.

(٧) خلق أفعال العباد: ولكن الله اذا قضى في خلقه أمرا يسمعه أهل العرش فيسبحوا.

من تحت ذلك ،فلم يزل التسبيح يهبط[١] حتى ينتهى الى السماء الدنيـــا ، حتى يقول[٢] بعضهم لبعض لم سبحتم ؟ . فيقولون : سبح من فوقنا فسبحنــا بتسبيحهم . فيقولون : ألا[٣] تسألون من فوقكم : مم سبحتم[٤] ؟ . فيسألونهـم ، فيقولون : قضى الله في خلقه كذا وكذا . الأمر الذى كان يهبط به الخـبر[٥] من سماء الى سماء حتى ينتهى الى السماء الدنيا فيتحدثون به ، فتسترقـه[٦] الشياطين بالسمع على توهم منهم واختلاف ، ثم يأتون به الى[٧] الكهان من أهل الأرض ، فيحدثونهم[٨] ، فيخطئون ويصيبون ، فتحدث[٩] به الكهان) .

قال البخارى[١٠] : "ولقد بين نعيم بن حماد[١١] أن كلام الرب ليس بخلق[١٢] ، وأن العرب لا تعرف الحي من الميت الا بالفعل ،فمن كان له فعل فهو حي ، ومن لم [يكن][١٣] له فعل فهو ميت ، وأن أفعال العباد مخلوقة . فضيق عليه حتى مضى لسبيله ، وتوجع أهل العلم لما نزل به ".

---

(١) خلق أفعال العباد : ينهبط .
(٢) خلق أفعال العباد : ثم يقول .
(٣) خلق أفعال العباد : أفلا .
(٤) خلق أفعال العباد : مم سبحوا .
(٥) خلق أفعال العباد : .. الذى كان ،فينهبط به الخبر.
(٦) خلق أفعال العباد : فيسترقه .
(٧) الى : سقطت من (ك) .
(٨) ك : فيحدثهم .
(٩) ك : فيحدث .
(١٠) خلق أفعال العباد ،ص ١٧٧ . قبل النصوص السابقة بصفحات .
(١١) الامام الحافظ أبو عبدالله نعيم بن حماد بن معاوية بن الحارث الخزاعي المروزى ، ولد في مرو الشاهجان بخراسان واليها نسبته ، وطلب الحديث طلبا كثيرا بالعراق والحجاز ،ثم نزل مصر، ولم يزل فيها الى أن حمل الى العراق في محنة القول بخلق القرآن ، وحبس بسامرا حتى مات سنة ٢٢٨ .
انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد ٥١٩/٧ ؛ الجرح والتعديل ٤٦٣/٨-٤٦٤ ؛ تاريخ بغداد ٣٠٦/١٣-٣١٤ ؛ تذكرة الحفاظ ٤١٨/٢-٤٢٠ ؛ ميزان الاعتدال ٢٦٧/٤-٢٧٠ ؛ تهذيب التهذيب ٤٥٨/١٠-٤٦٣ ؛ الأعلام ٤٠/٨ ؛تاريخ التراث العربي ١٩٦/١/١-١٩٧ .
(١٢) ك : يخلق .
(١٣) يكن : سقطت من (ص) .

قال البخاري[1] : " وفي اتفاق المسلمين دليل[2] على أن نعينا ومن نحا نحوه ليس بمارق[3] ولا مبتدع ".

قول أبي عبدالله ابن حامد في كتابه في أصول الدين

وقال أبو عبدالله بن حامد[4] في كتابه في " أصول الدين " : " ومما يجب الايمان به : التصديق بأن الله متكلم ، وأن كلامه قديم ، وأنه لم يزل متكلما في كل أوقاته موصوفا بذلك ، وكلامه قديم غير محدث ، كالعلم والقدرة ".

قال : " وقد [يجيء] على المذهب[5] أن يكون الكلام صفة متكلم بـه ، لم يزل موصوفا بذلك ، ومتكلما اذا شاء وكلما شاء[6] ، ولا نقول : انه ساكت في حال ومتكلم في حال ، مَن حيث حدوث الكلام ".

قال : " ولا خلاف عن أبي عبدالله - يعني أحمد بن حنبل - أن الله لم يزل متكلما قبل أن يخلق الخلق ، وقبل كل الكائنات ، / وأن الله كان فيما لم يزل متكلما ، كيف شاء وكما شاء ، اذا شاء أنزل كلامه ، واذا شاء لم ينزله ".

ج ٢ ٤٢

فقد ذكر ابن حامد أنه لا خلاف في مذهب أحمد أنه سبحانه لم يزل متكلما كيف شاء واذا شاء[7] ، ثم ذكر قولين : هل هو متكلم دائما بمشيئته ؟

---

(١) بعد الكلام السابق مباشرة .
(٢) ص : دليلا .
(٣) خلق أفعال العباد : بمفارق .
(٤) أبو عبدالله الحسن بن حامد بن علي بن مروان البغدادي ، قال عنه ابن أبي يعلى : " امام الحنبلية في زمانه ، ومدرسهم ومفتيهم ، له المصنفات في العلوم المختلفات ، له " الجامع " في المذهب نحو من أربعمائة جزء ، وله " شرح الخرقي " و " شرح أصول الدين وأصول الفقه " ، توفي سنة ٤٠٣ ".
انظر : طبقات الحنابلة ٢ / ١٧١ - ١٧٧ ؛ مناقب الامام أحمد لابن الجوزي ، ص ٦٢٥ ؛ البداية والنهاية ١١ / ٣٤٩ ؛ الأعلام ٢ / ١٨٧ ؛ تاريخ التراث العربي ١ / ٣ / ٢٤٠ .
(٥) يجيء : ليست في (ص ، ن) وترك مكانها فيهما بياضا ؛ ك : وقد علم أن المذهب .
ونقل ابن تيمية هذا النص في مواضع من كتبه وجاء كما أثبت . انظر : درء تعارض العقل والنقل ٢ / ٧٥ ، قاعدة في مسائل الصفات والأفعال ضمن مجموع فتاوى شيخ الاسلام (ط . الرياض) ٦ / ١٦٢ .
(٦) وكلما شاء : كذا في (ص) ، وفي (ن ، ك) : وبما شاء . وما في (ص) يوافق مجموع الفتاوى ٦ / ١٦٢ ، ١٦٣ ، وفي درء تعارض العقل والنقل ٢ / ٧٥ : ومتكلما كما شاء واذا شاء ، وذكر الأستاذ المحقق أن مكان " كما " في نسختين " كلما ".
(٧) ن ، ك : وكما شاء .

أو أنه لم يزل موصوفا بذلك ، متكلما اذا شاء وساكتا اذا شاء ؟ لا بمعنى أنه يتكلم بعد أن لم يزل ساكتا ، فيكون كلامه حادثا ،كما يقوله الكرامية ، فان قول الكرامية في "الكلام" لم يقل به أحد من أصحاب أحمد .

قول أبي بكر عبدالعزيز في كتاب "المقنع"

وكذلك ذكر[1] القولين أبو بكر عبدالعزيز[2] في أول كتابه الكبير المسمى "بالمقنع" ،وقد ذكر ذلك عنه القاضي أبو يعلى في كتاب "ايضاح البيان في مسألة القرآن[3]" : " قال أبو بكر، لما سألوه : انكم اذا قلتم : لم يزل متكلما ، كان ذلك عبثا - فقال : لأصحابنا قولان : أحدهما - أنه لم يزل متكلما كالعلم ؛ لأن ضد الكلام الخرس ،كما أن ضد العلم الجهل .

قال : ومن أصحابنا من قال : قد أثبت لنفسه أنه خالق ، ولم يجز أن يكون خالقا في كل حال ، بل قلنا : انه خالق في وقت ارادته أن يخلق ، وان لم يكن خالقا في كل حال ، ولم يبطل أن يكون خالقا ، كذلك وان لم يكن متكلما في كل حال لم يبطل أن يكون متكلما ،بل هو متكلم خالق ، وان لم يكن خالقا في كل حال ، ولا متكلما في كل حال .

قول القاضي أبي يعلى في كتاب "ايضاح البيان في مسألة القرآن"

قال القاضي أبو يعلى في هذا الكتاب :" نقول : انه لم يزل متكلما ، وليس بمكلم[4] ولا مخاطب ، ولا آمر ولا ناه ، نص عليه أحمد في رواية حنبل ،فقال : لم يزل الله متكلما عالما غفورا ".

قال :" وقال في رواية عبدالله : لم يزل الله متكلما اذا شاء. وقال حنبل في موضع آخر: سمعت أبا عبدالله يقول :لم يزل الله متكلما ،والقرآن كلام الله غير مخلوق ".

---

(١) ذكر: سقطت من (ن) .

(٢) أبو بكر عبدالعزيز بن جعفر صاحب الخلال ، تقدمت ترجمته ص ١٧٨ ت ٣ .

(٣) سبقت ترجمة القاضي أبي يعلى ، ص ٢١ ت ٤ ،وذكر ابن أبي يعلى في طبقات الحنابلة ٢/ ٢٠٥ من مصنفاته "أحكام القرآن" و"نقل القرآن" و" ايضاح البيان ".

(٤) النسخ الثلاث (ص ،ن ،ك) : بمتكلم ،وأورد ابن تيمية النص في كتاب " درء تعارض العقل والنقل" ٢/ ٧٤ ،وفي " قاعدة في مسائل الصفات والأفعال " ضمن مجموع الفتاوى (ط.الرياض) ١٥٨/٦ ، وجاءت الكلمة كما أثبت ،وهو الصواب (انظر مجموع الفتاوى ٦/ ١٥٩-١٦٠) .

قلت : أحمد أخبر بدوام كلامه سبحانه ؛ ولم يخبر بدوام تكلمه بالقرآن، بل قال : " والقرآن كلام الله غير مخلوق ".

قال القاضي : " قال أحمد في " الجزء الذى رد فيه على الجهمية والزنادقة " [١] : " وكذلك الله يتكلم [٢] كيف شاء، من غير أن نقول : جوف ولا فم ولا شفتان [٣] " وقال بعد ذلك [٤] : " بل نقول : ان الله لم يزل متكلما اذا شاء، ولا نقول : انه كان ولا يتكلم حتى خلق [٥] ".

قول أبي اسماعيل الانصارى في كتاب " مناقب الامام أحمد "

وقال أبو اسماعيل الأنصارى الملقب بشيخ الاسلام في " مناقب الامام أحمد [٦] " لما ذكر كلامه في مسألة " القرآن، وترتيب حدوث البدع "؛ قال : " وجاءت طائفة فقالت : لا يتكلم بعد ما تكلم ،فيكون كلامه حادثا ".

قال : " وهذه أغلوطة أخرى تتذى في الدين غير عين واحدة [٧] ؛ فانتبه لها أبو بكر بن خزيمة [٨]، وكانت نيسابور دار الآثار ، تمد اليها الدَأَيَات [٩] ،

---

(١) في كتاب " الرد على الزنادقة والجهمية " للامام أحمد ،ضمن مجموعة عقائد السلف ،ص ٨٩ .

(٢) الرد : تكلم .

(٣) الرد : بجوف [وذكر المحقق أن في نسخة : جوف] ولا فم ولا شفتين ولا لسان .

(٤) الرد على الزنادقة والجهمية ،ص ٩٠ .

(٥) الرد : حتى خلق الكلام [وفي نسخة : حتى خلق كلاما] .

(٦) تقدمت ترجمة أبي اسماعيل الأنصارى ،ص ١١٢ ت ٣ . وقد ذكر ابن رجب في الذيل على طبقات الحنابلة ١/ ٥١ كتاب " مناقب الامام أحمد " ضمن مؤلفاته .

(٧) ن : تعدى في الدين غير واحد . ك : أغلوطة أخرى في الدين غير واحدة .

(٨) هو امام الأئمة الحافظ الكبير أبو بكر محمد بن اسحاق بن خزيمة بن المغيرة بن صالح بن بكر السلمي النيسابورى ولد بنيسابور سنة ٢٢٣ وتوفي بها سنة ٣١١ ،وهو امامها في عصره ، كان محدثا كبيرا وفقيها مجتهدا ، رحل الى الآفاق في طلب الحديث والعلم ، فكتب الكثير وصنف، ومن مصنفاته كتاب " الصحيح " وكتاب " التوحيد واثبات صفات الرب ".
انظر عنه : تذكرة الحفاظ ٢/ ٧٢٠- ٧٣١ ؛ الوافي بالوفيات ٢/ ١٩٦ ؛طبقات الشافعية للسبكي ٣/ ١٠٩- ١١٩ ؛ البداية والنهاية ١١/ ١٤٩ ؛ الأعلام ٦/ ٢٩ ؛ تاريخ التراث العربي ١/ ٤/ ٣٣٠ .

(٩) ص، ن : الديات . وسقطت الكلمة من (ك) ، ولعل الصواب ما أثبته . وأورد ابن تيمية النص في " درء تعارض العقل والنقل " ٢/ ٧٧ وفيه " الدانات " ،وأورده أيضا في " قاعدة في مسائل الصفات والأفعال " ضمن مجموع فتاوى ط. الرياض ٦/ ١٧٨ وفيه " الرقاب ".
جاء في لسان العرب " مادة " دأى " : " قال ابن الأعرابي : إن الدَأَيات أضلاع الكتف ، وهي ثلاث من هنا، وثلاث من هنا ، واحدته دَأْية ، وقال الليث : الدَأْي جمع الدَأْية ، وهي فَقار الكاهِل في مجتمع ما بين الكتفين من كاهل البعير خاصة ،والجمع الدَأيات وهي عظام ماهنالك ، كل عظم منها دأية ،وقال أبو عبيدة : الدَأيات خَرَزُ العُنُق ، ويقال خَرَزُ الفَقار ".

وتشد اليها الركائب ، ويجلب منها العلم ، فابن خزيمة في بيت ، ومحمد بن اسحاق - يعني السراج[1] - في بيت ، وأبو حامد بن الشرقي[2] في بيت ".

قال : " فطار لتلك الفتنة : ذلك الامام أبو بكر، فلم يزل يصيح بتشويهها ، ويصنف في ردها ، كأنه منذر جيش ، حتى دون في الدفاتر، وتمكن في السرائر ، ولقن[3] في الكتاتيب ، ونقش في المحاريب : أن الله متكلم، ان شاء تكلم وان شاء سكت ".

ظ ٤٢

قال : " فجزى [الله][4] ذلك الامام / وأولئك النفر الغر[5]، عن نصر دينه وتوقير نبيه خيرا ".

لفظ " السكوت" وماورد فيه من الآثار وأقوال العلماء

قلت : لفظ " السكوت[6] " يراد به السكوت عن شيء خاص، وهذا مما جاءت به الآثار؛ كقول النبي صلى الله عليه وسلم : (ان الله فرض فرائض فلا تضيعوها ، وحد حدودا فلا تعتدوها ، وسكت عن أشياء رحمة لكم غير نسيان فلا تسألوا عنها)[7]،

---

(١) هو الامام الحافظ الثقة أبو العباس محمد بن اسحاق بن ابراهيم بن مهران بن عبدالله الثقفي مولاهم النيسابوري ، يعرف بالسراج (٢١٨- ٣١٣) سمع خلقا كثيرا من أهل خراسان وبغداد والكوفة والبصرة والحجاز، وحدث عنه البخاري ومسلم وغيرهما ،له مصنفات كثيرة .
انظر: تاريخ بغداد ١/٢٤٨-٢٥٢ ؛ تذكرة الحفاظ ٢/٧٣١- ٧٣٥ ؛ الوافي بالوفيات ٢/ ١٨٧-١٨٨ ؛ طبقات الشافعية للسبكي ٣/١٠٨-١٠٩ ؛ البداية والنهاية ١١/١٥٣ ؛الأعلام ٢٩/٦ ؛ تاريخ التراث العربي ١/١/٣٤٠-٣٤١ .

(٢) الامام الحافظ الحجة أبوحامد أحمد بن محمد بن الحسن النيسابوري ، المعروف بابن الشرقي (٢٤٠- ٣٢٥) تلميذ الامام مسلم، ارتحل وأخذ بالري وبمكة وببغداد وبالكوفة، وصنف كتاب الصحيح .
انظر: تاريخ بغداد ٤/٤٢٦- ٤٢٧ ؛ تذكرة الحفاظ ٣/٨٢١- ٨٢٣ ؛ البداية والنهاية ١١/ ١٨٨ ؛ لسان الميزان ١/٣٠٦ ؛ شذرات الذهب ٢/٣٠٦ ؛ الأعلام ١/٢٠٦ ؛ تاريخ التراث العربي ١/١/٣٤٢ .

(٣) ن ، ونقر، ك : وتغسر. ولم يظهرها التصوير في (ص) ،وقد أورد ابن تيمية النص في كتاب درء تعارض العقل والنقل ٢/٧٨ ، وفي قاعدة في مسائل الصفات والأفعال ضمن مجموع الفتاوى ط. الرياض ، ٦/١٧٨ وجاء فيهما كما أثبت .

(٤) مابين القوسين ليس في (ص، ن ،ك) ، وأثبته من المصدرين السابقين .

(٥) الغر : سقطت من (ك) .

(٦) ص ،ك : السكون .

(٧) روى الحديث الدارقطني في سننه ٤/١٨٣- ١٨٤ بسنده عن مكحول عن أبي ثعلبة الخشني جرثوم بن ناشر رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وزاد بعد قوله : (فلا تضيعوها) - (وحرم حرمات فلا تنتهكوها) .
وهو الحديث الثلاثون في " الأربعين النووية " وقال النووي : " حديث حسن ، رواه الدارقطني وغيره " . / =

والحديث المعروف عن سلمان مرفوعا وموقوفا : (الحلال ما أحله الله في كتابه ، والحرام ماحرم الله في كتابه ، وماسكت عنه فهو مما عفى عنه[1]) .

والعلماء يقولون : مفهوم الموافقة أن يكون الحكم في المسكوت عنه أولى منه في المنطوق به ، ومفهوم المخالفة أن يكون الحكم في المسكوت [عنه][2] مخالفا للحكم في المنطوق به .

وأما السكوت مطلقا[3] فهذا هو الذى ذكروا فيه القولين ، والقاضي أبو يعلى وموافقوه على أصل ابن كلاب يتأولون كلام أحمد والآثار في ذلك : بأنه

/ = لكن قال ابن رجب في " جامع العلوم والحكم " ، ص ٢٦١ : " له علتان : احداهما أن مكحولا لم يصح له السماع عن أبي ثعلبة ، كذلك قال أبو شهر الدمشقي وأبو نعيم الحافظ وغيرهما . والثانية أنه اختلف في رفعه ووقفه على أبي ثعلبة . . . لكن قال الدارقطني : الأشبه بالصواب المرفوع ، قال : وهو أشهر " .
ثم ذكر ابن رجب من حسنه وذكر له شواهد .
وقد روى الحديث أيضا الحاكم في المستدرك ٤ / ١١٥ لكن بلفظ (وترك أشياء) بدل (وسكت عن أشياء) .
وروى الدارقطني في سننه ٤ / ٢٩٧ - ٢٩٨ عن أبي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم مثل حديث أبي ثعلبة ، وقال عنه ابن رجب في "جامع العلوم والحكم " ، ص ٢٦١ : " اسناده ضعيف " .

(١) في سنن الترمذى (تحفة الأحوذى ٥ / ٣٩٦) في اللباس ، باب ماجاء في لبس الفراء ، وسنن ابن ماجة ٢ / ١١١٧ رقم ٣٣٦٧ كتاب الأطعمة باب أكل الجبن والسمن ، ومستدرك الحاكم ٤ / ١١٥ بأسانيدهم عن سيف بن هارون عن سليمان التيمي عن أبي عثمان النهدى عن سلمان الفارسي قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن السمن والجبن والفراء ، فقال : (الحلال ما أحل الله في كتابه . . .) الحديث كما هنا .
وقال الترمذى (٥ / ٣٩٨) : " هذا حديث غريب لا نعرفه مرفوعا الا من هذا الوجه ، وروى سفيان [يعني ابن عيينة] وغيره عن سليمان التيمي عن أبي عثمان قوله ، وكأن الحديث الموقوف أصح " .
ذكر ابن حجر في تهذيب التهذيب ٤ / ٢٩٧ - ٢٩٨ أقوال أئمة الحديث في سيف بن هارون البرجمي ، وحاصلها أنه ضعيف ثم قال (٤ / ٢٩٨) : روى له الترمذى وابن ماجة حديثا واحدا في السؤال عن الفراء والسمن والجبن ، وفيه : (الحلال ما أحل الله في كتابه) " .
وفي مسند البزار (كشف الأستار عن زوائد البزار ١ / ٧٨) عن أبي الدرداء قال . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ما أحل الله في كتابه فهو حلال ، وما حرمه فهو حرام ، وما سكت عنه فهو عفو ، فاقبلوا من الله عافيته ، فان الله لم يكن لينسى شيئا ، ثم تلى هذه الآية : (وما كان ربك نسيا) سورة مريم : ٦٤ . قال البزار : اسناده صالح .
وفي سنن أبي داود (عون المعبود ١٠ / ٢٧٣ - ٢٧٤) كتاب الأطعمة ، باب مالم يذكر تحريمه ، ومستدرك الحاكم ٤ / ١١٥ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كان أهل الجاهلية يأكلون أشياء ويتركون أشياء تقذرا ، فبعث الله نبيه صلى الله عليه وسلم ، وأنزل كتابه ، وأحل حلاله ، وحرم حرامه ، فما أحل فهو حلال ، وما حرم فهو حرام ، وما سكت عنه فهو عفو ، تلا : (قل لا أجد فيما أوحي الي محرما على طاعم يطعمه) الى آخر الآية ، سورة الأنعام : ١٤٥ . قال الحاكم : " هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه " ووافقه الذهبي .

(٢) عنه : سقطت من (ص ، ن ، ك) .

(٣) ن ، ك : وأما السكوت المنطوق به .

سكوت عن الاسماع لا عن التكليم . وكذلك تأول ابن عقيل كلام أبي اسماعيل الأنصاري .

وليس مرادهم ذلك، كما هو بين لمن تدبر كلامهم ،مع أن الاسماع على أصل النفاة انما هو خلق ادراك في السامع ،ليس شيئاً[1] يقوم بالمتكلم، فكيف يوصف بالسكوت لكونه لم يخلق ادراكا لغيره ؟ .

فأصل ابن كلاب الذى وافقه عليه القاضي وابن عقيل وابن الزاغوني[2] وغيرهم أنه منزه عن السكوت مطلقاً[3]؛ فلا يجوز عندهم أن يسكت عن شيء من الأشياء ،اذ كلامه صفة قديمة لازمة لذاته ، لا تتعلق عندهم بمشيئته كالحياة ،حتى يقال : ان شاء تكلم بكذا ، وان شاء سكت عنه .

ولا يجوز عندهم أن يقال : ان الله سكت عن شيء كما جاءت به الآثار، بل يتأولونه على عدم خلق الادراك .

[والله[4]] منزه عن الخرس باتفاق الأمة ، هذا مما احتجوا به على قدم الكلام ،وقالوا : لو لم يكن متكلما للزم اتصافه بضده كالسكوت والخرس، وذلك ممتنع عندهم ،سواء قيل هو سكوت مطلق أو سكوت عن شيء معين .

قول أبي الحسن الكرجي في كتاب الفصول

وقال أبو الحسن محمد بن عبدالملك الكرجي[5] الشافعي في كتابه الذى سماه " الفصول في الأصول عن الأئمة الفحول[6] "، وذكر اثني عشر

---

(١) ن ،ك : سببا .

(٢) هو أبو الحسن علي بن عبيدالله بن نصر الزاغوني البغدادى (٤٥٥- ٥٢٧) أحد أعيان المذهب الحنبلي ، سمع الحديث الكثير ،وقرأ بالقراءات ،وتفقه ،وصنف في الأصول والفروع ،ووعظ مدة طويلة .
انظر: مناقب الامام أحمد لابن الجوزى ،ص ٦٣٧ ؛ البداية والنهاية ١٢/ ٢٠٥ ؛ الذيل على طبقات الحنابلة ١/ ١٨٠ - ١٨٤ ؛ الأعلام ٤/ ٣١٠ .

(٣) أمام هذا الموضع كتب في هامش (ن) : بلغ .

(٤) والله : ليست في (ص ،ن ،ك) وزدتها لربط الكلام .

(٥) ك : الكرخي .

(٦) هو أبو الحسن محمد بن عبدالملك بن محمد بن عمر الكرجي (٤٥٨- ٥٣٢) سمع بالكرج وبهمذان وبأصبهان وبغداد ،وكان فقيها شافعيا وأديبا شاعرا ، قال عنه ابن كثير: " وله مصنفات كثيرة منها " الفصول في اعتقاد الأئمة الفحول " يذكر فيه مذاهب السلف في باب الاعتقاد ،ويحكي فيه أشياء غريبة حسنة، وله تفسير، وكتاب في الفقه ".
انظر: المنتظم لابن الجوزى ١٠/ ٧٥- ٧٦ ؛ العبر ٤/ ٨٩ ؛ طبقات الشافعية للسبكي ٦/ ١٣٧- ١٤٧ ؛ البداية والنهاية ١٢/ ٢١٣ ؛ شذرات الذهب ٤/ ١٠٠ .

اماما : الشافعي ومالك وسفيان الثورى[(١)] وأحمد بن حنبل وسفيان بن عيينة[(٢)] وابن المبارك [والأوزاعي[(٣)] والليث بن سعد[(٤)]] واسحاق بن راهوية والبخارى وأبو زرعة[(٥)] وأبو حاتم[(٦)].

---

(١) الامام الكبير أبو عبدالله سفيان بن سعيد بن مسروق بن حبيب بن رافع بن عبدالله الثورى (٩٧ - ١٦١) ولد ونشأ في الكوفة ، وسكن مكة ، وتوفي بالبصرة ، وهو امام في علم الحديث وغيره من العلوم ، وفقيه مجتهد ، أجمع الناس على دينه وورعه وزهده وثقته .
انظر: طبقات ابن سعد ٦ / ٣٧١ - ٣٧٤ ؛ الجرح والتعديل ١ / ٥٥ - ١٢٦ ؛ تاريخ بغداد ٩ / ١٥١ - ١٧٤ ؛ وفيات الأعيان ٢ / ٣٨٦ - ٣٩١ ؛ تذكرة الحفاظ ١ / ٢٠٣ - ٢٠٧ ؛ البداية والنهاية ١٠ / ١٣٤ ، تهذيب التهذيب ٤ / ١١١ - ١١٥ ، الأعلام ٣ / ١٠٤ - ١٠٥ ، تاريخ التراث العربي ١ / ٣ / ٢٤٧ - ٢٤٨ .

(٢) الامام الحافظ أبو محمد سفيان بن عيينة بن ميمون الهلالي مولاهم ، ولد بالكوفة سنة ١٠٧ ، ونشأ بمكة وبها توفي سنة ١٩٨ ، وهو محدث ، واسع العلم ، كبير القدر ، اتفقت الأمة على الاحتجاج به لحفظه وأمانته .
انظر: طبقات ابن سعد ٥ / ٤٩٧ - ٤٩٨ ؛ الجرح والتعديل ١ / ٣٢ - ٥٤ ؛ حلية الأولياء ٧ / ٢٧٠ - ٣١٨ ؛ تاريخ بغداد ٩ / ١٧٤ - ١٨٤ ؛ وفيات الأعيان ٢ / ٣٩١ - ٣٩٣ ؛ تذكرة الحفاظ ١ / ٢٦٢ - ٢٦٥ ؛ ميزان الاعتدال ٢ / ١٧٠ - ١٧١ ؛ الأعلام ٣ / ١٠٥ ؛ تاريخ التراث العربي ١ / ١ / ١٧٨ - ١٧٩ .

(٣) الامام الحافظ أبو عمرو عبدالرحمن بن عمرو بن يحمد - أو محمد - من الأوزاع بطن من همدان ، ولد ببعلبك سنة ٨٨ ، ونشأ في البقاع ، ونزل دمشق ، ثم رحل الى بيروت فسكنها ، وتوفي فيها سنة ١٥٧ ، امام في الفقه والحديث والمغازى ، ومن أكرم الناس وأسخاهم ، أدرك خلقا من التابعين وغيرهم ، وحدث عنه جماعات من الأئمة ، وأجمع المسلمون على عدالته وامامته .
انظر: طبقات ابن سعد ٧ / ٤٨٨ ؛ الجرح والتعديل ١ / ١٨٤ - ٢١٩ ؛ تذكرة الحفاظ ١ / ١٧٨ - ١٨٣ ؛ البداية والنهاية ١٠ / ١١٥ - ١٢٠ ؛ تهذيب التهذيب ٦ / ٢٣٨ - ٢٤٢ ؛ الأعلام ٣ / ٣٢٠ ؛ تاريخ التراث العربي ١ / ٣ / ٢٤٣ - ٢٤٥ .

(٤) مابين القوسين سقط من (ص ، ن ، ك) ، وأثبته من كتاب " درء تعارض العقل والنقل " ٢ / ٩٥ ؛ وكتاب " التسعينية " ، ص ٢٣٨ ضمن المجلد الخامس من مجموعة فتاوى شيخ الاسلام ط. كردستان . حيث ذكر ابن تيمية كتاب " الفصول " . . . ونقل عنه .
والليث هو الامام الكبير الحافظ أبو الحارث الليث بن سعد بن عبدالرحمن الفهمي مولاهم ، أصله من أصبهان ، ولد بقلقشندة من بلاد مصر سنة ٩٤ ، وهو نبيل سخي ، عالم بالفقه والحديث والعربية ، وكان امام الديار المصرية في زمانه في الفقه والفتوى ، توفي سنة ١٧٥ .
انظر طبقات ابن سعد ٧ / ٥١٧ ؛ الجرح والتعديل ٧ / ١٧٩ - ١٨٠ ؛ تذكرة الحفاظ ١ / ٢٢٤ - ٢٢٦ ؛ البداية والنهاية ١٠ / ١٦٦ ؛ تهذيب التهذيب ٨ / ٤٥٩ - ٤٦٥ ؛ الأعلام ٥ / ٢٤٨ ؛ تاريخ التراث العربي ١ / ٣ / ٢٥٠ .

(٥) الامام الحافظ الكبير أبو زرعة عبيدالله بن عبدالكريم بن يزيد بن فروخ المخزومي بالولاء الرازى (٢٠٠ - ٢٦٤) أحد كبار نقاد الحديث ، زار بغداد ، وجالس الامام أحمد بن حنبل ، وتوفي بالرى .
انظر: الجرح والتعديل ١ / ٣٢٨ - ٣٤٩ ؛ طبقات الحنابلة ١ / ١٩٩ - ٢٠٣ ؛ تذكرة الحفاظ ٢ / ٥٥٧ - ٥٥٩ ؛ البداية والنهاية ١١ / ٣٧ ؛ تهذيب التهذيب ٧ / ٣٠ - ٣٤ ؛ الأعلام ٤ / ١٩٤ ؛ تاريخ التراث العربي ١ / ١ / ٢٨١ - ٢٨٢ .

(٦) الامام الحافظ الكبير أبو حاتم محمد بن ادريس بن المنذر بن داود بن مهران الحنظلي الرازى ، أحد الأئمة الأثبات العارفين بعلل الحديث والجرح والتعديل ، ولد بالرى سنة ١٩٥ ، وطاف الأقطار والأمصار ، وتوفي ببغداد سنة ٢٧٧ .
انظر: الجرح والتعديل ١ / ٣٤٩ - ٣٧٥ ؛ تاريخ بغداد ٢ / ٧٣ - ٧٧ ؛ طبقات الحنابلة / =

قال فيه : " سمعت الإمام(*) أبا منصور محمد بن أحمد(١) يقول : سمعت الامام أبا بكر عبدالله بن أحمد(٢) يقول : سمعت(*) الشيخ أبا حامد الاسفراييني(٣) يقول : مذهبي ومذهب الشافعي وفقهاء الأمصار: أن القرآن كلام الله غير مخلوق ، ومن قال مخلوق فهو كافر، والقرآن حمله جبريل مسموعا من الله تعالى ، والنبي صلى الله عليه وسلم سمعه من جبريل ، والصحابة سمعوه من النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو الذى نتلوه نحن بألسنتنا ، وفيما(٤) بين الدفتين ، ومافي صدورنا ؛ مسموعا / ومكتوبا ومحفوظا ومنقوشا ؛ كل(٥) حرف منه كالباء والتاء - كله كلام الله غير مخلوق ، ومن قال مخلوق فهو كافر ، عليه لعائن الله والملائكة والناس أجمعين ".

ج ٣ ٤٣

قال أبو الحسن :" وكان الشيخ أبو حامد شديد الانكار على الباقلاني وأصحاب الكلام ".

قال :" ولم يزل(٦) الأئمة الشافعية يأنفون ويستنكفون أن ينتسبوا الى الأشعرى ، ويتبرؤون مما بنى(٧) مذهبه عليه ، وينهون أصحابهم وأحبابهم من(٨) الحوم حواليه ،على ماسمعت عدة من المشايخ والأئمة - منهم الحافظ المؤتمن ابن أحمد الساجي(٩) - يقولون : سمعنا جماعة من المشايخ

/ = ١/ ٢٨٤- ٢٨٦ ؛ تذكرة الحفاظ ٢/ ٥٦٧- ٥٦٩ ؛ البداية والنهاية ١١/ ٥٩ ؛ تهذيب التهذيب ٩/ ٣١- ٣٤ ؛ الأعلام ٦/ ٢٧ ؛ تاريخ التراث العربي ١/ ١/ ٢٩٨ .

(١) لم أعرف من المقصود .

(٢) لم أعرف من المقصود .

(٣) أبو حامد أحمد بن أبي طاهر محمد بن أحمد الاسفراييني ،ولد في اسفرايين سنة ٣٤٤ ، وقدم بغداد سنة ٣٦٤ ،وأقام بها مشغولا بالعلم حتى صارت اليه رياسة الشافعية ، وعظم جاهه ، وتوفي بها سنة ٤٠٦ .
انظر: تاريخ بغداد ٤/ ٣٦٨- ٣٧٠ ؛ طبقات الشافعية للسبكي ٤/ ٦١- ٧٤ ؛البداية والنهاية ١٢/ ٢- ٣ ؛ شذرات الذهب ٣/ ١٧٨ - ١٧٩ ؛ الأعلام ١/ ٢١١ .

(٤) ص ،ن ،ك : فما ،والمثبت من د ر ٢/ ٩٥ ، التسعينية ،ص ٢٣٨ .

(٥) كذا في (ص ،ن ،ك) ، وفي (د ر)،(التسعينية) : وكل .

(٦) ك : تزل .

(٧) كذا في النسخ (ص ،ن ،ك) ،وفي (د ر ٢/ ٩٦) ، (التسعينية ،ص ٢٣٨) : مما بنى الأشعرى .

(٨) من : كذا في النسخ (ص،ن ،ك) ،وفي (د ر ،التسعينية) : عن .

(٩) الحافظ أبو نصر المؤتمن بن أحمد بن علي بن الحسين بن عبيد الله الساجي (٤٤٥- ٥٠٧) كان واسع الرحلة ،كثير الكتابة ،صحيح النقل ،مشكور السيرة ، توفي ببغداد .
انظر: تذكرة الحفاظ ٤/ ١٢٤٦- ١٢٤٨ ؛ طبقات الشافعية للسبكي ٧/ ٣٠٨- ٣٠٩ ؛البداية والنهاية ١٢/ ١٧٨ ؛ شذرات الذهب ٤/ ٢٠ ؛ الأعلام ٧/ ٣١٨ .

الثقات قالوا : كان الشيخ أبو حامد أحمد بن [أبي][1] طاهر الاسفراييني امام الأئمة ؛ الذى طبق الأرض علما وأصحابا ؛ اذا سعى الى الجمعة من قطيعة[2] الكرخ الى الجامع المنصور ؛ يدخل الرباط المعروف بالروزى المحاذى للجامع ، ويقبل على من حضر، ويقول : اشهدوا علي بأن القرآن كلام الله غير مخلوق ، كما قاله أحمد بن حنبل ، لا كما يقول الباقلاني .

ويتكرر ذلك منه ، فقيل له في ذلك ، فقال : حتى ينتشر[3] في الناس وفي أهل [الصلاح][4] ، ويشيع الخبر في أهل البلاد : أني بريء مما هم عليه - يعني الأشعرية - وبريء من مذهب أبي بكر الباقلاني ؛ فان جماعة من المتفقهة الغرباء يدخلون على الباقلاني خفية ، ويقرؤون عليه ، فيفتتنون[5] بمذهبه ، فاذا رجعوا الى بلادهم أظهروا بدعتهم لا محالة ، فيظن ظان أنهم مني تعلموه وأنا قلته ، وأنا بريء من مذهب الباقلاني وعقيدته " .

قال[6] : " وسمعت الفقيه الامام أبا منصور سعد بن العجلي[7] ؛ سمعت عدة من المشايخ والأئمة ببغداد - أظن أبا اسحاق الشيرازى[8] أحدهم -

---

(١) أبي : ليست في (ص ،ن ،ك) ، وهي ثابتة في (د ر) و (التسعينية) ، وهو الصواب .
(٢) ك : قطعية .
(٣) ك : تنتشر .
(٤) الصلاح : ساقطة من (ص ،ن) ، وفي (ك) : البلاد ، والتصويب من د ر ٢ / ٩٧ والتسعينية ، ص ٢٣٨ .
(٥) ص ،ن ،ك : فيعتنون ، والتصويب من د ر ، والتسعينية .
(٦) أى الشيخ أبو الحسن الكرجي .
(٧) هو أبو منصور سعد بن علي بن الحسن العجلي الأسداباذى ، نزيل همذان ، وكان مفتيها ، سمع ببغداد ومكة والمدينة والكوفة وغيرها ، مات سنة ٤٩٤ .
انظر : المنتظم لابن الجوزى ٩ / ١٢٥ ؛ طبقات الشافعية للسبكي ٤ / ٣٨٣ .
(٨) أبو اسحاق ابراهيم بن علي بن يوسف الشيرازى ، ولد بفيروزآباد من قرى فارس سنة ٣٩٣ ، ودخل شيراز ثم البصرة ، ثم قدم بغداد سنة ٤١٥ فسكنها وتفقه على جماعة من الأعيان ، وصار مدرس النظامية فيها ، وهو امام في الفقه والأصول والحديث ، وكان زاهدا ورعا ، متواضعا ، توفي سنة ٤٧٦ ببغداد .
انظر : وفيات الأعيان ١ / ٢٩ - ٣١ ؛ طبقات الشافعية للسبكي ٤ / ٢١٥ - ٢٥٦ ؛ البداية والنهاية ١٢ / ١٢٤ - ١٢٥ ؛ شذرات الذهب ٣ / ٣٤٩ - ٣٥١ ؛ الأعلام ١ / ٥١ .

قالوا : كان أبو بكر الباقلاني يخرج الى الحمام متبرقعا[1] ، خوفا من الشيخ أبي حامد الاسفرايني ".

والكلام على ماوقع من انكار أبي حامد وغيره من أئمة الاسلام على القاضي أبي بكر - مع جلالة قدره وكثرة رده على أهل الالحاد والبدع ، بسبب هذا الأصل الذى بنى عليه مذهبه - طويل ، ولبسطه موضع آخر[2] ، وانما المقصود هنا التنبيه عن[3] بعض من أثبت هذا الأصل ولم يوافق النفاة .

قول الحارث المحاسبي في كتاب " فهم القرآن "

والحارث المحاسبي قد ذكر القولين عن أهل السنة المثبتين الصفات والقدر ؛ فقال في كتاب " فهم القرآن "[4] ؛ لما تكلم على مالا يدخل فيه النسخ ومايدخل فيه ، ومايظن أنه[5] متعارض من الآيات ؛ وذكر عن أهل السنة في الارادة والسمع والبصر : قولين ، في مثل قوله تعالى : (لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله)[6] ، وقوله تعالى : (واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها)[7] . وقوله تعالى : (انما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون)[8] . وكذلك قوله : (انا معكم مستمعون)[9] . وقوله تعالى : (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون)[10] / ونحو ذلك -

ظ ٤٣

فقال : " ذهب قوم من أهل السنة الى أن لله استماعا حادثا في ذاته ".

وذكر أن هؤلاء وبعض أهل البدع تأولوا ذلك في الارادة على الحوادث[11] .

---

(١) ص ، ن ، ك : مبرقعا ، والمثبت من د ر ٢ / ٩٨ ، التسعينية ، ص ٢٣٩ .
(٢) كتب أمام هذا الموضع في هامش (ن) : بلغ .
(٣) ك : على .
(٤) طبع كتاب " العقل " وكتاب " فهم القرآن " للحارث المحاسبي في مجلد واحد ، بتحقيق حسين القوتلي ، الطبعة الأولى ١٣٩١ هـ - ١٩٧١ م ، دار الفكر ، بيروت .
(٥) ص : له .
(٦) سورة الفتح : ٢٧ .
(٧) سورة الاسراء : ١٦ .
(٨) سورة يس : ٨٢ .
(٩) سورة الشعراء : ١٥ .
(١٠) سورة التوبة : ١٠٥ .
(١١) تكلم الحارث المحاسبي في كتاب " فهم القرآن " ابتداء من صفحة ٣٣٢ على مالا يجوز فيه النسخ ومايجوز فيه ، فذكر في هذه الصفحة أن النسخ لا يجوز في معنيين : أسماء الله وصفاته . وأخباره عما كان ويكون . / =

قال[١]: " فأما من ادعى السنة ، فأراد اثبات القدر ، فقال : ارادة الله تحدث من تقدير سابق للارادة[٢] . وأما بعض أهل البدع فزعموا أن الارادة انما هي خلق حادث ، وليست مخلوقة ؛ ولكن بها كون الله المخلوقين[٣] ".

قال[٤]: " وزعموا[٥] أن الخلق غير المخلوق ، وأن الخلق هو الارادة ، وأنها ليست بصفة الله[٦] من نفسه ".

قال[٧]: " وكذلك قال بعضهم : ان رؤيته تحدث ".

= / وشرح ذلك في الصفحات التالية ، ورد على المخالفين .
وقال (ص ٣٤١) : " وكذلك قوله جل وعز : (لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين) ، وقوله : (واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها)، وقوله : (انما قولنا لشيء اذا أردناه أن نقول له كن فيكون) [سورة النحل : ٤٠] ، ليس ذلك ببدء منه لحدوث ارادة حدثت له ، ولا أن يستأنف مشيئة لم تكن له . . . فلم يزل تعالى يريد مايعلم أنه يكون ، لم يستحدث ارادة لم تكن . . . ". ثم قال في آخر الصفحة : " وقد تأول بعض من يدعي السنة وبعض أهل البدع ذلك على الحدوث ".
وقال بعد هذا مباشرة (ص ٣٤٢) : " فأما من ادعى السنة فأراد اثبات القدر . . . " الى آخر النص الذى يورده شيخ الاسلام ابن تيمية الآن ، وسأقابله ان شاء الله على كتاب " فهم القرآن "، وأثبت كلام المحاسبي عن قوله عز وجل : (انا معكم مستمعون) وقوله : (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم . . .) في موضعه .

(١) كتاب " فهم القرآن "، ص ٣٤٢ .
(٢) فهم القرآن : فقال : ارادة الله جل وعز أحدث من تقديره ، تقديره سابق الارادة .
(٣) فهم القرآن : وليست بمخلوقة ، ولكن الله جل وعز بها كون المخلوق .
(٤) بعد الكلام السابق مباشرة .
(٥) فهم القرآن : فزعمت .
(٦) ك : لله ، والمثبت في (ص ، ن) و " فهم القرآن ".
(٧) قال المحاسبي (ص ٣٤٤ - ٣٤٥) : " وكذلك قوله عز وجل : (انا معكم مستمعون) ليس معناه احداث سمع ، ولا تكلف لسمع مايكون من المتكلم في وقت كلامه ، وانما معنى (انا معكم مستمعون) ، (وسيرى الله عملكم) [سورة التوبة : ٩٤] أى المسموع والمبصر لن يخفى على سمعي ولا على بصرى أن أدركه سمعا وبصرا ، لا بالحوادث في الله جل وعز وتعالى عن ذلك .

وكذلك قوله : (اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله) لا يستحدث بصرا ولا لحظا محدثا في ذاته ، تعالى عن ذلك .

وقد ذهب قوم [الى] أن لله جل وعز استماعا حادثا في ذاته . . . وكذلك ذهب الى أن رؤية تحدث له ".

قول محمد بن الهيصم في كتاب " جمل الكلام "

وقال محمد بن الهيصم[1] في كتاب " جمل الكلام " لما ذكر جمل الكلام وأنه مبني على خمسة فصول :

" أحدها : أن القرآن كلام الله ، وقد حكي عن جهم بن صفوان أن القرآن ليس كلام الله على الحقيقة ، وانما هو كلام خلقه الله فنسب اليه ، كما قيل : سماء الله ، وأرض الله ، وكما[2] قيل : بيت الله ، وشهر الله . وأما المعتزلة فانهم أطلقوا القول بأنه كلام الله على الحقيقة ، ثم وافقوا[3] جهما في المعنى ؛ حيث قالوا : كلام خلقه بائنا عنه . وقال عامة المسلمين : ان القرآن كلام الله على الحقيقة ، وانه تكلم به ".

والفصل الثاني : أن القرآن غير قديم ، فان الكلابية وأصحاب الأشعرى زعموا أن الله لم يزل متكلما بالقرآن . وقال أهل الجماعة : انما تكلم بالقرآن حيث خاطب به جبريل ، وكذلك سائر الكتب .

والفصل الثالث : أن القرآن غير مخلوق ، فان الجهمية والنجارية والمعتزلة زعموا أنه مخلوق ، وقال أهل الجماعة : انه ليس بمخلوق .

والفصل الرابع : أنه غير بائن منه ، فان الجهمية وأتباعهم من المعتزلة قالوا : ان القرآن بائن من الله ، وكذلك سائر كلامه ، وزعموا أن الله خلق كلاما في

---

(١) ترجم الصفدى في " الوافي بالوفيات " ٥ / ١٧١ لابن الهيصم ، ومما قال : " محمد بن الهيصم ، أبو عبد الله ، شيخ الكرامية وعالمهم في وقته ... وليس للكرامية مثله في الكلام والنظر " ولم يذكر تاريخ ولادته أو موته ، ولكن المناظرات المشهورة التي دارت بينه وبين الامام الأشعرى أبي بكر ابن فورك المتوفى سنة ٤٠٦ بحضرة السلطان الغزنوى محمود بن سبكتكين المتوفي سنة ٤٢١هـ تشير الى عصره ، فهو اذن متأخر عن امام مذهبه محمد بن كرام المتوفى سنة ٢٥٥ بنحو قرن ونصف .
وقد قال الشهرستاني في الملل والنحل ١ / ١٥١ - مع ملاحظة أنه من خصومه الأشاعرة - : " وقد اجتهد ابن الهيصم في إرمام مقالة أبي عبد الله [يعني ابن كرام] في كل مسألة ، حتى ردها من المحال الفاحش الى نوع يفهم فيما بين العقلاء " وضرب لذلك أمثلة ، وانظر أيضا ١ / ١٤٥ - ١٤٦ .
ويذكر عنه ابن تيمية [انظر مثلا " مجموع فتاوى شيخ الاسلام " ط . الرياض ٥ / ٤٢٨] ، أنه يفسر " الجسم " الذى يطلقه الكرامية على الله سبحانه بمعنى صحيح ؛ بأنه موجود ، قائم بنفسه ، مشار اليه .
(٢) ص ، ن : كما . بدون الواو .
(٣) ص : وافقا .

الشجرة فسمعه موسى ، وخلق كلاما في الهواء فسمعه جبريل ، ولا يصح عندهم أنه وجد من الله كلام يقوم به في الحقيقة . وقال أهل الجماعة : بل القرآن غير بائن من الله ، وانما هو موجود منه ، وقائم به ".

وذكر محمد بن الهيصم في مسألة الارادة والخلق والمخلوق وغير ذلك مايوافق [ماذكره هنا من اثبات الصفات الفعلية القائمة بالله][1] التي ليست أعيانها قديمة ولا مخلوقة ، وهو يحكي ذلك عن أهل الجماعة .

قول الدارمي في النقض على المريسي

وقال الامام عثمان بن سعيد الدارمي ، في كتابه المعروف بـ " نقض عثمان بن سعيد ،على المريسي الجهمي العنيد ، فيما افترى على الله في التوحيد "[2] ؛ قال[3] :" وادعى المعارض[4] أن قول النبي صلى الله عليه وسلم

---

(١) مابين المعكوفين ساقط من النسخ الثلاث (ص ،ن ،ك) ، وأضفته من كتاب " درء تعارض العقل والنقل ٢/ ٤٩ حيث نقل ابن تيمية هناك قول ابن الهيصم في مسألة الكلام ثم أشار الى ماذكره فيما يماثلها على نحو ماهنا .

(٢) تقدمت ترجمة الامام الدارمي والاشارة الى كتابه " رد الامام الدارمي عثمان بن سعيد على المريسي العنيد " ص ١٨١ ت ٤ وهو يذكر في مقدمة هذا الكتاب أنه يرد على معارض ائتم بالمريسي واعتمد على آرائه ، اذ يقول (ص ٣٥٩ ،ضمن مجموع " عقائد السلف " ط. الاسكندرية ١٩٧١م :" أما بعد ،فقد عارض مذاهبنا في الانكار على الجهمية ممن بين ظهريكم معارض ، وانتدب لنا منهم مناقض ، ينقض ماروينا فيهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه ، بتفاسير المضل المريسي بشر بن غياث الجهمي ... ".
والمريسي هو أبو عبد الرحمن بشر بن غياث بن أبي كريمة المريسي ، قيل :ان نسبته الى مريس قرية بمصر، وقيل : ان أباه كان يهوديا صباغا بالكوفة ،قال عنه ابن كثير: " شيخ المعتزلة ، وأحد من أضل المأمون ، وقد كان ينظر أولا في شيء من الفقه ، وأخذ عن أبي يوسف القاضي ، وروى الحديث عنه وعن حماد بن سلمة وسفيان بن عيينة وغيرهم ،ثم غلب عليه علم الكلام ".
وقال ابن خلكان :" جرد القول بخلق القرآن ، وحكي عنه في ذلك أقوال شنيعة ، وكان مرجئا واليه تنسب الطائفة المريسية من المرجئة ، وكان يقول : ان السجود للشمس والقمر ليس بكفر، ولكنه علامة الكفر "، توفي بشر سنة ٢١٨ ببغداد .

انظر: تاريخ بغداد ٧/ ٥٦ - ٦٧ ؛ الملل والنحل ١/ ١٩١ ، ١٩٢ ؛ اللباب ٣/ ٢٠٠ ؛ وفيات الأعيان ١/ ٢٧٧ - ٢٧٨ ؛ ميزان الاعتدال ١/ ٣٢٢ - ٣٢٣ ؛ البداية والنهاية ١٠/ ٢٨١ ؛ الأعلام ٢/ ٥٥ ؛ تاريخ التراث العربي ١/ ٤/ ٦٥ - ٦٦ .

(٣) رد الامام الدارمي ،ص ٣٧٧ .

(٤) رد الدارمي : وادعى المعارض أيضا .

: (ان الله ينزل الى السماء الدنيا حين يمضي من الليل الثلث ، فيقول : هل من مستغفر ؟ هل من تائب[١] ؟ هل من داع ؟)".

قال[٢] : " فادعى[٣] أن الله لا ينزل[٤] بنفسه ، انما ينزل أمره ورحمته ، وهو على العرش وبكل[٥] مكان من غير زوال ؛ لأنه الحي القيوم ، والقيوم بزعمه من لا يزول ".

ج ٤٤ قال[٦] : " فيقال لهذا المعارض : وهذا أيضا من حجج النساء / والصبيان ومن ليس عنده بيان ، ولا لمذهبه برهان ؛ لأن أمر الله ورحمته ينزل[٧] في كل ساعة ووقت وأوان ، فما بال النبي صلى الله عليه وسلم يحد لنزوله الليل دون النهار ، ويوقت من الليل شطره أو الأسحار ؟

أفأمره ورحمته يدعوان[٨] العباد الى الاستغفار ؟ أو يقدر الأمر والرحمة أن يتكلما دونه ؛ فيقولا[٩] : هل من داع فأجيب له[١٠] ؟ هل من مستغفر فأغفر له[١١] ؟ هل من سائل فأعطيه ؟ فان قررت[١٢] مذهبك لزمك أن تدعى أن الرحمة والأمر هما اللذان[١٣] يدعوان الى الاجابة والاستغفار بكلامهما دون الله ، وهذا محال عند السفهاء ، فكيف عند الفقهاء ؟ قد علمتم ذاك[١٤] ، ولكن تكابرون .

ومابال أمره ورحمته[١٥] ينزلان من عنده [شطر] الليل[١٦] ، ثم يمكثان الى

---

(١) رد الدارمي : اذا مضى ثلث الليل ، فيقول : هل من تائب ؟ هل من مستغفر؟ .
(٢) رد الدارمي ، ص ٣٧٨ .
(٣) رد الدارمي : فادعى المعارض .
(٤) ك : أن لا ينزل .
(٥) ص ، ن ، ك : وكل ، وأثبت مافي رد الدارمي .
(٦) بعد الكلام السابق مباشرة ، رد الدارمي ، ص ٣٧٨ - ٣٧٩ .
(٧) ينزل : كذا في رد الدارمي ، وفي (ص) الكلمة غير منقوطة ؛ ن ، ك : تنزل .
(٨) يدعوان : كذا في (ص) ، ن ، ك : تدعوان ؛ رد الدارمي : فبرحمته وأمره يدعو .
(٩) رد الدارمي : فيقولا ن .
(١٠) له : ليست في رد الدارمي .
(١١) عبارة " هل من مستغفر فأغفر له " : ليست في رد الدارمي .
(١٢) رد الدارمي : فأعطى ، فان قدرت .
(١٣) رد الدارمي : لزمك أن تدعو الرحمة والأمر اللذين .
(١٤) رد الدارمي : ذلك .
(١٥) رد الدارمي ومابال رحمته وأمره .
(١٦) شطر : في رد الدارمي فقط ، وليست في (ص ، ن) وفي (ك) سقطت عبارة " شطر الليل ".

طلوع الفجر[١] ، ثم يرفعان ؟ لأن رفاعة[٢] يرويه ؛ يقول[٣] في حديثه : (حتى ينفجر الفجر[٤]) . وقد[٥] علمتم - ان شاء الله - أن هذا التأويل أبطل باطل ، ولا يقبله[٦] الا كل جاهل .

وأما دعواك أن تفسير " القيوم " الذى لا يزول عن مكانه ولا يتحرك . فلا يقبل منك[٧] هذا التفسير الا بأثر[٨] صحيح مأثور عن النبي[٩] صلى الله عليه وسلم ، أو عن بعض أصحابه أو التابعين ؛ لأن الحي القيوم يفعل مايشاء ، ويتحرك اذا شاء ، ويهبط[١٠] ويرتفع اذا شاء ، ويقبض ويبسط ، ويقوم ويجلس اذا شاء ، لأن أمارة مابين الحي والميت [التحرك][١١] : كل حي متحرك لا محالة[١٢] ، وكل

---

(١) رد الدارمي : ثم لا يمكثان الا الى طلوع الفجر .

(٢) هو رفاعة بن عرابة الجهني المدني ، له صحبة .
انظر: التاريخ الكبير للبخارى ٣/٣٢١-٣٢٢ ؛ الجرح والتعديل ٣/٤٩١ ؛ الاستيعاب ٢/٥٠١ ؛ الاصابة ٢/٤٩٣ ؛ تهذيب التهذيب ٣/٢٨٢ .

(٣) ك : ويقول .

(٤) حديث رفاعة بن عرابة الجهني رضي الله عنه في النزول رواه الامام أحمد في مسنده (ط. الحلبي) ٤/١٦ ؛ وابن ماجة في سننه ١/٤٣٥ رقم ١٣٦٧ كتاب اقامة الصلاة والسنة فيها ، باب ماجاء في أى ساعات الليل أفضل ؛ والدارمي في سننه ١/٣٤٧ ، ٣٤٨ ؛ وابن خزيمة في كتاب التوحيد ، ص ١٣٢ - ١٣٣ ، وفيه (اذا مضى نصف الليل - أو قال : ثلثا الليل - ينزل الله عز وجل الى السماء الدنيا ، فيقول : لا أسأل عن عبادى أحدا غيرى ، من ذا يستغفرني فأغفر له ؟ من الذى يدعوني استجيب له ؟ من ذا الذى يسألني أعطيه ، حتى ينفجر الصبح) ، وعند ابن ماجة والدارمي (حتى يطلع الفجر) .
وقد ذكرت هذه الغاية أيضا في بعض روايات حديث أبي هريرة كما في صحيح مسلم ١/٥٢٢-٥٢٣ ؛ وسنن ابن ماجة رقم ١٣٦٦ ؛ ومسند الامام أحمد رقم ٧٥٠٠ ، ٧٥٨٢ .

(٥) رد الدارمي : قد . بدون الواو .

(٦) رد الدارمي : لا يقبله . بدون الواو .

(٧) رد الدارمي : من مكانه فلا يتحرك ، فلا يقبل مثل .

(٨) ص ، ن ، ك : بأمر . وأثبت مافي رد الدارمي .

(٩) رد الدارمي : عن رسول الله .

(١٠) رد الدارمي : وينزل .

(١١) التحرك : سقطت من (ص ، ن) وأثبتها من رد الدارمي ، ك : لأن ذلك أمارة مابين الحي والميت .

(١٢) ص ، ن ، ك : لأن كل متحرك لا محالة حي . وأثبت مافي رد الدارمي .

ميت غير متحرك لا محالة . ومن يلتفت الى تفسيرك وتفسير صاحبك مع تفسير نبي الرحمة ورسول رب العزة !؟ أن[1] فسر نزوله مشروحا[2] منصوصا ، ووقت له[3] وقتا مخصوصا[4] ، لم يدع لك ولا لأصحابك فيه لبسا ولا عويصا[5]".

قال[6] : " ثم أجمل المعارض جميع ما أنكره[7] الجهمية من صفات الله تعالى[8] وذاته[9] المسماة في كتابه وآثار رسوله[10] صلى الله عليه وسلم ، فعمد منها بضعا وثلاثين[11] صفة نسقا واحدا[12] ، يتكلم عليها ويفسرها بما حكى[13] المريسي وفسرها ، وتأولها حرفا حرفا ، خلاف ماعنى الله ورسوله[14] ، وخلاف ما تأولها الفقهاء والصالحون[15] ، لا يعتمد في أكثرها الا على المريسي .

فبدأ منها بالوجه ، ثم بالسمع[16] ، والبصر ، والغضب ، والرضا ، والحب ، والبغض ، والفرح ، والكره ، والضحك ، والعجب ، والسخط ، والارادة ، والمشيئة ، والأصابع ، والكف ، والقدمين .

وقوله : (كل شيء هالك الا وجهه)[17] ، (فأينما تولوا فثم وجه الله)[18] ،

---

(١) ص ، ن : اذا .
(٢) ك : مشروطا .
(٣) رد الدارمي : لنزوله .
(٤) ص ، ن ، ك : موضوحا . وأثبت مافي رد الدارمي .
(٥) ص ، ن : غويصا .
(٦) بعد الكلام السابق مباشرة ، ص ٣٧٩-٣٨٠ .
(٧) رد الدارمي : ماينكر .
(٨) تعالى : ليست في رد الدارمي .
(٩) ص ، ن ، ك : وذواته ، والمثبت في رد الدارمي .
(١٠) رد الدارمي : وفي آثار رسول الله .
(١١) ص ، ن ، ك : بضعة وعشرين . وأثبت مافي رد الدارمي ، وقد نقل ابن تيمية هذا النص في كتابه درء تعارض العقل والنقل ٣ / ٥١ وفيه : بضعا وثلاثين .
(١٢) ص ، ن : نقشا واحدا ، ك : نقشا ، وأخذ . وأثبت مافي رد الدارمي .
(١٣) رد الدارمي : يحكم عليها ويفسرها بما حكم .
(١٤) ورسوله : ليست في رد الدارمي .
(١٥) رد الدارمي : الفقهاء الصالحون .
(١٦) رد الدارمي : ثم السمع .
(١٧) سورة القصص : ٨٨ .
(١٨) سورة البقرة : ١١٥ . ص ، ن ، رد الدارمي : وأينما .

(وهو السميع البصير)[1] ، و (خلقت بيدى)[2] ، (وقالت اليهود يد الله مغلولة)[3] ،و (يد الله فوق أيديهم)[4] ، (والسموات مطويات بيمينه)[5] .

وقوله : (فانك بأعيننا)[6] ، و (هل ينظرون الا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة)[7] ، (وجاء ربك والملك صفا صفا)[8] ، [(ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية)[9] و (الرحمن على العرش استوى)[10]] و (الذين يحملون العرش ومن حوله)[11] .

وقوله : (ويحذركم الله نفسه)[12] ، (ولا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم يوم القيامة)[13] ، و (كتب /ربكم على نفسه الرحمة)[14] ، و (تعلم مافي نفسي ولا أعلم مافي نفسك)[15] ،و (الله يحب التوابين ويحب المتطهرين)[16] .

ظ ٤٤

قال[17] : " عمد المعارض الى هذه الصفات [والآيات[18]] فنسقها ، ونظم بعضها الى بعض ،كما نظمها شيئا بعد شيء ،ثم فرقها[19] أبوابا في كتابه ،

---

(١) سورة الشورى : ١١ .
(٢) سورة ص : ٧٥ . رد الدارمي : وخلقت آدم بيدى .
(٣) سورة المائدة : ٦٤ .
(٤) سورة الفتح : ١٠
(٥) سورة الزمر : ٦٧ .
(٦) سورة الطور : ٤٨ .
(٧) سورة البقرة : ٢١٠ .
(٨) سورة الفجر : ٢٢ .
(٩) سورة الحاقة : ١٧ .
(١٠) سورة طه : ٥ . وقد سقطت هذه الآية والتي قبلها من النسخ الثلاث (ص، ن ،ك) وأثبتهما من رد الدارمي ،وأثبتهما ابن تيمية في نقله لهذا النص في درء تعارض العقل والنقل ٢ / ٥٢ .
(١١) سورة غافر : ٧ .
(١٢) سورة آل عمران : ٢٨ .
(١٣) سورة آل عمران : ٧٧ . رد الدارمي : (... ولا ينظر اليهم) .
(١٤) سورة الأنعام : ٥٤ . رد الدارمي بـ (كتب على نفسه الرحمة) [سورة الأنعام : ١٢] .
(١٥) سورة المائدة : ١١٦ .
(١٦) سورة البقرة : ٢٢٢ .
(١٧) بعد الكلام السابق مباشرة ، ص ٣٨٠ .
(١٨) والآيات : ليست في (ص، ن ،ك) وهي في رد الدارمي .
(١٩) فرقها : كذا في رد الدارمي ،ص ،ن ،ك : قررها .

وتلطف بردها بالتأويل كتلطف الجهمية ، معتمدا فيها على الزائغ[1] الجهمي بشر بن غياث المريسي[2] ، ومدلسا[3] عند الجهال بالتشنيع بها على قوم يؤمنون بها[4] ، ويصدقون الله ورسوله فيها ، بغير تكييف ولا تمثيل[5] ، فزعم أن هؤلاء المؤمنين بها[6] يكيفونها ويشبهونها[7] بذوات أنفسهم ، وأن العلماء بزعمه قالوا : ليس في شيء منها اجتهاد رأى ، ليدرك كيفية ذلك ، أو يشبه شيء منها بشيء[8] مما هو في الخلق[9] ، قال : وهذا خطأ ، كما[10] أن الله ليس كمثله شيء ، فكذلك ليس ككيفيته شيء .

قال أبو سعيد عثمان بن سعيد[11] : فقلنا لهذا المعارض المدلس بالتشنيع : أما قولك : ان كيفية[12] هذه الصفات وتشبيهها بما هو في[13] الخلق خطأ . فانا لا نقول : انه خطأ ، بل هو عندنا كفر ، ونحن لتكييفها وتشبيهها[14] بما هو في الخلق موجود[15] أشد أنفا[16] منكم ، غير أنا - كما لا نشبهها ولا نكيفها - لا نكفر بها ولا نكذبها[17] ، ولا نبطلها بتأويل الضلال ، كما أبطلها امامك المريسي" .

---

(١) ص ، ن ، ك : الرابع ؛ رد الدارمي : على تفاسير الزائغ .
(٢) سبق ترجمته في ص (٢١٢) .
(٣) ومدلسا : ليست في (ن ، ك) ومكانها في (ن) بياض ، وكتبت في (ص) غير منصوبة : " ومدلس " ، وبخط صغير يدل على أنها أضيفت بعد ترك مكانها بياضا . رد الدارمي : ... بشر بن غياث المريسي دون من سواه مستترا .
(٤) بها : كذا في رد الدارمي . ص ، ن ، ك : بالله .
(٥) رد الدارمي : ولا مثال .
(٦) بها : ليست في رد الدارمي .
(٧) ك : وينسبونها .
(٨) ن : أو يشبه فيها شيء .
(٩) رد الدارمي : مما هو في الخالق موجود .
(١٠) رد الدارمي : لما .
(١١) عثمان بن سعيد : ليست في رد الدارمي .
(١٢) ص ، ن ، ك : بالتشنيع ان قوله كيفية . وأثبت ما في رد الدرامي .
(١٣) ص ، ن : مما هو في . رد الدارمي : بما هو موجود في .
(١٤) فانا لا نقول ... وتشبيهها : كذا في رد الدارمي . ص ، ن : فانا لا نقول له كما قلت هو عندنا له ، ونحن لكيفيتها وتشبيهها ، ك : فانا لا نقول له كما قال هي عندنا له ونحن لا نكيفها ولا نشبهها .
(١٥) رد الدارمي : بما هو موجود في الخلق .
(١٦) ص ، ن ، ك : الفا . وأثبت ما في رد الدارمي .
(١٧) رد الدارمي : ولا نكذب .

قال[1] : " وأما ماذكرت من اجتهاد الرأى في تكييف صفات الله : فانـا لا نجيز اجتهاد الرأى في كثير من الفرائض والأحكام ، التي نراهـا بأعيننا ، ونسمعها بآذاننا[2] ، فكيف في صفات الله تعالى[3] التي لم ترها العيـون ، وقصرت عنها الظنون ؟ .

غير أنا لانقول فيها كما قال المريسي[4] : ان هذه الصفات كلها شيء واحد[5] ، وليس السمع منه غير البصر ، ولا الوجه منه غير اليد ، [ولا اليد منه[6]] غير النفس ، وأن الرحمن ليس يعرف - بزعمكم - لنفسه سمعا من بصر ، ولا بصرا من سمع ، ولا وجها من يدين ، ولا يدين من وجه ، وهـو[7] كلـه - بزعمكم - سمع وبصـر[8] ووجه ، وأعلى وأسفل ، ويد ونفس ، وعلم ومشيئه وارادة ، مثـل خلـق السموات والأرض والجبال والتلال[9] والهواء ، التي لا يعرف لشيء منها شيء[10] [11] من هذه الصفات والذوات ، ولا يوقف لهـا[12] منها على شـيء[11] ، فالله تعالى[13] عندنا أن يكون كذلك ، فقد ميز الله تعالى في كتابه السمع من البصر " .

وذكر الآيات الواردة في ذلك[14] : " فقال تعالى[15] : (انني معكما أسمـع وأرى[16]) و (انا معكم مستمعـون[17]) ، وقال : (ولا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم[18]) ؛

---

(١) في رد الدارمي ، ص ٣٨٠ - ٣٨١ . بعد الكلام السابق بسطر واحد هو قوله : " . . . المريسي في أماكن من كتابك سنبينها لمن غفل عنها ممن حواليك من الأغمار ان شاء الله تعالى " .
(٢) رد الدارمي : وتسمع في آذاننا .
(٣) تعالى : زيادة في (ص) .
(٤) رد الدارمي : امامك المريسي .
(٥) رد الدارمي : كلها لله غير شيء واحد .
(٦) ولا اليد منه : كذا في رد الدارمي ، وترك مكان العبارة في (ص، ن) بياضا ، وأمامه في (ن) كتب في الهامش " بياض بالأصل " ، ك : ولا الذات .
(٧) رد الدارمي : هو . بدون الواو . (٨) رد الدارمي : بصر وسمع .
(٩) رد الدارمي : مثل خلق الأرضين والسماء والتلال . (١٠) رد الدارمي : لا يعرف شيء منها شيئا .
(١١ - ١١) مابينهما ليس في رد الدارمي .
(١٢) ص، ن ، ك : بها . وهذا النص نقله ابن تيمية أيضا في درء تعارض العقل والنقل ٢ / ٥٥ وفيه " لها " بدلا من " بها " ولعله أولى .
(١٣) رد الدارمي : فالله المتعالى .
(١٤) بعد الكلام السابق مباشرة ، ص ٣٨١ .
(١٥) تعالى : ليست في رد الدارمي .
(١٦) سورة طه : ٤٦ .
(١٧) سورة الشعراء : ١٥ .
(١٨) سورة آل عمران : ٧٧ . رد الدارمي : (. . . ولا ينظر اليهم يوم القيامة) .

نفرق بين الكلام والنظر دون [السمع][1] ؛ فقال عند السمع[2] والصوت : (قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي الى الله والله يسمع تحاوركما ان الله سميع بصير[3])و (لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن أغنياء[4]).
ولم يقل : - قد -[5] رأى الله قول التي تجادلك في زوجها . وقال تعالى[6] في موضع الرؤية : (الذى يراك حين تقوم . وتقلبك في / الساجدين[7]) . وقال تعالى[8] : (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون[9]) ولم يقل : يسمع[10] الله[11] تقلبك ،ويسمع الله عملكم ،فلم يذكر الرؤية فيما يسمع ، ولا السمع فيما يرى ، لما أنهما عنده[12] خلاف ماعندكم ". وذكر كلاما طويلا في الرد على النفاة[13].

ج ٤٥

قلت : وكلام أهل الحديث والسنة في هذا الأصل كثير جدا .

دلالة الآيات على أفعال الله

وأما الآيات والأحاديث الدالة على هذا الأصل فكثيرة جدا ، يتعذر أو يتعسر حصرها ، لكن نذكر بعضها ،وقد جمع الامام أحمد كثيرا من الآيات الدالة على هذا الأصل وغيره مما يقوله النفاة ؛ وذكرها عنه الخلال في كتاب " السنة ".

وذلك كقوله تعالى : (فلما أتاها نودى ياموسى . اني أنا ربك فاخلع نعليك انك بالواد المقدس طوى . وأنا اخترتك فاستمع لما يوحي[14]) ، وقوله تعالى : (واذ نادى ربك موسى أن ائت القوم الظالمين[15]) ، وقوله

---

(١) السمع : سقطت من (ص) .
(٢) رد الدارمي : السماع .
(٣) سورة المجادلة : ١ .
(٤) سورة آل عمران : ١٨١ .
(٥) قد : سقطت من (ص ،ن ،ك) وأثبتها من رد الدارمي .
(٦) تعالى : ليست في رد الدارمي .
(٧) سورة الشعراء : ٢١٨ ، ٢١٩ . رد الدارمي : انه يراك . . . الخ .
(٨) تعالى : ليست في رد الدارمي .
(٩) سورة التوبة : ١٠٥ . رد الدارمي (. . . فسيرى الله عملكم) .
(١٠) ص ،ن : سمع .
(١١) الله : ليست في رد الدارمي .
(١٢) ص ،ن ،ك : كما أنها عنده ،رد الدارمي : لما عنده . ولعل الصواب ما أثبت .
(١٣) في رد الامام الدارمي ضمن مجموع " عقائد السلف " ص ٣٨١ ومابعدها .
(١٤) سورة طه : ١١- ١٣ .
(١٥) سورة الشعراء : ١٠ .

تعالى : (فلما جاءها نودى أن بورك من في النار ومن حولها وسبحان الله رب العالمين)[١] ، وقوله تعالى : (فلما أتاها نودى من شاطىء الوادى الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة أن ياموسى اني أنا الله رب العالمين)[٢] ، وقوله تعالى : (هل أتاك حديث موسى . اذ ناداه ربه بالوادى المقدس طوى)[٣] ؛ فوقت النداء بقوله : (فلما) وبقوله : (اذ) فعلم أنه كان في وقت مخصوص ، لم يناده[٤] قبل ذلك . وقوله تعالى : (ويوم يناديهم فيقول ماذا أجبتم المرسلين)[٥] .

وقال تعالى : (ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم)[٦] . فأخبر سبحانه أنه قال لهم ذلك بعد أن خلق آدم وصوره ، لا قبل ذلك .

وقال تعالى : (ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون)[٧] ، وقال تعالى : (وهو الذى خلق السموات والأرض بالحق ويوم يقول كن فيكون قوله الحق)[٨] ، وقال تعالى : (بديع السموات والأرض واذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون)[٩] ، وقال تعالى : (انما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون)[١٠] . و " اذا " ظرف لما يستقبل من الزمان و " أن " [تخلص][١١] الفعل المضارع للاستقبال .

وقال تعالى : (واذ قال ربك للملائكة)[١٢] ، وقال تعالى : (واذا سألك عبادى عني فاني قريب أجيب دعوة الداعي اذا دعان)[١٣] ،

---

(١) سورة النمل : ٨ .
(٢) سورة القصص : ٣٠ .
(٣) سورة النازعات : ١٥ - ١٦ .
(٤) ص : لم يناداه .
(٥) سورة القصص : ٦٥ .
(٦) سورة الأعراف : ١١ .
(٧) سورة آل عمران : ٥٩ .
(٨) سورة الأنعام : ٧٣ .
(٩) سورة البقرة : ١١٧ .
(١٠) سورة يس : ٨٢ .
(١١) تخلص : ليست في النسخ الثلاث (ص ، ن ، ك) ولعلها ساقطة .
(١٢) سورة البقرة : ٣٠ .
(١٣) سورة البقرة : ١٨٦ .

وقال تعالى : (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون)[(١)] ، وقال تعالى : (ثم استوى الى السماء وهي دخان)[(٢)] ، وقال تعالى : (الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام)[(٣)] ، وقال تعالى : (هل ينظرون الا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام)[(٤)] ، وقال تعالى : (هل ينظرون الا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك أو يأتي بعض آيات ربك)[(٥)] ، وقال تعالى : (وجاء ربك والملك صفا صفا)[(٦)] ، وقال تعالى : (ثم جعلناكم خلائف في الأرض من / بعدهم لننظر كيف تعملون)[(٧)] . ظ ٤٩

وقال تعالى : (واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا)[(٨)] ، وقال تعالى : (واذا أراد الله بقوم سوءا فلا مرد له ومالهم من دونه من وال)[(٩)] .

وقال تعالى : (لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله)[(١٠)] ، وقال موسى : (ستجدني ان شاء الله صابرا)[(١١)] ، وقال اسماعيل : (ستجدني ان شاء الله من الصابرين)[(١٢)] ، وقال صاحب مدين لموسى عليه الصلاة والسلام : (ستجدني ان شاء الله من الصالحين)[(١٣)] .

وأدوات الشرط تخلص الفعل[(١٤)] للاستقبال ، ومن هذا الباب قوله صلى الله عليه وسلم : (من حلف فقال : ان شاء الله فان شاء فعل ،

---

(١) سورة التوبة : ١٠٥ .
(٢) سورة فصلت : ١١ .
(٣) سورة الأعراف : ٥٤ .
(٤) سورة البقرة : ٢١٠ .
(٥) سورة الأنعام : ١٥٨ .
(٦) سورة الفجر : ٢٢ .
(٧) سورة يونس : ١٤ .
(٨) سورة الاسراء : ١٦ .
(٩) سورة الرعد : ١١ .
(١٠) سورة الفتح : ٢٧ .
(١١) سورة الكهف : ٦٩ .
(١٢) سورة الصافات : ١٠٢ .
(١٣) سورة القصص : ٢٧ .
(١٤) ص : الفعل المضارع .

وان شاء ترك) . رواه أهل السنن (١) ، واتفق الفقهاء على ذلك .

وكذلك مافي الصحيحين من قول النبي صلى الله عليه وسلم عن سليمان عليه السلام : (أنه قال : لأطوفن الليلة على تسعين امرأة ، تأتي كل امرأة بفارس يقاتل في سبيل الله . فقال له صاحبه : قل ان شاء الله . فلم يقل ، فلم تلد منهن الا امرأة جاءت بشق ولد . قال النبي صلى الله عليه وسلم : فلو قال ان شاء الله ، لقاتلوا في سبيل الله فرسانا أجمعين) (٢) .

---

(١) ورد بهذا المعنى حديثان صحيحان ، فعن عبدالله بن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدة ألفاظ ، منها في سنن النسائي ٧ / ١٢ كتاب الأيمان والنذور ، من حلف فاستثنى : (من حلف فاستثنى فان شاء مضى ، وان شاء ترك غير حنث) ، ٧ / ٢٣ : (من حلف فقال : ان شاء الله ، فقد استثنى) ، (من حلف على يمين فقال : ان شاء الله ، فهو بالخيار ، ان شاء أمضى ، وان شاء ترك) .
والحديث في مسند أحمد (ط. المعارف) ٦ / ٢٣٦ - ٢٣٧ رقم ٤٥١٠ ، ٦ / ٢٦٢ رقم ٤٥٨١ ، ٧ / ١٣٥ رقم ٥٠٩٣ ، ٧ / ٢٢٣ رقم ٥٣٦٢ ، ٧ / ٢٢٤ رقم ٥٣٦٣ ؛ وسنن أبي داود (عون المعبود ٩ / ٨٧ - ٨٨) كتاب الأيمان والنذور ، باب الاستثناء في اليمين ، وسنن الترمذي (تحفة الأحوذي ٥ / ١٢٩) النذور والأيمان ، باب في الاستثناء في اليمين ، سنن ابن ماجة ١ / ٦٨٠ رقم ٢١٠٥ ، ٢١٠٦ كتاب الكفارات ، باب الاستثناء في اليمين .
وعن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من حلف على يمين فقال : ان شاء الله ، فقد استثنى) كذا عند النسائي ٧ / ٢٩ ، وعند أحمد (ط. المعارف) ١٥ / ٢٢٢ رقم ٨٠٧٤ والترمذي ٥ / ١٣١ (من حلف فقال : ان شاء الله لم يحنث) وعند ابن ماجة رقم ٢١٠٤ (... فله ثنياه) .
وقد صحح أحمد شاكر اسناد حديث أبي هريرة في شرحه للمسند ١٥ / ٢٢٢ - ٢٢٣ ، وخطأ من قال : انه اختصار من قصة سليمان عليه السلام ، التي سيذكر ابن تيمية حديث أبي هريرة فيها الآن .

(٢) الحديث عن أبي هريرة بروايات مختلفة ، ومن ذلك الاختلاف في عدد النساء ، فقد ورد ستون ، وسبعون ، وتسعون ، وتسع وتسعون ، ومائة .
هو في صحيح البخاري (فتح الباري ٦ / ٣٤ رقم ٢٨١٩) كتاب الجهاد باب من طلب الولد للجهاد ، وتكرر بالأرقام ٣٤٢٤ ، ٥٢٤٢ ، ٦٦٣٩ ، ٦٧٢٠ ، ٧٤٦٩ ، وصحيح مسلم ٣ / ١٢٧٥ - ١٢٧٦ رقم ١٦٥٤ كتاب الايمان ، باب الاستثناء ؛ وسنن النسائي ٧ / ٢٣ كتاب الأيمان والنذور ، اذا حلف فقال له رجل : ان شاء الله ، هل له استثناء ؟ ؛ ٧ / ٢٩ كتاب الأيمان والنذور ، الاستثناء ؛ سنن الترمذي (تحفة الأحوذي ٥ / ١٣١ - ١٣٢) النذور والأيمان ، باب في الاستثناء في اليمين ؛ مسند أحمد (ط. المعارف) ١٢ / ١٠٦ رقم ٧١٣٧ ، ١٤ / ١٣٤ رقم ٧٧٠١ .

وقال تعالى : (كل يوم هو في شأن)[١] ، وقال تعالى : (فاذهبا بآياتنا انا معكم مستمعون)[٢] ، وقال تعالى لموسى وهارون : (انني معكما أسمع وأرى)[٣] ، وقال تعالى : (أم يحسبون أنا لانسمع سرهم ونجواهم بلى ورسلنا لديهم يكتبون)[٤] ، وقال تعالى : (لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن أغنياء)[٥] ،وقال تعالى : (قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها)[٦] .

وقال تعالى : (الله نزل أحسن الحديث)[٧]، وقال تعالى : (فبأى حديث بعده يؤمنون)[٨] ، وقال تعالى : (ومن أصدق من الله حديثا)[٩]، وقال تعالى : (فلما آسفونا انتقمنا منهم)[١٠] ، وقال تعالى : (ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه فأحبط أعمالهم)[١١] ، وقال تعالى : (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم)[١٢] ، وقال تعالى : (ان تكفروا فان الله غني عنكم ولا يرضى لعباده الكفر وان تشكروا يرضه لكم)[١٣] .
فأخبر أن طاعته سبب لمحبته ورضاه ، ومعصيته سبب لسخطه وأسفه .
وقال تعالى : (فاذكروني أذكركم)[١٤] . وجواب الشرط مع الشرط كالمسبب مع سببه[١٥] .

---

(١) سورة الرحمن : ٢٩ .
(٢) سورة الشعراء : ١٥ . وفي (ص ، ن ، ك) : (فاذهبوا . . .) وهو تحريف .
(٣) سورة طه : ٤٦ .
(٤) سورة الزخرف : ٨٠ .
(٥) سورة آل عمران : ١٨١ .
(٦) سورة المجادلة : ١ .
(٧) سورة الزمر : ٢٣ .
(٨) سورة الأعراف : ١٨٥ .
(٩) سورة النساء : ٨٧ .
(١٠) سورة الزخرف : ٥٥ .
(١١) سورة محمد : ٢٨ .
(١٢) سورة آل عمران : ٣١ .
(١٣) سورة الزمر : ٧ .
(١٤) سورة البقرة : ١٥٢ . وفي (ص ، ن ، ك) : (اذكروني أذكركم) بسقوط الفاء .
(١٥) ن ، ك : كالسبب مع مسببه .

ومثله في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى[1] أنه قال : (من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ،ومن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم ، ومن تقرب الي شبرا تقربت اليه ذراعا ، ومن تقرب الي ذراعا تقربت اليه باعا ، ومن أتاني يمشي أتيته هرولة[2]) .

وقال تعالى : (ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما[3]) .

وأما أفعاله المتعدية الى المفعول به الحادثة ، وذكرها في القرآن العزيز فكثير جدا ؛ كقوله : (ولسوف يعطيك ربك فترضى)[4]، وقوله تعالى : فسنيسره لليسرى)[5] ، (فسنيسرة للعسرى)[6] ، / وقوله تعالى : (فسوف يحاسب حسابا يسيرا)[7] ، وقوله تعالى : (من نطفة خلقه فقدره . ثم السبيل يسره . ثم أماته فأقبره . ثم اذا شاء أنشره . كلا لما يقض ما أمره . فلينظر الانسان الى طعامه . أنا صببنا الماء صبا . ثم شققنا الأرض شقا[8]) .

ج ٤٦

---

(١) فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى : ليست في (ن ،ك) .

(٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : (يقول الله تعالى : أنا عند ظن عبدى بي ،وأنا معه اذا ذكرني ،فان ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ،وان ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم ، وان تقرب الي شبرا تقربت اليه ذراعا ، وان تقرب الي ذراعا تقربت اليه باعا ، وان أتاني يمشي أتيته هرولة) .
الحديث في صحيح البخارى (فتح البارى ١٣ / ٣٨٤ رقم ٧٤٠٥) كتاب التوحيد ،باب قول الله تعالى : (ويحذركم الله نفسه) وهذا لفظه ، وصحيح مسلم ٤ / ٢٠٦١ رقم ٢٦٧٥ كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ،باب الحث على ذكر الله تعالى ، ٤ / ٢٠٦٧- ٢٠٦٨ باب فضل الذكر والدعاء والتقرب الى الله تعالى ، ومسند أحمد (ط. المعارف) ١٣ / ١٥٤-١٥٥ رقم ٧٤١٦ ؛ وسنن الترمذى (تحفة الأحوذى ١٠ / ٦٣- ٦٤) الدعوات ،باب حدثنا أبو كريب محمد بن العلاء . . . الخ ؛ سنن ابن ماجة ٢ / ١٢٥٥- ١٢٥٦ رقم ٣٨٢٢ كتاب الأدب باب فضل العمل .

(٣) سورة النساء : ٩٣ .

(٤) سورة الضحى : ٥ .

(٥) سورة الليل : ٧ .

(٦) سورة الليل : ١٠ .

(٧) سورة الانشقاق : ٨ . بعد هذه الآية في النسخ الثلاث (ص ،ن ،ك) ورد : فسوف يحاسب حسابا عسيرا - لكن في (ص) عدلت الكلمة الأخيرة لتكون " يسيرا " - وليس هذا في القرآن .

(٨) سورة عبس : ١٩- ٢٦ .

وقوله تعالى : (وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه)[1] ، وقوله تعالى : (ألم نهلك الأولين . ثم نتبعهم الآخرين .)[2] ، وقوله تعالى[3] : (ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين . ثم جعلناه نطفة في قرار مكين . ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين)[4] ، وقال تعالى : (خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج يخلقكم في بطون امهاتكم خلقا من بعد خلق في ظلمات ثلاث ذلكم الله ربكم له الملك لا اله الا هو فأنى تصرفون)[5] .

وقوله تعالى : (أأنتم أشد خلقا أم السماء بناها . رفع سمكها فسواها . وأغطش ليلها وأخرج ضحاها . والأرض بعد ذلك دحاها . أخرج منها ماءها ومرعاها)[6] ، وقوله تعالى : (ثم أرسلنا رسلنا تترى كلما جاء أمة رسولها كذبوه)[7] . وقوله تعالى : (كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم اليه ترجعون)[8] ، وقوله تعالى[9] : (من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه)[10] ، وقوله[11] تعالى : (ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون)[12] ، وقوله تعالى : (ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا)[13] .

---

(١) سورة الروم : ٢٧ .
(٢) سورة المرسلات : ١٦-١٧ .
(٣) ن ،ك : وقوله تبارك وتعالى .
(٤) سورة المؤمنون : ١٢-١٤ .
(٥) سورة الزمر : ٦ . في (ص) : (خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها ...) وهذا جزء من الآية الأولى في سورة النساء . وفي (ن،ك) : (خلقكم من نفس واحدة ثم خلق منها زوجها ...) وهذا تحريف .
(٦) سورة النازعات : ٢٧-٣١ . في (ن ،ك) (... فسواها أخرج منها ماءها ومرعاها) .
(٧) سورة المؤمنون : ٤٤ .
(٨) سورة البقرة : ٢٨ . هذه الآية سقطت من (ن ،ك) .
(٩) ن ،ك : وقال .
(١٠) سورة المائدة : ٥٤ .
(١١) ك : وقال .
(١٢) سورة الجاثية : ١٨ .
(١٣) سورة فاطر : ٣٢ .

ومثل هذا كثير في القرآن ، والاحتجاج به ظاهر على قول الجمهور، الذين يجعلون الخلق غير المخلوق ، وهو الصواب ، فان الذين يقولون : الخلق هو المخلوق قولهم فاسد ،وقد بين فساده في غير هذا الموضع .

وشبهتهم أنه لو كان غيره لكان ان كان قديما لزم قدم المخلوق ،وان كان محدثا احتاج الى خلق آخر فلزم التسلسل ، وان كان قائما به فيكون محلا للحوادث .

وقد أجابهم الناس عن هذا ، كل قوم بجواب يبين فساد قولهم : فطائفة[1] منعت قدم المخلوق ، [وان كان الخلق قديما[2]] كالارادة ؛ فانهم[3] سلموا أنها قديمة مع حدوث المراد .

وطائفة منعت قيامه به ،وقالت : لا يقوم به الخلق ، فلا يكون محلا للحوادث . فاذا قالوا : ان الخلق هو المخلوق ولا يقوم به ، فلأن يجوز أن يكون غير المخلوق ولا يقوم به أولى .

وطائفة قالت : لا نسلم أنه اذا افتقر المخلوق المنفصل الى خلق : أن يفتقر مايقوم به من الخلق الى خلق آخر ، بل يكفي فيه القدرة والمشيئة ، فانكم اذا جوزتم وجود الحادث الذى يباينه بمجرد القدرة والمشيئة : فوجود مالا يباينه بهما أولى بالجواز . وهؤلاء وغيرهم ينازعونهم في قيام الحوادث به .

وطائفة منعت امتناع التسلسل في الآثار والأفعال ، وقالت انما يمتنع في الفاعلين / لا في الفعل ، كما قد بسط في موضع آخر. ظ ٤٦

دلالة الأحاديث على أفعال الله

وأما الأحاديث الدالة على هذا الأصل ،التي في الصحاح والسنن والمسانيد وغيرها عن النبي صلى الله عليه وسلم ـ فأكثر من أن يحصيها واحد ؛

---

(١) ص ،ن ،ك : وطائفة . ولعل الصواب ما أثبته .
(٢) مابين المعكوفين اضافة مني ، وقد ترك مكانه في (ص ،ن) بياضا .
(٣) أى الذين يقولون : الخلق هو المخلوق .

كقوله في الحديث المتفق على صحته عن زيد بن خالد ،قال : صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح بالحديبية[1] ، على اثر سماء كانت من الليل ،فقال : (أتدرون ماذا قال ربكم الليلة ؟ قال : أصبح من عبادى موءمن بي وكافر بي ، فمن قال : مطرنا بفضل الله ورحمته . فهو موءمن بي كافر بالكوكب ، ومن قال : مطرنا بنوء كذا وكذا . فهو كافر بي موءمن بالكوكب)[2] .

وفي الصحيحين في حديث الشفاعة يقول كل من أولي العزم من الرسل ، مع آدم : ان ربي قد غضب اليوم غضبا شديدا ، لم يغضب قبله مثله ، ولن يغضب بعده مثله[3]) ، وقوله في الحديث الصحيح : (اذا تكلم الله بالوحي سمع أهل السماء كجر السلسلة على الصفوان[4]) ، وقوله في الحديث الصحيح : (ان الله يحدث من أمره مايشاء[5] ، وان مما[6] أحدث أن لا تتكلموا[7] في الصلاة[8]) ،

---

(١) ك : صلاة الحديبية .

(٢) الحديث عن زيد بن خالد الجهني ، أخرجه البخارى (فتح البارى ٢/ ٣٣٣ رقم ٨٤٦) كتاب الأذان ،باب يستقبل الامام الناس اذا سلم ،وكرر برقم ١٠٣٨ ورقم ٤١٤٧ ؛ ومسلم (١/ ٨٣-٨٤ رقم ٧١ كتاب الايمان ،باب بيان كفر من قال مطرنا بالنوء ؛ أبو داود (عون المعبود ١٠/ ٤٠١-٤٠٢) كتاب الكهانة والتطير، باب في النجوم ؛ أحمد (المسند ط. الحلبي ٤/ ١١٧) ، مالك في الموطأ (١/ ١٩٢ كتاب الاستسقاء ،باب الاستمطار بالنجوم .

(٣) الحديث عن أبي هريرة ،قال : أتي رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما بلحم ، فرفع اليه الذراع وكانت تعجبه ، فنهس منها نهسة ، فقال : (أنا سيد الناس يوم القيامة ، وهل تدرون لم ذلك ، يجمع الله عز وجل الأولين والآخرين في صعيد واحد فيقول بعض الناس لبعض : ألا ترون الى ما أنتم فيه ؟ ألا ترون الى ماقد بلغكم ؟ ألا تنظرون من يشفع لكم الى ربكم ...) وفيه أنهم يأتون آدم ثم نوحا ثم ابراهيم ثم موسى ثم عيسى ، وكل منهم يعتذر ، ويقول : (ان ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله) ، وليس فيه (غضبا شديدا) .
في صحيح البخارى (فتح البارى ٨/ ٣٩٥ - ٣٩٦ رقم ٤٧١٢) كتاب التفسير ،باب ذرية من حملنا مع نوح انه كان عبدا شكورا [سورة الاسراء : ٣] ؛ وصحيح مسلم ١/ ١٨٤- ١٨٦ كتاب الايمان ، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها ؛ وسنن الترمذى (تحفة الأحوذى ٧/ ١٢١-١٢٦) صفة القيامة ، باب ماجاء في الشفاعة ؛ ومسند أحمد (ط. الحلبي) ٢/ ٤٣٥-٤٣٦ .

(٤) تقدم هذا الحديث ،ص١٩٣ .

(٥) ص ،ن : ماشاء .

(٦) ن ،ك : ومما .

(٧) ك : أن لا يتكلموا .

(٨) الحديث عن عبد الله بن مسعود ،أخرجه أبو داود (عون المعبود ٣/ ١٩٣) كتاب الصلاة ، باب رد السلام في الصلاة ،النسائي في سننه ٣/ ١٦-١٧ كتاب السهو، الكلام في الصلاة ، أحمد (ط. المعارف) ٥/ ٢٠٠ رقم ٣٥٧٥ ،وذكره البخارى في صحيحه (فتح البارى ١٣/ ٤٩٦)كتاب التوحيد باب قول الله تعالى (كل يوم هو في شأن) سورة الرحمن : ٢٩ . معلقا بصيغة الجزم .

وقوله صلى الله عليه وسلم في حديث التجلي ، المتفق على صحته من غير وجه : (ويقولون : هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا ، فاذا جاء ربنا عرفناه ، فيأتيهم الله في صورته التي يعرفون)[(١)] .

وقوله في الحديث المتفق عليه من وجوه متعددة[(٢)] : (لله أشد فرحا بتوبة عبده المؤمن ممن أضل راحلته بأرض دوية مهلكة ، عليها طعامه وشرابه ، فنام تحت شجرة ينتظر الموت ، فلما استيقظ اذا بدابته عليها طعامه وشرابه ، فالله أشد فرحا بتوبة عبده من هذا براحلته)[(٣)] .

وقوله في الحديث الصحيح :(يضحك الله الى رجلين يقتل أحدهما الآخر كلاهما يدخل الجنة)[(٤)] ، وقوله في حديث الرجل الذى هو آخر

---

(١) أخرج البخارى في صحيحه (فتح البارى ١٣/ ٤١٩ رقم ٧٤٣٧) كتاب التوحيد ، باب قول الله تعالى : (وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة) سورة القيامة : ٢٢ ، ٢٣ ، وأخرجه قبل ذلك بالأرقام ٨٠٦ ، ٦٥٧٣ ، ومسلم في صحيحه ١/ ١٦٣- ١٦٧ رقم ٢٩٩ كتاب الايمان ، باب معرفة طريق الروئية ، وأحمد في مسنده (ط. المعارف) ١٤/ ١٣٥- ١٤٤ رقم ٧٧٠٣ ، ١٥/ ٥١- ٦٥ رقم ٧٩١٤ عن أبي هريرة رضي الله عنه أن الناس قالوا : يارسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (هل تضارون في القمر ليلة البدر ؟) قالوا : لا ، يارسول الله ، قال : (فهل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب ؟) قالوا : لا ، يارسول الله . قال : (فانكم ترونه كذلك ، يجمع الله الناس يوم القيامة ، فيقول : من كان يعبد شيئا فليتبعه ، فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس ، ويتبع من كان يعبد القمر القمر ، ويتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت ، وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها ، فيأتيهم الله فيقول : أنا ربكم . فيقولون : هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا ، فاذا جاء ربنا عرفناه . فيأتيهم الله في صورته التي يعرفون ، فيقول : أنا ربكم . فيقولون : أنت ربنا فيتبعونه . . .) . وفي آخر الحديث يقول عطاء بن يزيد الليثي ، الراوى عن أبي هريرة : " وأبو سعيد الخدرى جالس مع أبي هريرة ، لا يغير عليه شيئا من حديثه . . . " الى أن خالفه في آخر الحديث في الرجل الذى هو آخر من يدخل الجنة ، وسيأتي بعد قليل.

(٢) عبارة " من وجوه متعددة " : في (ص) فقط ، وليست في (ن ، ك) .

(٣) الحديث عن عبد الله بن مسعود في صحيح البخارى (فتح البارى ١١/ ١٠٢ رقم ٦٣٠٨) كتاب الدعوات ، باب التوبة ؛ وصحيح مسلم ٤/ ٢١٠٣ رقم ٢٧٤٤ كتاب التوبة ، باب الحض على التوبة والفرح بها ؛ ومسند الامام أحمد (ط. المعارف) ٥/ ٢٢٥- ٢٢٦ رقم ٣٦٢٧ .
وأقرب الألفاظ الى ماهنا مافي صحيح مسلم .
وقد وردت بهذا المعنى أحاديث أخر عن أبي هريرة ، والنعمان ابن بشير والبراء بن عازب وأنس ابن مالك ، انظرها في صحيح مسلم ٤/ ٢١٠٢- ٢١٠٥ وعن أبي سعيد في سنن ابن ماجة ٢/ ١٤١٩ رقم ٤٢٤٩ .

(٤) عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (يضحك الله الى رجلين يقتل أحدهما الآخر كلاهما يدخل الجنة) فقالوا : كيف يارسول الله ؟ قال : (يقاتل هذا في سبيل الله عز وجل فيستشهد ، ثم يتوب الله على القاتل فيسلم ، فيقاتل في سبيل الله عز وجل فيستشهد) . هذا أحد لفظي مسلم . / =

من يدخل الجنة ، وهو حديث أبي هريرة الذى يقول الله تعالى[1] فيه :
(أو لست قد أعطيت العهود والمواثيق أن لا تسأل غير الذى أعطيت.
فيقول : يارب لا تجعلني أشقى خلقك . فيضحك الله منه ، ثم يأذن له في دخول
الجنة)[2] ، وفي حديث ابن مسعود ـ وهو حديث آخر ـ قال النبي صلى الله
عليه وسلم : (فيقول الله : يا ابن آدم ، أترضى أن أعطيك الدنيا ومثلها
معها ؟ فيقول : أى رب أتستهزئ بي وأنت رب العالمين ؟ وضحك رسول
الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : ألا تسألوني مم ضحكت ؟ فقالوا : لم
ضحكت ؟ فقال : من ضحك رب العالمين حين قال : أتستهزئ بي وأنت رب
العالمين ؟ فيقول : اني لا أستهزئ بك ، ولكني على ما أشاء قادر)[3] ،

/ = الحديث في صحيح البخارى (فتح البارى ٦/ ٣٩ رقم ٢٨٢٦) كتاب الجهاد ، باب الكافر يقتل المسلم ، ثم يسلم فيسدد بعد ويقتل ، وصحيح مسلم ٣/ ١٥٠٤، ١٥٠٥ رقم ١٨٩٠ كتاب الامارة ، باب بيان الرجلين يقتل أحدهما الآخر يدخلان الجنة ؛ وسنن النسائي ٦/ ٣٢ كتاب الجهاد ، اجتماع القاتل والمقتول في سبيل الله في الجنة ؛ وسنن ابن ماجة ١/ ٦٨ رقم ١٩١ ، المقدمة ، باب فيما أنكرت الجهمية ؛ ومسند أحمد (ط. المعارف) ١٣/ ٤٥ رقم ٧٣٢٢، (ط. الحلبي) ٢/ ٣١٨، ٤٦٤، ٥١١ ؛ وموطأ مالك ٢/ ٤٦٠ كتاب الجهاد ، باب الشهداء في سبيل الله .

(١) تعالى : ليست في (ك) .

(٢) هذا بعض من حديث أبي هريرة المتقدم ، ص ٢٢٨ ت ١ ، ولفظ البخارى (فتح البارى ٢/ ٢٩٣ رقم ٨٠٦) كتاب الأذان ، باب فضل السجود : (... ثم يفرغ الله من القضاء بين العباد ، ويبقى رجل بين الجنة والنار ـ وهو آخر أهل النار دخولا الجنة ـ مقبل بوجهه قبل النار ، فيقول : يارب ، اصرف وجهي عن النار ، قد قشبني ريحها ، وأحرقني ذكاؤها . فيقول : هل عسيت ان فعل ذلك بك أن تسأل غير ذلك ؟ فيقول : لا ، وعزتك . فيعطى الله مايشاء من عهد وميثاق ، فيصرف الله وجهه عن النار ... فيقول : يارب أدخلني الجنة . فيقول الله : ويحك يا ابن آدم ، ما أغدرك ، أليس قد أعطيت العهود والميثاق أن لا تسأل غير الذى أعطيت ؟ فيقول : يارب لا تجعلني أشقى خلقك ، فيضحك الله عز وجل منه ، ثم يأذن له في دخول الجنة ، فيقول : تمن ، فيتمنى ... حتى اذا انتهت به الأماني ، قال الله تعالى : لك ذلك ومثله معه) ... قال أبو سعيد : اني سمعته يقول : (ذلك لك وعشرة أمثاله) .

(٣) أخرجه البخارى (فتح البارى ١١/ ٤١٨- ٤١٩ رقم ٦٥٧١) كتاب الرقاق ، باب صفة الجنة والنار ؛ ومسلم ١/ ١٧٣- ١٧٥ رقم ١٨٦ ، ١٨٧ كتاب الايمان ، باب آخر أهل النار خروجا ، وأحمد في المسند (ط. المعارف) ٥/ ٢٦٩- ٢٧٠ رقم ٣٧١٤ ، ٥/ ٣٤٤- ٣٤٥ رقم ٣٨٩٩ ، وابن ماجة ٢/ ١٤٥٢- ١٤٥٣ رقم ٤٣٣٩ كتاب الزهد ، باب صفة الجنة .
وأقرب الألفاظ الى ماهنا رواية مسلم (رقم ١٨٧) وفيها ، عن ابن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (آخر من يدخل الجنة رجل ، فهو يمشي مرة ، ويكبو مرة ، وتسفعه النار مرة ، ... فيسمع أصوات أهل الجنة ، فيقول : أى رب ، أدخلنيها ، فيقول : يا ابن آدم ، مايصريني منك ؟ أيرضيك أن أعطيك الدنيا ومثلها معها ؟ قال : يارب أتستهزئ مني وأنت رب العالمين ؟) ./ =

وفي حديث أبي رزين[(١)] عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (ينظر اليكم أَزلين[(٢)] قنطين، فيظل يضحك، يعلم أن فرجكم قريب) ؛ فقال له أبو رزين: أو يضحك الرب ؟ قال: (نعم) قال: لن نعدم[(٣)] من / رب يضحك خيرا[(٤)].

ج ٤٧

وفي الحديث الصحيح: (يقول الله تعالى: قسمت الصلاة بيني وبين عبدى نصفين: فنصفها[(٥)] لي ونصفها لعبدى، ولعبدى ماسأل ؛ فاذا قال العبد (الحمد لله رب العالمين) قال الله: حمدني عبدى. فاذا قال: (الرحمن الرحيم). قال الله أثنى علي عبدى. فاذا قال: (مالك يوم الدين)

= / فضحك ابن مسعود، فقال: ألا تسألوني مم أضحك ؟ فقالوا: مم تضحك ؟ قال: هكذا ضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالوا: مم تضحك يارسول الله ؟ قال: (من ضحك رب العالمين، حين قال: أتستهزئ مني وأنت رب العالمين، فيقول: اني لا أستهزئ منك، ولكني على ما أشاء قادر).

(١) هو أبو رزين لقيط بن عامر - ويقال: لقيط بن صبرة - بن المنتفق العقيلي له صحبه، عداده في أهل الطائف.
انظر: التاريخ الكبير للبخارى ٧/ ٢٤٨ ؛ الجرح والتعديل ٧/ ١٧٧ ؛ الاستيعاب ٣/ ١٣٤٠، ٤/ ١٦٥٧ ؛ الاصابة ٥/ ٦٨٦- ٦٨٧ ؛ تهذيب التهذيب ٨/ ٤٥٦- ٤٥٧.

(٢) ك: أذلين.

(٣) ص: لا نعدم.

(٤) الحديث في مسند الامام أحمد (ط. الحلبي) ٤/ ١١، ١٢ وسنن ابن ماجة ١/ ٦٤ رقم ١٨١ المقدمة، باب فيما أنكرت الجهمية، عن أبي رزين، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ضحك ربنا من قنوط عباده، وقرب غيره) قال: قلت: يارسول الله، أو يضحك الرب ؟. قال: (نعم)، قلت: لن نعدم من رب يضحك خيرا.
وهو في المسند (ط. الحلبي) ٤/ ١٣، ومستدرك الحاكم ٤/ ٥٦٠- ٥٦١، وفيه قول الرسول صلى الله عليه وسلم: (ضن ربك عز وجل بمفاتيح خمس من الغيب لا يعلمها الا الله) وذكر منها (وعلم اليوم الغيث، يشرف عليكم أزلين أذلين مشفقين، فيظل يضحك، قد علم أن غيركم الى قرب) قال لقيط: لن نعدم من رب يضحك خيرا.
في النهاية لابن الأثير ١/ ٤٦ مادة أزل، فيه (عجب ربكم من أزلكم وقنوطكم) ... الأزل: الشدة والضيق، وقد أَزِل الرجل يأزَل أزْلا، أى صار في ضيق وجَدْب، كأنه أراد من شدة يأسكم وقنوطكم ".
وكلمة " أذلين " في " المسند " فقط، وليست في " المستدرك "، ولم أجدها في كتب غريب الحديث، لكن قال ابن الأثير في النهاية ٢/ ١٣١: " وقد تكرر ذكر " الدَّل " في الحديث، وهو الهَدْى والسَّمْت عبارة عن الحالة التي يكون عليها الانسان من السكينة والوقار، وحسن السيرة والطريقة واستقامة المنظر والهيئة ".
وفي لسان العرب، مادة " دلل ": " المُدَلِّل الذى يتجنى في غير موضع تجن ... والأَدَل: المنان بعمله ... والدَّلدال الاضطراب ... ومر يُدَلدل ويَتَدَلدَل في مشيه اذا اضطرب، ووقع القوم في دَلدال وبَلبال، اذا اضطرب أمرهم وتذبذب ".

(٥) ص: نصفها.

قال الله : مجدني عبدى . فاذا قال : (اياك نعبد واياك نستعين) . قال الله[1] : هذه الآية بيني وبين عبدى نصفين ، ولعبدى ماسأل . فاذا قال : (اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين) . قال الله : هؤلاء لعبدى ، ولعبدى ماسأل[2]) .

وقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح المتفق عليه : (ينزل ربنا كل ليلة الى سماء الدنيا ، حين يبقى ثلث الليل الآخر ، فيقول : من يدعوني فاستجيب له ؟ من يسألني فأعطيه ؟ من يستغفرني فأغفر له ؟ حتى يطلع الفجر)[3].

وقوله في الحديث الصحيح ، حديث الأنصارى الذى أضاف رجلا وآثره على نفسه وأهله ، فلما أصبح الرجل وغدا على النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : (لقد ضحك الله الليلة ـ أو قال : عجب ـ من فعالكما ـ أو قال : من أفعالكما ـ الليلة) وأنزل الله تعالى : (ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة[4]) .

---

(١) ن ،ك : الله عز وجل .

(٢) الحديث عن أبي هريرة ، في صحيح مسلم ١/ ٢٩٦ رقم ٣٩٥ كتاب الصلاة ، باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة . . . ؛ وسنن أبي داود (عون المعبود ٣/ ٣٨- ٤١) كتاب الصلاة ، باب من ترك القراءة في صلاته بفاتحة الكتاب ؛ وسنن النسائي ٢/ ١٠٥ كتاب الافتتاح ، ترك قراءة بسم الله الرحمن الرحيم في فاتحة الكتاب ؛ وسنن الترمذى (تحفة الأحوذى ٨/ ٢٨٣ - ٢٨٥) تفسير القرآن ، سورة فاتحة الكتاب ؛ وسنن ابن ماجة ٢/ ١٢٤٣ - ١٢٤٤ رقم ٣٧٨٤ ، كتاب الأدب ، باب ثواب القرآن ؛ ومسند أحمد (ط. المعارف) ١٣/ ١٥- ١٧ رقم ٧٢٨٩ ، ١٥/ ٢٣١- ٢٣٢ رقم ٧٨٢٣ ؛ وموطأ مالك ١/ ٨٤- ٨٥ كتاب الصلاة ، باب القراءة خلف الامام فيما لا يجهر فيه بالقراءة .

(٣) سبق تخريج الحديث ، ص ١٨٥ ت ١١.

(٤) سورة الحشر: ٩ . في صحيح البخارى (فتح البارى ٧/ ١١٩ رقم ٣٧٩٨) كتاب مناقب الأنصار ، باب قول الله عز وجل : (ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة) عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم ، فبعث الى نسائه ، فقلن : مامعنا الا الماء ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من يضم - أو يضيف - هذا ؟) فقال رجل من الأنصار: أنا . فانطلق به الى امرأته ، فقال : اكرمي ضيف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت : ماعندى الا قوت صبياني ، فقال : هيئي طعامك واصبحي سراجك ، ونومي صبيانك اذا أرادوا عشاء . فهيأت طعامها ، وأصبحت سراجها ، ونومت صبيانها ، ثم قامت كأنها تصلح سراجها فأطفأته ، فجعلا يريانه أنهما يأكلان ، فباتا طاويين ، فلما أصبح غدا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : (ضحك الله الليلة - أو عجب - من فعالكما) فأنزل الله : (ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون) .

وبنحوه (٨/ ٦٣١ رقم ٤٨٨٩) كتاب التفسير ، باب (ويؤثرون على أنفسهم) الآية . والحديث في صحيح مسلم ٣/ ١٦٢٤ رقم ٢٠٥٤ كتاب الأشربة ، باب اكرام الضيف وفضل ايثاره ، بلفظ (قد عجب الله من صنيعكما بضيفكما الليلة) فقط دون (ضحك) . / =

وفي الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : (الدنيا حلوة خضرة ، وان الله مستخلفكم فيها لينظر كيف تعملون ؟ فاتقوا الدنيا ، واتقوا النساء)[١] ، وفي الصحيح عنه أنه قال : (ان الله لا ينظر الى صوركم وأموالكم ، وانما ينظر الى قلوبكم وأعمالكم)[٢] ، وفي الصحيحين عن أبي واقد الليثي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان قاعدا في أصحابه ، اذ جاءه ثلاثة نفر ، فأما رجل فرأى في الحلقة فرجة فجلس فيها ، وأما رجل فجلس خلفهم ، وأما رجل فانطلق . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : (ألا أخبركم عن هؤلاء النفر ؟ أما الرجل الذى جلس في الحلقة فرجل أوى الى الله فآواه الله ، وأما الرجل الذى جلس في خلف الحلقة فاستحيا ، فاستحيا الله منه ، وأما الرجل الذى انطلق فأعرض فأعرض الله عنه)[٣] .

= / قال ابن حجر في فتح البارى ٧ / ١٢٠ : " وقوله فعالكما ، في رواية فعلكما بالافراد ، قال في البارع : الفعال بالفتح اسم الفعل الحسن ، مثل الجود والكرم ، وفي التهذيب : الفعال بالفتح فعل الواحد في الخير خاصة ، يقال : هو كريم الفعال ، بفتح الفاء ، وقد يستعمل في الشر ، والفعال بالكسر اذا كان الفعل بين اثنين ، يعني أنه مصدر فاعل مثل قاتل قتالا " .

(١) هذا بعض من حديث عن أبي سعيد الخدرى ، في صحيح مسلم ٤ / ٢٠٩٨ رقم ٢٧٤٢ كتاب الرقاق ، باب أكثر أهل الجنة الفقراء . . . ؛ وسنن الترمذى (تحفة الأحوذى ٦ / ٤٢٨ - ٤٣٢) الفتن ، باب ما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه بما هو كائن الى يوم القيامة ؛ وسنن ابن ماجة ٢ / ١٣٢٥ رقم ٤٠٠٠ ، كتاب الفتن ، باب فتنة النساء ؛ ومسند أحمد (ط. الحلبي) ٣ / ١٩ ، ٢٢ ، وأوله : (ان الدنيا . . .) .

(٢) الحديث عن أبي هريرة ، في صحيح مسلم ٤ / ١٩٨٧ كتاب البر والصلة والآداب ، باب تحريم ظلم المسلم . . . ؛ وسنن ابن ماجة ٢ / ١٣٨٨ رقم ٤١٤٣ كتاب الزهد ، باب القناعة ، ومسند أحمد (ط. المعارف) ١٤ / ٢٢٧ رقم ٧٨١٤ .
عند مسلم وأحمد (ولكن ينظر) ، وعند ابن ماجة (ولكن انما ينظر) .

(٣) صحيح البخارى (فتح البارى ١ / ١٥٦ رقم ٦٦) كتاب العلم ، باب من قعد حيث ينتهي به المجلس . . . ؛ (١ / ٥٦٢ رقم ٤٧٤) كتاب الصلاة ، باب الحلق والجلوس في المسجد ؛ صحيح مسلم ٤ / ١٧١٣ رقم ٢١٧٦ كتاب السلام ، باب من أتى مجلسا فوجد فرجة فجلس فيها ، والا وراءهم ؛ سنن الترمذى (تحفة الأحوذى ٧ / ٥٠٩ - ٥١٢) الاستئذان والآداب ، باب حدثنا الأنصارى . . . ؛ مسند أحمد (ط. الحلبي) ٥ / ٢١٩ ؛ موطأ مالك ٢ / ٩٦٠ - ٩٦١ كتاب السلام ، باب جامع السلام .

وفي صحيح البخارى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : (يقول الله تعالى : (من عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة ، وماتقرب الي عبدى بمثل أداء ما افترضت عليه ، ولا يزال عبدى يتقرب الي بالنوافل حتى أحبه ، فاذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها ؛ فبي يسمع ، وبي يبصر ، وبي يبطش ، وبي يمشي ، ولئن سألني لأعطينه ، ولئن استعاذني لأعيذنه ، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددى عن قبض نفس عبدى المؤمن ، يكره الموت وأكره مساءته ، ولا بد له منه) [1] .

وفي الصحيحين عن البراء عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (الأنصار لا يحبهم الا مؤمن ، ولا / يبغضهم الا منافق ، من أحبهم أحبه الله ، ومن أبغضهم أبغضه الله) [2] ، وفي الصحيح عن عبادة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه). فقالت عائشة : انا لنكره الموت . قال : (ليس ذاك ، ولكن المؤمن اذا حضره الموت يبشر برضوان الله وكرامته ، فاذا بشر بذلك أحب لقاء الله وأحب الله لقاءه ، وان الكافر اذا حضره الموت بشر بعذاب الله وسخطه ، فكره لقاء الله وكره الله لقاءه) [3] .

ظ ٤٧

---

(١) في صحيح البخارى (فتح البارى ١١ / ٣٤٠ - ٣٤١ رقم ٦٥٠٢) كتاب الرقاق ، باب التواضع ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ان الله قال : من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب ، وما تقرب الى عبدى بشيء أحب الي مما افترضته عليه ...) وفي مسند أحمد (ط. الحلبي) ٦ / ٢٥٦ نحوه مختصرا عن عائشة .

(٢) الحديث عن البراء بن عازب : صحيح البخارى (فتح البارى ٧ / ١١٣ رقم ٣٧٨٣) كتاب مناقب الأنصار ، باب حب الأنصار من الايمان ؛ صحيح مسلم ١ / ٨٥ رقم ٧٥ كتاب الايمان ، باب الدليل على أن حب الأنصار وعلي رضي الله عنهم من الايمان وعلاماته ... ؛ سنن الترمذى (تحفة الأحوذى ١٠ / ٤٠٠ - ٤٠١) المناقب ، فضل الأنصار وقريش ، سنن ابن ماجة ١ / ٥٧ رقم ١٦٣ ، المقدمة ، باب فضائل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ مسند أحمد (ط . الحلبي) ٤ / ٢٨٣ ، ٢٩٢ .

(٣) صحيح البخارى (فتح البارى ١١ / ٣٥٧ رقم ٦٥٠٧) كتاب الرقاق ، باب من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ؛ صحيح مسلم ٤ / ٢٠٦٥ - ٢٠٦٦ رقم ٢٦٨٣ ، ٢٦٨٤ كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، باب من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ... ؛ سنن النسائي ٤ / ٨ ، ٩ كتاب الجنائز ، فيمن أحب لقاء الله ؛ سنن الترمذى (تحفة الأحوذى ٤ / ١٧٦ - ١٧٧) الجنائز ، باب ماجاء فيمن أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ؛ سنن ابن ماجة ٢ / ١٤٢٥ رقم ٤٢٦٤ كتاب الزهد ، باب ذكر الموت والاستعداد له ؛ مسند أحمد (ط. الحلبي) ٥ / ٣١٦ ، ٣٢١ ، ٦ / ٤٤ ، ٥٥ ، ٢٠٧ ، ٢١٨ ، ٢٣٦ ، / =

وفي الصحيحين عن أنس قال : أنزل علينا ثم كان من المنسوخ : (أبلغوا قومنا أنا لقينا ربنا فرضي عنا وأرضانا)(١) . وفي حديث عمرو بن مالك الرؤاسي(٢) قال : (أتيت النبي صلى الله عليه وسلم ، فقلت : يارسول الله ، ارض عني ، قال : فأعرض عني ، ثلاثا ، فقلت : يارسول الله ، ان الرب ليرضى [فيرضى](٣) ، فارض عني ، فرضي عني)(٤) . وفي الصحيحين عن ابن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (اشتد غضب الله على قوم فعلوا برسول الله - وهو حينئذ يشير الى رباعيته - وقال : اشتد غضب الله على رجل يقتله رسول الله في سبيل الله)(٥) .

= / بعض هذه الكتب أوردت حديث عبادة بن الصامت وفيه مراجعة عائشة ، وبعضها أوردت أصل الحديث عن عبادة ، دون قوله : " فقالت عائشة . . . الخ " ثم أوردت الحديث تاما عن عائشة ، وجاء الحديث أيضا عن أبي هريرة وأبي موسى بدون المراجعة .

(١) الحديث في صحيح البخاري (فتح الباري ٦ / ١٨ رقم ٣٠٦٤) كتاب الجهاد ، باب العون بالمدد ، وكرر برقم ٤٠٩٠ ، ٤٠٩١ ، ٤٠٩٥ ، ٤٠٩٦ ؛ وصحيح مسلم (١ / ٤٦٨ رقم ٢٩٧ كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب استحباب القنوت في جميع الصلاة اذا نزلت بالمسلمين نازلة ؛ ومسند أحمد (ط. الحلبي) ٣ / ١٠٩ ، ٢١٠ ، ٢٥٥ ، ٢٧٠ ، ٢٨٩ .
ونص البخاري رقم ٣٠٦٤ عن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم أتاه رعل وذكوان وعصية وبنو لحيان ، فزعموا أنهم أسلموا ، واستمدوه على قومهم ، فأمدهم النبي صلى الله عليه وسلم بسبعين من الأنصار ، قال أنس: كنا نسميهم " القراء " ، يحطبون بالنهار ويصلون بالليل ، فانطلقوا بهم ، حتى بلغوا بئر معونة غدروا بهم وقتلوهم ، فقنت شهرا يدعو على رعل وذكوان وبني لحيان ، قال قتادة : وحدثنا أنس أنهم قرأوا بهم قرآنا : (ألا بلغوا عنا قومنا ، بأنا قد لقينا ربنا ، فرضي عنا وأرضانا) ثم رفع ذلك بعد . وفي رواية البخاري رقم ٤٠٩١ قول أنس: فأنزل الله علينا ثم كان من المنسوخ (انا قد لقينا ربنا فرضي عنا وأرضانا) .

(٢) هو عمر بن مالك بن قيس بن بجيد الرؤاسي ، يعد في الكوفيين ، وفد على النبي صلى الله عليه وسلم مع أبيه فأسلما .
انظر : التاريخ الكبير للبخاري ٦ / ٣٠٩ ؛ الجرح والتعديل ٦ / ٢٥٨ ؛ الاستيعاب ٣ / ١٢٠٠ ؛ الاصابة ٤ / ٦٧٥ - ٦٧٦ .

(٣) فيرضى : ليست في النسخ الثلاث (ص ، ن ، ك) ، وقد أورد ابن تيمية الحديث في درء تعارض العقل والنقل ٢ / ١٣٤ ، وفيه هذه الكلمة ، وانظر التعليق التالي .

(٤) روى البخاري الحديث في " التاريخ الكبير " ٦ / ٣٠٩ في ترجمة عمرو ، وفيه " ان الرب ليرضى فيرضى ، فارض عني ، فرضي عني " وذكره ابن أبي حاتم في " الجرح والتعديل " ٦ / ٢٥٨ بلفظ " ان الرب تبارك وتعالى ليترضى فيرضى ، فارض عني ، فرضي عني " .
وذكر ابن حجر في " الاصابة " ٤ / ٦٧٥ - ٦٧٦ للحديث روايات عزاها الى مصادرها ، وأشار في آخرها الى أن بعضها يشهد لبعض ، وفي أحدها قصة تبين أن عمرا قال هذا القول بعد حدث أحدثه .

(٥) الحديث عن أبي هريرة ، وليس عن ابن مسعود ، في صحيح البخاري (فتح الباري ٧ / ٣٧٢ رقم ٤٠٧٣) كتاب المغازي ، باب ما أصاب النبي صلى الله عليه وسلم من الجراح يوم أحد ، وصحيح مسلم ٣ / ١٤١٧ رقم ١٧٩٣ كتاب الجهاد والسير ، باب اشتداد غضب الله على من قتله رسول الله صلى الله عليه وسلم ومسند أحمد (ط. المعارف) ١٦ / ٩٢ رقم ٨١٩٨ .

وفي صحيح مسلم عن عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم ، كان يقول في سجوده : (اللهم اني أعوذ برضاك من سخطك ، وبمعافاتك من عقوبتك ، وأعوذ بك منك ، لا أحصي ثناء عليك ، أنت كما أثنيت على نفسك)(١) . وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (لما قضى الله الخلق كتب في كتاب ، فهو موضوع عنده فوق العرش : ان رحمتي غلبت غضبي) وفي رواية (سبقت)(٢) . وفي الصحيحين عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ، ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر ، ثم يعرج الذين باتوا فيكم الى ربهم ، فيسألهم - وهو أعلم بهم - كيف تركتم عبادي ؟ قالوا : أتيناهم وهم يصلون وتركناهم وهم يصلون)(٣) .

---

(١) صحيح مسلم ١/ ٣٥٢ رقم ٤٨٦ كتاب الصلاة ، باب مايقال في الركوع والسجود ؛ سنن أبي داود (عون المعبود ٣/ ١٣٢) كتاب الصلاة ، باب الدعاء في الركوع والسجود ؛ سنن النسائي ٢/ ١٦٦ التطبيق ، باب نصب القدمين في السجود ، ٢/ ١٧٦ التطبيق ، باب الدعاء في السجود ؛ سنن الترمذي (تحفة الأحوذي ٩/ ٤٦٩ الدعوات ، باب حدثنا الأنصاري أخبرنا معن . . . ؛ سنن ابن ماجة ٢/ ١٢٦٢- ١٢٦٣ رقم ٣٨٤١ كتاب الدعاء ، باب ماتعوذ منه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، موطأ مالك ١/ ٢١٤ كتاب القرآن ، باب ماجاء في الدعاء ؛ مسند أحمد (ط. الحلبي) ٦/ ٥٨ .
وأوله عن عائشة قالت : فقدت رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة من الفراش ، فالتمسته ، فوقعت يدي على بطن قدميه ، وهو في المسجد ، وهما منصوبتان ، وهو يقول : . . . الحديث .

(٢) الحديث عن أبي هريرة ، بالروايتين ، في صحيح البخاري (فتح الباري ٦/ ٢٨٧ رقم ٣١٩٤) كتاب بدء الخلق ، باب ماجاء في قول الله تعالى : (وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه) سورة الروم : ٢٧ وكرر بالأرقام ٧٤٠٤ ، ٧٤٢٢ ، ٧٤٥٣ ، ٧٥٥٣ ، ٧٥٥٤ ؛ وصحيح مسلم ٤/ ٢١٠٧ - ٢١٠٨ رقم ٢٧٥١ كتاب التوبة ، باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه ؛ سنن ابن ماجة ١/ ٦٧ رقم ١٨٩ المقدمة ، باب فيما أنكرت الجهمية ، ٢/ ١٤٣٥ رقم ٤٢٩٥ كتاب الزهد ، باب مايرجى من رحمة الله يوم القيامة ؛ ومسند أحمد (ط. المعارف) ١٣/ ٢٣ رقم ٧٢٩٧ ، ١٣/ ٢٤٣ رقم ٧٤٩١ ، ١٣/ ٢٦٥ رقم ٧٥٢٠ ، (ط. الحلبي) ٢/ ٣١٣ ، ٣٥٨ .
وفي سنن الترمذي (تحفة الأحوذي ٩/ ٥٢٨) الدعوات ، باب حدثنا قتيبة أخبرنا الليث . . الخ رواية (ان رحمتي تغلب غضبي) .

(٣) الحديث في صحيح البخاري (فتح الباري ٢/ ٣٣ رقم ٥٥٥) كتاب مواقيت الصلاة ، باب فضل صلاة العصر ، وكرر بالأرقام ٣٢٢٣ ، ٧٤٢٩ ، ٧٤٨٦ ، وصحيح مسلم ١/ ٤٣٩ رقم ٦٣٢ كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليهما ؛ وسنن النسائي ١/ ١٩٤ كتاب الصلاة ، باب فضل صلاة الجماعة ؛ وموطأ مالك ١/ ١٧٠ كتاب قصر الصلاة في السفر ، باب جامع الصلاة ؛ ومسند أحمد (ط. المعارف) ١٣/ ٢٣٨ رقم ٧٤٨٣ ، ١٦/ ٣١ رقم ٨١٠٥ .
وفي كل هذه المواضع (تركناهم وهم يصلون ، وأتيناهم وهم يصلون) .

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة وأبي سعيد أنهما شهدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: (ماجلس قوم يذكرون الله الا حفت بهم بهم الملائكة ، وغشيتهم الرحمة ، وذكرهم الله فيمن عنده)[١] . وفي الصحيحين عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (يقبض الله الأرض ويطوى السماوات بيمينه ، ثم يقول: أنا الملك ، أين ملوك الأرض ؟)[٢] . وفي الصحيحين عن عدى بن حاتم عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (مامنكم من أحد الا سيكلمه ربه ، ليس بينه وبينه حاجب ولا ترجمان ، فينظر أيمن منه فلا يرى الا ماقدمه ، وينظر أشأم منه فلا يرى الا شيئا قدمه ، وينظر أمامه فتستقبله النار ، فمن استطاع منكم أن يتقي النار ولو بشق تمرة فليفعل ، فان لم يجد فبكلمة طيبة)[٣] .

---

(١) في صحيح مسلم ٤/ ٢٠٧٤ رقم ٢٧٠٠ كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر ؛ وسنن ابن ماجة ٢/ ١٢٤٥ رقم ٣٧٩١ كتاب الأدب ، باب فضل الذكر ؛ ومسند أحمد (ط. الحلبي) ٢/ ٤٤٧ ، ٣/ ٣٣ ، ٤٩ ، ٩٢ ، ٩٤ بأسانيدهم عن الأغر أبي مسلم أنه قال: أشهد على أبي هريرة وأبي سعيد الخدرى أنهما شهدا على النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ... الحديث ، وفيه (... وغشيتهم الرحمة ، ونزلت عليهم السكينة ...).
وجاء في حديث آخر عن أبي هريرة أوله: (من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا ...) قوله صلى الله عليه وسلم: (وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله ، يتلون كتاب الله ، ويتدارسونه بينهم ، الا نزلت عليهم السكينة ، وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة ، وذكرهم الله فيمن عنده) . في صحيح مسلم رقم ٢٦٩٩ ؛ وسنن ابن ماجة رقم ٢٢٥ ؛ ومسند أحمد (ط. الحلبي) ٢/ ٢٥٢ ، ٤٠٧ .

(٢) الحديث في صحيح البخارى (فتح البارى ٨/ ٥٥١ رقم ٤٨١٢) كتاب تفسير القرآن ، باب (والأرض جميعا قبضته يوم القيامة ...) سورة الزمر: ٦٧ ، وكرر بالأرقام ٦٥١٩ ، ٧٣٨٢ ، ٧٤١٣ ؛ وصحيح مسلم ٤/ ٢١٤٨ رقم ٢٧٨٧ كتاب صفة القيامة والجنة والنار ، في فاتحته ؛ وسنن ابن ماجة ١/ ٦٨- ٦٩ رقم ١٩٢ ، المقدمة ، باب فيما أنكرت الجهمية ؛ ومسند أحمد (ط. الحلبي) ٢/ ٣٧٤ .

(٣) الحديث في صحيح البخارى (فتح البارى ١١/ ٤٠٠ رقم ٦٥٣٩) كتاب الرقاق ، باب من نوقش الحساب عذب ، ١٣/ ٤٢٣ رقم ٧٤٤٣ كتاب التوحيد ، باب قول الله تعالى: (وجوه يومئذ ناضره الى ربها ناظرة) ، ١٣/ ٤٧٤ رقم ٧٥١٢ كتاب التوحيد ، باب كلام الرب عز وجل يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم ؛ وصحيح مسلم ٢/ ٧٠٣- ٧٠٤ رقم ١٠١٦ كتاب الزكاة ، باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة ... ؛ وسنن الترمذى (تحفة الأحوذى ٧/ ٩٨- ٩٩) صفة القيامة ، باب ماجاء في شأن الحساب والقصاص ؛ وسنن ابن ماجة ١/ ٦٦ رقم ١٨٥ المقدمة ، باب فيما أنكرت الجهمية ، ١/ ٥٩٠ ، ٥٩١ رقم ١٨٤٣ كتاب الزكاة ، باب فضل الصدقة ؛ ومسند أحمد (ط. الحلبي) ٤/ ٢٥٦ ، ٣٧٧ .
وفي كل هذه المواضع (ليس بينه وبينه ترجمان) الا رواية البخارى رقم ٧٤٤٣ ففيها (ليس بينه وبينه ترجمان ولا حجاب يحجبه) .

وفي الصحيحين عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال :

ج ٤٨ (ان لله ملائكة فضلا عن كتاب الناس ،/ سياحين في الأرض ، فاذا وجدوا قوما يذكرون الله تنادوا : هلموا الى حاجتكم . قال : فيجيئون حتى يحفوا بهم الى السماء الدنيا ، قال : فيقول الله : أى شيء تركتم عبادى يصنعون ؟ قال : فيقولون : تركناهم يحمدونك ويسبحونك ويمجدونك . فيقول : فهل رأوني ؟ فيقولون : لا . فيقول : كيف لو رأوني ؟ فيقولون : لو رأوك لكانوا أشد تحميدا وأشد ذكرا . فيقول : فأى شيء يطلبون ؟ قالوا : يطلبون الجنة . قال : فيقول : فهل رأوها ؟ فيقولون : لا . قال : فيقول : كيف لو رأوها ؟ قال : فيقولون : لو رأوها كانوا أشد عليها حرصا وأشد لها طلبا . قال[1] : فيقول : من أى شيء يتعوذون ؟ قال : فيقولون : يتعوذون من النار . قال : فيقول : هل رأوها ؟ قال : فيقولون : لا . قال : فيقول : فكيف لو رأوها ؟ قال : فيقولون : لو رأوها كانوا أشد منها تعوذا وأشد منها هربا . قال : فيقول : أشهدكم[2] أني قد غفرت لهم . قال : فيقولون : ان فيهم فلانا الخطاء ، لم يردهم انما جاء في حاجة . قال : فيقول : هم القوم لا يشقى بهم جليسهم[3]) .

---

(١) قال : ليست في (ن) .
(٢) قال : اني اشهدكم .
(٣) الحديث بمعناه في صحيح البخارى (فتح البارى ١١ / ٢٠٨ رقم ٦٤٠٨) كتاب الدعوات ، باب فضل ذكر الله عز وجل ؛ وصحيح مسلم ٤/ ٢٠٦٩ - ٢٠٧٠ رقم ٢٦٨٩ كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، باب فضل مجالس الذكر ؛ وسنن الترمذى (تحفة الأحوذى ١٠ / ٥٧ - ٦٠) الدعوات ، باب حدثنا أبو كريب محمد بن العلاء أخبرنا أبو معاوية عن عمرو بن راشد . . . ؛ ومسند أحمد (ط. المعارف) ١٣ / ١٥٦ - ١٦٠ رقم ٧٤١٨ ، ٧٤١٩ ، ٧٤٢٠ ، (ط. الحلبي ٢ / ٣٥٨ ، ٣٥٩ ، ٣٨٢ - ٣٨٣ .
ونص الحديث المثبت هنا في (ص ، ن) ومافي (ك) يخالفهما ويطابق تقريبا صحيح البخارى ، وأرجح أنه قوبل على الصحيح أو على غيره ، وعدل تبعا له ، وقد أورد ابن تيمية الحديث في " درء تعارض العقل والنقل ٢ / ١٣٧ - ١٣٨ موافقا تقريبا لما في (ص، ن) .
ونص الحديث في (ك) هو : وفي الصحيحين عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : (ان لله ملائكة يطوفون في الطرق ، يلتمسون أهل الذكر ، فاذا وجدوا قوما يذكرون الله ينادوا : هلموا الى حاجتكم . قال : فيحفونهم بأجنحتهم الى السماء الدنيا . قال : فيسألهم ربهم - وهو أعلم منهم - : مايقول عبادى ؟ قالوا : يقولون : يسبحونك ويكبرونك ويحمدونك ويمجدونك . قال : فيقول : هل رأوني ؟ قال : فيقولون : لا ، والله ما رأوك . قال : فيقول : وكيف لو رأوني ؟ قال : يقولون : لو رأوك كانوا أشد لك عبادة وأشد لك تمجيدا وأكثر لك تسبيحا . قال : يقول : فما يسألوني ؟ قال : يسألونك الجنة . قال : يقول : وهل رأوها ؟ قال : يقولون : لا ، والله يارب/ =

وفي الصحيحين عن ابن عمر رضي الله عنهما[1] عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (ليدنو أحدكم من ربه حتى ليقفه عليه ، فيقول : عملت كذا وكذا . فيقول : نعم يارب . فيقرره ، ثم يقول : قد سترتها عليك في الدنيا ، وأنا أغفرها لك اليوم . ثم يعطى كتاب حسناته ، وهو قوله[2] تعالى : (هاؤم اقرؤوا كتابيه[3]) ، وأما الكفار والمنافقون[4] فينادون : (هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين[5]) . فأخبر صلى الله عليه وسلم أنه سبحانه يقول قولا ، ثم يقول العبد ، ثم يقول الرب تعالى قولا آخر .

وبهذا الأصل العظيم ، الذى دلت[6] عليه الكتب المنزلة من الله : القرآن والتوراة والانجيل ، وكان عليه سلف الأمة وأئمتها ، بل وعليه جماهير العقلاء وأكابرهم من جميع الطوائف ، حتى من الفلاسفة[7] - يظهر أيضا بطلان مذهب

بطلان مذهب الحرنانيين

= مارأوها . قال : يقول : لو انهم رأوها ؟ قال : يقولون : لو انهم رأوها كانوا أشد عليها حرصا ، وأشد لها طلبا ، وأعظم فيها رغبة . قال : فمم يتعوذون ؟ قال : يقولون : من النار . قال : يقول : وهل رأوها ؟ قال : يقولون : لا والله ما رأوها . قال : يقول : فيكيف لو رأوها ؟ قال : يقولون : لو رأوها كانوا أشد منها فرارا وأشد لها مخافة . قال فيقول : فاشهدكم اني قد غفرت لهم . قال يقول ملك من الملائكة : فيهم فلان ليس منهم انما جاء لحاجة . قال : هم الجلساء لا يشقى بهم جليسهم) .

(١) رضي الله عنهما : ليست في (ك) .

(٢) ن : وهو يقول .

(٣) سورة الحاقة : ١٩ .

(٤) ك : وأما الكافر والمنافق .

(٥) سورة هود : ١٨ .
والحديث بنحوه في صحيح البخارى (فتح البارى ٥/ ٩٦ رقم ٢٤٤١) كتاب المظالم ، باب قول الله تعالى (ألا لعنة الله على الظالمين) ، وكرر بالأرقام ٤٦٨٥ ، ٦٠٧٠ ، ٧٥١٤ ؛ وصحيح مسلم ٤/ ٢١٢٠ رقم ٢٧٦٨ كتاب التوبة ، باب قبول توبة القاتل وان كثر قتله ؛ وسنن ابن ماجة ١/ ٦٥ رقم ١٨٣ ، المقدمة ، باب فيما أنكرت الجهمية ؛ ومسند أحمد (ط. المعارف) ٧/ ٢٥٤ رقم ٥٤٣٦ ، ٨/ ١٥٥ - ١٥٦ رقم ٥٨٢٥ .

(٦) ن ، ك : وهذا الأصل العظيم دلت .

(٧) هنا تتقطع نسختا (ن ، ك) واللتان انضمتا الى الأصل (ص) في صفحة ١٧٥ ومن قوله " يظهر أيضا بطلان ... " الى قوله في صفحة ٣٤٤ : " ... والمقصود هنا التنبيه ، كما يليق بهذا الجواب " انفردت به (ص) . وهناك تعود (ك) للانضمام الى (ص) ، أما (ن) فيستمر انقطاعها حتى صفحة ٣٩٧ . عند قوله : " فصل ، وأما قوله : والدليل على كونه متكلما أنه آمر وناه " .

الحرنانيين [القائلين][1] بالقدماء الخمسة[2] ، وهو منسوب الى ديمقراطيس[3] ،

---

(١) القائلين : ليست في الأصل (ص) ، ولعلها ساقطة .

(٢) الحرنانيون جمع حرناني ، نسبة الى موطنهم حران ، ويقال لهم أيضا : الحرانيون ، وقيل : ان النسبة الى رجل يقال له : حرنان .
وتسميهم بعض كتب المقالات " صابئة " ، وبعضها تسميهم " مجوسا " . وهذه الكتب لا تعطي معرفة وافية بعقائدهم وأحوالهم ، ويبدو أن كثيرا مما فيها مصدره كتب أبي بكر محمد بن زكريا الرازى .
وأبرز ماورد عنهم قولهم بالقدماء الخمسة ، وقد عرض لهذا القول أبو عبد الله ابن الخطيب الرازى في كتابه " محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكماء والمتكلمين " .
فقال (ص ٨٤) : " وأما الحرنانيون [محصل : الحريانيون] فقد أثبتوا خمسة [محصل : خمسا] من القدماء : حيان فاعلان [وهما] البارى والنفس ، وعنوا بالنفس مايكون مبدأ للحياة ، وهي الأرواح البشرية والسماوية . وواحد منفعل وهو الهيولى ، واثنان لا حيان ولا فاعلان ولا منفعلان ، وهما الدهر والفضاء [محصل : والقضاء] .
أما قدم البارى تعالى ، فالدليل عليه مشهور .
وأما قدم النفس والهيولي فهو بناء على أن كل محدث مسبوق بمادة ، فقالوا : لو كانت النفس حادثة لكانت لها مادة ، ومادتها ان كانت حادثة افتقرت الى مادة أخرى ، لا الى نهاية ، ولزم التسلسل ، وان كانت قديمة فهو المطلوب .
وأما الهيولى فان كانت حادثة لزم التسلسل ، وان كانت قديمة فهو المطلوب .
وأما الدهر - وهو الزمان - فلأنه غير قابل للعدم ، لأن كل مايصح عليه العدم ، كان عدمه بعد وجوده بعدية زمانية ، فيكون الزمان موجودا حال مافرض معدوما ، فهذا محال ، فاذن قد لزم من فرض عدمه لذاته محال ، فيكون واجبا لذاته .
وأما الفضاء فهو أيضا واجب لذاته ، لأن الواجب لذاته هو الذى يشهد صريح الفطرة بامتناع ارتفاعه ، والفضاء [محصل ، في الموضعين : والقضاء] كذلك ، لأنه لو ارتفعت لما بقيت الجهات متميزة بحسب الاشارات ، وذلك غير معقول " .
وسينقل ابن تيمية بعد قليل نصوصا أخرى من كتاب " المحصل " في هذا المذهب .
وانظر : الفهرست لابن النديم ، ص ٤٤٢-٤٥٦ (ط . مصر) ؛ الآثار الباقية عن القرون الخالية ، ص ٢٠٤-٢٠٦ ؛ الفصل لابن حزم ٣٤/١ ، ٧٠/٥ ؛ اغاثة اللهفان لابن القيم ٢٤١/٢-٢٤٢ ؛ وانظر النصوص التي جمعها ب . كراوس في مجموعة " رسائل فلسفية " لأبي بكر محمد بن زكريا الرازى ، وبخاصة ١٨٨/١-١٩٠ .

(٣) تقدمت ترجمة ديموقريطس (٤٧٠-٣٦١ ق ، م) ، ص ١٦٥ ، ١٦٦ ، وأنه وأستاذه لوقيبوس مؤسسا مذهب الجوهر الفرد ، وأبو بكر الرازى ممن يقول به .
لكني لم أجد في مراجع ترجمته أنه يقول بالقدماء الخمسة ، وقد أورد ب . كراوس في مجموعة رسائل فلسفية ١٩٣/١ نصوصا لعدد من كتاب المقالات يقولون فيها : ان أبا بكر الرازى حكى القول بالقدماء الخمسة عن فلاسفة اليونان الذين كانوا قبل أرسطو (٣٨٤ - ٣٢٢ ق ، م) ، ويورد (ص ١٩٦) نصا من منهاج السنة لابن تيمية يقول فيه : " ان هذا القول يحكي عن ديمقريطيس ، واختاره ابن زكريا المتطبب " .
ويرجح كراوس (ص١٩٤) أن الرازى نفسه هو الذى صرح بمثل هذا في كتاب العلم الالهي .

وقد نصره محمد بن زكريا الرازي(١)، وأبو عبدالله بن الخطيب الرازي يرجحه في "محصله" وفي "المطالب العالية" وغير ذلك .

وهم يقولون : بأن العلة ، والنفس ،والهيولى - وهي في لغتهم بمعنى المحل - والخلاء ،والدهر قديمة أزلية ، وأن سبب حدوث العالم أن النفس التفتت الى الهيولى وامتنع على الرب تخليصها ، أو رأى أنه لا يخلصها [حتى تذوق(٢)] مرارة تعلقها بالهيولى ثم يخلصها ، أو لتستفيد بذلك كمالات ثم يخلصها بعد ذلك .

ولهذا يقول ابن زكريا ونحوه : "لا لذة الا عدم الألم ،وغاية سعادة النفس خلاصها من الألم الحاصل بتعلقها بالهيولى(٣)" .

وأبو عبدالله الرازي وبعض من يأتم به يرجحون هذا القول ، وبه يجيب هؤلاء عن الحجة المشهورة للفلاسفة ،ويسمونه "الجواب الباهر" .

---

(١) أبو بكر محمد بن زكريا الرازي،الطبيب والفيلسوف والملحد المشهور،ولد ونشأ بالري ،ثم انتقل الى بغداد ،وكان في أول أمره مغنيا بالعود ، ثم أقبل على دراسة الطب والفلسفة فبرع ، وألف فيهما كتبا كثيرة ، توفي سنة ٣١٣ على الراجح .
انظر: الفهرست لابن النديم ،ص ٥٠٤ ؛ طبقات الأطباء والحكماء لابن جلجل ،ص ٧٧- ٨٠ ؛ تاريخ الحكماء للقفطي ،ص ٢٧١- ٢٧٧ ؛ عيون الأنباء في طبقات الأطباء ،ص ٤١٤- ٤٢٧ ؛ العبر للذهبي ٢/ ١٥٠ ؛ الوافي بالوفيات ٣/ ٧٥- ٧٧ ؛ الأعلام ٦/ ١٣٠ .
وانظر مجموعة "رسائل فلسفية" لأبي بكر الرازي جمعها ب . كراوس، القاهرة ١٩٣٩ ،ومذهب الذرة عند المسلمين ، للدكتور س . بينيس ،ص ٣٥- ٩٠ .

(٢) عبارة "حتى تذوق" ليست في الأصل (ص) وأرجح أن تكون ساقطة .

(٣) أشار أبو بكر الرازي في عدد من رسائله المنشورة ضمن مجموعة "رسائل فلسفية" الى مذهبه في "اللذة" فهو يقول في الرسالة الأولى :
"الطب الروحاني" ،ص ٣٠ : "ويعلم [أي الانسان] أن النفس الحساسة مادامت متعلقة بشيء منه [أي من الجسد] لم تزل في أحوال مؤذية مؤلمة من أجل تداول الكون والفساد اياه ،ولا يكره بل يشتاق الى مفارقته والتخلص منه ، ويرى أنه متى كانت مفارقة النفس الحساسة للجسد الذي هي فيه وقد اكتسبت هذه المعاني واعتقدتها صارت في عالمها ، ولم تشتق الى التعلق بشيء من الجسم بعد ذلك البتة" .
ثم يقول (ص ٣٦) : "ان اللذة ليست بشيء سوى اعادة ما أخرجه المؤذي عن حالته الى حالته تلك التي كان عليها . . ." .

عرض أبي عبد الله الرازي لمذهب الحرنانيين في " المحصل " ظ ٤٨

قال في " محصله[(١)] ": " الفريق الثاني[(٢)] - الذين قالوا : أصل العالم ليس بجسم ، وهم فرقتان ؛ الأولى الحرنانية[(٣)] / وهم الذين أثبتوا[(٤)] القدماء الخمسة : الباري[(٥)]، والنفس ، والهيولى ، والدهر، والخلاء ؛ فقالوا : الباري تعالى تام العلم[(٦)] والحكمة ، لا يعرض له سهو ولا غفلة ، وتفيض عنه النفس[(٧)] كفيض النور عن القرص[(٨)]؛ لكنها - يعني النفس[(٩)]- جاهلة لا تعلم الأشياء[(١٠)] مالم تمارسها .

وكان الباري تعالى عالما بأن النفس ستميل[(١١)] الى التعلق[(١٢)] بالهيولى وتعشقها ، وتطلب اللذة الجسمية[(١٣)] ، وتكره مفارقة الأجسام ، وتنسى نفسها ، ولما[(١٤)] كان من شأن[(١٥)] الباري[(١٦)] الحكمة التامة : عمد الى الهيولى بعد تعلق

---

(١) في كتاب " محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكماء والمتكلمين " لأبي عبد الله الرازي ،تحت عنوان " مسألة : اختلف أهل العلم في حدوث الأجسام "،ص ١٢١ - ١٢٢ . الناشر : مكتبة الكليات الأزهرية .

(٢) محصل:الغرقة الثانية .

(٣) محصل : وهم فريقان ؛ الغرقة الأولى الجرمانية .

(٤) محصل:ثبتوا .

(٥) محصل : الباري تعالى .

(٦) محصل : باب العلم .

(٧) محصل : ويفيض عنه العقل .

(٨) الأصل (ص) : . . . كفيض النور على العرض. وما أثبته من " محصل". وجاء في " محصل " بعد كلمة " القرص" مايلي : ، وهو تعالى يعرف الأشياء معرفة تامة ، وأما النفس فانه يفيض عنها الحياة فيض النور عن القرص .

(٩) عبارة " يعني النفس" من ابن تيمية للايضاح .

(١٠) محصل : الا شيئا .

(١١) محصل : تميل .

(١٢) التعلق : كذا في " محصل" ؛ الأصل (ص) : التعليق .

(١٣) محصل : الحسية .

(١٤) محصل : فلما .

(١٥) شأن : كذا في " محصل" ؛ الأصل (ص) : سوس .

(١٦) محصل : الباري تعالى .

النفس بها ، فركبها ضروبا من التراكيب [مثل] السماوات والعناصر[1] ، وركب أجسام الحيوانات على الوجه الأكمل ، والذى بقي فيها من الفساد فذلك لا يمكن[2] ازالته .

ثم انه تعالى أفاض على النفس عقلا وادراكا ، وصار ذلك سببا لتذكرها عالمها ، وسببا لعلمها بأنها [ما] دامت[3] في العالم الهيولاني[4] لاتنفك[5] عن الآلام ، اذا[6] عرفت النفس ذلك ، وعرفت أن لها في عالمها اللذات الخالية عن الآلام[7] اشتاقت الى ذلك [العالم[8]] ، وعرجت [عليه[9]] بعد المفارقة ،وبقيت هناك [الى[10]] أبد الآباد في نهاية البهجة والسعادة .

قالوا : وبهذه[11] الطريق زالت الشبهات الدائرة بين القائلين بالقدم والحدوث ؛ فان[12] أصحاب القدم قالوا : لو كان العالم محدثا فلم أحدثه الله تعالى[13] في هذا الوقت المعين ، وما أحدثه قبل ذلك ولا بعده[14] ؟ وان كان خالق العالم حكيما فلم ملأ الدنيا من الآفات ؟ . وأصحاب الحدوث قالوا : لو كان العالم قديما لكان غنيا عن الفاعل ، وهذا باطل قطعا ؛ لما نرى أن آثار الحكمة ظاهرة في العالم .

---

(١) الأصل (ص) : من التركيب السماوات والعصناصر. وأثبت مافي " محصل" .
(٢) محصل : لأنه لا يمكن .
(٣) الأصل (ص) : بأنها دامت . والمثبت من " محصل" .
(٤) محصل : في عالم الهيولى .
(٥) الأصل (ص) : لم تنفك ،والمثبت من " محصل" .
(٦) اذا : كذا في الأصل (ص) ؛ محصل : واذا .
(٧) الآلام : كذا في " محصل" ؛ الأصل (ص) : الألم .
(٨) العالم : سقطت من الأصل (ص) ،وأثبتها من " محصل" .
(٩) عليه : سقطت من الأصل (ص) ،وأثبتها من" محصل" .
(١٠) الى : سقطت من الأصل (ص) ، وأثبتها من " محصل" .
(١١) محصل : وبهذا .
(١٢) فان : كذا في " محصل" ؛ الأصل (ص) : بأن .
(١٣) محصل : فلم أحدثه تعالى .
(١٤) ولا بعده : كذا في الأصل (ص) ؛ محصل : لا بعده .

وتحير الفريقان في ذلك .

وأما على هذا الطريق فالاشكالات زائلة ؛ لأنا لما اعترفنا بالصانع الحكيم[١] ، لاجرم قلنا بحدوث العالم ، فاذا قيل : فلم[٢] أحدث العالم في هذا الوقت ؟ . قلنا : لأن النفس انما[٣] تعلقت بالهيولى في ذلك الوقت ؛ وعلم البارى[٤] أن ذلك التعلق سبب الفساد ؛ الا أنه بعد وقوع المحذور صرفه الى الوجه الأكمل بحسب الامكان ، وأما الشرور الباقية فانما بقيت لأنه لا يمكن تجريد[٥] هذا التركيب عنها .

بقى ههنا سؤالان :

أحدهما - أن يقال : لم تعلقت النفس بالهيولى بعد أن كانت غير متعلقة بها[٦] ؟ فان حدث ذلك التعلق لا عن سبب : فجوز حدوث العالم بكليته لا عن سبب[٧] .

والثاني - أن يقال : فهلا منع البارى[٨] النفس من التعلق بالهيولى ؟.

أجابوا عن الأول بأن هذا السؤال غير مقبول من[٩] المتكلمين ؛ لأنهم يقولون : القادر المختار قد يرجح أحد مقدوريه [على الآخر] من غير[١٠] مرجح. فهلا جوزوا الترجيح بارادة القادر المختار ؟ ، وأما الفلاسفة فانهم يجوزون أن يكون السابق علة معدة للاحق[١١] ، فهلا جوزوا أن تكون[١٢] النفس

---

(١) الحكيم : كذا في " محصل " ؛ الأصل (ص) : الحليم.
(٢) محصل : ولم .
(٣) محصل : لما .
(٤) محصل : البارى تعالى .
(٥) محصل : تحديد .
(٦) بها : كذا في " محصل " ؛ الأصل (ص) : به .
(٧) الأصل (ص) : فان حدث ذلك التعلق بكليته لا عن سبب فجوز حدوث العالم لا عن سبب . وما أثبته في " محصل ".
(٨) محصل : البارى تعالى .
(٩) محصل : في .
(١٠) الأصل (ص) : أحد مقدوريه بغير. والمثبت في " محصل".
(١١) فهلا جوزوا الترجيح ... الخ : كذا في الأصل (ص) ؛ محصل : فهلا جوزوا ذلك في النفس ؟ وغير مقبول أيضا من الفلاسفة لأنهم جوزوا في السابق أن يكون علة للاحق .
(١٢) محصل : أن يقال .

ج ٤٩ [قديمة[1]] ولها تصورات[2] متجددة[3] غير متناهية ، ولم / يزل كل سابق علة للاحق حتى انتهت الى ذلك التصور الموجب لذلك[4] التعلق ؟ .

وأجابوا عن السؤال الثاني بأن[5] البارى علم أن[6] الأصلح للنفس أن تصير عالمة[7] بمضار[8] هذا التعلق ، حتى انها بنفسها[9] تمتنع عن[10] تلك المخالطة ، وأيضا فالنفس بمخالطتها للهيولى تكتسب[11] من الفضائل العقلية مالم تكن موجودة[12] لها ، فلهذين الغرضين[13] لم يمنع[14] البارى تعالى[15] النفس من التعلق[16] [بالهيولى[17]] " .

تعليق ابن تيمية

قلت : وهذا الذى ذكره عن هؤلاء من حدوث الأجسام وقدم النفس ، وأنها حدث لها من التصور ماكان سبب حدوث الأجسام - هو الذى أجاب به عن حجة الفلاسفة في قدم العالم ، وادعى أنه هو " الصواب الباهر " ، ولهذا أخذه الأرموى صاحب " لباب الأربعين " ،

---

(١) قديمة : سقطت من الأصل (ص) ، وأثبتها من " محصل " .
(٢) محصل : تصويرات .
(٣) كلمة " متجددة " : غير منقوطة في الأصل (ص) ، وفي " محصل " متحددة .
(٤) لذلك : كذا في " محصل " ؛ الأصل (ص) : كذلك .
(٥) بأن : كذا في " محصل " ؛ الأصل (ص) : أن .
(٦) محصل : بأن .
(٧) محصل : أن تتصور عالمها .
(٨) الأصل (ص) : فصار ؛ محصل : بمضاد . ولعل الصواب ما أثبته .
(٩) بنفسها : كذا في " محصل " ، الأصل (ص) : نفسها .
(١٠) محصل : من .
(١١) محصل : الهيولى تكسب .
(١٢) محصل : مالم يكن موجودا .
(١٣) محصل : الغرضين .
(١٤) لم يمنع : كذا في " محصل " ؛ الأصل (ص) : لم يمتنع .
(١٥) تعالى : ليست في " محصل " .
(١٦) محصل : التعليق .
(١٧) بالهيولى : سقطت من الأصل (ص) ، وأثبتها من " محصل " .

وأجاب به في "لبابـه"[1]، وادعى أيضا أنه "الجواب الباهر"، وكذلك من سلك هذا السبيل كالقشيرى المصرى المتأخر[2] لم يذكر في عقيدته الا حدوث الأجسام، مع اثباته أن جميع الممكنات صادرة عنه .

وهؤلاء يقولون : نحن جمعنا بين ما أقام المتكلمون عليه الحجة من حدوث الأجسام وما أقام[3] الفلاسفة عليه الحجة من ثبوت معلول مساوق للرب تعالى وهي النفس القديمة التي لم تزل. وهذا المذهب من أفسد مذاهب العالم، وهو يشبه من بعض الوجوه مذهب المجوس ؛ الذين قالوا بأصلين قديمين : النور والظلمة ، وجعلوا اختلاطهما هو المبدأ ، وخلاص النور من الظلمة هو المعاد .

ولابن زكريا المتطبب الملحد[4] حكاية مشهورة ، ذكرها أبو حاتم

---

(١) هو أبو الثناء محمود بن أبي بكر بن أحمد الأرموى (٥٩٤ - ٦٨٢) ، أصله من أرمية بأذربيجان ، من الشافعية ، صنف في المنطق وأصول الدين وأصول الفقه ، وتوفي بمدينة قونية .
ويوجد نسخة مصورة لكتاب "لباب الأربعين" في أصول الدين ، وهو مختصر من كتاب "الأربعين" للفخر الرازى - في معهد احياء المخطوطات بجامعة الدول العربية " رقم ٢٠١ ، توحيد" .
انظر فهرس المعهد المذكور ١/١٣٦ تصنيف فؤاد سيد ، القاهرة ١٩٥٤م .
وانظر في ترجمة الأرموى : طبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٨/٣٧١ ، كشف الظنون ، ص١٧١٥ - ١٧١٧ ؛ الأعلام ٧/١٦٦ .

(٢) لم أعرف من المقصود ، وأشار ابن تيمية الى جواب الرازى ومتابعة الأرموى ثم القشيرى له في كتاب " درء تعارض العقل والنقل " ١/٣٧٩ ، وذكر المحقق الدكتور/ محمد رشاد سالم أنه كتب في هامش بعض نسخ الكتاب " هو ابن دقيق العيد ، كذا على الأصل بخط الشيخ أحمد عفى الله عنه " قال المحقق : " ولعل الناسخ يقصد أحمد بن تيمية نفسه ، وابن دقيق العيد هو محمد بن علي بن وهب ، أبو الفتح ، تقي الدين القشيرى (٦٢٥ - ٧٠٢) ، المعروف كأبيه وجده وأخيه بابن دقيق العيد ... " .
ولكن ابن تيمية أشار أيضا الى هذا في " المسألة المصرية في القرآن " ضمن فتاوى الرياض ١٢/٢١٧ وسماه " أبا عبدالله القشيرى " .
وأخو أبي الفتح تقي الدين ، هو سراج الدين موسى بن علي (٦٤١ - ٦٨٥) تصدى بقوص في صعيد مصر لنشر العلم والفتيا ، وولادته ووفاته بها ، له كتاب " المغني " في فقه الشافعية . ترجمته في طبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٨/٣٧٦ - ٣٧٧ ؛ حسن المحاضرة ١/٤١٨ ؛ الأعلام ٧/٣٢٥ . ولم تذكر هذه الكتب كنيته .

(٣) الأصل (ص) : وأقام . ولعل " ما " ساقطة .

(٤) محمد بن زكريا الرازى ، تقدم ذكره قبل صفحات ، ص ٢٤٠ .

صاحب "كتاب الزينة"[1]، ورد عليه فيما تكلم به من الالحاد والقدح في الأنبياء، وذكر أنه شبه التفات النفس الى الهيولى بغير اختيار البارئ بحبقة[2] تحصل من أمير كانا بحضرته، اذا حصلت بغير اختياره، وأنه بين له فساد ماقاله، مع ما اقترن به من قلة العقل وسوء الأدب[3].

---

(١) هو أبو حاتم أحمد بن حمدان بن أحمد الورسامي - أو الورسناني - الرازى، من دعاة الاسماعيلية، له تصانيف، مات سنة ٣٢٢.
وقد نشر جزءان من كتاب "الزينة" بتحقيق حسين بن فيض الله الهمداني، القاهرة، ط. الثانية ١٩٥٧م، وقال أبو حاتم في أوله: "هذا كتاب فيه معاني أسماء واشتقاقات ألفاظ وعبارات عن كلمات عربية، يحتاج الفقهاء الى معرفتها، ولا يستغنى الأدباء عنها، وفي تعلمها نفع كبير، وزينة عظيمة، لكل ذى دين ومروة، ألغناء من ألفاظ العلماء، وماجاء عن أهل المعرفة باللغة وأصحاب الحديث والمعاني ..." انظر عن أبي حاتم هذا: الفهرست لابن النديم، ص ٢٦٨، (ط. مصر)، لسان الميزان ١/١٦٤؛ الأعلام ١/١١٩؛ تاريخ التراث العربي ١/٣/٣٥٦-٣٥٨، وانظر مقدمة حسين الهمداني لكتاب "الزينة"، ص ٢٦-٣٢.

(٢) في الأصل (ص) رسمت العبارة هكذا: "بحبقه" بدون نقاط، والحَبْقَة الضرطة، كما في القاموس المحيط، مادة "الحبق". وذكر ابن تيمية أيضا هذه الحكاية في مجموع فتاوى شيخ الاسلام (ط. الرياض) ٦/٣٠٨.

(٣) وقع ذلك في مناظرة جرت بين أبي حاتم الرازى الاسماعيلي ومحمد بن زكريا الرازى، وذكر أبو حاتم مادار فيها في أول كتابه "أعلام النبوة"، وقد نشر هذه المناظرة ضمن مجموعة "رسائل فلسفية" ب - كراوس نقلا عن نسختين خطيتين "لأعلام النبوة" في الهند.
وفيها (ص ٣٠٨) يسأل أبو حاتم أبا بكر: "وأى هذه الخمسة أحدث العالم؟ قال [أى أبو بكر الرازى]: أنا أقول: ان الخمسة قديمة، وان العالم محدث، والعلة في احداث العالم أن النفس اشتهت أن تتجبل في هذا العالم، وحركتها الشهوة لذلك، ولم تعلم مايلحقها من الوبال اذا تجبلت فيه، واضطربت في احداث العالم، وحركت الهيولى حركات مضطربة مشوشة على غير نظام، وعجزت عما أرادت، فرحمها البارى جل وتعالى وأعانها على احداث هذا العالم، وحملها على النظام والاعتدال رحمة منه لها، وعلما أنها اذا ذاقت وبال ما اكتسبته عادت الى عالمها، وسكن اضطرابها، وزالت شهوتها واستراحت؛ فأحدثت هذا العالم بمعاونة البارى لها، ولولا ذلك لما قدرت على احداثه، ولولا هذه العلة لما أحدث العالم ..."
وبعد مناقشات يقول فيها أبو بكر (ص ٣٠٩) ان البارى لم يقدر على منع النفس من التجبل في العالم"، يقول أبو حاتم (ص ٣١١-٣١٢): "أخبرني عن هذه الحركة التي بعثت شهوة النفس على التجبل في هذا العالم هي غريزية أم قسرية؟ ... فان الفلاسفة اتفقوا على أن الحركة حركتان: طبيعية وقسرية، ولا ثالثة لهما.
قال أبو بكر: صدقت، هذا قول القدماء، ولكني قد استدركت في هذا شيئا لطيفا، واستخرجت منه مالم يسبقني اليه أحد غيرى، وأنا أقول: ان الحركات ثلاثة: طبيعية وقسرية وفلتية... وأنا أضرب لك مثلا بتصور لك، وتعرف وجه الصواب فيه".
قال أبو حاتم: "وجرت هذه المناظرة بيني وبينه في دار بعض الرؤساء، وكان ذلك الرئيس قاعدا مع قاضي البلد يتناظران في أمر بينهما، وهما بحيث نراهما، وحضر هذا المجلس معنا المعروف بأبي بكر حسين التمار المتطبب. /=

ودعوى الرازى أن جوابهم ؛ وهو القول الأول الذى رجحه هؤلاء من القول بحدوث الأجسام وقدم النفس ، ودعواهم أنهم جمعوا بين حجة المتكلمين على حدوث الأجسام وحجة المتفلسفة على كونه علة قديمة أزلية ، وانهم أجابوا بالجواب الباهر - في غاية الفساد .

وذلك أن دوام الفاعلية ووجود مالا أول له اما أن يكون ممكنا واما أن يكون ممتنعا ، فان كان ممكنا بطل دليل المتكلمين على حدوث الأجسام ، فان دليلهم مبناه على امتناع حوادث لا أول لها ، وهذا الدليل يعم جميع الحوادث ، سواء قدرت قائمة بجسم أو بغير جسم ، ان قدر وجوده .

ومن قال بأن النفس لها تصورات وارادات لا بداية لها : فانه يقول بدوام الحوادث ، ومن قال من المتأخرين : ان المتكلمين لم يقيموا دليلا على حدوث سوى الأجسام . فهو - مع فساده - انما أراد كونهم لا يثبتون موجودا ممكنا غير الأجسام والأعراض ، والا فبتقدير ثبوته - وقيل : ان ذلك الممكن لا يخلو عن الحوادث ، وقيل مع ذلك : ان مالا يخلو عن الحوادث فهو حادث - لزم حدوثه . والنفس / عند مثبتيها - الذين قالوا : لا تخلو عن التصورات والارادات المتعاقبة - لا تخلو[1] عن الحوادث .

ظ ٤٩

وان ادعى مدع أن تلك النفس عقل مجرد ؛ لا يقوم به حادث : فهذا غير ماذكروه ، ثم يبطل عليهم من وجوه أخر ؛ وحصول التفاتها الى الهيولى ، وتعلقها

/ = فقال الملحد ، في باب المثل الذى أراد أن يثبت به الحركة الفلتية التي أبدعها : هل ترى هذا القاضي قاعدا مع الأمير ؟
قلت نعم .
قال : أرأيت لو أنه تناول طعاما رياحيا ، فتحركت الرياح في جوفه ، واشتدت وهو يمسكها ويضبط نفسه ، وهو لا يرسلها حذرا من أن يكون لها وقع فيفتضح ، ثم تغلبه الرياح فتغلت منه ، فليست هذه حركة طبيعية ولا قسرية ، بل هي فلتية " .
ويذكر أبو حاتم مناقشته هذا المثل ، ثم يقول (ص ٣١٣) : " فلما انتهى الكلام الى هاهنا ضحك حسين التمار شامتا به " ، وخجل الملحد من ضحكه ، وتشاتما ساعة ، وانقطع الكلام " .

(١) الأصل (ص) : لأنها لا تخلو . وعلقت عبارة " لأنها " فوق السطر . ولعل زيادتها خطأ .

بالهيولى ، فان[1] هذا كله يقتضي قيام الحوادث بها ، والعقل المجرد عندهم ليس كذلك ألبتة .

فتبين أن دوام الفاعلية ان كان ممكنا بطل دليل المتكلمين على حدوث الأجسام ، وان كان دوام الفاعلية ممتنعا بطل قولهم بدوام حدوث تصورات وارادات للنفس لا أول لها .

وان شئت قلت : دليل المتكلم ؛ ان كان صحيحا بطل وجود تصورات وارادات لابداية لها ؛ فبطل قدم النفس . وان كان باطلا أمكن دوام الفاعلية .

وهذا القول مخالف لما جاءت به الرسل عليهم الصلاة والسلام ، ومخالف لصريح العقل ؛ فان الرسل وأتباعهم أهل الملل متفقون على أن الله تعالى خالق لكل ماسواه ، فليس معه شيء قديم بقدمه ، لا نفس ولا عقل ولاغير ذلك من الأعيان ، سواء سمي خلاءً أو دهرا أو غير ذلك .

وقد بينا في غير هذا الموضع أن مايثبته المتفلسفة من المجردات العقلية انما يرجع الى أمور مقدرة في الأذهان لا حقيقة لها في الأعيان ،الا نفس الانسان المفارقة لبدنه بالموت ، ونحن ننبه هنا على بعض مابه يعرف فساد هذا المذهب ، وذلك من وجوه :

فساد مذهب الحرنانيين من وجوه :الوجه الأول .

أحدها - أن النفس التي يثبتها الفلاسفة لاتكون نفسا الا اذا كانت متعلقة بالجسم تعلق التدبير والتصريف ، والا فاذا كانت مجردة عن التدبير سموها عقلا . فهذا الذى سموه نفسا ، وجعلوه قديما قبل حدوث شيء من الأجسام ، لايكون عندهم نفسا ، بل عقلا ، والعقل لا يقبل الحركة عندهم بوجه من الوجوه ، ولا يلتفت الى الأجسام[2] .

---

(١) الأصل (ص) : بأن : ولعل الصواب ما أثبت .

(٢) قال الغزالي في معيار العلم ،ص ٢٩٠ : " وأما النفس فهي عندهم اسم مشترك يقع على معنى يشترك فيه الانسان والحيوان والنبات ،وعلى معنى آخر يشترك فيه الانسان والملائكة السماوية عندهم .
فحد النفس بالمعنى الأول عندهم أنه كمال جسم طبيعي آلي ذى حياة بالقوة .
وحد النفس بالمعنى الآخر أنه جوهر غير جسم ، هو كمال أول للجسم ، محرك له بالاختيار عن مبدأ نطقي - أى عقلي - بالفعل أو بالقوة .
فالذى بالقوة هو فصل النفس الانسانية./ =

فان قال هؤلاء : هذا الذى ذكرتموه طريقة المشائين : أرسطو وأتباعه ، كالفارابي وابن سينا ، ونحن نخالف هؤلاء ؛ فنسمي المجرد نفسا وان لم يتعلق بجسم .

قيل لهم : فحينئذ يكون قولكم فاسدا من وجه آخر ؛ وهو أن يقال : اذا كان الرب موجبا بذاته للنفس أزلا وأبدا ولا جسم هناك : لم يكن للنفس أحوال متجددة ، فانها عقل مجرد ، وحينئذ فلا تحدث لها تصورات وارادات ليحدث عنها جسم ولا غيره .

فان أثبتوا النفس التي تحدث لها تصورات وارادات كالنفس الفلكية ، والانسانية مادامت متعلقة بالبدن ، فتلك لا تكون الا مع الجسم . وان أثبتوا عقلا مجردا عن الأجسام لم يكن هناك مايوجب تجدد تصورات وارادات له .

الوجه الثاني

الوجه الثاني - أن يقال : اذا كان البارى موجبا بذاته لهذه النفس أزلا وأبدا ، وجب أن تكون أحوالها متشابهة أزلا وأبدا ، وامتنع أن يحدث لها في بعض الأوقات مايوجب التفاتها الى / الهيولى وحدوث الأجسام ؛ فان حدوث الأمر الحادث لابد له من سبب حادث .

ج ٥٠

وأما قولهم : يجوز أن تكون النفس قديمة أزلية ؛ ولها تصورات متجددة غير متناهية ، ولم يزل كل سابق علة معدة للاحق ، حتى انتهى الأمر الى التصور الموجب لذلك التعلق ، كما قال أرسطو وأتباعه في النفس الفلكية .

فيقال : أولا - أرسطو انما قال هذا في المتعلقة بالأجسام [لا] (1) في نفس مجردة .

/ = والذى بالفعل هو فصل أو خاصة للنفس الملكية " .
وقال (ص ٢٩١) : " الموجودات عندهم ثلاثة أقسام .
أجسام ، وهي أخسها .
وعقول فعالة ، وهي أشرفها لبراءتها عن المادة وعلاقة المادة ، حتى أنها لا تحرك المواد أيضا الا بالشوق .
وأوسطها النفوس ، وهي تنفعل من العقل ، وتفعل في الأجسام ، وهي واسطة ، ويعنون بالملائكة السماوية : نفوس الأفلاك ، فانها حية عندهم ، وبالملائكة المقربين : العقول الفعالة " .
وقد شرح الغزالي هذا الكلام ص ٢٩٠ - ٢٩٣ .

(1) الأصل (ص) : انما قال هذا من المتعلقة بالأجسام في . ولعل الصواب ما أثبت .

ويقال : ثانيا - مجرد الالزام لهؤلاء ليس بحجة عقلية ، وانما هذه حجة جدلية لاعلمية ، وغايتها افساد قول[1] أرسطو وأتباعه، واذا قيل : ماذكرناه يدل على فساد القولين جميعا ؛ لم يكن لكم على دفع هذا حجة .

وقد بينا أن قول أرسطو وأصحابه أيضا باطل ، وأنه يتضمن حدوث الحوادث كلها بلا سبب حادث . ولو قدر أن قول أرسطو صحيح ؛ لكون الحركة الفلكية سببا لتصورات متغيرة ، لم يمكن أن يقال مثل هذا في النفس التي لم تتعلق بجسم متحرك يكون سببا لحدوث تصورات متغيرة .

وكذلك ما ألزموا به المتكلمين ليس بحجة علمية ،بل الدليل المذكور يدل على فساد القولين .

ثم يقال : ان كان حدوث الحادث بلا سبب ممكنا ، فلا حاجة الى القول بقدم النفس ولاغيرها ، بل يقال : انه تعالى أحدث كل ماسواه ، كما يقولون : انه أحدث التفاتها الى الهيولى ، وان لم يكن ممكنا بطل هذا الجواب، فظهر بطلانه على التقديرين .

وأيضا فمساوقة المفعول المعين لفاعله ان كان ممكنا أمكن قول الفلاسفة، وان كان لم يكن بطل هذا المذهب .

وأيضا فكون الحوادث تحدث بمشيئته وقدرته أعظم في الكمال من كونها تحدث بسبب محدث من قديم معه .

الوجه الثالث

الوجه الثالث - أن يقال : هذا المذهب مبني على اثبات دهر غير مقدار الحركة وخلاء موجود ،وهذا باطل عند جمهور العقلاء . ومن قال ببعض ذلك من المسلمين فانه يجعله مخلوقا لله تعالى ،لا يقول : انه قديم مع الله سبحانه .

الوجه الرابع

الوجه الرابع - أن تلك القدماء ، ان قيل : " انها معلولة للبارى" فقد تقدم أن كل ماكان مفعولا لغيره لا يكون الا محدثا ، وأنه يمتنع وجود ممكن قديم أزلي .

---

١) الأصل (ص) : وغايتها قول . ووضع سهم بعد كلمة " وغايتها " وكتب في الهامش :عبارة " فساد صح " ولعل الصواب ما أثبت .

وهؤلاء ذكروا أنهم فروا من هذا المحذور ، وأنه بقولهم زالت اشكالات الطائفتين ، وذكروا اشكال المتكلمين ؛ أنهم قالوا: " لو كان العالم قديما لكان غنيا عن الفاعل ، وهذا باطل قطعا ؛ لما نرى أن آثار الحكمة ظاهرة في العالم ".(١)

وهذا الذى ذكره المتكلمون هو حق في نفسه ، يقر به عامة العقلاء من الأولين والآخرين ، حتى أرسطو وأتباعه. وانما خالفت شرذمة من المتفلسفة كابن سينا وأمثاله ، الذين ادعوا وجود قديم مفعول .

وهؤلاء الحرنانيون ادعوا أن في قولهم خلاصا من هذا الاشكال ؛ لقولهم بحدوث الأجسام ، وليس الأمر كما ظنوه ؛ فانهم أثبتوا خمسة قدماء: البارى والنفس والهيولى والدهر والخلاء ،فان قالوا : ان الأربعة مفعولة للرب تعالى . لزمهم أن يكون القديم مفعولا ، فقد(٢) زعموا أنهم تخلصوا من هذا الاشكال وهم لم يتخلصوا منه .

ظ ٥٠ / وان قالوا : ليست مفعولة للرب تعالى ، بل كل منها واجب الوجود لنفسه : كان هذا أبلغ في الفساد ، ولزم من ذلك أن يكون الوجود الواجب بنفسه مؤثرا في الوجود الواجب بنفسه ؛ حيث أثرت النفس في الهيولى ،والهيولى في النفس ، والبارى أثر فيهما ، فيكون الواجب بنفسه مدبرًا مصنوعا ، وهذا يستلزم فقره وحاجته الى غيره المنافي لوجوده بنفسه ، وأن تكون الهيولى واجبة الوجود بنفسها ،فتكون الأعيان كلها واجبة الوجود بنفسها ، وقد حدث فيها من الحركات والأعراض والتأليف ماليس له سبب ، وفي هذا القول من اللوازم الفاسدة مايطول وصفه .

الوجه الخامس

الوجه الخامس- أن يقال : ان كان الرب تعالى غير قادر على منعها عن التعلق : لزم عجزه ،وان كان قادرا لزم انتفاء حكمته ؛ حيث مكنها من التعلق المذموم الضار لها .

---

(١) تقدم هذا ، ص ٢٤٢، في النص المنقول عن " المحصل" لأبي عبدالله الرازى .
(٢) الأصل (ص): قد . وزدت الفاء .

وقولهم : انه علم أن الأصلح لها التعلق ، وأنه علقها لتنال الفضائل العقلية - تناقض منهم ؛ فانه على هذا التقدير يكون تعلقها خيرا من عدم تعلقها ، وحينئذ ينبغي أن يعلقها البارى باختياره ، لا تتعلق بغير اختياره .
فهم يقولون : انما سعادتها في عدم التعلق ، وشقاوتها في التعلق ، ويجعلون ذلك من صفاتها اللازمة(١) لها ، والصفات اللازمة لا تتبدل .

واذا قالوا : بل تارة تكون مصلحتها في التعلق بالبدن ، وتارة في التجريد عنه - كان هذا من أقوال جماهير أهل الملل وغيرهم ، وأمكن أن يقال : بل تعاد الى أبدان تبقى فيها ، ويكون ذلك أصلح لها .

وأمكن أن يقال : اذا كانت انما تكسب الفضائل بتعلقها بالبدن فدوام هذا التعلق يقتضي دوام فضائلها وكمالاتها .

وأمكن أن يقال : لها تعلقان : تعلق تكسب به مايعدها للسعادة ، وتعلق تكون به سعيدة سعادة دائمة أبدية . وتمام البسط على فساد هذه الأقوال له موضع آخر .

فان قيل : فهب أن الأمر كذلك ، لكن كونه فاعلا للشيء المعين بعد أن لم يكن - أمر حادث ، فلا بد له من سبب حادث .

قيل : الكلام والفعل الذى لا يمكن الا متعاقبا : يكون متكلما وفاعلا له شيئا بعد شيء ، وهو سبحانه الفاعل لجميع مايكون ، لكن يمتنع وجود الثاني مع الأول الذى ينافيه وينافي لوازمه ، والممتنع لذاته ليس بشيء ، فلا يدخل في عموم ماتناولته القدرة ، ولا يجوز أن تتناوله الارادة .

والشيء يكون ممتنعا اما لامتناعه في ذاته ، واما لاستلزامه الممتنع في ذاته ، ومعلوم أن ماخلقه الرب تعالى فلابد أن يخلق لوازمه التي لا يوجد الا بها ، وأنه لا يخلق الا في حال عدم أضداده التي لا يجتمع هو وهي في آن واحد ، واذا لزم تحقق لوازمه وانتفاء أضداده كان وجوده بدون ذلك ممتنعا .

---

(١) الأصل (ص) : اللامة .

وحينئذ فاذا صار الفعل والمفعول ممكنا بعد أن كان ممتنعا - لم يكن ذلك لامتناع ذاته ، بل لامكان لوازمه ، وانتفاء موانعه ، التي هي شروط فيه ، وعدم المانع حصل بانقضاء الفعل الأول ، وأمكن حينئذ حصول الثاني بلوازمه ، ولم يكن عدم المانع جزءا من المؤثر ، بل كان مستلزما كمال التأثير .

ج ١ ص
عود للكلام عن ابن سينا وأمثاله

/ وانما صار هذا يحكى في كتب النظر ، لما ظهر قول هؤلاء المتفلسفة المنتسبين الى الملل : كابن سينا وأمثاله ؛ فأظهروا هذا القول المركب من قول سلفهم الدهرية القائلين بقدم العالم ، ومن قول جماهير الأمم : أهل الملل وغيرهم باثبات ربّ العالمين .

والا فأرسطو وأتباعه ليس في كتبهم اثبات علة للفلك ، وانما فيه اثبات علة غائية يتحرك الفلك للتشبه بها ، فقولهم ، وان كان أشد فسادا في العقل والشرع من قول ابن سينا ، فليس فيه المكابرة بأن الممكن المفعول يكون قديما أزليا .

وهؤلاء انما احتاجوا الى هذه المكابرة لما رأوا أن اثبات صانع العالم أمر[1] لابد منه ، وأرادوا أن يضموا ذلك الى كون الفلك قديما ، فجمعوا بين المتناقضين .

ومما بين هذا أن الفلاسفة : أرسطو وشيعته ، عندهم " أن يفعل " هو من جملة الأعراض ، وكذلك " أن ينفعل " ، والوجود[2] عندهم ينقسم الى جوهر وعرض ، والأجناس العالية عندهم عشرة : الجوهر ، والأعراض التسعة : الكم ، والكيف ، وأين ، ومتى ، والاضافة ، والملك ، وأن يفعل ، وأن ينفعل ، والوضع . وقد جمعت في بيتي شعر ، وهما :

---

(١) الأصل (ص) : أمرا .
(٢) الأصل (ص) : وكذلك أن يفعل الوجود . ولعل الصواب ما أثبته .

زيد ، الطويل ، الأسود ، ابن مالك ، ∴ في داره ، بالأمس ، كان يتكسى ،

في يده سيف ، نضاه ، فانتضى ، ∴ فهذه عشر[1] مقولات سوى[2]

والحركة عندهم اسم جنس ، تتناول الحركة الكم والكيف والأين والوضع[3] .

---

(١) الأصل (ص) : عشرة .

(٢) قال الغزالي في " معيار العلم " ، ص ٣١٣ : " اعلم أن الموجود ينقسم بنوع من القسمة الى الجوهر والعرض . . . ونريد بالجوهر الموجود لا في موضوع ، ونريد بالموضوع المحل القريب الذى يقوم بنفسه ، لا بتقويم الشيء الحال فيه ، كاللون في " الانسان " ، بل في " الجسم " ، فان ماهية الجسم لا تتقوم باللون ، بل اللون عارض يلحق بعد قوام ماهية الجسم بذاته " .
والأعراض التسعة عرفها ابن سينا في كتاب النجاة ١/ ٨٠-٨٢ والغزالي في معيار العلم ، ص ٣١٧-٣٢٧ هكذا :
الكم : هو الشيء الذى يقبل لذاته المساواة واللامساواة والتجزىء وهو اما أن يكون متصلا ، اذ يوجد لأجزائه بالقوة حد مشترك تتلاقى عنده وتتحد به كالنقطة للخط ، والآن الفاصل للزمان الماضي والمستقبل ، واما أن يكون منفصلا لا يوجد لأجزائه ذلك بالقوة ولا بالفعل كالعدد .
الكيف : هو كل هيئة قارة في جسم لا يوجب اعتبار وجودها فيه نسبة للجسم الى خارج ولا نسبة واقعة في أجزائه ولا لجملته اعتبار يكون به ذا جزء ، مثل البياض والسواد .
الاضافة : هو المعنى الذى وجوده بالقياس الى شيء آخر ، وليس له وجود غيره ، مثل الأبوة بالقياس الى البنوة .
الأين : هو كون الجوهر في مكانه الذى يكون فيه ، ككون زيد في السوق .
متى : هو كون الجوهر في زمانه الذى يكون فيه ، مثل كون هذا الأمر أمس .
الوضع : هو كون الجسم بحيث تكون لأجزائه بعضها الى بعض نسبة في الانحراف والموازاة بالقياس الى الجهات وأجزاء المكان ان كان في مكان مثل القيام والقعود .
والملك : هو كون الجوهر في جوهر آخر يشمله وينتقل بانتقاله ، ومنه ماهو طبيعي كالجلد للحيوان والخف للسلحفاة ، ومنه ماهو ارادى كالقميص للانسان .
أن يفعل : هو نسبة الجوهر الى أمر موجود منه غير قار الذات ، بل لا يزال يتجدد ويتصرم كالتسخين والتبريد .
أن ينفعل : هو نسبة الجوهر المتغير الى السبب المغير ، ويقال : نسبة الجوهر الى حالة فيه بهذه الصفة مثل التقطع والتسخن .
ويقول الفارابي في كتاب " الحروف " ، ص ٦٢-٦٣ عن المقولات : " والذى ينبغي أن يعلم أن أكثر الأشياء المطلوبة بهذه الحروف ، وماينبغي أن يجاب به فيها ، فيسميه الفلاسفة باسم تلك الحروف أو باسم مشتق منها ، . . . وكل معنى معقول تدل عليه لفظة ما يوصف به شيء من هذه المشار اليها فانا نسميه مقولة . . . " .
ويقول (ص ٧٢) : " واذا أخذت الأنواع التي تشتمل عليها مقولة مقولة من هذه المقولات ، ورتبت بأن يجعل الأخص فالأخص منها تحت الأعم فالأعم تنتهي " الأنواع " التي في كل واحد منها الى " جنس عال " ، وتكون عنده الأجناس عشرة على عدد المقولات ، فأعلى جنس يوجد في الأنواع التي تعرفنا في مشار اليه كم هو ؟ يسمى " الكمية " ، وأعلى جنس يعم جميع الأنواع التي تعرفنا في مشار اليه كيف هو ؟ يسمى " الكيفية " . . . الخ .

(٣) تكلم ابن سينا في كتاب " النجاة " ٢/ ١٠٥-١٠٧ عن معنى الحركة ، وكيفية وقوعها في بعض هذه الأجناس ، ومما قال : " . . . وقد ظهر أن كل حركة ففي أمر يقبل التنقص والتزيد . . . وأما " الكمية " فلأنها تقبل التنقص والتزيد فخليق أن يكون فيها حركة ، كالنمو والذبول والتخلخل / =

وحينئذ فيجب اذا كان الرب تعالى فاعلا أن يقوم به أمر وجـودى ، وهو " أن يفعل" ، فيمتنع أن يكون فاعلا بدون أمر وجودى يقوم به ، فانـه اذا كان ماسواه من الفاعلين ؛ لا يكون فعله الا وجوديا : فالفاعل لجميـع الممكنات أولى أن فعله [لا يكون الا[1]] وجوديـا .

والحركة لا تكون الا شيئا فشيئـا[2]، يمتنع حركة قديمة الأجزاء ، بل كـل جزء من أجزائها حادث بعد الآخر . وهم متنازعون في المتحركات : هل تنتهي الى محرك لا يتحرك ؟ على قولين :

فالأساطين قبل[3] أرسطو يقولون : لا بد أن يكون المحرك لها متحركـا ؛ لأن التحريك فعل ، والفعل مستلزم للحركة ، أو هو الحركة ،فيمتنع أن يكـون محرك غير متحرك .

وأرسطو وأتباعه اذا أثبتوا محركا لا يتحرك فلم يقولوا[4]:انه علة فاعلـة للحركة ،بل يقولون : ان المتحرك - وهو الفلك - لما [كان] تحركه[5] للتشبـه بـه ،صار الأول مع الفلك بمنزلة المحبوب مع محبه : الذى يحب أن يقتـدى به ويتشبه به ، فالمحب[6] المقدى المتشبه الذى يتحرك لأجل التشبه بالمقتـدى[7] بـه المتشبه [بـه[8]] - يتحرك لأجل المحبوب ، وان كان المحبوب لا يشعر بذلك ، ولا يفعل شيئا من حركة المحب ،بل ولا يقدر على ذلك .

/= والتكاثف . . . ،وقد توجد الحركة في " الكيفيات " فيما يقبل التنقص والا شتداد كالتبيـض والتسود . . . ،فأما " الأين " فان وجود الحركة فيه ظاهر جدا . . . ، وأما " الوضع " فان فيـه حركة على رأينا خاصة كحركة الجسم المستدير على نفسه .
فاذن لا حركة بالذات الا في الكم ، والكيف ،والأين ، والوضع ،فالحركة هي مايتصور من حـال الجسم ، لخروجه عن هيئة تارة يسيرا يسيرا ،وهو خروج عن القوة الى الفعل ممتدا لا دفعة ،بل الحركة كون الشيء بحيث لا يجوز أن يكون على ماهو عليه من أينه وكمه وكيفه ووضعه ، قبل ذلك ولا بعده ، والسكون هو عدم هذه الصورة فيما من شأنه أن يوجد فيه ".

(١) لا يكون الا : ليست في الأصل (ص) ،والسياق يقتضي زيادتها .
(٢) فشيئا : رسمت في الأصل (ص) هكذا : فسسا . بدون نقاط.
(٣) الأصل (ص) : قيل ،والصواب ما أثبته.
(٤) الأصل (ص) : فلم يقول ،والصواب ما أثبته .
(٥) الأصل (ص) : لما تحركه ، والصواب ما أثبته .
(٦) الأصل (ص) : كالمحب . ولعل الصواب ما أثبته .
(٧) الأصل (ص) : المقتدى : بسقوط الباء .
(٨) به : ليست في الأصل (ص) ، ولعل الصواب اضافتها .

ومعلوم أن المحبوب بمجرد كونه محبوبا لا يكون مبدعا للمحب ، فاعلا له ، خالقا له ، بل كونه خالقا فاعلا له أمر غير كونه محبوبا له .

ولهذا كان قول الأساطين القدماء مخالفا لأرسطو وأمثاله في هذا ؛ فانهم قالوا : انه لا يحرك غيره الا بحركة [تقوم][1] بنفسه ، وقالوا : ان العلة الأولى تقوم بها الحركة ؛ ولولا ذلك لامتنع أن يفعل شيئا ، أو يحرك شيئا .

واذا كان الفاعل[2] لا يفعل الا مايكون حادثا شيئا بعد شيء ، وكل ماسوى الرب مفعول له ، فكل ماسواه حادث ، / وليس للدهرية حجة تدل على قدم شيء من العالم أصلا ، ولكن حجتهم انما تدل على دوام الفاعلية .

ظ ٥١

التزام الجهمية وأتباعهم في مناظرة هوءلاء معان فاسدة

ثم لما ناظرهم الجهمية والقدرية ؛ وادعوا أن الرب لم يزل غير متمكن من أن يفعل ويتكلم[3] بمشيئته ، ثم صار متمكنا[4] من أن يفعل [ويتكلم][5] بمشيئته وقدرته ، اما كلاما مخلوقا له على قول المعتزلة وغيرهم ، واما قائما به على قول الكرامية وغيرهم - تسلط عليهم أولئك الدهرية ، وقالوا : هذا يستلزم أنه صارت[6] المفعولات والفعل ممكنة بعد أن كانت ممتنعة من غير سبب أوجب ذلك ، وأنها انتقلت من الامتناع الذاتي الى الامكان الذاتي من غير سبب .

بل وشنع عليهم أئمة السنة وغيرهم من المسلمين بأن هذا يستلزم أن يكون الرب صار قادرا على الفعل والكلام بعد أن لم يكن قادرا عليه من غير سبب يوجب ذلك ، وفيه وصف الرب تعالى بعدم القدرة في الأزل ، وفيه أن القدرة تجددت له من غير سبب يوجب تجددها .

فالتزمت المتكلمة من الجهمية والقدرية ومن اتبعهم من الكرامية والكلابية وغيرهم - هذا المعنى - ، وقالوا : نقول : انه كان قادرا في الأزل على الفعل فيما لا يزال .

---

(١) تقوم : ليست في الأصل (ص) ، ولعل الصواب اضافتها .
(٢) الأصل (ص) : الفعل ، ولعل الصواب ما أثبته .
(٣) ويتكلم : كتبت في الأصل (ص) معلقة فوق السطر .
(٤) الأصل (ص) : متكلما . ولعل الصواب ما أثبته .
(٥) ويتكلم : ليست في الأصل (ص) ، والسياق يقتضي اضافتها .
(٦) الأصل (ص) : صار .

فقيل لهم : اذا كان هذا الفعل في الأزل ممتنعا عندكم : امتنع أن يكون مقدورا في الأزل ، فان المقدور لا بد أن يكون ممكنا ، فاذا أثبتم قادرا في حال يمتنع فيها مقدوره : كنتم قد جمعتم بين النقيضين ؛ وحقيقة قولكم أنه في الأزل قادرا ليس بقادر .

وقالوا لهم : امكان الفعل والاحداث لا أول له ، فانه مامن وقت يفرض فيه الفعل[1] الا والاحداث فيه ممكن ، فحينئذ لم يزل الفعل ممكنا ؛ فلم يزل قادرا على الفعل .

قالوا : اذا قلنا : الفعل بشرط كونه مسبوقا بالعدم لا أول له - لم يكن لهذا الامكان بداية ، مع أنه لا يستلزم دوام الفعل ؛ فانا قد شرطنا أن يكون مسبوقا بالعدم .

فقال لهم الناس : أنتم قدرتم تقديرا جمعتم فيه بين النقيضين ، فانكم قلتم : ماهو مسبوق لا أول له ، ومالا أول له لم يسبقه شيء . فاذا جعلتموه لا أول له ، وقلتم : انه مسبوق بالعدم - جمعتم بين النقيضين .

وقد يعبرون عن هذا : ان امكان الأزلية غير أزلية الامكان ، أو بأن صحة الأزلية غير أزلية الصحة ، وأنه لا يستلزم من ثبوت أحدهما ثبوت الآخر .

فقال لهم الناس : بل هذان المعنيان ملازمان ، واذا كانت الأزلية ممكنة فالامكان أزلي ، واذا كان الامكان أزليا فالأزلية ممكنة ، فانه اذا كان امكان الفعل أزليا لم يزل كان امكان الفعل دائما أبدا ، فلا أول لامكان[2] الفعل ، وهذا هو أزلية امكان الفعل ، وهو يستلزم امكان أزلية الفعل ؛ فانه يتضمن أنه لم يزل الفعل ممكنا ، وهذا هو المراد بامكان أزلية الفعل ، وهو امكان دوام الفعل ، وامكان كون الفاعل لم يزل فاعلا .

---

(١) الأصل (ص) : يفرضه الفعل .
(٢) الأصل (ص) : لامكان لامكان . مكررة .

فقال متكلمة الجهمية والقدرية : والاحداث والفعل لا يعقل الا مسبوقا بالعدم ؛ فان معنى كون الشيء مفعولا هو معنى كونه محدثا ؛ والمحدث لا يكون الا مسبوقا بالعدم .

ج ٥٢ فقال أهل السنة - الذين ليس في قولهم / مايناقض صريح المعقول ولا صحيح المنقول - : هذا الكلام حق أيضا ، وهو دليل على بطلان قول الفلاسفة الدهرية ، الذين يقولون : انه قديم وهو مفعول للرب . فان كل ماهو مفعول فهو محدث ،لكن فرق بين حدوث نوع الفعل والكلام وحدوث عين الفعل والكلام - بأنا نعقل أن كل مايفعله فلابد أن يكون متقدما عليه ، ونعقل أنه يمكن أنه لم يزل فاعلا متكلما ، ونعقل أنه يمكن دوام كونه متكلما فعالا ، وأن تكون كلماته لا نهاية لها ؛ كما قال تعالى : (قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا)[1] . وقال تعالى : (ولو أن مافي الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر مانفدت كلمات الله ان الله عزيز حكيم)[2] .

ولهذا نعقل أنه سبحانه يفعل ويتكلم ،وان كان كل واحد من أعيان ذلك ينقضي[3] وينفد ، وجنس الفعل والمفعول لا انقضاء له ولا نفاد ؛ كما قال تعالى : (أكلها دائم وظلها)[4] ، وقال تعالى : (ان هذا لرزقنا ماله من نفاد)[5] ؛ فالجنس دائم لا نفاد له ، وان كان كل من أجزاء الأكل والرزق له نفاد ، وهو لا يدوم .

والرسول صلى الله عليه وسلم أخبر أن الله تعالى خلق السموات والأرض ومابينهما في ستة أيام ـ وكان عرشه على الماء[6] ، وقد ثبت في صحيح مسلم عن

---

(١) سورة الكهف : ١٠٩ . وفي الأصل (ص) سقطت كلمة " قل " من بداية الآية .
(٢) سورة لقمان : ٢٧ .
(٣) الأصل (ص) : نعصى . بلانقاط ، وهو تحريف .
(٤) سورة الرعد : ٣٥ .
(٥) سورة ص : ٥٤ . وفي الأصل (ص) : سقطت كلمة " ان " من بداية الآية .
(٦) في سورة هود : ٧ (وهو الذى خلق السموات والأرض في ستة أيام وكان عرشه على الماء) .

عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (ان الله قدر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء)[١] . وفي صحيح البخارى عن عمران بن الحصين : أن أهل اليمن جاءوا الى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : جئناك لنتفقه في الدين ، ونسألك عن أول هذا الأمر . فقال : (كان الله ولم يكن شيء[٢] قبله ، وكان عرشه على الماء ، وكتب في الذكر كل شيء ، ثم خلق السموات والأرض)[٣] .

---

(١) روى مسلم في صحيحه ٤/ ٢٠٤٤ رقم ٢٦٥٣ كتاب القدر ، باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة ، قال : وعرشه على الماء) . ورواه مسلم ، والترمذى في سننه (تحفة الأحوذى ٦/ ٣٧٠) القدر ، باب حدثنا محمد بن بشار أخبرنا أبو عاصم . . . ؛ وأحمد في مسنده (ط. المعارف) ١٠/ ١١٤ رقم ٦٥٧٩ ، دون قوله : (وعرشه على الماء) ، وأول الحديث عند الترمذى وأحمد (قدر الله المقادير . . .) .

(٢) الأصل (ص) : شيئا .

(٣) في صحيح البخارى (فتح البارى ١٣/ ٤٠٣ رقم ٧٤١٨) كتاب التوحيد ، باب (وكان عرشه على الماء) عن عمران بن حصين قال : اني عند النبي صلى الله عليه وسلم اذ جاءه قوم من بني تميم فقال : (اقبلوا البشرى يابني تميم) ، قالوا : بشرتنا فأعطنا ، فدخل ناس من أهل اليمن ، فقال : (اقبلوا البشرى يا أهل اليمن اذ لم يقبلها بنو تميم) ، قالوا : قبلنا ، جئناك لنتفقه في الدين ، ولنسألك عن أول هذا الأمر ماكان . قال : (كان الله ولم يكن شيء قبله ، وكان عرشه على الماء ، ثم خلق السموات والأرض ، وكتب في الذكر كل شيء) .

والحديث في صحيح البخارى (فتح البارى ٦/ ٢٨٦ رقم ٣١٩١) كتاب بدء الخلق ، باب ماجاء في قول الله تعالى : (وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده . . .) سورة الروم ٢٧ ، بلفظ (كان الله ولم يكن شيء غيره ، وكان عرشه على الماء ، وكتب في الذكر كل شيء ، وخلق السموات والأرض) .

وقال ابن حجر في فتح البارى ٦/ ٢٨٩ : " وفي رواية غير البخارى (ولم يكن شيء معه) ولم يعين هذا الغير .

والحديث في مسند الامام أحمد (ط . الحلبي) ٤/ ٤٣١ - ٤٣٢ ولفظه (كان الله تبارك وتعالى قبل كل شيء ، وكان عرشه على الماء ، وكتب في اللوح ذكر كل شيء) .

[وقد بسطنا هذا في موضع آخر][1] ، وذكرنا هذا الحديث الذى في البخارى وغيره ، وبينا أن الثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم هو قوله : (كان الله ولم يكن شيء قبله)[2] ، كما دل على ذلك القرآن بقوله : (هو الأول والآخر والظاهر والباطن)[3] ، وكما في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول في دعائه : (أنت الأول فليس قبلك شيء ، وأنت الآخر فليس بعدك شيء ، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء ، وأنت الباطن فليس دونك شيء)[4] .

وجواب سؤال السائلين لشرح هذه العقيدة المختصرة[5] ، لا يحتمل البسط المكتوب في غير هذا الموضع .

فصل

طرق أهل الكلام في اثبات الصانع

وكذلك مايستدلون به على اثبات الصانع سبحانه وتعالى ؛ فان من الناس من يستدل بامكان الأجسام ، ومنهم من يستدل بحدوثها ، ومنهم من يستدل بامكان صفاتها ، ومنهم من يستدل بحدوث صفاتها .

وقد ذكر الرازى وغيره هذه الطرق الثلاث وذكر الطريقة الرابعة[6] . والطرق

---

(١) مابين القوسين المعكوفين ليس في الأصل (ص) ، ومابعده يقتضي اضافته .

(٢) لابن تيمية رسالة تسمى " شرح حديث عمران بن حصين " نشرت غير مرة ، أحدها ضمن " مجموع فتاوى شيخ الاسلام " ط . الرياض ١٨ / ٢١٠-٢٤٣ .

(٣) سورة الحديد : ٣ .

(٤) هذا بعض دعاء ورد في حديث رواه أبو هريرة ، وجاء في بعض رواياته أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقوله عند النوم ، وفي بعضها أنه صلى الله عليه وسلم أمر بأن يقال عند النوم .
أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ٢٠٨٤ رقم ٢٧١٣ كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، باب مايقول عند النوم وأخذ المضجع ؛ وأبو داود في سننه (عون المعبود ١٣/ ٣٩٢) كتاب الأدب ، باب مايقول عند النوم ؛ والترمذى في سننه (تحفة الأحوذى ٩/ ٣٤٣-٣٤٥) كتاب الدعوات ، باب ماجاء في الدعاء اذا أوى الى فراشه ؛ وابن ماجة في سننه ٢/ ١٢٥٩-١٢٦٠ كتاب الدعاء ، باب دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ وأحمد في المسند (ط . الحلبي) ٢/ ٣٨١ ، ٤٠٤ ، ٥٣٦ .

(٥) الأصل (ص) : المتحصره . وهو تحريف .

(٦) انظر في ذلك كتاب " الأربعين " للرازى ، ص ١١ ومابعدها ، وانظر ص ٧٠ حيث يقول : " ان الطريق الى اثبات الصانع تعالى ليس الا احتياج أجسام هذه الموجودات المحسوسة الى موجود آخر غير محسوس ، ومنشأ تلك الحاجة على قول بعضهم هو الامكان ، وعلى قول آخرين هو الحدوث ، وعلى قول ثالث هو مجموع الامكان والحدوث ، ثم هذه الأمور الثلاثة اما أن يعتبر في الذوات أو في الصفات أو في مجموعهما أو بالعكس ، فالمجموع طرق ستة " ثم فصل الكلام في هذه الطرق .

الأولى الثلاث هي طرق صحيحة اذا قرر امكان بعض ذلك وحدوث بعض ذلك ، فأما مع طلب تقرير عموم الامكان والحدوث فهو الذى قدح فيه الناس ، كما أن / الطريقة الرابعة انما هي مبنية على حدوث بعض ذلك . ظ ٥٢

لكن يكون في ذلك تطويل لا تحتاج اليه الفطر السليمة ، وان كان قد ينتفع به ، بل يحتاج اليه بعض الناس ؛ اذ من الناس من قد ينتفع بالطرق الطويلة الخفية أكثر من الطرق القريبة الجلية . وذلك لأن دلالة الحدوث على المحدث أظهر من دلالة الامكان على الواجب ، ودلالة مايشهد حدوثه أظهر من دلالة مايستدل على حدوثه ؛ فكان الاستدلال بما يشاهد من الحدوث أبين الطرق ، وهذه هي الطريقة الرابعة التي يسمونها حدوث الصفات .

وهذه الطريق وان كانت صحيحة ، فطريقة القرآن العزيز أكمل منها ؛ فانه سبحانه يستدل بحدوث الأعيان ، وذلك أكمل ، مع مافي القرآن من الطرق الكثيرة التي يبين بها ربوبية الرب تعالى ومشيئته وقدرته تارة ، ورحمته وعنايته واحسانه والهيته وحكمته تارة .

وأيضا فطريقة القرآن (١) يستدل فيها بالآيات أو بقياس الأولى ، وأولئك انما يستدلون بالقياس ، وذلك لا يدل الا على أمر كلي مشترك ، لا يدل على المطلوب .

وانما ذكر أولئك حدوث الصفات لاعتقادهم أن مانشهده من الحوادث انما هو صفات ؛ بناء على اثبات الجوهر الفرد ، وأن الحدوث انما هو اجتماع الجواهر وافتراقها . وهذا قول المثبتين للجوهر المفرد (٢) ، فان مذهبهم أن جميع مانشهد

---

(١) الأصل (ص) : بطريقة . ولعله تحريف .

(٢) قال بالجوهر الفرد جمهور المعتزلة وجميع الأشاعرة ، ويسمونه أيضا " الجزء الواحد " و " الجزء الذى لا يتجزأ ، أو لا ينقسم " .
قال الجرجاني في تعريفه [كتاب التعريفات ، ص ٧٨] : " الجزء الذى لا يتجزأ جوهر ذو وضع لا يقبل الانقسام أصلا ، لا بحسب الخارج ، ولا بحسب الوهم أو الفرض العقلي ، تتألف الأجسام من أفراده بانضمام بعضها الى بعض " .
وانظر كتاب الانتصار للخياط المعتزلي ، ص ٣٣ - ٣٦ ؛ مقالات الاسلاميين للأشعرى ٢ / ٤ - ٨ نهاية الاقدام للشهرستاني ، ص ٥٠٥ - ٥١٤ ؛ الأربعين للرازى ص ٢٥٣ - ٢٦٤ .
وانظر الفصل لابن حزم ٥ / ٩٢ - ١٠٦ ؛ وانظر مذهب الذرة عند المسلمين وعلاقته بمذاهب اليونان والهنود للدكتور س . بينيس ، ترجمة محمد عبد الهادى أبي ريدة .

حدوثه انما هي صفات للجواهر : من اجتماع وافتراق ، وحركة وسكون .

وهذا قول فاسد ، والصواب أنا ندرك نفس حدوث أعيان هي أجسام ، كما نشهد حدوث الحيوان والنبات والمطر والسحاب وغير ذلك ، وأن الأجسام يستحيل بعضها الى بعض ، لا أن هناك جواهر منفردة باقية تعتقب عليها الصفات ؛ فان القول باثبات الجوهر الفرد باطل ، كما ان القول باثبات الجواهر العقلية في الخارج - التي هي العقل والنفس والمادة والصورة(١) - باطل .

ودعوى كون الأجسام متركبة من مادة وصورة هما جوهران قائمان بأنفسها(٢) - باطلة ، وكذلك دعوى وجود جوهر متحيز ، لا يتميز منه يمين عن شمال - باطلة ، وكذلك دعوى قبول الأجسام الانقسام الى غير نهاية - باطلة .

بل الأجسام اذا فرقت تنتهي الى أجزاء صغيرة تستحيل الى غيرها اذا انتهى صغرها ؛ كما نشهد في أجزاء الماء اذا صغرت بأنها تستحيل هواء ، فلا تبقى ، ولا تكون بحيث لا يتميز منها جانب عن جانب ، واذا تعذر بقاؤها بعذر قبولها للانقسام الفعلي ، فمن قال : انها تقبل الانقسام الى غير نهاية بالفعل - أخطأ ، ومن قال : انها تنتهي الى جوهر فرد لا يتميز منه جانب عن جانب - أخطأ ، والصواب أنها اذا انتهى صغرها استحالت الى غيرها ، وقد تستحيل قبل صغرها . والقول باستحالة الأجسام بعضها الى بعض هو قول الفقهاء والأطباء وكثير من أهل الكلام وجمهور العقلاء .

---

(١) في كتاب " المواقف " للايجي ، ص ١٨٢ " قال الحكماء : الجوهر ان كان حالا فصورة ، وان كان محلا لها فهيولى [أي مادة] ، وان كان مركبا منهما فجسم ، والا فان كان متعلقا بالجسم تعلق التدبير والتصرف فنفس ، والا فعقل ، وهذا بناء على نفي الجوهر الفرد . . . وقال المتكلمون : لا جوهر الا المتحيز ، فاما أن يقبل القسمة وهو الجسم ، أو لا يقبلها وهو الجوهر الفرد " .

(٢) بأنفسها : كذا في الأصل (ص) ، ولعل في الكلمة تحريفا ، وأصلها : بنفسيهما .

وقد بسط الكلام على مسألة " الجوهر الفرد " وبيان انتفائه ، والجواهر المجردة العقليه وبيان أنها ثابتة في الذهن لا في الخارج . وكذلك بينا أن أكثر النظار لا يقولون بالجوهر الفرد / الحسي ؛ ولا بالجوهر الفرد العقلي في الخارج ، بل بنفيهما جميعا قال[1] الهشامية والنجارية والضرارية والكلابية وكثير من الكرامية وغير هؤلاء من طوائف النظار .

ج ٥٣

وانما المقصود هنا التنبيه على مبادىء الطرق بحسب مايليق بهذا الموضع ، والله أعلم بأن هذه المواضع من دقيق مسائل النظار ؛ التي هي من محارات العقول ؛ التي اضطرب فيها أكثر الخائضين في ذلك ، وأكثر من تكلم فيها لا يعرف الا قولين أو ثلاثة أو أربعة ، ويظن أن ذلك مجموع أقوال الناس ، ولا يكون الحق في تلك الأقوال التي يعرفها ، بل في غيرها .

كما يصيبهم مثل [ذلك[2]] فيما يحكونه من المقالات في مسائل " كلام الله" و " أفعاله " و " النبوات " و " المعاد " وغير ذلك ، تجد أكثر أهل الفلسفة والكلام يذكرون في المسألة عدة مقالات لا يعرفون غيرها ، والقول الصواب لا يعرفونه ، ولهذا كان المقتدى بهم في طريقهم انما ينتهي الى الحيرة والشك ، والى تقليدهم فيما أخطأوا فيه[3] .

ومسألة " الجوهر " من هذا وهذا ، ولهذا صار كثير من أعيانهم يصل فيها الى الوقف[4] والحيرة ؛ كأبي الحسين البصري[5] ، وأبي المعالي الجويني

---

(١) الأصل (ص) : قول ، ولعل الصواب ما أثبته .
(٢) ذلك : ليست في الأصل (ص) ، وزدتها ليستقيم الكلام .
(٣) الأصل (ص) : فيما أخطأ فيه .
(٤) الأصل (ص) : الوفق . وهو تصحيف .
(٥) هو أبو الحسين محمد بن علي بن الطيب ، من شيوخ المعتزلة ، بصرى سكن بغداد ومات بها سنة ٤٣٦ ، وكان ذكيا صاحب تصانيف .

انظر عنه : تاريخ بغداد ٣/ ١٠٠ ؛ البداية والنهاية ١٢/ ٥٣ - ٥٤ ؛ العبر ٣/ ١٨٧ ؛ لسان الميزان ٥/ ٢٩٨ ؛ الأعلام ٦/ ٢٧٥ ؛ تاريخ التراث العربي ١/ ٤/ ٨٦- ٨٧ .

وأبي عبدالله الرازى وغيرهم[1] .

ولم [تكن هذه الطرق شرعية ، بل بدعية[2]] ، لأن معرفة الله ورسوله لا تتوقف على هذه المسائل ، ولأن كثيرا[3] من النظار اعتقدوا أن هذا من أصول الدين وقواعد الايمان فتكلموا في ذلك بالكلام الذى ذمه السلف والأئمة .

وهؤلاء هم الجهمية من المعتزلة ومن اتبعهم ، وأصل كلامهم أنهم قالوا : لا يعرف صدق الرسول حتى يعرف اثبات الصانع ، ولا يعرف اثبات الصانع حتى يعرف حدوث العالم ، ولا يعلم حدوث العالم الا بما به يعلم حدوث الأجسام .

استدلال أهل الكلام على حدوث الأجسام

ثم استدلوا على حدوث الأجسام بطرق : أحدها - أنه لا يخلو عن الحوادث ، ومالم يخل عن الحوادث فهو حادث .

ثم قرر فريق منهم المقدمة الأولى بأن الجسم لا يخلو عن الحركة والسكون ، وهما حادثان . وهذه الطريقة معروفة عن المعتزلة وغيرهم ، والرازى يذكرها في كتبه .

وآخرون قرروا ذلك بأن الجسم لا يخلو عن الأكوان : وهي الاجتماع والافتراق والحركة والسكون ، والأكوان حادثة . وهذه الطريقة معروفة عن المعتزلة .

وآخرون قرروا ذلك بأن الأجسام لا تخلو عن الاجتماع والافتراق ، وهما حادثان . وهذه طريقة الأشعرى وغيره ، وهذا مبني على الجوهر الفرد . فاذا قيل : ان الأجسام مركبة من الجواهر الفردة ، فالجواهر اما مجتمعة واما متفرقة ،

---

(١) تكلم الرازى في كتابه " نهاية العقول في دراية الأصول " مخطوط بدار الكتب المصرية (علم الكلام ٧٤٨) عن الجزء الذى لا يتجزأ ، فقال (٢ / ١٤٤) " وأما المعارضات التي ذكروها، فاعلم أن من العلماء من مال الى التوقف في هذه المسألة بسبب تعارض الأدلة ، فان امام الحرمين رضي الله عنه صرح في " التلخيص " في أصول الفقه ، أن هذه المسألة من محارات [نهاية العقول : مجازات] العقول ، وأبو الحسين البصرى وهو أحذق المعتزلة توقف ، ونحن أيضا نختار هذا التوقف ، فاذن لا حاجة بنا الى الجواب عما ذكروه ، وبالله التوفيق " .

(٢) مابين المعكوفين بياض في الأصل (ص) ، ولعل ماأثبت يفي بالمطلوب .

(٣) الأصل (ص) : كثير .

وأما من قال : ان الأجسام ليست مركبة من الجواهر الفردة ، فانه على قوله لا يكون الجسم ملزوما لاجتماع الأجزاء وافتراقها .

وقرر آخرون ذلك بأن الجسم لا يخلو من كل جنس من أجناس الأعراض عن واحد منها ،قالوا : لأن القابل للشيء لا يخلو عنه وعن ضده ، ثم قالوا : والعرض لا يبقى زمانين ، فتكون الأعراض كلها حادثة شيئا بعد شيء ، والأجسام لا تخلو منها .

وهذه هي الطريقة المشهورة عند الأشعرية ، وعليها اعتمد الآمدى ، وذكر أنها عمدة أصحابه ، وبنى مسألة حدوث الأجسام على أن العرض لا يبقى زمانين.[1] واعترض / طائفة عليه كالهندى[2] ، وقالوا : كيف تقرر هذا الأصل العظيم على مثل هذه المقدمة التي ينكرها جمهور العقلاء ؟ .

ظ ٥٣

وهذا الاعتراض صحيح ،وماذكره الآمدى من النقل عن أصحابه صحيح ،بل كثير منهم كأبي المعالي وغيره لا يقرر أن الأجسام لا تخلو عن الأعراض، وأن القابل للشيء لا يخلو عنه وعن ضده . بل يذكرها دعوى مجردة[3] ، فاذا تكلم عليها في مسألة " حدوث العالم " - كما ذكر في " الارشاد " - أحال على بحثه مع الكرامية ، واذا بحثها مع الكرامية لم يذكر عليها

---

(١) الأصل (ص) : زمانين . بدون نقاط .

(٢) لا أدرى من المراد ، لكن المشهور بهذه النسبة في الفترة من عصر الآمدى الى عصر ابن تيمية هو صفي الدين أبو عبدالله محمد بن عبدالرحيم بن محمد الأرموى الهندى ، الفقيه الشافعي والمتكلم الأشعرى ، صنف في أصول الفقه والدين ، ولد بالهند سنة ٦٤٤ رحل الى اليمن سنة ٦٦٧ ثم حج ورأى ابن سبعين بمكة وسمع كلامه ، ثم دخل القاهرة في سنة ٦٧١ واجتمع مع السراج الأرموى ثم سار الى الروم ، ثم قدم دمشق سنة ٦٨٥ واستوطنها وتوفي فيها سنة ٧١٥، ولما عقدت المجالس بالشام لشيخ الاسلام ابن تيمية استعين في بعضها بالصفي الهندى لمناظرة الشيخ ،ولكن كما يقول ابن كثير "ساقيته لاطمت بحرا " .
انظر: طبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٩/١٦٢-١٦٤ ؛ البداية والنهاية ١٤/٣٦، ٧٤-٧٥ ؛ الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ٤/١٣٢-١٣٣ ؛ الأعلام ٦/٢٠٠ .

(٣) الأصل (ص) : محمودة . ولعل الصواب ما أثبته .

حجة الا مجرد تناقضهم في عدم طردها[١]، وهذا ليس بدليل ، بل غايته أن الكرامية أخطأوا[٢] في بعض لوازم قولهم ، فمن لم يوافق الكرامية على ذلك وطرد اللوازم - لم يكن هذا عليه حجة جدلية ، كما أنه ليس بحجة علمية ألبتة[٣] .

وأما المقدمة الثانية - وهي أن مالم يخل عن الحوادث فهو حادث - فهو أعظم المقدمتين ، وقد تتنوع العبارات فيه ؛ فتارة يقولون : مالم يخل عن الحوادث فلم يسبقها ، ومالم يسبق الحوادث فهو حادث . وتارة يقولون : مالم يسبق الحوادث ، أو مالم يخل عنها ، لا يكون الا معها أو بعدها ، ومالا يكون الا مع الحوادث أو بعدها فهو حادث . فعمدة الدليل أن ماقارن الحوادث - فلم يكن قبلها - فهو حادث .

ثم كثير منهم لا يقرر هذه المقدمة بناء على ظهورها ، وذلك أنهم يفهمون منها : أنهم يفهمون من حد " الحوادث " : التي جملتها حادثة بعد أن لم تكن .

ومعلوم أن مالم يسبق هذه فهو حادث ، لكن الدليل الذى ذكروه لم يدل على ذلك ، لم يدل الا على أن الأجسام مقارنة لجنس الحوادث ، لا تكون الا ومعها حادث ، فاذا قدر أن الحوادث دائمة ، توجد شيئا بعد شيء دائما

---

(١) انظر " الارشاد " باب القول في حدث العالم حيث يقول ، ص ١٧ - ١٨ : " والجسم في اصطلاح الموحدين المتألف ، فاذا تألف جوهران كانا جسما اذ كل واحد مؤتلف مع الثاني .
ثم حدث الجواهر يبنى على أصول ؛ منها اثبات الأعراض ، ومنها اثبات حدثها ، ومنها اثبات استحالة تعرى الجواهر عن الأعراض ، ومنها اثبات استحالة حوادث لا أول لها ، فاذا ثبتت هذه الأصول ترتب عليها أن الجواهر لا تسبق الحوادث ، ومالا يسبق الحادث حادث " .
وانظر ص ٢٢ - ٢٥ قوله : " وأما الأصل الثالث فهو تبيين استحالة تعرى الجواهر عن الأعراض . . . الخ " .
ثم انظر : " فصل في أن الله ليس جسما خلافا للكرامية " ؛ حيث يقول ، ص ٤٣ : " ان سميتم البارى تعالى جسما وأثبتم له حقائق الأجسام فقد تعرضتم لأمرين : اما نقض دلالة حدث الجواهر ؛ فان مبناها على قبولها للتأليف والمماسة والمباينة ؛ واما أن تطردوها وتقضوا بقيام دلالة الحدث في وجود الصانع ؛ وكلاهما خروج عن الدين ، وانسلال من ربقة المسلمين " .

(٢) الأصل (ص) : أخطأ .

(٣) سيعود ابن تيمية للحديث عن المقدمة الأولى فيما بعد ، ص ٣١٤ .

-لم يلزم أن يكون مالم يسبقها حادثا ؛ فلهذا صار كثير منهم يحتاجون الى بيان امتناع حوادث لا أول لها ، وهذا قطب رحى هذا المكان .

والمقصود هنا أن قول القائل : " مالم يخل عن الحوادث فهو حادث " لفظ مجمل ؛ فان مالم يخل عن حادث معين ، أو حوادث معينة ، أو عن مجموع الحوادث ، [ان][1] قدر لها مجموع له ابتداء - فهو حادث باتفاق العقلاء . وكذلك مالم يسبق الحادث المعين ، وكذلك مالم يخل عن حوادث محصورة ، أو لم يسبق حوادث محصورة ، أو لم يخل عن مجموع الحوادث ، أو لم يسبق مجموع الحوادث ، ان قدر لها مجموع له ابتداء - فانه حادث باتفاق العقلاء ، فان الحادث المعين ، والحوادث المحصورة ، والمجموع الذى له ابتداء - مسبوق بالعدم ، كائن بعد أن لم يكن ، فما [لم][2] يسبقه كان اما معه واما بعده ، لا يكون قبله ، فيجب أن يكون حادثا لا قديما . ومالم يخل عن حادث معين ، أو حوادث محصورة ، أو عن[3] مجموع له ابتداء - فانه لا يتقدمها ؛ اذ لو تقدمها لخلا عنها ، والتقدير أنه ملزوم لها ، لا يخلو عنها ، ووجود الملزوم بدون اللازم ممتنع .

أقوال الناس في دوام الحوادث

وأما دوام الحوادث شيئا بعد شيء ، بحيث لا تكون لها بداية ولا نهاية ؛ فهل هذا ممكن أم لا ؟ هذا فيه لبني آدم ثلاثة أقوال :

قول الطائفة الأولى

فقيل : انه ممتنع / مطلقا . وهذا قول المتكلمين والفلاسفة الذين استدلوا على حدوث الأجسام أو حدوث العالم بأنها مستلزمة للحوادث ، وما استلزم الحوادث فهو حادث .

ثم تنازع هؤلاء في امتناع دوام الحوادث في المستقبل دون الماضي ، أو بالامتناع فيهما : ـ

---

(١) ان : ليست في الأصل (ص) ، ولعلها ساقطة .
(٢) لم : ليست في الأصل (ص) ، ولعلها ساقطة .
(٣) الأصل (ص) : أوغير . ولعل الصواب ما أثبته .

القول الأول فقال اماما هذه الطريقة : الجهم بن صفوان وأبو الهذيل العلاف: يمتنع دوام الحوادث في المستقبل ووجود حوادث لا آخر لها، كما إمتنع وجود حوادث لا أول لها. ولهذا قال الجهم بن صفوان بفناء الجنة والنار، وأن العالم يفنى كله، وجعل الرب تعالى معطلا عن الكلام والفعل في الأزل والأبد. ولهذا كان من أعظم ما أنكره السلف والأئمة على الجهمية، بل كفروهم به، قولهم بفناء الجنة والنار.

وقال أبو الهذيل تفنى الحركات، ويبقى أهل الجنة[1] في سكون دائم.

فيقال له : ان جوزت خلو الجسم عن السكون، وامتناع الحركة عليه في المستقبل؛ فجوز ذلك في الماضي، حينئذ فيمكن خلو الأجسام عن الحوادث، فيبطل دليلك الذى عمدته أن الجسم لا يخلو عن الحوادث.

ولهذا قالت الهشامية والكرامية وغيرهم بأن البارى جسم قديم أزلي، لم يكن متحركا، ثم صار متحركا بعد أن لم يكن. وهؤلاء يلزمهم من المطالبة بسبب حدوث الحوادث مايلزم غيرهم، مع مافي قولهم من التجسيم الباطل، كما قد بسط في موضعه.

القول الثاني وقال أكثرهم : بل تدوم الحوادث في المستقبل، دون الماضي، قالوا : لأن هذا بمنزلة أن يقول : لا أعطيتك درهما الا أعطيتك بعده درهما، فهذا ممكن، واذا قال : لا أعطيك [درهما[2]] حتى أعطيك [قبله[3]] درهما - كان هذا ممتنعا، وهذا عمدة صاحب "الارشاد الى قواطع الأدلة"[4] ونحوه من أهل

---

(١) وأهل النار أيضا، كما أشار ابن تيمية الى مذهب أبي الهذيل فيما تقدم، ص١٣٩.

(٢) درهما : ليست في الأصل (ص)، والسياق يقتضي اثباتها.

(٣) قبله : ليست في الأصل (ص)، والسياق يقتضي اثباتها.

(٤) في كتاب "الارشاد"، ص ٢٦-٢٧ يقول الجويني : "وضرب المحصلون مثالين في الوجهين؛ فقالوا : مثال اثبات حوادث لا أول لها قول القائل لمن يخاطبه : لا أعطيك درهما الا وأعطيك قبله دينارا، ولا أعطيك دينارا الا وأعطيك قبله درهما، فلا يتصور أن يعطى على حكم شرطه دينارا ولا درهما.
ومثال ما ألزمونا أن يقول القائل : لا أعطيك دينارا الا وأعطيك بعده درهما، ولا أعطيك درهما الا وأعطيك بعده دينارا، فيتصور منه أن يجرى على حكم الشرط".

الكلام ، وعليه بنو الدين الذى ذكروا أنه دين الاسلام .

فقال القادح في حجتهم : ليس هذا بتمثيل مطابق ، بل المطابق أن يقال : ما أعطيتك درهما الا أعطيتك قبله درهما ، فهذا مثال الماضي ، ومثال المستقبل أن يقول : ما أعطيتك درهما الا أعطيتك بعده درهما ، والعقل يسوى بين هذين ؛ فان كان أحدهما ممكنا كان الآخر مثله .

وأما اذا قال : لا أعطيك[1] حتى أعطيك . فهو بمنزلة أن يقول : ما أعطيتك درهما حتى أعطيتك بعده درهما ، وهذان ممتنعان ؛ فانه نفى المستقبل حتى يوجد قبله مستقبل ، فيلزم أن لا يكون شيء من المستقبل ، ونفى الماضي حتى يوجد بعده ماض ، فيلزم أن لا يكون شيء من الماضي ، فانه اذا لم يكن مستقبل حتى يكون مستقبل - كان دورا ممتنعا ، واذا لم يكن ماض حتى [يكون][2] ماض كان دورا ممتنعا ؛ كما اذا قيل : لا يكون موجود حتى يكون قبله موجود ، بخلاف ما اذا نفى الماضي المعين الا وقبله ماضي ، أو نفي المستقبل المعين الا وبعده مستقبل ؛ فان العقل يفرق بين هذين وبين ذينك .

قول الطائفة الثانية
ظ ٥٤

وقالت الطائفة الثانية : بل يجوز دوام / الحوادث في الماضي والمستقبل ، ويجوز دوام ماتقوم به الحوادث ، وماتقارنه من الأجسام وغيرها أزلا وأبدا ، وهذا قول الفلاسفة الدهرية القائلين بقدم الأفلاك .

هذه الطائفة نوعان

ثم هؤلاء هم نوعان :

النوع الأول

دهرية ، معطلة محضة ، يقولون بأن العالم قديم أزلي ، وجب بنفسه ، ليس له مبدع ولا صانع ؛ لا فاعل بالاختيار ولا موجب بالذات ، وهؤلاء قولهم من جنس القول الذى أظهره فرعون ؛ حيث قال : (ومارب العالمين)[3] فاستفهم استفهام انكار عن رب العالمين ، لا استفهام استعلام عن ماهيته كما يظنه

---

(١) في الأصل (ص) بعد عبارة " لا أعطيك " علقت فوق السطر كلمة " درهما " ، والأولى حذفها ، أو تكون العبارة : لا أعطيك درهما حتى أعطيك درهما .
(٢) يكون : ليست في الأصل (ص) والسياق يقتضي اضافتها .
(٣) سورة الشعراء : ٢٣ .

بعضهم ،فان فرعون كان مظهرا للجحود والتعطيل ، كما قال : (ماعلمت لكم من الـه غيرى)[1] وقال : (أنا ربكم الأعلى)[2] وقال : (ياهامان ابن لي صرحا لعلي ابلغ الأسباب . أسباب السموات فاطلع الى الـه موسى واني لأظنه كاذبا)[3] . وان كان هو وقومه كما قال تعالى : (وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم)[4] ، وقال له موسى : (لقد علمت ما أنزل هوءلاء الا رب السموات والأرض بصائر)[5] .

وهوءلاء يعلم فساد قولهم تارة بالضرورة ، وتارة بالنظر، من وجوه كثيرة ؛ فان مافي العالم من الحوادث المشهودة التي تدل على أن محدثها عالم قدير حكيم ، ومافي العالم من الحاجة والافتقار : الذى يدل على أن العالم جميعه وكل جزء منه محتاج مفتقر ، وأن جميع ماهو فقير محتاج يفتقر الى ماهو خارج عنه ، وأن الوجود اما واجب واما ممكن ، واما قديم واما محدث ، واما غني لامحتاج واما محتاج ، واما مخلوق أو غير مخلوق ، ولابد للممكن من واجب ، وللمحدث من قديم ، وللفقير من غني ، والمخلوق من خالق غير مخلوق ؛ فيلزم وجود الخالق الغني القديم الواجب بنفسه بالضرورة ، وهذا وغيره مبسوط في غير هذا الموضع ، وسنبين ان شاء الله تعالى أن الاقرار بالصانع عند جماهير العقلاء فطرى ضرورى ، وان كان قد يكون عند بعض الناس نظريا[6] .

النوع الثاني

والنوع الثاني- الدهرية الالهيون القائلون بأن العالم قديم ، والأفلاك قديمة، لكن له علة قديمة هو مفتقر اليها . وهذا قول ابن سينا وأمثاله من الفلاسفة .

---

(١) سورة القصص : ٣٨ .
(٢) سورة النازعات : ٢٤ .
(٣) سورة غافر : ٣٦- ٣٧ .
(٤) سورة النمل : ١٤ .
(٥) سورة الاسراء : ١٠٢ .
(٦) انظر فيما يأتي صفحة ٣٤٢ ومابعدها .

وهذا القول يحكى عن المشائين كأرسطو وأتباعه ،وليس الأمر كذلك ؛ فان الذين كانوا قبل أرسطو كانوا يقولون بحدوث صورة الأفلاك ،وانما تكلموا في قدم المادة اما عينا واما نوعا .

العلة والمعلول عند أرسطو

وأرسطو انما أثبت في كتبه علة غائية يتحرك الفلك للتشبه بها ، فهذا هو المعروف في كتب أرسطو وأتباعه من القدماء ؛ وهو أنهم أثبتوا له علة غائية ، وأثبتوا ذلك بطريق الحركة ؛ بناء على أن حركة الفلك حركة شوقية ارادية ، وأنه يتحرك للتشبه بمن فوقه ، فتلك العلة تحركه كما يحرك الامام المقتدى به للمأموم المقتدى الذى يحب التشبه به ، وهذا مرادهم بأنه يحركه كما يحرك / المعشوق العاشق ، كما قد بسط ذلك أرسطو في "مقالة اللام" ، التي هي منتهى العلم الالهي عندهم.[1]

ج ٥٥

ومن لم يجعل العلة الا هذا القدر : فحقيقة قوله أن الأول لم يفعل شيئا ، ولم يبدع شيئا ؛ فان مجرد كون الشيء محبوبا ومعشوقا ومتشبها به ،لا يوجب أن يكون مبدعا موجبا لمحبه وعاشقه المتشبه به .

العلة والمعلول عندابن سينا وأمثاله

وأما أتباع أرسطو المنتسبون الى الاسلام كابن سينا وأمثاله ، فهؤلاء أثبتوا "العلة الأولى" بغير هذه الطريق - وسموها "واجب الوجود" - الذى يسميه أرسطو " علم مابعد الطبيعة " ، وقالوا : الوجود اما واجب واما ممكن ، والممكن لابد له من واجب ، فيلزم اثبات الواجب على التقديرين .

ثم أخذوا يتكلمون في خصائص الوجود بكلام مؤلف من قول سلفهم المشائين وكلام المعتزلة نفاة الصفات ، ونفوا الصفات بناء على طريقة "التركيب" ، وسموا هذا العلم " العلم الالهي " ، وتكلموا في النبوات وأسرار الآيات وغير ذلك بكلام لم ينقل عن سلفهم المشائين ،ولكن تلقوا كثيرا منه من نظار المسلمين وأهل الملل ، وأرادوا أن يجمعوا بين أصول سلفهم الدهرية

---

(١) نقلت كلام أرسطو في هذا عن " مقالة اللام " فيما سبق ، ص ٩٣ ت ٣ .

وبين مقالات أهل الملل من المسلمين واليهود والنصارى ، وصار كثير من المتأخرين كالرازى والآمدى وغيرهما يثبتون واجب الوجود بهذه الطريق .

وليست هذه طريق قدماء أهل الكلام وأئمتهم ، كما أنها ليست طريقة قدماء الفلاسفة ولا أئمتهم ، وهي تفيد مالا نزاع بين العقلاء فيه ، من اثبات موجود واجب الوجود بنفسه ، أما اثبات صانع العالم سواء ، فلا تفيده هذه الطريقة ، الا بناء على نفي الصفات التي بنوا عليها توحيدهم ، وهي طريقة فاسدة ، أو أن يسلك في ذلك طرق أخرى غير ماذكروه فهذا ممكن أيضا .

وهؤلاء المصنفون في الفلسفة من المتأخرين مثل السهروردى المقتول والرازى والآمدى والطوسي وغير هؤلاء ، ممن يشرح اشارات ابن سينا أو يصنف غير ذلك - عمدتهم في الفلسفة على مايجدونه في كتب ابن سينا ، واذا قال الرازى : " أجمعت الفلاسفة " . فانما عمدته ماذكره ابن سينا .

[وابن سينا[1]] توسع في العلم الالهي ، وخاض في الكلام في النبوات وفي أشياء لا توجد في كلام سلفه المشائين ، فان كلامهم في هذا الباب - الذى يسمونه " علم مابعد الطبيعة " أو " ماقبل الطبيعة " باعتبار الوجود والنظر ، ويسمونه " الفلسفة الأولى " و " الحكمة العليا " - كلام قليل جدا[2] ، وغايته كلام في أمور كلية ، ولهذا كان موضوعه عندهم هو " الوجود المطلق " المنقسم الى واجب وممكن ، وجوهر وعرض ، وعلة ، ومعلول ، وعامة كلام القوم انما هو في الطبيعيات ، ولكن هؤلاء المنتسبون الى الاسلام منهم ، وسعوا الكلام في الالهيات بما ضموه الى ذلك من كلام أهل الكلام ، حتى صار شيئا يذكر ويقال مع كثرة مافيه من الخطأ والضلال ، وقد بسط الكلام عليهم في غير هذا الموضع .

---

(١) وابن سينا : ليست في الأصل (ص) ، ولعلها ساقطة .

(٢) في الأصل (ص) رسمت العبارة بحيث تقرأ : قيل جيدا . ولعل الصواب ما أثبته .

ظ ٥٥

والمقصود هنا أن هذا الصنف الثاني من الدهرية / الذين يقولون بأن العالم صدر عن موجب بذاته لازم له - هم أيضا يقولون بدوام الحوادث من غير بداية ولا نهاية ، ولا يفرقون بين الحوادث القائمة بالممكن المعلول المفتقر الى غيره ، وبين مايفعله الواجب بنفسه الذى لا يفتقر الى غيره .

رد الفلاسفة باطل المتكلمين في هذه المسألة بباطل

وهؤلاء عمدوا الى ماذكره أولئك من امتناع حوادث لا أول لها فأبطلوه ، كما فعله الفارابي ، وابن سينا ، وأبو البركات صاحب " المعتبر " ، وابن رشد الحفيد ، وكما فعله الرازى ، وغيرهم في كتبهم الفلسفية " كالمباحث المشرقية " وغيرهما .

ولكن ليس في ابطال قول أولئك مايقتضي صحة قولهم ، لا بقدم الأفلاك ولا غيرها ، بل ولا امكان قدم شيء سوى الله تعالى ، ولكن ردوا باطل أولئك بباطلهم ، والحق لم ينحصر في قول هؤلاء وهؤلاء ، بل قول هؤلاء أشد فسادا من قول أولئك في العقل ، كما أنه أفسد منه في الشرع .

بطلان قول الفلاسفة

فانه من المعلوم بالاضطرار من دين الرسول صلى الله عليه وسلم ، أن الله تعالى خلق السموات والأرض في ستة أيام ، وهذا مما نطق به القرآن في غير موضع ، وكذلك التوراة ، وغير ذلك من كتب الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه. وكذلك نطقت الكتب الالهية بأن الله تعالى يخلق بمشيئته وقدرته ، وأنه سبحانه على كل شيء قدير، وبكل شيء عليم ، وغير ذلك مما يناقض قول هؤلاء.

ولهذا كان هؤلاء ملاحدة باطنية ، أهل قرمطة في السمعيات ، كما أنهم جهال متحيرون ، أهل سفسطة في العقليات ؛ فان الواجب بذاته الأزلي ؛ الذى يستلزم موجبه ومقتضاه في الأزل ؛ الذى لم يزل ولا يزال موجبا له - يمتنع أن يتخلف عنه شيء من موجبه ومقتضاه ، أو يحدث عنه شيء بعد شيء . والعالم مملوء من الحوادث المشهودة وغير المشهودة ؛ فيمتنع أن تصدر عن موجب بذاته بواسطة أو بغير واسطة ؛ فان تلك الواسطة - سواء

قيل انها العقول[1] والنفوس ،أو قيل غير ذلك ان كانت لازمة لذاته ، كما يقولون ، امتنع أيضا أن يحدث عنها شيء ، وان لم تكن[2] لازمة كانت حادثة ، وذلك يبطل قولهم .

واذا قالوا :" ان سبب الحوادث هو حركة الفلك " فالقول في السبب الموجب لحدوث الحركة شيئا بعد شيء .

واذا قالوا : هو تصور النفس الفلكية المتعاقبة . فالقول في حدوث تلك التصورات شيئا بعد شيء .

فان هذا كله ان لم يكن حادثا ، امتنع أن يحدث به مالم يكن حادثا، وان كان حادثا امتنع أن يصدر عن موجب أزلي مستلزم لموجبه ومقتضاه ؛ اذ كونه مستلزما لموجبه في الأزل مع حدوث الحوادث عنه شيئا بعد شيء- جمع بين المتناقضين .

وهؤلاء أنكروا على أولئك قولهم بصدور الحوادث بدون سبب حادث، مع أن أولئك يقولون : تصدر عن فاعل مختار ،ويقولون : ان القادر المختار يرجح أحد مقدوريه على الآخر بلا مرجح .

فهذا القول وان [كان[3]] باطلا عند جمهور العقلاء ، فقول هؤلاء أبطل منه ؛ فان حقيقته أن الحوادث جميعها التي في العالم / العلوى والسفلي تحدث من غير محدث لها أصلا . والفلك الذى جعلوه مبدأ الحوادث،غايتهم أن يقولوا فيه ماقاله أولئك في فعل المخلوق القادر المختار ؛ فان أولئك القدرية يقولون :ان فعل الحيوان يصدر عنه بمشيئته التي يحدثها هو، ويقولون: ان ارادته ترجح أحد مقدوريه على الآخر بلا مرجح .

ج ٥٦

---

(١) الأصل (ص) : المعقول .

(٢) الأصل (ص) : يكن .

(٣) كان : ليست في الأصل (ص) ،ولعلها ساقطة .

وهؤلاء اذا انتهوا فغايتهم أن يقولوا في الفلك مثل ذلك ؛ فكل ما أبطل به قول أولئك[1] يبطل قول هؤلاء وزيادات ؛ فانه اذا كان القادر المختار يمكن أن يرجح أحد مقدوريه بلا مرجح - أمكن أن يحدث الفلك وغيره من الحوادث ، وأمكن تخصيص أحد المتماثلين بالاحداث بلا مرجح ؛ وذلك يبطل أصل قولهم في الموجب بالذات وقدم العالم .

وان لم يمكن ذلك لم يمكن أن تحدث حركات الفلك الذى هو معلول مفتقر ، وتصورات الفلك واراداته[2] ، اذا قيل له تصور وارادة لا محدث فوقها يحدثها[3] ؛ وذلك يبطل قولهم بالموجب بالذات ، وبطلانه مستلزم لبطلان قولهم بقدم العالم .

ويمتنع أن يقولوا في الممكن المعقول : انه يحدث الحوادث بلا مرجح وانه يحدث تصوراته واراداته بلا محدث ، مع أنه مربوب معلول ، والواجب القديم لا يرجحها الا بمرجح . ويمتنع أن يقولوا : ان هذه الحوادث القائمة بالفلك تحدث شيئا بعد شيء دائما ؛ عن علة تامة أزلية موجبة بنفسها لمعلولها ؛ بواسطة أو غير واسطة ، فان هذا جمع بين النقيضين .

ولما كان فساد هذا القول بعد التصور التام يقينيا : صاروا يحتاجون الى أن ينازعوا في لوازمه ؛ ويذكروا في العلم الالهي الكلي والعلم الطبيعي - مقدمات مخالفة لما قاله سلفهم ، ولما عليه جمهور العقلاء ، ولما يعلم بفطرة العقل ؛ مثل قولهم : ان الممكن الذى يقبل الوجود والعدم يكون واجبا بغيره قديما أزليا يمتنع عدمه . فيجمعون بين النقيضين ، ولهذا أورد عليهم من الاشكالات - في هذا الممكن مثل ماذكره الرازى في " محصله " وغيره ؛ مالا يمكن عنه جواب صحيح . فالقول المتناقض يلزمه لوازم باطلة ، مثل قولهم : ان الفاعل

---

(١) في الأصل (ص) بعد كلمة " أولئك " كلمة مطموسة وقد قرأتها كذا : وعر .
(٢) الأصل (ص) : واراد ته .
(٣) الأصل (ص) : يحدها . بدون نقط .

المبدع لمفعوله يكون مفعوله مقارنا له في الزمان ؛ ملازما له أزلا وأبدا لا يتأخر عنه . وهذا مما أنكره جماهير العقلاء .

ثم من أعظم تناقضهم [أن][1] يقولوا : واجب الوجود لا تكون له صفات ، لأن ذلك يقتضي أن يكون مستلزما لها لا تنفك عنه ، وسموا ذلك الاستلزام افتقارا ، وقالوا : هذا يقتضي أن يكون واجب الوجود مفتقرا الى غيره ، وذلك ممتنع . وهم قد جعلوه مستلزما للأفلاك وغيرها من مصنوعات لا تنفك عنه ، واذا سمي الاستلزام افتقارا كان هذا افتقارا الى الأفلاك ؛ فيكون واجب الوجود مفتقرا الى مفعولاته ، وذلك أعظم استحالة من استلزامه / الصفات . ظ ٥٦

ثم انهم يجعلون " أن يفعل " و " أن ينفعل " من أنواع الأعراض الموجودة ؛ فان الأجناس العالية التي جعلوها أجناس الموجودات هي عندهم عشر : الجوهر والأعراض ، ولم يقيموا دليلا على انحصارها[2] في تسعة ، ولهذا جعلها بعضهم ثلاثة : الكم ، والكيف ، والاضافة ، وبعضهم غير ذلك ، وعلى كل قول فهم لا يتنازعون أن الأعراض موجودة ، وأن الفعل والانفعال من الأعراض .

ومعلوم أن فعل الأول لكل ماسواه ، أعظم من فعل غيره ، ففعله أعظم أنواع الفعل ؛ فيلزم أن يكون فعله موجودا ، وهو عرض لا يقوم بنفسه ، ولا يجوز أن يقوم بغيره بالضرورة ، وهم يسلمون ذلك ؛ ويقولون : " أن يفعل[3] " ، يقوم بالفاعل ، و " أن ينفعل " يقوم بالقابل . فيلزم أن يكون الرب تعالى قد قام به " أن يفعل " ، واذا قام به الفعل فقيام القدرة وغيرها من الصفات أولى وأحرى ، وحينئذ فتكون الصفات قائمة به .

---

(١) أن : ليست في الأصل (ص) ، وزدتها ليستقيم الكلام .
(٢) أي الأعراض .
(٣) الأصل (ص) ان الفعل . والسياق يقتضي ما أثبته .

والفعل عند أساطينهم من جنس الحركة ، وذلك لا يكون الا شيئا بعد شيء ، فان الحركة عندهم ليست مختصة بالانتقال من حيز الى حيز، بل هذا يسمونه حركة في " الأين "، ويسمون حركة الفلك حركة في " الوضع "، ويجعلون الفعل وتحول الموصوف[١] من صفة الى صفة : حركة في " الكيف " ، ويجعلون حركة النبات حركة في " الكم "[٢].

واذا كان الفعل حركة في " الكيف " لزم أن مفعول الرب تعالى لا يصدر عنه الا شيئا بعد شيء ، فامتنع أن يكون في مفعوله قديم .

وأيضا فالذات الواحدة البسيطة يمتنع في صريح العقل أن يصدر عنها أمور مختلفة متعددة بواسطة أو لا بواسطة ، وهم يعرفون ذلك بقولهم : الواحد لا يصدر عنه الا واحد .

لكن " الواحد " الذى وصفوا به رب العالمين لا حقيقة له ؛ فانهم أثبتوا وجودا لا يتصف بصفة ثبوتية ، بل هو بسيط مطلق بشرط الاطلاق عند بعضهم كأبي يعقوب السجستاني[٣] وغيره ، أو مطلق بشرط نفي كل أمر ثبوتي عنه كقول ابن سينا وأمثاله ، والأول انما يوجد في الأذهان لا في الأعيان ، والثاني أشد عدما منه ؛ لأنه مشروط[٤] بالعدم ، وماخلا عن تقيد بوجود أو عدم كان أقرب الى الوجود[٥] مما قيد بالعدم ، مع أن هذا يستلزم أن يكون أى شيء فرضت من الموجودات أكمل من واجب الوجود ؛ فانهما اشتركا في مسمى " الوجود " ، وامتاز الممكن بأمر وجودى ، وامتاز الواجب عندهم بأمر عدمي ،

---

(١) الأصل (ص) المصوف.

(٢) سبق النقل عن كتاب " النجاة " لابن سينا ، في بيان أن الحركة بالذات لا تكون الا في هذه الأربعة ، وأمثلته في توضيح ذلك . انظر ص ٢٥٤ ت ٣ .

(٣) هو أبو يعقوب اسحاق بن أحمد السجستاني أو السجزى ، من علماء الاسماعيلية ودعاتهم ، يقال : قتل سنة ٣٣١ ، وقيل : انه وردت عبارة في أحد كتبه تدل على أنه كان حيا سنة ٣٦٠ .
انظر: الأعلام ١/ ٢٩٣ ؛ تاريخ التراث العربي ١/ ٣/ ٣٦٠-٣٦٣ ؛ طائفة الاسماعيلية للدكتور محمد كامل حسين ص ١٨١ ، القاهرة ١٩٥٩م ؛ مذاهب الاسلاميين لبدوى ٢ / ١٩٣-١٩٦ .

(٤) الأصل (ص) : مشرقط.

(٥) الأصل (ص) : الى للوجود . وعلقت كلمة " الى " فوق السطر.

فكان ما امتاز به الممكن عن الواجب عندهم أكمل مما امتاز به الواجب .

وأيضا فانهم[1] يصرحون في منطقهم بأن الشيئين اذا اشتركا في أمر وجودي لم ينفصل أحدهما عن الآخر الا بأمر وجودي ، لا بأمر عدمي ، ولهذا يقولون : ان فصول الأجناس لا تكون عدما بل وجودا ، ثم / يقولون : ان رب العالمين يشارك كل موجود في مسمى " الوجود " ، ولم يمتز عن شيء منها[2] الا بأمر عدمي .

ج ٥٧

واذا قالوا : هذا نقوله في الأنواع المركبة ، ووجود الواجب ليس من الأنواع المركبة .

قيل : هذا فرق لمجرد اللفظ والاصطلاح ، والا فاذا اشترك الشيئان[3] في أمر وجودي فلا بد من أن يمتاز أحدهما عن الآخر بأمر وجودي ؛ سواء سمي ذلك فصلا أو خاصة .

ثم تفريقهم في الصفات اللازمة للموصوف : بين الذاتيات المقومة الداخلة في الماهية ، وبين العرضية اللازمة للماهية ، وبين العرضية اللازمة لوجود الماهية - تفريق باطل ، كما قد بسط في غير هذا الموضع ، وبين فيه أن هذا الفرق انما يصح لو كان في الخارج لكل شيء ماهية موجودة غير الموجود المعين ، وهذا مما قد عرف فساد كلامهم فيه ، وبين أن الفرق ثابت بين مايتصور في الأذهان ومايوجد في الأعيان ؛ فاذا أريد بالماهية مايتصور في الذهن وبالوجود ماهو خارج الذهن ؛ كما يتصور المثلث في الذهن قبل أن يعرف وجوده في الخارج - فانه يقال : ان هذه الماهية المتصورة في الذهن غير الحقيقة الموجودة في الخارج .

وأما أن يراد اثبات حقيقة في الخارج غير الشيء المعين ، وأن الانسان مركب من جواهر موجودة ، في أحدها[4] جسم ، والآخر حساس ، والآخر نام ،

(١) الأصل (ص) : بأنهم . ولعل الصواب ما أثبت .
(٢) الأصل (ص) : عن شيء عنها . وكتبت عبارة " عن شيء " فوق السطر .
(٣) الأصل (ص) : والا فاشتراك الشيئان . ولعل الصواب ما أثبت .
(٤) الأصل (ص) أحدهما .

والآخر متحرك بالارادة ، والآخر ناطق ؛ فهذا مما يعلم فساده بعد التصور التام بضرورة العقل .

وقد بين أن مايسمونه " تمام الماهية ، ومجموع الماهية ، وكمال الماهية "، ومايسمونه " جزء الماهية "، ومايسمونه " لازم الماهية " - يعود بعد التحقيق الى المدلول عليه " بالمطابقة "، و " التضمن "، و " الالتزام " ؛ فان المدلول عليه بالمطابقة هو مجموع المعنى الذى تصوره المتكلم في ذهنه وعبر عنه بلسانه ، والمدلول عليه بالتضمن هو جزء هذا المعنى ، والمدلول عليه بالالتزام هو مايلزم هذا المعنى.(١)

وأما الانسان الموجود في الخارج فلا ريب أن بدنه مركب من أعضائه التي يمتاز بعضها عن بعض ، ومركب من أخلاطه التي امتزج بعضها ببعض، وهو أيضا مركب من بدن ومن نفس قائمة بنفسها ، عند سلف الأمة وأهل السنة القائلين بأن الروح جوهر قائم بنفسه ؛ ليست جزءا من البدن ولاعرضا من أعراضه ، وان كانوا لايقولون بتجريدها عن الصفات والأفعال ، كما تزعمه المتفلسفة في النفس الناطقة .

فالمقصود هنا أن هذا التركيب مسلم ، وأما تركيب الانسان الموجود في الخارج من عدة جواهر عقلية فهذا مما يعلم بطلانه بصريح العقل بعد

---

(١) دلالة المطابقة هي دلالة اللفظ على تمام ماوضع له ،كدلالة لفظ " الحائط " على الحائط ، ودلالة لفظ " الانسان " على الحيوان الناطق ، ودلالة التضمن هي دلالة اللفظ على جزء ماوضع له ،كدلالة لفظ " البيت " على الحائط ،ودلالة لفظ " الانسان " على الحيوان . ودلالة الالتزام هي دلالة اللفظ على لازم معناه ،كدلالة لفظ " السقف " على الحائط ، ودلالة " الانسان " على قابل صنعة الخياطة وتعلمها .
انظر: معيار العلم للغزالي ، ص ٧٢ . والتعريفات للجرجاني ،ص ١١٠ .
وقد أورد الغزالي هذا في الفن الأول من كتاب مقدمات القياس وهو بيان دلالة الألفاظ على المعاني ، أما مانقلته عنه فيما تقدم ، ص ٥٧ ت ١ في الذاتي المقوم للماهية ،والعرضي اللازم ، والعرضي المفارق ،فقد أورده في الفن الثاني وهو في مفردات المعاني الموجودة ونسبة بعضها الى بعض ،وقال في الفرق بين الفنين ، ص ٨٩ " أن الأول نظر في اللفظ من حيث يدل على المعاني ، والثاني نظر في المعنى من حيث هو ثابت في نفسه ، وان كان يدل عليه باللفظ ،اذ لا يمكن تعريف المعاني الا بذكر الألفاظ ".

التصور لمرادهم . نعم ، هو ذات موصوفة بصفات قائمة بها ، وهي أعراض قائمة [بـه][1] ، فانه تقوم به الحياة والنطق والضحك وغير ذلك من الصفات بالقوة وبالفعل ، وهذه الصفات التي تقوم [بـه][1] ليست مادة لـه ولا أجزاء /سابقة له ، ولا جواهر قائمة بـه . ظ ٥٧

ولهذا اضطربوا في الصفات : هل يكون فيها ماهو مقوم للموصوف، متقدم عليه أو لا ؟ وفرعوا على ذلك أن الفصل هل يكون علة ،لخصه النوع من الجنس ؟ واضطرب في ذلك كلامهم اضطرابا منشوء من أصول فاسدة ، كما قد نبه عليه في غير هذا الموضع .

والمعقول الصريح الذى لا ريب فيه أن الصفات القائمة بالموصوف تنقسم الى : لازم للنوع ، وعارض ، فالأول كالحياة والنطق والضحك بالقوة أو الفعل للانسان ، والثاني كالسواد والبياض ، والطول والقصر ، والشباب والمشيب ، ونحو ذلك من العوارض التي قد تكون بطيئة[2] الزوال ، وقد تكون سريعة الـزوال، كحمرة الخجل ، وصفرة الوجل . والى لازم الشخص كالفطوسة[3] ونحو ذلك ، وعارض له كتزوج المرأة المعينة وطلاقها .

واللازمة للنوع لازمة للنوع الموجود[4] في الخارج ، وهي الماهية والحقيقة الموجودة في الخارج ، وأما المتصور[5] في الذهن فقد يتصور مجملا ، وقد يتصور مفصلا ،والتصور المفصل على درجات متفاوتة ، كما قد بسط في مواضع في بيان كثير من غلطهم في المنطق والالهيات وغير ذلك .

---

(١) بـه : ليست في الأصل (ص) في الموضعين ، ولعل الصواب اثباتها .

(٢) الأصل (ص) : بطيه .

(٣) كالفطوسة : كذا في الأصل (ص) ، وجاء في القاموس المحيط، مادة " الفطس" : " الفطس بالتحريك تطامن قصبه الأنف وانتشارها ، أو انفراش الأنف في الوجه ،فطس كفرح ، والنعت أفطس وفطساء ، والاسم الفطسة ، محركـة ".

(٤) الأصل (ص) : الوجود . ولعل الصواب ما أثبته .

(٥) المتصور: في الأصل (ص) يمكن قراءتها : المقصود . ولعل الصواب ما أثبت .

والمقصود هنا أن ماذكره ابن سينا وأمثاله في واجب الوجود : أنه وجود مقيد بسلب كل ثبوتي عنه[1] - يستلزم من التناقض والفساد مالا يتسع له هذا الموضع ، وتعبيره عن ذلك بأنه الوجود الذى لا يعرض له[2] الوجود. بناء على أن في الخارج شيئين : ماهية ممكنة ، وموجودا هو غير الماهية الموجودة الممكنة ، فلهذا قال : " فالواجب أن وجوده لا يعرض لشيء من الماهيات " ، بناء على هذا الأصل .

واذا قال : " ان وجوده عين ماهيته[3] " ، فليس مراده أن الحقيقة[4] تختص به ، وأن تلك الحقيقة هي عين وجوده الثابت في الخارج ، بل هذا قول نظار أهل السنة ، وهو قول الأشعرى وغيره ، ولكن مراده أنه وجود مجرد لا يتصف بأمر ثبوتي أصلا ، بل انما يتميز عن غيره بالسلوب والاضافات فقط ، وهذا اذا تصوره الانسان تصورا تاما علم أنه يمتنع وجوده في الخارج ، [وأن أى موجود فرض وجوده في الخارج[5]] كان أكمل من هذا الوجود المشروط بسلب كل أمر ثبوتي عنه .

وهذا انما قاله بناء على نفي ماظنوه تركيبا ، وهم يستعملون لفظ " التركيب " في خمسة أنواع :

أحدها - تركيب[6] الموصوف من الذات والصفات .

والثاني - تركيب الماهيات النوعية من الجنس والفصل .

والثالث - تركيب الأعيان الموجودة من وجود وماهية .

---

(١) في كتاب " الشفاء " الالهيات(٢) ، تحقيق محمد يوسف موسى وآخرين القاهرة ١٣٨٠هـ-١٩٦٠م يقول ابن سينا ،ص ٣٤٧ : " فالأول لا ماهية له ،وذوات الماهيات يفيض عليها الوجود منه ، فهو مجرد الوجود بشرط سلب العدم وسائر الأوصاف عنه " ويقول ،ص ٣٥٠ : " فان وجوب الوجود لا ماهية له تقارنه غير وجوب الوجود " .

(٢) الأصل (ص) : لها . ولعل الصواب ما أثبته .

(٣) الأصل (ص) : ان وجود عين ماهيه .

(٤) الأصل (ص) : لحقيقة .

(٥) مابين المعكوفين ليس في الأصل (ص) ، ولعله أو ما في معناه ساقط منه .

(٦) الأصل (ص) : سركب . بدون نقاط.

والرابع - تركيب الجسم من مادة وصورة ، [على][1] قول من يقول بذلك :

وعلى قول كثير من أهل الكلام وغيرهم هو مركب :

التركيب الخامس - هو تركيب الجسم من الجواهر المنفردة .

وقد بين في غير هذا الموضع أن جميع هذه الأنواع باطلة[2] في الوجود

ج ٥٨ الواجب / والممكن ، الا النوع الأول وهو وجود ذات لها صفات ؛ فان هذا ثابت في الواجب والممكن ، وأما ماسوى ذلك فهو باطل في الممكنات والمخلوقات ، فليس شيء منها مركبا تركيبا من تلك الأنواع الأربعة ؛ فالرب الخالق أولى أن لا يكون مركبا من شيء من تلك الأنواع الأربعة .

ولكن لما ظن من ظن وجود تلك التركيبات الأربعة أو بعضها ثابتا في الخارج ،صاروا بعد ذلك متنازعين في الخالق جل جلاله ، منهم من يثبت بعض هذه التركيبات فيه ، ومنهم من ينفيها ، ويلزم كلا من القولين من التناقض مايبين فساده ، حيث بنوا على تحقيق هذه التركيبات في الخارج ؛ فاذا علم انتفاؤها في الخارج مطلقا ، لم يكن لها حقيقة لا في الخالق ولا في المخلوق .

ولكن التركيب الثابت في الخارج هو تركيب الشيء من أجزائه المتنوعة ، اما في الجنس واما في القدر ؛ كتركيب المخلوقات: الحيوان والنبات من أبعاضه ومن أخلاطه ، وتركب المصنوعات : كالأبنية والثياب[3] ، والأطعمة والأشربة ، والأدوية - من الأبعاض المميزة والمختلطة .

ولهذا كان العقلاء يقولون : الجسم ينقسم الى بسيط ومركب ؛ فالبسيط هو ماشابه جزؤه كله : كالماء والهواء ، والمركب بخلاف ذلك . وقد تكون

---

(١) على : ساقطة من الأصل (ص) ، والسياق يقتضي اضافتها .
(٢) في الأصل (ص) خط على كلمة " باطلة " خط دقيق ، ولعله خطأ ، اذ اثباتها لازم .
(٣) والثياب : كتبت الكلمة في الأصل (ص) : والسات (بنقط التاء دون ماقبلها). ولعل الصواب ماأثبته .

أبعاض الجسم متفقة في الحقيقة مع تنوع مقاديرها ؛ كما يصاغ من الذهب والفضة والنحاس والزجاج والبلور[(١)] وغير ذلك صور مختلفة ، فهذا ونحوه من التركيب هو مما يسلمه لهم سائر العقلاء .

وأما مايدعونه من التركيب العقلي : وهو تركيب الشيء المعين من وجود وماهية ، وتركيب النوع من الجنس والفصل ، وتركيب الجسم من جوهرين عقليين : مادة وصورة - فهذا كله انما يوجد في الأذهان ، لا في الأعيان . والتركيب من الجواهر باطل أيضا ، كما قد بسط هذا كله في موضعه .

ثم انهم مع ذلك لما اضطروا الى اثبات أمور وجودية : مثل كونه فاعلا ، وكونه عاقلا ومعقولا وعقلا ، وكونه عاشقا ومعشوقا وعشقا ، وملتذا ولذيذا ولذة - أخذوا يكابرون ؛ فيجعلون[(٢)] هذه الصفة هي الأخرى ، فيجعلون كونه فاعلا هو كونه عالما ، وكونه عاشقا هو كونه عالما ، وكونه عالما هو كونه قادرا ؛ ويجعلون الصفة هي الموصوف ؛ فيجعلون العلم عين العالم ، والقدرة عين القادر ، والمحبة عين المحبوب . ومن متأخريهم - كالطوسي شارح " الاشارات " - من جعل العلم عين المعلومات[(٣)] ، ويجعلون هذه الأمور الموجودة أمورا عدمية .

---

(١) جاء في كتاب " مقدمة في علم البلورات والمعادن والصخور " للدكتور محمد عبد الوهاب الشناوى ط . المعارف ١٩٦٤ ، ص ١٠ مايلي : " البلورة هي جسم صلب متجانس ، له تركيب ذرى معين ، ومحدد بسطوح أو مستويات ملساء تكونت بفعل العوامل الطبيعية تحت ظروف مناسبة من الحرارة والضغط " .
وجاء في كتاب " عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات للقزويني ، ص ١٢٦ مايلي : " حجر بلور ، قال أرسطو : انه صنف من الزجاج الا أنه أصلب ، وهو مجتمع الجسم في المعدن بخلاف الزجاج فانه متفرق الجسم والبلور يصبغ بألوان الياقوت فيشبه الياقوت " .

(٢) الأصل (ص) : فجعلون .

(٣) عقد ابن سينا في كتاب النجاة ، ص ٢٤٩ فصلا عنوانه : " فصل في تحقيق وحدانية الأول بأن علمه لا يخالف قدرته وارادته وحياته في المفهوم ، بل ذلك كله واحد . . . " ونقلت فيما سبق ، ص ٧٣ ت ٣ عن كتاب " الاشارات والتنبيهات " مايشير الى هذا ، كما نقلت كلام الطوسي في أن العلم هو نفس المعلوم ص ٧٤ ت ٢ .

فهذا وأمثاله مما يعلم به كل عاقل تصور قولهم تصورا تاما : أنهم من [أكثر الناس][1] مخالفة للمعقول الصريح في العلم [الالهي][2]. وسبب ذلك أن متقدميهم ليس لهم في ذلك علم ولا خوض ، ولا عرفوا الله تعالى ، ولا ملائكته ولا كتبه ، ولا رسله ، ولا البعث بعد الموت . وانما عرفوا أمورا مشهودة من هذا العالم ، وأمورا كلية لهذه الأمور المشهودة[3] من / الطبيعية والرياضية، وعرفوا أن وراء الأفلاك موجودا آخر ، ولكن صاروا يتكلمون فيه رجما بالغيب، وهم يقذفون بالغيب من مكان بعيد .

ظ ٥٨

وكان غاية ماعند أرسطو : معلمهم الأول ، صاحب المصنفات الموروثة عندهم في المنطق والطبيعي والالهي - أن أثبت علة غائية ، يتحرك الفلك للتشبه بها ، ولم يذكر أنه فعل شيئا، بل أنكر[4] أن يكون عالما بشيء من الموجودات ، وتكلم فيه بكلام قد ذكرناه ، وذكرنا بعض مارد عليه أتباعه المعظمون له وغير أتباعه ، ومابه يعلم أن الرجل وأتباعه من أجهل أهل الأرض برب العالمين ، وأن كفار اليهود والنصارى بعد النسخ والتبديل أعلم برب العالمين منهم .

ولهذا لم يوافقهم متأخروهم كابن سينا وأمثاله على كل ماقالوه ، بل أثبتوا أمورا ، وصاروا يتقربون الى الحق ، وتكلموا [في][5] النبوات ، وأسرار الآيات وغير ذلك بكلام لبسوا به الحق بالباطل ، فصار ينفق على الجهال الأَغْتَام[6] الذين لم يعطوا العقل حقه في المطالب الالهية ، ولا اتبعوا ما أخبرت

---

(١) مابين المعكوفين بياض في الأصل (ص) ، ولعل ما أثبته يفي بالمقصود .
(٢) الالهي : ليست في الأصل (ص) والسياق يقتضي اثباتها .
(٣) الأصل (ص) : المشهود .
(٤) الأصل (ص) : أنكروا .
(٥) في : سقطت من الأصل (ص) ، والسياق يوجب اضافتها .
(٦) الأصل (ص) : الأعسام ، بدون نقاط . وجاء في لسان العرب مادة "غتم" : "الغُتْمة عُجْمة في المنطق ، ورجل أغْتَمُ وغُتْمِيّ لا يُفْصِح شيئا ، وامرأة غَتْماء ، وقوم غُتْمٌ وأغْتَام".

به الرسل عن رب البرية ، بل صاروا ممن قيل فيه : (لو كنا نسمع أونعقل ماكنا في أصحاب السعير[1]) ، وصار كلام متأخريهم بالنسبة الى متقدميهم مثل النحاس المغشوش بالفضة والذهب بالنسبة الى النحاس المكشوف ، فهذا يروج على من لا يعرف النقد ، بخلاف النحاس المكشوف فانه لا يشتبه على أحد أنه ليس بفضة ولا ذهب ، ولكن يقبله من ليس عنده ذهب ولا فضة .

وأولئك المتفلسفة القدماء لم يكن عندهم من المعرفة بالله تعالى وملائكته وكتبه ما أنضجته الأفكار العقلية ، ولا ما أخبرت به الرسل عن رب البرية ، ولكن تكلموا في الطبيعيات وأشياء من الكليات بما هو من جنس الفلوس بالنسبة الى الذهب الذى جاءت به الرسل عن الله تعالى ، لا سيما خاتم المرسلين صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين ، وهذه الأمور مبسوطة في موضعها .

ولكن المقصود هنا التنبيه على بعض لوازم قول هؤلاء ؛ الذين يقولون بأن حركة الفلك دائمة أزلية أبدية ؛ لأنه لا يجوز وجود حوادث لا أول لها . ومن المعلوم أن تجويز نوع حوادث لا أول لها ، لا يستلزم ثبوت ذلك في شيء معين ، لا الفلك ،ولا الأركان الأربعة : الماء والهواء والتراب والنار، ولا المولدات من الحيوان والنبات والمعدن ؛ فاذا جاز أن يكون في جنس الوجود حوادث لا أول لها ، وجاز أن تكون الحوادث دائمة : فأى شيء في ذلك مما يدل على أن حوادث الجسم المعين دائمة أزلية أبدية ؟.

وكل مايحتجون به من دوام الفاعلية ولوازمها : من دوام الحركة ، أو مقدار الحركة الذى يسمونه الزمان ، أو دوام جنس المدة ، أو جنس المادة - فلا يدل على قدم شيء بعينه من العالم / أبدا .

ج ٥٩

لكن لما كان من ناظرهم من أهل الكلام المبتدع : كلام الجهمية والقدرية قد قالوا : ان جنس الفعل وملزوماته حادث ، وان الرب تعالى لم يمكنه أن يفعل

---

(١) سورة الملك : ١٠ .

ويتكلم بمشيئته ؛ بل كان ذلك ممتنعا عليه ثم صار ممكنا ، واحتجوا على ذلك بامتناع حوادث لا أول لها - صار هؤلاء اذا أثبتوا امكان حوادث لا أول لها ،أو وجوب ذلك ؛ ظنوا أن ذلك السلب الكلي العام اذا بطل : ثبت ما ادعوه من التعيين .

وهذا جهل عظيم ؛ فان السالبة الكلية تنتقض بصورة واحدة جزئية ، ولا يلزم من ذلك صدق كل جزئي ينافيها ؛ فاذا أكذب[1] قول القائل : (ما أنزل الله على بشر من شيء[2]) بانزاله[3] على موسى ومحمد ونحوهما -لم يلزم من ذلك أن يكون قد أنزل على مسيلمة الكذاب[4]، والأسود العنسي[5] ، وطليحة الأسدي[6]، والحارث الدمشقي[7]، والسهروردى المقتول الحلبي[8]،

---

(١) أكذب : كتبت الكلمة في الأصل (ص) هكذا : احدث . ولعل الصواب ما أثبته .

(٢) سورة الأنعام : ٩١ .

(٣) الأصل (ص) : كانزاله . ولعل الصواب ما أثبته.

(٤) تقدمت ترجمته ، ص ١١ ت ١ .

(٥) هو عبهلة - أو عيهلة - بن كعب بن عوف العنسي المذحجي ، من أهل اليمن ، أسلم لما أسلمت اليمن ، وارتد وادعى النبوة في آخر حياة النبي صلى الله عليه وسلم ، واشتد أمره حتى انتزع اليمن من عمال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واستولى عليها بكمالها ، وبعث رسول الله كتابا يأمر المسلمين بمقاتلته ، فقتله أحدهم سنة ١١هـ وانهزم أصحابه ، وكان بين ظهوره وقتله ثلاثة أو أربعة أشهر.

انظر: تاريخ الطبرى ٣/ ١٨٤-١٨٧ ؛ البداية والنهاية ٦/ ٣٠٦-٣١١ ؛ الأعلام ٥/ ١١١.

(٦) الأصل (ص) : وطلحة .

وهو طليحة بن خويلد بن نوفل بن نضلة بن الأشتر بن جحوان الأسدى الفقعسي ، كان مع المشركين يوم الأحزاب، ثم قدم على النبي صلى الله عليه وسلم سنة تسع فأسلم، ثم ارتد وادعى النبوة في حياة النبي صلى الله عليه وسلم ، أو في عهد أبي بكر الصديق ، وكان له مع المسلمين وقائع ،ثم خذله الله على يدى خالد بن الوليد وتفرق جنده ،فهرب الى الشام ، ثم أسلم ، ووفد على عمر بن الخطاب ،ثم عاد الى الشام ، وجاهد وشهد اليرموك وبعض حروب الفرس ، واستشهد بنهاوند سنة ٢١ .

انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد ٢/ ٥٠ ، ٣/ ٤٦٧ ؛ تاريخ الطبرى ٣/ ١٨٦-١٨٧؛ تهذيب تاريخ ابن عساكر ٧/ ٩٠-١٠٣ ؛ البداية والنهاية ٧/ ١١٨-١١٩ ؛ الأعلام ٣/ ٢٣٠.

(٧) الحارث بن سعيد ،أو ابن عبد الرحمن بن سعد المثنى ،من أهل دمشق ،من الموالي ،كان متعبدا زاهدا ،ثم ادعى النبوة ، وتبعه خلق كثير، وقتله عبد الملك بن مروان مصلوبا سنة ٦٩ .

انظر: تهذيب تاريخ ابن عساكر ٣/ ٤٤٥-٤٤٨ ؛ تلبيس ابليس ،ص ٣٧٩-٣٨١ ؛ لسان الميزان ٢/ ١٥١-١٥٢ ؛ الأعلام ٢/ ١٥٤-١٥٥.

(٨) تقدمت ترجمته ، ص ١٣٨ ت ٤ .

وابن سبعين الأندلسي[١]، وبابا الرومي[٢]، وأمثالهم من الكذابين.

قول الطائفة الثالثة

وبما ذكرناه من فساد هذين القولين يظهر القول الثالث؛ الذى عليه أئمة أهل الملل، وعلماء الحديث والسنة وغيرهم، وأئمة الفلاسفة القدماء الأساطين الذين كانوا قبل أرسطو - وهو الفرق بين الواجب والممكن، بين الغني والفقير، بين الخالق والمخلوق، بين الرب والمربوب، وعلى اصطلاحهم: بين العلة والمعلول، وعلى الاصطلاح المشترك: بين المؤثر والأثر؛ فالواجب الغني المؤثر لا يمتنع عليه دوام[٣] الفعل والكلام؛ اذ لا يفتقر في ذلك الى غيره.

استمرار في بيان بطلان مذهب ابن سينا وأمثاله في العلة والمعلول

وأما المعلول المربوب فيمتنع أن تقارنه الحوادث على سبيل الدوام، فكل ماقارنته الحوادث وهو معلول فهو حادث، وان شئت قلت: كل مالا يسبق الحوادث وهو معلول فهو حادث، وان شئت قلت: كل ماقارن الحوادث، أو لم يسبق الحوادث، وهو مربوب، أو فقير، أو ممكن - فهو حادث، وان كان مجرد العلم بأنه مفعول ومبدع ومعلول ومربوب: يستلزم العلم بكونه حادثا؛ لأن تقدير مفعول مقارن لفاعله أزلا وأبدا ممتنع في صريح العقل، كما قد بسط في موضع آخر.

والمقصود هنا أن لزوم الحوادث يمنع أن يكون أيضا قديما معلولا لعلة موجبة بالذات؛ لأنه لو كان قديما للزم أن يكون صادرا عن موجب بذاته؛ اذ لو كان[٤] ممكنا بذاته: يقبل الوجود والعدم، وليس له موجب بذاته في الأزل - امتنع كونه أزليا، فانه ان امتنع وجوده في الأزل فلا كلام، وان جاز[٥]

---

(١) هو أبو محمد عبد الحق بن ابراهيم بن محمد بن نصر الرقوطي، نسبة الى رقوطة بلدة قريبة من مرسية بالأندلس، المعروف بابن سبعين، من كبار الصوفية الفلاسفة القائلين بوحدة الوجود، ولد سنة ٦١٤، كان في الأندلس ثم نزل مكة وتوفي فيها سنة ٦٦٩، قال عنه ابن حجر في لسان الميزان: " واشتهر عنه مقالة ردية وهي قوله: لقد كذب ابن أبي كبشة على نفسه حيث قال: (لا نبي بعدى).

انظر: العبر ٥/ ٢٩١-٢٩٢؛ البداية والنهاية ١٣/ ٢٦١؛ لسان الميزان ٣/ ٣٩٢؛ الطبقات الكبرى للشعراني ١/ ٢٠٣، الأعلام ٣/ ٢٨٠.

(٢) يذكر ابن تيمية بابا - أو باباه - الرومي كثيرا في كتبه ضمن من ادعوا النبوة أو طمعوا فيها، ولم أتمكن بعد البحث الطويل من العثور على شخص معين يعرف بهذا الاسم.

(٣) الأصل (ص): ومام، ولعل الصواب ما أثبته.

(٤) الأصل (ص): كا. بسقوط النون. (٥) الأصل (ص): صار. ولعل الصواب ما أثبت.

وجوده في الأزل وعدم وجوده، لم يترجح الا أحدهما بما يجب به أحدهما، وهذا هو المرجح التام ، وهذا على رأيهم في أنه لا يترجح أحد طرفي الممكن الا بمرجح .

وأما على قول الجمهور من المسلمين وغيرهم فانه يقال : لا يترجح وجوده ولا عدمه الا بمرجح تام، وأما العدم المستمر به فلا يحتاج الى [علة[1]] .

وأيضا فتجويز قديم أزلي[2] ممكن هو مفعول علة قديمة : قول هذه الطائفة القليلة من المتفلسفة ، وأما [عند[3]] جماهير العقلاء الأولين والآخرين / من أهل الملل والفلاسفة ،حتى أرسطو وأتباعه القدماء ؛ فان الممكن : الذى يقبل الوجود والعدم - لا يكون الا محدثا ، وأما القديم فلا يكون عندهم ممكنا : يقبل الوجود والعدم . ومن جوز قديما معلولا من هؤلاء كابن رشد ونحوه ، فانهم لا يقولون: انه ممكن . فلهم هذه الأقوال الثلاثة .

ظ ٥٩

والمقصود هنا أن الموجب بذاته - سواء أوجب بذات لا صفة لها ،أو بذات موصوفة بالصفات ، وسواء أوجب بدون مشيئة ، أو بمشيئة - فان المقصود هنا أن القديم المعلول لابد له من مؤثر تام في الأزل ، وهو الموجب بذاته ، سواء أوجب بمجرد الذات ، أو لصفة ، أو مع المشيئة ، أو بدونها ، فاذا كان الممكن لا يكون قديما الا مع ثبوت موجبه التام في الأزل ؛ والموجب التام لا يصدر عنه حادث - امتنع صدور الممكن المستلزم للحوادث عنه ؛ فانه ان صدر عنه بدون الحوادث لزم تحقيق الملزوم بدون اللازم ،وان صدر عنه مع الحوادث المتعاقبة لزم صدور الحوادث المتعاقبة عن الموجب بذاته ، الذى لا يتخلف عنه موجبه ، وهو متناقض .

وأيضا فان كونه فاعلا ومبدعا مع كون مفعوله ومبدعه المعين مقارنا له أزلا وأبدا - جمع بين الضدين ، وتسوية بين صفاته ومفعولاته ، وكونه موجبا

---

(١) مكان كلمة " علة " بياض في الأصل (ص) ، ولعل ما أثبت يفي بالمقصود .
(٢) الأصل (ص) : ازلى . بدون نقاط.
(٣) عند : ليست في الأصل (ص) ، وأضفتها ليستقيم الكلام .

بذاته معينا[1] وهو الفلك، ومحدثا للوازمه شيئا بعد شيء - ممتنع أيضا، وان قيل: انها تحدث بما يقوم بذاته من الأمور الاختيارية؛ لأن الفاعل الذى يفعل مايقوم به من الحوادث أولى أن تكون مفعولاته حادثة، ولأن حقيقة الابداع والفعل تستلزم حدوث شيء بعد شيء، والامكان الحقيقي لا يعقل الا فيما يمكن، وأما مالم[2] يزل موجودا فهذا لم يسمه[3] ممكنا لا أهل الملل ولا الفلاسفة القدماء، وانما سماه ممكنا ابن سينا وأمثاله، كما قد تقدم.

ولما يطعن ابن سينا وأمثاله بهذا الموضع، وأنه يستحيل صدور حوادث متعاقبة عن موجب تام مستلزم لأثره، وكذلك ابن رشد وغيره ادعوا أن[4] صدور المتغير عما لا يتغير مما تنكره العقول بفطرتها - فلأن[5] ابن سينا وأمثاله يدعون أن الحركة المتصلة لا توجد في الأعيان، وانما يوجد في الأعيان شيء سموه "التوسط"، وزعموا أنه ليس فيه تغير أصلا، فخالفوا صريح العقل والحس بكلام مزخرف اشتبه على كثير من العقلاء.

كلام ابن سينا في الحركة

وهذا كلام ابن سينا في تحقيق القول في الحركة[6]: "اسم لمعنيين: الأول - الأمر المتصل المعقول للمتحرك[7] من المبدأ الى المنتهى، وذلك

---

(١) الأصل (ص): معين.
(٢) الأصل (ص): وأما لم.
(٣) الأصل (ص): نسمه.
(٤) ادعوا أن: كتبت في هامش الأصل (ص) هكذا: ... د وان. ولعل الصواب ما أثبته.
(٥) الأصل (ص): ان، ولعل الصواب ما أثبته.
(٦) لم أجد النص التالي في مظانه من كتب ابن سينا المطبوعة التي اطلعت عليها، وبين ابن تيمية بعد نهاية النص أن الرازى ذكره في "المباحث المشرقية"، وقد رجعت اليه (ط. الأولى حيدر آباد ١٣٤٣هـ) حيث يقول الرازى (٥٤٧/١): "الفن الخامس في الحركة والزمان وفيه اثنان وسبعون فصلا، الفصل الأول في رسم الحركة" وسينقل ابن تيمية عن هذا الفصل فيما بعد، ص٣٠٧، ثم يقول الرازى (٥٥٠/١): "الفصل الثاني في تحقيق القول في الحركة، قال الشيخ [يقصد ابن سينا]: الحركة اسم لمعنيين ... الخ".
وسأقابل - ان شاء الله - ماهنا على مافي "المباحث المشرقية" ٥٥٠/١-٥٥١.
(٧) الأصل (ص): المتحرك. وأثبت مافي "المباحث".

مما لا حصول له في الأعيان ؛ لأن المتحرك مادام لم يصل الى المنتهى فالحركة لم توجد بتمامها ، واذا وصل فقد انقطع وبطل ؛ فاذا لا وجود له في الأعيان[١] ، بل في الذهن .

وذلك لأن للمتحرك نسبة الى المكان الذى [تركه والى المكان الذى[٢]] أدركه ، فاذا ارتسمت صورة كونها[٣] في المكان الأول في الخيال ، ثم قبل زوالها عن الخيال ارتسمت صورة كونها[٣] في المكان الثاني - فقد اجتمعت الصورتان في الخيال ⁄⁄ فحينئذ يشعر الذهن بالصورتين معا على أنهما شيء واحد ، [وأما[٤]] في الخارج فلا وجود له .

ج ٦٠

الثاني - وهو الأمر الوجودى في الخارج ، وهو كون الجسم متوسطا بين المبدأ والمنتهى ، بحيث أى حد يفرض فيه لا يكون فيه لا قبله ولا بعده[٥] ، وهو حالة موجودة مستمرة مادام الشيء يكون متحركا ، وليس في هذه الحالة تغير أصلا .

نعم ، قد تتغير حدود الوسط[٦] بالعرض ، لكن ليس كون المتحرك متحركا لأنه في حد معين الوسط[٧] ؛ والا لم يكن متحركا عند خروجه منه ، بل لأنه متوسط على الصفة[٨] المذكورة ، وتلك الحال[٩] ثابتة في جميع حدود ذلك الوسط ، وهذه الصورة[١٠] توجد في المتحرك وهو في كل[١١] آن ؛ لأنه يصح أن يقال له في كل آن يفرض : " انه في حد متوسط ، لا يكون قبله ولا بعده فيه " .

---

(١) المباحث : في الأعيان أصلا .
(٢) مابين المعكوفين سقط من الأصل (ص) وأثبته من " المباحث " .
(٣) المباحث : كونه . (في الموضعين) .
(٤) وأما : سقطت من الأصل (ص) ، وأثبتها من " المباحث " .
(٥) المباحث : . . . والمنتهى ، بحيث لا يكون قبله ولا بعده فيه .
(٦) المباحث : حدود المسافة .
(٧) المباحث : من الوسط .
(٨) الأصل (ص) صفته . والمثبت من " المباحث " .
(٩) المباحث : الحالة .
(١٠) المباحث : وهذه الصفة .
(١١) كل : سقطت من " المباحث " .

والذى يقال : " [من أن[1]] كل حركة ففي زمان ". فان[2] عني بالحركة الأمر المتصل فهو في الزمان ، ووجوده[3] فيه على سبيل وجود الأمور[4] في الماضي ،لكن بيانها بوجه آخر ؛ فان الأمور الموجودة في الماضي قد كان لها وجود في آن من[5] الماضي كان حاضرا فيه ، ولا كذلك هذا[6].

وان[7] عني به المعنى الثاني ، فكونه في الزمان لا على معنى أنه يلزمه مطابقة[8] الزمان ،بل على معنى أنه لايخلو من حصول [قطع ، و] ذلك[9] القطع مطابق للزمان ، فلا يخلو[10] من حدوث زمان ، ولأنه ثابت في كل آن من ذلك الزمان ، فيكون ثابتا في هذا الزمان بواسطة ".

تعليق ابن تيمية

ولما ذكر الرازى هذا في " مباحثه المشرقية " قال[11] : " فهذا ماقالوه[12] ". وذكره حكاية عنهم ، لم يقرره كما جرت عادته بتقرير مايتبرهن عنده .

واذا تدبر اللبيب هذا الكلام وجدهم فيه قد قلبوا الحقائق ؛ فجعلوا الحركة الموجودة في الخارج ليست موجودة في الخارج ، بل في الذهن ، والأمر الكلي المطابق للجزئيات الخارجية الذى لا يوجد الا في الذهن ؛ جعلوه موجودا[13] في الخارج .

---

(١) مابين القوسين سقط من الأصل (ص) ، وأثبته من " المباحث ".
(٢) المباحث : فأما ان .
(٣) المباحث: فهي في الزمان ووجودها .
(٤) الأصل (ص) : الأمر. وأثبت مافي " المباحث ".
(٥) الأصل (ص) : آن في . وأثبت مافي " المباحث ".
(٦) المباحث : كانت حاضرة فيه ،وهذا ليس كذلك .
(٧) المباحث: وأما ان .
(٨) الأصل (ص) : مطابقته . والمثبت من " المباحث ".
(٩) الأصل (ص) : من حصول ذلك . والمثبت من " المباحث ".
(١٠) المباحث : فلابد .
(١١) بعد الكلام السابق مباشرة ١/ ٥٥١ .
(١٢) المباحث : هذا ماقاله الشيخ ، وفي هذا الكلام اشكال من حيث . . . الخ . وسينقل ابن تيمية اشكال الرازى الذى أورده على كلام ابن سينا فيما بعد ، ص ٣٠٢ .
(١٣) الأصل (ص) : موجود .

ومثل هذا يقع لهؤلاء كثيرا ؛ يجعلون الواحد اثنين والاثنين واحدا[1] ، والذهني خارجيا والخارجي ذهنيا ، يجعلون المجردات العقلية - التي يجردها العقل كالأعداد المجردة[2] والمقادير المجردة ، كالنقطة المجردة ، والخط المجرد ، والسطح المجرد ، والجسم التعليمي المجرد عن كل شيء معين - أمورا موجودة في الخارج .

وكذلك مايذكرونه في الجواهر العقلية :كالعقول ، وواجب الوجود الذى يثبتونه ، والمادة والصورة ، والكليات المجردة - كل هذه اذا حققت لم تكن ثابتة الا في الذهن لا في الخارج .

ويجعلون المحسوسات الموجودة في الخارج - كالحركات المتصلة الموجودة في العالم العلوى والسفلي - انما هي في الذهن .

المناقشة التفصيلية لكلام ابن سينا

وأما قوله :" الأمر المتصل المعقول للمتحرك ، من المبدأ الى المنتهى ، فذلك[3] مما لا حصول له في الأعيان ".

فيقال له : شيئان :

أحدهما - الحركة المتصلة الموجودة في الخارج : كحركة الكواكب التي نشهدها ، وكحركة الفلك عند من قام عنده دليل على أن الفلك نفسه هوالمتحرك.

والثاني - الحركة الكلية المعقولة في الذهن ، المطابقة لكل معنى معين من الحركات ، أو من أجزاء الحركة المتصلة / اذا فرض لها أجزاء[4] بالعرض .

ظ ٦٠

وهذا الكلي المعقول هو معنى قائم بذهن العاقل ، ليس هو الحركة القائمة بالمتحرك ، بل هذه الحركة موجودة سواء قدر وجود ذلك المعقول أو قدر عدمه ، كما توجد نفس الأجسام المتحركة سواء وجد من يعقلها أو لم يوجد .

---

(١) الأصل (ص) : واحد .
(٢) الأصل (ص) :المجرد .
(٣) فذلك : كذا هنا ، وفي نقل ابن تيمية للنص فيما تقدم ، والمباحث : وذلك .
(٤) في الأصل (ص) رسمت الكلمة هكذا : احرا . بلا نقاط ولعل الصواب ما أثبته .

ونحن نعلم بالحس والعقل أن الحركة القائمة بالمتحرك متصلة موجودة شيئا بعد شيء، بخلاف الكلي المعقول فانه موجود في آن واحد قائم بالعاقل، وهو لا يوجد شيئا شيئا، ولا يكون بعضه قبل بعض، وقد يتصور الانسان حركته الى مكة جملة في آن واحد، وهي لا توجد في الخارج الى [في][1] مدة طويلة، وكذلك سائر الحركات.

وأما قوله: " لأن المتحرك مادام لم يصل الى المنتهى فالحركة لم توجد بكمالها[2]، واذا وصل فقد انقطع وبطل، فاذًا لا وجود له في الأعيان ".

فيقال: هذا تلبيس؛ فان الموجود في الأعيان يراد به الوجود المجتمع المقترن في آن واحد، ويراد به مطلق الوجود وان كان شيئا بعد شيء، ومعلوم أن الحركة وأنواعها، ليس وجودها وجود النوع الأول كأبعاض الجسم، وانما توجد شيئا فشيئا. ولهذا من قال: ان الكلام لا وجود له، أو الصوت لا وجود له، أو العقود: كالبيع والنكاح والاجارة لا وجود لها - فان عنى أنه لا يوجد كل جزء منه مع الآخر فهذا لا ينازع فيه عاقل، ولكن هو موجود شيئا فشيئا.

وقوله: " المتحرك مالم يصل[3] الى المنتهى فالحركة لم توجد بتمامها ".

يقال له: التمام انما يقال في حركة[4] محدودة، وأما مطلق الحركة فليس لها حد يكون تماما، وكل من النوعين يوجد شيئا فشيئا، ولا يلزم اذا لم توجد بتمامها أن لا يكون قد وجد بعضها، بل المتحرك من حين يتحرك الى أن يصل الى المنتهى فالحركة توجد شيئا فشيئا، ولا يلزم اذا كانت توجد شيئا فشيئا، ولم يوجد تمامها - أن لا يكون قد [وجد] منها[5] شيء، وهذا ظاهر يتبين به تلبيسهم.

---

(١) في: ليست في الأصل (ص)، ولعل الصواب اثباتها.
(٢) بكمالها: كذا هنا، وفي نقل ابن تيمية للنص فيما تقدم، والمباحث: بتمامها.
(٣) مالم يصل: كذا هنا، وفي نقله فيما سبق (في موضعين)، والمباحث: مادام لم يصل.
(٤) الأصل (ص): في كل حركة. وشطب على كلمة " كل ".
(٥) الأصل (ص): قد ومنها. ولعل الصواب ما أثبت.

ومما يوضح هذا أن يقال : قولك : " الحركة لم توجد بتمامها " نفي لوجود الحركة المحدودة تامة ، وهذا أخص من نفي وجود شيء من الحركة ؛ فانه لا يلزم اذا لم توجد الحركة من بلده الى مكة تامة أن لا يكون قد وجد ما هو حركة أقصر وَضَحٍ(١) من تلك ، والحركة تحاذى المسافة المحدودة فتوجد شيئا بعد شيء ، وكلما وجد شيء زادت الحركة وطالت الى أن تتم الحركة المحدودة ، فتوجد أولا حركة قصيرة ، ثم أطول منها ، ثم أطول من تلك ، الى أن توجد الحركة التامة .

وهكذا الأجسام ؛ فان النبات ينبت شيئا بعد شيء ، وهكذا الحيوان ، وهما متحركان في الكيف بالنمو والاغتذاء ، فاذا كمل النبات انتهت الحركة التي هي النمو(٢) والاغتذاء ، ولا يقال : " انه لم توجد حركة " . لأنه انما(٣) لم توجد له الحركة التامة .

ج ٦١ ومن / المشهور عندهم وقوع الحركة في أربعة أنواع : في الكيفية ، والكمية ، والمكان الذى يسمونه " الأين " ، وفي الوضع وهو ما يكون محله واحدا كحركة الأجسام المستديرة : كالرحى ، والمنجنون الذى هو الدولاب(٤) ، والفلك ؛ فان محل الجسم المتحرك لا يختلف كما يختلف في الحركة المكانية ، ولكن يحاذى كل جزء من المحل أجزاء الحال شيئا بعد شيء ، وفي جميع هذه الأنواع يوجد ابتداء الحركة شيئا بعد شيء لما أن يوجد تمامها ان كانت محدودة لها منتهى ، أو الى أن ينتهي الى حد يفرض من المتحرك .

ولا يجوز لقائل أن يقول : " ان الحركة اذا لم توجد بتمامها الى منتهاها

---

(١) في الأصل (ص) رسمت العبارة كذا : امصر وصح . بلا نقاط . في " لسان العرب " مادة " وضح " : " ووَضَحُ الطريق محجّتُه ووسَطه " .

(٢) الأصل (ص) : النموه .

(٣) الأصل (ص) : عما . ولعل الصواب ما أثبته .

(٤) في الصحاح ، مادة " منجن " : " المنجنون : الدولاب التي يستقى عليها ، قال ابن السكيت : " هي المحالة التي يسنى عليها " .

لم توجد حركة أصلا "، ونفي الخاص لا يستلزم نفي العام ؛ فلا يلزم اذا لم يكن هناك حيوان صاهل أن لا يكون هناك حيوان أصلا .

واما قوله : " اذا وصل المتحرك الى المنتهى فقد انقطعت وبطلت ، فاذاً لا وجود لها في الأعيان[1] " .

فيقال له : اذا وصل الى المنتهى انقطعت الحركة وبطلت بعد أن وجد منها ماوجد من المبدأ الى المنتهى ، وعند وجود التمام لم يبق شيء من الحركة المحدودة .

والانقطاع يراد به أنه لم يبق شيء يوجد من الحركة ، لا يعنى به أنه لم يوجد منها شيء ، ولا ريب أن الحركة كلما وجد منها شيء عدم بعد وجوده ، لكن اذا عدم بعد وجوده لم يلزم أنه لم يوجد .

وأما قوله : " بل وجودها في الذهن ، لأن للمتحرك[2] نسبة الى المكان الذى تركه والى المكان الذى أدركه ، فاذا ارتسمت صورة كونها في المكان الأول في الخيال ، ثم قبل زوالها عن الخيال ارتسمت صورة كونها في المكان الثاني - فقد اجتمعت الصورتان في الخيال ، فحينئذ يشعر الذهن بالصورتين معا على أنهما شيء واحد ، وأما في الخارج فلا وجود له " .

فيقال له : هذا يقتضي اجتماع تصور الكون الأول والكون الثاني معا في الذهن ، وأجزاء الحركة لا توجد معا في الخارج ، بل توجد متعاقبة متتالية .

فاذا قيل : يجتمع[3] تصور أجزائها في الذهن في وقت واحد ، ولا يتصور وجود أجزائها في الخارج في وقت واحد . فهذا كلام صحيح ، والذى في الذهن هو العلم بها ، لا نفسها ، والذى في الخارج نفسها ، لا العلم بها ، والعلم

---

(١) هنا اختلاف في ايراد قول ابن سينا عما سبق ، ص ٢٩٠ ، وهو لا يغير المعنى .
(٢) الأصل (ص) : المتحرك ، وفي نقل ابن تيمية للنص فيما سبق ، والمباحث : وذلك لأن للمتحرك .
(٣) الأصل (ص) : مجمع . بلا نقاط .

بالشيء ليس هو نفس الشيء المعلوم ، والمعلوم الذى لا يوجد الا متعاقبا متتاليا ، شيئا بعد شيء ، لا يوجد أوله وآخره في وقت واحد - هو غير العلم به الذى يوجد في وقت واحد ، بحيث قد يتصور أوله وآخره في وقت واحد .

وغاية[1] الجواب أن الوجود يراد به الوجود المقترن في وقت واحد ، ويراد به الوجود المتعاقب المتتالي ، ولا ريب أن ليس وجودها هو النوع الأول من الوجود ، وانما / وجودها هو النوع الثاني من الوجود ، ولا يلزم من نفي الأول نفي الثاني ، ولا من نفي أحد نوعي الوجود نفي مطلق الوجود .

ظ ٦١

ولو قدر أن القائل قال : أنا لا أسمي وجودا[2] الا النوع الأول ، لكان هذا نزاعا لفظيا ، والمقصود أن الحركة لها [وجود][3] متتالي متعاقب معلوم بالحس والعقل ، والنزاع في ذلك سفسطة .

وأما قوله : " الثاني - وهو الأمر الوجودى في الخارج ، وهو كون الجسم متوسطا بين المبدأ والمنتهى ، بحيث أى حد يفرض فيه لا يكون فيه لا قبله ولا بعده ، وهو حالة موجودة مستمرة مادام الشي يكون[4] متحركا ، وليس في هذه الحالة تغير أصلا " الى آخره كما تقدم .

فيقال له : أولا - كون الجسم متوسطا بين حدين ، يكون مع كونه متحركا ، ويكون مع كونه ساكنا ، بل التوسط في السكون أظهر ؛ فانه اذا توسط بين الحدين على السواء فهو متوسط حقيقة[5] ، وتوسط مستمر مادام ساكنا ، بخلاف المتحرك فانه وان كان يحصل له هذا التوسط فانه لا يلبث ، بل كما تتوسط الشمس والكواكب في وسط السماء ثم تزول[6] عقيب ذلك .

---

(١) الأصل (ص) : في وقت واحد ملته [هكذا] وشطبت كلمة " واحد " ولعل الصواب ما أثبته .
(٢) الأصل (ص) : وجود .
(٣) الأصل (ص) : أن الحركة لها نزاع لفظي . ولعله سهو .
(٤) الأصل (ص) : لا يكون .
(٥) حقيقة : في الأصل (ص) رسمت هكذا : حععه . بلا نقاط .
(٦) تزول : في الأصل (ص) رسمت هكذا : سرول . بلا نقاط .

المملكة العربية السعودية
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
كلية أصول الدين

شرح الأصبهانية

وهو شرح عقيدة مختصرة لأبي عبد الله محمد بن محمود بن محمد بن عباد العجلي الأصبهاني الأشعري
٦١٦ - ٦٨٨هـ

تأليف

شيخ الإسلام تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية
٦٦١ - ٧٢٨هـ

تحقيق ودراسة
محمد بن عوده السعوي

رسالة مقدمة للحصول على درجة الدكتوراه
بإشراف: الدكتور محمد رشاد سالم

الجزء الثاني
١٤٠٧هـ

وهم لم يعنوا بالتوسط ، أن يكون المتوسط بين الحدين على السواء ، بل ماهو أعم من ذلك بحيث يكون من حيث ابتداء الحركة الى منتهاهـا متوسطا ، وهذا أيضا يكون مع السكون ؛ فان كونه[1] في أى حد فرض لا يكون فيه لا قبله ولا بعده ، يكون مع سكونه ويكون مع حركته .

واذا كان التوسط بالمعنى الخاص والعام ، يكون مع الحركة تارة ومع السكون أخرى ، لم يكن في تفسير الحركة بالتوسط بيان لمعناها ، انما في ذلك ذكر بعض لوازم الحركة ؛ فان المتحرك من مبدأ الى منتهى يلزمه أن لا يزال بينهما ، فكونه بينهما حال لازم له مادام متحركا ، وهذا هو التوسط الذى ذكروه ، ومعلوم أن هذا ليس هو نفس الحركة ، بل الحركة تحوله من محل الى محل ، وكونه بين الحدين أمر لازم لحركته .

بل وتفسير الحركة بهذا يشبه تفسير الحيوان بأنه[2] النامي المغتذى ، والنامي المغتذى أعم من الحيوان ؛ فان[3] النبات نام[4] مغتذ ، وكذلك تفسير الانسان بأنه الحساس المتحرك بالارادة ، والحساس المتحرك بالارادة أعم من الانسان ، فتفسير الحركة بأنها التوسط بين المبدأ والمنتهى تفسير لها بأمر أعم [من] الحركة[5] ، فاذاً كان التوسط يكون للجسم اذا كان بينهما سواء كان متحركا أو كان[6] ساكنا .

ثم يقال : التوسط يراد به نوع التوسط ، ويراد به التوسط المعين ، ومعلوم أن النوع أمر كلي ، وثباته[7] لا يوجد في الخارج كليا ، وانما يوجد / في الخارج التوسط [المعين][8] ، وهذا التوسط وكل واحد من التوسطات المعينة

ج ٦٢

(١) الأصل (ص) : فاكونه .
(٢) الأصل (ص) : بسانه . بدون نقاط .
(٣) الأصل (ص) : فانه .
(٤) الأصل (ص) : تام . وهو تحريف .
(٥) الأصل (ص) : تفسير لها أمر أعم الحركة .
(٦) الأصل (ص) : وكان .
(٧) وثباته : رسمت في الأصل (ص) : وسانه . بلا نقاط .
(٨) المعين : ليست في الأصل (ص) ، ولعلها ساقطة .

حركة معينة ، وجنس الحركة يعم هذا كله ، والحركة الكلية العقلية لا توجد في الخارج الا معينة ، كما أن التوسط كذلك ، والحركة المتصلة الموجودة شيئا بعد شيء هي التوسط المتصل [الموجود][1] شيئا بعد شيء.

فهنا ثلاثة أمور :

أحدها - حركة متصلة موجودة شيئا بعد شيء ، وهو متوسط متصل يوجد شيئا بعد شيء.

والثاني - مايعين بالفرض من أجزاء تلك الحركة وذلك التوسط، وهذان أمران موجودان في الخارج .

والثالث - الحركة الكلية الموجودة في الذهن الشاملة لهذا كله ، وهي توجد معا في آن واحد ، بخلاف الحركة المتصلة فانها لا توجد الا شيئا بعد شيء ، وأجزاؤها لا يوجد منها الثاني الا بعد الأول ، فلا توجد الا متعاقبة متتالية . فهذا الثالث هو الذهني ، والأولان خارجيان .

وهؤلاء جعلوا التوسط الكلي الذهني خارجيا ، وجعلوا الحركة المتصلة الموجودة في الخارج ذهنية ، والحركة هي التوسط ؛ فقلبوا الحقائق ، فجعلوا الذهني خارجيا ، والخارجي ذهنيا .

ومما يوضح ذلك أنه قال : " الثاني وهو الأمر الوجودي في الخارج ، وهو كون الجسم متوسطا بين المبدأ والمنتهى ، بحيث أي حد يفرض فيه [لا يكون فيه][2] لا قبله ولا بعده ، وهو حالة موجودة مستمرة مادام الشيء يكون متحركا " .

فيقال له : كون الجسم متوسطا بين المبدأ والمنتهى ، قد يعنى به توسطه بين مبدأ معين[3] ومنتهى معين[3] ، فيكون التوسط معينا ، وهذا التوسط يزول ويخلفه توسط آخر ، فليس هو مستمرا ؛ ويعنى به جنس التوسط من مبدأ مطلق

---

(١) الموجود : ليست في الأصل (ص) ، ولعلها ساقطة .
(٢) مابين المعكوفين سقط من الأصل (ص) ، وأثبته بعد الرجوع الى النص فيما تقدم .
(٣) الأصل (ص) يمكن قراءة كلمة " معين " في الموضعين : معنى .

ومنتهى مطلق ، وهو الأمر الكلي المعقول ، فهذا لا وجود له في الخارج .

وكذلك قد يعني به توسط متصل من مبدأ بعد مبدأ ، والى منتهى[١] بعد منتهى ، فان المتحرك اذا تحرك من مبدأ الى منتهى : فالحركة توجد شيئا فشيئا ، وهو اذا عين مبدأ حركته المطلوبة ومنتهاها ، كان مبدؤها بلده الذى يحج منه ومنتهاها مكة ، فهو لا يزال بين بلده ومكة .

واذا أريد به هذا[٢] التوسط ، فليس المراد في وسط الطريق ، بل المراد أن مابين بلده ومكة وسط بينهما ، وهو لا يزال في هذا الوسط ، فهذا هو التوسط المتصل ، وهو الحركة المتصلة ، وهذا التوسط والتحرك لا يزال يوجد شيئا بعد شيء .

وقول القائل : " ان هذه حالة مستمرة مادام الشيء يكون متحركا " كقوله : ان الحركة حركة مستمرة مادام الشيء متحركا ، وقوله : " ليس في هذه الحالة تغير أصلا " كقوله : ليس في الحركة المتصلة تغير أصلا .

ظ ٦٢ ولفظ " التغير " و " الاستمرار " فيه اجمال ؛ فقد يقال : " ليس / فيه تغير " ، والمعنى[٣] أن الحركة مستمرة لا تنقطع ، وقد يعنى به أن[٤] هناك حركة هي تغير ، وهي في نفسها تحول من حال معين الى حال معين .

فاذا أريد الأول فهو صحيح ، ولكن يبين غلطهم ؛ فانهم إنما أرادوا المعنى الذى به يحصل مقصودهم ، فان[٥] نفس الذى يسمى " حركة " و " تغيرا " و " تحولا " ونحو ذلك من العبارات اذا كان مستمرا دائما كان التغير والتحول والحركة دائما مستمرا ، والدائم المستمر اذا لم ينقطع فهو لم يتغير ، بمعنى أنه لم يعدم التغير والتحرك والتحول ، لا بمعنى أن نفس التحول والتحرك ليس تحولا ولا تحركا[٦] .

---

(١) الأصل (ص) : منهى .
(٢) الأصل (ص) : واذا أريد بهذا . ولعل الصواب ما أثبته .
(٣) الأصل (ص) : المعنى ، بدون الواو .
(٤) الأصل (ص) : أنه .
(٥) الأصل (ص) : بأن .
(٦) الأصل (ص) : ولا تحركا وتحردا . بدون نقاط ، ولعل الكلمة الأخيرة زيدت سهوا .

ولفظ " التغير " قد يراد به مسمى " الحركة "، وهذا موجود في الحركة لا يزال، وقد يراد به انتقال المتحرك من صفة الى صفة تخالفها ؛ كانتقال الانسان من جهل الى علم، ومن ضعف الى قوة ، ومن جوع الى شبع .

فاذا قيل : ان الحركة الواحدة المتصلة ليس فيها تغير بهذا الاعتبار الثاني [فهو[1]] صحيح، وان أريد نفيه بالاعتبار الأول فهو باطل ؛ فان الحركة لذاتها تقتضي أن بعض أجزائها مسبوق ببعض .

ومما يوضح هذا قوله بعد ذلك : " نعم ، قد تتغير حدود الوسط بالعرض ، لكن ليس كون المتحرك متحركا لأنه في حد معين الوسط، والا لم يكن متحركا عند خروجه منه ، بل لأنه متوسط على الصفة المذكورة ، وتلك الحال ثابتة في [جميع[2]] حدود ذلك الوسط " .

فانه يقال له : كون المتحرك متحركا يراد به المعنى الكلي العقلي ؛ وهو ثبوت الحركة المطلقة له ، كما يقال : كون الموجود موجودا ، وكون الحي حيا ، وكون العالم عالما ؛ فالمتحركية المطلقة ، والعالمية المطلقة الكلية لا توجد في الخارج كلية[3] ، وهذه هي الثابتة عند كونه في الحد الأول والحد الثاني ، فهذه الصورة العالمية ثابتة في الحالين ، وليست هذه هي الحركة الموجودة في الخارج ، بل هي التي جعلها في الذهن كما تقدم .

وأيضا فحركته المتصلة من المبدأ الأول الى المنتهى الآخر ثابتة ، سواء جاز الجزء الأول من المسافة أو الثاني ، وهذا يوجد شيئا بعد شيء ، فاذا عدم الجزء الأول منها كان الثاني موجودا ، فهي لم [تنقطع[4]] .

وهذا التوسط هو الموجود في الخارج ، وهو الحركة المتصلة الموجودة في الخارج ، وهي غير التوسط في حد معين ، وغير المعنى الكلي المعقول .

---

(١) فهو : ليست في الأصل (ص) ، ولعلها ساقطة .
(٢) جميع : سقطت من الأصل (ص) ، وأثبتها من مكان ورود النص فيما سبق .
(٣) الأصل (ص) : كله .
(٤) تنقطع: ليست في الأصل (ص) ، ولعلها تغي بالمعنى هنا .

فاذا نفيت عن هذه الحركة المطلقة أن تكون هي هذا المعين فهذا صحيح ، لكن لا يلزم من ذلك أن لا تكون هي التوسط المتصل الموجود في الخارج ، الذى يوجد شيئا فشيئا ، ولا يلزم أن يكون التوسط واحدا بالعين جملة ، لا يوجد شيئا فشيئا .

وهكذا كما أن الانسان قد يراد به المعين ، وقد يراد الانسان الكلي المعقول في الذهن ، وقد يراد به الانسان في الخارج ، فلا يلزم من عدم أن يكون هو المعين أن يكون هو ذلك العقلي الذى / في الذهن ، بل هو أفراد موجودة في الخارج كثيرون ، سواء قدر وجودهم معينا أو متعاقبا .

ج ٦٣

لكن طبيعة الحركة تستلزم التعاقب ، وأن لا تكون الا شيئا فشيئا ، بخلاف الانسان فانه قد توجد - أو كثيرا منها - أفراده مجتمعة في آن واحد .

وأما قوله : " وهذا التصور يوجد(١) في المتحرك وهو في كل آن ؛ لأنه يصح أن يقال له في كل آن يفرض : انه في حد متوسط لا يكون قبله ولا بعده " .

فيقال له : هب أن الأمر كذلك ، لكن هذا حكم كلي عقلي ، فان صحة أن يقال له في كل آن : انه في حد متوسط - حكم مطلق كلي على حد مطلق وتوسط مطلق ، لا يقال له في كل آن : متوسط بين مبدأ حركته ومنتهاها ، الا أن يعنى بالتوسط التوسط المتصل ، وهو الحركة المتصلة ؛ كما يقال للمسافر من بلده الى مكة : انه لا يزال متوسطا بين بلده ومكة ، وكما يقال للشمس : انها لا تزال متوسطة بين المشرق والمغرب من حين طلوعها الى غروبها . وهذا التوسط غير توسطها المعين عند انتصاف النهار ، وهو أيضا غير كل توسط توسط من مبدأ معين ومنتهى معين غير المشرق والمغرب .

فانها مثلا اذا ظهرت من المشرق ، فحركتها مقدار درجة من درجات الفلك ، لها مبدأ ومنتهى ، وحركتها مقدار درجة ثانية كذلك ، فالمبدأ

---

(١) كذا هنا ، وأصل العبارة كما نقلها ابن تيمية فيما تقدم : وهذه الصورة توجد .

والمنتهى أمر اضافي ، فاذا عين المشرق والمغرب كان لها توسط باعتبار ذلك ، واذا عين من درجة الى درجة كان لها توسط باعتبار ذلك ، وفي كل حد قد يعنى بالتوسط كونها بينهما ، وقد يعنى بالتوسط أن تكون قد قطعت نصف المسافة ، وقطع نصف المسافة واحد بالعين ، وهو جزئي يمنع تصوره من وقوع الشركة [1] ، وكذلك التوسط المتصل وهو الحركة المتصلة واحد بالعين في الخارج ، ولكنه لا يوجد الا شيئا فشيئا ، وهو جزئي يمنع تصوره من وقوع الشركة فيه .

وأما اذا جعل التوسط أجزاء ، كما تجعل الحركة أجزاء فيقال : هذا توسط وهذا توسط . فالمعنى العام الذى يعم ذاك كلي ، لا يمنع تصوره من وقوع الشركة فيه ، والتوسط الأول غير [2] الثاني .

والحال الثابت في جميع الحدود أمران : الأمر المتصل والأمر المعقول ، لكن ثبات المتصل هو ثبات حركة مستمرة وتغير مستمر ، فنفس الحركة هي الثابتة ، وثباتها هو ثبات التحول الذى يسمى تغيرا وحركة .

يقال في الانسان : هو ثابت على حال واحدة . اذا كان ثابتا على عمل واحد ، وان كان ذلك العمل نفسه تحولا : يتقدم بعضه على بعض . وكذلك يقال : هو على طريقة واحدة ، وسجية [3] واحدة ، ونحو ذلك . وان كان ذلك موجودا متصلا شيئا بعد شيء ، ولا يلزم من ذلك أن لا يكون الشيء المتصل الموجود شيئا بعد شيء غير موجود في الأعيان .

ظ ٦٣ وأما قوله : " والذى يقال : من [أن [4]] كل حركة ففي / زمان . فان عني بالحركة الأمر المتصل فهو فيه ، وموجودة [5] فيه على سبيل وجود الأمور

---

(١) قد يكون سقط من هنا عبارة " فيه " .
(٢) الأصل (ص) : عن ، ولعل الصواب ما أثبته .
(٣) وسجية : في الأصل (ص) رسمت هكذا : وسحه . بدون نقاط ولعل الصواب ما أثبته .
(٤) أن : سقطت من الأصل (ص) ، وأثبتها من موضع ورود النص فيما تقدم .
(٥) وموجودة : كذا هنا ، وتقدم نقل ابن تيمية للنص وفيه : ووجوده .

في الماضي ، لكن بيانها[1] بوجه آخر ؛ فان الأمور الموجودة في الماضي قد كان لها وجود في آن من الماضي كان حاضرا فيه ، ولا كذلك هذا ".

فيقال له : بل وجود الحركة في الزمان ، بمعنى أن لها وجودا في آن هي حاضرة فيه ، وان لم يكن لها وجود في الزمان بهذا الاعتبار فلا وجود لها أصلا ، ووجود الشيء في الحاضر أكمل من وجوده في الماضي ؛ فان مايوجد في الماضي من الحركات والأزمنة قد عدم ، بخلاف الحاضر ، فكيف يكون موجودا في الماضي مع أنه لم يكن موجودا في حاضر ، مع أن كون الشيء ماضيا وحاضرا أمر اضافي باعتبار المتكلم ؛ فالمتكلم الذى يقول الآن ؛ يكون ماهو موجود وقت كلامه حاضرا ، وماتقدم [كلامه[2]] ماض ، ومابعده مستقبل .

الرازى يورد اشكالا على كلام ابن سينا في الحركة

وقد اعترض الرازى على هذا فقال[3]: " وفي هذا الكلام اشكال آخر ، وهو أن[4] مالا وجود له في الخارج كيف يتقدر بالزمان الموجود في الأعيان ، بل الحركة عند الشيخ - يعني ابن سينا[5] - محل الزمان وعلته[6] ، فالمعدوم كيف يكون محلا للوجود[7] وعلة له ، اللهم الا أن يقال : الزمان لاوجود له في الخارج بل في الذهن ". قال[8] : " والشيخ ليس من القائلين بهذا المذهب".

تعليق ابن تيمية

قلت : بل وجود الحركة أظهر للعقل والحس من وجود مايدعون أنه الزمان ، وهو مقدار الحركة ؛ فيمتنع كون الأضعف المعلول وجوديا دون الأقوى الذى هو العلة .

وابن سينا ألجأه الى هذه السفسطة - التي لا يخفى فسادها على من فهم حقيقة مايقول ، ولم يكن مقلدا له - أنه يجعل الحركة الموجودة موجودة في

---

(١) الأصل (ص) : ساها . بلا نقاط .
(٢) كلامه : ترك مكانها في الأصل بياضا .
(٣) في كتاب " المباحث المشرقية " ١/٥٥١ .
(٤) المباحث: اشكال من حيث أن .
(٥) كلمة " يعني ابن سينا " من ابن تيمية للايضاح .
(٦) المباحث: وعلة له .
(٧) المباحث: للموجود .
(٨) بعد الكلام السابق مباشرة .

آن واحد ، ولم يجعل الحركة المتصلة موجودة في الخارج ، لئلا يكون شيء موجود يوجد شيئا بعد [شيء[1]] ، ليخلص بذلك مما يظهر به فساد قوله بقدم العالم عن علة موجبة .

فان العلة اذا كانت قديمة أزلية تامة لزم أن يكون معلولها كذلك ، ويمتنع في صريح العقل صدور المعلول - الذى يوجد شيئا فشيئا - عن علة تامة مستلزمة لمعلولها .

فأراد أن يجعل الحركة المعلولة الموجودة في الخارج هي موجودة معا أزلا وأبدا ، لايتقدم منها شيء قبل شيء ، بل جعل الحركة نفسها كالفلك نفسه لا يزال مساوقا للعلة ، وزعم أن مايوجد شيئا بعد شيء لا وجود له في الخارج .

ومعلوم أن الكلام ليس في حركة الفلك وحدها ، بل في جميع الحركات ، فيلزم من ذلك أن جميع الحركات الموجودة في العالم العلوي والسفلي : كحركة الرياح والمطر والسحاب والحيوان والنبات والمعادن - لم يوجد منها شيء قبل شيء ، بل الموجود من كل حركة هو واحد بالعين ، ثابت لا يوجد فيه شيء قبل شيء ، ومايوجد شيء قبل شيء فلا وجود له في الخارج .

وهذا من أظهر السفسطة ، لاسيما والحركة عندهم تحتها[2] أنواع :

ج ٦٤ منها الحركة / في " الكيف " كحركة الجسم في السواد والبياض ، وتحرك الانسان من الجهل الى العلم ، ومن العجز الى القدرة . والحركة في " الكم " كحركة الحيوان والنبات بالنمو والاغتذاء في الجهات . والحركة المكانية الوضعية .

وعلى ماقاله يلزم أن لا يكون شيء مما يوجد ، يحصل شيئا بعد شيء - موجودا في الخارج ، [بل الموجود في الخارج[3]] واحد بالعين ، لم يحدث

---

(١) شيء : ليست في الأصل (ص) ، ولعلها ساقطة .
(٢) الأصل (ص) : تحته .
(٣) مابين القوسين المعكوفين ليس في الأصل (ص) ، ولعله ساقط .

شيء أصلا لا بواسطة ولا بغير واسطة ، بل لم يفعل شيئا[1] أصلا ، فان الحادث المسبوق بغيره عنده لم يوجد في الخارج ، وانما وجد في الخارج ماهو ثابت أزلي أبدى ، فيلزم أن يكون كل موجود في الخارج أزليا أبديا لم يتغير ألبتة .

وهذا من أعلى مراتب السفسطة ، وحقيق لمن هذا حاله في المعقولات أن يكون من أكابر الملحدين في السمعيات : فيحرف الكلم عن مواضعه ، ويلحد في أسماء الله وآياته ، وهذا حال الذين قالوا : (لو كنا نسمع أو نعقل ماكنا في أصحاب السعير[2]) .

عود على الاشكال الذى أورده الرازى

قال الرازى في اشكاله الذى أورده وجها عليه[3] : " وأيضا فكيف يكون [وجود[4]] الحركة بالمعنى الأول في الزمان ، على سبيل الوجود في الماضي ، مع الاعتراف بأن حصول الشيء في الماضي ، هو أن يكون قد كان له حصول في آن من الآنات الماضية ، مع أنه ليس لهذه الحركة وجود أصلا " .

قال[5] : " ثم لنترك ذلك ولنتكلم فيما هو أهم ؛ فان لقائل أن يقول : الحركة اما أن تكون [مركبة[6]] من أمور كل واحد منها غير قابل للقسمة ، واما أن لا تكون كذلك ، والأول باطل والا لكان الجسم كذلك ، فان[7] الجسم لو كان منقسما لكان الواقع في أحد جزئيه غير الواقع في الجزء الثاني ، وأما ان[8] كانت قابلة للقسمة أبدا فالأجزاء المفترضة فيها لا توجد بأسرها دفعة ؛ لأنها منقضية سيالة ولا محالة يوجد منها شيء بعد شيء ، فالشيء الموجود ان لم يكن منقسما ، فكذلك الذى يحصل الانقضاء به مقارنا[9] - شيء غير منقسم ، فالحركة

---

(١) الأصل (ص) : شيئا .
(٢) سورة الملك : ١٠ .
(٣) الأصل (ص) : وجه عليه . والكلام التالي في " المباحث المشرقية " ١/ ٥٥١-٥٥٢ بعد النص الذى أورده ابن تيمية قبل قليل ، ص ٣٠٣ مباشرة .
(٤) وجود : سقطت من الأصل (ص) ، وأثبتها من " المباحث " .
(٥) بعد الكلام السابق مباشرة ، المباحث ١/ ٥٥٢ .
(٦) مركبة : سقطت من الأصل (ص) ، وأثبتها من " المباحث " .
(٧) المباحث : لأن . (٨) المباحث : وأما ان .
(٩) المباحث: فكذلك الذى يحصل مقارنا لانقضائه أيضا .

مركبة من أمور غير منقسمة ، هذا خلف ، وان كان منقسما كان بعضه قبل وبعضه بعد ، فلا يكون كله حاصلا ، فلا يكون الحاصل حاصلا [هذا[1]] خلف ".

تعقيب ابن تيمية

قلت : هذا اشكال أورده الرازى يقتضي أنه ليس للحركة وجود أصلا ومقتضاه أبعد عن الحق مما ذكره ابن سينا ، وهو مبني على نفي الجوهر الفرد ، مع أن الرازى يستدل على اثبات الجوهر الفرد بنقيض هذه الحجة ؛ فان هذه الحجة مبناها على أن الحركة والزمان ليس له جزء لا يقبل القسمة ، بل يقبل القسمة أبدا ، فينفي الآن الذى لا ينقسم ، وهو في موضع آخر يثبت الآن الذى لا ينقسم .

قال[2]: " لأنه لولا ثبوت الآن لانتفى الماضي والمستقبل ، واذا لزم وجود آن لا ينقسم لزم وجود حركة لا تنقسم ، فيلزم ثبوت متحرك لا ينقسم ، لأن الزمان مقدار الحركة ، والحركة قائمة بالمتحرك ، واذا كان العرض لا ينقسم فمحله لا ينقسم ".

ظ ٦٤

وقد بسط الكلام / على هذا في غير موضع ، وبين أن القول باثبات الجوهر باطل ، والقول أيضا بتركب الأجسام من المادة والصورة باطل ، وان كانت كتب الرازى وأمثاله[3] ليس فيها مما يتصورونه الا هذان القولان - فجمهور المسلمين ، نظارهم وغير نظارهم ، على خلاف هذين القولين : لا يقولون باثبات الجزء الذى لا ينقسم ، ولا يقولون بالتركيب من المادة والصورة .

وأيضا فالقول بقبول الانقسام الى غير نهاية باطل ، بل الأجسام اذا تصغرت أجزائها استحالت الى نوع آخر ، والقول باستحالة الأجسام بعضها الى بعض قول جمهور الناس ، وهو قول الفقهاء والأطباء وكثير من أهل الكلام ،

---

(١) هذا : سقطت من الأصل (ص) ، وأثبتها من " المباحث ".

(٢) ورد معنى الكلام التالي في كتاب " الأربعين " للرازى ، ص ٢٥٤-٢٥٥ تحت عنوان " المسألة السابعة والعشرون في اثبات الجوهر الفرد ".

(٣) الأصل (ص) : وامالة . ولعل الصواب ما أثبته .

وكذلك ماذكر من أن الجسم اذا صغر استحال قول كثير من نظار المسلمين والفلاسفة .

وبكل حال فهذه الحجة مضمونها أن [مالا] يوجد[1] الا شيئا بعد شيء ، لا يوجد وجودا مقترنا بعضه ببعض ، فلا يوجد معا ، وهذا مسلم لا ينازع فيه عاقل ، فغاية مايذكرونه أنه لابد أن يكون بعضها قبل بعض ، وهذا حق ،لكن دعواهم أن ماكان هكذا لا يكون موجودا دعوى باطلة .وان قالوا : مرادنا أنه [لا] يوجد[2] معا في آن واحد . فهذا لم يدعه أحد .

وهذه الأمور لبسطها موضع آخر ، والمقصود هنا التنبيه على مابه يعرف ضلال هؤلاء ، وتعرف أصول أقوالهم التي بها خالفوا العقل والسمع .

كلام الرازي في حقيقة الحركة

ومما يوضح هذا أنهم قد قالوا[3] : " حقيقة الحركة هي الحدوث، أو الحصول ، أو الخروج من القوة الى الفعل يسيرا يسيرا ، أو بالتدريج[4] ، أو لا دفعة " .

قالوا[5] : " وهذه العبارات دالة على معنى الحركة ، ومنهم من يحد بها الحركة ، ومنهم من لا يستعملها في الحد وان كانت مطابقة للمسمى ، لأن الدفعة عبارة عن الحصول في الآن ، والآن طرف الزمان ، والزمان مقدار الحركة فيكون تعريف الحركة به دورا[6] " .

---

(١) الأصل (ص) : أن يوجد . ولعل الصواب ما أثبت .

(٢) الأصل (ص) : أنه يوجد . ولعل الصواب ما أثبت .

(٣) في " المباحث المشرقية " قبل الفصل الثاني الذي وردت فيه النصوص السابقة يعقد الرازي (٥٤٧/١) " الفصل الأول في رسم الحركة " ويقول في أوله : " اعلم أن الموجود يستحيل أن يكون بالقوة من كل وجه . . . فاذاً الشيء اما أن يكون بالفعل من كل الوجوه أو يكون بالفعل من بعض الوجوه ومن بعضها بالقوة ،فكل مابالقوة فاما أن يكون خروجه الى الفعل دفعة وهو المسمى بالكون أو لا يكون دفعة وهو المسمى بالحركة فحقيقة الحركة . . . " الخ .

(٤) أو بالتدريج : كذا في " المباحث " ،وفي الأصل (ص) : وبالتدريج .

(٥) في " المباحث ٥٤٧/١ - ٥٤٨ " بعد الكلام السابق مباشرة ،ولكن ابن تيمية يورد مافي المباحث باختصار .

(٦) لفظ مافي " المباحث " هو " وكل هذه العبارات صالحة لافادة هذا الغرض ،لكن المتقدمين استرذلوا هذا التعريف ؛ لأن الدفعة عبارة عن الحصول في الآن ، والآن عبارة عن ظرف الزمان ، والزمان عبارة عن مقدار الحركة ، فاذاً ينتهي تحليل تعريف الدفعة الى الحركة ، فلو أخذناها في حد الحركة لزم الدور ، وكذلك اذا قلنا : انها الخروج من القوة الى الفعل يسيرا يسيرا أو على التدريج فان كل ذلك لا يعرف الا بالزمان الذي لا يعرف الا بالحركة ويلزم منه الدور " .

تعليق ابن تيمية

وهذا كما بعض فيمن يعرف الخبر[1] بأنه مايقبل التصديق والتكذيب ، ونحو هذا التعريف ان صح ، فالتصديق[2] والتكذيب نوعا الخبر فلا يعرفان الا بالخبر، فتعريف الخبر بهما[3] دور . ولهذا نظائر.

وجواب هذا أنه قد تكون الألفاظ المذكورة في الحد أعرف عند بعض الناس من المحدود[4] فتكون تعريفا لما هو أخفى عنده بما هو أجلى عنده، وقد يعرف الزمان والآن من يحتاج الى معرفة مسمى " الحركة ".

وأيضا فالحد يراد به مايميز المحدود عن غيره ، وهذا يحصل بهذا ، ويراد به مايتصور به كنه المحدود ، وهذا باطل ، كما قد بسط في غير هذا الموضع، وبين أن الحد تفصيل مادل عليه الاسم بالاجمال ، فدلالته من جنس دلالة الأسماء المفصلة.[5]

ج ٦٥

عود لكلام الرازى

ثم رأيت هذا الجواب قد ذكره الرازى عن بعض الفضلاء / واستحسنه ، فقال[6]: " وأجاب بعض الفضلاء عن ذلك ، فقال : تصور حقيقة الدفعة واللادفعة[7] والتدريج ؛ كل ذلك تصورات أولية لاعانة الحس عليها ، فأما أن تعلم[8] أن هذه الأمور انما تحصل[9] بسبب الآن والزمان فذلك هو المحتاج الى البرهان ، فمن[10] الجائز أن تعرف حقيقة الحركة بهذه الأمور، ثم تجعل

---

(١) كذا في الأصل (ص) ، ولعل أصل الكلام : وهذا كما [يقول] بعض من يعرف الخبر.
(٢) الأصل (ص) : ان صح التصديق . ولعل الصواب ما أثبته .
(٣) الأصل (ص) : بها . ولعل الصواب ما أثبته .
(٤) الأصل (ص) : الحدود . ولعل الصواب ما أثبته .
(٥) بسط ابن تيمية الكلام في الحد في أول كتابه " الرد على المنطقيين "، انظر ص ١٤ حيث يعنون ابن تيمية " المقام الثاني وهو أنه هل يمكن تصور الأشياء بالحدود ؟ ".
(٦) المباحث المشرقية ١ / ٥٤٨ بعد الكلام الذى نقلت لفظه في الصفحة السابقة هامش (٦) - مباشرة .
(٧) الأصل (ص) : والا دفعة . والمثبت من " المباحث ".
(٨) المباحث : فانا نعلم.
(٩) المباحث : انما تعرف .
(١٠) المباحث : ومن .

الحركة معرفة للزمان والآن ، اللذين هما سببا هذه الأمور التي هي أولية[١] التصور، وحينئذ لا يلزم الدور". قال[٢] : " وهذا جواب حسن ".

قال[٣] : " والمتقدمون[٤] لما استقبحوا[٥] هذا النوع من التعريف، سلكوا في تعريف الحركة [نهجا][٦] آخر ؛ فقالوا : الحركة أمر ممكن الحصول للشيء[٧]، وكل مايمكن حصوله للشيء فان حصوله كمال لذلك الشيء، فالحركة اذاً كمال لما يمكن أن يتحرك ،ولكنها تفارق[٨] سائر الكمالات من حيث انها[٩] لا حقيقة [لها][١٠] الا التأدى الى الغير والسلوك[١١] اليه ، وماكان كذلك فلا بد له من خاصيتين[١٢] :

احداهما - أنه لا بد هناك من مطلوب ممكن الحصول ليكون التوجه توجها[١٣] اليه .

واخراهما[١٤] - أن ذلك التوجه مادام موجودا فقد بقي منه شيء بالقوة ، فان المتحرك انما يكون متحركا بالفعل اذا لم يصل الى المقصود ،ومادام كذلك فقد بقي [منه][١٥] شيء بالقوة ، فاذاً هوية الحركة متعلقة بأن يبقى شيء منها بالقوة[١٦]، [وبأن][١٧] لا يكون الشيء[١٨] الذى هو المقصود من الحركة حاصلا

---

(١) المباحث : هذه الأمور الأولية .
(٢) بعد الكلام السابق مباشرة .
(٣) بعد الكلام السابق مباشرة .
(٤) المباحث : ثم ان المتقدمين .
(٥) استقبحوا : كذا في " المباحث "، ورسمت الكلمة في الأصل (ص) : اسحسو . بلا نقاط .
(٦) نهجا : ترك مكانها في الأصل (ص) بياضا . وأثبتها من " المباحث ".
(٧) الأصل (ص) : لحصول للجسم . والمثبت من " المباحث ".
(٨) المباحث : لا تفارق .
(٩) المباحث : انه .
(١٠) لها : سقطت من الأصل (ص) ،وأثبتها من " المباحث ".
(١١) الأصل (ص) : والسكون . والمثبت من " المباحث ".
(١٢) الأصل (ص) : خاصين . وفي " المباحث " : وماكان كذلك فلامحالة له خاصيتان .
(١٣) الأصل (ص) : متوجها . والمثبت من " المباحث ".
(١٤) واخراهما : كذا في " المباحث "، وفي الأصل (ص) : الثاني .
(١٥) منه : سقطت من الأصل (ص) ،وأثبتها من " المباحث ".
(١٦) الأصل (ص) : متعلقة بأن شيئا منها شيء بالقوة . والمثبت من " المباحث ".
(١٧) وبأن : مكانها في الأصل (ص) بياض ، وأثبتها من " المباحث ".
(١٨) الشيء : سقطت من " المباحث ".

بالفعل ، وأما سائر الكمالات فلا توجد فيها واحدة من هاتين الخاصيتين".

تعريف متقدمي الفلاسفة للحركة

الى أن ذكر حدود الفلاسفة للحركة ؛ فقال[1] : " قال أرسطو: هي كمال أول لما بالقوة من جهة ماهو بالقوة ، قال فيثاغورس : هي الغيرية . أي التغير[2]".

تعليق ابن تيمية

قلت : والمقصود أن كلامهم وكلام سائر العقلاء يقتضي أن الحركة المتصلة شيئا بعد شيء أمر موجود في الخارج عندهم ، لكن وجودها [ليس] وجود[3] ماتوجد أجزاؤه معا كأبعاض الجسم ، وعلى هذا فأجناسها وفروعها كالأقوال والأفعال[4] من الناس وغير الناس ؛ وما يدخل في ذلك من العبارات والمعاملات وغير ذلك من الصلوات والأدعية والأذكار والجهاد وأصوات الآدميين والبهائم وغيرهم - كلها وجودها بهذا الاعتبار .

فمن زعم أن الحركة المتصلة ليست موجودة في الخارج فهو مكابر للحس والعقل ، ومن فسر التوسط بين المبدأ والمنتهى بهذه الحركة فالمعنى واحد ، واذا قال : ان هذا المتصل قد تتغير أبعاضه وتتجزأ باعتبار محله أو غير محله ، فيكون لها أجزاء وأبعاض فهذا حق . و [أما] الأمر[5] المعقول الكلي المتناول الجنس الذى يوجد في آن واحد ، فهذا ليس بموجود في الخارج ، وهذا هو العلم بالحركة ، ليس هو نفس الحركة .

ظ ٦٥

واذا قيل : نوع الحركة يدوم أو لا يدوم ، أو نوعها موجود في الخارج / أو ليس موجودا في الخارج .

---

(١) في المباحث ١/٥٤٩ بعد الكلام السابق بتسعة سطور تقريبا .

(٢) نص ما في " المباحث ": " ... فاذاً الحركة كمال أول لما بالقوة من جهة ماهو بالقوة ، وهذا الرسم لارسطاطاليس ، وأما أفلاطون فانه رسمها بأنها خروج عن المساواة ، أى كون الشيء بحيث لا يكون حاله في آن مساويا لحاله قبل ذلك الآن وبعده ، وأما فيثاغورس فانه رسمها بالغيرية ، ولعلها اشارة الى أن حالها في صفة من الصفات يكون في كل آن مغايرا لحالها قبل ذلك الآن وبعده ".

(٣) الأصل (ص) : وجودها لوجود ، ولعل الصواب ما أثبت .

(٤) الأصل (ص) : وأفعال . ولعل الصواب ما أثبت .

(٥) الأصل (ص) : والأمر . ووضع بعد الواو سهم يشير الى الهامش ، ولم يظهر فيه شيء ، ولعل الكلام يستقيم كما أثبت .

فقد يراد بالنوع الحركة الموجودة شيئا فشيئا ، وهذا هو الموجود في الخارج ، وقد يراد به المعنى المعقول الكلي الموجود في الذهن في آن واحد، وهذا ليس بموجود في الخارج .

والفرق بين نوع الحركة الموجودة في الخارج ونوع غيرها ، أن غيرها قد توجد أشخاصه في آن واحد ؛ كما توجد أشخاص الانسان والبياض والسواد وغير ذلك من الأعراض ، بخلاف الحركة .

ومن أنواع الحركة الأكل والشرب ، ومايتنعم به أهل الجنة من النعيم الذى يحدثه الله لهم شيئا فشيئا ، فنعيم الجنة دائم ؛ كما قال تعالى : (أكلها دائم وظلها)[1] . فهو مستمر لاينفد ؛ كما قال تعالى : (ان هذا لرزقنا ماله من نفاد)[2] .

والمراد أنه لاينفد النوع الذى يوجد شيئا [فشيئا[3]] ، وأنه يدوم النعيم الذى يوجد شيئا فشيئا ، والأكل الذى هو المأكول يوجد شيئا فشيئا .

فاذا قال القائل في مثل هذا : انه ثابت ودائم وباق ومستمر وانه لايتغير، بمعنى أنه لايزال موجودا شيئا فشيئا ، لاينفد ولا ينقطع - فهذا حق . وان أراد بذلك أن هذا موجود معا في آن واحد ، لايوجد شيئا فشيئا وأنه ليس بعضه قبل بعض- فهذا مكابر للعقل والحس .

وبهذا يظهر مافي كلام هؤلاء من التلبيس ، من جهة أنهم جعلوا المتصل شيئا بعد شيء ليس موجودا في الأعيان ، وجعلوا الموجود في الأعيان من الحركة موجودا معا ، لايوجد شيئا فشيئا - ليسلم لهم ماادعوه من أن رب العالم لم يحدث شيئا ، بل لم يخلق شيئا ، بل حقيقة قولهم أنه لم يحدث في العالم شيء بعد أن لم يكن ، وهذا غاية المكابرة .

---

(١) سورة الرعد : ٣٥ .
(٢) سورة ص : ٥٤ .
(٣) فشيئا : ليست في الأصل (ص) : ولعلها ساقطة .

واذا أثبتوه فاعلا كان حقيقة قولهم أنه علة تامة فاعلة لمعلولها مساوية [له][1] أزلا وأبدا، وهذا من أبطل الأمور عقلا ؛ فليس في الوجود أصلا علة تامة فاعلة لمعلولها مساوية له، لم تتقدم عليه، بل هذا مما يعلم امتناعه بضرورة العقل عند عامة العقلاء.

ولا يعقل أن يفعل الفاعل شيئا الا اذا أحدث ماكان معدوما، ومن لم يحدث شيئا فلم يفعل، وحقيقة الفعل هو الاحداث، فيلزم من كون كل ماسواه مفعوله أن يكون كل ماسواه حادثا كائنا بعد أن لم يكن، ولا يلزم من دوام كونه فاعلا أن يكون معه شيء من مفعولاته، ولا أن يكون في العالم ماهو قديم بقدمه، بل هو الخالق لكل شيء، كما أخبرت به الأنبياء.

ولهذا وصفه أئمة أهل الحديث بأنه لم يزل متكلما فاعلا، بل قالوا: ان الحياة مستلزمة للكلام والفعل، وانه لا يكون الحي الا متكلما فاعلا، وصرح بعضهم بلفظ " الحركة ".

وكذلك قال أساطين الفلاسفة القدماء، كما ذكر بعض ألفاظهم في غير هذا الموضع.

ج ٦٦ فتبين أنه يمتنع أن[2] / يكون مع الله تعالى شيء قديم بقدمه، وان جاز وجود حوادث لا أول لها، وان قدر أنه لم يزل متكلما اذا شاء، ولم يزل قادرا على الفعل، وان قدر أنه لم يزل فاعلا أفعالا تقوم بنفسه، بل لو قدر أنه لم يزل يفعل شيئا بعد شيء لم يكن في العالم شيء قديم معه، بل كل ماسوى الله تعالى مخلوق، حادث، كائن بعد أن لم يكن، وان كان سبحانه لم يزل موصوفا بصفات الكمال، كما قال أئمة السنة والحديث: لم يزل الله متكلما اذا شاء، فاعلا أفعالا تقوم بذاته.

---

(١) له : ليست في الأصل (ص)، ولعلها ساقطة.
(٢) الأصل (ص): أنه ممتنع أنه، ولعله تحريف.

فانه من المعلوم بصريح العقل أن من يقدر على أن يحدث شيئا بعد شيء أكمل ممن لا يقدر على احداث شيء ، ومعلوم بصريح العقل أن الفعل لا يكون فعلا الا اذا حدث بعد أن لم يكن ، وأما مايلزم ذات الشيء لا يكون فاعلا له ، بل يكون صفة له .

ومعلوم بصريح العقل أن الواجب الغني بنفسه لا يفتقر الى غيره ، بل يجب اتصافه بالكمال الممكن الوجود الذى لا نقص فيه ، فانه اذا كان ممكنا جاز اتصافه به ، وماجاز اتصافه به وجب له ؛ اذ لو لم يجب له لافتقر ثبوته له الى غيره ، فكان يكون مفتقرا في كماله الى غيره ، وهذا ممتنع في الغنى بنفسه ، ولأن معطي الكمال أحق بالكمال ، فلو أعطاه غيره الكمال للزم أن يكون المخلوق أكمل من الخالق .

ولا يمكن أن يقال : يمتنع اتصافه بالكمال الممكن الوجود الذى لا نقص فيه . اذ هو جمع بين النقيضين ؛ فان الممكن الوجود لا يكون ممتنع الوجود.

وأيضا فاتصاف غيره ان كان ممتنعا كان ذلك ممتنعا مطلقا ، والتقدير أنه ممكن كالحياة والعلم والقدرة ، وان أمكن اتصاف غيره به - بحيث يكون متصفا بصفات الكمال - فمن المعلوم أن الخالق أحق بالكمال من المخلوق ، كما أنه أحق بالتنزيه عن النقائص من المخلوقات ، ومن المعلوم أن كل كمال ثبت للمخلوق فهو من الخالق ، والمعطي لغيره الكمال أحق بالكمال في صرائح العقول ، وهذه الأمور مبسوطة في غير هذا الموضع .

والمقصود هنا بيان أصول المقالات ، وبيان مافي قول القائل بامتناع دوام الحوادث ، ودوام الفعل والفاعل ، وأن مالم يسبق الحوادث أو مالم يخل عن الحوادث فهو حادث - من النزاع : فطائفة أطلقت الاثبات ، وطائفة أطلقت النفي ، وطائفة فصلت وميزت .

وهذا التفصيل والتمييز لا يعرفه الفلاسفة المتأخرون ، ولا المتكلمون بالكلام المحدث في الاسلام ، ولا يوجد في كتبهم ، وانما يعرفه أئمة السنة والحديث وأئمة الفلاسفة .

عود لمناقشة استدلال أهل الكلام على حدوث الأجسام

وأما المقدمة الأولى[1] وهي قولهم: ان الأجسام لا تخلو عن الحركة والسكون، أو عن الاجتماع والافتراق، أو عن الأكوان، أو من كل جنس من الأعراض عن عرض منه والعرض لا يبقى زمانين[2] - فالمقدمة الأولى ليس فيها نزاع معروف؛ وهي كون الجسم لا يخلو / عن الحركة والسكون.

ظ ٦٦

لكن النزاع في السكون: هل هو أمر وجودى أو عدمي؟ نزاع مشهور بين النظار من أهل الكلام والفلسفة وغيرهم؛ فكثير من نظار المسلمين وغيرهم يقولون: هو عدمي. وكثير منهم يقول: هو وجودى. وليس القائلون بأنه عدمي هم الفلاسفة فقط، بل كثير من نظار أهل الاسلام يقول ذلك، من الكرامية والهشامية، ومن الفقهاء والصوفية وأهل الحديث وغيرهم.

وعلى هذا القول تبطل المقدمة الأولى على الدليل، كما أبطل أولئك المقدمة الثانية، فانه حينئذ أمكن وجود الجسم الساكن الذى لا يتحرك؛ وخلوه عن الحوادث؛ وأن يكون حدوث حركته بعد أن لم تكن كحدوث الفعل بعد أن لم يكن.

وذلك بأن يقال: لا يخلو اما أن يكون القادر المختار يمكنه الفعل وترجيح أحد المتماثلين بلا مرجح ولا سبب حادث، واما أن لا يمكن؛ فان أمكن جاز أن يكون الجسم القديم ساكنا ثم حدثت حركته؛ فالقادر المختار - سواء قيل: هو واجب بنفسه أو ممكن - فلا يلزم وجوب حدوث الجسم. وان لم يمكن لزم دوام الحوادث، وحينئذ فيلزم بطلان مدلول هذا الدليل، وبطلان المدلول يستلزم بطلان الدليل، فلزم فساده على التقديرين.

وهذا بخلاف بطلان الدليل فانه لا يستلزم فساد المدلول، فان الدليل يجب طرده، ولا يجب عكسه، والدليل مستلزم المدلول، وليس المدلول مستلزما للدليل، الا أن يكون التلازم من الطرفين: كصفات الله بعضها مع بعض، وان

---

(١) وقد سبق عرضها، ص ٢٦٤ - ٢٦٦.
(٢) في الأصل (ص) رسمت الكلمة: رمانين، بلا نقاط.

وكصفاته مع ذاته ؛ فعلمه وقدرته متلازمان ، وكلاهما ملازم لذاته ، فيلزم من ثبوت شيء من ذلك ثبوت [الآخر][1] .

وأما التقدير الثاني والثالث - وهو أن الجسم لا يخلو عن الاجتماع والافتراق[2] - فمبني على اثبات الجوهر الفرد .

ومن هنا جعل هؤلاء الجوهر الفرد من أصول الدين ، وجعلوا القول بتماثل الجواهر والأجسام من أصول دينهم ، وهذا كله باطل شرعا وعقلا .

وأيضا فقد جعل بعضهم الجوهر الفرد أصلا للعلم بالمعاد ، كما ذكره الرازي في " الأربعين " وغيره[3] ، وهو أبطل من هذا ؛ من حيث اعتقد أن المعاد يفتقر فيه الى نفي النفس الناطقة ، ولا يمكن نفيها الا باثبات الجوهر الفرد . وكلا المقدمتين باطلة .

وسبب ذلك أن كثيرا من أهل الكلام اعتقدوا أن لا معاد الا للبدن ، والروح جزء منه أو عرض فيه ، فصاروا يجعلون هذا دين الاسلام ، وقابلهم المتفلسفة الذين يقولون : ان لا معاد الا للنفس الناطقة .

وكلا القولين باطل ؛ ليس هو اثبات معاد الروح والبدن جميعا ، وأن النفس اذا فارقت / البدن كانت منعمة أو معذبة ، وأن الله تعالى يعيد الأرواح الى الأبدان عند القيامة الكبرى .

ج ٦٧

فلما كان القول بمعاد البدن فقط هو قول هؤلاء المتكلمين احتاجوا مع ذلك الى نفي بقاء النفس بعد [مفارقة البدن][4] ؛ فاحتاجوا الى القدح في

---

(١) الآخر : ليست في الأصل (ص) ، وترك مكانها بياضا ، ولعلها تفي بالمطلوب.

(٢) هذا هو التقدير الثاني ، وجزء من التقدير الثالث وهو أن الأجسام لا تخلو عن الأكوان وهي : الاجتماع والافتراق والحركة والسكون ، وقد بين ابن تيمية أن لا اعتراض على لزوم الجسم للحركة والسكون .

(٣) في كتاب " الأربعين " ، ص ٢٥٣ يقول الرازي تحت عنوان : " المسألة السابعة والعشرون في اثبات الجوهر الفرد " : " اعلم أنا قبل الخوض في مسألة المعاد نفتقر الى اثبات أصلين : أحدهما - معرفة النفس ، ومعرفة النفس محتاجة الى معرفة الجوهر الفرد ، والأصل الثاني - اثبات الخلاء ، فنحن قبل الخوض في مسألة المعاد نذكر هذه المسائل الثلاث " .

(٤) عبارة " مفارقة البدن " ليست في الأصل (ص) ، ولعلها ساقطة .

أدلة اثباتها ،وكان أشهرها[1] عند المتفلسفة هو قيام العلم بما لا ينقسم[2]؛

قالت الفلاسفة : وكل متحيز فانه منقسم ، فيلزم اثبات مالا ينقسم ، وهو النفس الناطقة عندهم - فأثبت هؤلاء[3] الجوهر الفرد لكونه متحيزا لا ينقسم.

ومن المعلوم بالاضطرار من دين الاسلام أن الايمان بالله [واليوم الآخر][4] لا يتوقف على اثبات الجوهر الفرد ، بل الرسول صلى الله عليه وسلم الذى دعا الناس الى الايمان بهذه الأصول لم يتعرض لاثبات الجوهر الفرد ، ولا أصحابه ولا التابعون لهم باحسان . وأول من أثبت ذلك في الاسلام طائفة من أهل الكلام : الجهمية والمعتزلة ونحوهم ، الذين هم عند علماء الدين وأئمة المسلمين من [أهل][5] البدع والضلال ، وكلامهم هذا هو من الكلام الذى ذمه السلف والأئمة رضي الله عنهم أجمعين.

وأما قول من يقول : ان كل جسم فهو مستلزم لكل نوع من الأعراض، وان العرض لا يبقى زمانين - فجمهور العقلاء يقولون : ان كل واحدة من المقدمتين معلومة الفساد بالضرورة .

ولهؤلاء طريقة ثالثة وهي طريقة التقدير والاختصاص ، وأن كل مختص فهو ممكن أو محدث ،ولم يفرقوا بين الواجب الغني بنفسه وبين المفتقر الى غيره ، مع العلم بأن الواجب الغني بنفسه له حقيقة تختص به؛

واجبة بنفسها ؛ لا يفتقر الى مخصص مباين له ، وكذلك سائر لوازمه ، وهذا أيضا مبسوط في موضعه .

---

(١) الأصل (ص) : أشهدها . ولعل الصواب ما أثبت .
(٢) الأصل (ص) : مالا ينقسم (بسقوط الباء) .
(٣) يعني الرازى ونحوه من أهل الكلام ، وانظر اعتراضه على الفلاسفة في هذا في كتاب الأربعين، ص ٢٦٧ .
(٤) عبارة " واليوم الآخر " ترك مكانها في الأصل (ص) ، بياضا ، ولعل ما أثبت يفي بالمراد .
(٥) أهل : ليست في الأصل (ص) ، ولعلها ساقطة .

والمقصود هنا التنبيه على أن ماكان بدعة في الشرع أو باطلا في العقل مايصلح أن يكون من فروع الدين ؛ فضلا عن أن يكون من أصوله ؛ فضلا عن أن [يتوقف[1]] تصديق الرسول عليه ؛ فكيف اذا كان بدعة وباطلا شرعا وعقلا !.

وليس العلم باثبات الصانع سبحانه مفتقرا الى شيء من الطرق المبتدعة وان كانت صحيحة ، فكيف اذا كانت باطلة !.

لكن الرجل اذا استدل على الحق بدليل صحيح لم يكن هذا مذموما مطلقا ، كما تجد كثيرا من أهل الحديث ، والصوفية والمتفقهة يعيبون من أقام دليلا عقليا صحيحا على بعض المطالب الدينية ، ويجعلون هذا من الكلام المذموم .

وليس الأمر كما يقوله هؤلاء ، بل الدليل الصحيح مقبول وان لم يعلم استدلال[2] غيره به ، لكن قد يذم لأسباب ؛ مثل أن يكون فيه خطر وغيره /مغن عنه ؛ كمن سلك الى مكة الطريق البعيد المخوفة مع امكان القريبة الأمينة .

ظ ٦٧

وكذلك اذا رد الباطل بممانعة صحيحة ، أو معارضة صحيحة ، لكن المذموم أن يدعي صحة الباطل ، أو يتوقف الايمان على بدعة ماشرعها الله تعالى ورسوله ، فكيف اذا اجتمعا جميعا كما زعم هؤلاء ! حيث قالوا : لا يمكن تصديق الرسول صلى الله عليه وسلم الا بما ذكروه من الطرق النظرية التي ابتدعوها .

وهؤلاء يبنون الايمان بالله تعالى ورسوله على مقدمات يزعمون أنه لا يحصل العلم - أو لا يحصل الايمان - الا بها ، وقد تكون تلك الطريق باطلة ، وقد تكون طويلة خفية مخطرة ، وقد تكون - مع صحتها - هناك طرق أخر غيرها ، وقد يكون غيرها أصح وأقرب منها . وأيضا فقد يقولون : ان المطلوب لا يعلم الا بهذا .

---

(١) يتوقف : مكانها بياض في الأصل (ص) .
(٢) الأصل (ص) : الاستدلال .

ذم السلف للكلام

وهذا حال أهل الكلام المحدث المبتدع في الاسلام ، الذى ذمه سلف الأمة وأئمتها : كمالك ، والشافعي ، وأبي حنيفة ، وأحمد بن حنبل ، واسحاق ابن راهوية ، وأبي يوسف[(١)] وزفر بن الهذيل[(٢)] ، والبويطي[(٣)] ، والمزني[(٤)] ، والبخاري ، ومسلم ، وأبي داود السجستاني[(٥)] ، وابراهيم الحربي[(٦)] ، وعبد الرحمن بن القاسم[(٧)] ،

---

(١) تقدمت ترجمته ، ص ١٣٦ ، ت ٤ .

(٢) الأصل (ص) : بن هذيل ، وهو زفر بن الهذيل بن قيس بن سليم التميمي العنبري ، أصله من أصبهان ، أقام بالبصرة ، وولي قضاءها ، وتوفي بها سنة ١٥٨ ، وكانت ولادته سنة ١١٠ أو ١١٦ ، وهو ثقة ، عابد ، فقيه ، من كبار أصحاب الامام أبي حنيفة .
انظر : الجرح والتعديل ٣ / ٦٠٨-٦٠٩ ؛ ميزان الاعتدال ١ / ٣٤٨ ؛ الجواهر المضيئة ١ / ٢٤٣-٢٤٤ ، ٢ / ٥٣٤-٥٣٦ ؛ البداية والنهاية ١٠ / ١٢٩ ؛ لسان الميزان ٢ / ٤٧٦ - ٤٧٨ ؛ الفوائد البهية ، ص ٧٥-٧٧ ؛ الأعلام ٣ / ٤٥ ؛ تاريخ التراث العربي ١ / ٣ / ٥١ .

(٣) هو أبو يعقوب يوسف بن يحيى البويطي ، نسبته الى بويط من صعيد مصر ، تفقه على الامام الشافعي ، ويعد أكبر أصحابه المصريين ، حمل الى بغداد بأمر الخليفة الواثق ، وأريد على القول بخلق القرآن فامتنع ، فحبس ببغداد الى أن مات في السجن سنة ٢٣١ هـ ، وكان عابدا زاهدا .
انظر : الجرح والتعديل ٩ / ٢٣٥ ؛ تاريخ بغداد ١٤ / ٢٩٩-٣٠٢ ؛ طبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٢ / ١٦٢-١٧٠ ؛ شذرات الذهب ١ / ٧١-٧٢ ؛ الأعلام ٨ / ٢٥٧ ؛ تاريخ التراث العربي ١ / ٣ / ١٩١-١٩٢ .

(٤) هو أبو ابراهيم اسماعيل بن يحيى بن اسماعيل بن عمرو بن اسحاق المزني ، نسبته الى مزينة بنت كلب بن وبرة من مضر (١٧٥-٢٦٤) عاش ومات في مصر ، حدث عن الشافعي ونعيم بن حماد وغيرهما ، وأخذ عنه خلائق من علماء خراسان والعراق والشام ، وصنف كتبا كثيرة ، وكان مناظرا قوى الحجة .
انظر : الجرح والتعديل ٢ / ٢٠٤ ؛ اللباب ٣ / ٢٠٥ ؛ طبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٢ / ٩٣ - ١٠٩ ؛ شذرات الذهب ٢ / ١٤٨ ؛ الأعلام ١ / ٣٢٩ ؛ تاريخ التراث العربي ١ / ٣ / ١٩٤ - ١٩٧ .

(٥) تقدمت ترجمته ، ص ١٧٩ ، ت ٢ .

(٦) الأصل (ص) : الحوبى ، بلا نقاط . ولعل المراد أبو اسحاق ابراهيم بن اسحاق بن ابراهيم بن بشير بن عبد الله بن ديسم الحربي (١٩٨-٢٨٥) أصله من مرو ، اشتهر ومات ببغداد ، سمع الامام أحمد وآخرين ، كان زاهدا ، عارفا بالفقه ، حافظا للحديث ، قيما بالأدب واللغة .
انظر : تاريخ بغداد ٦ / ٢٧-٤٠ ؛ طبقات الحنابلة ١ / ٨٦-٩٣ ؛ شذرات الذهب ٢ / ١٩٠ ؛ الأعلام ١ / ٣٢ .

(٧) هو أبو عبد الله عبد الرحمن بن القاسم بن خالد بن جنادة العتقي مولاهم ، أصله من مدينة الرملة بفلسطين ، سكن مصر وتوفي فيها سنة ١٩١ ، تفقه بالامام مالك بالمدينة ، وكان ورعا زاهدا .
انظر : الجرح والتعديل ٥ / ٢٧٩ ؛ ترتيب المدارك للقاضي عياض ٢ / ٤٣٣-٤٤٧ ؛ تذكرة الحفاظ ١ / ٣٥٦-٣٥٧ ؛ شذرات الذهب ١ / ٣٢٩ ؛ الأعلام ٣ / ٣٢٣ ؛ تاريخ التراث العربي ١ / ٣ / ١٤٢-١٤٤ .

وعبد الملك بن حبيب[١]، وأبي العباس بن سريج[٢]، وأبي حامد الاسفرايينـي[٣]، والمروزى[٤]، وأبي زيد المروزى[٥]، والقاضي حسين[٦]، وأبي بكر الخلال[٧]، وأبي بكر عبد العزيز[٨]، وأبي عبد الله بن بطة[٩]، وأبي القاسم الجنيد[١٠]،

---

(١) هو أبو مروان عبد الملك بن حبيب بن سليمان بن هارون السلمي القرطبي (١٧٤-٢٣٨) كان فقيها مالكيا، ومؤرخا، انتقد بأنه لم يكن له علم بالحديث: صحيحه من سقيمه.
انظر ترتيب المدارك ٣/ ٣٠-٤٨؛ تذكرة الحفاظ ٢/ ٥٣٧-٥٣٨؛ ميزان الاعتدال ٢/ ٦٥٢-٦٥٣؛ لسان الميزان ٤/ ٥٩-٦٠؛ شذرات الذهب ٢/ ٩٠؛ الأعلام ٤/ ١٥٧-١٥٨؛ تاريخ التراث العربي ١/ ٢/ ٢٤٨-٢٥٠.

(٢) القاضي أبو العباس أحمد بن عمر بن سريج البغدادى (٢٤٩-٣٠٦) من شيوخ المذهب الشافعي، ولي قضاء شيراز، وصنف كتبا كثيرة وتوفي ببغداد.
انظر تاريخ بغداد ٤/ ٢٨٧-٢٩٠؛ طبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٣/ ٢١-٣٩؛ شذرات الذهب ٢/ ٢٤٧؛ الأعلام ١/ ١٨٥؛ تاريخ التراث العربي ١/ ٣/ ١٩٩.

(٣) تقدمت ترجمته، ص ٢٠٧، ت ٣.

(٤) الأصل (ص): والمرودى، بالدال المهملة، وهي نسبة الى مرودة، وهو جد أبي الفضل محمد بن عثمان بن اسحاق بن شعيب بن الفضل بن عاصم بن مرود، النسفي (٢٩٧-٣٨٦) والمرودى بالذال نسبة الى مرو الروذ، والمروزى بالزاى نسبة الى مرو الشاهجان، وهما مدينتان في خراسان، بينهما أربعون فرسخا.
انظر: اللباب ٣/ ١٩٨-١٩٩. وقد نقل ذم الكلام عن عدد غير قليل ممن ينتسب احدى النسبتين الأخيرتين، انظر مثلا كتاب صون المنطق والكلام عن فن المنطق والكلام للسيوطي، ص ٧٨، ١١٥.

(٥) هو أبو زيد محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد الفاشاني المروزى، من قرية فاشان احدى قرى مرو (٣٠١-٣٧١) فقيه شافعي، حسن النظر، زاهد، ورع، ورد بغداد وحدث بها، وخرج الى مكة فجاور بها، وتوفي بمرو.
انظر: تاريخ بغداد ١/ ٣١٤؛ وفيات الأعيان ٤/ ٢٠٨-٢٠٩؛ طبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٣/ ٧١-٧٧؛ شذرات الذهب ٣/ ٧٦.

(٦) لا أدرى من المقصود.

(٧) تقدمت ترجمته، ص ١٢ ، ت ٢.

(٨) تقدمت ترجمته، ص ١٧٨، ت ٣.

(٩) تقدمت ترجمته، ص ١٨١، ت ٢.

(١٠) هو أبو القاسم الجنيد بن محمد بن الجنيد الخزاز، ويقال: القواريرى، وقيل: كان أبوه قواريريا، وكان هو خزازا، أصله من نهاوند، ولد ببغداد، ونشأ بها، وسمع بها الحديث، ولقي العلماء ودرس الفقه على أبي ثور، واشتهر بصحبة الحارث المحاسبي والسرى السقطي، ولازم التعبد حتى علت درجته، وصار شيخا في أحوال الصوفية وكلامهم، توفي ببغداد سنة ٢٩٧ أو ٢٩٨.
انظر: طبقات الصوفية للسلمي، ص ١٥٥-١٦٣؛ حلية الأولياء ١٠/ ٢٥٥-٢٨٧؛ تاريخ بغداد ٧/ ٢٤١-٢٤٩؛ البداية والنهاية ١١/ ١١٣-١١٥؛ الأعلام ٢/ ١٤١؛ تاريخ التراث العربي ١/ ٤/ ١٣١-١٣٥.

وسهل بن عبد الله التستري[(١)] ، وعمرو بن عثمان المكي[(٢)] ، وأبي عبد الله ابن خفيف[(٣)] ، وأبي عبد الرحمن السلمي[(٤)] ، ومن لا يحصى عدده من أئمة الدين وشيوخ المسلمين ؛ الذين ذموا الكلام المبتدع في الاسلام : مثل كلام الجهمية .

كما قد ذكرت ألفاظ هؤلاء العلماء ، والأسانيد عنهم بذلك ، في كتب متعددة من كتب الآثار : مثل ماذكره أبو عبد الله السلمي فيما صنفه في ذلك[(٥)] ، وماذكره شيخ الاسلام أبو اسماعيل الأنصاري الهروي في كتابه الكبير المصنف في ذلك[(٦)] ، وماذكره الحافظ أبو عمر النمري في كتابه

---

(١) هو أبو محمد سهل بن عبد الله بن يونس التستري ، ولد بتستر (بلدة من الأهواز من خوزستان) سنة ٢٠٠ أو ٢٠١ وتوفي بالبصرة سنة ٢٨٣ أو ٢٧٣ ، وهو أحد أئمة الصوفية ، وشيخ أبي الحسن أحمد بن محمد بن سالم امام السالمية .
انظر : طبقات الصوفية للسلمي ، ص ٢٠٦ - ٢١١ ؛ حلية الأولياء ١٠ / ١٨٩ - ٢١٢ ؛ صفة الصفوة ٤ / ٦٤ - ٦٦ ؛ وفيات الأعيان ٢ / ٤٢٩ - ٤٣٠ ؛ العبر ٢ / ٧٠ ؛ البداية والنهاية ١١ / ٧٤ ؛ الطبقات الكبرى للشعراني ١ / ٦٦ - ٦٨ ؛ الأعلام ٣ / ١٤٣ ؛ تاريخ التراث العربي ١ / ٤ / ١٢٩ - ١٣٠ .

(٢) هو أبو عبد الله عمرو بن عثمان بن كرب بن غصص المكي ، أحد أعيان الصوفية ، سكن بغداد ، ومات بها ، وقيل : مات بمكة ، سنة ٢٩١ أو ٢٩٧ .
انظر : طبقات الصوفية ، ص ٢٠٠ - ٢٠٥ ؛ حلية الأولياء ١٠ / ٢٩١ - ٢٩٦ ؛ تاريخ بغداد ١٢ / ٢٢٣ - ٢٢٥ ؛ شذرات الذهب ٢ / ٢٢٥ - ٢٢٦ ؛ الأعلام ٥ / ٨١ - ٨٢ ؛ تاريخ التراث العربي ١ / ٤ / ١٣٦ - ١٣٧ .

(٣) هو أبو عبد الله محمد بن خفيف بن اسفكشاد الضبي ، ولادته واقامته بشيراز ، ورحل الى أبي الحسن الأشعري وأخذ عنه ، شافعي صوفي ، له مصنفات ، توفي سنة ٣٧١ عن ٩٥ سنة أو أكثر .
انظر : طبقات الصوفية ، ص ٤٦٢ - ٤٦٦ ؛ حلية الأولياء ١٠ / ٣٨٥ - ٣٨٩ ؛ طبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٣ / ١٤٩ - ١٦٣ ؛ شذرات الذهب ٣ / ٧٦ - ٧٧ ؛ الأعلام ٦ / ١١٤ ؛ تاريخ التراث العربي ١ / ٤ / ١٦٢ - ١٦٣ .

(٤) هو أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين بن محمد بن موسى الأزدي السلمي النيسابوري ، ولد سنة ٣٢٥ أو ٣٣٠ بنيسابور وتوفي فيها سنة ٤١٢ ، من مشايخ الصوفية ، ألف كتبا في التصوف وطبقات الصوفية وفي التفسير الحديث .
انظر : تاريخ بغداد ٢ / ٢٤٨ - ٢٤٩ ؛ اللباب ٢ / ١٢٩ ؛ تذكرة الحفاظ ٣ / ١٠٤٦ - ١٠٤٧ ؛ طبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٤ / ١٤٣ - ١٤٧ ؛ لسان الميزان ٥ / ١٤٠ - ١٤١ ؛ شذرات الذهب ٣ / ١٩٦ - ١٩٧ ؛ الأعلام ٦ / ٩٩ ؛ تاريخ التراث العربي ١ / ٤ / ١٧٨ - ١٨٤ .

(٥) سعيت في معرفة المقصود بهذا الاسم ، حتى وجدت في كتاب " الاستقامة " ١ / ١٠٣ - ١٠٨ لشيخ الاسلام ابن تيمية مايرجح أن الاسم محرف عن أبي عبد الرحمن السلمي ، فقد قرن ابن تيمية هناك بين أبي عبد الرحمن وأبي اسماعيل عبد الله بن محمد الأنصاري الهروي ، وذكر أن لكليهما مصنفا مشهورا في ذم الكلام .
وأورد فؤاد سزكين في تاريخ التراث العربي ١ / ٤ / ١٨٤ ضمن مصنفات أبي عبد الرحمن السلمي كتاب " الرد على أهل الكلام " ، وذكر أن له مختصرا مخطوطا في الظاهرية .

(٦) تقدمت ترجمة أبي اسماعيل الأنصاري ، ص ١١٢ ت ٣ ، وأشار الزركلي في الأعلام ٤ / ١٢٢ الى وجود كتاب " ذم الكلام وأهله " مخطوطا ، وقد لخص هذا الكتاب في خمسين صفحة السيوطي ضمن كتابه " صون المنطق والكلام عن فن المنطق والكلام " الصفحات ٣٣ - ٨٢ .

في "بيان العلم وفضله"[1]، حتى فيما ذكره أبو حامد الغزالي في كتابه المسمى "بالاحياء"[2]، ومثل هذا يوجد في كتب السنة والحديث من المنقولات الكثيرة في ذلك .

ج ٦٨ وقد بسطنا الكلام على أقوال السلف في غير هذا الموضع، وبينا/مناظرة الامام أحمد بن حنبل في محنته المشهورة للجهمية، كأبي عيسى محمد بن عيسى : برغوث، أحد رؤوس الكلام[3]، صاحب حسين النجاري[4]؛ ومناظرة الامام الشافعي لحفص الفرد[5]،

---

(١) هو العلامة الحافظ أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي، ولد بقرطبة بالأندلس سنة ٣٦٨ وقيل سنة ٣٨٣، ورحل عنها الى غرب الأندلس ثم الى شرقها، وتوفي بشاطبة سنة ٤٦٣، وهو فقيه مالكي، ومؤرخ، أديب، من كبار حفاظ الحديث، وله كتب مشهورة منها كتاب "التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد" وكتاب "الاستذكار لمذاهب علماء الأمصار" وكتاب "الاستيعاب" في تراجم الصحابة، وكتاب "جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله"، وغير ذلك .
انظر: ترتيب المدارك للقاضي عياض ٤/٨٠٨-٨١٣؛ تذكرة الحفاظ ٣/١١٢٨-١١٣٢؛ شذرات الذهب ٣/٣١٤-٣١٦؛ الأعلام ٨/٢٤٠ .

(٢) كتاب "جامع بيان العلم وفضله" لابن عبد البر وكتاب "احياء علوم الدين" للغزالي، مطبوعان مشهوران، وقد نقل السيوطي في كتاب "صون المنطق"، ص ١٣٢-١٤٢ كلام ابن عبد البر في هذا الموضوع، ونقل ص ١٨٨-١٩٠ كلام الغزالي .

(٣) الأصل (ص) : كأبي عيسى بن محمد ... الخ، والصواب ما أثبته .
وبرغوث لقب لمحمد بن عيسى، وهو رأس البرغوثية احدى فرق النجارية، وقد ذكر الأشعري في مقالات الاسلاميين (١/٣٤٠-٣٤١) أقوال الحسين بن محمد النجار ثم قال (١/٣٤١-٣٤٢): "وكان برغوث يميل الى قوله، ويزعم أن الأشياء المتولدة فعل الله بايجاب الطبع، وذلك أن الله سبحانه طبع الحجر طبعا يذهب اذا دفع ... وكان يزعم أن الله سبحانه لم يزل جوادا بنفي البخل عنه، وأنه لم يزل متكلما بمعنى أنه لم يزل غير عاجز عن الكلام، وأن كلام الله سبحانه محدث مخلوق، وكان يقول في التوحيد بقول المعتزلة الا في باب الارادة والجود، وكان يخالفهم في القدر ويقول بالارجاء، وكان يزعم أنه جائز أن يحول الله سبحانه العين الى القلب، ويجعل في العين قوة القلب، فيرى اللهَ سبحانه الانسانُ بعينه، أي يعلمه بها، وكان ينكر الرؤية لله عز وجل بالأبصار على غير هذا الوجه ...".
وانظر أيضا الفرق بين الفرق، ص ٢٠٩، الفصل لابن حزم ٣/٢٢؛ الملل والنحل للشهرستاني ١/١١٢، ١١٤؛ الوافي بالوفيات ٤/٣٠٤ .

(٤) هو أبو عبد الله الحسين بن محمد النجار رأس النجارية تقدم الكلام عنه وعن فرقته، ص ٨٤ت ١ .

(٥) قال النديم في كتاب "الفهرست" (ط. مصر)، ص ٢٥٥ : "حفص الفرد من المجبرة ومن أكابرهم، نظير النجار، وكان من أهل مصر، قدم البصرة، فسمع بأبي الهذيل، واجتمع معه وناظره، فقطعه أبو الهذيل، وكان أولا معتزليا، ثم قال بخلق الأفعال"، وذكر أنه يكنى أبا عمرو، وأبا يحيى، وسمى له عددا من الكتب .
وقال الذهبي في ميزان الاعتدال ١/٥٦٤ : "حفص الفرد مبتدع صاحب كلام، لكنه لا يكتب حديثه/ =

صاحب ضرار بن عمرو الكوفي[1]، وبينا قول حفص الذى كفره به الشافعي، وقول أبي عيسى برغوث وغيره من الجهمية الذين ناظروا الامام أحمد[2].

أعظم ماذمه السلف كلام الجهمية

وبينا أن من أعظم الكلام الذى ذمه هؤلاء الأئمة وغيرهم، كلام الجهمية الذى استدلوا به على نفي الصفات، وهو الذى جعلوه أصلا للعلم باثبات الصانع، وهو استدلالهم على ذلك بأن الأجسام محدثة، لأنها لا تخلو عن الحوادث، وما لا يخلو عن الحوادث فهو محدث.

وهم ومن تبعهم من الكلابية والكرامية، ومن وافقهم من متفقهة ومحدثين وصوفية وغيرهم - يظنون أن هذا هو أصل الدين الذى به يعلم ثبوت الصانع سبحانه، وصدق الرسول صلى الله عليه وسلم، وأن مايقدح في هذا فهو قدح في أصل دين الاسلام، وأنه لا طريق الى العلم بصدق الرسول الا هذا الطريق.

ثم ان أئمة هذا الطريق[3] رأوا أن هذا يستلزم نفي صفات الرب تعالى، [لأجل] الحجة[4] على أن ماقامت به [الصفات قامت به[5]] الأعراض

/ = وكفره الشافعي في مناظرته ".
ولما ذكر الأشعري في مقالات الاسلامين ١/ ٣٣٩- ٣٤٠ مافارق به ضرار بن عمرو المعتزلة - وقد أوردت مجمله فيما سبق، ص ٨٣ ت ٦ - قال الأشعري (١/ ٣٤٠): " وقد تابعه على ذلك حفص الفرد وغيره ".
وانظر الفصل لابن حزم ٣/ ٥٤، ١٦٤؛ والملل والنحل للشهرستاني ١/ ١١٤.

(١) ضرار بن عمرو الكوفي رأس فرقة الضرارية. انظر فيما سبق، ص ٨٣ ت ٦.

(٢) في مناظرة الامام الشافعي لحفص، انظر: درء تعارض العقل والنقل ٧/ ١٤٦، ٢٤٥- ٢٤٦، ٢٤٨ - ٢٥٠، ٢٧٥. وفيه يوضح ابن تيمية أن المناظرة كانت في القرآن. وأن الشافعي بين أن القرآن كلام الله غير مخلوق، وكفر حفصا لقوله بأنه مخلوق، وأن أصل حجة حفص هو دليل الأعراض، فان القرآن كلام، والكلام عندهم كسائر الصفات والأفعال لا يقوم الا بجسم، والجسم محدث.
وفي مناظرة الامام أحمد لبرغوث، انظر: درء تعارض العقل والنقل ١/ ٢٣٠- ٢٣١، ٢٤٩، ٢٤٠. وفيه يذكر ابن تيمية أن برغوثا حاول الزام أحمد التجسيم، وأنه اذا أثبت لله كلاما غير مخلوق لزم أن يكون جسما، وأن أحمد امتنع من موافقته على النفي والاثبات، وأجابه بأن لفظ " الجسم " ليس له أصل في الكتاب والسنة والاجماع، ومقصود المتكلم به مجمل، لا يعرف الا بعد الاستفسار.

(٣) الأصل (ص): أطرق. وهو تحريف.

(٤) الأصل (ص): لا الحجة.

(٥) مابين المعكوفين ليس في الأصل (ص)، ولعله ساقط.

باتفاقهم ، وماقامت به الأعراض قامت به الحوادث أيضا عند أئمتهم وجمهورهم : كالجهمية والمعتزلة والكرامية والضرارية والهشامية .

فصاروا لأجل هذا يقولون : ان الرب لا يقوم به صفة : لا علم ، ولا قدرة ، ولا كلام .

فقالوا : القرآن مخلوق خلقه منفصلا عنه ، بل قالوا : كلامه مخلوق خلقه منفصلا[1] عنه .

وقالوا : انه ليس فوق العالم ؛ لأنه لو كان فوقه للزم أن يكون جسما حاملا للأعراض والحوادث ، وماقامت به الأعراض والحوادث فهو حادث .

وقالوا : انه لا يرى في الآخرة ؛ لأنه لا يرى الا ماكان مقابلا للرائي[2] ؛ فيلزم أن يكون في جهة منه ؛ فيكون جسما حاملا للأعراض ؛ فيكون حادثا .

محنة القول بخلق القرآن

ولأجل هذا الأصل الذى بنوا عليه دينهم ، امتحنوا أئمة الدين وعلماء المسلمين المحنة المشهورة ، التي دعوا الناس فيها الى نفي الصفات ، وانكار الرؤية ، والقول بخلق القرآن وغير ذلك ، حتى ثبت الله امام السنة الصابر على المحنة أبا عبدالله أحمد بن حنبل .

وأقام على السنة أيضا سائر أئمة السنة والحديث والفقه ، وان كان بعضهم وافقهم ظاهرا ، واعترف [أنه[3]] انما وافقهم محنة ، لما تهددوا الناس بالقتل ، وحبسوا بعضهم ، وقتلوا بعضهم ، وأمروا أن لا تقبل شهادة / شاهد حتى يمتحن ، فيوافقهم على قول الجهمية ، ولا يولى قاض ، ولا امام مسجد ، حتى يوافقهم ، ولا يجرى رزق من بيت المال الا على من يوافقهم ، ولا يفتك أسير من أيدى الكفار حتى يوافقهم .

ظ ٦٨

وأقامت هذه المحنة بضع عشرة سنة ، ثم جلاها الله تعالى بما أعطاه لأئمة الدين من الصبر واليقين ؛ قال تعالى : (وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون[4]) .

---

(١) الأصل (ص) : منفصل .
(٢) الأصل (ص) : المرائى .
(٣) أنه : ليست في الأصل (ص) ولعلها ساقطة .
(٤) سورة السجدة : ٢٤. الأصل(ص) : وجعلناهم أئمة . . .

وامام الأمة في ذلك الزمان كان أحمد بن حنبل رضي الله عنه ، ولهذا شبهه العلماء بالخلفاء الراشدين ، وسموه " الصديق الثاني " ؛ قال المرودى[(١)]: " أحمد بن حنبل [يوم المحنة ، وأبو بكر[(٢)]] الصديق يوم الردة ، وعمر يوم السقيفة ، وعثمان يوم الدار ، وعلي يوم الخوارج ". الى غير ذلك مما قد جمعه العلماء من أخباره وأخبار غيره .

منزلة ابن كلاب

ولأجل ظهور بدعتهم ، واشتباه ضلالتهم ، قامت طائفة أخرى ؛ كأبي محمد عبدالله بن سعيد بن كلاب ومن اتبعه ، فردوا عليهم قولهم بنفي الصفات ، وانكار العلو والرؤية ، وبخلق القرآن ؛ وخالفوهم في ذلك .

ولكن وافقوهم في أصل قولهم بامتناع حوادث لا أول لها ، وأن ماقامت به الحوادث فهو حادث ؛ فقالوا : ان الله تعالى لا يتكلم بمشيئته وقدرته ، وقالوا : ان القرآن ليس بمخلوق ، لكنه قديم .

وابن كلاب أول من ظهر عنه في الاسلام أنه قال : " هو قديم ". ولم يقل هذا أحد من الأمة والأئمة ؛ وانما كانوا يقولون : " كلام الله غير مخلوق " ، ويقولون أيضا : " منه بدأ واليه يعود ".

ويريدون بقولهم : منه بدأ ، أى هو الذى تكلم به ، لم يبدأ من غيره ؛ كما تقول الجهمية والمعتزلة : انه مخلوق ابتدأ من غيره . ولهذا قال الامام أحمد بن حنبل : " كلام الله من الله ، ليس ببائن منه "[(٣)].

---

(١) المرودى : كذا في الأصل (ص) ، والمترجمون للامام أحمد ينسبون القول الآتي للمزني أبي ابراهيم اسماعيل بن يحيى صاحب الشافعي ، انظر مناقب الامام أحمد لابن الجوزى ، ص ١٦٤ ، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٢ / ٢٧ .
وورد في طبقات الحنابلة ١ / ١٣ وترجمة الامام أحمد في كتاب تاريخ الاسلام للذهبي المنشورة في الجزء الأول من المسند تحقيق أحمد شاكر ، ص ٦٦ قال علي بن المديني : ان الله أعز هذا الدين بأبي بكر الصديق يوم الردة ، وبأحمد بن حنبل يوم المحنة .

(٢) مابين المعكوفين ساقط من الأصل (ص) ، وأثبته من الكتب التي ترجمت للامام أحمد ، وذكرت هذا القول . انظر مثلا طبقات الشافعية الكبرى ٢ / ٢٧ .

(٣) تقدم هذا القول وتخريجه ، ص ٩ .

منزلة أبي الحسن الأشعرى

وجاء أبو الحسن الأشعرى بعد ابن كلاب ؛ وكان قد صار من أئمة المعتزلة وأخبرهم بمقالاتهم ؛ فلما تبين له فساد أقوالهم وتناقضها انتقل عن مذهبهم، وأخذ أصول ابن كلاب فاتبعها وبنى عليها، وأظهر من تناقض المعتزلة في مسائل الصفات والقدر والوعيد وغير ذلك - ماظهر به فساد أقوالهم لكثير من الناس الذين كانوا لا يعرفون حقيقة أقوالهم، حتى قال فيه أبو بكر الصيرفي[1]: انه قمع المعتزلة في قمع السمسمة .

لكنه موافق لابن كلاب على الأصل الذى وافق فيه هؤلاء الجهمية، فصار المخالفون له - من أهل السنة والاثبات، ومن أهل النفي والتجهم - يردون عليه، ويقولون: انه تناقض، وقال أقوالا مخالفة لصريح المعقول / وصحيح المنقول، وان ما أثبته من الكلام لا حقيقة له، بل يعود الى التعطيل ؛ لأنه أثبت معنى واحدا قائما بذات الرب ؛ هو الأمر بكل مأمور به، والنهي عن كل منهي عنه، والخبر بكل مخبر عنه ؛ وأن هذا المعنى ان عبر عنه بالعربية كان قرآنا، وان عبر عنه بالعبرية كان توراة، وان عبر عنه بالسيريانية كان انجيلا، وأن معنى آية الكرسي وآية الدين معنى واحد، وأنه يريد جميع الكائنات بارادة واحدة، وارادته تخلق ذلك، وكذلك قال في سائر الصفات كما قال في الكلام .

ج ٦٩

ويقولون: ان ما أثبته من الرؤية لا حقيقة له في نفس الأمر ؛ فانه أثبت رؤية بالعين من غير مواجهة للمرئي .

---

(١) هو أبو بكر محمد بن عبدالله الصيرفي البغدادى، الفقيه الشافعي، أخذ الفقه عن أبي العباس بن سريج، واشتهر بالحذق في النظر والقياس وعلم الأصول، توفي سنة ٣٣٠.
انظر: تاريخ بغداد ٥/٤٤٩ - ٤٥٠ ؛ وفيات الأعيان ٤/١٩٩ ؛ الوافي بالوفيات ٣/٣٤٦ - ٣٤٧ ؛ طبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٣/١٨٦ - ١٨٧ ؛ الأعلام ٤/١٩٩.

قالوا : وهذه مكابرة للعقل ، مخالفة للنص ؛ فان الرسول صلى الله عليه وسلم أخبر عن الله تعالى ، وقال : (انكم ترون ربكم كما ترون الشمس والقمر، لا تضامون في روءيته)[1] . فشبه الروءية بالروءية ، وان لم يكن المرئي كالمرئي . وهذا أبلغ مايكون من كمال الروءية ووضوحها ، فلا يحتاج مع تفسير الرسول المبلغ عن الله تعالى الى قول يخالف ذلك .

والى غير ذلك من المقالات .

وأبو الحسن الأشعرى أيضا أظهر من تناقض الجهمية والمعتزلة والرافضة وغيرهم ، ومن بيان فساد مقالاتهم - ماتبين به أن ماعابهم به أعظم مما عابوه ، وأن قوله ، وان كان فيه باطل مخالف للعقل والسمع ، ففي أقوال أولئك من مخالفة السمع والعقل أعظم مما في قوله ،وفي أقوالهم من التناقض أعظم مما في قوله ؛ ولهذا اتبعه كثير من المنتسبين الى السنة من أصحاب مالك والشافعي وأحمد بن حنبل وأبي حنيفة وغيرهم .

وكان أبو الحسن منتسبا الى السنة وأهل الحديث من الحنبلية وغيرهم ، معظما لأحمد بن حنبل ، منتسبا اليه في السنة ؛ كما قال في كتابه المعروف

---

(١) الأحاديث في روءية المؤمنين لربهم سبحانه وتعالى في الدار الآخرة كثيرة ، أشبهها بهذا اللفظ حديث جرير بن عبدالله البجلي قال : كنا جلوسا عند النبي صلى الله عليه وسلم اذ نظر الى القمر ليلة البدر فقال : (انكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر، لا تضامون في روءيته ...) .
أخرجه البخارى (فتح البارى ٢ / ٣٣ رقم ٥٥٤) كتاب مواقيت الصلاة ،باب فضل صلاة العصر، ١٣ / ٤١٩ رقم ٧٤٣٤ كتاب التوحيد ،باب قول الله تعالى : (وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة) ؛ مسلم (١ / ٤٣٩ رقم ٦٣٣ كتاب المساجد ومواضع الصلاة ،باب فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليهما ؛ سنن أبي داود (عون المعبود ١٣ / ٥١ - ٥٣) كتاب السنة ، باب في الروءية ، سنن الترمذى (تحفة الأحوذى ٧ / ٢٦٥ - ٢٦٦) صفة الجنة ،باب ماجاء في روءية الرب تبارك وتعالى ؛ سنن ابن ماجة (١ / ٦٣ رقم ١٧٧ المقدمة ،باب فيما أنكرت الجهمية ، مسند أحمد (ط. الحلبي) ٤ / ٣٦٥ - ٣٦٦ .
لا تضامون : روى بضم التاء وتخفيف الميم أى لا يحصل لكم ضيم حينئذ ،وروى بفتح التاء وتشديد الميم من الضم أى لا ينضم بعضكم الى بعض ، والمراد نفي الازدحام .
انظر : فتح البارى ٢ / ٣٣ ، شرح النووى لصحيح مسلم ٥ / ١٣٤ ، ١٨ / ٣ .

" بالابانة "، وقد ذكره الحافظ أبو القاسم بن عساكر[١] في كتاب الذى سماه " تبيين كذب المفترى فيما ينسب الى الشيخ أبي الحسن الأشعرى ".

قال أبو الحسن في أثناء كتابه المذكور[٢]: " فان قال[٣] قائل : قد أنكرتم قول الجهمية والقدرية والخوارج والروافض[٤]، فعرفونا قولكم الذى به تقولون، ودياناتكم التي بها تدينون .

قيل له : قولنا الذى نقول به ، وديانتنا التي ندين بها : التمسك بكتاب ربنا ، وبسنة نبينا ، وبما[٥] روى عن الصحابة ، والتابعين[٦]. وبما كان يقول به أبو عبدالله أحمد بن حنبل[٧] قائلون ، ولما خالف قوله مجانبون ؛ فانه الامام الكامل ، والرئيس الفاضل[٨] /، الذى أبان الله به الحق[٩]، وأوضح به المنهاج ، وقمع به بدع المبتدعين ، وزيغ الزائغين ، وشك الشاكين ، فرحمة الله عليه من امام مقدم[١٠]، وكبير مفهم ، و[١١] على جميع أئمة المسلمين[١١]". وذكر جمل مقالاته[١٢].

ظ ٦٩

---

(١) الحافظ الكبير محدث الشام أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عساكر الدمشقي ، ولد بدمشق سنة ٤٩٩ ، وأكثر في طلب الحديث من الترحال ، له تاريخ دمشق الكبير ، وغيره من المصنفات ، توفي بدمشق سنة ٥٧١ .
انظر : تذكرة الحفاظ ٤/١٣٢٨-١٣٣٤ ؛ طبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٧/٢١٥-٢٢٣ ؛ البداية والنهاية ١٢/٢٩٤ ؛ شذرات الذهب ٤/٢٣٩-٢٤٠ ؛ الأعلام ٤/٢٧٣-٢٧٤ .

(٢) في كتاب " الابانة عن أصول الديانة "، ص ٢٠-٢١ (تحقيق الدكتورة فوقية حسين محمود ، ط . الأولى ، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م القاهرة) . تحت عنوان " فصل في ابانة قول أهل الحق والسنة " وفي كتاب " تبيين كذب المفترى "، ص ١٥٧-١٥٨ .

(٣) الابانة : فان قال لنا .

(٤) الابانة : قول المعتزلة والقدرية والجهمية والحرورية والرافضة والمرجئة .

(٥) الابانة : ربنا عز وجل ، وبسنة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، وما .

(٦) الابانة : والتابعين ، وأئمة الحديث ، ونحن بذلك معتصمون .

(٧) الابانة : أحمد بن محمد بن حنبل ، نضر الله وجهه ، ورفع درجته ، وأجزل مثوبته .

(٨) الابانة : ولما خالف قوله مخالفون ، لأنه الامام الفاضل ، والرئيس الكامل .

(٩) الابانة : الحق ، ودفع به الضلال .

(١٠) الابانة : مقدم ، وجليل معظم .

(١١-١١) مابينهما ليس في " الابانة ".

(١٢) في كتاب " الابانة "، ص ٢١-٢٣ .

كما ذكر جمل مقالات أهل السنة والحديث في كتابه المصنف في "مقالات الاسلاميين"[1]، الى أن قال: "وبكل ماذكرناه من قولهم نقول، واليه نذهب".

منزلة أبي عبدالله ابن كرام

وقام أيضا أبوعبدالله محمد بن كرام بسجستان ونواحيها؛ ينصر مذهب أهل السنة والجماعة، المثبتة للصفات والقدر و [حب] الصحابة[2] وغير ذلك، ويرد على الجهمية والمعتزلة والرافضة وغيرهم، ويوافقهم على أصول مقالاتهم التي بها قالوا ماقالوا، ويخالفهم في لوازمها، كما خالفهم ابن كلاب والأشعرى، لكن هولاء منتسبون[3] الى السنة والحديث، وابن كرام منتسب[4] الى مذهب أهل الرأى.

و [خالف] قول الجماعة[5]، وتكلم في مسألة الايمان بكلام لم يسبقه اليه أحد من المسلمين؛ حيث جعل المتكلم بلسانه مؤمنا باطنا وظاهرا، وان كان منافقا في الباطن، وجعله مع ذلك كافرا مخلدا في النار.

وبعض الناس يحكي عنه أنه جعله سعيدا في الآخرة، وهذا غلط عليه؛ فانه جعله في النار، فلم يخالف الجماعة في حكمه في الآخرة، وانما خالفهم في اسمه في الدنيا.

وتكلم أيضا في "مسألة الجسم" و "حلول الحوادث" بكلام تناقض فيه، فلم يجر فيه على السنة، قاعدة عقلية ولا سمعية. وتكلم بأمور أخرى أنكرت عليه، وان كانت موافقته لأهل السنة أعظم من موافقة المعتزلة والرافضة. وهذه المقاصد مبسوطة في موضع آخر.

مشاركة رؤوس الكلام المتأخرين للمتقدمين في أصل ضلالهم

وأهل السنة المحضة والحديث يعيبون جميع رؤس الكلام المحدث، كما يعيبون رؤسهم المتقدمين: كالجهم والجعد وأبي الهذيل والنظام وغيرهم.

---

(١) في كتاب "مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين" ١/ ٣٤٥- ٣٥٠ تحت عنوان "هذه حكاية جملة قول أصحاب الحديث وأهل السنة"، وختم كلامه بقوله، ص ٣٥٠: "وبكل ماذكرنا من قولهم نقول، واليه نذهب ...".

(٢) الأصل (ص): والقدر والصحابة.

(٣) الأصل (ص): منتسبين.

(٤) الأصل (ص): منتسبا.

(٥) الأصل (ص): أهل الرأى وقول الجماعة. ولعل الصواب ما أثبته.

فانهم شاركوهم[1] في الأصل الذى منه ضلوا ؛ حيث ادعوا أن صدق الرسول صلى الله عليه وسلم انما يمكن بهذه الطريق التي أحدثوها ، وهو اثبات حدوث الأجسام بقيام الحوادث بها ، وأن مالا يسبق الحوادث فهو حادث . وصار هؤلاء المتبعون لأهل الكلام المبتدع ، يظنون أن دين الاسلام انما تعلم صحته بهذه الطريق .

ومن عالم[2] بالسنة لفظا ومعنى ، عقلا ونقلا ، اذا تدبر حقيقة قولهم تبين له أن الأمر عكس ماقالوه ، وأن لايمكن معرفة الصانع تعالى ، وأنه خلق السموات والأرض ، وأنه أرسل رسوله محمدا بكلامه الذى أنزله عليه ـ الا بنقيض قولهم الفاسد ، وعلم أنه يجب أن يكون موصوفا بصفات الكمال : من العلم والقدرة وغير ذلك ، يخلق ويتكلم بمشيئته وقدرته ، متصفا بالصفات والأفعال / الاختيارية القائمة بذاته المقدسة ، وأن مالا يكون كذلك يمتنع أن يكون خالقا لشيء أو متكلما بشيء .

ج ٧٠

فطريقتهم التي أثبتوا بها أنه خالق للخلق ، مرسل للرسل ، اذا حققت عليهم وجد لازمها أنه ليس بخالق ولا مرسل ، فيبقى المسلم العاقل اذا تبين له حقيقة الأمر ، وكيف انقلب العقل والسمع على هؤلاء ـ متعجبا .

سبب تسلط أعداء الاسلام على أهل الكلام

ولهذا تسلط عليهم بها أعداء الاسلام من الفلاسفة والملاحدة وغيرهم ، لما بينوا أنه لايثبت بها خلق ولا ارسال ، فادعى أولئك قدم العالم ، وأثبتوا موجبا بذاته ، وقالوا : ان الرسالة فيض يفيض على النبي من جهة العقل الفعال ، لا أن هناك كلاما تكلم الله تعالى به ، قائما به ، أو مخلوقا في غيره .

وكان في الوقت الذى أظهرت الجهمية فيه مقالتهم الأولى ، وامتحنوا أئمة الاسلام كأحمد بن حنبل وغيره ، قد ظهر أصل كلمة[3] هؤلاء الملاحدة الباطنية باطنا ، وذلك في امارة المأمون ثم المعتصم ، وتجدد بعد ذلك من الحوادث

---

(١) في الأصل (ص) بعد عبارة " شاركوهم " سهم يشير الى الهامش وكتب فيه كلمة " أولئك " .
(٢) ومن عالم : كذا في الأصل (ص) : ولعلها صحيحة ، والأولى أن تكون : ومن كان عالما .
(٣) الأصل (ص) : كملة . ولعله تصحيف .

العظيمة ، التي كانت في الاسلام ، في أثناء المائة الرابعة مايطول شرحه ، مما تزلزل به أقطار البلاد الاسلامية .

صور من هذا التسلط

ولما ظهرت تلك البدع المخالفة للشرع والعقل ، وخفيت السنن الموافقة للعقل والسمع - دخلت الملاحدة من هذا الباب ، فأخذوا من أولئك المبتدعة ماوافقتهم[1] عليه ، وجعلوه أصلا لما يريدونه من الحادهم وزندقتهم .

فصاروا يقولون للمعتزلي : أنت وافقتنا على أن ماقام به العلم والقدرة يكون جسما مشبها بخلقه ، وذلك ممتنع ؛ فكذلك[2] ماسمي عالما قادرا لا يكون الا جسما مشبها للخلق ؛ فيجب عليك أن تنفي الأسماء كما نفيت الصفات .

ويقولون للكلابي : أنت وافقتنا على أن ماقامت به الحوادث فهو حادث ؛ فان ماقامت به الحوادث لم يخل منها ؛ فيكون حادثا ؛ لامتناع حوادث لا أول لها ، وماقامت به الأعراض فهو جسم محدث ، فيجب عليك أن تنفي الصفات وتنفي العلم والقدرة ؛ لأن هذه الصفات أعراض فلا تقوم الا بجسم ، ولأن من قامت به الأعراض قامت به الحوادث ، ولا يفرق بين هذا وهذا عقل ولا نقل ؛ فقولك : انه تقوم به الأعراض دون الحوادث تناقض .

فاذا قال : أنا لا أسمي مايقوم به عرضا ؛ لأن العرض لا يبقى زمانين ، وصفاته باقية عندي .

قالوا : قولك : " ان العرض لا يبقى زمانين " ، مخالف لصريح العقل ، بل هو مما يعلم فساده بضرورة العقل ، وحينئذ فلا فرق بين بقاء صفاته وبقاء صفات غيره ، فاما أن تسمي الجميع عرضا أو لا تسمي الجميع عرضا .

واذا قال : انما قلت : انه لا يقبل الحوادث لأن ما [قامت به الحوادث][3] لا يخلو منها .

---

(١) الأصل (ص) : ماوافقهم .
(٢) الأصل (ص) : فكذلك فلذلك .
(٣) مابين المعكوفين ليس في الأصل (ص) ، ولعله ساقط .

ظ ٧٠

قالوا له: واذا كان عندك قد / صار فاعلا بعد أن لم يكن، ولم يلزم من ذلك أنه لا يخلو من الفعل، فقل: انه قام به الفعل بعد أن لم يكن، كما قالت اخوانك من مشبتة[1] الصفات: الكرامية وغيرهم، ولا يلزم من ذلك أن يكون الفعل لم يقم به.

الى غير ذلك من الحجج التي صار يحتج بها الملاحدة على أصناف أهل الكلام المحدث، حتى حدث في الاسلام من شر القارمطة الباطنية والفلاسفة الملاحدة مايعرفه من عرف أيام الاسلام.

وكان من أسباب ذلك عدم علمهم بما بعث الله تعالى به الرسول صلى الله عليه وسلم، وعدم تحقيقهم لقواعد المعقول؛ فان الأقوال المبتدعة لابد أن تكون مناقضة للشرع والعقل.

موافقة السالمية لأصل المعتزلة والكلابية وقولهم في القرآن بقول مركب من مذهبيهما

جاء بعد هؤلاء طوائف من السالمية[2] والفقهاء وأهل الحديث والصوفية: من حنبلي وشافعي ومالكي وحنفي وغيرهم، فوافقوا أهل الكلام المبتدع في أصلهم، ورأوا مقالاتهم التي بها ظهر في الأمة أنهم خالفوا بها السنة؛ كقول المعتزلة في القرآن وكلام الله تعالى، وقول الكلابية؛ فخالفوا الطائفتين في قولهم الذى ظهر مخالفته للنص والعقل، ولكن وافقوهم في الأصل الذى منه ضلوا؛ وهو أن الرب تعالى لم يكن في الأزل يمكنه أن يتكلم بمشيئته وقدرته، ولا يمكن أن يتكلم دائما بمشيئته وقدرته، ولا يمكن [أن تكون][3] له كلمات لانهاية لها.

واذا كان كذلك، مع القول بأن القرآن غير مخلوق، لم يكن الا أحد القولين: اما قول الكرامية ومن وافقهم على أنه يتكلم بمشيئته وقدرته بعد أن كان الكلام ممتنعا عليه، واما قول ابن كلاب: ان الكلام قديم العين، لازم للذات، ولا يمكن الرب أن يتكلم بمشيئته وقدرته.

---

(١) الأصل (ص): مثبته.
(٢) الأصل (ص): السماليه.
(٣) أن تكون: ليست في الأصل (ص)، ولعلها ساقطة.

فصار فريق من هؤلاء الى ذلك القول المنسوب الى الهشامية والكرامية ، وصار فريق منهم الى أن القرآن قديم العين ؛ فأحدثوا قولا مركبا من قول المعتزلة والكلابية ؛ فقالوا : انه حروف وأصوات ، أو حروف بلا أصوات ؛ قديمة الأعيان ، قائمة بذات الرب تعالى ، لم تزل ولا تزال قائمة بذات الرب .

وأخذوا في الرد على من يقول : " انه مخلوق " طريق ابن كلاب والأشعرى ومن وافقهما ، وفي الرد على من يقول : ان القرآن العربي ليس هو كلام الله ، وحروف القرآن هي ليست كلام الله ؛ وهذا القرآن ليس هو كلام الله ؛ والكلام انما هو معنى واحد[1] قائم بذات الرب - طريق المعتزلة ومن وافقهم .

ولهذا [قالوا[2] :] ان الكلام هو الحروف ، أو الحروف والأصوات ، ولم يجعلوا المعاني داخلة في مسمى " الكلام " ؛ وهذا قول المعتزلة ، ليس هذا قول السلف والأئمة ، بل السلف والأئمة عندهم أن الكلام يتضمن الحروف والأصوات والمعاني . والمعتزلة عندهم لم تقم بذات الرب تعالى معان تكون مدلول الحروف . وأما هؤلاء / فعندهم يقوم به العلم والارادة وغير ذلك من الصفات .

ج ١ ٧١

والكلابية أثبتوا طلبا مخالفا للارادة ، وحكما نفسانيا مخالفا للعلم ، وجمهور العقلاء يعلمون أن هذا فاسد ، وهؤلاء قد يوافقون الكلابية فيما أثبتوه من هذا المعنى المخالف للعلم والارادة .

لكن يتناقضون ؛ فانهم [ان[3]] جعلوا ذلك مسمى الكلام ، بطل قولهم : " انه مجرد الحروف والأصوات " . وان قالوا : " انه مدلول الكلام " ، أثبتوا صفة من جنس العلم والارادة ، مخالفة للعلم والارادة ، وهم ينكرون اثبات هذا على الكلابية ، كما أنكره المعتزلة وسائر [العقلاء[4]] .

---

(١) الأصل (ص) : واحدا .
(٢) قالوا : ليست في الأصل (ص) ، ولعلها ساقطة .
(٣) ان : ليست في الأصل (ص) ، ولعلها ساقطة .
(٤) العقلاء : ترك مكان هذه الكلمة في الأصل (ص) بياضا ، ولعلها المرادة هنا .

ولهذا صاروا يأخذون مايذكره المعتزلة ،من فضائح ذلك القول ومعايب أهله فيذكرونه هم ، ويأخذون مايذكره الأشعرية ،من فضائح المعتزلة ومعايبهم فيذكرونها .

عود لبيان منزلة ابن كلاب والأشعري

حتى انهم يذكرون عن ابن كلاب والأشعري حكايات في ذمهم ؛ يعلم أنها باطلة من افتراء المعتزلة عليهم ، مثل نقلهم عن ابن كلاب رحمه الله أنه كان نصرانيا في الباطن ، وأنه أظهر الاسلام ليفسده على أهله ، وأنه بذلك أرضى أختا له نصرانية راهبة لما عيرته بالاسلام[1]. ومن نقلهم عن الأشعري رحمه الله تعالى أنه كان يبطن خلاف مايظهر ، وأنه مات على ظهر غلام بالأحساء[2].

الى غير ذلك ، مما يعلم العاقل أنه كذب عليهما ، وأن الرجلين قالا مايعتقدانه ظاهرا وباطنا ، وكانا متدينين بذلك ، وأن نسبة قولهما الى النصارى هو من افتراء الجهمية ؛ فانهم يقولون : من أثبت الصفات فقد قال بقول النصارى . وقد ذكر ذلك عنهم الامام أحمد في " رده على الجهمية " كما تقدم : " قالوا : اذا قلتم : ان الله لم يزل وقدرته ،لم يزل وعلمه ،لم يزل ونوره . فقد قلتم بقول النصارى[3] " .

---

(١) قال ابن النديم في كتاب " الفهرست " ،ص ٢٥٥- ٢٥٦ (ط. مصر) عن ابن كلاب : " وله مع عباد بن سليمان مناظرات، وكان يقول : ان كلام الله هو الله ،وكان عباد يقول :انه نصراني بهذا القول " . ثم ذكر ابن النديم قول أحد النصارى : " ان ابن كلاب أخذ عنه ،وقوله : ولو عاش لنصرنا المسلمين " .

(٢) لم أقف على تصريح بهذا الزعم ،لكن السبكي في طبقات الشافعية الكبرى ترجم لأبي الحسن محمد بن عبدالملك الكرجي الشافعي (٤٥٨- ٥٣٢) وأورد ٦ /١٤١- ١٤٦ أبياتا من قصيدة له ، وفيها قوله عن أبي الحسن الأشعري :

وكان كلاميا بالأحساء موته .·. بأسوأ موت ماته ذو السوائب

وعلق السبكي على ذلك بقوله : " وهذا أيضا كذب ، لم يبلغنا أنه مات الا كما مات غيره من الصالحين ،ولم يمت بالأحساء " ،ثم قال عن القصيدة ٦ /١٤٦ : " فهذا ما أردت حكايته منها ، ولو أمكن اعدامها من الوجود كان أولى ،والأغلب على الظن أنها ملفقة موضوعة ،وضع مافيها من الخرافات من لا يستحي ... " .

(٣) قال الامام أحمد في كتاب " الرد على الزنادقة والجهمية " ،ص ٩١ : " فقالت الجهمية ،لما وصفنا الله بهذه الصفات : ان زعمتم أن الله ونوره ، والله وقدرته ، والله وعظمته ،فقد قلتم بقول النصارى ،حين زعموا أن الله لم يزل ونوره ، ولم يزل وقدرته " .

وتقدم نقل ابن تيمية لهذا ، ص ٦٢ .

وابن كلاب كان مسلما باطنا وظاهرا ، رجلا فاضلا ، جليل القدر ، وقد رد على أهل البدع الكبار من الجهمية والمعتزلة والرافضة ردًا كثيرا ، أحسن فيه وأصاب ، وغلط في بعض ذلك .

وكذلك الأشعري بعده كان مسلما باطنا وظاهرا ، أظهر من الرد على أهل البدع وتناقضهم أكثر مما أظهر ابن كلاب ، وان كان ابن كلاب أعلم بالسنة وأتبع لها من الأشعري ؛ فالأشعري صنف في أبواب الرد على المعتزلة والجهمية والرافضة والفلاسفة أكثر منه ، وأظهر من فساد أقوال هؤلاء أكثر مما أظهر ابن كلاب .

ولهذا صار قول الطائفة منسوبا [اليه][1] ، وكان في الأصل انما هو قول ابن كلاب ، وكثير من الناس لا يعرفون ابن كلاب ، بل انما يعرفون الأشعري لشهرته ، وكثرة[2] رده على أهل البدع ، وكثير ممن ينتسب اليه من الفضلاء ، وأنه كان ظهور انتسابه / الى أحمد بن حنبل وغيره من أهل الحديث أعظم من ابن كلاب ، ولكن خفي عليه من فساد أصل الجهمية ما خفي على غيره ، مثل ابن كلاب وغيره ، فالتزم ذلك الأصل الفاسد ، وأراد أن يجمع بينه وبين المقالات الظاهرة[3] عن أهل السنة .

ظ ٧١

فهو وان كان في قوله خطأ وتناقض ، ففي قوله من الصواب الموافق لصريح المعقول وصحيح المنقول أكثر مما في قول هؤلاء الطوائف : كالجهمية والقدرية والفلاسفة ، ولهذا يلقب بامام السنة في البلاد والأماكن التي لا يعرف فيها الا قوله وقول هؤلاء ، فمن خرج عن قوله من الناظرين في العقليات المسماة " باصول الدين " خرج الى قول معتزلي أو فيلسوف ، وقوله أقرب الى السنة من قول هؤلاء ، فهو امام السنة بهذا الاعتبار ، وان [كان][4] في قوله من

---

(١) اليه : ليست في الأصل (ص) ، ولعلها ساقطة .
(٢) الأصل (ص) : وبشرة .
(٣) الأصل (ص) : المعلات ا طاهره . بدون نقاط .
(٤) كان : ليست في الأصل (ص) ، ولعل الصواب اثباتها .

المخالفة للسنة مايعرفه[1] غير هؤلاء الذين يظنون أن مراد السلف والأئمة بقولهم : القرآن غير مخلوق ، أنه قديم العين .

افتراق الكلابية والسالمية في معنى قولهم : " القرآن قديم العين "

وهؤلاء[2] وهؤلاء يفترقون في القديم ماهو ؟ على هذين القولين ، وبين الطائفتين منازعات ومخاصمات ، بل وفتن ، كفتنة بيت الفراء وبيت القشيرى التي كانت ببغداد[3] ؛ فان هؤلاء قولهم في القرآن قول السالمية ، وهؤلاء

---

(١) الأصل (ص) : مايعرف . ولعل الصواب ما أثبته .
(٢) الأصل (ص) : من هؤلاء ، ولعل الصواب ما أثبته .
(٣) هناك واقعتان ارتبطتا ببيت القشيرى :
الأولى : بنيسابور قاعدة خراسان ، وكانت سنة ٤٤٥ ، حينما أمر السلطان السلجوقي طغرلبك بلعن المبتدعة على المنابر ، وذكر فيهم الأشاعرة ، وقد ضج الأشاعرة من ذلك ، وصنف أبو القاسم عبدالكريم بن هوازن القشيرى رسالة مشهورة ، اسمها " شكاية أهل السنة بحكاية مانالهم من المحنة " .
انظر أحداث هذه المحنة ، وكيف ارتفعت بمجيء السلطان ألب أرسلان خلفا لعمه طغرل ، ونص رسالة القشيرى ، في طبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٣/ ٣٧٤- ٤٢٣ ، وانظر أيضا تبيين كذب المفترى ، ص ١٠٨- ١١٢ ، ٢٧١- ٢٧٥ ، البداية والنهاية ١٢/ ٦٤ .
والثانية : ببغداد ، فقد كان أبو نصر عبدالرحيم بن أبي القاسم عبدالكريم بن هوازن يقدم بغداد ، ويعظ فيها ناصرا المذهب الأشعرى ذاما الحنابلة ، وتعصب له جماعة عصبية زائدة أدت الى وقوع فتنة بينه وبين الحنابلة سنة ٤٦٩ ، وحبس بسببها شيخ الحنابلة الشريف أبو جعفر بن أبي موسى ، وأخرج ابن القشيرى من بغداد لاطفاء الفتنة .
انظر تبيين كذب المفترى ، ص ١٦٣ ، ٣٠٨- ٣١٧ ؛ طبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٧/ ١٦١- ١٦٢ ؛ المنتظم لابن الجوزى ٨/ ٣٠٥- ٣٠٧ ، ٣١٢- ٣١٣ ، ٩/ ٢٢٠- ٢٢١ ؛ البداية والنهاية ١٢/ ١١٥ ، ١١٧ ، ١٨٧ .
ويذكر المؤرخون حادثة وقعت بعد ذلك ، فقد ورد الى بغداد سنة ٤٧٥ رجل أشعرى يقال له : الشريف أبو القاسم البكرى ، قال ابن الجوزى في المنتظم ٩/ ٣-٤ : ان هذا البكرى فيه حدة وطيش ، وان نظام الملك بعثه الى بغداد انتصارا لأبي نصر القشيرى ، الذى كان نظام الملك قد أمره بالخروج منها فيما سبق .
وقال ابن الأثير في الكامل ١٠/ ١٢٤- ١٢٥ ان البكرى كان يعظ بالمدرسة النظامية ببغداد ويذكر الحنابلة ويعيبهم .
وذكر ابن الجوزى وابن الأثير أنه جرى ذات يوم بين بعض أصحابه وأصحاب أبي الحسين بن الفراء مشاجرة ، نهبت على اثرها دور بني الفراء ، وأخذت كتبهم ، ومنها كتاب الصفات لأبي يعلى ، وصاروا يقرأونه ويشنعون به .
وذكر الذهبي في العبر ٣/ ٢٨١- ٢٨٢ هذه الحادثة وسمى كتاب أبي يعلى " ابطال التأويل " وهما اسمان لكتاب واحد مازال مخطوطا ، وقد ذكر ابن تيمية في مجموع فتاوى شيخ الاسلام (ط. الرياض) ٦/ ٥٤ أن أبا يعلى صنف هذا الكتاب للرد على أبي بكر ابن فورك شيخ أبي القاسم القشيرى .
ولخص ابن تيمية حكمه على هذه الفتنة بقوله : " ان أكثر الحق فيها كان مع الفرائية مع نوع من الباطل ، وكان مع القشيرية فيها نوع من الحق مع كثير من الباطل " . / =

قولهم قول الكلابية ، وكل هؤلاء معظمون لأحمد بن حنبل ، منتسبون الى اعتقاده ، قائلون : ان الذى ننصره وندعوا اليه هو قوله .

وفي الحقيقة فقول أحمد وسائر أئمة أهل السنة لا قول هؤلاء ولا قول هؤلاء ، وانما ظنوا ذلك لموافقتهم أصول الجهمية ، فلما كان قولهم مركبا من أقوال أهل السنة ومن أصول الجهمية صار قولا مبتدعا ، مخالفا للشرع والعقل ، وهم يظنون أنه قول أهل السنة ، وأن من خالفه فهو مبتدع ، وقد يكفرون من خالفهم ، ولا يصلون خلفه ، ولا يسمعون منه الحديث ، ولا يسمعونه اياه ، ولا يستفتونه .

وهم في الحقيقة من جنسه : قولهم مبتدع كما أن قوله[1] مبتدع ، ومعهم حق وباطل ومعه حق وباطل ، وقد يكون الحق الذى مع هؤلاء أكثر ، وقد يكون الحق الذى مع هذا أكثر ؛ فان وزن ما مع كل شخص من الحق والباطل [بالميزان الشرعي عرف مافيه من الابتداع[2]] ، ومنه مالا يعرفه الا الله تعالى ؛ فان الشخص الواحد تختلف أحواله ، وانما نتكلم في جنس القول الذى عرفناه ، وفي لوازمه ، وما تولد عنه : كلاما كليا عاما ، لا نخص به شخصا بعينه ، لنبين أن الأصل الذى منه تفرقت الأمة ، وصاروا شيعا في هذه المسائل هو من ذلك الأصل ؛ الذى ابتدعته الجهمية وظنت أنه أصل .

وصار هؤلاء الذين قالوا بقول السالمية المركب من قول المعتزلة والكلابية، القائلون بأن الصوت المعين الذى تكلم الله تعالى به قديم - متنازعين في

= وأشار ابن تيمية قبل ذلك ٦ / ٥٣ ، وكذا ابن عساكر في تبيين كذب المفترى ، ص ١٦٣ الى أن الحنابلة والأشاعرة كان يعتضد بعضهم ببعض حتى وقعت هذه الفتنة .
ويضيف ابن تيمية ٦ / ٥٤ قوله : " ولا ريب أن الأشعرية الخراسانيين كانوا قد انحرفوا الى التعطيل ، وكثير من الحنبلية زادوا في الاثبات " .
وانظر أيضا كتاب التسعينية لابن تيمية ، ص ٢٤١ ومابعدها .

(١) الأصل (ص) قولهم ، ولعل الصواب ما أثبته .

(٢) في الأصل (ص) بعد كلمة " والباطل " بياض بقدر سبع كلمات ولعل ما أثبت يفي بالمراد .

ج ٧٢

الصوت المسموع من القرا[1] على ثلاثة /أقوال : منهم من يقول : [" ان الصوت المسموع هو الصوت القديم "، ومنهم من يقول[2] :] " بل الصوت القديم غيره، وذاك لا يسمع[3] "، وهؤلاء أقل خطأ، ومنهم من يقول : " بل الصوت يشتمل على صوتين[4] : محدث وقديم ".

والذين قالوا بقول الكلابية متنازعون في القرآن العربي : كلام من هو؟ ومن الذى [تكلم به ؟[5]] ؛ فمنهم من يقول : هو مخلوق خلقه الله تعالى في غيره ؛ ليدل به على ذلك المعنى القديم . ومنهم من يقول : بل هو احداث جبريل أنشأه وعبر به عما في نفس الله تعالى . ومن متأخريهم من قال : بل هو احداث محمد صلى الله عليه وسلم عبر به عما ألهمه الله تعالى من المعنى .

وصارت الطائفة القائلة بقدم القرآن ، بل بقدم عين الكلام ، متفقة على أن من كلمه الله تعالى ، من الملائكة والأنبياء وغيرهم ، فلم يكلمه بكلام تكلم به حين كلمه ، بل أسمعه حينئذ ماهو موجودا[6] قديما أزليا ، لم يزل ولا يزال .

فقيل للكلابية : المعنى لا يسمع ، وانما يسمع الصوت .

فقال الأشعرى : بل يسمع كل موجود ، بل يشم ويذاق ، فالحواس الخمس يجوز أن تتعلق بكل موجود . وقال بقوله طائفة من أصحاب مالك والشافعي وأحمد : كالقاضي أبي يعلى وأبي المعالي الجويني وغيرهما .

وقال القاضي أبو بكر : كلام الله لا يسمع .

---

(١) الأصل (ص) : العراه ، بدون نقاط.
(٢) مابين القوسين المعكوفين ليس في الأصل (ص) ، والظاهر أنه ساقط .
(٣) الأصل (ص) : غيره ولا يسمع ، وعلقت كلمة " ذاك " فوق السطر.
(٤) الأصل (ص) : صوربس . بدون نقاط.
(٥) عبارة " تكلم به " ليست في الأصل (ص) ومكانها بياض .
(٦) موجودا : كذا في الأصل (ص) ، والظاهر أنه لا وجه للنصب ، والصواب : موجود .

بطلان احتجاج من يقول: ان القرآن إحداث محمد أو جبريل

واحتج طائفة من الكلابية كأبي محمد الدمشقي[1] وغيره على أن القرآن احداث محمد صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى: (انه لقول رسول كريم)[2]. قال: فانما أضافه اليه لأنه هو الذى أحدثه وألفه.

وهذا باطل؛ فان الله تعالى أضافه الى الرسول البشرى تارة، والى الرسول الملكي أخرى: الى جبريل ومحمد صلى الله عليهما وسلم تسليما، وكلاهما رسول مصطفى؛ كما قال تعالى: (الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس)[3].

قال تعالى: (انه لقول رسول كريم. ذى قوة عند ذى العرش مكين. مطاع ثم أمين)[4]. فهذا جبريل، وقال تعالى: (انه لقول رسول كريم. وماهو بقول شاعر قليلا ماتؤمنون. ولا بقول كاهن قليلا ماتذكرون. تنزيل من رب العالمين)[5]. فهذا محمد صلى الله عليه وسلم، فلو كان مضافا اليه لأنه أحدثه لتناقض الخبران؛ فانه ان كان أحدثه هذا لم يحدثه الآخر.

وأيضا فانه سبحانه قال: (انه لقول رسول كريم). ولم يقل: نبي ولا ملك. فأضافه اليه باسم "الرسول" ليبين أنه مبلغ له عن مرسله، لامحدث له من تلقاء نفسه، فعلم أنه أضافه الى الرسول لأنه بلغه عن الله، لا أنه أحدثه وأنشأه.

وأيضا فالمضاف هو القرآن، ليس هو مجرد لفظه، فلو كان المراد ماذكرتم لزم أن يكون كله كلام محمد أو جبريل، لا كلام الله تعالى، وهذا قول الوحيد، الذى قال الله تعالى فيه: (ذرني ومن خلقت وحيدا. وجعلت له مالا ممدودا. وبنين شهودا. / ومهدت له تمهيدا. ثم يطمع أن أزيد. كلا انه كان لآياتنا عنيدا. سأرهقه صعودا. انه فكر وقدر. فقتل كيف قدر. ثم قتل كيف قدر. ثم نظر. ثم عبس وبسر. ثم أدبر واستكبر. فقال ان هذا الا سحر يؤثر. ان هذا الا قول البشر)[6].

ظ ٧٢

---

(١) لم أعرف من المقصود.
(٢) سورة الحاقة: ٤٠.
(٣) سورة الحج: ٧٥.
(٤) سورة التكوير: ١٩ - ٢١.
(٥) سورة الحاقة: ٤٠ - ٤٣.
(٦) سورة المدثر: ١١ - ٢٥.

فالله تعالى قد كفر من جعله قولا للبشر، وأخبر سبحانه أنه قول رسول من البشر ، كما أخبر أنه قول رسول من الملائكة ؛ فتبين أنه قول للرسول بلغه عن المرسل له ، فله فيه البلاغ ، لم يحدث هو شيئا منه، بل بلغه كما أنزل عليه . قال تعالى : (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك)[1].

وقال تعالى : (ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم)[2].

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : (نضر الله امرأ سمع منا حديثا فبلغه كما سمعه[3]، فرب مبلغ أوعى من سامع) . وفي رواية (فرب حامل فقه غير فقيه ، ورب حامل فقه الى من هو أفقه منه)[4]. ومن بلغ عن الرسول كلاما كقوله : (انما الأعمال بالنيات ، وانما لكل امرئ مانوى)[5]. فذلك الكلام كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وان كان المبلغ بلغه بصوت نفسه وحركته .

---

(١) سورة المائدة : ٦٧ .
(٢) سورة الجن : ٢٨ .
(٣) الأصل (ص) : كما سمع .
(٤) ورد الحديث بالرواية الأولى عن عبدالله بن مسعود ،في سنن الترمذى (تحفة الأحوذى ٧/١٧ ٤ - ٤١٨) العلم ، باب في الحث على تبليغ السماع ؛ وسنن ابن ماجة ١/ ٨٥ رقم٢٣٢ المقدمة ، باب من بلغ علما ؛ ومسند أحمد (ط. الحلبي) ١/ ٤٣٧ . وقال الترمذى : " حديث حسن صحيح " .
وبالرواية الثانية عن زيد بن ثابت، في سنن أبي داود (عون المعبود ١٠/ ٩٤- ٩٥) كتاب العلم ،باب فضل نشر العلم؛ وسنن الترمذى ٧/ ٤١٥- ٤١٦ ، وقال عنه : " حديث حسن" ؛ وسنن ابن ماجة ١/ ٨٤ رقم ٢٣٠ ؛ ومسند أحمد (ط. الحلبي) ٥/ ١٨٣ .
وعن أنس بن مالك، في سنن ابن ماجة ١/ ٨٦ رقم ٢٣٦ ، ومسند أحمد (ط. الحلبي) ٣/ ٢٢٥ ؛
وعن جبير بن مطعم، في سنن ابن ماجة ١/ ٨٥ رقم ٢٣١ .
(٥) هذا بعض من الحديث المتفق على صحته وعظمه رواه عمر بن الخطاب ،وأخرجه البخارى (فتح البارى ١/ ٩ رقم ١) كتاب بدء الوحي ، باب كيف كان بدء الوحي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتكرر بعد هذا في ستة مواضع ؛ ومسلم ٣/ ١٥١٥- ١٥١٦ رقم ١٩٠٧ كتاب الامارة ، باب قوله صلى الله عليه وسلم : (انما الأعمال بالنية) ؛ وأبو داود (عون المعبود ٦/ ٢٨٤ - ٢٨٥)، كتاب الطلاق ، باب في ماعني به الطلاق والنيات ؛ والنسائي ١/ ٥٨ - ٦٠ كتاب الطهارة ،باب النية في الوضوء ؛ سنن ابن ماجة ٢/ ١٤١٣ كتاب الزهد ، باب النية .

فكلام الله تعالى أولى أن يكون كلام الله ، وان بلغه المبلغون بحركاتهم وأصواتهم ، كما قال تعالى : (وان أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله)[١]. وقال النبي صلى الله عليه وسلم : (زينوا القرآن بأصواتكم)[٢]. فأضاف النبي صلى الله عليه وسلم الصوت الى العبد ، وان كان القرآن كلام الله ، لا كلام العبد . كما قال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي)[٣]. وقال تعالى : (ان الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله)[٤].

فالقرآن العزيز الذى يقرأه المسلمون كلام الله ، ليس لملك ولا لبشر فيه شيء ، وان كان القراء من الملائكة والبشر انما يقرأونه بحركاتهم وأصواتهم .

والتلاوة ان أريد بها نفس أفعال العباد فليست هي الكلام المتلو ، وان أريد بها نفس القرآن فالقرآن هو كلام الله الذى يتلى . وقد بسطنا الكلام على هذا الموضع ومافيه من النزاع ، وبينا أن بعضه لفظي وبعضه معنوى في غير هذا الموضع .

تلخيص لأقوال الفرق في كلام الله

والمقصود هنا أن منشأ النزاع والضلال في هذا الباب هو قول الجهمية والقدرية ، الذين حقيقة قولهم أن الرب تعالى لم يكن قادرا على أن يفعل ويتكلم بمشيئته وقدرته ، بل رجح أحد المقدورين[٥] المتماثلين على الآخر بلا مرجح .

ثم قالت القدرية : وكذلك العبد يرجح أحد مقدوريه على الآخر بلا مرجح . وقالت الجهمية : بل العبد لا يحدث شيئا أصلا ، ولا يفعل شيئا ، لامتناع حوادث لا أول لها .

---

(١) سورة التوبة : ٦ .
(٢) تقدم تخريج هذا الحديث ، ص١٩٥، ت١ .
(٣) سورة الحجرات : ٢ .
(٤) سورة الحجرات : ٣ .
(٥) الأصل (ص) : المعدورىس . بلا نقاط .

ج ٧٣

فلما قالوا هذا صارت طائفة تقول : كلامه حينئذ / لا يكون الا مخلوقا ؛ لأنه ان لم يكن مخلوقا لزم أن يكون قديما ، أو قائما به وهو حادث ، والرب تعالى لا تحله الحوادث . وهذا قول الجهمية والمعتزلة ومن وافقهم .

وطائفة تقول : بل حادث قائم به ، والرب يمتنع أن يتكلم في الأزل بمشيئته وقدرته . وهذا قول الهشامية والكرامية وأبي معاذ التومني [١] وزهير الأثري [٢] وطوائف كثيرين [٣] .

وطائفة تقول : بل هو قديم العين . وهم الكلابية ومن وافقهم ، ثم قيل : القديم هو المعنى . كقول ابن كلاب نفسه ، وقيل : بل هو الحروف ، أو الحروف والأصوات . كقول السالمية وغيرهم .

وأما قول السلف والأئمة ؛ فقالوا : ان الله تعالى لم يزل متكلما اذا شاء ، وكيف يشاء ، وكما يشاء . كما قد نص على ذلك أحمد بن حنبل وعبدالله بن المبارك وغيرهما من أهل السنة والحديث ، وهو الذى حكاه أبو بكر عبدالعزيز وأبو عبدالله بن حامد عن أصحاب أحمد [٤] .

لكن أبو الحسن التميمي [٥] والقاضي أبو يعلى وغيرهما وافقوا الكلابية

---

(١) قال السمعاني في كتاب " الأنساب " ٣/١١١ " التومني ، هذه النسبة الى تومن ، وظني أنها من قرى مصر والله أعلم ، منها أبو معاذ التومني ، وهو رأس الطائفة المعروفة بالتومنية ، وهم فرقة من المرجئة ... " .
وقد عد الأشعري في " مقالات الاسلاميين " (ط. هلموت ريتر) ، ص ١٣٩-١٤٠ الفرقة العاشرة من المرجئة أصحاب أبي معاذ التومني ، ثم ذكر بعد ذلك آراء أبي معاذ في عدد من المسائل ، انظر الصفحات : ١٥١ ، ٣٠٠ ، ٣٦٦ ، ٥٤١ ، ٥٨٣ ، ٥٨٧ ، ٥٩٣ .

(٢) لم أقف على ترجمة زهير الأثرى ، لكن ذكر الأشعرى أقواله في كتاب " مقالات الاسلاميين " (ط. هلموت ريتر) الصفحات : ٢١٥ ، ٢٩٩ ، ٣٦٦ ، ٤٤٣ ، ٥٤١ ، ٥٨٣ ، ٥٨٧ ، ٥٩٣ .

(٣) الأصل (ص) : كثيرون .

(٤) تقدمت ترجمة أبي بكر عبدالعزيز ، ص ١٧٨ ت ٣ ، وترجمة أبي عبدالله بن حامد ، ص ٢٠٠ ت ٤ ، وتقدمت حكايتهما لمذهب أصحاب أحمد في هذه المسألة ، ص ٢٠٠ - ٢٠١ .

(٥) هو أبو الحسن عبدالعزيز بن الحارث بن أسد بن الليث التميمي ، صحب أبا القاسم الخرقي وأبا بكر عبدالعزيز ، وصنف في الأصول والفروع والفرائض ، مولده سنة ٣١٧ وموته سنة ٣٧١ . انظر : طبقات الحنابلة ٢/١٣٩ ؛ مناقب الامام أحمد لابن الجوزى ، ص ٦٢٣ ؛ البداية والنهاية ١١/٢٩٨ ؛ الأعلام ٤/١٦ .

على أصلهم ، كما وافقهم على ذلك أبو المعالي الجويني وغيره من أصحاب الشافعي ، وأبو الوليد الباجي[1] وغيره من أصحاب مالك .

فصل

طريقة القرآن في اثبات الصانع

وأما طريقة القرآن في اثبات الصانع تعالى ، واختلاف الناس في الاقرار بالصانع : هل هو فطرى أو نظرى ؟ وبيان قول من يقول : انه فطرى ، وان كل مولود يولد على الفطرة ، وانه قد يصير نظريا لبعض الناس ؛ لما يعرض له من الشبه ؛ فيستدل عليه بالأدلة الكثيرة ـ فطريقة القرآن ذكر الآيات وقياس الأولى ، بخلاف طريقة أهل الكلام والفلسفة ؛ الذين يستعملون فيه قياس الشمول الذى تتساوى أفراده ، أو قياس التمثيل .

والفرق بين الآيات والمقاييس أن القياس العقلي الذى يسميه أهل المنطق " البرهان " انما يدل على مطلوب كلي ، فانه لابد من قضية كلية موجبة ؛ اذ لانتاج عن السالبتين ولا عن جزئيين .

وقياس التمثيل حقيقته هي حقيقة قياس الشمول ؛ فان مايسمى " الحد الأوسط " في هذا يسمى في ذاك " الجامع المشترك بين الأصل والفرع " .

وقياس الشمول انما يدل على مطلوب كلي ، لا على شيء بعينه ؛ فانه لابد من مقدمة كلية ، فلا يفيد مايختص به الموصوف ، بخلاف الآيات فان الآية تستلزم عين ماهي آية عليه ، فانها دليل على عين المطلوب .

وجميع المخلوقات آيات للخالق تعالى ؛ فانها مستلزمة لذاته المعينة ؛ فانه يمتنع وجود شيء من المخلوقات الا بوجود نفسه المقدسة المعينة ؛ فصارت لازمة لكل موجود ، وكل ملزوم فانه يستدل به على لازمه ، فان الدليل هو مايكون مستلزما لغيره ، فكل ماكان مستلزما لغيره أمكن الاستدلال به عليه ، وكل مخلوق فانه [يستلزم][2] الخالق : يمتنع وجوده بدون / وجود الخالق ؛ فيمكن الاستدلال به على عين الخالق .

ظ ٧٣

---

(١) تقدمت ترجمته ، ص ١٧٥ ت ٤ .

(٢) يستلزم : مكانها في الأصل (ص) بياض، ولعلها المطلوبة هنا .

واذا قلنا : هو محدث ، وكل محدث فله محدث ؛ أو هذا ممكن ، وكل ممكن فلا بد له من واجب . فهذا صحيح ، لكنه يدل[1] على محدث مطلق ، وواجب مطلق ، لا يمنع تصوره من وقوع الشركة فيه ، الا أن تعلم عينه أو أنه واحد بدليل منفصل . وأما هذا القياس فانما يدل على وصف كلي مشترك .

ثم اذا علمنا بالدليل أن الفاعل القديم لا يكون الا واحدا ، والفاعل الواجب بنفسه لا يكون الا واحدا - لم يكن في ذلك مايدل على عينه ، بل انما يدل على واحد مطلق عندنا ، وان كان معينا في نفس الأمر .

وآيات الله تعالى دالة على نفسه سبحانه وتعالى ، ومن لم تدله[2] على ذلك فلتصوره في استدلاله ، لا لتصور دلالتها ، بخلاف القياس فانه ليس فيه مايدل على معين ألبتة .

ولهذا كان المستعمل في الكتاب والسنة وكلام السلف في حقه تعالى هو " القياس الأولى " ؛ مثل أن يعلم أن ماثبت لغيره من كمال مطلق لا نقص فيه ، فهو أحق بأن يثبت له من ذلك الكمال ماهو أحق به مما سواه ؛ فاذا كان الحياة والعلم والقدرة كمالا لا نقص فيه ، وقد اتصف به المخلوق ، فالخالق تعالى أحق أن يتصف بالحياة والعلم والقدرة ، ومايتنزه عنه غيره من العيوب فهو سبحانه أحق بتنزيهه عنه .

قال تعالى : (واذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم . يتوارى من القوم من سوء مابشر به أيمسكه على هون أم يدسه في التراب ألا ساء مايحكمون . للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء ولله المثل الأعلى) . الى قوله تعالى : (ويجعلون لله مايكرهون وتصف ألسنتهم الكذب أن لهم الحسنى لا جرم أن لهم النار وأنهم مفرطون)[3] .

---

(١) في الأصل (ص) رسمت الكلمة كذا : يدلـ : بلا نقاط . ولعل الصواب ما أثبتة .
(٢) الأصل (ص) : يدله .
(٣) سورة النحل : ٥٨ - ٦٠ ، ٦٢ .

وقال تعالى : (ضرب لكم مثلا من أنفسكم هل لكم مما ملكت أيمانكم من شركاء فيما رزقناكم فأنتم فيه سواء تخافونهم كخيفتكم أنفسكم) ، الآية[1].

وقال تعالى : (وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحي العظام وهي رميم . قل يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم)[2]. وقال تعالى : (ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير)[3]. ومثل هذا كثير ، والمقصود هنا التنبيه ، كما يليق بهذا الجواب[4].

فصل

دليل الأصبهاني على " علم الله "

وأما قوله : " والدليل على علمه ايجاده الأشياء ؛ لاستحالة ايجاده الأشياء[5] مع الجهل ".

شرح ابن تيمية

فهذا الدليل مشهور عند نظار المسلمين أوليهم وآخريهم[6]. والقرآن قد دل عليه ؛ كما في قوله [تعالى][7] : (ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير)[8]. والمتفلسفة أيضا سلكوه .

وبيانه من وجوه :

أحدها - أن ايجاده الأشياء[9] هو بارادته - كما سيأتي - والارادة تستلزم تصور المراد [قطعا ، وتصور المراد][10] هو العلم ، فكان[11] / الايجاد مستلزما للارادة ، والارادة مستلزمة[12] للعلم ، فالايجاد مستلزم[12] للعلم .

ج ٧٤

---

(١) سورة الروم : ٢٨ .
(٢) سورة يس : ٧٨-٧٩ .
(٣) سورة الملك : ١٤ .
(٤) هنا ينتهي ما انفردت به (ص) ، والذى بدأ في صفحة ٢٢٨ ، وتنضم اليها (خ ،س) وقد انقطعتا في صفحة ٨٨ ، و (ك) وقد انقطعت في صفحة ٢٣٨ .
(٥) كذا في (ص) ، وفي (خ ،س ،ك) : للأشياء .
(٦) كذا في (ص) ، في (خ ،س ،ك) : أولهم وآخرهم .
(٧) تعالى : زيادة من (س ،ك) .
(٨) سورة الملك : ١٤ .
(٩) كذا في (ص) ، وفي (خ ،س ،ك) : للاشياء .
(١٠) مابين المعكوفين سقط من (ص) .
(١١) س : وكان .
(١٢) ص : مستلزما . (في الموضعين) .

الثاني - أن المخلوقات فيها من الاحكام والاتقان مايستلزم علم الفاعل بها[1]؛ لأن الفعل المحكم المتقن يمتنع صدوره عن غير عالم.

وبهذين الطريقين يتقرر ماذكره.

ولهم طرق أخرى[2]؛ منها أن من المخلوقات ماهو عالم، والعلم صفة كمال، ويمتنع أن يكون[3] [4]المخلوق أكمل من الخالق؛ اذ كل كمال فيه فهو منه؛ فيجب أن يكون[4] الخالق عالما.

وهذا له طريقان:

أحدهما - أن يقال: [نحن][5] نعلم بالضرورة أن الخالق أكمل من المخلوق، وأن الواجب أكمل من الممكن، ونعلم بالضرورة[6] أنا اذا فرضنا شيئين: أحدهما عالم، والآخر غير عالم؛ كان العالم أكمل، فلو لم يكن الواجب عالما لزم أن يكون الممكن أكمل منه[7]، وهو ممتنع.

الثاني - أن يقال: كل علم في الممكنات - التي هي المخلوقات - فهو منه[8]، ومن الممتنع أن يكون فاعل الكمال ومبدعه عاريا منه، بل هو أحق به[9]، والله سبحانه له[10] المثل الأعلى؛ لا يستوى هو والمخلوق في قياس شمول، ولا قياس تمثيل[11]، بل كل ماثبت[12] للمخلوق من كمال[13] فالخالق تعالى أحق به[14]، وكل نقص تنزه عنه[15] مخلوق ما[16]، فتنزيه الخالق عنه أولى.

---

(١) بها: كذا في (ص)، وفي (خ، س، ك): لها.
(٢) أخرى: سقطت من (ك).
(٣) أن يكون: كذا في (ص)، وفي (خ، س، ك): أن لا يكون.
(٤-٤) مابينهما في (ص) فقط.
(٥) نحن: سقطت من (ص).
(٦) بالضرورة: كذا في (ص)، وفي (خ، س، ك): ضرورة.
(٧) س، ك: كان العالم أكمل منه، فاذا لم يكن الخالق سبحانه عالما يلزم أن يكون غير عالم، أي جاهلا.
(٨) ك: منهم.
(٩) به: سقطت من (س، ك).
(١٠) خ، س، ك: وله.
(١١) خ، س، ك: .. والمخلوق لا في قياس تمثيل ولا قياس شمول.
(١٢) خ، س، ك: ماأثبت.
(١٣) من كمال: سقطت من (س، ك).
(١٤) خ، س، ك: فالخالق به أحق.
(١٥) ص: عن.
(١٦) ما: سقطت من (ك).

فصل

دليل الأصفهاني على "قدرة الله"

وأما قوله : " والدليل على قدرته ايجاده الأشياء ، وهي[١] اما بالذات وهو محال ، والا لكان العالم وكل [واحد من][٢] مخلوقاته قديما وهو باطل ، فتعين أن يكون فاعلا بالاختيار ، وهو المطلوب ".

شرح ابن تيمية

فقد[٣] يقال : هذا انما أثبت به كونه فاعلا[٤] بالاختيار [وان كان لم يقرر مقدمات دليله . وفعله بالاختيار][٥] يثبت[٦] الارادة ، لا يثبت[٧] القدرة ، وهو قد أثبت الارادة فيما بعد ، فظاهر [هذا] أنه كرر[٨] دليل الارادة ، ولم يذكر على القدرة دليلا .

لكن تقرير ذلك أن يقال : انه اما أن يكون المبدع للأشياء مجرد ذات عرية[٩] عن الصفات ، مستلزمة وجود[١٠] المفعول ، كما يقوله من يقوله من المتفلسفة القائلين[١١] بقدم الأفلاك [١٢]وصدورها عن ذات مجردة[١٢]. واما أن يكون ذاتا موصوفة بصفات[١٣] ، لا يجب معها وجود المخلوقات ، كما عليه أهل الملل .

والأول باطل[*] ؛ لأنه يستلزم أن لا يحدث في العالم شيء ، لأن العلة التامة القديمة يجب أن تستلزم معلولها ، فلا يتأخر شيء من معلولها[١٤]

---

(١) وهي كذا في (ك) وفي (ص ،خ ،س) : وهو .
(٢) عبارة " واحد من " سقطت من (ص) .
(٣) خ ،س : وقد .
(٤) خ ،س ،ك : انما أثبت به أنه فاعل .
(٥) مابين المعكوفين سقط من (ص) .
(٦) ص : ثبت .
(٧) ك : ولا يثبت .
(٨) ص : فظاهر أنه ذكر .
(٩) ك : عارية .
(١٠) كذا في (ص) ؛ وفي (خ) : يستلزم وجود ؛ وفي (س ،ك) : يستلزم وجود .
(١١) كما يقوله من . . الخ : كذا في (ص) ، وفي (خ ،س ،ك) : كما يقوله المتفلسفة القائلون .
(١٢-١٢) مابينهما في (ص) فقط .
(١٣) بصفات : كذا في (ص) ، وفي (خ) : بالصفات بصفة . وفي (س) : بصفة . وفي (ك) بالصفات .
(١٤) الأصل (ص) : معلولها لاسها ، بدون نقاط ، ولعل الكلمة الأخيرة زائدة .

عن الأزل ، وهو خلاف الحس والمشاهد ، وهذا الوجه يبطل قولهم بالموجب بالذات وتقدم شيء بعينه من أجزاء العالم ، وسواء فسروا الموجب بذات مجردة مستلزمة للموجب ، أو بذات موصوفة مستلزمة للموجب ، فان القول بكون المبدع ملزوما لموجبه ومقتضاه ، مع تأخر بعض ذلك عن الأزل - جمع بين النقيضين (*) .

واذا أردت التقسيم الحاصر [1] قلت : الفاعل اما ذات مجردة ، واما الذات بصفات [2] ، فان كان الأولى فمعلوم أن العلة التامة [3] تستلزم وجود المعلول ، فاذا كان مجرد الذات / هو الموجب [4] فمجرد الذات علة تامة ، فيلزم وجود المعلول جميعه ، فيلزم [5] قدم جميع الحوادث ، وهو خلاف المشاهدة .

ظ ٧٤

وان كان الثاني فالصفة التي يصلح بها الفعل هي القدرة . أو يقال : فاذا لم يكن موجبا بذاته [6] ، بل بصفة ، تعين أن يكون مختارا ، فانه اما موجب بالذات ، واما فاعل بالاختيار ، والمختار انما يفعل بالقدرة ، اذ القادر هو الذى ان شاء فعل وان شاء لم يفعل .

فأما من يلزمه [7] المفعول بدون ارادته فهذا ليس بقادر ، بل ملزوم بمنزلة الذى تلزمه [8] الحركات الطبيعية ، التي [9] لا قدرة له على فعلها ولا تركها .

وحقيقة الأمر [10] أن العلم بكون الفاعل قادرا علم ضرورى ، حتى لو فرض

(*-*) مابينهما : " والأول باطل . . . بين النقيضين " انفردت به (ص) .

(١) ص : الحاضر .

(٢) ض : الفاعل اما ذاتا [كذا] . . . الخ ، وفي (خ ، س ، ك) : الفاعل اما مجرد الذات ، واما الذات بصفة .

(٣) ك : المتامة .

(٤) ك : هو الواجب .

(٥) س ، ك : ويلزم .

(٦) ك : لذاته .

(٧) ص : يستلزمه .

(٨) ص : تستلزمه .

(٩) ص : الذى .

(١٠) من قوله هنا " وحقيقة الأمر " الى قوله في صفحة ٣٩٤ " . . وقال تعالى : (أم حسب . . . . ساء مايحكمون) . " انفردت به (ص) .

أنه يفعل بالارادة ،لم يكن بد أن يكون له قوة على الفعل ، ولهذا لما كانت الحوادث تصدر تارة بسبب الأحياء القادرين كالملائكة والجن والانس وسائر الحيوان، وتارة بسبب الجمادات : كالنار والهواء والماء - كانت هذه المتحركات مختصة بقوى ؛ بها تمتاز عما لا يصدر عنه مثل تلك الحركة .

الفرق بين القدرة والقوة

فصفة الحي تسمى " قدرة "، واذا كانت أكمل من غيرها سميت " قوة "؛ قال تعالى : (وقالوا من أشد منا قوة أو لم يروا أن الله الذى خلقهم هو أشد منهم قوة)[١]، وقال تعالى : (أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أشد منهم قوة وأثاروا الأرض وعمروها أكثر مما عمروها)[٢]، وقد ذكر قوله : (أشد منهم قوة) في غير موضع .

وقال تعالى : (علمه شديد القوى . ذو مرة فاستوى)[٣]، وقال تعالى : (انه لقول رسول كريم . ذى قوة عند ذى العرش مكين)[٤]، وقال تعالى : (الله الذى خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة)[٥]، وقال تعالى : (ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين)[٦] .

وفي صحيح البخارى وغيره عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يعلم أصحابه الاستخارة في الأمور كلها ، كما يعلمهم السورة من القرآن؛ يقول : (اذا هم أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة ، ثم ليقل : اللهم اني أستخيرك بعلمك ، واستقدرك بقدرتك ، وأسألك من فضلك العظيم، فانك تقدر ولا أقدر،وتعلم ولا أعلم ، وأنت علام الغيوب ، [اللهم][٧] ان كنت تعلم أن هذا الأمر - يسميه باسمه - خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمرى

---

(١) سورة فصلت : ١٥ .
(٢) سورة الروم : ٩ .
(٣) سورة النجم : ٥، ٦ .
(٤) سورة التكوير: ١٩، ٢٠ .
(٥) سورة الروم : ٥٤ .
(٦) سورة الذاريات : ٥٨ .
(٧) اللهم : سقطت من الأصل (ص) .

فاقدره لي ،ويسره لي ، ثم بارك لي فيه . وان كنت تعلم أن هذا الأمر شر لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمرى فاصرفه عني ، واصرفني عنه ، واقدر لي الخير حيث ماكنت ، ورضني به) . وقد شك بعض الرواة هل قال : (دينى ومعاشي وعاقبة أمرى) أو قال : (عاجل أمرى وآجله) . وجزم [بعضهم](١) باللفظ الأول(٢) .

ج ٧٥ والذى دل عليه الكتاب والسنة وكان عليه سلف الأمة / وأئمتها أن الله يخلق الأشياء بالأسباب ، فالقوى التي جعلها في الحيوان والجماد هي من الأسباب التي بها يحدث الحوادث .

وقد بسط الكلام على هذا في غير هذا الموضع ، وبين أن مذهب السلف والأئمة أن الله خالق كل شيء بمشيئته وقدرته ، وأنه ماشاء كان ، ومالم يشأ لم يكن ، فقدرته ومشيئته تستلزم وجود المقدور .

لفظ "الاختيار" ولفظ " الاختيار " في القرآن والسنة وكلام السلف يتضمن تفضيل المختار على غيره ، كقوله تعالى : (ولقد نجينا بني اسرائيل من العذاب المهين . من فرعون انه كان عاليا من المسرفين . ولقد اخترناهم على علم على العالمين)(٣) . وقال تعالى : (وربك يخلق مايشاء ويختار) ، ثم قال : (ماكان لهم الخيرة)(٤) .

---

(١) بعضهم : ليست في الأصل (ص) ،ولعلها ساقطة .

(٢) الحديث عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها ،كما يعلمنا السورة من القرآن ،يقول : (اذا هم . . .) وفي آخره واقدر لي الخير حيث كان ، ثم رضني به) .
أخرجه البخارى في صحيحه (فتح البارى ٣ / ٤٨ رقم ١١٦٢) كتاب التهجد ،باب ماجاء في التطوع مثنى مثنى ،وكرر برقم ٦٣٨٢ ، ٧٣٩٠ ؛ وأبو داود في سننه (عون المعبود ٤ / ٣٩٦-٣٩٩) الوتر ،باب الاستخارة ، والترمذى في سننه (تحفة الأحوذى ٢ / ٥٩١ - ٥٩٤)الوتر باب ماجاء في صلاة الاستخارة ؛ وابن ماجة في سننه ١ / ٤٤٠ رقم ١٣٨٣ كتاب اقامة الصلاة والسنة فيها ، باب ماجاء في صلاة الاستخارة ؛ وأحمد في مسنده (ط. الحلبي) ٣ / ٣٤٤ .

(٣) سورة الدخان : ٣٠ - ٣٢ .

(٤) سورة القصص : ٦٨ .

فذكر الاختيار بعد المشيئة . وقال تعالى : (واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا)[1]. أى من قومه .

وقد صار لفظ " الاختيار " يعبر به عن الارادة ؛ بناء على أن العالم لا يريد الا ماهو خير من غيره ، أو بناء على أن الحي لا يريد الا مايراه خيرا من غيره ، وان كان قد يغلط في اعتقاده أنه خير من غيره . وهذا يطابق قول من قال : ان القادر المختار لا يرجح أحد مقدوريه على الآخر الا بمرجح.

من طرق السلف في اثبات القدرة والقوة

والمقصود هنا أن السلف والأئمة وجمهور الخلق الذين يثبتون في المخلوقات قوى وقدرا ، بها تكون الحوادث التي تصدر عنها ،فيكون اثبات القوة لله تعالى ، وقدرته على الفعل من أبين الأشياء عندهم ،ويكون العلم بذلك من أظهر المعارف وأجلاها .

فانه قد استقر في فطرهم أن الفاعل لا يكون الا قادرا ، وأن القدرة صفة كمال ، فاذا كان المخلوق قويا قادرا على مايفعله ، فالخالق تعالى أولى أن يكون قادرا قويا على مايفعله .

ومن المستقر في الفطر أنه اذا فرض الفاعل غير قادر على الفعل امتنع كونه فاعلا ؛ ولهذا كان من نفى أن يكون للعبد قدرة[2] مؤثرة كجهم وأبي الحسن[3] ومن اتبعهما لا يسمون العبد فاعلا ، بل يقولون : هو كاسب .

وجهم نفسه كان يقول : ليس بقادر ، كما أنه ليس بفاعل . وأبو الحسن وافقه على أنه ليس بفاعل حقيقة ، بل هو كاسب ، وأنه ليس له قدرة مؤثرة في المقدور ، لكن أثبت له قدرة ، وسماه قادرا ، خلافا لجهم .

وكثير من الناس يقولون : ان منازعته له لفظية ، لا تعود الى معنى معقول . كما قد بسط في موضعه ،ويقال : عجائب الكلام ثلاثة : طفرة النظام ، وأحوال أبي هاشم ، وكسب الأشعرى .

---

(١) سورة الأعراف ١٥٥ .
(٢) الأصل (ص) : قدرته .
(٣) المراد أبو الحسن الأشعرى .

ظ ٧٥

ولما كان كون / الفاعل قادرا من المعارف الضرورية اعترف فضلاء الفلاسفة بأن الله تعالى قادر، مع قولهم : ان العالم قديم ؛ كما يقولون : انه عالم. لكن نفاة الصفات منهم يقولون : ان قدرته عين علمه ، وعلمه عين قدرته ونفس القدرة والعلم نفس القادر العالم . وهذا مما يقول العقلاء : ان فساده معلوم بالاضطرار بعد التصور التام .

نقد قول المتكلمين "بالقادر المختار" وقول الفلاسفة "بالموجب بالذات"

والرازي وأمثاله يترجمون هذه المسألة بأن البارى تعالى هو فاعل مختار، أو موجب بالذات ، ويجعلون الأول قول أهل الملل ، والثاني قول الفلاسفة ثم يقررون القادر المختار بأنه الذى يفعل مع جواز أن لا يفعل ، وهذا تفسير القدرية ، بل تفسير بعضهم ، وأما بعضهم فانه يوافق أئمة أهل السنة على أنه مع القدرة التامة والارادة الجازمة يلزم وجود المراد .

ولهذا كان مذهب أئمة أهل السنة أن الله تعالى خالق لأفعال العباد ، مع قولهم : ان العبد فاعل قادر ، يفعل بمشيئته ، وأن الله خالق ذلك كله ، وأنه اذا خلق له قدرة تامة ومشيئة جازمة كان هذا مستلزما لخلق المراد المقدور .

وعلى هذا فاذا قال القائل : هو موجب بذاته . فان أراد أنه موجب بذاته الموصوفة بالقدرة والمشيئة ؛ بمعنى أنه ماشاء كان ومالم يشأ لم يكن ، مع كون (١) كل ماسواه مخلوقا له ، محدثا بعد أن لم يكن - فهذا حق ، وهو قول أئمة المسلمين . وان أراد أنه موجب بذات عرية عن الصفات ، أو أن ذاته وارادته مستلزمة لوجود المفعول معه أزلا وأبدا - فهذا باطل ، وليس هو قول أحد من المسلمين .

واذا قيل : انه قادر مختار. فان أريد بالقادر أنه يفعل مع جواز أن لا يفعل ، وأن الأمر الحادث الممكن يترجح وجوده على عدمه بدون السبب التام ، المستلزم لوجوده ؛ كما يقوله من يقوله من القدرية والجهمية ، فهذا باطل .

---

(١) الأصل (ص) : كونه .

والرازى اذا ناظر الفلاسفة في اثبات كون الرب قادرا مختارا : سلك مسلك هؤلاء ، وأما في مناظرته للقدرية وفي بحوثه في مسائل الممكن فهو يقرر أن القدرة والارادة مستلزمة لوجود المراد ، وأن الممكن لا يوجد الا عند وجود السبب التام المستلزم له ، ويرد على من يقول من المعتزلة كالخوارزمي (١) وغيره : ان الوجود يصير أولى به . ولهذا ورد على تفسيره " القادر المختار " من الأسولة الضعيفة مالم يجب عنه بجواب صحيح ، بل ولم يقم دليلا صحيحا على أن الله تعالى قادر ، كما قد بسطنا الكلام على ذلك في غير هذا الموضع (٢) .

---

(١) هو أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي الزمخشرى ، الامام المعتزلي ، ولد بزمخشر سنة ٤٦٧ وسمع الحديث وطاف البلاد وجاور بمكة مدة وتوفي بخوارزم سنة ٥٣٨ ، له مصنفات في التفسير والبلاغة والنحو ، أشهرها كتاب " الكشاف " في التفسير .
انظر عنه : وفيات الأعيان ٥/١٦٨-١٧٤ ؛ العبر ٤/١٠٦ ؛ البداية والنهاية ١٢/ ٢١٩ ؛ لسان الميزان ٦/ ٤ ؛ شذرات الذهب ٤/١١٨-١٢١ ؛ الأعلام ٧/١٧٨ .

(٢) قال الرازى في كتاب " الأربعين " ، ص ١٢٢-١٢٣ وهو يبين كونه تعالى قادرا " اعلم أن القادر هو الذى يصح منه الفعل والترك بحسب الدواعي المختلفة ، مثاله الانسان : ان شاء أن يمشي قدر عليه ، وان شاء أن لا يمشي قدر عليه ، أما تأثير النار في التسخين فليس كذلك ، لأن ظهور التسخين من النار غير موقوف على ارادته ودواعيه ، بل هو أمر لازم لذاته .
وههنا للفلاسفة سؤالات :
السؤال الأول - أن هذا القادر المحكوم عليه بأنه يصح منه الفعل بدلا عن الترك ، ويصح منه الترك بدلا عن الفعل ، اما أن يكون رجحان أحد طرفي الفعل والترك على الطرف الآخر ، موقوفا على انضمام مرجح اليه ، أو لا يكون كذلك ، لا جائز أن يقال : انه لا يتوقف ذلك الرجحان على المرجح . . . الخ .
ثم قال ، ص ١٢٥ : " والجواب عن السؤال الأول هو أن نقول : للمتكلمين في هذا المقام قولان : أحدهما - أن صدور الفعل عن القادر موقوف على الداعي ، الا أن الفعل مع الداعي يصير أولى بالوقوع ، الا أنه لا ينتهي الى حد الوجوب ، فلأجل أنه صار أولى بالوقوع صار الوقوع راجحا على اللاوقوع ، ولأجل أنه لا ينتهي الى حد الوجوب يبقى الفرق بين الموجب والقادر .
واعلم أن هذا الكلام ضعيف من وجهين . . .
القول الثاني للمتكلمين في هذا المقام - وهو أن صدور الفعل عن القادر لا يتوقف على انضمام الداعي والمرجح اليه ، وهذا القول اختيار أكثر العلماء ، وتقريره أن العطشان اذا خير بين شرب قدحين متساويين من جميع الوجوه ، فانه يختار أحدهما على الآخر لا لمرجح ، وكذلك الجائع . . . الخ . وقال ، ص ٢٢٨ في كلامه عن الأفعال الاختيارية التي للحيوانات : " وأما محمود الخوارزمي فانه لما أراد الجمع بين هذين القولين ، قال : الفعل مع الداعي يصير أولى بالوقوع ، ولا ينتهي الى حد الوجوب ، وسنبين أن هذا القدر ضعيف " .

معنى القادر المختار عند السلف ج ٦٧

وأما على مذهب السلف وجمهور المسلمين الذين يثبتون القدر، ويقولون : / ماشاء الله كان ، ومالم يشأ لم يكن ، وان العبد فاعل قادر مختار، والله تعالى خالق فعله وقدرته ومشيئته - فتزول الاشكالات كلها ، ويظهر أنه لامنافاة بين أن يكون الرب قادرا مختارا : ماشاء كان ومالم يشأ لم يكن - فهو يوجب بمشيئته وقدرته ماشاءه من المقدورات ، فما شاءه وجب وجوده، ومالم يشأه امتنع وجوده ، فهو موجب بذاته الموصوفة بالمشيئة والقدرة، بمعنى أنه يجب ماشاءه - ومع أن كل ماشاءه فهو محدث ، كائن بعد أن لم يكن ، ليس معه شيء قديم بقدمه .

واذا انضم الى هذا ماتقدم ذكره من مذهب السلف والأئمة وجمهور المسلمين ، وأنه سبحانه يخلق الأشياء بالأسباب ، وأنه يخلق بحكمة - كان العلم بأنه قادر مختار بهذا المعنى يزيل الشبه الواردة جميعها ، وان كان هذا القول لا يوجد في كتب الرازى وأمثاله من المصنفين ، الذين لا يوجد في كتبهم الا مذهب الفلاسفة أو القدرية أو الجهمية. ولهذا يوجد أحدهم متناقضا حائرا ، لا يثبت على قول واحد ؛ لأنه مامن قول من هذه الأقوال الا وفيه من الفساد مايمنع العارف به وبلوازمه أن يعتقده حقا.

وفروع هذه المسألة كثيرة جدا ، مثلما اذا تكلموا فيما يحدثه الله من المطر والسحاب ، والنبات والحيوان ، والحر والبرد ، والاهلال والابدار(١) والاستسرار(٢) وغير ذلك ، فتجد أولئك المتفلسفة لا يجعلون الموجب لذلك الا مجرد ما رأوه علة من الحركات الفلكية والقوى الطبيعية ، أو النفوس والعقول.

---

(١) الأصل (ص) : والادبار، وهو تحريف .

(٢) في كتاب " الصحاح " مادة " سرر " : " وسرر الشهر، بالتحريك: آخر ليلة منه ، وكذلك سراره وسراره ، وهو مشتق من قولهم : استسر القمر، أى خفي ليلة السرار ، فربما كان ليلة وربما كان ليلتين " .

انكار بعض المتكلمين للأسباب والحكم

وتجد المتكلمين من الجهمية ومن اتبعهم كأبي الحسن وأتباعه ممن لا يثبت الأسباب ولا الحكم ، أو لا يثبت أحدهما ، ويقول : ان نفس القادر المختار يرجح أحد المتماثلين بغير مرجح - يحيل هذا كله على هذا القادر المختار الذى ذكروه، وليس[1] هو القادر المختار عند السلف والأئمة وجمهور المسلمين .

وهؤلاء الذين أحالوا الحوادث على القادر[2] المختار، ينكرون مايشهده الناس ويعقلونه ويعلمونه من الأسباب والحكم ، واذا رأوا المصلحة حصلت للخلق مع الحادث قالوا : ان هذا مجرد اقتران جرت به العادة من غير أن يفعل أحدهما بسبب أصلا ، ومن[3] غير أن يفعله لحكمة أصلا .

ويغلون في ذلك حتى يقول من أثبت الجوهر الفرد منهم، ومن أثبت الخلاء : ان الفلك والرحى وغيرهما مما يدور، يتفكك عند الدوران دائما ، والقادر المختار يعيده[4] كما كان ، وان ماء البحر فيه خلاء ، لأن[5] مافيه يحصل بالقادر المختار[6] ،الى أمثال ذلك .

---

(١) الأصل (ص) : ليس ،بدون الواو.

(٢) الأصل (ص) : . . . وجمهور المسلمين الذين هو [هو: علقت فوق السطر، وهي مكتوبة في نفس السطر قبل كلمة " الذين " لكن خط عليها] حالوا الحوادث على من القادر. ولعل الصواب ما أثبته .

(٣) الأصل (ص) من ،بسقوط الواو.

(٤) الأصل (ص) : بعده ،بلا نقاط .

(٥) الأصل (ص) : لا ،بسقوط النون.

(٦) تكلم الرازى في كتاب " الأربعين" في اثبات الجوهر الفرد ،وذكر ص ٢٦٢ عن الفلاسفة قولهم : " اذا استدار الفلك استدارة منطقية استدارت جميع الدوائر الموازية لتلك المنطقة ،اذا عرفت هذا فنقول : اذا تحركت المنطقة جزءا ،فالدائرة الصغيرة القريبة من القطب الموازية للمنطقة : ان تحركت أيضا جزءا لزم أن يكون مدار تلك الدائرة الصغيرة مساويا لمقدار المنطقة ، هذا خلف ،وان لم تتحرك البتة فحينئذ يلزم وقوع التفكك في أجزاء الفلك وذلك باطل . . . فلم يبق الا أن يقال : مهما تحركت المنطقة جزءا تحركت تلك الدائرة الصغيرة أقل من جزء وهوالمطلوب. وهذا الكلام قد يفرضونه في حركة الرحى ، ويلزمون عليه تفكك أجزاء الرحى ،والمتكلمون يلتزمونه ويقولون : انه سبحانه وتعالى فاعل مختار، فهو يفكك أجزاء الرحى حال استدارتها ، ثم يعيد التأليف والتركيب اليها حال وقوفها ،والفلاسفة يدفعون هذا من وجهين . . . الخ ".
ويتحدث(ص ٢٧٠) في اثبات الخلاء فيقول : " اعلم أن معنى الخلاء هو أن يوجد جسمان لايتماسان ولا يوجد بينهما مايماسانه ويحتج لاثباته ،ويقول أثناء ذلك(ص ٢٧١) : " فان قيل : فعلى هذا التقدير، يلزمكم أن تقولوا : اذا تحركت الذرة في قعر البحر المحيط، أن تندفع/ =

ولهذا يوجد أحدهم ينصر في هذا المصنف شيئا ، وينصر في الآخر مايناقضه ،تارة يرد على المتفلسفة بأصول المتكلمين الجهمية والقدرية ، وتارة يرد على أولئك بأصول هؤلاء ، وتارة يعارض بين القولين ويبقى حائرا واقفا ، وبسط هذه الأمور لا يحتمله هذا المختصر.

ظ ٧٦ والمقصود هنا الكلام / على أن الله سبحانه قادر، وأن العلم بذلك بعد تصور أنه فاعل - علم ضروري ، والطرق الدالة على ذلك كثيرة جدا ، وكل ماعلم أن الله تعالى فعله ولو بواسطة فانه يدل على أنه فاعل [قادر](١) للعلم الضروري بامتناع الفعل من غير قادر .

ومن تمام ذلك أن يعلم أن الله على كل شيء قدير، والممتنع لذاته ليس بشيء في الخارج باتفاق العقلاء ؛ لامتناع أن يكون له في الخارج وجود أو ثبوت ، عند من يفرق بين الثبوت والوجود ، وهو سبحانه قادر على كل شيء ، [فاعل] لواحد(٢) من الضدين على سبيل البدل ، وأما وجودهما معا فليس بشيء ، بل هو ممتنع لذاته .

وكذلك وجود الملزوم بدون لوازمه التي يمتنع وجوده بدونها : هو من هذا الباب ؛ كوجود الولد قبل والده ، مع كونه قد ولده(٣) ، ووجود الصفات بدون ذات تقوم بها ، ونحو ذلك .

ومن فهم هذا الأمر انحلت عنه الاشكالات ، التي تورد على قدرة الله وحكمته ومشيئته في مسائل القدر وغيرها ،وتبين له أن خير الكلام كلام الله ، وأنه سبحانه بين فيه الأمور الالهية والمطالب العلوية أحسن بيان وأكمله ؛

= / كلية ذلك البحر، أو تثبتوا في داخل الماء أحيازا خالية ، وذلك بعيد ، لأن الماء جرم ثقيل سيال ،فاذا وجد موضعا خاليا سال اليه بالطبع .
قلنا : اثبات الخلاء داخل ماء البحر غير بعيد على قولنا ، لأن عندنا خالق العالم فاعل مختار، فلا يبعد أن يمنع أجرام الماء عن السيلان الى تلك الأحياز الفارغة ".

(١) قادر: ليست في الأصل (ص) ،ولعل الصواب اثباتها .
(٢) الأصل (ص) : قادر على كل شيء واحد ، ولعل الكلام يستقيم بما زدته .
(٣) الأصل (ص) : ولد . ولعل الصواب ما أثبته .

حيث يبين قدرته على أشياء لم يفعلها ؛ كقوله : (ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها)[1] ، (ولو شاء الله ما اقتتلوا)[2] ، ونحو ذلك . مع أنه لم يفعل مقدوره ، وأن خلاف المعلوم مقدور ممكن باعتبار نفسه ، لكنه لا يكون لعدم مشيئته له ، وهو لا يشاؤه لما في ذلك من فوات حكمته التي يمتنع اجتماعها مع وجود هذا المفروض ، والله أعلم .

وهذا من تمام العلم بأن الله تعالى قادر مختار ، فانه سبحانه كما أنه يفعل بمشيئته وقدرته فهو سبحانه يفعل مايفعله لحكمة ؛ فيخلق لحكمة ، ويأمر لحكمة . وهذا قول السلف والأئمة وجمهور المسلمين وأكثر طوائف النظار من المسلمين وغيرهم ، وهو قول الكرامية والمعتزلة وغيرهم وجمهور الفقهاء أتباع الأئمة الأربعة وغيرهم ، لكن من متأخريهم من قد تناقض ؛ فيفرع في بعض المواضع فروعا لا تناسب هذا الأصل .

وذهب الجهم بن صفوان ومن وافقه من متكلمة الصفاتية الى أنه لا يفعل شيئا لحكمة ؛ فلا يخلق لحكمة ، ولا يأمر لحكمة ، ولا يفعل شيئا لشيء أصلا ، وليس عندهم في القرآن العزيز " لام كي " لا في خلقه ولا في أمره .

وهذا القول ينصره كثير من مثبتة القدر الرادين على المعتزلة : كأبي الحسن ومن وافقه من المتأخرين من أهل الكلام ، ومن يوافقهم أحيانا من الفقهاء . وينصره طائفة من نفاة[3] القياس من الظاهرية .

وكثير من الكتب المصنفة في أصول الدين لا يوجد فيها الا هذا القول وقول المعتزلة القدرية ، وقد علم أن قول القدرية مخالف للسنة والجماعة : فيظن من لا يعرف حقائق الأمور أن قول الجهم وأتباعه هو قول أهل السنة ، وهذا مبسوط في غير هذا الموضع ، وانما المقصود / هنا التنبيه على هذه الأصول .   ج ٧٧

(١) سورة السجدة : ١٣ .
(٢) سورة البقرة : ٢٥٣ .
(٣) الأصل (ص) : نعا . بدون نقاط .

والرازي وأمثاله ينصرون هذا القول ، ويدعون أن القول الأول وان كان هو قول جمهور المسلمين من الفقهاء والصوفية وأهل التفسير والحديث والوعظ والعامة - فانه باطل بالأدلة العقلية البرهانية ،ونحن نذكر ماذكروه من حججهم على هذا النفي ، ونبين فسادها ، فننقل ماذكره الرازي في كتابه " الأربعين " ، وهو لم يذكر النزاع الا مع المعتزلة وأكثر المتأخرين من الفقهاء .

حجج الرازي على نفي الحكمة عن أفعال الله وأحكامه والجواب عنها

فقال[1]:" المسألة السادسة والعشرون - في أنه لا يجوز أن تكون أفعال الله[2] وأحكامه معللة بعلة ألبتة .

اتفقت المعتزلة على أن أفعال الله[2] وأحكامه معللة برعاية مصالح العباد، وهو اختيار أكثر المتأخرين من الفقهاء ".

قال[3]:" وهذا عندنا باطل ، ويدل عليه وجوه خمسة :

الحجة الأولى

الحجة الأولى - [أن[4]] كل من فعل فعلا لأجل تحصيل مصلحة ، أو لدفع مفسدة : فان كان تحصيل تلك المصلحة أولى له من عدم تحصيلها ، كان ذلك الفاعل قد استفاد بذلك الفعل تحصيل تلك الأولوية . وكل من كان كذلك كان ناقصا بذاته ، مستكملا بغيره ،وهو في حق الله تعالى محال . وان كان تحصيلها له[5] وعدم تحصيلها بالنسبة [اليه] سيين[6]: فمع الاستواء لا يحصل الرجحان فامتنع الترجيح ".

ثم أورد سؤالا ، وهو سؤال المعتزلة ،فقال[7] :" لا يقال : حصولها ، ولا حصولها بالنسبة اليه ، وان كانا[8] على التساوي ، الا أن حصولها للعبد

---

(١) في كتاب " الأربعين "،ص ٢٤٩ . وسيورد ابن تيمية كل ماذكره الرازي في هذه المسألة ويناقشه جزئية جزئية .
(٢) الأربعين : أفعال الله تعالى . (في الموضعين) .
(٣) بعد الكلام السابق مباشرة ، ص ٢٤٩-٢٥٠ .
(٤) أن : سقطت من الأصل (ص) ، وأثبتها من " الأربعين " .
(٥) له : ليست في " الأربعين " .
(٦) الأصل (ص) : بالنسبة سس . بدون نقاط ؛ الأربعين : بالنسبة اليه سيان .
(٧) بعد الكلام السابق مباشرة ، ص ٢٥٠ .
(٨) الأصل (ص) : كان . والمثبت من " الأربعين ".

أولى[1] من عدم حصولها له ، فلأجل هذه[2] الأولوية العائدة الى العبد يرجح الله الوجود[3] على العدم ، لأنا نقول : تحصيل تلك المصلحة[4] وعدم تحصيلها له : اما أن يكونا متساويين بالنسبة الى الله[5] ، أو لا يستويان ، وحينئذ يعود التقسيم المذكور ".

الجواب عنها من وجوه

والجواب عن هذه الحجة من وجوه :

الوجه الأول

الأول - قوله : " وكل من كان كذلك كان ناقصا بذاته ، مستكملا بغيره ، وهو في حق الله تعالى محال " . - كلام مجمل ؛ فانه يقال له : ماتعني بقول : " ناقص بذاته " ؟ . أتعني به أنه كان عادما شيئا من الكمال الذى كان يجب أن يكون له قبل حدوث ذلك المراد ، أو كان[6] المعدوم قبل ذلك ماليس كذلك ، بل كان عدمه قبل ذلك أولى من وجوده ، أو معنى ثالثا ؟ .

فان ادعيت الأول كان ممنوعا ، وان ادعيت الثاني فهو حجة عليك ؛ لأن ماكان قبل وجوده عدمه أولى من وجوده ، ووقت وجوده كان وجوده أولى من عدمه - لم يكن عدمه قبل وجوده نقصا ، ولا وجوده بعد عدمه نقصا ، بل كان الكمال عدمه قبل وقت وجوده ، ووجوده وقت وجوده .

واذا كان كذلك فلم قلت : ان هذه الحكم المطلوبة ليست من هذا

ظ ٧٧

النوع ؟ وحينئذ فيكون وجودها وقت وجودها هو الكمال ، ويكون/ عدمها حينئذ نقصا ، فيكون نافيها هو الذى وصف الله تعالى بالنقص ، لا مثبتها .

الوجه الثاني

الثاني - أن يقال : قولك : " مستكملا بغيره " . أتعني به أن الحكمة التي يجب وجودها حصلت له من شيء غني عنه ، أم تعني به أن تلك الحكمة نفسها هي الغير ، وأنه استكمل بها ؟ .

---

(١) الأربعين : حصولها أولى للعبد .
(٢) هذه : ليست في " الأربعين " .
(٣) الأربعين : الى العبد ترجح الوجود .
(٤) الأربعين : تحصيل مصلحة العبد .
(٥) الأربعين : الى الله تعالى .
(٦) الأصل (ص) : وكان ، ولعل الصواب ما أثبته .

فان ادعيت الأول فهو باطل ؛ فانه لا محدث لشيء من الأشياء الا هو لا شريك له، فلم يستفد من أحد غيره شيئا .

وان قلت بالثاني ، قيل لك : قولك " انه استكمل بها " ، أتعني به أنه حصل مراده الذى يحبه بها ، أم تعني به شيئا آخر ؟ .

والثاني ممنوع ، والأول يتضمن الكمال ، لا النقص ؛ فان من كان قادرا على مايحبه ، وفعله في الوقت الذى يحبه ، على الوجه الذى يحبه - فهو الكامل ، لا من لا محبوب له ، أو من له محبوب لا يقدر على فعله .

الوجه الثالث

الثالث - أن يقال : أنت قد ذكرت في كتبك أنه لم يقم على نفي النقص دليل عقلي ، متبعا في ذلك لأبي المعالي وغيره ، ممن يقول : انه لم يقم على نفي النقص دليل عقلي . وقلت أنت وهم : انما ينفى النقص عن الله بالسمع ، وهو الاجماع .

لم تنفوه عن الله بالمعقول ولا بنص منقول عن الرسول ، بل بما ذكرتموه من الاجماع ، وحينئذ فانما ينفى بالاجماع ما انعقد الاجماع على نفيه ، والفعل لحكمة لم ينعقد الاجماع على نفيه ، واذا سميته أنت نقصا لم تكن هذه التسمية موجبة للاجماع .

ولو قلت : أهل الاجماع أجمعوا على نفي النقص ، وهذا نقص .

قيل لك : لو سلم لك أنهم أجمعوا على اطلاق هذا اللفظ ، فالاعتبار بمرادهم باللفظ ، لا بنفس اللفظ ، واذا كانوا يقولون : " ليس مورد النزاع مما أجمعنا عليه " ، امتنع الاحتجاج عليه بدعوى اجماعهم .

الوجه الرابع

الرابع - أن يقال : نحن ندعي أن النقص منفي عنه عقلا ، كما هو منفي عنه سمعا ، والعقل يوجب اتصافه سبحانه بصفات الكمال ، والنقص هو ماضاد صفات الكمال ، فالعلم صفة كمال ، فما ضاده كان نقصا ؛ والقدرة صفة كمال، فما ضاده كان نقصا ؛ والحياة صفة كمال ، فما ضاده كان نقصا . وأما حصول مايحبه في الوقت الذى يحبه فانما هو كمال اذا حصل على الوجه الذى يحبه ،

وعدمه قبل ذلك نقص اذا كان لا يحبه قبل ذلك .

الوجه الخامس

الوجه الخامس - أن يقال : الكمال الذى يستحقه هو الكمال الممكن أو الممتنع ؟ والثاني باطل قطعا ، وأما الأول فيقال : اذا كان في الأمور مالا يحدث الا شيئا بعد شيء : كان وجوده في الأزل ممتنعا ، فلا يكون من الكمال ، وانما يكون الكمال وجوده حين يمكن وجوده .

الوجه السادس

السادس - أن يقال : لا ريب أنه تعالى أحدث أشياء بعد أن لم يكن محدثا لها : كالحوادث المشهودة . والقائلون بأن الفلك قديم / عن علة موجبة يسلمون ذلك ، ويسلمون أنه يحدث الحوادث بواسطة ، وان كانوا قد يتناقضون .

ج ٧٨

وحينئذ ، فيقال : هذا الاحداث اما أن يكون صفة كمال واما أن لا يكون ، فان كان صفة كمال فقد كان فاقدا لها قبل ذلك ، وان لم يكن صفة كمال فقد اتصف بالنقص .

فان قلت : أقول : ليس بصفة كمال ولا نقص .

وقد تنازع النظار في الفاعلية : هل هي صفة كمال أو نقص ؟ . وجمهور المسلمين يقولون : هي صفة كمال . وهذا قول أكثر[1] الحنفية والحنبلية ، وأئمة المالكية والشافعية ، وأهل الحديث والصوفية وكثير من النظار من المتكلمين والفلاسفة أو أكثرهم . وقالت طائفة : ليست صفة كمال ولا نقص . وهو قول أكثر أصحاب الأشعرى .

فاذا التزم هذا القول قيل له : الجواب من وجهين :

أحدهما - أنه من المعلوم بصريح العقل أنه من يخلق أكمل ممن لا يخلق ؛ ولهذا قال تعالى : (أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون)[2] . فاستفهم سبحانه استفهام انكار ، وهو يتضمن الانكار على من سوى بين من يخلق ومن لا يخلق ،

---

(١) الأصل (ص) : اكبر . بلا نقط.
(٢) سورة النحل : ١٧ .

وذلك على أن تفضيل من يخلق على من لا يخلق أمر فطرى ضرورى ، كتفضيل من يعلم على من لا يعلم .

كما قال تعالى : (قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون)[١] ، وقال تعالى : (ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شيء ومن رزقناه منا رزقا حسنا فهو ينفق منه سرا وجهرا هل يستوون الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون. وضرب الله مثلا رجلين أحدهما أبكم لا يقدر على شيء وهو كل على مولاه أينما يوجهه لا يأت بخير هل يستوى هو ومن يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم)[٢] . وقال تعالى : (ومايستوى الأعمى والبصير . ولا الظلمات ولا النور. ولا الظل ولا الحرور. ومايستوى الأحياء ولا الأموات)[٣] . ونظائر هذا كثير.

الثاني - أنه اذا كان الأمر هكذا ، فلم لا يجوز أنه يفعل لحكمة يكون وجودها وعدمها بالنسبة اليه سواء ؟ كما أنه يخلق ويحدث ،ووجود الخلق والاحداث وعدمه بالنسبة اليه سواء ، كما ذكرتم .

فانكم اذا جعلتموه فاعلا بالارادة ،ووجود المراد وعدمه بالنسبة اليه سواء ، فهذه ارادة لا تعقل في الشاهد ، فكذلك فقولوا : يفعل لحكمة وجودها وعدمها بالنسبة اليه سواء ، وان كان مثله لا يعقل في الشاهد ، لا سيما والفعل عندكم هو المفعول المنفصل ؛ فجوزوا أيضا أن يفعل لحكمة منفصلة ، كما قالت المعتزلة .

وأنتم انما قلتم ذلك فرارا من قيام الحوادث به ومن التسلسل ، فكذلك فقولوا بنظير ذلك فرارا من هذا . فان لم تقولوه وقاله غيركم لم يلزمه من ذلك الا نظير مالزمكم ، فلا يكون قوله أبطل من قولكم .

ظ ٧٨ وهذا لازم لهم ؛ فانهم قالوا : الخلق هو المخلوق / وخالفوا بهذا صريح العقل والسمع لئلا يلزم التسلسل ،فمن قال : " انه يفعل مفعولا لمفعول " بأن يريده لنفسه ، كان أقرب الى المعقول .

---

(١) سورة الزمر : ٩ .
(٢) سورة النحل : ٧٥ ، ٧٦ .
(٣) سورة فاطر : ١٩ - ٢٢ .

الوجه السابع

السابع - أن يقال: العقل الصريح يعلم أن من فعل فعلا لا لحكمة، فهو أولى بالنقص ممن فعل لحكمة كانت معدومة، ثم صارت موجودة في الوقت الذى أحب كونها فيه، فكيف يجوز أن يقال: فعله لحكمة يستلزم النقص، وفعله لا لحكمة لا نقص فيه !.

الوجه الثامن

الثامن - أن هؤلاء يقولون: "يفعل مايشاء من غير اعتبار حكمة" فيجوزون عليه كل ممكن؛ حتى الأمر بالشرك والكذب والظلم، والنهي عن التوحيد والصدق والعدل، وحينئذ فان يكن هذا نقصا كان وجود الحكمة المطلوبة بفعله مما يشاؤه، وماشاءه كان، ولا نقص فيه، فلا يجوز على قولهم أن يكون في شيء من المرادات نقص، وهذا مراد فلا نقص فيه.

وقولهم: "من فعل شيئا [لحكمة][1] كان ناقصا"، فله قضية كلية عامة، وعمومها حينئذ ممنوع، وهو أولى من قول القائل: من أكرم أهل الجهل والظلم، وأهان أهل العلم والعدل، كان سفيها.

واذا كان هذا جائزا عليه عندهم، ولم يكن سفيها، وكانت هذه القضية الكلية منتقضة به عندهم - فأن تكن تلك القضية الكلية منتقضة[2] به بطريق الأولى والأحرى.

الوجه التاسع

الوجه التاسع - أنه لو سلم لهم أنه مستكمل بأمر حادث، لكان هذا من الحوادث المرادات عندهم، وكل ماهو عندهم حادث فلا يقبح[3] عندهم ولا يمتنع عليه، فكل شيء ممكن فلا ينزه عنه، والقبيح الممتنع عندهم هو الممتنع الذى لا يدخل تحت المقدور، وهذا يدخل تحت المقدور؛ فلا يكون قبيحا ممتنعا، وليس هو نقصا من لوازم ذاته، بل هو من الأمور الحادثة، وتلك ليس فيها مايمتنع عندهم.

---

(١) لحكمة: ليست في الأصل (ص)، ولعلها ساقطة.
(٢) الأصل (ص): منتقضه. بلا نقط.
(٣) الأصل (ص): فلا يصح، ولعل الصواب ما أثبته.

فان قالوا : هذا قائم بذاته ،أو حكمته تعود اليه ، فيمتنع .

قيل : ان كان بائنا عنه فهو كسائر المحدثات ، وعندكم لا تعود حكم شيء منها اليه ، ولا يقبح منه شيء من الأشياء . وان كان قائما به لم يكن ذلك الا على قول من يجوز قيام الحوادث ، ومالیس[1] بقبيح لم يكن ممتنعا على أصلهم .

الوجه العاشر

وجماع هذا وهذا، وهو الوجه العاشر - أنه ما من محذور يلزم بتجويز أن يفعل لحكمة ، الا والمحاذير التي تلزم بكونه يفعل لا لحكمة أعظم وأعظم ، وحينئذ فان كان هذا ممتنعا فالفعل لا لحكمة أعظم امتناعا ، وان كان غير ممتنع صح[2] الفعل لحكمة ، مع أن الفعل لحكمة أولى من الفعل لا لحكمة، فعلم أن ما يستدل به على امتناع فعله لحكمة فهو حجة باطلة ، وأن الفعل لحكمة أولى بكونه صفة كمال ، وأصح في الأدلة العقلية والنقلية وأبعد عن التناقض سمعا وعقلا ، هذا لو كان / الفعل لا [لحكمة] ممكنا[3] ،فكيف اذا كان ممتنعا ؟.

ج ٧٩

الحجة الثانية

قال الرازي[4] " الحجة الثانية - لو كانت موجديته[5] معللة بعلة لكانت تلك العلة : ان كانت قديمة لزم من قدمها قدم الفعل ، وهو محال . وان كانت محدثة افتقر كونه تعالى موجدا لتلك العلة الى علة أخرى ، ولزم[6] التسلسل وهو محال ، وهذا هو المراد من قول مشايخ الأصول : [علة[7]] كل شيء صنعه ، ولا علة لصنعه ".

الأجوبة عنها

والجواب من وجوه :

الجواب الأول

أحدها - أن يقال : لا يخلو اما أن يمكن أن يكون الفعل قديم العين أو قديم النوع ، أو لا يمكن ذلك .

---

(١) الأصل (ص) : ماليس ، بسقوط الواو ، ولعل الصواب اثباتها .
(٢) صح : في الأصل (ص) رسمت هكذا " لم " ، ولعل الصواب ما أثبته .
(٣) الأصل (ص) : الفعل لا يكون ، وعدلت الكلمة الأخيرة لتصبح " ممكنا " ، ولعل الكلام يستقيم بما أضفته .
(٤) في كتاب " الأربعين " ، ص ٢٥٠ .
(٥) الأربعين : لو كان موجدية الله تعالى .
(٦) الأربعين : فيلزم .
(٧) علة : سقطت من الأصل (ص) ، وأثبتها من " الأربعين " .

فان جاز أن يكون قديم العين أو قديم النوع ، جاز في الحكمة التي يكون الفعل لأجلها ،أن تكون قديمة العين أو قديمة النوع ،فان من قال : انـــه خالق مكون في الأزل لما لم يكن بعد ، وقال : قولي هذا كقول من قال : هـــو مريـد في الأزل لما لم يكن بعد ، فقولي بقدم كونه فاعلا كقول هوءلاء بقدم كونـه مريدا - فحينئذ يمكنه أن يقول بقدم ما خلق لأجله وأراد لأجله .

واذا قيل : هذا ممتنع ، فالأول أيضا ممتنع ، والمقصود الزام هوءلاء الذين يجوزون الشيء أو يوجبونه ، ويحيلون ما هو مثله أو أولى منه بالجواز أو الوجوب.

ومن قال من المتفلسفة : " ان فعله قديم لمفعول معين " يقول :ان الحكمة قديمة ، وانه لم يزل يلتذ ،ومن قال بدوام نوع الفعل ، فقوله بدوام نـــــوع الحكمة واضح لا شبهة فيه .

وان لم يمكن أن يكون الفعل لا قديم العين ولا قديم النوع ؛ فيقال : اذا كان فعله حادث العين والنوع كانت حكمته حادثة .

وقوله : " يفتقر كونه محدثا لتلك العلة الى علة أخرى[1] " ممنوع ؛ فـان هذا انما يلزم أن لو قال : كل حادث فلا بد له من علة . وهم لم يقولـــوا هذا ،بل قالوا : يفعل لحكمة وعلة .

ومعلوم أن المفعول لأجله هو مراد محبوب للفاعل ، والمراد المحبوب امـا أن يكون محبوبا لنفسه ، واما أن يكون محبوبا لغيره ، والمحبوب [لغيره[2]] انمـا يكون محبوبا لأن ذلك الغير محبوب ، فلابد أن ينتهي[3] الأمر الى محبوب لنفسه .

وحينئذ ، فمعنى كونه يفعل لحكمة أنه يفعل مرادا لمراد آخر يحبه ، فاذا كان الثاني محبوبا لنفسه لم يجب أن يكون الأول كذلك ، ولا يجب في هـــذا تسلسل ، ولا يلزم اذا كان المراد الأول مرادا لغيره أن يكون الثاني مـرادا لغـــيره .

---

(١) هذا معنى قول الرازي ،راجع النص ، ص ٣٦٣ .
(٢) لغيره : ليست في الأصل (ص) ،ولعلها ساقطة .
(٣) ينتهي : رسمت الكلمة في الأصل (ص) : سهى ، بلا نقاط.

وهذا لازم لهم ؛ فانهم قالوا : " الخلق هو المخلوق " وخالفوا بذلك صريح العقل والسمع ؛ لئلا يستلزم التسلسل ، فمن قال : انه يفعل مفعولا يريده لمفعول ثان يريده لنفسه ، كان أقرب الى المعقول .

الجواب الثاني

الجواب الثاني - أنه كما أنه خلق شيئا بسبب ، وخلق السبب بسبب آخر ، حتى ينتهي الى أسباب لا أسباب فوقها - فكذلك خلق لحكمة ، والحكمة لحكمة ، حتى ينتهي ذلك الى حكمة لا حكمة فوقها .

الجواب الثالث
ظ ٧٩

الجواب / الثالث - أن هؤلاء يقولون : كل مخلوق فهو مراد لنفسه ، لا لغيره . وحينئذ فلأن يجوز في بعض المخلوقات أن يكون مرادا لنفسه[١] أولى وأحرى ، ولا يمتنع حينئذ أن يكون عند ذلك مرادا له .

الجواب الرابع

الجواب الرابع - أن يقال : هب أن هذا الأمر يستلزم التسلسل ، لكنه يستلزم التسلسل في الحوادث المستقبلة ؛ فان الحكمة التي لأجلها يفعل الفعل تكون حاصلة بعده ، فاذا كان بعدها حكمة أخرى لزم حوادث لا آخر لها في المستقبل ، وهذا جائز باتفاق سلف الأمة وأئمتها وجماهيرها ، ولم يخالف في ذلك الا الجهم وأبو الهذيل .

فان قيل : فيلزم من ذلك أن لا تحصل الغاية المطلوبة أبدا .

قيل : بل لا تزال الحكمة المطلوبة تحصل دائما ، فان الواحد من الناس يفعل الشيء لحكمة يحبها لنفسها يحصل بها محبوبه ، ثم يفعل لحكمة يحبها يحصل بها محبوبه .

فاذا قيل : " انه سبحانه يفعل لحكمة يحبها يحصل بها محبوبه ، ثم يفعل لحكمة يحبها يحصل بها محبوبه " لم تزل محبوباته تحصل شيئا بعد شيء ، وهذا هو الكمال الذى يستحق أن يوصف به ، فانه لا يزال مراده الذى يحبه يحصل بفعله ، وهو غني [عن][٢] كل ما سواه ، ورحمته لعباده واحسانه اليهم هو

---

(١) كذا في الأصل (ص) ، ولعل الصواب : أن يكون مرادا لنفسه ولغيره .
(٢) عن : ليست في الأصل (ص) . ولعلها ساقطة .

مما يحبه، وهو سبحانه اذا أمر العباد[1] ونهاهم، أمرهم بما يحبه ويرضاه لهم، وهو يحبهم ويرضى عنهم اذا فعلوه؛ قال تعالى: (إن تكفروا فان الله غني عنكم ولا يرضى لعباده الكفر وان تشكروا يرضه لكم)[2].

لكن فرق بين مايريد هو أن يخلقه لما يحصل به من الحكمة التي يحبها، فهذا يفعله سبحانه ولابد من وجوده؛ فانه ماشاء كان ومالم يشأ لم يكن. وبين مايريد من العباد أن يفعلوه، ويحبه اذا فعلوه[3]، ويأمرهم به من غير مشيئة منه أن يخلقه، فان المشيئة متعلقة بفعله، والأمر متعلق بفعل عبده المأمور.

الارادة نوعان

والارادة منه تارة تكون بمعنى المشيئة، وتارة تكون بمعنى المحبة؛ ففرق بين مايريد أن يخلقه، وبين ما أمر به ولكن هو لا يريد أن يخلقه؛ فان الفرق بين مايريد الفاعل أن يفعله، وبين مايريد من المأمور أن يفعله - فرق واضح.

وهو سبحانه له الخلق والأمر؛ فلما أمر عباده بالايمان به وطاعته وطاعة رسله أراد مع ذلك أن يعين طائفة على ذلك؛ فيخلق أفعالهم، ويجعلهم مطيعين له، فصار مريدا للايمان خلقا وأمرا، وهو سبحانه الذى جعلهم مسلمين. كما قال الخليل عليه الصلاة والسلام: (ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا انك أنت التواب الرحيم)[4]. وقال الخليل أيضا: (رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي)[5]. وقال تعالى: (وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا اليهم فعل الخيرات واقام/ الصلاة وايتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين)[6].

ج ٨٠

ولم يرد سبحانه أن يخلق فعل طائفة أخرى ويعينهم، فهؤلاء لم يؤمنوا، وان كان قد أمرهم بالايمان، وأراد منهم أن يفعلوه ارادة شرعية، ولم يرد هو

---

(١) الأصل (ص): العباده.
(٢) سورة الزمر: ٧. وسقطت كلمة "لكم" من الأصل (ص).
(٣) الأصل (ص): اذا فعله، ولعل الصواب ما أثبته.
(٤) سورة البقرة: ١٢٨.
(٥) سورة ابراهيم: ٤٠.
(٦) سورة الأنبياء: ٧٣.

أن يفعله ، ويخلق مايصيرون به مؤمنين[1] ، لما له في اعانة هؤلاء وترك اعانة هؤلاء من الحكمة ، كما يؤتي قوما علما وقدرة ، وآخرين لا يؤتيهم ذلك ، ومثل ذلك في التخصيصات الواقعة في ملكه كثير ، يخص بعض عباده من النعم بما لم يشركه فيه غيره .

قال تعالى : (ولكن الله حبب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون)[2] . وقال تعالى : (يمنون عليك أن أسلموا قل لا تمنوا علي اسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للايمان ان كنتم صادقين)[3] .

وقال تعالى : (قل ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم . يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم)[4] . وقال تعالى أيضا : (فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم)[5] . وقالت الرسل لقومهم : (ان نحن الا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده وماكان لنا أن نأتيكم بسلطان الا باذن الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون)[6] .

وهو سبحانه اذا خلق شيئا فلابد من وجود لوازمه ، ولا بد من عدم أضداده ، وهو على كل شيء قدير ، والممتنع لذاته ليس بشيء باتفاق العقلاء ، ولا يتصور العقل وجوده في الخارج ، ومن ذلك الجمع بين الضدين .

---

(١) الأصل (ص) : مؤمنون ، وهو خطأ .
(٢) سورة الحجرات : ٠٧ .
(٣) سورة الحجرات : ١٧ .
(٤) سورة آل عمران : ٧٣ ، ٧٤ .
(٥) سورة المائدة : ٥٤ .
(٦) سورة ابراهيم : ١١ .

وهو سبحانه يعلم من لوازم فعله وعاقبته الحميده مالا يعلمه غيره؛ ولهذا لما قال تعالى للملائكة : (اني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال اني أعلم مالا تعلمون. وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال انبؤني بأسماء هؤلاء ان كنتم صادقين. قالوا سبحانك لاعلم لنا الا ماعلمتنا انك أنت العليم الحكيم . قال يا آدم انبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم اني أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ماتبدون وماكنتم تكتمون)[١].

وكذلك في أمره؛ قال تعالى : (كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون)[٢].

فعدم علم الناس بماله سبحانه من الحكمة في خلقه وأمره ، لا يستلزم عدم ثبوتها في نفس الأمر؛ فان عدم العلم ليس علما بالعدم ، ومن المعلوم أن أكثر الناس لا يعرفون مالصناعهم وعلمائهم وأمرائهم وشيوخهم ومصنفي الكتب من الحكمة، واذا اعترضوا عليهم ضرب لهم المثل المذكور في كتاب " كليلة ودمنة " في القرد والمنشار[٣] ، فكيف بحكمة / أحكم الحاكمين ورب العالمين سبحانه وتعالى ؟! ظ ٨٠

---

(١) سورة البقرة : ٣٠- ٣٣ .

(٢) سورة البقرة : ٢١٦ .

(٣) في كتاب " كليلة ودمنة " ص ١٣١- ١٣٢ (وضع بيدبا الهندى ، تعريب عبدالله بن المقفع، تحقيق مصطفى لطفي المنفلوطي ، الناشر دار الكتاب العربي- بيروت) . أن دمنه قال يوما لكليلة - وهما من بنات آوى - : يا أخي ، ماشأن الأسد مقيما مكانه لا يبرح ولا ينشط ؟ . فقال كليلة : ما شأنك أنت والمسألة عن هذا ؟ نحن على باب ملكنا آخذين بما أحب، وتاركين مايكره ، ولسنا من أهل المرتبة التي يتناول أهلها ، كلام الملوك ، والنظر في أمورهم ، فامسك عن هذا ، واعلم أنه من تكلف من القول والفعل ماليس من شأنه ، أصابه ما أصاب القرد من النجار.
قال دمنة : وكيف كان ذلك ؟
قال كليلة : زعموا أن قردا رأى نجارا يشق خشبة ، وهو راكب عليها ، وكلما شق منها ذراعا أدخل فيها وتدا ، فوقف ينظر اليه ، وقد أعجبه ذلك ، ثم ان النجار ذهب لبعض شأنه ، فقام القرد وتكلف ماليس من شأنه ، فركب الخشبة وجعل ظهره قبل الوتد ووجهه قبل الخشبة ، فتدلى ذنبه في الشق ونزع الوتد ، فلزم الشق عليه ، فكاد يغشى عليه من الألم . ثم ان النجار وافاه فأصابه على تلك الحالة فأقبل عليه يضربه ، فكان مالقي من النجار من الضرب أشد مما أصابه من الخشبة .

الحجة الثالثة

قال الرازي[1]: " الحجة الثالثة - أن جميع الأغراض يرجع حاصلها الى شيئين : تحصيل اللذة والسرور، ودفع الألم والحزن، والله تعالى قادر على تحصيل - هذين[2] - المطلوبين ابتداء من غير شيء من الوسائط ، ومن[3] كان قادرا على تحصيل المطلوب ابتداء بدون الوسائط[4]، ولم يصر تحصيل ذلك المطلوب بتلك الوسائط أسهل عليه من تحصيله ابتداء - كان التوسل الى تحصيل ذلك المطلوب بتلك الوسائط[4] عبثا ، وذلك على الله[5] محال ، فثبت أنه لا يمكن تعليل أحكامه وأفعاله[6] بشيء من العلل والأغراض ".

الجواب عنها من وجوه

والجواب من وجوه :

الوجه الأول

أحدها - أنه يقال : لا ريب أن الله على كل شيء قدير، لكن لا يلزم ، اذا كان الشيء مقدورا ممكنا أن تكون الحكمة المطلوبة بوجوده تحصل مع عدمه ، أو الحكمة المطلوبة مع عدمه تحصل مع وجوده ؛ فان وجود الملزوم بدون لازمه ممتنع ، والجمع بين الضدين ممتنع ؛ فيمتنع .

ولهذا بين سبحانه قدرته على أشياء لم يفعلها ، وبين حكمته في تـرك فعلها ؛ كقوله تعالى : (فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى اذا اثخنتموهم فشدوا الوثاق فاما منا بعد واما فداء حتى تضع الحرب أوزارها ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلو بعضكم ببعض والذين قتلوا في سبيل الله فلن يضل أعمالهم . سيهديهم ويصلح بالهم . ويدخلهم الجنة عرفها لهم)[7].

---

(١) في كتاب " الأربعين " ، ص ٢٥٠ .
(٢) هذين : سقطت من الأصل (ص) ، وأثبتها من " الأربعين " .
(٣) الأربعين : وكل من .
(٤) الأربعين : الواسطة . (في الموضعين) .
(٥) الأربعين : الله تعالى .
(٦) الأربعين : أفعاله وأحكامه .
(٧) سورة محمد : ٤- ٦ .

الوجه الثاني

الوجه الثاني- أن يقال : دعوى : أحد الوجودين لا يكون شرطا أو سببا لوجود الآخر ، دعوى عرية عن الحجة ، وقد قال تعالى : (وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه)(1) . وقال تعالى : (لخلق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس)(2) . فبين سبحانه أن خلق بعض الأشياء أكبر من خلق بعض ، فكيف يقال : ان خلق جميع المخلوقات سواء ! .

الوجه الثالث

الوجه الثالث - أن يقال : اذا كان في خلق الوسائل حكمة أخرى تحصل بخلقها ، وفي ذلك مصلحة ومنفعة لتلك الوسائط - لم تكن الحكمة الحاصلة بوجودها مثل الحاصلة بعدمها ؛ كما أنه سبحانه اذا جعل رزق بعض الناس في التجارات فاقتضى ذلك أن يجلبوا البضائع الى من يحتاج اليها ، فينتفع هؤلاء بالبضائع وهؤلاء بالثمن - لم تكن هذه الحكمة حاصلة ، أو حصل لأولئك مطلوبهم من الربح ، بدون التجارة .

فان قيل : فيمكن تحصيل مقصود أولئك بدون تجارة هؤلاء .

قيل : في ذلك تفويت مصالح الآخرين .

والمقصود الكلام الكلي العام ، ليس المقصود بيان حكمة كل ما خلق ؛ فان هذا لا يمكننا أن نعرفه ، بل نعرف حكمته من حيث الجملة ، وقد نعرف بعض حكمته .

والمقصود أنه اذا جوز العقل أن يكون له في الوسائل حكمة لا تحصل الا بها ، بطل قطع من قطع بأنه لا / حكمة له في خلقها .

ج ٨١

الوجه الرابع

الوجه الرابع - قوله : " كان ذلك عبثا ، وهو على الله محال " . يقال له : ان كان العبث عليه محالا لزم أنه لا يفعل ولا يحكم الا لحكمة ، وحينئذ فتبطل الحجة النافية لذلك ، وان لم يكن العبث عليه محالا بطلت هذه الحجة ؛ فيلزم بطلانها على التقديرين .

---

(1) سورة الروم : ٢٧ .
(2) سورة غافر : ٥٧ .

الوجه الخامس

الوجه الخامس- أنه يقال : لم لا يجوز أن يفعل أشياء لحكمة فتكون معللة ، وأشياء غير معللة ، وعلى هذا التقدير فتكون هذه الوسائط غير معللة. ولا يمكنك مع هذا أن تقول : " لا يجوز تعليل شيء من أفعاله وأحكامه" ولكن تقول : " لا يجب أن يكون كل شيء لعلة " وأنت نفيت جواز التعليل لا وجوبه ، وصار هذا بمنزلة مايقوله بعض الفقهاء : ان من الأحكام ماله علة ، ومنها ماهو تعبد لا علة له .

وهذا الجواب يبطل قوله ،وان كنا لا نقول به ، بل نقول : جميع أفعاله وأحكامه لها علة ،سواء علمناها أو لم نعلمها .

الحجة الرابعة

قال الرازي[1] : " الحجة الرابعة - أنه لو وجب أن يكون خلقه وحكمه معللا بغرض لكان خلق الله[2] العالم في وقت معين دون ماقبله ومابعده معللا برعاية غرض ومصلحة[3] ، ثم ذلك الغرض و[تلك[4]] المصلحة اما أن يقال : انه كان حاصلا قبل ذلك الوقت ، أو ماكان حاصلا قبله .

فان كان حاصلا قبله كان ما لأجله أوجد الله[5] العالم في ذلك الوقت حاصلا قبل أن أوجده ، فيلزم أن يقال : انه كان موجدا له قبل أن لم يكن موجدا له[6] ، وذلك محال .

وان[7] قلنا بأن ذلك الغرض وتلك المصلحة ماكان حاصلا قبل ذلك الوقت ، وانما حدث في ذلك الوقت ،فنقول : حصول ذلك الغرض في ذلك الوقت اما أن يكون مفتقرا[8] الى المحدث ، أو لا يفتقر.

فان لم يفتقر فقد حدث الشيء لا عن موجد ومحدث ، وهو محال .و[ان[9]] افتقر

---

(١) في كتاب "الأربعين" ،ص ٢٥٠- ٢٥١ .
(٢) الأربعين : الله تعالى .
(٣) الأربعين : برعاية مصلحة وغرض .
(٤) تلك : ليست في الأصل (ص) ، وأثبتها من " الأربعين " .
(٥) الأربعين : الله تعالى .
(٦) الأربعين : قبل أن كان موجدا .
(٧) الأربعين : وأما ان .
(٨) الأربعين : اما أن يفتقر.
(٩) ان : سقطت من الأصل (ص) ، وأثبتها من "الأربعين" .

الى المحدث : فان افتقر تخصيص احداث ذلك الفرض بذلك الوقت الى غرض آخر عاد التقسيم الأول فيه ،ولزم التسلسل . وان لم يفتقر ألبتة الى رعاية غرض آخر فحينئذ تكون موجودية الله[1] وخالقيته غنية عن التعليل بالأغراض والمصالح ،وهذا هو المطلوب ".

قال[2]: " واعلم أن هذه الحجة التي ذكرناها في اختصاص حدوث العالم بذلك الوقت [المعين][3] عائدة في اختصاص كل واحد[4] من الحوادث بوقته[5] المعين".

الجواب عنها من وجوه

والجواب[6] أن يقال : هذه الحجة مذكورة في ضمن الحجة الثانية، والجواب عنها من وجوه :

الوجه الأول

أحدها - أن هذا انما يستلزم التسلسل في الحوادث المستقبلة، وذلك جائز .

الوجه الثاني

الثاني - أن هذا غايته أن يكون من الحوادث مايراد لنفسه ،ومنها مايراد لغيره ، وأن الحكمة المطلوبة لنفسها لا تفتقر الى حكمة أخرى تراد لأجلها ، وهذا اذا سلم لم يمنع أن يكون ماسوى هذه الحكمة مرادا لأجلها .

الوجه الثالث

الثالث - أن كون أفعاله مستغنية عن العلة غير كون تعليلها جائزا. وهذه الحجة انما تدل على عدم / وجود التعليل ، لاعلى عدم جواز التعليل ، وانما تدل على عدم تعليل بعض الحوادث ، لاعلى تعليل أكثرها .

ظ ٨١

الحجة الخامسة

قال الرازي[7]: " الحجة الخامسة - قد بينا في مسألة " خلق الأفعال " أنه لا موجود الا الله تعالى ، واذا كان كذلك كان الخير والشر، والكفر والايمان،

---

(١) الأربعين : الله تعالى .
(٢) بعد الكلام السابق مباشرة، ص ٢٥١ .
(٣) المعين : سقطت من الأصل (ص) ، وأثبتها من " الأربعين " .
(٤) واحد : كذا في " الأربعين " ،وفي الأصل (ص) : واحدة .
(٥) الأربعين : لوقته .
(٦) الأصل (ص) : يقال : والجواب . ولعل كلمة " يقال " زيدت خطأ .
(٧) في كتاب " الأربعين"، ص ٢٥١ .

حاصلا بايجاده وخلقه[1] وتكوينه ،واذا كان الأمر كذلك امتنع توقف[2] كونه[3]، خالقا وموجدا على رعاية المصالح والأغراض ".

الجواب عنها

والجواب : أن هذا التلازم ممنوع ،بل الذى عليه جمهور المسلمين أن الله تعالى في كل مايخلقه حكمة ، وأن ماخلقه مما هو شر في حق بعض الناس : ففي خلقه حكمة للرب تعالى ، باعتبارها كان خلقه مما يحمد الرب تعالى عليه ، فله الحمد ملء السموات وملء الأرض وملء ماشاء من شيء بعد ذلك ، فكل ماخلقه فهو محمود على خلقه ، وخلقه حسن ، وله في ذلك حكمة؛ قال تعالى : (صنع الله الذى أتقن كل شيء[4]) . وقال تعالى : (الذى أحسن كل شيء خلقه[5]) .

الشر في خلق الله يذكر في القرآن على ثلاثة وجوه

ولهذا لم يكن الشر مضافا الى الله تعالى في القرآن مع كونه شرا ، ولا يذكر الا على أحد وجوه ثلاثة : اما أن يدخل في العموم ؛ كقوله تعالى : (الله خالق كل شيء[6]) ، أو يذكر مضافا الى السبب ؛ كقوله : (من شر ماخلق[7]) ، أو يحذف فاعله ؛ كقوله الجن : (وأنا لاندرى أشر أريد بمن في الأرض أم أراد بهم ربهم رشدا[8]) .

ومنه قوله تعالى : (صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين[9]) . فذكر النعمة مضافة اليه ، وأخبر أنهم هم الضالون[10]، وحذف فاعل الغضب .

---

(١) الأربعين : وتخليقه .
(٢) توقف : كذا في " الأربعين " ،وفي الأصل (ص) : توقيف .
(٣) الأربعين : كونه تعالى .
(٤) سورة النمل : ٨٨ .
(٥) سورة السجدة : ٧ .
(٦) سورة الزمر : ٦٢ .
(٧) سورة الفلق : ٢ .
(٨) سورة الجن : ١٠ .
(٩) سورة الفاتحة : ٧ .
(١٠) الأصل (ص) : الضالين . وهو خطأ .

ولما كان لله تعالى الأسماء الحسنى كانت أسماؤه متضمنة لحكمته ورحمته وعدله ، ولم يكن له سبحانه اسم يذكر وحده يتضمن [الشر][1] ؛ قال تعالى : (اعلموا أن الله شديد العقاب وأن الله غفور رحيم)[2] . وقال تعالى : (ان ربك سريع العقاب وانه لغفور رحيم)[3] . وقال تعالى : (نبئ عبادى أني أنا الغفور الرحيم : وأن عذابي هو العذاب الأليم)[4] . فوصف نفسه سبحانه بأنه هو الغفور الرحيم ، وأخبر أن عذابه[5] شديد وسريع ، وأن عذابه أليم . فجمل ماهو شر لبعض العباد هو من أفعاله ، لم يجعله من أسمائه ؛ كما في قوله تعالى : (اني أنا الغفور الرحيم) . لم يقل : واني أنا المعاقب المعذب .

وجاء في القرآن العزيز معنى " الانتقام " في قوله : (انا من المجرمين منتقمون)[6] . وفي قوله : (والله عزيز ذو انتقام)[7] . ولم يقل : اني أنا المنتقم .

ولم يثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه عد " المنتقم " من أسمائه الحسنى ، بل الذى روى عن النبي صلى الله عليه وسلم في تعيين التسعة وتسعين اسما - حديثان ضعيفان عند أهل المعرفة بالحديث : أجودهما الذى رواه الترمذى من حديث الوليد بن مسلم عن شعيب بن أبي حمزة عن أبي الزناد[8] ، وهذا فيه ذكر المنتقم ، وأهل العلم بالحديث يعلمون أن هذا مما أخذه عن بعض أهل الشام ، ليس مرفوعا الى النبي صلى الله عليه وسلم . والحديث الثاني رواه ابن ماجة ، وهو أيضا

---

(١) الشر : ترك مكانها في الأصل (ص) بياضا ، ولعلها المرادة هنا .
(٢) سورة المائدة : ٩٨ .
(٣) سورة الأنعام : ١٦٥ .
(٤) سورة الحجر : ٤٩ ، ٥٠ .
(٥) عذابه : كذا في الأصل (ص) ، ولعل المراد : عقابه .
(٦) سورة السجدة : ٢٢ .
(٧) سورة آل عمران : ٤ .
(٨) الأصل (ص) رسمت الكلمة : رناد . بلا نقاط .

ضعيف عند أهل العلم ، أضعف من الأول[١] .

ج ٢ ٨٢ ولم يجئ في أسمائه ذكر الضار / والمانع والمذل الا مقرونا ، فيقال : الضار النافع ، المعطي المانع ، المعز المذل . فان الجمع بينهما يبين عموم القدرة والخلق .

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : (يمين الله ملأى لا يغيضها نفقة ، سحاء الليل والنهار ، أرأيتم ما أنفق منذ خلق السماوات والأرض ، فانه لم [يغض][٢] مافي يمينه ، والقسط بيده الأخرى يخفض ويرفع)[٣] .

---

(١) الحديث عن أبي هريرة ، وأصله وهو قول الرسول صلى الله عليه وسلم : (ان لله تسعة وتسعين اسما ، مائة الا واحدا ، من أحصاها دخل الجنة) . في صحيح البخاري (فتح الباري ١٣ / ٣٧٧ رقم ٧٣٩٢) كتاب التوحيد ، باب ان لله مائة اسم الا واحدة ؛ وصحيح مسلم ٤ / ٢٠٦٢ ، ٢٠٦٣ رقم ٢٦٧٧ كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، باب في أسماء الله تعالى ، وفضل من أحصاها ، وسنن الترمذي (تحفة الأحوذي ٩ / ٤٨٠ - ٤٨١) الدعوات ، باب حدثنا يوسف بن حماد البصري أخبرنا عبد الأعلى عن سعيد ؛ وسنن ابن ماجة ٢ / ١٢٦٩ رقم ٣٨٦٠ كتاب الدعاء ، باب أسماء الله عز وجل .
والروايتان اللتان يشير الشيخ الى أنه جاء فيهما ذكر أعيان الأسماء في سنن الترمذي (٩ / ٤٨٢ - ٤٩٠) عن ابراهيم بن يعقوب عن صفوان بن صالح عن الوليد بن مسلم عن شعيب بن أبي حمزة عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة ، وورد في سياقه (البر التواب المنتقم العفو الرؤوف) .
وقال عنه الترمذي : " هذا حديث غريب ، حدثنا به غير واحد عن صفوان بن صالح ، ولا نعرفه الا من حديث صفوان بن صالح وهو ثقة عند أهل الحديث . . . الخ " .
وفي سنن ابن ماجة (رقم ٣٨٦١) عن هشام بن عمار عن عبد الملك بن محمد الصنعاني عن زهير ابن محمد التميمي عن موسى بن عقبة عن الأعرج عن أبي هريرة ، وليس فيه ذكر " المنتقم " . وعبد الملك بن محمد ضعيف .
وانظر أيضا عن الحديث مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية (ط . الرياض) ٦ / ٣٧٩ - ٣٨٢ ، ٨ / ٩٦ - ٩٧ ، ٢٢ / ٤٨٢ - ٤٨٦ ؛ وفتح الباري ١١ / ٢١٥ - ٢١٧ .

(٢) يغض : سقطت من الأصل (ص) .

(٣) الحديث عن أبي هريرة في صحيح البخاري (فتح الباري ٨ / ٣٥٢ رقم ٤٦٨٤) كتاب التفسير ، باب (وكان عرشه على الماء) ، ١٣ / ٣٩٣ رقم ٧٤١١ كتاب التوحيد ، باب قول الله تعالى (لما خلقت بيدي) ، ١٣ / ٤٠٣ رقم ٧٤١٩ كتاب التوحيد ، باب (وكان عرشه على الماء ؛ وصحيح مسلم ٢ / ٦٩٠ - ٦٩١ رقم ٩٩٣ ، كتاب الزكاة ، باب الحث على النفقة وتبشير المنفق بالخلف ؛ وسنن الترمذي (تحفة الأحوذي ٨ / ٤٠٩ - ٤١٠) تفسير القرآن ، سورة المائدة ؛ وسنن ابن ماجة ١ / ٧١ رقم ١٩٧ المقدمة ، باب فيما أنكرت الجهمية ؛ ومسند أحمد (ط . الحلبي) ٢ / ٣١٣ ، ٥٠٠ - ٥٠١ .
وآخر الحديث في أكثر هذه المواضع (... فانه لم يغض مافي يمينه ، وعرشه على الماء وبيده الأخرى الميزان - أو القبض ، أو الفيض - يخفض ويرفع) .
وعند ابن ماجة (وبيده الأخرى الميزان يرفع القسط ويخفض) .

فأخبر صلى الله عليه وسلم أن فعل الرب تعالى فضل وعدل ؛ ولهذا قال العلماء : " كل نعمة منه فضل ، وكل نقمة منه عدل " ، وهو سبحانه لا يسأل عما يفعل ؛ لكمال علمه وحكمته ورحمته وعدله ، لا لمجرد قهره ومشيئته وقدرته .

وفي الحديث الصحيح الالهي : (ياعبادى ، انما هي أعمالكم أحصيها لكم ، ثم أوفيكم اياها ، فمن وجد خيرا فليحمد الله ، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن الا نفسه)(١) . وفي الحديث الصحيح ، حديث الاستفتاح : (لبيك وسعديك ، والخير كله بيديك ، والشر ليس اليك ، تباركت وتعاليت ، أستغفرك وأتوب اليك)(٢) .

وما ذكر(٣) من خلق كفر الكافر وعقوبته على ذلك ، اذا سلم انتفاء المصلحة في ذلك فانما يدل على عدم رعاية مصلحة هذا المعين ، وهو حجة على المعتزلة ؛ الذين يقولون : " يجب رعاية الصلاح أو الأصلح في حق كل معين " بحسب مايظنونه هم ، ويقيسونه فيه على خلقه .

وقول المعتزلة باطل عند سلف الأمة وأئمتها وجمهورها ، كما أن قول الجهمية أيضا باطل عند هؤلاء ، فلا يلزم من بطلان أحد القولين صحة الآخر ، ولا يدل هذا على انتفاء الحكمة مطلقا ، ولا على انتفاء رعاية الصلاح لجملة العالم .

---

(١) هذا آخر الحديث الذى رواه أبو ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما روى عن الله تبارك وتعالى أنه (قال : ياعبادى اني حرمت الظلم على نفسي ، وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا ...الحديث) . أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ١٩٩٤ - ١٩٩٥ رقم ٢٥٧٧ كتاب البر والصلة والآداب ، باب تحريم الظلم .

(٢) هذا آخر دعاء الاستفتاح الذى رواه علي بن أبي طالب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأوله : (وجهت وجهي للذى فطر السماوات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين) وفيه قبل قوله : (تباركت وتعاليت) قوله : (أنابك واليك) .
أخرج الحديث مسلم في صحيحه ١/ ٥٣٤ - ٥٣٥ رقم ٧٧١ كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه ، والنسائي في سننه ٢/ ١٠٠ - ١٠١ كتاب الافتتاح ، باب الدعاء بين التكبيرة والقراءة .

(٣) أى الرازى ، انظر : كلامه فيما سبق ، ص ٣٧٢ - ٣٧٣ .

وهذا كما أن الشريعة متضمنة لصلاح العباد في المعاش والمعاد؛ كما قال تعالى: (وما أرسلناك الا رحمة للعالمين)[1]. - وهذا معلوم بالاضطرار بعد تتبع كليات الشريعة، وسواء قيل: ان فعله وحكمه يعلل، أو لا يعلل، فان من نفى التعليل يقول: ان المصالح اقترنت بالفعل المأمور به، وكان ذلك علامة ودلالة، وان لم يقل: ان شرع الفعل لتلك المصلحة.

- ومع هذا فمعلوم أن اعتبار الشارع المصالح العامة الكلية لا يوجب حصول هذا في كل معين؛ فقطع يد السارق، وان كان شرا بالنسبة اليه اذا لم يتب، فهو مصلحة لعموم الخلق، وكذلك سائر العقوبات الشرعية، وكذلك الجهاد، وان كان فيه قتل نفوس، وأخذ أموالهم، وسبي حريمهم - فمصالحه غامرة لهذه المفسدة القليلة.

ولهذا كان مبنى الشريعة على تحصيل المصالح وتكميلها، وتعطيل المفاسد وتقليلها، والشارع يحصل خير الخيرين في الحصول، وشر الشرين في الدفع؛ وقد يلتزم تفويت خير قليل لتحصيل خير كثير، أو دفع شر: دفعه أنفع من ذلك الخير القليل. أو يلتزم تحصيل شر قليل لتفويت شر كثير، أو لتحصيل خير هو أنفع من دفع ذلك الشر القليل. واذا / كان هذا موجودا في أحكامه الأمرية فكذلك[2] هو في أحكامه الخلقية، وهو سبحانه له الخلق والأمر سبحانه وتعالى عما يشركون.

ظ ٨٢

وهذه الطريقة طريقة عامة أهل الفقه والحديث والتصوف وكثير من أهل الكلام كالكرامية[3] وغيرهم.

والرازى انما يذكر قول الجهمية وقول القدرية، وقد يذكر أحيانا قول الفلاسفة، وان كانوا في هذا الموضع يقاربون طريقة أهل الحديث والفقه والكلام

---

(١) سورة الأنبياء: ١٠٧.
(٢) الأصل (ص): وكذلك. ولعل الصواب ما أثبت.
(٣) الأصل (ص): كالرامية.

الذين يقولون بذلك ، ويقولون بنحو من قولهم في أن تفويت الخير الكثير لأجل الشر القليل شر كثير ؛ كما يذكر في انزال المطر وقت الحاجة ، فانه حكمة ورحمة عامة ، وان كان فيه ضرر لبعض الناس ، وهذا وافق فيه هؤلاء المتفلسفة لمن قاله من نظار المسلمين .

لكن هؤلاء المتفلسفة متناقضون ؛ فانهم يثبتون غاية وحكمة غائية ، ولا يثبتون ارادة ، والجهمية تثبت أنه سبحانه مريد ، ولا تثبت له حكمة فعل لأجلها ، وكل من القولين متناقض .

ثم المتفلسفة نفاة الصفات يجعلون عنايته هي ارادته ، وارادته[1] هي علمه ، ثم يقولون : " العلم هو العالم أو المعلوم " فهم متناقضون في اثبات الصفات .

بخلاف أئمة المسلمين فانهم لا تناقض في أقوالهم : التي اتبعوا فيها الرسول صلى الله عليه وسلم ؛ فان ذلك جاء من عند الله ، وما جاء من عند الله لا اختلاف فيه ، وانما الاختلاف فيما جاء من عند غيره ؛ قال تعالى : (أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا)[2] .

ولهذا كل طائفة كانت الى النبوات أقرب كانت أقل اختلافا ، وكل ما كثر بعدها كثر اختلافها ؛ فالمتفلسفة لما كانوا أبعد من [أهل][3] الكلام عن النبوات كانوا أكثر اختلافا ، فان لهم من الاختلاف في الطبيعيات والرياضيات مالا يكاد يحصيه الا الله ، وأما اختلافهم في الالهيات فأعظم .

والشيعة لما كانوا من أجهل الطوائف المنسوبين الى الملة[4] ، كانوا أكثر اختلافا من جميع الطوائف ، ثم المعتزلة أكثر اختلافا من المثبتة للصفات والقدر ، ثم المثبتة المتكلمون فيهم من الاختلاف مالا يوجد في أهل العلم بالسنة

---

(١) الأصل (ص) : وارادة .
(٢) سورة النساء : ٨٢ .
(٣) أهل : ليست في الأصل (ص) ، ولعلها ساقطة .
(٤) الملة : في الأصل (ص) غير واضحة وكذا استظهرتها .

المحضة والحديث وأقوال السلف .

فان هؤلاء أبعد الطوائف عن الاختلاف في أصولهم ؛ لأنهم أكثر اعتصاما بالكتاب والسنة من غيرهم ، وبطريقتهم تنحل الاشكالات الواردة على طريقة غيرهم ، كما نبهنا عليه في غير مسألة من المسائل الكبار ،منها مسألة " القادر المختار "(١).

وهكذا سائر المطالب الالهية ، من عرف ماقاله النظار فيها من أهل الكلام والفلسفة وغيرهم ، وماجاء به القرآن في ذلك - تبين له من فضل طريقة القرآن وسلامتها عن التناقض والفساد مالا يقدر قدره الا رب العباد .

طريقة القرآن في صفات الله تعالى اثباتا ونفيا
ج ٨٣

ومعلوم أن الصفات نوعان : اثبات ونفي ؛ فصفات الاثبات كالحياة والعلم/ /والقدرة ،والنفي تنزيه الرب تعالى عن الشركاء والأولاد وسائر النقائص .

وطريقة القرآن في ذلك اثبات صفات الكمال لله تعالى على وجه التفصيل، مع تنزيهه عن التمثيل . والتنزيه يجمعه نوعان :

أحدهما - أنه منزه عن النقائص مطلقا ، ونفس ثبوت الكمال له ينافي النقص.

الثاني - أنه منزه عن أن يكون [له](٢) مثل في شيء من صفات الكمال .

ولهذا كان مذهب سلف الأمة وأئمتها أنهم يصفون الله تعالى بما وصف [به نفسه](٣) وبما وصفه به رسوله : من غير تكييف ولا تمثيل ، ومن غير تحريف ولا تعطيل ، اثبات بلا تمثيل ، وتنزيه بلا تعطيل . كما قال تعالى : (ليس كمثله شيء) . وهذا ابطال للتمثيل ، ثم قال : (وهو السميع البصير)(٤) . وهذا ابطال للتعطيل .

وقال تعالى : (قل هو الله أحد .الله الصمد .لم يلد ولم يولد . ولم يكن له كفوا أحد) . وقد بينا [في](٥) تفسير هذه السورة ، وفي تحقيق أنها تعدل

---

(١) سبق ذلك ، ص.٣٥٣.
(٢) له : ليست في الأصل (ص) ،وهي ساقطة .
(٣) عبارة " به نفسه " سقطت من الأصل (ص) . وهي المرادة هنا .
(٤) سورة الشورى : ١١ .
(٥) في : ليست في الأصل (ص) ،ولعلها ساقطة .

ثلث القرآن - أنها تجمع مايستحقه الله تعالى من صفات النفي والاثبات، وأن اسم " الصمد " يتناول ماذكره الوالبي[1] عن ابن عباس أنه :العليم الكامل في علمه ، القدير الكامل في قدرته ، الحكيم الكامل في حكمته ،الرحيم الكامل في رحمته . واسم " الأحد " ينفي أن يكون له مثل ، سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا . -

والرسل صلوات الله عليهم وسلامه جاءوا باثبات مفصل ونفي مجمل : فأثبتوا أن الله سبحانه حي ، عليم ، قدير ، سميع ، بصير ، رؤوف ، رحيم، الى سائر ماذكره الرب من أسمائه وصفاته .

وفي النفي : (ليس كمثله شيء[2]) ، (هل تعلم له سميا[3]) ، (فلا تضربوا لله الأمثال[4]) ، (فلا تجعلوا لله أندادا[5]) ، (لم يلد ولم يولد . ولم يكن له كفوا أحد[6]) ، (ولم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك[7]) . ونحو ذلك .

---

(١) الوالبي أحد الرواة عن ابن عباس، وهو أبو خالد هرمز مولى بني والبة من بني أسد ، من أهل الكوفة ، ثقة ،مات سنة ١٠٠ .
انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد ٦ / ٢٢٨ ؛ تهذيب الكمال في أسماء الرجال للمزي ٣ / ١٤٠١ ؛ تهذيب التهذيب ١٢ / ٨٣- ٨٤ .
وقد رجعت الى عدد من كتب التفسير ،ولم أجد نقلا للوالبي عن ابن عباس في تفسير الصمد .
ولكن فيها عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال :الصمد السيد الذى قد كمل في سؤدده ، والشريف الذى قد كمل في شرفه ، والعظيم الذى قد كمل في عظمته ،والحليم الذى قد كمل في حلمه ،والغني الذى قد كمل في غناه ، والجبار الذى قد كمل في جبروته ،والعالم الذى قد كمل في علمه ، والحكيم الذى قد كمل في حكمته ، وهو الذى قد كمل في أنواع الشرف والسؤدد ، وهو الله سبحانه هذه صفته ، لا تنبغي الا له .
انظر ذلك في تفسير الطبرى ٣٠ / ٢٢٣ ،وهو في الدر المنثور ٦ / ٤١٥ نقلا عن ابن المنذر، وابن أبي حاتم ،وأبي الشيخ في العظمة ،والبيهقي في الأسماء والصفات ، وذكره ابن تيمية في جواب أهل العلم والايمان ،ص ١٤٣ ،وتفسير سورة الصمد ، ص ٢٢٠ ضمن الجزء السابع عشر من مجموع الفتاوى (ط. الرياض) .
وعلي هو أبو الحسن علي بن أبي طلحة سالم بن المخارق الهاشمي ، مات سنة ١٤٣ ، قال عنه ابن حجر في تقريب التهذيب ٢ / ٣٩ "صدوق قد يخطيء ، سكن حمص ،أرسل عن ابن عباس ولم يره " .
وانظر عنه أيضا تهذيب الكمال ٢ / ٩٧٤ - ٩٧٥ ، تهذيب التهذيب ٧ / ٣٣٩ - ٣٤١ .

(٢) سورة الشورى : ١١ .
(٣) سورة مريم : ٦٥ .
(٤) سورة النحل : ٧٤ .
(٥) سورة البقرة : ٢٢ .
(٦) سورة الصمد : ٣ ، ٤ .
(٧) سورة الفرقان : ٢ .

تضمن النفي اثبات الكمال

والنفي انما يدل على عدم المنفي ، والعدم المحض ليس بشيء أصلا ، فضلا عن أن يكون كمالا ، وانما يكون كمالا اذا استلزم أمرا وجوديا .

فلهذا لم يصف الرب تعالى نفسه بشيء من النفي الا اذا تضمن ثبوتا ؛

بيان ذلك في آية الكرسي

كقوله تعالى : (الله لا اله الا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم)[1] ؛ فقوله : (لا تأخذه سنة ولا نوم) . يتضمن كمال حيوته وقيوميته ، فان النوم أخو الموت ، ومن تأخذه السنة والنوم لا يكون قيوما : قائما بنفسه ، مقيما لغيره ؛ فان السنة والنوم يناقض ذلك .

ثم قال تعالى : (له مافي السموات ومافي الأرض من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه)[1] . فنفي شفاعة أحد عنده الا باذنه يتضمن كمال كونه له مافي السموات ومافي الأرض ، ليس له في ذلك شريك ولا ظهير ، فان الشافع اذا شفع عند غيره بغير اذنه كان شريكا له فيما شفع فيه ، وكان متصرفا فيه اذ جعله فاعلا بعد أن لم يكن ، فكان في نفي هذه الشفاعة قد بين [أنه][2] لا شريك / له بوجه من الوجوه ، وأنه الصمد الذى يحتاج اليه كل شيء ، ولا يحتاج الى شيء ، ولا يؤثر فيه غيره .

ظ ٨٣

واذا ألهم العباد الدعاء وأجابهم ، وألهمهم العمل وأثابهم : فالجميع منه ، هو الذى خلق الأسباب والمسببات ، لم يكن ماسواه مؤثرا فيه ، بل هو الجاعل لبعض الأمور سببا لبعض .

ومن شفع عنده بغير اذنه الشرعي فهو وان كان سبحانه خالقا لفعله ، فان شاء قبل شفاعته ، وان شاء لم يقبل ، بخلاف من أذن له أن يشفع ؛ كما يأذن لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم يوم القيامة أن يشفع في الناس .

والمشركون بالمخلوقات ، الذين يعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون : " هؤلاء شفعاؤنا عند الله " من المشركين بالملائكة والأنبياء والشيوخ

---

(١) سورة البقرة : ٢٥٥ .
(٢) أنه : ليست في الأصل (ص) ، ولعلها ساقطة .

الصالحين وغيرهم - يظن أحدهم أن الذى اتخذه شفيعا لـه[1] عند الله تعالى، أنه يشفع له بدون [اذن][2] الله الشرعي ، وأن الله يقبل شفاعته لوجاهته عنده، كما يقبل الانسان شفاعة من يكرم عليه ، وأن يشفع عنده بدون اذنه. فأبطل الله تعالى هذه الشفاعة التي أثبتها المشركون ، فقال تعالى في كتابه : (وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئا الا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى)[3] .

ولهذا أعظم الخلق جاها عند الله ، وأكملهم شفاعة ، محمد صلى الله عليه وسلم تسليما وعلى آله ، لا يشفع يوم القيامة الا باذن الله له في الشفاعة ، كما نطقت بذلك الأحاديث الصحيحة ؛ فقال في الحديث الصحيح : (لا ألفين أحدكم يأتي يوم القيامة ، على رقبته [بعير][4] له رغاء ، أو شاة لها ثغاء[5] ، فيقول : يارسول الله ، أغثني . فأقول : لا أملك لك من الله شيئا ، قد أبلغتك)[6] . وقال في الحديث الصحيح : (يافاطمة بنت رسول الله ، لا أغني عنك من الله شيئا ، ياعباس عم رسول الله ، لا أغني عنك من الله شيئا ، ياصفية عمة رسول الله لا أغني عنك من الله شيئا ، سلوني من مالي ماشئتم)[7] .

وفي الحديث الصحيح أنه قال له أبو هريرة : من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة ؟ فقال : (من قال : " لا اله الا الله ، خالصا من قلبه)[8] . فان أحق الناس

---

(١) الأصل (ص) : له من ، ولعل " من " زيدت خطأ .
(٢) اذن : ليست في الأصل (ص) وهي ساقطة .
(٣) سورة النجم : ٢٦ .
(٤) بعير : سقطت من الأصل (ص) .
(٥) ثغاء : في الأصل (ص) رسمت الكلمة : رعا ، بلا نقاط .
(٦) هذا بعض من حديث رواه أبو هريرة ، وأخرجه مسلم في صحيحه ٣ / ١٤٦١ رقم ١٨٣١ كتاب الامارة ، باب غلظ تحريم الغلول ؛ وأحمد في مسنده (ط. الحلبي) ٢ / ٤٢٦ .
(٧) الحديث رواه عن عائشة وعن أبي هريرة ، مسلم في صحيحه ١ / ١٩٢ رقم ٢٠٥ ورقم ٢٠٦ كتاب الايمان ، باب في قوله تعالى : (وأنذر عشيرتك الأقربين) سورة الشعراء : ٢١٤ ؛ والترمذى في سننه (تحفة الأحوذى ٩ / ٤٠ - ٤٢) تفسير القرآن ، سورة الشعراء .
(٨) روى الحديث البخارى في الصحيح (فتح البارى ١ / ١٩٣ رقم ٩٩ كتاب العلم ، باب الحرص على الحديث ، ١١ / ٤١٨ رقم ٦٥٧٠ كتاب الرقاق ، باب صفة الجنة والنار ؛ وأحمد في المسند (ط. الحلبي) ٢ / ٣٧٣ .

بشفاعته من كان أكملهم اخلاصا، فان من كان اخلاصه أكمل كان أقرب الى رحمة الله، فيأذن في الشفاعة له.

ثم قال تعالى: (يعلم مابين أيديهم وماخلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء[1]). وهذا النفي يتضمن كمال علمه؛ فانه سبحانه اذا كان عالما بما بين أيديهم وماخلفهم، وعلموا هم ماعلمه بلا مشيئته[2] كانوا نظراء له في العلم، فلما قال: (ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء). وعلمه محيط بكل شيء؛ بين أنه لا علم لأحد الا ماعلمه اياه، فهو الذى خلق، خلق الانسان من علق، وهو الذى علم بالقلم، علم / الانسان مالم يعلم، وهو الذى خلق فسوى، والذى قدر فهدى، وهو الذى أعطى كل شيء خلقه ثم هدى.

ج ٨٤

ثم قال تعالى: (وسع كرسيه السماوات والأرض ولا يؤوده حفظهما وهو العلي العظيم[1]) أى لايكرثه[3] ولا يثقله[4]، وهذا بيان لكمال قدرته؛ فان الحافظ للشيء قد يحفظه بكلفة ومشقة، فاذا كان لا يكرثه حفظهما كان ذلك بيانا لكمال قدرته، وأنها في الغاية التي لا يلحقها نقص أصلا.

أمثلة أخرى

ونظير هذا قوله تعالى: (ولقد خلقنا السماوات والأرض ومابينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب[5]). وقوله تعالى: (لا يعزب عنه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض[6]).

وقوله[7] تعالى: (لا تدركه الأبصار[8]). فان الادراك في القول المأثور عن ابن عباس وغيره من السلف، وهو قول أكثر العلماء - هو[9] الاحاطة. ومن قال: " هو

---

(١) سورة البقرة: ٢٥٥.
(٢) الأصل (ص): مسيه . بدون نقط. ولعل الصواب ما أثبته.
(٣) في لسان العرب، مادة " كرث ": " كَرَثَه الأمرُ يَكرِثُه وَيكرُثُه كَرْثا، وأكْرَثه: ساءه واشتد عليه، وبلغ منه المَشَقّة ".
(٤) الأصل (ص): سعل . بدون نقط، والصواب ما أثبته.
(٥) سورة ق: ٣٨.
(٦) سورة سبأ: ٣.
(٧) الأصل (ص): قوله . بدون الواو، ولعل الصواب اثباتها.
(٨) سورة الأنعام: ١٠٣.
(٩) الأصل (ص): وهو . ولعل الصواب اسقاط الواو.

مجرد الرؤية " غلط ؛ فان نفي مجرد الرؤية لا يتضمن مدحا ولا كمالا ، فان المعدوم لا يرى ، ومايوصف به المعدوم لا يكون كمالا ولا مدحا ، بخلاف ما اذا قيل : لا تدركه الأبصار، فانه يدل على أنه يرى ولا يحاط به رؤية ، كما أنه يعلم ولا يحاط به علما ، وهذا يتضمن من المدح ماسبب ذكر الله تعالى له في سياق مدحه لنفسه سبحانه وتعالى .

طريقة العادلين عن الكتاب والسنة في صفات الله

وأما من عدل عن طريقة الكتاب والسنة من أهل الكلام المحدث ، فانهم لا يذكرون في تنزيهه عن النقائص قولا مطردا مستقيما ، بل أقوالهم متناقضة ؛ فانهم يذكرون في النفي أنه ليس بجوهر، ولا جسم، ولا متحيز ، ونحو ذلك من العبارات . ثم ماينفونه من الصفات يقولون : لأن هذا يستلزم أن يكون جوهرا أو جسما أو عرضا[1] ، وهذا محال . ثم ثم يثبتون من الصفات مايلزم فيه نظير مايلزم فيما نفوه ، واذا لزمهم فيما أثبتوه نظير مايلزم فيما نفوه لزمهم اما النفي المطلق وهو التعطيل المحض ، واما أن يكون ماذكروه[2] من الدليل على مانفوه باطلا .

مناقشتهم

مثال ذلك ، أن يقال لمن وصفه بالارادة ، وقال : لا أصفه بالمحبة والرحمة والرضا والغضب ، الا اذا تأولت ذلك بالارادة . قال : لأن هذه الصفات تستلزم التجسيم ؛ لأن الغضب غليان دم القلب لطلب الانتقام ، والرحمة رقة تلحق الراحم ، والرقة من صفات الأجسام ، ونحو ذلك .

قيل له : وكذلك الارادة هي ميل النفس الى جلب ماينفعها ، ودفع مايضرها والله منزه عن ذلك .

فان قال : هذه ارادة الانسان ، وارادة الخالق سبحانه بخلاف ذلك .

قيل له : وكذلك ماذكرته في الغضب والرحمة ونحو ذلك ، انما هو في غضب العبد ورحمته ونحو ذلك ، وغضب الله ورحمته بخلاف ذلك .

ظ ٨٤

/ فاذا قال : أنا لا أعقل الرحمة والغضب إلا مايوجد في الشاهد ، واللفظ لا تدل حقيقته الا على مايتصف به الشاهد .

---

(١) الأصل (ص) : أن يكون جوهر أو جسم أو عرض . وهو خطأ .
(٢) الأصل (ص) : ماذكره .

قيل له: وكذلك في الارادة ،بل وفي السمع ، والبصر، والكلام ، والعلم، والقدرة ،والحياة ، لا يعقل في ذلك الا ماهو موجود في الشاهد ، واللفظ لا يدل على حقيقة الا على مايتصف به الشاهد ،فما ادعيته في نفي ذلك من قياس وتأويل يلزمك ذلك في نظيره في ذلك .

فاذا قال : أنا لا ألتزم مذهب الصفاتية ، بل أقول بقول نفاة الصفات؛ فأثبت الأسماء وأنفي الصفات ؛ وأقول : هو حي عليم قدير ،من غير أن يكون له حيوة وعلم وقدرة ، ولا أثبت له ارادة تقوم به، ولا كلاما يقوم به .

قيل له : هذا المذهب ،تصوره التام يكفي في العلم بفساده ؛ فان اثبات حي لا حيوة له، وعالم لا علم له ،وقادر لا قدرة له ، كاثبات مريد لا ارادة له، ومتكلم لا كلام له ،ومتحرك لا حركة له، وأنواع ذلك . بل واثبات متكلم ومريد لم يقم به كلام ولا ارادة، كاثبات متحرك ومصل وطائف لم تقم به حركة ولا صلاة ولا طواف.

وان قال : هذا يلزمكم نظيره في كونه خالقا وعادلا .

قيل : مذهب سلف الأمة وأئمة السنة وجمهور المسلمين أن الله تقوم به الصفات الفعلية ، وأن الخلق ليس هو نفس المخلوق . ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول : (اللهم اني أعوذ برضاك من سخطك ، وبمعافاتك من عقوبتك ، وأعوذ بك منك ،لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك)(١). كما كان يقول : (أعوذ بكلمات الله التامة من شر ما خلق)(٢). وهذا مما استدل به أئمة

---

(١) تقدم تخريج هذا الحديث ، ص ٢٣٥ ت ١ .

(٢) ورد الأمر بهذا الدعاء في أحاديث ،منها حديث خولة بنت حكيم السلمية قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (من نزل منزلا ثم قال :أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق ، لم يضره شيء حتى يرتحل من منزله ذلك) .
الحديث في صحيح مسلم ٤/ ٢٠٨٠-٢٠٨١ رقم ٢٧٠٨ كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار باب في التعوذ من سوء القضاء، ودرك الشقاء وغيره؛ وسنن الترمذي (تحفة الأحوذي ٩/ ٣٩٦ - ٣٩٧)كتاب الدعوات ، باب ما جاء ما يقول اذا نزل منزلا ؛ ومسند أحمد (ط. الحلبي)٦/ ٣٧٧، ٤٠٩ ؛ والموطأ ٢/ ٩٧٨ رقم ٣٤ كتاب الاستئذان ،باب ما يؤمر به من الكلام في السفر.
ومنها حديث أبي هريرة قال : جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : يارسول الله مالقيت من عقرب لدغتني البارحة . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أما لو قلت حين أمسيت : أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق ، لم تضرك) .
والحديث في صحيح مسلم ٤/ ٢٠٨١ رقم ٢٧٠٩ ؛ وسنن أبي داود (عون المعبود ١٠/ ٣٩٢-٣٩٣/ =

السنة كأحمد بن حنبل وغيره(١) على أن كلام الله غير مخلوق ، وقالوا : انـــه لا يستعاذ بمخلوق . وهذا مبسوط في غير هذا الموضع .

والمقصود هنا أن المعتزلي اذا التزم نفي الصفات ، وقال : ان اثباتهـا تشبيه وتجسيم ؛ لأن الصفات أعراض ، والعرض لا يقوم الا بمتحيز(٢) ، والمعقـول في قيام الصفة بالموصوف كونها بحيث [تكون عرضا لما] هو [جسم متحـيز](٣) .

قيل له : فيلزمك هذا فيما أثبته من الأسماء والأحكام التي تخبر بهـا عنه ؛ فانك تقول : " انه عالم قادر حي " بل البصريون يقولون : " انه سميع بصير " والادراك عندهم أمر زائد على كونه عالما . فيقال : لا يعقل حي عالم قادر في الشاهد الا جسم ، كما لا يعقل حيوة وعلم وقدرة الا أعراض تقوم بجسم .

ج ٨٥

فالقول في الأسماء كالقول في الصفات ، فدعوى المدعي / أن أحدهمـا يستلزم التجسيم دون الآخر تحكم ، وتفريق بين المتماثلين ، فان أمكن اثبات أحدهما بدون اللوازم الباطلة فكذلك الآخر ، وان امتنع في أحدهما امتنـع في الآخر .

فان قال الجهمي المحض ، والنافي الملحد : أنا أنفي الأسماء أيضا كلهـا ، فلا أثبتها حقيقة ولا مجازا ؛ لئلا يلزم التشبيه والتجسيم ، فانني لا أعرف مسمى بهذه الأسماء الا جسما .

/ = كتاب الطب ، باب كيف الرقي ؛ وسنن ابن ماجة ٢/١١٦٢ رقم ٣٥١٨ كتاب الطب ، باب رقيـة الحية والعقرب ؛ ومسند أحمد (ط. المعارف) ١٥/١٥ رقم ٧٨٨٥ ؛ والموطأ ٢/٩٥١ رقـم ١١ كتاب الشعر ، باب ما يؤمر به من التعوذ .
وبمعنى حديث أبي هريرة ورد الحديث عن رجل من أسلم في سنن أبي داود (عون المعبود ١٠/ ٣٩٢) والمسند (ط. الحلبي) ٣/٤٤٨ ، ٥/٤٣٠ . وفي المسند (ط. الحلبي) ٣/٤١٩ عـن عبد الرحمن بن خنبش التميمي أن جبريل قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يا محمد ، قـل . قال (ما أقول ؟) قال : قل أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق .

(١) الأصل (ص) : وغير . ولعل الصواب ما أثبته .
(٢) في الأصل (ص) قبل عبارة " بمتحيز " كتب " بجسم أ. " وخط عليها خط.
(٣) الأصل (ص) : كونها بحيث هو، بلا نقاط . ولعل ما أضفته يفي بالمقصود .

قيل له : فيلزمك نفي الذات ؛ فانك أيضا لا تعرف موجودا قائما بنفسه الا جسما ، ولا قائما[1] بغيره الا عرضا ، والا فالقول في هذا كالقول في هذا .

فان طرد قياسه الفاسد ، والتزم التعطيل المحض ، وجحد الصانع ، كما أظهر ذلك فرعون - قيل له : من المعلوم بضرورة العقل أن الوجود اما قديم واما حادث ، واما[2] واجب بنفسه واما ممكن ، واما مخلوق واما غير مخلوق ، واما غني واما فقير ؛ والحوادث مشهودة ؛ وكل حادث فهو ممكن ، فقير ، مخلوق . والمحدث يستلزم محدثا ، والممكن يستلزم واجبا ، والفقير يستلزم غنيا ، والمخلوق يستلزم خالقا . فقد علم بالاضطرار أن في الوجود ماهو قديم واجب بنفسه غني خالق ، وماهو حادث ممكن فقير مخلوق .

ومعلوم بالاضطرار أنهما وان اتفقا في مسمى "الوجود" ولوازمه فانهما مختلفان من وجوه أخرى ، وأن حقيقة أحدهما مخالفة لحقيقة الآخر ، اذ لو تماثلت[3] الحقيقتان لاشتركا فيما يجب ويجوز ويمتنع ، وكان يلزم الجمع بين النقيضين ؛ فيكون قديما ليس بقديم ، واجبا ليس بواجب ، محدثا ليس بمحدث ، غنيا ليس بغني ، فقيرا ليس بفقير .

فان قيل : انه يلزم من اثبات الأسماء والصفات التشبيه الباطل ، الذى هو التجسيم - لزم من اثبات الذات التشبيه الباطل وهو التجسيم . وان لم يلزم من هذا باطل ، لم يلزم من هذا باطل .

ولما كان الرد بهذه الطريقة باطلا متناقضا لم يجئ الكتاب والسنة بهذه الطريقة ، ولا سلكها السلف والأئمة ، ولا أبطل الله ما افترته اليهود ، بهذه الطريقة ، وقد ذكر الله قولهم : ان الله فقير ، وان الله بخيل .

وقد ثبت في الصحيحين وغيرهما من حديث ابن مسعود رضي الله عنه

---

(١) الأصل (ص) : قائم ، وهو خطأ .
(٢) الأصل (ص) : واما واما ، مكررة .
(٣) الأصل (ص) : تماثلتا .

وغيره : أن اليهود كانوا اذا ذكروا بين يدى النبي صلى الله عليه وسلم شيئا من الصفات المأثورة عن الانبياء يقرها ويضحك تعجبا وتصديقا لما أخبرت به الرسل قبله .[1]

وانما أنكر عليهم ماوصفوه سبحانه به من النقائص : كالفقر والبخل والعجز .

فالذين سلكوا فيما يجب لله ، وفيما يمتنع عليه ، ومايجوز له - هذه الطريقة / المحدثة متناقضون ، لا يطرد لهم قول ، ولا يغنون شيئا بهذه الطريق الا لزمهم فيما أثبتوه نظير ما ألزموه غيرهم فيما نفوه . فان كان انتفاء ذلك اللازم يدل على فساد قوله دل على فساد قولهم ، وان لم يدل على فساد قولهم لم يدل على قوله ، وهذا بين لمن تدبره ، وهو مبسوط في مواضع أخر .

ظ ٨٥

ولكن نبهنا على أن الطريقة التي جاء بها القرآن العزيز في النفي والاثبات هي الحق الذى لا اختلاف [فيه][2] ، وما كان من عند غير الله هو كما قال تعالى : (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا)[3] . وقال

---

(١) في صحيح البخارى (فتح البارى ٨/ ٥٥٠ - ٥٥١ رقم ٤٨١١) كتاب التفسير ، باب (وما قدروا الله حق قدره) سورة الزمر : ٦٧ ، وكرر برقم ٧٤١٤ ، ٧٤١٥ ، ٧٤٥١ ، ٧٥١٣ ؛ وصحيح مسلم ٤/ ٢١٤٧ - ٢١٤٨ رقم ٢٧٨٦ كتاب صفة القيامة والجنة والنار ؛ وسنن الترمذى (تحفة الأحوذى ٩/ ١١٢ - ١١٤) تفسير القرآن ، سورة الزمر ، عن عبدالله بن مسعود أن يهوديا جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يامحمد ان الله يمسك السماوات على اصبع ، والأرضين على اصبع ، والجبال على اصبع ، والشجر على اصبع ، والخلائق على اصبع ، ثم يقول : أنا الملك ، فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه ، ثم قرأ (وماقدروا الله حق تقديره) ، وفي رواية : فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم تعجبا وتصديقا له .
وروى الترمذى أيضا (٩/ ١١٥) نحوه عن ابن عباس ، وقال عنه : " حديث حسن غريب صحيح " .

(٢) فيه : ليست في الأصل (ص) ، ولعلها ساقطة .

(٣) سورة النساء : ٨٢ .

تعالى : (الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله أضل أعمالهم . والذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما نزل على محمد وهو الحق من ربهم كفر عنهم سيئاتهم وأصلح بالهم . ذلك بأن الذين كفروا اتبعوا الباطل وأن الذين آمنوا اتبعوا الحق من ربهم كذلك يضرب الله للناس أمثالهم)[١] .

قدح الرازى في حجة المعتزلة على القول برعاية الحكمة

ثم ذكر الرازى حجة من يقول برعاية الحكمة ، وذكر قدحه فيها ، ونحن نذكر ذلك ونبين أنه ليس بقادح ، وانما ذكر حجة المعتزلة ، وأما حجج أهل السنة فكثيرة ، لكن نذكر ماذكره .

قال[٢] : " واحتج الخصم على مذهبه بأنه تعالى عالم بقبح القبائح ، وعالم بكونه غنيا[٣] عنها[٤] ، وكل من كان كذلك امتنع أن يكون فاعلا[٥] للقبيح .

أما المقدمة الأولى - وهي قولنا[٦] : انه تعالى[٧] عالم بقبح القبائح ، وعالم بكونه غنيا عنها[٨] . فهذه المقدمة مبنية على ثلاث مقدمات :

أحدها[٩] - أن القبائح انما تقبح لوجوه عائدة اليها .

وثانيها - أنه تعالى منزه عن جميع الحاجات .

وثالثها - أنه[١٠] عالم بجميع المعلومات .

واذا[١١] ثبتت هذه المقدمات الثلاث ظهر أنه تعالى غني عن فعل كل القبائح ، وأنه تعالى عالم بكونه غنيا[١٢] عنها .

---

(١) سورة محمد : ١ - ٣ .
(٢) في كتاب " الأربعين " ص ٢٥١ - ٢٥٢ .
(٣) الأصل (ص) : غني .
(٤) الأربعين : عنه .
(٥) الأصل (ص) : فاعل .
(٦) الأصل (ص) : قلنا . والمثبت من " الأربعين " .
(٧) تعالى : ليست في " الأربعين " .
(٨) الأربعين : عنه .
(٩) الأربعين : احداها .
(١٠) الأربعين : أنه تعالى .
(١١) واذا : كذا في الأربعين ، وفي الأصل (ص) : اذا ، بسقوط الواو .
(١٢) الأصل (ص) غني .

وأما المقدمة الثانية ـ وهو[1] أن كل من كان غنيا عن القبائح، وكان عالما بكونه غنيا عنها، فانه يستحيل أن يفعل القبيح. وقد ذكر الرازي في تقريرها طريقين[2]:

الأول[3] ـ أنها بديهة العقل، فعلم[4] أن جهة القبح جهة صرف عن الفعل، لا جهة دعاء اليه. فاذا حصل العلم بكونه قبيحا، ولم يصر هذا[5] الصارف معارضا بداعية الشهوة والحاجة ـ بقي الصارف خالصا[6] عن معارضة الداعي؛ فوجب أن يمتنع الفعل.

الطريق الثاني ـ وهو أنا نثبت هذه المقدمة في الشاهد، ثم نقيس الغائب على الشاهد، أما اثباتها في الشاهد فلأنا اذا قلنا لانسان[7] كامل العقل: "ان صدقت أعطيناك دينارا، وان كذبت أعطيناك دينارا" وفرضنا حصول الاستواء بين الصدق والكذب في جميع منافع الدنيا والآخرة، وفي جميع مضارهما[8] من المدح والذم، والثواب والعقاب، وسهولة اللفظ[9] بتلك اللفظة / وصعوبته ـ فان في هذه الصورة نعلم بالضرورة أنه يرجح الصدق على الكذب، وذلك يدل على أن جهة الحسن جهة دعاء، وجهة القبح جهة صرف.

ج ٨٦

واذا ثبت هذا في الشاهد فنقيس الغائب عليه، فنقول[10]: هذا الترجيح لابد فيه من علة، وتلك[11] العلة ليست الا علمه بأن هذا حسن، وبأن ذاك[12]

---

(١) الأربعين: أما المقدمة الثانية فهي.
(٢) الأربعين: .. أن يفعل القبيح، فقد ذكروا في تقرير هذا طريقين.
(٣) الأصل (ص): الأولى، والمثبت من "الأربعين".
(٤) الأربعين: الأول ـ أنا ببداهة العقل نعلم.
(٥) الأربعين: هذه.
(٦) الأربعين: خاليا.
(٧) لانسان: كذا في "الأربعين"، وفي الأصل (ص): الانسان.
(٨) مضارهما: كذا في "الأربعين"، وفي الأصل (ص): مضارها.
(٩) الأربعين: التلفظ.
(١٠) الأربعين: فنقيس عليه الغائب ونقول.
(١١) الأربعين: فتلك.
(١٢) الأربعين: حسن وذلك.

قبيح ، لأنا كلما[1] علمناه قبيحا علمنا هذه المرجوحيه ، وكلما علمناه حسنا علمنا هذه الراجحيه . فلما دار العلم بأحدهما مع العلم بالآخر وجودا وعدما علمنا أن العلة في هذا البعث وفي [هذا[2]] المنع ليس الا العلم بهذه[3] الجهة ، واذا كان [هذا[4]] العلم حاصلا في حق الله تعالى وجب أن يترتب عليه[5] هذا البعث وهذا المنع ".

ثم قال[6] : " هذا[7] غاية تقرير كلام المعتزلة في هذه المسألة ".

قال[8] : " والجواب أما المقدمة الأولى من هذا الدليل فهي مبنية على أن الحسن والقبح انما يثبتان لوجوه عائدة الى الفعل ، وقد أبطلنا هذه القاعدة ، سلمنا أنه سبحانه[9] عالم بقبح القبيح ، وعالم بكونه غنيا عنه[10] ، فلم قلتم : ان كل من كان كذلك فانه لا يفعل القبيح ؟ .

وتقريره ، أنكم اما أن تقولوا : " ان كل من كان كذلك فانه يمتنع مع هذه الحال[11] أن يفعل القبيح " أو لا تدعو الامتناع العقلي ، فان ادعيتم الامتناع العقلي ، لم يكن الله[12] قادرا مختارا ؛ لأن الاستغناء والعلم بالاستغناء[13] من لوازم ذاته [وترك القبيح من لوازم هذا الاستغناء وهذا العلم ، ولازم اللازم لازم[14]] فترك القبيح من لوازم الذات المخصوصة .

---

(١) لأنا كلما : كذا في " الأربعين " ، وفي الأصل (ص) : لا كلما .
(٢) هذا : سقطت من الأصل (ص) ، وأثبتها من " الأربعين ".
(٣) بهذه : كذا في " الأربعين " ، وفي الأصل (ص) بهذا .
(٤) هذا : سقطت من الأصل (ص) ، وأثبتها من " الأربعين ".
(٥) عليه : كذا في " الأربعين " ، وفي الأصل (ص) : عله .
(٦) بعد الكلام السابق مباشرة ، ص ٢٥٢ .
(٧) الأربعين : وهذا .
(٨) بعد الكلام السابق مباشرة ، ص ٢٥٢ - ٢٥٣ .
(٩) أنه سبحانه : كذا في الأصل (ص) ، وفي " الأربعين " أنه تعالى .
(١٠) عنه : سقطت من " الأربعين ".
(١١) الأربعين : الحالة .
(١٢) الأربعين : الله تعالى .
(١٣) الأربعين : والعلم بذلك الاستغناء .
(١٤) مابين القوسين المعكوفين ساقط من الأصل (ص) ، وأثبته من " الأربعين ".

وإذا كان كذلك كان ترك القبيح أمرا واجبا بالذات ، ممتنع العدم ، وإذا كان ترك القبيح [أمرا][1] واجبا بالذات كان ايصال الثواب الى المستحق أمرا واجبا وجوبا بالذات[2] ، لأن تركه لما كان قبيحا ممتنعا بالذات كان فعله فعلا واجبا بالذات ، فحينئذ يلزم أن تكون ذاته تعالى موجبا لحصول الثواب ووصوله الى المستحق ، وأن لا يكون قادرا على الترك أصلا .

فاثبات الحكمة على هذا الوجه يقدح في كونه قادرا ؛ لأن[3] الحكمة مفرعة[4] على كونه قادرا ، والفرع اذا استلزم فساد الأصل كان باطلا ، فالقول بالحكمة يجب أن يكون باطلا على هذا القول .

وأيضا اذا كان الفعل موقوفا على الداعي لزم الجبر ، واذا لزم الجبر كان الله تعالى فاعلا لجميع أفعال العباد ، بواسطة خلق القدرة والداعي الموجبين[5] لها ، واذا كان كذلك امتنع أن يقال : انه تعالى لا يفعل هذه الأفعال .

وأما القسم الثاني ، وهو أن تقولوا : ان كونه تعالى غنيا مع كونه عالما بكونه غنيا لا ينافي فعل القبيح ، ولم يكن بين حصول هذا الفعل وحصول ذلك الوصف منافاة ولا معاندة أصلا . وحينئذ[6] يتعذر الاستدلال بذلك الوصف على أنه تعالى لا يفعل القبيح ، لأن كل مالم يكن فيه امتناع لا يلزم[7] من فرض وجوده[8] محال ولا فساد . فهذا / سؤال صعب على ماذكروه ".

ظ ٨٦

رد ابن تيمية

قلت : فهذا كلام الرازي بلفظه[9] ، وهو غاية ماعنده من الجواب ، قوله[10] : " أما المقدمة[11] من هذا الدليل ، فهي مبنية على أن الحسن والقبح انما

---

(١) أمرا : سقطت من الأصل (ص) ، وأثبتها من " الأربعين " .
(٢) بالذات : كذا في " الأربعين " ، وفي الأصل (ص) : الذات .
(٣) الأربعين : الا أن .
(٤) مفرعة : كذا في " الأربعين " . وفي الأصل (ص) : مفروعة .
(٥) الأربعين : الموجب .
(٦) الأربعين : فحينئذٍ .
(٧) الأربعين : لم يلزم .
(٨) وجوده : كذا في " الأربعين " . وفي الأصل (ص) : وجود .
(٩) الأصل (ص) : بلفظ .
(١٠) قوله : في الأصل (ص) رسمت هكذا : قاله .
(١١) في نقل ابن تيمية للنص قبل قليل : أما المقدمة الأولى .

يثبتان لوجوه عائدة الى الفعل ، وقد أبطلنا هذه القاعدة ". فيقال : قولك : " أبطلنا هذه القاعدة " ممنوع ، كما سيأتي ان شاء الله تعالى .

وقد تعقب أبو الحسن الآمدى ، فذكر ما احتج به أصحابه كلهم في هذه المسألة ، وبين فساده ، واحتج بما هو أضعف مما ذكره غيره ؛ فقال : "ان الحسن والقبح عرض ، والفعل عرض ، والعرض لا يقوم بعرض[(١)] " .

فيقال له : لا ريب أن الأعراض توصف ؛ فيقال : حركة سريعة وبطيئة ، وبياض شديد وضعيف ، ومحبة قوية وضعيفة ، واعتقاد مطابق وغير مطابق ، وقول صادق وكاذب ، وأمر رشيد وغير رشيد . والأفعال باعتبار كونها ملائمة للفاعل ومنافرة له : حسنها وقبحها[(٢)] صفتان ثابتتان للأفعال باتفاق العقلاء ، فعلم أنه لا يمتنع عند أحد في العقل أن تكون للفعل صفة باعتبارها كان حسنا وقبيحا ، فمن نفى القبح[(٣)] العقلي مطلقا بناء على أن الفعل لا يوصف بصفة من الصفات فقد خالف اجماع العقلاء .

ثم الذين قالوا : " ان العرض لا يقوم بالعرض " مرادهم أن كلا العرضين يقومان بالعين القائمة بنفسها ، كما تسمى " جسما " و " جوهرا " ، وحينئذ فيكون الحسن والقبح مع الفعل صفات قائمة بالفاعل ، لكن احدى الصفتين مشروطة بالأخرى .

ثم يقال : لو لم يكن حسن الفعل وقبحه لمعنى يعود اليه ، للزم ترجيح الشارع لأحد المتماثلين على الآخر بلا مرجح ، ولجاز أن يأمر[(٤)] بالشرك والكذب والكفر ، وينهى عن الصدق والعدل والتوحيد ، ولكان لا فرق بين هذا وهذا ، ولا فرق بين النهي[(٥)] عن المعروف والأمر بالمنكر ، وبين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ولا بين تحليل الطيبات وتحليل الخبائث ، ولا بين تحريم الخبائث وتحريم الطيبات ، ولم يكن مدح الرسول صلى الله عليه وسلم بأنه يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، ويحل الطيبات ويحرم الخبائث ، الا بمنزلة أن يقال : يأمر بما يأمر به ، وينهى عما ينهى عنه ،

---

(١) انظر كلام الآمدى في ذلك في كتابه " غاية المرام في علم الكلام " ، ص ٢٣٤ ومابعدها .
(٢) الأصل (ص) : وقبهما .
(٣) الأصل (ص) : القبيح .
(٤) الأصل (ص) : يؤمر . ولعل الصواب ما أثبت .
(٥) الأصل (ص) : المنهى . ولعل الصواب ما أثبت .

ويحل مايحل ، ويحرم مايحرم ، ولكان يجوز أن يأمر الله تعالى بالفحشاء ، ويحب الفساد ، ويرضى لعباده الكفر ، اذ الجميع[1] عند النفاة [سواء[2]] ، لم يختص بعضها بصفة يكون لأجلها لا حسنة مأمورا بها محبوبة ، ولا سيئة منهيا عنها مكروهة . وهذا مما يعلم بطلانه بالاضطرار عقلا وشرعا .

ج ٨٧ ولوازم هذا القول الفاسد أكثر من أن يمكن حصرها / فان هذا القول مبناه على أن جميع الأعيان والأفعال سواء في نفس الأمر ، ليس بعضها صفة توجب أن يفضل بها على الأخرى حتى يحب الله تعالى هذا ويأمر به ، ويبغض هذا وينهي عنه .

ومن تدبر القرآن العزيز وجده مخالفا لهذا القول ، بل هذا مخالف لما فطر الله تعالى عليه العقلاء ، ولهذا لم يعرف هذا القول عن أحد من سلف الأمة وأئمتها الأربعة ولا غيرهم . بل قد ذكره[3] أبو نصر السجزي[4] وأبو القاسم سعد بن علي الزنجاني[5] ، وغيرهما من أهل الحديث والسنة - من البدع المحدثة في الاسلام ، وأضافوه الى أبي الحسن ، وعدوه مما ينكر على أبي الحسن .

قال تعالى : (أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض أم نجعل المتقين كالفجار)[6] . وقال تعالى : (أفنجعل المسلمين كالمجرمين . مالكم كيف تحكمون)[7] . وقال تعالى : (أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء مايحكمون)[8] .

---

(١) الأصل (ص) : الجميع.

(٢) سواء : ليست في الأصل (ص) ، ولعلها ساقطة .

(٣) الأصل (ص) : ذكر ، ولعل الصواب ما أثبته .

(٤) هو أبو نصر عبيد الله بن سعيد بن حاتم الوائلي البكري السجزي ، نسبة الى سجستان ، سمع الكثير بخراسان والحجاز والشام والعراق ومصر ، وتوفي بمكة سنة ٤٤٤ ، وكان متقنا مكثرا بصيرا بالحديث.
انظر : تذكرة الحفاظ ٣/١١١٨-١١٢٠ ؛ البداية والنهاية ١٢/ ١١٧ ؛ شذرات الذهب ٣/ ٢٧١-٢٧٢ ؛ الأعلام ٤/١٩٤ .

(٥) هو أبو القاسم سعد بن علي بن محمد بن علي بن الحسين الزنجاني ، رحل الى الآفاق ، وسمع الكثير، وكان اماما حافظا متعبدا ، انقطع في آخر عمره بمكة ، وتوفي سنة ٤٧١ .
انظر : تذكرة الحفاظ ٣/ ١١٧٤-١١٧٨ ؛ البداية والنهاية ١٢/ ١٢٠ ؛ شذرات الذهب ٣/ ٣٣٩ - ٣٤٠ .

(٦) سورة ص : ٢٨ .

(٧) سورة القلم : ٣٥، ٣٦ .

(٨) سورة الجاثية : ٢١ .

هنا ينتهي ما انفردت به (ص) الذى بدأ صفحة ٣٤٧ . وبه تنتهي هذه المخطوطة . ونعود الآن الى نسخ (خ ، س ، ك) ، وقد تركناها مع بدأ هذه الزيادة التي انفردت بها (ص) . وسأعتمد (ك) أصلا وأقابل الأخريين عليها ، والكلام الآتي يبدأ في (ك) ص ٢٣ .

ص ٢٣

/ فصـــل

دليل الأصبهاني على "حياة الله"

وأما قوله : " والدليل على أنه حي علمه وقدرته ؛ لاستحالة قيام العلم والقدرة بغير الحي ".

شرح ابن تيمية

فهذا دليل مشهور للنظار ؛ يقولون : قد علم أن من شرط العلم والقدرة الحياة ؛ فان ماليس بحي يمتنع أن يكون عالما ، اذ الميت[1] لا يكون عالما ، والعلم بهذا ضروري .

وقد يقولون : هذه الشروط العقلية لا تختلف شاهدا ولا غائبا ، فتقدير عالم لا حياة به ممتنع بصريح العقل .

دليل الأصبهاني على "ارادة الله"

وكذلك قوله : " والدليل[2] على ارادته تخصيصه الأشياء بخصوصيات[3] ، واستحالة المخصص من غير مخصص ".

شرح ابن تيمية

فان هذا دليل مشهور للنظار ، ويقرر هكذا[4] : ان العالم[5] فيه تخصيصات كثيرة ؛ مثل تخصيص كل شيء بما له من القدر والصفات والحركات : كطوله وقصره ، وطعمه ولونه وريحه ، وحياته وقدرته وعلمه ، وسمعه وبصره ، وسائر مافيه ، مع العلم الضروري بأنه من الممكن أن يكون خلاف ذلك ؛ اذ ليس واجب الوجود بنفسه . ومعلوم أن الذات المجردة التي لا ارادة لها لا تخصص ، وانما يكون التخصيص بالارادة .

ولو قيل : التخصيص هو بأسباب معلومة ؛ كالأرض والأشجار تكون مختلفة ، فاذا سقيت بماء واحد اختلفت ثمارها لاختلاف القوابل ، كما أن الشمس تختلف آثارها بحسب القوابل ، كما تبيض الثوب ، وتُسوِّد وجه القَصَّار[6] ، وتلين اليابس

---

(١) الميت : كذا في (ك) ، وفي (خ ، س) : الموات .
(٢) والدليل : كذا في (ك) ، وفي (خ ، س) : والدلالة . وأمام هذا الموضع كتبت في (ص) : بحث الارادة .
(٣) س : لخصوصيات .
(٤) هكذا : كذا في (ك) ، وفي (خ ، س) : هذا .
(٥) س : للعالم .
(٦) في " لسان العرب " مادة " قصر " : " القَصَّار والمُقَصِّر : المُحَوِّر للثياب لأنه يَدُقُّها بالقَصَرَة التي هي القطعة من الخشب وحرفته القِصارَة ".

الذى لم ينضج بما تجذبه[1] اليه من الرطوبة، وتجفف الرطب الذى كمل نضجه لانقطاع الرطوبة عنه .

قيل : هب أن الأمر كذلك، فما الموجب لاختلاف القوابل ،حتى خصت هذه الشجرة وهذا الجسم بسبب آخر؟ فلابد أن ينتهي الأمر الى سبب لا سبب فوقه .

فان قيل : هو شيء صدر عنه، كما تقول المتفلسفة : لا يصدر عن الواحد الا واحد ،والصادر الأول هو العقل ، وصدر عن العقل عقل ونفس وفلك .

فهذا باطل؛ لأنه ان كان الصادر الأول واحدا من كل وجه ، لم يصدر عنه أيضا الا واحد؛ وان كان فيه كثرة فقد صدر عن / الواحد أكثر من واحد . ص ٢٤

وان قيل : " الكثرة عدمية " لزم أن يصدر عن العدم وجود .

ثم يقال : الفلك الثامن كثير الكواكب دون التاسع ، فما الموجب لكثرة كواكبه ؟ .

ثم قيل : السبب الأول ان كان فيه اختصاص بصفة وقدر كان تخصيصه بالارادة ،لأن التخصيص بذات لا ارادة[2] لها ممتنع بصريح[3] العقل .

وان قيل : ليس له اختصاص بصفة وقدر .

قيل : هذا يقتضي أن يكون وجودا مطلقا ، والمطلق لا يكون الا في الأذهان، لا في الأعيان[4] .

---

(١) تجذبه : كذا في (ك) ،وفي (خ ،س) : تجتذبه .
(٢) ك : الارادة .
(٣) بصريح : كذا في (ك) ، وفي (خ ،س) : في صريح .
(٤) في (ك) بعد نهاية هذا الفصل وقبل الفصل التالي وهو قوله : " فصل وأما قوله والدليل على كونه متكلما . . . " يقع فصل مستقل يبدأ بقوله ،ص ٢٤ : " فصل ، كثير من النظار كابن كلاب وموافقيه . . . " وينتهي بقوله ، ص ٤٢ : " . . . بل وعليه جماهير العقلاء وأكابرهم من جميع الطوائف حتى من الفلاسفة " .
وقد تضمنت مخطوطة (ص) هذا الفصل ، وأثبته في موضعه مما تقدم ، ص ١٧٥ - ٢٣٨ معارضا بما في (ك) .

ص ٤٢ / **فصــــل**

دليل الأصبهاني على كون الله متكلما

وأما قوله : " والدليل على كونه متكلما أنه آمر وناه[1]، لأنه بعث الرسل لتبليغ أوامره ونواهيه ، ولا معنى لكونه متكلما الا ذلك " .

شرح ابن تيمية

فنقول : السلف والأئمة وغيرهم[2] لهم في اثبات كونه[3] متكلما طريقان : فانهم يثبتون ذلك بالسمع تارة وبالعقل أخرى ، كما يوجد مثل ذلك في كلام الامام أحمد وغيره من الأئمة ، وفي كلام متكلمة الصفاتية : كعبد العزيز المكي[4]، وأبي محمد بن كلاب ، وأبي عبد الله بن كرام / وأبي الحسن الأشعري ونحوهم . ص ٤٣

والطرق التي أظهروها من العقليات قد دل القرآن عليها ، وأرشد اليهما ، كما دل القرآن على الطرق العقلية التي يثبت بها سائر قواعد العقائد[5]، المسماة " بأصول الدين " .

تنوع الأقيسة وما يستعمل منها في حق الله تعالى

لكن الدليل قد تتنوع عباراته وتراكيبه[6]، فانه تارة يركب على وجه الشمول : المنقسم الى قياس تداخل ، وقياس تلازم ، وقياس تعاند ؛ الذى يسمى الحملي[7]، والشرطي المتصل ، والشرطي المنفصل .

وتارة يركب على وجه قياس التمثيل المفيد[8] لليقين ، بأن يجعل المشترك[9] بين الأصل والفرع - الذى يسمى في[10] قياس التمثيل " المناط " و " الوصف " و " العلة " " والمشترك " و " الجامع " ونحو ذلك من العبارات - هو الحد الأوسط في قياس الشمول .

---

(١) خ ، س : آمر ناه .
(٢) مع بداية هذا الفصل تعود مخطوطة (ن) التي انقطعت في صفحة ٢٣٨ . هكذا : فصل ، السلف والأئمة وغيرهم . .
(٣) ن : كون الله .
(٤) كتب في هامش (ك) : " هو صاحب " الحيدة " الذى طبع بمصر " .
وهو عبد العزيز بن يحيى بن عبد العزيز بن مسلم بن ميمون الكناني المكي ، تفقه بالامام الشافعي ، وطالت صحبته له ، وكان من أهل الفضل والعلم ، وله مصنفات ، منها " الحيدة " وهو تسجيل لمناظرته لبشر المريسي التي جرت في مجلس المأمون ، وقد طبع مرارا ، توفي عبد العزيز في حدود سنة ٢٤٠ .
انظر : تاريخ بغداد ١٠ / ٤٤٩ - ٤٥٠ ؛ ميزان الاعتدال ٢ / ٦٣٩ ؛ طبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٢ / ١٤٤ - ١٤٥ ؛ تهذيب التهذيب ٦ / ٣٦٣ - ٣٦٤ ؛ شذرات الذهب ٢ / ٩٥ ؛ الأعلام ٤ / ٢٩ .
(٥) ن : عقائد القواعد .
(٦) خ ، س : عبارته وتركيبه .
(٧) ك : بالحملى .
(٨) ن : المقيد .
(٩) من قوله هنا : " بأن يجعل المشترك " الى قوله صفحة ٣٩٨ : " . . الأولوية فيؤلف " ساقط من (خ ، س) .
(١٠) ن : فن .

فاذا قال ناظم القياس الأول : " نبيذ الحبوب المسكر حرام ، قياسا على خمر العنب ؛ لأنه خمر ، فكان حراما قياسا عليه " فهذا كما يقال في نظم قياس الشمول : " هذا النبيذ خمر ، وكل خمر حرام ؛ أو فيه الشدة المطربة ، وما فيه الشدة المطربة فهو حرام " ومايثبت به هذه المقدمة الكبرى يثبت به كون المشترك علة الحكم[١] ، وبهذا تبين أن قياس التمثيل قد يكون أتم في البيان من قياس الشمول .

فأما مايقوله طائفة من النظار من أن قياس الشمول هو الذى يفيد[٢] اليقين دون التمثيل ، فهذا لا يصح الا بحسب المواد ، بأن يوجد ذلك في مادة يقينية وهذا في مادة ظنية ؛ وحينئذ فقد يقال : بل ذلك يفيد اليقين دون هذا .

وسبب غلطهم أنهم تعودوا كثيرا استعمال التمثيل في الظنيات ، واستعمال الشمول في اليقينيات عندهم ، فظنوا هذا من صورة القياس ، وليس الأمر كذلك ، بل هو من المادة . وقد بسط الكلام على هذا في مواضع غير هذا الموضع ، " كالرد على الغالطين في المنطق " وغير ذلك[٣] .

قياس الأولى

ثم القياس تارة يعتبر فيه القدر المشترك من غير اعتبار الأولوية ، وتارة يعتبر فيه الأولوية ، فيؤلف[٤] على وجه قياس الأولى ، وهو وان[٥] كان قد يجعل نوعا من قياس الشمول والتمثيل ، فله خاصة يمتاز بها عن[٦] سائر الأنواع ؛ وهو أن يكون الحكم المطلوب أولى بالثبوت من الصورة المذكورة في الدليل[٧] الدال عليه .

---

(١) أمام هذا الموضع في هامش (ن) كتب كلمة " بلغ " .
(٢) ن : يقيد .
(٣) بسط ابن تيمية الكلام في قياس الشمول ، وقياس التمثيل ، والموازنة بينهما ، في كتاب الرد على المنطقيين ، ص ١١٥ - ١٢١ ، ٢٠٠ - ٢١٤ ، ٢٣٣ - ٢٣٥ .
(٤) هنا نهاية ماسقط من (خ ، س) الذى أشرت الى بدايته ص ٣٩٧ وجاء الكلام فيهما كما يلي : " . . وتارة يركب على وجه قياس التمثيل المفيد لليقين وتارة على وجه قياس الاستقراء التام المفيد لليقين ، وتارة على وجه قياس الأولى . . . " الخ .
(٥) ن ، ك : وهو ان .
(٦) ن : على .
(٧) خ ، س : أولى بالثبوت من الدليل .

وهذا النمط هو الذى كان السلف والأئمة - كالامام أحمد وغيره من السلف - يسلكونه من القياس العقلي في أمر الربوبية ، وهو الذى جاء به القرآن .

وذلك أن الله سبحانه لا يجوز أن يدخل هو وغيره تحت قياس شمول تستوى أفراده ، ولا تحت قياس تمثيل يستوى[1] فيه حكم الأصل والفرع ، فان الله تعالى[2] ليس كمثله شيء لا في نفسه المذكورة بأسمائه وصفاته[3] ، ولا في أفعاله ، ولكن يسلك[4] في شأنه[5] قياس الأولى ، كما قال [تعالى[6]] : (ولله المثل الأعلى[7]) ؛ فانه من المعلوم أن كل كمال ونعت ممدوح لنفسه لا نقص فيه[8] ، يكون لبعض الموجودات المخلوقة[9] المحدثة - فالرب الخالق الصمد القيوم القديم الواجب الوجود بنفسه هو أولى به ؛ وكل نقص وعيب يجب / أن ينزه عنه بعض المخلوقات المحدثة الممكنة - فالرب الخالق القدوس السلام القديم الواجب وجوده بنفسه هو أولى بأن ينزه عنه .

ص ٤٤

بطلان أقيسة أهل الفلسفة والكلام

وأما اذا سلك مسلك المشبهين لله بخلقه ، المشركين به ، الذين يجعلون له عدلا وندا ومثلا[10] ، فيسوون[11] بينه وبين غيره في الأمور ، كما يفعله أهل الضلال من أهل الفلسفة والكلام من المعتزلة وغيرهم - فان ذلك يكون[12] قولا باطلا من وجوه :

منها أن تلك القضية الكلية التي تعمه وغيره قد لا يمكنهم[13] اثباتها عامة

---

(١) ك : تحت قياس الشمول الذى تستوى أفراده ولا تحت قياس التمثيل الذى يستوى .
(٢) تعالى : في (ك) فقط .
(٣) ك : ولا في صفاته .
(٤) ن : سلك .
(٥) عبارة " في شأنه " سقطت من (خ ، س) .
(٦) تعالى : زيادة في (ن) .
(٧) سورة النحل : ٦٠ وفي (ن) : (وله المثل الأعلى) سورة الروم : ٢٧ .
(٨) عبارة " لا نقص فيه " ساقطة من (خ ، س) .
(٩) ن : المحكومة .
(١٠) س : أو مثلا .
(١١) ن : ويسوون .
(١٢) من قوله هنا : " فان ذلك يكون " الى قوله في صفحة ٤٠٧ : " .. والمتولد عنه ، قال تعالى " ساقط من (ن) .
(١٣) لا يمكنهم : كذا في (خ) ، وفي (س ، ك) : لا يمكنهما .

الا بمجرد قياس التمثيل ، وقياس التمثيل ان أفاد اليقين في غير هذا الموضع ففي هذا الموضع قد لا يفيد الظن ، للعلم بانتفاء الفارق .

ومنها أنهم اذا حكموا على القدر المشترك الذى هو " الحد الأوسط " بحكم يتناوله والمخلوقات كانوا بين أمرين : اما أن يجعلوه كالمخلوقات ، أو يجعلوا المخلوقات مثله ، فينتقض عليهم طرد الدليل فيبطل .

مثال ذلك قول الفلاسفة الواحد لا يصدر عنه الا واحد

مثال ذلك ، اذا قال الفيلسوف : " ان الواحد لا يصدر عنه الا واحد ، وهو واحد ، فلا يصدر عنه الا واحد " فانه يحتاج أن يعلم أولا قوله : " الواحد لا يصدر عنه الا واحد " فان هذه قضية كلية ، وكل قياس شمولي فلابد فيه من قضية كلية ، وعلمه(١) بأن كل واحد لا يصدر عنه الا واحد ، اما أن يكون باستقراء الآحاد ، واما بقياس بعضها الى بعض ، وهذا استقراء ناقص ، وهذا تمثيل ، وهما عنده لا يفيدان اليقين .

فان قال : " أعلم بالبديهة أن الواحد لا يصدر عنه الا واحد " كان هذا مكابرة لعقله ، فان العلوم الكلية المطابقة للأمور الخارجية ليست مفروزة في الفطرة ابتداء بدون العلم بأمور معينة منها ، لكن لكثرة العلم بالأمور المعينة الجزئية يجرد العقل الكليات ، فتبقى القضية العامة ثابتة في العقل لا تحتاج الى شواهد وأمثلة جزئية ، الا أن يكون علم تلك القضية العقلية من تركب قضايا أخر ، وقوله : " الواحد لا يصدر عنه الا واحد "(٢) ليس من هذا . ولا من هذا .

ثم اذا تصور مفردات هذه القضية علم يقينا أنه ليس عنده منها علم ، بل علم أن الواقع خلافها ؛ فان قوله : " الواحد " ان عني به الواحد الذى لا يعلم منه أمران : ليس أحدهما الآخر ، فليس في الوجود واحد بهذا الاعتبار . فانه يعلم أن واجب الوجود موجود ، وأنه واجب الوجود ، وأنه عاقل ومعقول وعقل ،

---

(١) وعلمه : كذا في (خ) ، وفي (ك ، س) : وعلله .
(٢) أمام هذا الموضع كتب في هامش (س) : مطلب ابطال قولهم : الواحد لا يصدر عنه الا واحد .

وأن له عناية ، وأمثال هذه المعاني التي ليس أحدها هو الآخر ؛ فان الوجوب ليس هو الوجود ، ولا الوجوب والوجود هو العاقل ، ولا العاقل هو المعقول ، ولا العاقل والمعقول هو ذو العناية .

وان قال : " هذه كلها سلوب واضافات محضة " كان مكابرا لعقله ؛ فان كون الشيء يعقل ليس / هو كونه لا يعقل[1] ، ولا كونه عالما مجرد نسبة محضة الى المعلوم ، كالأمور الاضافية التي لا يتغير بها حال المضاف : كالتيامن والتياسر ، فانه من المعلوم أن كون الشيء متيامنا [عنك][2] أو متياسرا عنك لا يختلف به حالك في الموضعين . وأما كون الشيء عالما فيخالف كونه غير عالم ، كما أن كونه محبا يخالف كونه غير محب ، وكونه قادرا يخالف كونه غير قادر . ومن جعل الشيء حال كونه عالما وحال كونه غير عالم سواء ، فهو مصاب في عقله ، وهذا من أعظم السفسطة .

ص ٤٥

وكذلك من جعل كونه ذا عناية هو مجرد كونه عاقلا ، فان هذا من أعظم السفسطة ، والعقل الصريح يعلم أن كون الشيء عالما ليس هو مجرد كونه مريدا ، ولا مجرد كونه مريدا هو مجرد كونه عالما .

ولو قيل : " ان أحدهما يستلزم الآخر " فالتلازم لا يوجب كون الملزوم هو اللازم ، واذا قيل في أى موجود فرض : " ان علمه هو ارادته ، وارادته هي حياته ، وأن[3] ذلك هو وجوده " كان فساد هذا من أبين الأمور في العقل .

كما اذا قيل : ان هذه التفاحة : " طعمها هو مجرد لونها ، ولونها هو مجرد ريحها ، وريحها مجرد شكلها ، وشكلها هو عين ذاتها " فهذا الكلام من تصوره من الناس وفهمه حتى الصبيان المميزين علم أن قائله من أضل الناس وأجهلهم .

فهذا الواحد الذى يصفونه يمتنع في الموجود الواجب ، فهو في غيره

---

(١) ك : ليس هو كونه يعقل .
(٢) عنك : ساقطة من (ك) .
(٣) وان : كذا في (ك) ، وفي (خ ، س) : فان .

قول الفلاسفة عن واجب الوجود : "انه وجود مطلق بشرط الاطلاق"

أشد امتناعا ، ولهذا يؤول بهم الأمر الى أن يجعلوه[1] وجودا مطلقا بشرط الاطلاق" كما يجعله المعتزلة ذاتا مجردة من الصفات ، وكلاهما مما يعلم بصريح العقل انتفاء ثبوته في الخارج ، بل المطلق لا بشرط يمتنع ثبوته في الخارج .

وهم يجعلون موضوع "العلم الالهي" هذا الوجود[2] المنقسم الى واجب وممكن ، وجوهر وعرض ، وعلة ومعلول ؛ ويجعلون هذا هو "الفلسفة الأولى" و "الحكمة العظمى" وهم يعلمون أن الكليات المقسومة - سواء سميت جنسا أو لم تسم جنسا - لا توجد في الخارج كلية ؛ فليس في الخارج الحيوان المنقسم الى ناطق وأعجم ، ولا الوجود المنقسم الى جوهر وعرض .

بل كل حيوان يوجد في الخارج فهو من هذا القسم [أو من هذا القسم][3] ، وكل موجود يوجد في الخارج فهو اما [قائم بنفسه واما][3] قائم بغيره ، وهذا[4] المقسوم صادق[5] على أقسامه ، فهو مطلق لا بشرط الاطلاق ؛ فانه لو شرط فيه الاطلاق لم يصدق على المعينات ، فان المعين ليس مطلقا بشرط الاطلاق .

فاذا كان المطلق لا بشرط الاطلاق لا يوجد في الخارج [الا معينا ، فالمطلق بشرط الاطلاق يمتنع وجوده في الخارج ، وهم قد اعترفوا بهذا في المنطق ، وبينوا[6] أن المطلق بشرط الاطلاق لا يوجد في الخارج][7] فلا يوجد فيه حيوان مطلق بشرط الاطلاق ، ولا انسان مطلق بشرط الاطلاق ، وهذا بين لجميع العقلاء .

---

(١) يجعلوه : كذا في (ك) ، وفي (خ ، س) : يجعلونه .
(٢) الوجود : كذا في (خ) ، وفي (س ، ك) : الموجود .
(٣) مابين القوسين في (خ) فقط (في الموضعين) .
(٤) وهذا : كذا في (خ) ، وفي (س ، ك) : وهو .
(٥) ك : الصادق .
(٦) وبينوا : كذا في (ص) ، وفي (خ) : وتبينوا .
(٧) مابين القوسين ساقط من (ك) .

ثم قالوا في الموجود الواجب الوجود: " انه وجود مطلق بشرط الاطلاق ".
وقد علم بصريح العقل أن الوجود المطلق بشرط الاطلاق لا يكون في الخارج، وانما
هو أمر يقدر / في العقل - فما د الوجود الواجب الذى أبدع العالم كله، ص ٤٦
وهو ربه ومالكه الى أمر يقدر في العقل، لا حقيقة له في الخارج عن الذهن،
ولا ثبوت له في نفس الأمر، وهذا عين التعطيل للموجود الواجب الذى شهد
به الوجود[1] من حيث هو وجود.

فان الوجود من حيث هو وجود يشهد بوجود واجب الوجود - كما قال ابن
سينا وغيره[2]، وأصابوا في ذلك - فانه لا ريب أن ثم وجودا، وأنه اما واجب
واما ممكن، والممكن لا بد له من واجب، فثبت أنه لا بد في الوجود من موجود[3]
واجب.

فهذا البيان الذى ذكروه في اثبات واجب الوجود حق واضح مبين، لكنهم
زعموا مع ذلك أنه وجود مطلق بشرط الاطلاق: لا يتعين ولا يتخصص بحقيقة
يمتاز بها عن سائر الموجودات، بل حقيقته وجود محض مطلق، بشرط نفي
جميع القيود والمعينات والمخصصات [عنه[4]].

وهم يعلمون في المنطق - وكل عاقل تصور هذا الكلام - أن هذا لا حقيقة
له، ولا وجود له[5] الا في الذهن، لا في الخارج، فصار الموجود الواجب
الذى يشهد به الوجود في الخارج لا يوجد الا في الذهن!

وهذا من أبين التناقض والاضطراب والجمع بين النقيضين؛ حيث جعلوه
بموجب البرهان الحق موجودا في الخارج، وبموجب سلب الصفات - وهو
التوحيد الذى تخيلوه - معدوما في الخارج؛ فصار قولهم مستلزما لوجوده وعدمه.

---

(١) ك: الموجود.
(٢) نقلت كلام ابن سينا في ذلك من كتابه " الاشارات والتنبيهات " فيما تقدم ص ٣٨ ت ٤.
(٣) س: وجود.
(٤) عنه: ساقطة من (ك).
(٥) له: في (ك) فقط.

وكذلك قول من سلك سبيلهم من القرامطة الباطنية - كأصحاب رسائل اخوان الصفا[1]، وأمثالهم من الاتحادية أهل وحدة الوجود ؛ كابن سبعين وابن عربي ونحوهما - بل وسبيل نفاة الصفات من أهل الكلام كالمعتزلة وغيرهم، بل وسبيل سائر من نفى شيئا من الصفات - فان لازم كلامه تعطيله ونفيه مع اقراره بثبوته ، فيكون جامعا بين النقيضين . وهذا مبسوط في غير هذا الموضع ، وانما المقصود هنا التنبيه على مثال أقيستهم الفاسدة التي يجعلونها براهين فيما خالفوا فيه الحق .

عود للكلام على قول الفلاسفة الواحد لا يصدر عنه الا واحد

ثم اذا تبين أن هذا الواحد ليس له حقيقة في الخارج ، قيل لمن قال : الواحد لا يصدر عنه الا واحد : مامعنى الصدور ؟ . أنت لا تعني به حدوثه عنه ، ولا فعله له بمشيئته وقدرته فعلا يسبق به الفاعل مفعوله ؛ وانما تعني به لزومه له ووجوبه به ، ونحن لا نتصور في الموجودات شيئا صدر عنه وحده شيء منفصل عنه ، كان لازما له قبل هذا الوجه ؛ بل مالزمه وحده كان صفة له . أما أن يكون اللازم للملزوم وحده شيئا منفصلا عنه فهذا بيان غير معقول ومعروف[2] . فهذا الصدور الذى ذكرته غير معروف ؛ فقولك في هذه القضية الكلية : الواحد لا يصدر عنه الا واحد . يقتضي الحكم على كل مايتصور أنه واحد بأنه لا يصدر عنه الا واحد ، فاذا لم يتصور هذا الصدور ، / ولا يعلم صدق هذا السلب في صورة معينة من صور هذه القضية الكلية - فمن أين تعلم هذه القضية الكلية ؟! .

ص ٤٧

---

(١) نشرت رسائل اخوان الصفا وخلان الوفاء - وعددها اثنتان وخمسون رسالة - في أربع مجلدات ببيروت سنة ١٣٧٦ - ١٣٧٧هـ .
وقد كتبت هذه الرسائل في النصف الثاني من القرن الرابع الهجرى ، ولم يبين أصحابها أسماءهم ، لكن عددا من الدراسات التي تناولت هذه الرسائل تؤكد أن آراء الاسماعيلية الباطنية ظاهرة فيها .
ويشير ابن تيمية أن في هذه الرسائل مخالفة لكثير مما جاءت به الرسل في الخبر والأمر ، وفيها من العلوم والأعمال الدنيوية ماينتفع به . انظر : مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية (ط. الرياض) ١٢ / ٢٣ ، ٣٥ / ١٣٣ - ١٣٥ ، ١٨٣ ؛ تاريخ الحكماء للقفطي ، ص ٨٢ - ٨٨ ؛ اخوان الصفا وخلان الوفاء للدكتور مصطفى غالب ، منشورات دار الهلال ، بيروت ؛ دائرة المعارف الاسلامية ، مادة " اخوان الصفا " كتبها ده بور .

(٢) غير معقول ومعروف : كذا في (ك) ، وفي (خ ، س) : غير معقول معروف .

وإذا استدلوا على ذلك بالنار التي لا يصدر عنها الا الاحراق، وبسائر الأجسام البسيطة كالماء، أو بالشمس التي يصدر عنها الشعاع - لم يكن شيء من هذه المعينات داخلا[1] في قضيتهم الكلية؛ فان الاحراق لا يصدر عن النار وحدها، بل لا بد من محل قابل للاحراق، ولهذا لا يصدر عنها الاحراق في السمندل[2] والياقوت[3] ونحوهما من الأجسام التي لا تقبل الاحراق، وكذلك المبردات. ثم ان الاحراق له موانع تمنعه، فهو موقوف على ثبوت شروط وانتفاء موانع غير النار، فلم يصر صادرا عن النار بالمعنى الذى أرادوه بالحجة[4] وهو لزومه لذات النار بحيث لا ينفك عنها.

وانما يعقل هذا اللزوم في صفات الملزوم: كاستدارة الشمس والضوء القائم بها ونحو ذلك؛ فان هذا لازم لها لا يفارق ذاتها، بخلاف الضوء القائم بما يقابلها من الأجسام، وهو الشعاع المنعكس على الأجسام المسطحة[5] كالأرض، والقائمة كأشخاص الجبال والحيوان والنبات والحيطان - فان هذا

---

(١) س: داخلة.

(٢) ذكر الجاحظ في كتاب الحيوان ٥/٣٠٩، ٦/٤٣٤ السمندل، أو السندل، وقال: "انه طائر هندى" وقال عنه الدميرى في حياة الحيوان الكبرى ١/٥٧٣: "هي دابة دون الثعلب، خلنجية اللون، حمراء العين، ذات ذنب طويل" وتكلم القزويني في عجائب المخلوقات عن أصناف الفار، فقال ص ٢٧٢: "ومنها صنف يقال له: سمندل، يشبه الفأر، وليس بفأر"، وقد ذكرت هذه الكتب الثلاثة أنه يدخل النار ولا يحترق.
وانظر ما ذكره الأستاذ عبد السلام هارون في هامش كتاب الحيوان للجاحظ ٥/٣٠٩-٣١٠.

(٣) تكلم البيروني طويلا عن الياقوت في كتاب "الجماهر في معرفة الجواهر" فذكر (ص ٣٢) أنه أنفس الجواهر وأغلاها، وأنه أنواع، وذكر (ص ٤٦) أنه بصلابته يغلب ما دونه من الأحجار، ثم يغلبه الألماس.
وقال القزويني في كتاب "عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات"، ص ١٤٣: "حجر ياقوت: حجر صلب، شديد اليبس، رزين، شفاف، صاف، مختلف الألوان: أحمر وأصفر وأخضر وأزرق، وأصل كلها ماء صاف، وقف في معادنها بين الحجارة الصلدة زمانا طويلا فغلظ وصفا وثقل، أنضجته حرارة المعدن بطول وقوفه فصير صلبا لا تذوبه النار لقلة دهنيته".

(٤) بالحجة: كذا في (ك)، وفي (خ، س): في الحجة.

(٥) المسطحة: كذا في (ك)، وفي (خ، س): المسطوحة.

ليس لازما لذات الشمس ، بل هو موقوف على وجود هذه المحال[1] التي يقوم بها هذا العرض . وهو أيضا ممنوع عنها بالحجب : كالسحاب الكثيف والسقوف[2] وغير ذلك . وهذا الشعاع كالظل يكون بسبب الحجاب بينها وبين مايظله الحجاب ، فيوجد تارة ويعدم أخرى ، ولهذا يوجد الليل تارة والنهار أخرى .

فهذا بيان أن ماقدروه من الواحد ومن الصدور عنه ، أمر لا يعقل في الخارج أصلا ، فضلا عن أن يكون قضية كلية عامة .

وأما اذا قدروا واحدا يفرضونه في أنفسهم ، وصدورا يفرضونه في أنفسهم ؛ فلا ريب أن هذا ملازمة[3] حكم يكون في أنفسهم ، لكن لا يعلم أنه مطابق للخارج حتى يعلم أن[4] واجب[5] الوجود هو هذا الواحد ، وأن ابداعه للعالم هو هذا الصدور .

ولو علموا ذلك لما يحتاجوا الى هذا القياس ، فهذا القياس لا يفيدهم شيئا ؛ ان مطلوبه علم معين بقضية كلية ، وتلك القضية لا مرد لها أصلا الا مايدعونه في ذلك المعين ، فهم ان علموا ثبوت الحكم لذلك المعين بدون تلك القضية لم يحتاجوا اليها ، وان لم يعلموا ثبوت الحكم للمعين بدون تلك القضية لم يعلم صدق القضية عليه فلا يفيد .

بل اذا عورضوا بنقيض ماقالوه كان أبين في القياس ؛ فيقال لهم : ليس في الوجود واحد يصدر عنه واحد ، بل كل صادر في الوجود فهو عن اثنين فصاعدا ، فلا حادث عن[6] المخلوقات الا عن أصلين : كالولد بين أبوين ، والتسخين ، والتبريد[7] ، والاحراق ، والاغراق ، وغير ذلك ، لا بد فيه من اثنين ،

---

(١) المحال : كذا في (خ) ، وفي (س ، ك) : الحال .
(٢) والسقوف : كذا في (خ) ، وفي (س ، ك) : والكسوف.
(٣) خ : ملزمة .
(٤) كذا في (خ) ، وفي (س ، ك) : ان هذا .
(٥) ك : الواجب .
(٦) س : من . وأمام هذا الموضع كتب في هامشها : مطلب في معارضة قولهم الواحد لا يصدر عنه الا واحد .
(٧) كذا في (خ) ، وفي (س ، ك) : والتدبير .

ص ٤٨ والشعاع المنبسط / لا بد فيه من اثنين .

فاذا لم يكن في الوجود واحد لا يصدر عنه واحد ، كان قول القائل : ليس كل واحد لا يصدر عنه الا واحد ، أصح في العقل والقياس من قولهم ، بل لو قال : الواحد الذى ذكروه لا يصدر عنه شيء أصلا ، لكان قوله أصح في العقل والقياس من قولهم ، وكذلك اذا قيل : الواحد الذى ذكروه لا يصدر عنه شيء الا مع غيره ، لكان قوله أصح من قولهم .

وذلك يقتضي أن يكون للرب شريك وولد ؛ اذ مقصودهم بالصدور هو لزومه اياه ، وهذا هو التولد العقلي ، وحقيقة قولهم أن العقول والنفوس متولدة عنه ، وقولهم بالعلة والمعلول هو القول بالمتولد[1] والمتولد عنه ، قال تعالى[2] :(وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات بغير علم سبحانه وتعالى عما يصفون . بديع السموات والأرض أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شيء وهو بكل شيء عليم . ذلكم الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شيء فاعبدوه وهو على كل شيء وكيل . لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير)[3] .

وقد بسطنا هذا في غير هذا الموضع ،(*) وبينا أن قول هؤلاء أفسد من قول مشركي العرب الذين قالوا : ان الملائكة بنات الله ، وقالوا : ان آلهتنا تشفع لنا . فان أولئك كانوا يقولون : ان الرب فاعل مختار ، والملائكة مخلوقون له . ولكن ضلوا في بعض ماوصفوه ، كما ضلت النصارى في بعض ماذكروه .

---

(١) بالمتولد : كذا في (س) ، وفي (خ ،ك) : بالتولد .
(٢) هنا ينتهي السقط في (ن) الذى بدأ ص ٣٩٩ ، وجاء الكلام فيها هكذا : " ... من المعتزلة وغيرهم فاستطرد شيخ الاسلام كلامهم الى أن قال : فانه يحتاج أن يعلم أولا وجعلوا لله شركاء ... الخ .
وفي (ك) ... والمتولد عنه فاستطرد شيخ الاسلام كلامهم الى أن قال : فانه يحتاج أن يعلم أولا أنهم جعلوا لله شركاء ... الخ .
(٣) سورة الأنعام : ١٠٠ - ١٠٣ .
(*-*) ص ٤٠٧ - ٤٠٨) مابينهما (وبينا أن قول ... ولا مشيئته) ساقط من (خ ،س) .

وأما هؤلاء فأعظم ضلالا من اليهود والنصارى ومشركي العرب؛ فانهم في الحقيقة لا يجعلون الرب تعالى خالقا لشيء، ولا يفعل فعلا بمشيئته واختياره، ولا يجعلون الملائكة عباده، بل يجعلون العقل الأول هو رب كل ماسوى الله. والشفاعة عندهم ليست سؤالا من الله تعالى من الشافع، بل توجه الى الشافع حتى يفيض منه على المستشفع ماليس لله ولا للشافع به علم عندهم، ولا يحصل بقدرته ولا مشيئته (*).

والمقصود هنا التنبيه على أن طرق السلف والأئمة(١) الموافقة للطرق التي دل القرآن عليها، وأرشد اليها - هي أكمل الطرق وأصحها(٢). وأكثر الناس صوابا في العقليات أقربهم اليهم، كما أن أكثرهم صوابا في السمعيات أقربهم اليهم؛ اذ العقل الصريح لا يخالف السمع الصحيح، بل يصدقه ويوافقه كما قال تعالى: (ويرى الذين أوتوا العلم الذى أنزل اليك من ربك هوالحق(٣)). وقال تعالى: (ولا يأتونك بمثل الا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا(٤)).

ولهذا كان المتكلمة الصفاتية: كابن كلاب والأشعرى وابن كرام خيرا وأصح طريقا في العقليات والسمعيات من المعتزلة، والمعتزلة خيرا وأصح طريقا في العقليات والسمعيات من المتفلسفة(٥)، وان كان في قول كل / من هؤلاء ماينكر عليه وماخالف فيه العقل والسمع، ولكن(٦) من كان أكثر صوابا وأقوم قيلا كان أحق بأن يقدم على من هو دونه تنزيلا وتفضيلا(٧)؛ قالت عائشة(٨): أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ننزل الناس منازلهم(٩).

ص ٤٩

(١) خ، س: والأئمة رضي الله عنهم. وأمام هذا الموضع كتب في هامش (س): مطلب التنبيه على أن طرق السلف أكمل الطرق.
(٢) ن: وأوضحها.
(٣) سورة سبأ: ٦.
(٤) سورة الفرقان: ٣٢.
(٥) خ، س: الفلاسفة.
(٦) خ، س: لكن. بسقوط الواو.
(٧) ن، ك: وتفصيلا.
(٨) خ، س: عائشة رضي الله عنها.
(٩) روى أبو داود في سننه (عون المعبود ١٣ / ١٩١) كتاب الأدب، باب في تنزيل الناس منازلهم، بسنده عن ميمون بن أبي شبيب أن عائشة مر بها سائل فأعطته كسرة، ومر بها رجل عليه ثياب وهيئة فاقعدته فأكل، فقيل لها في ذلك، فقالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (انزلوا الناس منازلهم).

= /

وهذا من[1] القسط الذى أمر الله به ، وأنزل به كتبه ، وبعث به رسله؛ قال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله[2]) . وقال تعالى : (لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط[3]) .

عود لشرح دليل الأصبهاني على كون الله متكلما

والمقصود هنا التنبيه على طرق الناس في اثبات كون الله متكلما ، تنبيها مختصرا بحسب[4] مايحتمله جواب هذا السؤال .

والطرق نوعان : سمعية وعقلية ، وان كانت العقلية هي أيضا شرعية سمعية ، باعتبار أن السمع دل عليها وأرشد اليها ، وأن الشرع أحبها ودعا اليها[5] .

لكن صاحب هذا المختصر انما سلك طريقا سمعية اتباعا لمتبوعه أبي عبد الله بن الخطيب ، وهذه الطريق[6] مبنية على مقدمتين : احداهما ـ أنه آمر ناه ، ومن كان كذلك فهو متكلم .

والمقدمة الأولى ـ مدلول عليها بأن الرسل بلغوا أمره ونهيه ، وكل من المقدمتين واضحة ؛ فان الكلام نوعان : انشاء واخبار ، والانشاء أمر ونهي واباحة ، فاذا ثبت له نوع من أنواع الكلام ثبت مطلق الكلام ، فثبت أنه متكلم .

وأما الثانية ـ فقد علم بالاضطرار من دين جميع الرسل أنهم يخبرون عن الله

/ = وقال أبو داود : ميمون لم يدرك عائشة .
وأورده مسلم في مقدمة صحيحه معلقا ، فقال (١ / ٦) : " وقد ذكر عن عائشة رضي الله تعالى عنها أنها قالت : أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ننزل الناس منازلهم " .
وتكلم عليه النووى في مقدمة شرحه لصحيح مسلم ١ / ١٩ ، فذكر أن الحاكم أبا عبد الله حكم بصحته في كتابه " معرفة علوم الحديث " ، ونقل عن أبي عمرو بن الصلاح نقده لجزم أبي داود بعدم ادراك ميمون لعائشة .

(١) من : سقطت من (ن) .
(٢) سورة النساء : ١٣٥ .
(٣) سورة الحديد : ٢٥ .
(٤) ن : بحيث . وأمام هذا الموضع كتب في هامش (س) : بحث الكلام .
(٥) ن : وأن الشرع اجتهاد ودعاء اليها .
(٦) ك : الطرق .

بأنه أمر بكذا ونهى عن كذا ، فيلزم من ثبوت الرسالة ثبوت كلام الله تعالى .

وجحد كون الله متكلما هو جحد لما بلغت عنه الرسل من الأمر والنهي .

فان قيل : فما الفرق[(١)] بين هذه الطريق وبين الطريق[(٢)] التي أثبت بهما السمع والبصر ، وهو السمع .

قيل : هناك أثبت السمع والبصر بنفس الاخبار المفصل[(٣)] ، مثل قوله : (وهو السميع البصير)[(٤)] . وهنا أثبت تكلمه بمجرد ارسال الرسل من غير تعيين نص ، حيث قال : علمنا أن الله أرسل رسله لتبليغ[(٥)] أمره ونهيه . ولم يتعرض لاخبار السمع بأنه متكلم .

فان قيل : اذا أثبت المثبت تكلمه بالسمع ، وجب أن يكون السمع قد علمت صحته قبل العلم بكونه متكلما ، لكن الرسول اذا قال : ان الله أرسلني اليكم ، يأمركم بتوحيده وينهاكم عن الاشراك به مثلا ، فان لم يعلموا قبل ذلك جواز كونه[(٦)] متكلما لم يعلموا امكان ارساله ، فلا[(٧)] يثبت السمع .

قيل : الجواب من وجهين :

أحدهما ـ أن ماعلم بالسمع[(٨)] وقوعه يكفي فيه الامكان الذهني ، وهو كونه غير معلوم الامتناع ، بل كل مخبر أخبرنا بخبر ولم نعلم كذبه جوزنا صدقه ، ومتى كان فيه الصدق ممكنا لم يجز التكذيب ، بل أمكن أن يقام الدليل الدال على صدقه ووجوب تصديقه فيجب تصديقه .

---

(١) ن : ماالفرق .
(٢) ن : بين هذه الطريق وبين الطرق . ك : بين هذه الطرق وبين الطرق .
(٣) المفصل : كذا في (ن) ، وفي (خ ، س ، ك) : المنفصل .
(٤) سورة الشورى : ١١ .
(٥) لتبليغ : كذا في (ن) ، وفي (خ ، س ، ك) : بتبليغ .
(٦) ن : كون الله .
(٧) ن : ولا .
(٨) ن : السمع .

ص ٥٠٥ ..... (*) وهذا الموضع / يغلط فيه كثير من النظار، فيظنون أنه يحتاج فيما يطلب الدليل على وقوعه، أو فيما قام الدليل على وجوده - العلم بامكانه قبل ذلك، وانما يجب أن لا يعلم امتناعه ؛ فالرسل صلوات الله عليهم تخبر بمحارات[(١)] العقول، ومالا تعرفه العقول أو ماتعجز عن معرفته . فما علم العقل امكانه، ولم يعلم هل يكون أم لا يكون، تخبر الرسل بوقوعه أو عدم[(٢)] وقوعه ؛ ومالم يعلم بالعقل امكانه ولا امتناعه، تخبر الرسل أيضا اما بامكانه واما بوقوعه المستلزم امكانه، ولكن[(*)] لا تخبر الرسل[(٣)] [بمحالات العقول، وهو ماعلم بالعقل امتناعه، لا تخبر[(٤)]] بوجوده ولا امكانه ؛ وماعلم عدمه لا تخبر بوجوده، فلا تأتي الرسل[(٥)] صلوات الله عليهم بما يعلم نقيضه، ولكن قد تأتي بما لم يكن يعلم .

كما قال تعالى : (كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم مالم تكونوا تعلمون. فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون[(٦)]) . وكذلك الوحي النازل على الأنبياء يعلمهم مالم يكونوا يعلمون، لا يأتيهم بما يعلمون خلافه ؛ قال تعالى : (ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت طائفة منهم أن يضلوك ومايضلون الا أنفسهم ومايضرونك من شيء وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك مالم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما[(٧)]) .

الوجه الثاني - أن يقال : امكان[(٨)] التكلم[(٩)] معلوم بأدنى نظر العقل ؛ فانه اذا عرف أنه حي، عليم، قدير، علم أنه يمكن أن يكون[(١٠)] متكلما، فان الكلام من

(*-*) مابينهما (وهذا الموضع. . . امكانه ولكن) ساقط من (ن) .
(١) بمحارات: كذا في (خ) ، وفي (س) : بمجازات ، وفي (ك) : بمجارات .
(٢) ك : أم عدم .
(٣) ن : فالرسل لا تخبر .
(٤) مابين المعكوفين سقط من (س ، ك) .
(٥) ن : ولا يأتي الرسول . وأمام هذا الموضع كتب في هامشها : بلغ .
(٦) سورة البقرة : ١٥١ ، ١٥٢ .
(٧) سورة النساء : ١١٣ .
(٨) ك : امكال .
(٩) ن : التكليم .
(١٠) ن : علم أنه لا يمكن أن لا يكون .

الصفات المشروطة بالحياة ، والصفات المشروطة بالحياة انما يمتنع(١) عليه سبحانه (٢)مايمتنع منها - كالنوم والأكل والشرب(٢) - لتضمنها نقصا ينزه عنه ، وليس في الكلام نقص ، بل سنبين - ان شاء الله - أنه من صفات الكمال ، ونبين مايستحيل اتصافه به(٣) .

فهذا تقرير ماذكره(٤) .

يمكن اثبات الكلام بطريق أعم مما ذكره الأصبهاني

ويمكن أن يسلك(٥) في ذلك طريق(٦) أعم مما ذكره ، فانه استدل بالأمر والنهي خاصة ، والتحقيق أن الخبر يدل أيضا على أنه متكلم ، كما أن الأمر يدل على ذلك ، والرسل يبلغون عنه تارة الأمر والنهي ، وتارة الخبر: اما عن نفسه واما عن مخلوقاته ، فيبلغون خبره عن نفسه بأسمائه وصفاته ، وخبره(٧) عن مخلوقاته بالقصص ؛ كما يبلغون الخبر عن ملائكته وأنبيائه ، ومن تقدم من الأمم المؤمنين والمكذبين ، ويبلغون خبره عما يكون في القيامة : من الثواب(٨) والعقاب ، والوعد والوعيد . بل ماتبلغه الرسل من خبره أكثر(٩) مما تبلغه من أمره ، والخبر في القرآن أكثر(٩) من الأمر .

(*)واذا قيل : لا معنى لكونه متكلما الا أنه [آمر ناه .

قيل : لا معنى لكونه متكلما الا أنه(١٠)] مخبر منبئ .

والتحقيق أن يقال : لزم من كونه آمرا ناهيا أن يكون متكلما ، ويلزم من كونه مخبرا منبئا أن يكون متكلما . وأما قول القائل : / " لا معنى لكونه متكلما الا أنه

ص ١٥

---

(١) يمتنع : كذا في (ن) ، وفي (خ ، س ، ك) : تمتنع .
(٢-٢) مابينهما ساقط من (خ ، س) .
(٣) خ ، س : ونبين ماتتخيل مانعا منه .
(٤) س : ماذكرناه .
(٥) ن : نسلك .
(٦) ن ، ك : طريقا .
(٧) خ ، س : فيبلغون الخبر بأسمائه وصفاته والخبر .
(٨) خ ، س : ويبلغون عما يكون في القيامة والثواب .
(٩) ن : أكبر . (في الموضعين) .
(* ص ٤١٢ - * ص ٤١٣) مابينهما (واذا قيل . . . بأنه متكلم) ساقط من (ن) .
(١٠) مابين القوسين ساقط من (ك) .

آمر ناه ،أو أنه[1] مخبر" ففيه نظر ؛ فان المتكلم يكون تارة آمرا وتارة مخبرا، وهو في حال[2] كونه مخبرا متكلم وان لم يكن آمرا ،وفي حال كونه آمرا متكلم وان لم يكن مخبرا ، سواء قدر امكان انفكاك أحدهما عن الآخر، أو قدر تلازمهما في حق بعض المتكلمين.

ولقائل أن يقول : هذا الذى ذكره قليل الفائدة ؛ فانه ان كان المقصود به اثبات كونه متكلما على من يقر بالرسل ، فجميع هؤلاء مقرون[3] بأنه متكلم[*] ، اذ لا يمكن[4] أحدا ممن يؤمن بالتوراة أو الانجيل أو القرآن أن ينكر أن الله متكلم[5] ، وهذه الكتب مملوءة بذكر ذلك ،وأهل الملل مطبقون على ذلك .

وان كان مقصوده اثبات ذلك على من لا يقر بالرسل فتقرير الرسالة[6] تقرير لهذا ؛ فحاصله أن ماذكره[7] من كونه متكلما هو حقيقة أن الرسل صادقون فيما أخبروا عنه ، فاذا أثبت ذلك بصدق الرسل كان اثباتا للشيء بنفسه.

وانما المقصود اثبات أنه متكلم حقيقة ، بكلام يقوم بنفسه ،خلافا للمتفلسفة التي تجعل كلامه انما هو تعريف فعلي ، وهو مايفيض[8] على النفوس من التعريفات وللجهمية من المعتزلة وغيرهم الذين يجعلون كلامه مايخلقه في غيره من الحروف والأصوات .

وهذا الذى اعتنى به السلف في الرد على من يقول :" القرآن مخلوق ، خلقه الله[9] في الهواء ، لم يقم به كلام " فكيف بمن يقول : ليس كلامه الا مايحدث في النفوس من التعريف والاعلام ، من غير أن يكون له كلام منفصل عن نفوس

---

(١) ك : وأنه. وأمام هذا الكلام كتب في هامش (خ) : بلغ مقابلة حسب الطاقة بحمد الله تعالى .
(٢) ك : حالة .
(٣) ك : يقرون .
(٤) ن : فلا يمكن .
(٥) ك : تكلم .
(٦) س ،ك : المسألة .
(٧) ن : تقرير لهذه الحاصلة اذ ماذكره .
(٨) ن : مايغرض .
(٩) ن : ان القرآن مخلوق خلقه الله تعالى .

الأنبياء والمرسلين ! وقد بسطنا القول في مسألة " الكلام " واضطراب الناس فيها في غير هذا الموضع .

الأصبهاني كالرازي متردد بين الفلسفة والاعتزال

ولا ريب أنه سلك في هذا الاعتقاد مسلك الصفاتية المخالفين للمعتزلة ؛ ولهذا عد هذه الصفات السبع[١] ؛ وأما المعتزلة فيقتصرون على أنه حي ، عالم ، قادر ؛ وقد يزيد[٢] البصريون الادراك كالسمع والبصر ، وأما كونه متكلما ومريدا فهذا عندهم من باب المفعولات لا من باب الصفات ؛ اذ معنى كونه متكلما عندهم أنه خلق كلاما في غيره كسائر مايخلقه من المخلوقات ، بخلاف كونه حيا عالما قادرا[٣] ، أو مدركا عند البصريين ؛ فان ذلك ثبت له[٤] لذاته سواء خلق شيئا أو لم يخلقه ؛ ولهذا كان[٥] عام التعلق ، لا يختص بمعلوم دون معلوم ، كما تختص الارادة والكلام بمراد دون مراد ، ومأمور دون مأمور .

وهذا القدر الذى أثبته من كونه متكلما أمر[٦] لا ينازعه فيه معتزلي ، بل ولا متفلسف الذي يقر بالنبوات في الجملة ، كما يقر بها المتفلسفة الذين حقيقة أمرهم أنهم يؤمنون ببعض الصفات[٧] / ويكفرون ببعض ، كما أن اليهود والنصارى يؤمنون ببعض الرسل ويكفرون ببعض .

ص ٥٢

ولقائل أن يقول : ان[٨] هذا السؤال ليس لازما له في مسألة " الكلام " ، بل وفي سائر المسائل ، فانه لم يثبت شيئا من الصفات القائمة بنفسه[٩] ، وانما أثبت أحكام الصفات وأثبت الأسماء ، والمعتزلة توافق على الأسماء والأحكام ، بل والفلاسفة أيضا توافق على اطلاق ماذكره من الأسماء والصفات ؛ فلا يكون في هذا الاعتقاد

---

(١) السبع : كذا في (ك) ، وفي (ن ، خ ، س) : السبعة .
(٢) ن : وقد يم يزيد .
(٣) كذا في (ك) ، وفي (ن) : قديرا ، وفي (خ ، س) : قادرا قديرا .
(٤) له : ساقطة من (خ ، س) .
(٥) خ ، س : ولهذا كان هذا .
(٦) ن ، ك : آمرا ناهيا .
(٧) الصفات : كذا في (ك) ، وفي (ن ، خ ، س) : صفاتها .
(٨) ان : في (ك) فقط . وأمام هذا الموضع كتب في هامش (س) : مطلب اعتراض على المصنف .
(٩) ن : بنفسها .

فرق بين مذهب الصفاتية أهل الاثبات : كابن كلاب والأشعرى وأتباعهما ولا بين المعتزلة : كأبي علي[(١)] وأبي هاشم[(٢)] وأبي الحسين البصرى[(٣)] وأمثالهم، بل هذا الاعتقاد مشترك بين المعتزلة والأشعرية وغيرهم من الطوائف .

يبين هذا أنه لم يذكر في اعتقاده ماتتميز[(٤)] به الأشعرية عن المعتزلة : ولا[(٥)] ذكر أن القرآن كلام الله غير مخلوق ؛ ولا ذكر مسألة " الرؤية " : وأن رؤية الله جائزة في الدنيا واقعة في الآخرة ؛ ولا ذكر أيضا مسائل " القدر " : وأن الله خالق أفعال العباد ، وأنه مريد للكائنات ؛ ولا ذكر أيضا مسائل " الأسماء والأحكام " : وأن الفاسق لا يخرج عن الايمان بالكلية ، ولا يجب انفاذ الوعيد ، بل يجوز العفو عن أهل الكبائر ؛ ولا ذكر مسائل " الامامة والتفضيل " .

وكل هذه الأصول تذكر في مختصرات المعتقدات التي يصنفها[(٦)] متأخرو الأشاعرة : " كالعقيدة القدسية " لأبي حامد[(٧)] ، و " العقيدة البرهانية المختصرة من ارشاد أبي المعالي[(٨)] " ونحوهما ، فضلا عن الاعتقاد الذى يذكره[(٩)] أئمة

---

(١) هو أبو علي محمد بن عبد الوهاب بن سلام بن خالد الجبائي (٢٣٥ - ٣٠٣) ، نسبته الى جبا من قرى البصرة ، من أئمة معتزلة البصرة ، واليه تنسب فرقة الجبائية منهم .
انظر عنه : وفيات الأعيان ٤ / ٢٦٧ - ٢٦٩ ؛ البداية والنهاية ١١ / ١٢٥ ؛ لسان الميزان ٥ / ٢٧١ ؛ الأعلام ٦ / ٢٥٦ ؛ تاريخ التراث العربي ١ / ٤ / ٧٥ - ٧٧ .

(٢) هو أبو هاشم عبد السلام بن أبي علي محمد بن عبد الوهاب الجبائي (٢٧٧ - ٣٢١) من كبار المعتزلة من أهل البصرة ، عاش ببغداد وتوفي فيها ، يسمى أتباعه " البهشمية " .
انظر : تاريخ بغداد ١١ / ٥٥ - ٥٦ ؛ وفيات الأعيان ٣ / ١٨٣ - ١٨٤ ؛ لسان الميزان ٤ / ١٦ ؛ الأعلام ٤ / ٧ ؛ تاريخ التراث العربي ١ / ٤ / ٧٨ - ٧٩ ؛ وانظر آراءه وآراء والده في الملل والنحل للشهرستاني ١ / ٩٨ - ١٠٨ .

(٣) سبقت ترجمة أبي الحسين البصرى ، ص ٢٦٣ ت ٥ .

(٤) ماتتميز : كذا في (ك) ، وفي (ن ، خ ، س) : مايتميز .

(٥) ن : الا .

(٦) يصنفها : كذا في (ن) ، وفي (خ ، س ، ك) : يصنفونها .

(٧) كتب الامام أبو حامد الغزالي عقيدة لأهل القدس ، سماها " الرسالة القدسية في قواعد العقائد " ، ثم أودعها في الفصل الثالث من كتاب قواعد العقائد ضمن كتابه " احياء علوم الدين " ١ / ١٠٤ - ١١٥ .

(٨) راجعت عددا من المراجع في ترجمة أبي المعالي الجويني ، وفي أسامي الكتب ، فلم تذكر مختصرا لكتاب " الارشاد " .

(٩) ن ، ك : تذكره .

الأشعرية : كالقاضي أبي بكر وذويه ، فانهم يزيدون على ذلك اثبات الصفات الخبرية ، واثبات العلو وأمثال ذلك ، فضلا عن الاعتقاد الذي ذكره الأشعري في "المقالات" عن أهل السنة وأصحاب الحديث ، فان فيه جملا مفصلة ، فضلا عما يذكره السلف والأئمة الكبار من الاثبات والتفصيل ، المبين للسنة ، الفاصل بينها وبين كل بدعة .

ولهذا كان أصحاب هذا المصنف مع انتسابهم الى الأشعري ، انما هم في باب الصفات مقرون بما تقر به[1] (* المعتزلة[2] ، لا يقرون[3] بما تقر به[1] *) الأشعرية من الزيادات ، وبحوث أبي عبدالله بن الخطيب تعطيهم ذلك ؛ فان الوقف[4] والحيرة[5] ظاهر على كلامه في اثبات الصفات ، ومسألة "الرؤية" و"الكلام" وأمثالهما ، بخلاف مسائل "القدر" فانه جازم فيها بمخالفة المعتزلة .

وهذه الطريقة تشبه من بعض الوجوه طريقة ضرار بن عمرو وحسين[6] النجار وأمثالهما ، ممن كان يقر بالقدر ولكنه في الصفات بين المعتزلة والأشعرية . أو تشبه[7] طريقة الواقفية : الذين كانوا يقفون في القرآن ، فلا يقولون : هو مخلوق ولا غير مخلوق . وكلام أئمة السنة في ذم هؤلاء ، وكلام متكلمة الصفاتية - كالأشعري وغيره - في ذلك مشهور معروف[8] .

---

(١) ن : يقر به . (في الموضعين) .

(* - *) مابين النجمتين ساقط من (س) .

(٢) خ : بما تقر به المعتزلة من الاثبات .

(٣) ك : ولا يقرون .

(٤) ك : الوقت .

(٥) ن : والجبريه .

(٦) ن : وطريقة حسين .

(٧) ن : شبه .

(٨) انظر كلام أئمة السنة في ذم الواقفة في كتاب "السنة" للامام أحمد بن حنبل (ضمن مجموعة شذرات البلاتين من طيبات كلمات سلفنا الصالحين) ، ص ٤٩ ، ٥١ ، وكتاب "السنة" لعبد الله ابن أحمد بن حنبل (ط. السلفية بمكة ١٣٤٩ هـ) ، ص ٣٦ - ٣٧ ، وانظر "ملحق في الجهمية" أخذ من كتاب مسائل الامام أحمد بن حنبل لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني (ضمن مجموعة عقائد السلف) ، ص ١٠٥ - ١٠٦ ، ١١١ .
وانظر كلام الأشعري في كتابه "الابانة عن أصول الديانة" ، ص ٣٤ (ط. السلفية ، القاهرة ١٣٩٧ هـ) ، وكتابه "مقالات الاسلاميين" ١ / ٣٤٦ .

ص ٥٣ / فان قيل : فالمعتزلة لا تقر بمنكر ونكير[1] ، والصراط ، والميزان ، ونحو ذلك مما ذكره هذا المصنف .

قيل : المعتزلة في ذلك على قولين : منهم من يثبت ذلك ، ومنهم من ينفيه . على أن ما ذكره ليس فيه ما يدل[2] على اثبات هذه الأمور ، وانما فيه الاقرار بكل ما أخبر به الرسول (* من هذه الأمور ، وليس في المعتزلة ولا غيرهم من المسلمين من يقول : لا أقر بما أخبر به الرسول *) .

بل كل مسلم يقول : ان ما أخبر به الرسول فهو حق يجب تصديقه بــــه .

(٣ وكل المسلمين من أهل السنة والبدعة يقولون : " آمنت بالله [وماجاء عن الله على مراد الله ، وآمنت برسول الله[4]] وماجاء عن رسول الله على مراد رسول الله " فانه متى لم يقر بهذا فهو كافر كفرا ظاهرا ، ولا يتميز بهذا[5] القول المجمل مذهب أهل السنة عن غيرهم .

ولهذا لا يكتفي امام من أئمة السنة بمجرد هذا ، ومن نقل عن الشافعي وغيره أنه اكتفى بهذا فقد كذب عليه ، وانما هذا قول بعض المتأخرين ، وهو قول صحيح ، لا يخالف فيه الا كافر ، لكن العلم بالسنة مفصلا مقام آخر .

فالمبتدع اذا نازع السني لا ينازعه في تصديق الرسول في كل ما أخبر به ٣) ، لكن [المنكر لشيء من السنة] ينازع [فيــه] : هل[6] أخبر بذلك الرسول أم لا ؟ وهل خبره على ظاهره أم لا ؟ . وهو لم يثبت لا هذا ولا هذا ، اذ هما من علم النقل ودلالة الألفاظ ، وليس فيما ذكره شيء من هذا وهذا .

---

(١) أمام هذا الموضع كتب في هامش (س) : مطلب ، المعتزلة لا تقر بمنكر ونكير .
(٢) خ ، س : مادل .
(*-*) مابين النجمتين ساقط من (ن) .
(٣-٣) مابينهما : (وكل المسلمين . . . في كل ما أخبر به) ساقط من (خ ، س) .
(٤) مابين القوسين المعكوفين ساقط من (ك) .
(٥) ن : هذا بهذا .
(٦) كذا في (ن) ، وفي (خ ، س) : لكن المنكر لذلك ينازع فيه هل ، وفي (ك) لكن ينازع هل .

كما أن كلامه في التوحيد ليس مبنيا على أصول الأشعرية ولا أصول المعتزلة، بل على أصول المتفلسفة، فهو[1] متردد بين الفلسفة والاعتزال، وأخذ من بحوث المنتسبين الى الأشعرية كالرازى ونحوه ماقد يقوله هؤلاء وهؤلاء. وكذلك يحكي عنه خواص أصحابه أنه كان في الباطن يميل الى ذلك، [2]وقد ظهر ذلك في خواص المحدثين من أصحابه كالقشيرى وغيره[2]. ومعلوم أنه تكلم بمبلغ علمه، وحسب اجتهاده، ونهاية عقله، وغاية نظره؛ ولكن المقصود أن تعرف[3] المقالات والمذاهب، وماهي عليه من الدرجات والمراتب، ليعطى كل ذى حق حقه، ويعرف المسلم أين يضع رجله.

صفة الكلام الذى أخبرت به الرسل

اذا تبين هذا، فنحن ننبه على مايتميز به أهل السنة عن المعتزلة، ومن هو أبعد عن الحق منهم كالمتفلسفة، فنقول: اذا ثبت بهذا الدليل أنه سبحانه[4] متكلم، وثبت أن الرسل أخبروا بذلك - فنقول: الذى أخبرت به الرسل أنه متكلم بكلام قائم بنفسه، هذا هو الذى بينته[5]، وهذا هو الذى فهمه عنهم أصحابهم، ثم تابعوهم باحسان، [*]بل علموا هذا من دين[6] الرسل بالاضطرار[*]، ولم يكن في صدر الأمة وسلفها من ينكر ذلك، وأول من ابتدع خلاف ذلك الجعد بن درهم، ثم صاحبه الجهم بن صفوان.

---

(١) ن : وهو.

(٢ - ٢) مابينهما ساقط من (خ، س).
ذكر المترجمون للأصبهاني أن تقي الدين القشيرى كان يحضر درسه بقوص. انظر مثلا طبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٨/ ١٠١.
وهو الحافظ أبو الفتح محمد بن علي بن وهب بن مطيع القشيرى، ولد سنة ٦٢٥ بمدينة ينبع، ونشأ بقوص سمع الكثير ورحل في طلب الحديث وصنف فيه مصنفات عديدة، ودرس في أماكن كثيرة وولي قضاء الديار المصرية سنة ٦٩٥، توفي سنة ٧٠٢ بالقاهرة.
انظر: تذكرة الحفاظ ٤/ ١٤٨١ - ١٤٨٤؛ طبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٩/ ٢٠٧ - ٢٤٩؛ البداية والنهاية ١٤/ ٢٧؛ شذرات الذهب ٦/ ٥ - ٦؛ الأعلام ٦/ ٢٨٣.

(٣) ن : يعرف.

(٤) سبحانه: ساقطة من (خ، س)، وفي هامش (س) كتب أمام هذا الموضع: مطلب اثبات الكلام على مسلك أهل السنة.

(٥) بينته: كذا في (خ)، وفي (ن): نثبته، وفي (س، ك): نبينه.

(* - *) مابينهما ساقط من (خ، س).

(٦) ن، ك : دليل، ولعل الصواب ما أثبته.

وكلاهما قتل ؛ أما الجعد بن درهم - الذى كان يقال : انه معلم مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية ، وكان يقال له الجعدى نسبة الى الجعد - فانه قتله خالد بن عبد الله القسرى ، / ضحى به بواسط يوم النحر ؛ وقال : أيها الناس ضحوا تقبل الله ضحاياكم ، فاني مضح بالجعد بن درهم ، انه زعم أن الله لم يتخذ ابراهيم خليلا ولم يكلم موسى تكليما ، تعالى الله عما يقول الجعد علوا كبيرا . ثم نزل فذبحه .

ص ٥٤

وكانوا[1] أول ما أظهروا بدعتهم قالوا : ان الله لا يتكلم ولا يكلم[2] . كما حكي عن الجعد ، وهذا[3] حقيقة قولهم ؛ فكل من قال : " القرآن مخلوق " فحقيقة قوله أن الله لم يتكلم ولا يكلم[4] ، ولا يأمر ولا ينهى ، ولا يحب . فلما رأوا مافي ذلك من مخالفة القرآن والمسلمين قالوا : انه يتكلم مجازا : يخلق شيئا يعبر عنه[5] ، لا أنه في نفسه يتكلم . فلما شنع المسلمون عليهم قالوا : يتكلم حقيقة ، ولكن المتكلم هو من أحدث الكلام وفعله ولو في غيره ، فكل[6] من أحدث كلاما ولو في غيره كان متكلما بذلك الكلام حقيقة ، وقالوا : المتكلم من فعل الكلام لا من قام به الكلام . وهذا الذى استقر عليه قول المعتزلة .

وهم يموهون[7] على الناس فيقولون : أجمع المسلمون على أن الله متكلم - [وربما قالوا : أجمع المسلمون على أن الله متكلم حقيقة[8]] ولكن اختلفوا في معنى " المتكلم " هل هو من فعل الكلام ؟ أو من قام به الكلام ؟ . ومازعموه[9] من أن المتكلم يكون متكلما بكلام قائم بغيره ، قول خرجوا به عن العقل والشرع واللغة .

---

(١) ن : فكانوا .
(٢) خ ،س : ولا تكلم .
(٣) ك : وهذه .
(٤) ولا يكلم : كذا في (ك) . وفي (خ ،س) : ولا يتكلم . وسقطت العبارة من (ن) .
(٥) ن : بخلق شيء يعبر به .
(٦) ن : وكل .
(٧) ن : فهم يقولون .
(٨) مابين المعكوفين زيادة في (ن) فقط .
(٩) ن : ومازعموا .

وكان قدماء الصفاتية من السلف والأئمة والكلابية والكرامية والأشعرية يحققون هذا المقام ، ويبينون[1] ضلال الجهمية من المعتزلة وغيرهم فيه .

موقف الرازي من رد الصفاتية على الجهمية مذهبهم في الكلام

ولكن الرازي ونحوه أعرض عنه ، وقال : هذا بحث لفظي .وزعم أنه قليل الفائدة ، ثم سلك مسلكا ضعيفا في الرد عليهم ، قد بيناه في غير هذا الموضع.[2]

وهذا غلط عظيم جدا من وجهين :

أحدهما - أن المسألة اذا كانت سمعية ، وأنت انما أثبت أنه متكلم بأن الرسل بلغت أمره ونهيه الذى هو كلامه - كان من تمام ذلك البحث عن مراد الرسل بكونه آمرا ناهيا متكلما : هل مرادهم بذلك أنه خلق كلاما في غيره ، أو أنه قام به كلام تكلم به ؟ . والدلائل السمعية مقرونة بالبحث عن ألفاظ الرسل ولغاتهم التي بها خاطبوا الخلق ، فصارت[3] هذه المقدمة هي الركن المعتمد في الرد على المعتزلة ،كما سلكه قدماء الصفاتية وأئمتهم ،[4] بل هي الركن المعتمد في معنى كونه متكلما اذا ثبت ذلك بالطرق[5] السمعية .[4]

---

(١) ويبينون : كذا في (خ) ،وفي النسخ الأخرى : ويثبتون .

(٢) في كتاب الأربعين ،ص ١٧٦ عقد الرازى فصلا " في اثبات كونه تعالى متكلما " وذكر ص ١٧٧ قول المعتزلة " انه تعالى اذا أراد شيئا أو كره شيئا خلق هذه الأصوات المخصوصة في جسم من الأجسام لتدل هذه الأصوات على كونه تعالى مريدا لذلك الشيء المعين أو كارها له ، أو كونه حاكما به بالنفي أو بالاثبات ، فهذا هو المراد من كونه تعالى متكلما ".
وقال بعد هذا مباشرة :" وقد نازعهم أصحابنا فيه ،وقالوا : انه يمتنع أن يكون متكلما بكلام قائم بالغير،كما أنه يمتنع أن يكون متحركا بحركة قائمة بالغير ، وساكنا بسكون قائم بالغير.
وعندى أن هذه المنازعة ضعيفة ، لأن هذه المنازعة اما أن تكون في المعنى أو في اللفظ . . . الخ ".

(٣) ن : وصارت .

(٤-٤) مابينهما ساقط من (خ ،س) .

(٥) ن : بالطريق .

الثاني - أن المسألة ليست لغوية فقط ، بل كون الصفة إذا قامت بمحل : هل يعود حكمها على ذلك المحل أو على غيره . هو من البحوث العقلية النافعة في هذا المقام .

كلام السلف في ذلك كما نقله البخاري في خلق الأفعال

والسلف رضي الله عنهم عرفوا حقيقة المذهب ، وردوه بناء على هذا الأصل، كما ذكره[1] البخاري في كتاب " خلق الأفعال "، قال[2]: " وقال[3] ابن مقاتل[4] : سمعت ابن المبارك يقول : من قال : (انني أنا الله لا اله الا أنا[5]) مخلوق ، فهو كافر ، ولا ينبغي[6] لمخلوق أن يقول ذلك " " وقال[7]: انا[8] / لنحكي كلام اليهود والنصارى ، ولا نستطيع أن نحكي كلام الجهمية " " وقال[9] سليمان بن داود الهاشمي[10] : من قال : القرآن[11] مخلوق . فهو كافر ؛ وان كان القرآن مخلوقا - كما زعموا - فلم صار فرعون أولى بأن يخلد[12] في النار اذ قال : (أنا ربكم الأعلى[13]) . وزعموا أن هذا

ص ٥٥

---

(١) ن ، خ : ذكر .
(٢) في كتاب " خلق أفعال العباد " ضمن مجموعة " عقائد السلف " ، ص ١١٩ .
(٣) ك : في كتاب خلق الأفعال وقال قال .
(٤) هو أبو الحسن محمد بن مقاتل المروزي ، سكن بغداد ، ثم جاور بمكة ومات بها سنة ٢٢٦ . روى عن ابن المبارك وطبقته ، روى عنه البخاري وأحمد بن حنبل وأبو حاتم وأبو زرعة ، قال أبو حاتم : صدوق .
انظر : الجرح والتعديل ٨/ ١٠٥ ؛ تاريخ بغداد ٣/ ٢٧٥ - ٢٧٦ ؛ تهذيب التهذيب ٩/ ٤٦٨ - ٤٦٩ ؛ شذرات الذهب ٢/ ٥٩ .
(٥) سورة طه : ١٤ ، في جميع النسخ : اني . والمثبت من " خلق أفعال العباد " .
(٦) خلق أفعال العباد : لا ينبغي .
(٧) أي ابن المبارك ، في خلق أفعال العباد ، ص ١٢٠ وبين هذا القول والقول السابق أقوال أخرى له .
(٨) خلق أفعال العباد : وانا .
(٩) في خلق أفعال العباد ، ص ١٢٦ .
(١٠) هو أبو أيوب سليمان بن داود بن داود بن علي بن عبد الله بن عباس الهاشمي ، سكن بغداد وتوفي فيها سنة ٢١٩ ، قال عنه ابن سعد : ثقة ، كتب عنه البغداديون ورووا عنه .
انظر : الطبقات الكبرى لابن سعد ٧/ ٣٤٣ ؛ الجرح والتعديل ٤/ ١١٣ ؛ تاريخ بغداد ٩/ ٣١ - ٣٢ ؛ تهذيب التهذيب ٤/ ١٨٧ - ١٨٨ ؛ شذرات الذهب ٢/ ٤٥ .
(١١) ن ، ك : ان القرآن .
(١٢) ك : تخلد .
(١٣) سورة النازعات : ٢٤ .

مخلوق . ومن قال[1] : انني[2] أنا الله لا اله الا أنا فاعبدني ، هذا[3] أيضا قد ادعى ما ادعى فرعون ، فلم صار فرعون أولى بأن يخلد في النار من هذا، وكلاهما[4] عنده مخلوق . فأخبر بذلك أبو عبيد[5] فاستحسنه وأعجبه ".

قال البخاري[6] : " وقال[7] أبو الوليد[8] : سمعت يحى بن سعيد[9] ، وذكر له أن قوما يقولون : القرآن مخلوق . فقال : كيف يصنعون[10] بـ(قل هو الله أحد)[11] كيف يصنعون[12] بقوله : (انني أنا الله لا اله الا أنا)[13] ! "

---

(١) خلق أفعال العباد : والذى قال .
(٢) في جميع النسخ : اني . والمثبت من " خلق أفعال العباد ".
(٣) ك : فاعبدني ، مخلوق فهذا .
(٤) خلق أفعال العباد : وكلامهما .
(٥) هو الامام المجتهد أبو عبيد القاسم بن سلام البغدادى ، ولد بهراة سنة ١٥٧ ورحل الى بغداد ومصر ، ومات بمكة سنة ٢٢٤ ، كان حافظا للحديث وعلله ، عارفا بالفقه ، رأسا في اللغة ، اماما في القراءات ، ذا مصنفات ، ولي قضاء الثغور مدة .
انظر: الجرح والتعديل ٧/ ١١١ ؛ تاريخ بغداد ١٢/ ٤٠٣- ٤١٦ ؛ طبقات الحنابلة ١/ ٢٥٩ - ٢٦٢ ؛ تذكرة الحفاظ ٢/ ٤١٧- ٤١٨ ؛ طبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٢/ ١٥٣- ١٦٠ ؛ البداية والنهاية ١٠/ ٢٩١- ٢٩٢ ؛ تهذيب التهذيب ٨/ ٣١٥- ٣١٨ ؛ شذرات الذهب ٢/ ٥٤- ٥٥ ؛ الأعلام ٥/ ١٧٦ .
(٦) في خلق أفعال العباد ، ص ١٢٢ . قبل الكلام السابق بصفحات .
(٧) ن ، ك : قال .
(٨) لعله أبو الوليد هشام بن عبد الملك الباهلي مولاهم الطيالسي (١٣٣- ٢٢٧) ، من أهل البصرة وتوفي فيها ، وهو أحد أعلام المحدثين الثقات ، روى عنه البخاري وأبو داود وغيرهما .
انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد ٧/ ٣٠٠ ؛ الجرح والتعديل ٩/ ٦٥- ٦٦ ؛ تهذيب الكمال في أسماء الرجال ٣/ ١٤٤١- ١٤٤٢ ؛ تذكرة الحفاظ ١/ ٣٨٢- ٣٨٣ ؛ الأعلام ٨/ ٨٧ .
(٩) خلق أفعال العباد : يحى بن سعيد يقول .
ولعل المقصود الامام أبو سعيد يحيى بن سعيد بن فروخ القطان التميمي (١٢٠- ١٩٨) من أهل البصرة ، العارفين بالحديث ونقلته ، قال عنه ابن سعد : كان ثقة مأمونا رفيعا حجة .
انظر: طبقات ابن سعد ٧/ ٢٩٣ ؛ الجرح والتعديل ١/ ٢٣٢- ٢٥١ ؛ تهذيب الكمال في أسماء الرجال ٣/ ١٤٩٨- ١٥٠٠ ؛ تذكرة الحفاظ ١/ ٢٩٨- ٣٠٠ ؛ الأعلام ٨/ ١٤٧ .
(١٠) خلق أفعال العباد : تصنعون .
(١١) سورة الصمد : ١ ، (ن ، ك) : (قل هو الله أحد . الله الصمد) .
(١٢) خلق أفعال العباد : تصنعون .
(١٣) سورة طه : ١٤ .

وروى عن وكيع بن الجراح[1] أنه قال[2]: " لاتستخفوا بقولهم: "القرآن مخلوق"، فانه من شر قولهم، انما[3] يذهبون الى التعطيل ".

ومعنى كلام السلف أن (*من قال: ان كلام الله مخلوق. فحقيقة قوله أن الله تعالى لا يتكلم، وأن المحل الذى قام به " انني أنا الله لا اله الا أنا" هو المدعى الالهية؛ كما أن فرعون لما قام به: " أنا ربكم الأعلى " كان مدعيا للربوبية.

وكلام السلف مبني على مايعلمونه من أن الله خالق أفعال العباد وأقوالهم، واذا كان كلامه ماخلقه في غيره كان كل كلام كلامه، وكان كلام فرعون كلامه، *) أن المتكلم من قام به الكلام، فلا يكون متكلما بكلام يكون في غيره؛ كسائر الصفات والأفعال، فانه لا يكون عالما بعلم يقوم بغيره، ولا قادرا بقدرة تقوم بغيره، ولا حيا بحياة تقوم بغيره؛ وكسائر الموصوفين، فان الشيء لا يكون حيا عالما قادرا بحياة أو علم أو قدرة تقوم بغيره، (٤ولا يكون متحركا أو ساكنا بحركة أو سكون يقوم بغيره٤)، كما لا يكون متلونا بلون يقوم بغيره.

وهنا[5] أربع مسائل: مسألتان عقليتان، ومسألتان سمعيتان لغويتان.

الأولى - أن الصفة اذا قامت بمحل عاد حكمها الى ذلك المحل، فكان هو الموصوف بها؛ فالعلم والقدرة والكلام والحركة والسكون اذا قام بمحل كان ذلك المحل هو العالم، أو[6] القادر، أو[7] المتكلم، أو المتحرك، أو الساكن[8].

---

(١) هو الامام أبو سفيان وكيع بن الجراح بن مليح بن عدى الرواسي، ولد بالكوفة سنة ١٢٩ وتوفي بفيد راجعا من الحج سنة ١٩٧، أحد أئمة المحدثين، كان حافظا فقيها ورعا زاهدا.
انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد ٦/ ٣٩٤؛ الجرح والتعديل ١/ ٢١٩-٢٣٢؛ تاريخ بغداد ١٣/ ٤٩٦-٥١٢؛ طبقات الحنابلة ١/ ٣٩١-٣٩٢؛ تذكرة الحفاظ ١/ ٣٠٦-٣٠٩؛ الأعلام ٨/ ١١٧؛ تاريخ التراث العربي ١/ ١/ ١٧٩-١٨٠.
(٢) في خلق أفعال العباد، ص ١٢٨.
(٣) خلق أفعال العباد: وانما.
(*-*) مابينهما (من قال . . . كلامه ان) ساقط من (خ، س).
(٤-٤) مابينهما ساقط من (ن).
(٥) ن: وهذه. وفي هامش (س) كتب أمام هذا الموضع: مطلب، أربع مسائل تتعلق بالصفات.
(٦) أو: في (خ) فقط.
(٧) أو: سقطت من (س، ك).
(٨) س: والساكن.

اجماع العلماء[1].

ومن قال : الصفات تنقسم الى صفات ذاتية ، وفعلية . ولم يجعل الأفعال تقوم[2] به - فكلامه فيه تلبيس ، فانه سبحانه لا يوصف بشيء لا يقوم به . وان سلم أنه يتصف بما لا يقوم به فهذا هو أصل الجهمية ؛ الذين يصفونه بمخلوقاته ، ويقولون : انه متكلم ومريد ، وراض وغضبان ، ومحب ومبغض ، وراحم لمخلوقات يخلقها منفصلة عنه لا بأمور تقوم بذاته(*).

اذا تبين ذلك[3] فالسلف لما علموا هذا علموا أن قول من قال : (انني أنا الله لا اله الا أنا[4]) ، مخلوق . يوجب أن يكون هذا الكلام كلاما للشجرة ، لا كلاما لله ؛ لأنه قام بالشجرة لم يقم بالله . كما أن كلام فرعون قام به ، وان كان الله خالق ذلك كله ، فانه خالق العباد وأفعالهم وكلامهم .

وهذا أيضا مما يبين أنه لو كان من[5] يخلق الكلام في غيره متكلما لوجب أن يكون كل كلام في الوجود كلامه ، وهذا يقوله غالية[6] الجهمية الاتحادية : كصاحب " الفصوص " ونحوه فانه يقول :

---

(١) قال البخاري في كتاب " خلق أفعال العباد " ضمن مجموع عقائد السلف ، ص ٢١٠ : " فالفعل انما هو احداث الشيء ، والمفعول هو الحدث " واستدل لذلك من القرآن والسنة ، ثم قال (ص ٢١١) : " وكذلك تؤدي جميع لغات الخلق من غير اختلاف بينهم ، وانما هو الفاعل والفعل والمفعول ، فالفعل صفة ، والمفعول غيره ، وبيان ذلك في قوله تعالى : (ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم) [سورة الكهف : ٥١] ولم يرد بخلق السموات نفسها ، وقد ميز فعل السموات من السموات ، وكذلك فعل جملة الخلق ... ".
وقال (ص ٢١٢) : " واختلف الناس في الفاعل والمفعول والفعل ، فقالت القدرية : الأفاعيل كلها من البشر ليست من الله ، وقالت الجبرية : الأفاعيل كلها من الله ، وقالت الجهمية : الفعل والمفعول واحد ، ولذلك قالوا : لكن [كذا ولعل الصواب : كن] مخلوق ، وقال أهل العلم : التخليق فعل الله ، وأفاعيلنا مخلوقة ... الخ ".

(٢) ك : يقوم .

(٣) ك : اذا تبين هذا .

(٤) سورة طه : ١٤ . في جميع النسخ : قول من قال : اني ...

(٥) من : في (ك) فقط .

(٦) ن : غلاة .

وكل كلام في الوجود كلامه .·. سواء علينا نثره ونظامه[1]

ومعلوم أن هذا الكلام أعظم من كفر اليهود والنصارى[2]، كما ذكر ابن المبارك[3] وغيره من السلف[4].

وأيضا فان الله تعالى قد[5] أنطق أشياء ؛ كما قال تعالى : (يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون . يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق ويعلمون أن الله هو الحق المبين)[6] . وقال : (حتى اذا ما جاءوها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون . وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذى أنطق كل شيء)[7]. فهو[8] منطق كل شيء وخالق نطقه . ولا نزاع أنه خالق النطق في غير الحي المختار،[9] وانما تنازعنا[10] القدرية في خلق أقوال الأحياء وأفعالهم[9] .

---

(١) قال ابن عربي في كتاب " الفتوحات المكية " ٤ / ١٤٠ ط. دار الكتب العربية الكبرى بمصر : " ولكن الله قد أبان لنا أن هوية الحق سمع العبد وبصره وجميع قواه ، والعبد ماهو الا بقواه ، فما هو الا بالحق ، فظاهره صورة خلقية محدودة ، وباطنه هوية الحق غير محدودة للصورة ، فهو من حيث الصورة من جملة من يسبح بحمده وهو من حيث باطنه كما ذكرنا . . . " الى أن قال (٤ / ١٤١):

ألا كل قول في الوجود كلامه .·. سواء علينا نثره ونظامه
يعم به أسماع كل مكون .·. فمنه اليه بدؤه وختامه
ولا سامع غير الذى كان قائلا .·. فمندرج في الجهر منه اكتتامه
فتستره ألفاظنا بحروفها .·. فما فيه من ضوء فذاك ظلامه
فما ظنكم بالنور فيه اذا بدا .·. وقد ملأ الجو الفسيح غمامه

لأنه القائل : (أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام) ، ولما كان الأمر على ماذكرناه في نفسه طلب منا أن نخلص العبادة له ، لأن بالعبادة نكون عبيدا ، ومانكون عبيدا الا بهويته ، فنخلص العبودية ، وتخليصها أن تقول له : أنت هو بانانيتك ، وأنت هو في أنا نيتي ، فما ثم الا أنت ، فأنت المسمى ربا وعبدا . . . " الى آخر الكلام المعروف عنه ، نسأل الله أن يحفظ علينا ديننا وعقولنا .

(٢) كذا في (ن) ، وفي (خ ، س ، ك) : من كفر عباد الأصنام .

(٣) ك : كما ذكره ابن مبارك .

(٤) عبارة " كما ذكر ابن المبارك وغيره من السلف " : ساقطة من (خ ، س) .

(٥) خ ، س : وأيضا فالله قد .

(٦) سورة النور : ٢٤ ، ٢٥ .

(٧) سورة فصلت : ٢٠ ، ٢١ .

(٨) ن : وهو .

(٩-٩) مابين الرقمين ساقط من (خ ، س) .

(١٠) تنازعنا : كذا في (ن) ، وفي (ك) : تنازعت .

فان كان حقيقة كلامه ماخلقه في غيره من الكلام فهذا[1] جميعه كلامه،

ص ٥٧ ومافي هذا الكلام المخلوق من ضمير المتكلم / اما أن يعود الى خالقه أو الى محله .

فان عاد الى خالقه كانت شهادة الأعضاء شهادة الله ؛ وكان قول فرعون : " أنا ربكم الأعلى " قولا لله[2] ؛ وكان قولهم لجلودهم : لم شهدتم علينا ؟ قولا لله[3] ؛ وكان قول الجلود : " أنطقنا الله الذى أنطق كل شيء" بمعنى أنطقت نفسي ! ولم يكن فرق عندهم بين " نطق " و " أنطق ".

وان عاد الضمير الى محله كان الكلام المخلوق في الشجرة : انني أنا الله لا اله الا أنا . كلاما للشجرة ، فتكون الشجرة هي القائلة : انني أنا الله لا اله الا أنا . وهذا حقيقة قولهم ؛ لما ثبت من أن الكلام كلام لمن قام به ، فيكون ضمير المتكلم فيه عائدا الى محله .

ولما كان هذا المعنى مستقرا في فطر الناس وعقولهم كان السلف يقصدون بمجرد[4] قولهم : " القرآن كلام الله " الرد على هؤلاء الجهمية الذين حقيقة قولهم أن القرآن ليس كلام الله ،وانما هو كلام لجسم مخلوق ، وحقيقة قولهم أن الله لم يكلم موسى ، وانما كلمه مخلوق من مخلوقاته .

قال البخارى[5] : " قال[6] عبد الرحمن بن عفان[7] سمعت سفيان بن عيينه في السنة[8]

---

(١) ن : وهذا .
(٢) خ ،س : قولا لله أنا ربكم الأعلى .
(٣) خ ،س : لم شهدتم قولا لله لم شهد علينا .
(٤) خ ،س : كان قول السلف لمجرد .
(٥) في كتاب " خلق أفعال العباد " ص ١٢٣ .
(٦) خلق أفعال العباد : وقال .
(٧) قال الذهبي في ميزان الاعتدال ٢ / ٥٧٩ " عبد الرحمن بن عفان عن أبي بكر بن عياش كذبه يحيى بن معين " وأضاف ابن حجر في لسان الميزان ٣ / ٤٢٣- ٤٢٤ : " في ثقات ابن حبان : عبد الرحمن بن عفان السرخسي ،سكن بغداد ،يروى عن السماك والفضيل بن عياض الرقاق والحكايات ".
وانظر عنه : أيضا تاريخ بغداد ١٠ / ٢٦٤- ٢٦٥ ،وقد أورد أبو نعيم في حلية الأولياء ٧ / ٢٩٦ هذا الخبر بسنده عن أبي بكر عبد الرحمن بن عفان .
(٨) عبارة " في السنة " ساقطة من " خلق أفعال العباد ".

التي ضرب فيها[1] المريسي ، فقام ابن عيينة من مجلسه مغضبا ، قال[2] : ويحكم ! القرآن كلام الله ، قد صحبت الناس وأدركتهم ؛ هذا عمرو بن دينار[3] ، وهذا ابن المنكدر[4] - حتى ذكر منصورا[5] والأعمش[6] ومسعر بن كدام[7] - فقال ابن عيينة : قد تكلموا في الاعتزال والرفض والقدر ، وأمرونا[8] باجتناب القوم ، فما نعرف القرآن الا كلام الله ، ومن قال غير هذا فعليه لعنة الله ، وما أشبه[9] هذا القول بقول النصارى ، لا تجالسوهم[10] ، ولا تسمعوا كلامهم ".

---

(١) ن : التي مات .

(٢) خلق أفعال العباد : فقال .

(٣) هو الامام الحافظ أبو محمد عمرو بن دينار الجمحي مولاهم المكي الأثرم ، ولد سنة ٤٦هـ وسمع ابن عباس وابن عمر وجابر بن عبد الله وأنس بن مالك وغيرهم ، كان ثقة ثبتا ، وكان مفتي أهل مكة في زمانه ، توفي سنة ١٢٦ .
انظر : الطبقات الكبرى لابن سعد ٥/٤٧٩-٤٨٠ ؛ الجرح والتعديل ٦/٢٣١ ؛ تذكرة الحفاظ ١/١١٣-١١٤ ؛ تهذيب التهذيب ٨/٢٨ - ٣٠ ؛ الأعلام ٥/٧٧ .

(٤) هو الامام الحافظ أبو عبد الله محمد بن المنكدر بن عبد الله بن الهدير بن عبد العزى القرشي التيمي المدني ، ولد قبل سنة ٦٠ ، وسمع أبا هريرة وابن عباس وجابرا وأنس بن مالك وغيرهم مجمع على ثقته وتقدمه في العلم والعمل ، توفي سنة ١٣٠ . انظر :
الجرح والتعديل ٨/٩٧ - ٩٨ ؛ تذكرة الحفاظ ١/١٢٧-١٢٨ ؛ تهذيب التهذيب ٩/٤٧٣-٤٧٥ ؛ شذرات الذهب ١/١٧٧-١٧٨ ؛ الأعلام ٧/١١٢ .

(٥) هو الامام الحافظ المتقن أبو عتاب منصور بن المعتمر بن عبد الله السلمي الكوفي ، أخذ عن كبار التابعين ، وتوفي بالمدينة سنة ١٣٢ .
انظر : الطبقات الكبرى لابن سعد ٦/٣٣٧ ؛ الجرح والتعديل ٨/١٧٧-١٧٩ ؛ تذكرة الحفاظ ١/١٤٢-١٤٣ ؛ تهذيب التهذيب ١٠/٣١٢ - ٣١٥ ؛ شذرات الذهب ١/١٨٩ ؛ الأعلام ٧/٣٠٥ .

(٦) الامام الحافظ أبو محمد سليمان بن مهران الأسدى الكاهلي مولاهم ، يلقب بالأعمش (٦١-١٤٨) ، سكن الكوفة وتوفي بها وكان عارفا بالقراءة والفرائض والحديث ، من ثقات التابعين ، لكنه يدلس.
انظر الطبقات الكبرى لابن سعد ٦/٣٤٢-٣٤٤ ؛ الجرح والتعديل ٤/١٤٦-١٤٧ ؛ تاريخ بغداد ٩/٣-١٣ ؛ تذكرة الحفاظ ١/١٥٤ ؛ تهذيب التهذيب ٤/٢٢٢-٢٢٦ ؛ شذرات الذهب ١/٢٢٠ - ٢٢٣ ؛ الأعلام ٣/١٣٥ .

(٧) هو الامام الحافظ مسعر بن كدام بن ظهير الهلالي العامرى الرواسي الكوفي ، كان ثقتا ثبتا في الحديث ، توفي بالكوفة سنة ١٥٢ أو ١٥٥ .
انظر : الطبقات الكبرى لابن سعد ٦/٣٦٤-٣٦٥ ؛ الجرح والتعديل ٨/٣٦٨-٣٦٩ ؛ تذكرة الحفاظ ١/١٨٨-١٩٠ ؛ تهذيب التهذيب ١٠/١١٣-١١٥ ؛ شذرات الذهب ١/٢٣٨ - ٢٣٩ ؛ الأعلام ٧/٢١٦ .

(٨) خلق أفعال العباد : وأمروا .

(٩) خلق أفعال العباد : ما أشبه .

(١٠) خلق أفعال العباد : ولا تجالسوهم .

(*وابن عيينة أخرج هذا القول عن الرفض والاعتزال ؛ لأن المعتزلة أولا الذين كانوا في زمن عمرو بن عبيد[١] وأمثاله لم يكونوا جهمية ، وانما كانوا يتكلمون في الوعيد وانكار القدر. وانما حدث فيهم نفي الصفات بعد هذا، ولهذا لما ذكر الامام أحمد بن حنبل في "رده على الجهمية" قول جهم ، قال: " فاتبعه قوم من أصحاب عمرو بن عبيد وغيره[٢]". واشتهر هذا القول عن أبي الهذيل العلاف والنظام وأشباههما[٣] من أهل الكلام .

وأما الرافضة فلم يكن في قدمائهم من يقول بنفي الصفات ، بل كان الغلو في التجسيم مشهورا عن شيوخهم : هشام بن الحكم[٤] وأمثاله*) .

وقال البخاري[٥] :" حدثني الحكم بن محمد الطبري[٦] - كتبت عنه بمكة - قال : حدثنا سفيان بن عيينة قال : أدركت مشيختنا[٧] منذ سبعين سنة - منهم عمرو ابن دينار - يقولون : القرآن كلام الله ، وليس بمخلوق ".

(*-*) مابين النجمتين ساقط من (خ ، س) .

(١) هو امام القدرية والمعتزلة أبو عثمان عمرو بن عبيد بن باب - ويقال : ابن ثوبان ، ويقال : ابن كيسان - التيمي مولاهم من أبناء فارس ، ولد في بلخ سنة ٨٠ ، وعاش في البصرة ، وتتلمذ على الحسن البصري ثم اعتزله مع واصل بن عطاء ، ذمه أئمة الجرح والتعديل لبدعته وكذبه في الحديث ، وأثنى عليه آخرون في عبادته وزهده ، مات بطريق مكة سنة ١٤٢ أو ١٤٣ أو ١٤٤ .
انظر: الجرح والتعديل ٦ / ٢٤٦ - ٢٤٧ ؛ ميزان الاعتدال ٣ / ٢٧٣ - ٢٨٠ ؛ البداية والنهاية ١٠ / ٧٨ - ٨٠ ؛ شذرات الذهب ١ / ٢١٠ - ٢١١ ؛ الأعلام ٥ / ٨١ ؛ تاريخ التراث العربي ١ / ٤ / ٢٠ - ٢١ .

(٢) في الرد على الزنادقة والجهمية ، ص (٦٦ - ٦٧ ضمن مجموع عقائد السلف) : " وتبعه على قوله رجال من أصحاب أبي حنيفة وأصحاب عمرو بن عبيد بالبصرة ، ووضع دين الجهمية ".

(٣) ك : وأشباههم .

(٤) ك : ابن الحكيم . وهو أبو محمد هشام بن الحكم ، مولى بني شيبان ، كوفي سكن بغداد ، تنسب اليه والى هشام بن سالم الجواليقي فرقة الهشامية من الرافضة ، في كتاب الفهرست للنديم : " توفي بعد نكبة البرامكة بمديدة مستترا ، وقيل في خلافة المأمون ".
انظر الفهرست ، ص ٢٢٣ - ٢٢٤ ؛ لسان الميزان ٦ / ١٩٤ ؛ ضحى الاسلام ٣ / ٢٦٨ - ٢٦٩ ؛ الأعلام ٨ / ٨٥ . وانظر ما ذكرته عن الهشامية فيما تقدم ، ص ١٧ ت ٣ .

(٥) في بداية كتاب " خلق أفعال العباد " ضمن مجموعة " عقائد السلف " ص ١١٧ .

(٦) هو أبو مروان الحكم بن محمد الطبري ، نزيل مكة ، ذكره ابن حجر في تهذيب التهذيب ٢ / ٤٣٨ - ٤٣٩ وقال : " ذكره ابن حبان في الثقات ، وقال : مات سنة بضع عشرة ومائتين " وانظر عنه أيضا الجرح والتعديل ٣ / ١٢٧ .

(٧) ن ، خلق أفعال العباد : مشايخنا .

قلت : كان المريسي قد صنف كتابا في نفي الصفات[1] ، وجعل يقرؤه بمكة في أواخر حياة ابن عيينة ، فشاع بين علماء أهل مكة ذلك ، وقالوا : صنف كتابا في التعطيل . فسعوا في عقوبته وحبسه ، وذلك قبل أن يتصل بالمأمون ويجرى من المحنة ما جرى .

وقول ابن عيينة : ما أشبه هذا الكلام بكلام[2] النصارى ! هو كما قال - كما / قد بسط في غير هذا الموضع - فان عيسى مخلوق ، وهم يجعلونه نفس الكلمة ، لا يجعلونه المخلوق بالكلمة . وأيضا (* فأئمة النصارى[3] - كفشتكين أحد فضلائهم الأكابر[4] *) - يقولون : ان الله ظهر في صورة البشر مترائيا لنا ، كما ظهر كلامه لموسى[5] في الشجرة ، فالصوت المسموع هو[6] كلام الله وان كان خلقه[7] في غيره ؛ وهذا المرئى هو الله وان كان قد حل في غيره .

ص ٥٨

قال البخاري[8] : " وقال علي بن عاصم[9] : ما الذين[10] قالوا بأن[11] لله ولدا

---

(١) في هامش (س) كتب أمام هذا الموضع : مطلب ، المريسي صنف كتابا في نفي الصفات .
(٢) ن : بقول .
(٣) ك : نصارى .
(٤) ن : الكبار .
(*-*) ما بين النجمتين ساقط من (خ ، س) .
(٥) ن : كما ظهر لموسى كلامه .
(٦) هو : ليست في (ن) .
(٧) ن : خالقه .
(٨) في " خلق أفعال العباد " ، ص ١٢١ .
(٩) هو الحافظ أبو الحسن علي بن عاصم بن صهيب الواسطي التيمي مولاهم (١٠٥ - ٢٠١) أصله من واسط ، سكن بغداد وحدث بها ، كان اماما ورعا صالحا ، ولكن أنكروا عليه كثرة الخطأ والغلط .
انظر : الجرح والتعديل ٦ / ١٩٨ - ١٩٩ ؛ تاريخ بغداد ١١ / ٤٤٦ - ٤٥٨ ؛ تذكرة الحفاظ ١ / ٣١٦ - ٣١٧ ؛ تهذيب التهذيب ٧ / ٣٤٤ - ٣٤٨ ؛ شذرات الذهب ٢ / ٢ ؛ الأعلام ٤ / ٢٩٧ .
(١٠) خلق أفعال العباد : وقال علي : ان الذين .
(١١) خ ، س ، خلق أفعال العباد : ان .

أكفر من الذين قالوا : ان الله لا يتكلم " . قال[1] : " وقال علي بن عبد الله - يعني ابن المديني[2] - : القرآن كلام الله ، من قال : انه مخلوق فهو كافر لا يصلى خلفه".
قال[3] : " وقال أبو الوليد : من قال : القرآن مخلوق ، فهو كافر ، ومن لم يعقد قلبه على أن القرآن ليس بمخلوق فهو خارج من[4] الاسلام " . قال[5] : " وقال أبو عبيد[6] : نظرت في كلام اليهود والنصارى والمجوس فما رأيت قوما[7] أضل في كفرهم منهم ، واني لأستجهل من لا يكفرهم ، الا من لا يعرف كفرهم " . قال[8] : " وقال معاوية بن عمار[9] : سمعت جعفر بن محمد[10] يقول : القرآن كلام الله ، ليس[11] بمخلوق " . وهذا

---

(١) في " خلق أفعال العباد " ، ص ١٢٢ .
(٢) عبارة " يعني ابن المديني - زيادة من ابن تيمية للايضاح .
وهو الامام أبو الحسن علي بن عبد الله بن جعفر بن نجيح السعدي مولاهم ، المعروف بابن المديني ، أصله من المدينة ، ولد بالبصرة سنة ١٦١ ، وحدث في بغداد ، وتوفي بسامرا سنة ٢٣٤ ، كان علما في معرفة الحديث والعلل ، ومناقبة كثيرة ، الا أنه أجاب في محنة القول بخلق القرآن ثم ندم ورجع .
انظر : الجرح والتعديل ٦ / ١٩٣ - ١٩٤ ؛ تاريخ بغداد ١١ / ٤٥٨ - ٤٧٣ ؛ طبقات الحنابلة ١ / ٢٢٥ - ٢٢٨ ؛ تذكرة الحفاظ ٢ / ٤٢٨ - ٤٢٩ ؛ تهذيب التهذيب ٧ / ٣٤٩ - ٣٥٧ ، شذرات الذهب ٢ / ٨١ ؛ الأعلام ٤ / ٣٠٣ ؛ تاريخ التراث العربي ١ / ١ / ٢٠٤ - ٢٠٥ .
(٣) في خلق أفعال العباد ، ص ١٢٣ .
(٤) ك : عن .
(٥) بعد القول السابق مباشرة .
(٦) خلق أفعال العباد : قال أبو عبد الله .
(٧) قوما : ليست في " خلق أفعال العباد " .
(٨) خلق أفعال العباد ، ص ١٢٠ قبل القول السابق بصفحات .
(٩) هو معاوية بن عمار بن أبي معاوية الدهني ، نسبة الى دهن قبيلة من بجيلة ، من أهل الكوفة ، صدوق .
انظر : الجرح والتعديل ٨ / ٣٨٥ ؛ ميزان الاعتدال ٤ / ١٣٧ ؛ تهذيب التهذيب ١٠ / ٢١٤ - ٢١٥ .
(١٠) هو الامام أبو عبد الله جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، يلقب بجعفر الصادق ، ولد سنة ٨٠ بالمدينة وعاش وتوفي بها سنة ١٤٨ ، وهو محدث وفقيه ، وثقه الشافعي ويحيى بن معين وأبو حاتم ، لكن البخاري لم يخرج له .
انظر : الجرح والتعديل ٢ / ٤٨٧ ؛ تذكرة الحفاظ ١ / ١٦٦ - ١٦٧ ؛ ميزان الاعتدال ١ / ٤١٤ ؛ تهذيب التهذيب ٢ / ١٠٣ - ١٠٥ ؛ شذرات الذهب ١ / ٢٢٠ ؛ الأعلام ٢ / ١٢٦ ؛ تاريخ التراث العربي ١ / ٣ / ٢٦٧ - ٢٧٣ .
(١١) خلق أفعال العباد : وليس .

باب واسع كبير منتشر في كتب السنة والحديث ، فهذا تمام ماقرره[1] في مسألة " الكلام ".

فصل[2]

طرق أخرى في اثبات كون الله متكلما : ١ - الطرق السمعية

وللناس طرق أخرى في اثبات كون الله متكلما[3]: منها مافي القرآن من الاخبار عن ذلك ، كقوله تعالى : (قال الله[4]) و (يقول الله[5]) ، وقوله : (وكلم الله موسى تكليما[6]) . وقوله : (ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه[7]) .

وماذكره في القرآن من كلمته[8] وكلماته ، كقوله تعالى : (ولولا كلمة سبقت من ربك[9]) ، وقوله : (وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا[10]) .

ومافيه من ذكر نداءاته ومناجاته ، كقوله : (وناديناه من جانب الطور الأيمن وقربناه نجيا[11]) ، وقوله : (ويوم يناديهم فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون[12]) ، (ويوم يناديهم فيقول ماذا أجبتم المرسلين[13]) ، (واذ نادى ربك موسى أن ائت القوم الظالمين[14]) .

ومافي القرآن من ذكر انبائه[15] وقصصه ؛ كقوله : (قد نبأنا الله من أخباركم[16]) . وقوله : (نحن نقص عليك أحسن القصص[17]) .

---

(١) ن : ماقرروه .
(٢) كلمة " فصل " : ليست في (خ ، س) .
(٣) عبارة " في اثبات كون الله متكلما " ساقطة من (خ ، س) .
(٤) سورة المائدة ١١٥ .
(٥) في القرآن : (والله يقول) سورة الأحزاب : ٤ .
(٦) سورة النساء : ١٦٤ .
(٧) سورة الأعراف : ١٤٣ .
(٨) في جميع النسخ : كلمة . ولعل الصواب ما أثبته .
(٩) سورة يونس : ١٩ .
(١٠) سورة الأنعام : ١١٥ . في جميع النسخ : (وتمت كلمات) . وهو خطأ ، وآخر الآية : (... وعدلا لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم) .
(١١) سورة مريم : ٥٢ .
(١٢) سورة القصص : ٦٢ . والآية ساقطة من (ن) ، وفي (خ ، س ، ك) : (ويوم يناديهم أين شركائي الذى كنتم تزعمون) .
(١٣) سورة القصص : ٦٥ .
(١٤) سورة الشعراء : ١٠ .
(١٥) س : أنبيائه .
(١٦) سورة التوبة : ٩٤ .
(١٧) سورة يوسف : ٣ .

ومافي القرآن من ذكر حديثه [وقوله][1]، كقوله : (الله لا اله الا هـــو ليجمعنكم الى يوم القيامة لاريب فيه ومن أصدق من الله حديثا)[2]. وقوله : (اللـه نزل أحسن الحديث)[3] ، [وقوله][4] : (قوله الحق وله الملك يوم ينفخ في الصور)[5].

[ومافيه][6] من [أن][7] القول منه ؛ كقوله[8] : (ولكن حق القول مـــني لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين)[9].

وماذكر في القرآن أنه منه ، أو ما أضيف اليه : فان كان عينا قائمة بنفسها أو أمرا قائما بتلك العين ـ كان مخلوقا ؛ كقوله في عيسى : (وروح منـــه)[10]، وقوله : (وسخر لكم مافي السموات ومافي الأرض جميعا منه) / وقوله[11] [12] : (ومابكم من نعمة فمن اللـــه)[13].

ص ٥٩

وأما ماكان صفة لا تقوم بنفسها ، ولم يذكر لها محل غير الله كان صفة لـه كالقـــول[14] والعلم .

والأمر اذا أريد به المصدر كان[15] من هذا الباب ؛ كقوله تعالى[16] : (ألا له الخلق والأمر)[17]. وان أريد به المخلوق المكون بالأمر كان من الأول ؛ كقولـــه تعالـى[18] : (أتى أمر الله فلا تستعجلوه)[19].

---

(١) وقوله : ساقطة من (ن ،ك) .
(٢) سورة النساء : ٨٧ .
(٣) سورة الزمر : ٢٣ .
(٤) وقوله : في (ن) فقط .
(٥) سورة الأنعام : ٧٣ . في (ك) جاءت هذه الآية بعد آية السجدة الآتية .
(٦) عبارة " ومافيه " ساقطة من (ك) .
(٧) أن : ساقطة من (ن ،ك) .
(٨) ك : وقوله .
(٩) سورة السجدة : ١٣ . في (ك) بعد هذه الآية : وقوله تعالى : (قوله الحق وله الملك)الآية .
(١٠) سورة النساء : ١٧١ .
(١١) سورة الجاثية : ١٣ .
(١٢) س ،ك : وقوله تعالى .
(١٣) سورة النحل : ٥٣ .
(١٤) ن ،ك : فكا لقول .
(١٥) س ،ك : اذا أريد به المصدر كان المصدر .
(١٦) تعالى : ليست في (ن ،خ) .
(١٧) سورة الأعراف : ٥٤ .
(١٨) تعالى : ليست في (ن ،خ) .
(١٩) سورة النحل : ١ .

وبهذا يفرق بين كلام الله سبحانه[١] ، وعلم الله[٢] ؛ وبين عبد الله ، وبيت الله ، وناقة الله ، وقوله : (فأرسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا[٣]) .

وهذا أمر معقول في الخطاب[٤] ؛ فاذا قلت : " علم فلان وكلامه ومشيئته " لم يكن شيئا بائنا عنه[٥] ، والسبب في ذلك أن هذه الأمور صفات لما تقوم به ، فاذا أضيفت اليه كان ذلك اضافة صفة[٦] لموصوف ، اذ لو قامت بغيره لكانت صفة لذلك الغير ، لا له[٧] .

واعلم أن الاستدلال على الكلام بمثل هذه السمعيات أكمل من الاستدلال على السمع والبصر بالسمعيات ، لأن ما أخبر الله به عن نفسه من قوله وكلامه ، ونبئه وقصصه ، وأمره ونهيه وتكليمه ، ونداءه ومناجاته ، وأمثال ذلك - أضعاف أضعاف ما أخبر به من كونه سميعا بصيرا .

وأيضا فانه نوع الاخبار عن كل نوع من أنواع الكلام ، وثنى ذلك ، وكرره في مواضع ، ولا يحصى[٨] ما في القرآن من ذلك الا بكلفة .

ومن المعلوم بالاضطرار أن المخاطبين لا يفهمون من هذا الكلام عند الاطلاق أنه خلق صوتا في غيره ، وانما يفهمون منه [أنه[٩]] هو الذى تكلم بذلك وقاله[١٠] ،

---

(١) سبحانه : ليست في (ن ، خ) .
(٢) ن : وحكم الله .
(٣) سورة مريم : ١٧ .
(٤) ن : معقول بمعنى الخطاب .
(٥) في (خ) بعد عبارة " بائنا عنه " اشارة للهامش وكتب فيه : " واذا قلت : عبده ومملوكه ونحو ذلك كان ذلك شيئا بائنا عنه " .
(٦) صفة : ساقطة من (ن) .
(٧) لا له : كذا في (ن) ، وفي (خ ، س ، ك) لا لغيره .
(٨) خ : فلا يحصى .
(٩) أنه : ساقطة من (س ، ك) .
(١٠) س : وقال .

كما قالت عائشة في حديث الافك : " ولشأني في نفسي كان أحقر من أن يتكلم الله في بوحي يتلى"[١]. فلو كان المراد بهذه الجمل الكثيرة العظيمة البينة الصريحة خلاف مفهومها ومقتضاها لوجب بيان ذلك ؛ اذ تأخير البيان عن وقت الحاجة لا يجوز .

ثم لا يقدر أحد أن يحكي عنهم أنهم جعلوا الكلام كلاما لمن أحدثه في غيره ، بل لا يوجد في كلامهم قال ويقول ، وتكلم[٢] ويتكلم ، الا اذا كان الكلام قائما بذاته .

واذا احتجت الجهمية من المعتزلة ونحوهم بأن أحدنا انما كان متكلما لأنه فعل الكلام قيل : هو لم[٣] يحدثه في غيره ، ولم يباين كلامه نفسه ، وأنتم تجعلون الكلام المباين[٤] للمتكلم كلاما له .

فان قالوا : ولا نعقل[٥] الكلام الا كلاما لمن فعله بمشيئته وقدرته ، فان كلام أحدنا لم يكن كلاما له لمجرد[٦] قيامه بذاته ، بل لكونه فعله .

قيل : أما كلام أحدنا[٧] فهو قائم به ، وهو تكلم[٨] به في ذاته ومشيئته وقدرته ، فهو[٩] قد جمع الوصفين : أنه قائم بذاته ، وأنه تكلم به[١٠] بمشيئته وقدرته .

---

(١) ورد قول عائشة هذا في حكايتها رضي الله عنها لقصة الافك ، في صحيح البخارى (فتح البارى ٨/ ٤٥٤ رقم ٤٧٥٠) كتاب التفسير ، باب : (لولا اذ سمعتموه قلتم مايكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم) [سورة النور : ١٦] ؛ وصحيح مسلم ٤/ ٢١٣٥ رقم ٢٧٧٠ كتاب التوبة ، باب في حديث الافك وقبول توبة القاذف ، وسنن أبي داود (عون المعبود ١٣/ ٦١) كتاب السنة ، باب في القرآن ، ومسند أحمد (ط. الحلبي) ٦/ ١٩٧ .
ولفظ البخارى : " وأنا حينئذ أعلم أني بريئة ، وأن الله مبرئي ببراءتي ، ولكن والله ماكنت أظن أن الله منزل في شأني وحيا يتلى ، ولشأني في نفسي كان أحقر من أن يتكلم الله في بأمر يتلى ، ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم رؤيا يبرؤني الله بها " .

(٢) ك : تكلم . (بسقوط الواو) .

(٣) ن : قيل : الواحد مالم .

(٤) ك : البائن .

(٥) ن : فلا يعقل .

(٦) ك : بمجرد .

(٧) ك : أحد .

(٨) ن : يتكلم .

(٩) ن : وهو .

(١٠) به : ساقطة من (ن) .

فليس جعلكم الكلام كلامه لمجرد كونه فعله بأولى من جعل غيركم الكلام كلاما له لمجرد كونه قائم[1] بذاته .

ص ٦٠ / وهذا موضع تنازعت فيه الصفاتية بعد اتفاقهم على تضليل الجهمية من الفلاسفة والمعتزلة ونحوهم - على قولين مشهورين ، حتى القائلون بأن الكلام معنى قائم بنفس المتكلم وراء الأصوات تنازعوا في ذلك ، كما ذكره أبو محمد بن كلاب فيما حكاه عنه أبو بكر بن فورك .

قال ابن فورك[2]: " فأما صريح عبارته [- يعني عبارة ابن كلاب[3] -] وما نص عليه في كتاب " الصفات الكبير[4] " في تحقيق الكلام ، فانه قال : فأما الكلام فانه على ما شاهدناه[5] منه معنى قائم بالنفس : فقوم يزعمون أنه نعت لها ، وقوم يزعمون أنه فعل من أفعالها ، الا أنه[6] يعبر عنه بالألفاظ والكتاب والايماء ، وكل ذلك قد يسمى كلاما وقولا لأدائه مايؤدى عن تلك المعاني الخفيات ".

وكذلك أبو بكر عبدالعزيز ذكر في كتابه ماذكره القاضي أبو يعلى[7] عنه أن أصحاب الامام أحمد تنازعوا في معنى قولهم : القرآن غير مخلوق . هل المراد به أنه صفة لازمة له كالعلم والقدرة ؟ أو أنه يتكلم اذا شاء[8] ويسكت اذا شاء .

مسألة قيام الأفعال الاختيارية بالله

وهذه المسألة متعلقة بمسألة " قيام الأفعال بذاته المتعلقة بمشيئته " هل يجوز[9] أم لا ؟ كالاتيان ، والمجيء ، والاستواء ، ونحو ذلك ، وتسمى[10] " مسألة حلول الحوادث[11] " . وكل طائفة من طوائف الأمة وغيرهم[12] فيها على قولين ، حتى الفلاسفة لهم فيها قولان : لمتقدميهم ومتأخريهم[13] ، وذكر أبو عبدالله

---

(١) ن : قائما .

(٢) بحثت عن هذا النص في كتاب " مشكل الحديث وبيانه " لابن فورك ، ط. الثانية حيدر آباد ١٣٩١هـ - ١٩٧٠م - فلم أجده .

(٣) جملة " يعني عبارة ابن كلاب " في (ن) فقط ، وهي من ابن تيمية للايضاح .

(٤) ك : الصفات الكبيرة .

(٥) خ ، س : شاهدنا .

(٦) ك : أنهم .

(٧) ن : أبو علي ، وهو خطأ ، وقد نقل ابن تيمية مايشير اليه هنا فيما تقدم ص ٢٠١ .

(٨) ن : أو أنه يتكلم بمشيئته . (٩) ن ، خ : تجوز . (١٠) ن : ونحو ذلك ، ويلقبها بعض المتكلمين .

(١١) علق نعمان الألوسي في هامش (س) مايلي : " أقول : قد ذكر هذه المسألة شيخ الاسلام المؤلف في كثير من كتبه ، ولا سيما في كتابه " الرد على ابن المطهر الحلي " فارجع اليه . نعمان " .

(١٢) ن : وغيرهم هم . (١٣) عبارة " لمتقدميهم ومتأخريهم " ساقطة من (خ ، س) .

الرازى أن جميع الطوائف تلزمهم هذه المسألة وان لم يلتزموها[(١)].

وأول من صرح بنفيها الجهمية من المعتزلة ونحوهم، ووافقهم على ذلك أبو محمد بن كلاب وأتباعه كالحارث المحاسبي[(٢)] وأبي العباس القلانسي وأبي الحسن الأشعرى[(٣)]، ومن وافقهم[(٤)] من أتباع الأئمة كالقاضي أبي يعلى وأبي الوفا ابن عقيل وأبي الحسن بن الزاغوني، وهو قول طائفة من متأخرى أهل الحديث كأبي حاتم البستي[(٥)] والخطابي[(٦)] ونحوهما.

---

(١) قال الرازى في كتاب الأربعين، ص ١١٨: "المسألة العاشرة في بيان أنه تعالى يمتنع أن يكون محلا للحوادث، المشهور أن الكرامية يجوزون ذلك، وسائر الطوائف ينكرونه، ومن الناس من قال: ان أكثر طوائف العقلاء يقولون بهذا المذهب، وان كانوا ينكرونه باللسان".
ثم ذكر (ص ١١٨-١١٩) أقوال المعتزلة والأشعرية والفلاسفة، وقال: "فاذا حصل الوقوف على هذا التفصيل، ظهر أن هذا المذهب قال به أكثر فرق العقلاء، وان كانوا ينكرونه باللسان".
وقال (ص ١٢٠): "واعلم أن الصفات على ثلاثة أقسام:
أحدها - صفات حقيقية عارية عن الاضافات، كالسواد والبياض.
وثانيها - الصفات الحقيقية التي تلزمها الاضافات كالعلم والقدرة، وذلك لأن العلم صفة حقيقية تلزمها اضافة مخصوصة الى المعلوم، وكذا القدرة ...
وثالثها - الاضافات المحضة والنسب المحضة، مثل كون الشيء قبل غيره، وبعد غيره، ومثل كون الشيء يمينا لغيره أو يسارا له، فانك اذا جلست على يمين انسان، ثم قام ذلك الانسان، وجلس في الجانب الآخر منك، فقد كنت يمينا له ثم صرت الآن يسارا له، فههنا لم يقع التغير في ذاتك، ولا في صفة حقيقية من صفاتك، بل في محض الاضافات.
اذا عرفت هذا، فنقول: اما وقوع التغير في الاضافات فلا خلاص عنه، وأما وقوع التغير في الصفات الحقيقية، فالكرامية يثبتونه وسائر الطوائف ينكرونه ...".

(٢) عن الحارث كتب في هامش (س): مدفون في جامع الأصفية في الرصافة ببغداد قرب الجسر.

(٣) في هامش (س): الأشعرى مدفون في السيف ببغداد قرب الشريعة في الكرخ.

(٤) ن: ومن وافقهم على ذلك.

(٥) هو أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن معبد التميمي البستي، ولد في بست من بلاد سجستان، وتنقل في الأقطار، ثم عاد الى بلده ومات بها سنة ٣٥٤، وهو أحد الحفاظ، وصاحب الصحيح المسمى "التقاسيم والأنواع".
انظر: تذكرة الحفاظ ٣/٩٢٠-٩٢٤؛ ميزان الاعتدال ٣/٥٠٦-٥٠٨؛ البداية والنهاية ١١/٢٥٩؛ لسان الميزان ٥/١١٢-١١٥؛ الأعلام ٦/٧٨؛ تاريخ التراث العربي ١/١/٣٨٠-٣٨٣.

(٦) هو أبو سليمان حمد بن محمد بن ابراهيم بن الخطاب الخطابي البستي سمع ببغداد والبصرة ونيسابور، وتوفي بمدينة بست سنة ٣٨٨، وهو فقيه، ومحدث، صاحب تصانيف، منها غريب الحديث، ومعالم السنن في شرح سنن أبي داود.
انظر: وفايت الأعيان ٢/٢١٤-٢١٦؛ تذكرة الحفاظ ٣/١٠١٨-١٠٢٠؛ البداية والنهاية ١١/٣٢٤؛ الأعلام ٢/٢٧٣؛ تاريخ التراث العربي ١/١/٤٢٧-٤٢٩.

وكثير من طوائف أهل الكلام[1] يثبتها كالهشامية[2]، والكرامية، والزهيرية[3]، وأبي معاذ التومني[4] وأمثالهم، كما ذكره الأشعري عنهم في "المقالات". (*) وهو قول أساطين الفلاسفة[5] المتقدمين(*)، وأبي[6] البركات صاحب "المعتبر" وغيره من المتأخرين[7].

وهو قول جمهور أئمة الحديث، كما ذكره عثمان بن سعيد الدارمي، وامام الأئمة أبو بكر بن خزيمة وغيرهما عن مذهب السلف والأئمة، وكما ذكره شيخ الاسلام أبو اسماعيل[8] الأنصارى وأبو عمر بن عبد البر النمرى. وقاله طوائف من أصحاب أحمد: كالخلال وصاحبه[9] وابن حامد[10] وأمثالهم، وقاله داود بن علي الأصفهاني[11] وأتباعه، وهو مقتضى ماذكروه[12] عن السلف والأئمة من الصحابة والتابعين وتابعيهم، الى عبد الله بن المبارك وأحمد بن حنبل والبخارى صاحب "الصحيح" وأمثالهم، وعليه يدل كلام السلف.

---

(١) خ، س: من طوائف الكلام.

(٢) ن: تثبتها كالهاشمية.

(٣) والزهيرية: ساقطة من (س)، ولعل المراد بهم المنتسبون الى زهير الأثرى المتقدم ذكره ص ٣٤١.

(٤) ن: والزهيرية والمعاذية.

(*-*) مابينهما ساقط من (خ، س).

(٥) الفلاسفة: كذا في (ن)، وفي (ك): فلاسفة.

(٦) وأبي: كذا في (ن)، وفي (خ، س، ك) وكأبي.

(٧) ن: وغيرهم من المتأخرين. وفي (خ، س، ك): وأمثاله من المتفلسفة.

(٨) ن: أبوعثمان، س: ابن اسماعيل.

(٩) هو أبو بكر عبد العزيز بن جعفر بن أحمد، المعروف بغلام أو صاحب الخلال، تقدمت ترجمته، ص ١٧٨ ت ٣.

(١٠) ن، ك: وأبي حامد، وتقدمت ترجمة أبي عبد الله الحسن بن حامد، ص ٢٠٠ ت ٤.

(١١) هو الفقيه المجتهد أبو سليمان داود بن علي بن خلف، أصله من أصبهان، وولد بالكوفة سنة ٢٠٠ ونشأ ببغداد وتوفي بها سنة ٢٧٠، أخذ العلم عن اسحاق بن راهوية وأبي ثور وغيرهما، وهو امام أهل الظاهر، وله مصنفات، وكان ورعا زاهدا.
انظر: تاريخ بغداد ٨/٣٦٩-٣٧٥؛ وفيات الأعيان ٢/٢٥٥-٢٥٧؛ تذكرة الحفاظ ٢/٥٧٢-٥٧٣؛ البداية والنهاية ١١/٤٧-٤٨؛ لسان الميزان ٢/٤٢٢-٤٢٤؛ الأعلام ٢/٣٣٣؛ تاريخ التراث العربي ١/٣/٢٥٢-٢٥٣.

(١٢) ن: وهو معنى ماذكر فيه.

ص ٦١ فهؤلاء[١] اذا قالوا : المتكلم / من قام به الكلام ، وهو يتكلم بمشيئته وقدرته . خصموا المعتزلة ، وانقطعت حجتهم عنهم ؛ فانهم اعتبروا الوصفين جميعا ، فمن جعل المتكلم من قام به الكلام[٢] وان لم يكن متكلما بمشيئته وقدرته ، أو جعله من فعله بمشيئته وقدرته وان لم يكن قائما به حذف[٣] أحد الوصفين .

ولا ريب أن الطرق الدالة على الاثبات والنفي اما السمع واما العقل ؛ أما السمع فليس مع النفاة منه شيء ، بل القرآن والأحاديث هي من جانب الاثبات : كقوله تعالى[٤] :(انما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون[٥]). وقوله تعالى[٤] : (ويوم يناديهم فيقول ماذا أجبتم المرسلين[٦]) . وقوله : (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون[٧]) . وقوله : (خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش[٨]) . وقوله : (ثم استوى الى السماء وهي دخان[٩]). وقوله : (هل ينظرون الا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك أو يأتي بعض آيات ربك[١٠]) . وأمثال ذلك مما في القرآن فانه كثير جدا .

وكذلك الأحاديث الصحيحة[١١] : كقوله عليه الصلاة والسلام[١٢] ، لما صلى بهم صلاة الصبح بالحديبية[١٣] على اثر سماء كانت من الليل : (أتدرون ماذا قال ربكم الليلة ؟) قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : (فانه قال : أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر بي[١٤]) ، وما يذكره من خطابه للعباد يوم القيامة ، وخطابه للملائكة ، وأمثال ذلك .

---

(١) ن : وهؤلاء .
(٢) عبارة " فمن جعل المتكلم من قام به الكلام " جاءت في آخر احدى الصفحات في مخطوطة (خ) وتحتها ختم الوقف كما هو على صفحة عنوان هذه المخطوطة : " هذا وقف سلطان الزمان . . . الخ " .
(٣) ن : بحذف . ك : لحذف .
(٤) تعالى : ليست في (ن ، خ) (في الموضعين) .
(٥) سورة يس : ٨٢ .
(٦) سورة القصص : ٦٥ .
(٧) سورة التوبة : ١٠٥ .
(٨) سورة الأعراف : ٥٤ . وأول الآية : (ان ربكم الله الذى خلق . . .) .
(٩) سورة فصلت : ١١ .
(١٠) سورة الأنعام : ١٥٨ .
(١١) الصحيحة : ساقطة من (ن) .
(١٢) ن : صلى الله عليه وسلم . وسقطت من (خ) .
(١٣) خ ، س : صلاة الحديبية .
(١٤) ن : وكافر . ك : وكافر بالكوكب . وقد تقدم تخريجه ، ص ٢٢٧ ت ٢ .

بل كل ماتحتج به المعتزلة على أن القرآن مخلوق من نحو هذا،[1] فانه لا يدل على أنه بائن منه ، وانما يدل على أنه يتكلم بمشيئته وقدرته[1] ،فيمكن[2] هوءلاء[3] التزامه[4] ويكون قولهم متضمنا للايمان بجميع ما أنزله الله مما يدل على أنه يتكلم بمشيئته وقدرته ، وعلى أن كلامه غير مخلوق ، بخلاف غيرهم فانه يقرر بعض النصوص ويرد بعضها بتحريف أو تفويض[4]. ومن جعله[5] متكلما بمشيئته وقدرته ،[6] وقال: " ان كلامه قائم به[6] " زال عنه هذا كله ، والمنازع لهم يحتاج أن يقرر بالعقل امتناع ذلك ، ثم يبين أنه يمكن تأويله .

فأما الطرق العقلية فالمثبتون يقولون : انها من جانبهم دون جانب النفاة - كما تزعم النفاة أنها من جانبهم - وذلك أنهم قالوا :ان قدرته على مايقوم به من الكلام والفعل صفة كمال ، كما أن مايقوم به من العلم والقدرة صفة كمال ، ومن المعلوم أن من قدر على أن يفعل ويتكلم أكمل ممن لا يقدر على ذلك، كما أن قدرته على أن يبدع الأشياء صفة كمال ، والقادر على الخلق أكمل ممن لا يقدر على الخلق . وقالوا : الحي لا يخلو عن هذا ،والحياة هي المصححة لهذا ، كما هي المصححة لسائر الصفات ، واذا قدر حي لا يقدر على أن يفعل بنفسه ويتكلم بنفسه كان عاجزا بمنزلة الزمن[7] والأخرس ، / كما أنه اذا قدر حي لا يسمع ولا يبصر كان أصم أعمى . فما من طريق يسلكه الصفاتية في اثبات صفاته الا يسلك[8] هوءلاء[9] نظيره من اثبات ذلك . ص ٦٢

ولا ريب أن النفاة نوعان[10] :

نفاة قيام الأفعال الاختيارية بالله نوعان : ١ - الجهمية والمعتزلة

أحدهما - وهم الأصل - المعتزلة ونحوهم من الجهمية ، فهولاء[11] ينفون

(١ - ١) مابينهما ساقط من (خ ،س) .
(٢) خ ،س : يمكن .
(٣) أى السلف .
(٤-٤) مابينهما ساقط من (خ ،س) .
(٥) خ ،س : فان من جعله .
(٦- ٦) مابينهما ساقط من (خ ،س) .
(٧) في لسان العرب ،مادة " زمن" : " رجل زَمِنٌ ،أى مُبْتَلى بَيِّنُ الزَّمانة ، والزَّمانة : العاهة ".
(٨) ن : سلك .
(٩) أى السلف .
(١٠) أمام هذا الموضع كتب في هامش (س) مطلب ،النفاة نوعان وقول الفريقين .
(١١) ن : وهوءلاء .

الصفات مطلقا ،وحجتهم على نفي قيام الأفعال به من جنس حجتهم على نفي قيام الصفات به،[(1] وهم يسوون في النفي بين هذا وهذا ، كما صرحوا بذلك ، وليس لهم حجة تختص بنفس قيام الحوادث[1)] .

٢ - ابن كلاب والأشعري

وأما مثبتة الصفات الذين ينفون الأفعال الاختيارية[(٢)] القائمة به كابن كلاب والأشعري ، فانهم فرقوا بين[(٣)] هذين بأنه لو جاز قيام الحوادث به لم يخل منها[(٤)] لأن القابل للشيء لا يخلو عنه وعن[(٥)] ضده ، ومالا يخلو من الحوادث فهو حادث. وبهذا استدلوا على حدوث الأجسام ، لأنها لا تخلو من الأعراض الحادثة : كالحركة والسكون ، والاجتماع والافتراق[(٦)] .

مناقشة المثبتة للنوع الثاني

فأجابهم الأولون[(٧)] بثلاثة أجوبة :

أحدها - أن استدلالكم بقيام الأفعال به على حدوثه هو نظير استدلال المعتزلة بقيام الصفات به على حدوثه ،وقالوا : الصفات أعراض ، والأعراض لا تقوم الا بجسم . ففرقتم أنتم بين الصفات وهي اللازمة وبين الأعراض ، وهو فرق صوري ، يرجع في الحقيقة الى الاصطلاح ؛ فان جاز أن تقوم به الصفات التي هي أعراض في غيره ولا يكون جسما محدثا - جاز أن تقوم به الأفعال التي هي حركات في غيره ولا يكون جسما محدثا ، وهذا الزام .

الثاني - قالوا لهم : لا نسلم أن القابل للشيء لا يخلو عنه وعن ضده ، وقد اعترف أبو عبد الله الرازي وأبو الحسن الآمدي ونحوهما بفساد هذا الأصل ،وعليه بنى الأشعري وأصحابه كلامهم في مسألة " امتناع قيام الحوادث به " ومسألة "القرآن" ونحوهما من المسائل .

(١-١) مابينهما ساقط من (خ ،س) .
(٢) الاختيارية : ساقطة من (خ ،س) .
(٣) ن : فرأوا من .
(٤) س: منه .
(٥) كذا في (ك) ، وفي (ن ،خ ،س):لا يخلو منه ومن .
(٦) خ ،س : لأنها لا تخلو من الحركة والسكون . فقط .
(٧) من قوله هنا :" فأجابهم الأولون " الى قوله في صفحة ٤٥٠ :" وفي النفي تشبيه له بما ينفى عنه هذه الصفات ". ساقط من (ن) .

الثالث - هب أنه لا يخلو عنه وعن ضده ، وأن ذلك يستلزم تعاقب الحوادث ،لكن لا نسلم أن ذلك يستلزم حدوث ماقام به .؟قالوا : والدليل الذى ذكرتموه على حدوث العالم من هذا الوجه دليل ضعيف ،وقد ألزمكم الفلاسفة فيه الزاما لم تنفصلوا عنه ، ولا يمكنكم الانفصال عنه الا بتجويز ذلك على القديم .

فانهم قالوا : ماحدث بعد أن لم يكن فلابد له من سبب حادث ،فان ذلك الحادث ممكن ، والممكن لا يترجح أحد طرفيه على الآخر الا بمرجح ، والمرجح ان لم يجب حصول الممكن عند حصوله لم يكن مرجحا تاما فافتقر الى تمامه ؛ ثم القول في حدوث ذلك التمام كالقول في حدوث الأول ، فلا بد من مرجح تام يجب عنده الحادث ، فلا بد لكل حادث من سبب تام يحصل الحادث عند تمام ذلك السبب : فاذا كان العالم محدثا بعد أن لم يكن ، ولم يحدث سبب يقتضي حدوثه - فلم يكن حين ابداعه أمر يوجب ترجيحه لم يكن قبل ابداعه ،بل الحالان سواء - فيلزم ترجيح الحدوث بلا مرجح . / ص ٦٣

وهذا الموضع هو أصعب المواضع (١) على المتكلمين في بحثهم مع الفلاسفة في مسألة " حدوث العالم "، وهذه الشبهة أقوى شبه الفلاسفة ، فانهم لما رأوا أن الحدوث يمتنع الا بسبب حادث ؛ قالوا : والقول في ذلك الحادث كالقول في الأول .

وقال (٢) هؤلاء المثبتة لقيام الأفعال الاختيارية بالله تعالى : وعلى أصلنا يبطل كلام الفلاسفة ؛ فانه يقال لهم : أنتم تجوزون قيام الحوادث بالقديم ؛اذ الفلك قديم - عندكم - والحركات تقوم به ، وتجوزون حوادث لا أول لها ؛وتعاقب الحركات على الشيء لا يستلزم حدوثه ، واذا كان كذلك فلم لا يجوز (٣) أن يكون الخالق للعالم له أفعال اختيارية تقوم به يحدث بها الحوادث ، ولا يكون تسلسلها وتعاقبها دليلا على حدوث ماقامت به .

---

(١) في هامش (س) كتب أمام هذا الموضع : مطلب صعب .
(٢) خ : قال . بدون الواو.
(٣) ك : فلم يجوز.

قال هؤلاء لأصحابهم الذين أثبتوا حدوث العالم بهذه الطريق[1]: [هذه الطريق[2]] تسلط عليكم الفلاسفة في مسألة "حدوث العالم"؛ فانكم اذا أثبتم حدوث العالم، وقلتم: المحدث لابد له من محدث، لأن تخصيص الحوادث ببعض الأوقات دون بعض لابد له من مخصص - قال لكم الدهرية: فأنتم تجوزون الحدوث من غير سبب حادث يقتضي التخصيص ببعض الحوادث دون بعض.

فان قلتم: القديم يخصص مثلا عن مثل بلا سبب أصلا. جوزتم تخصيص أحد المثلين على الآخر بغير مخصص، وهذا يفسد عليكم اثبات العلم بالصانع، وهو المقصود بطريقكم، فسلكتم طريقا لم تحصل المقصود من العرفان، وسلطتم عليكم أهل الضلال والعدوان، كمن أراد أن يغزو العدو بغير طريق شرعي؛ فلا فتح بلادهم، ولا حفظ بلاده، بل سلطهم حتى صاروا يحاربونه بعد أن كانوا عاجزين عنه.

ولهذا ذم السلف والأئمة أهل الكلام المحدث المخالف للكتاب والسنة؛ اذ كان فيه من الباطل في الأدلة والأحكام ما أوجب تكذيب بعض ما أخبر به الرسول وتسلط[3] العدو على أهل الاسلام.

وليس هذا موضع بسط الكلام في هذه الأمور الكبيرة العظيمة[4]، بل نبهنا عليها تنبيها مختصرا بحسب مايحتمله هذا المقام؛ فان الكلام في مسألة "الكلام" حير عقول أكثر الأنام: الذين ضعفت معرفتهم واتباعهم لما بعث الله به رسله الكرام[5]. ولهم طرق سمعية في تقريره يطول ذكرها.

---

(١) ك: الطرق.
(٢) عبارة "هذه الطريق" في (خ) فقط.
(٣) وتسلط: كذا في (ك)، وفي (خ، س): وتسليط.
(٤) العظيمة: كذا في (ك)، وفي (خ، س): العظام.
(٥) س: رسله الكرام عليهم الصلاة والسلام.

ص ٦٤
٢ - الطـــرق العقليـــة

وأما الطرق العقلية فمن وجوه[1] :

أحدها - أن الحي اذا لم يتصف بالكلام لزم اتصافه بضده : كالسكوت والخرس ، وهذه آفة يتنزه الله عنها ، فتعين اتصافه بالكلام ، وهذا المسلك يسلكونه في اثبات كونه سميعا بصيرا أيضا ؛ فانه اذا كان حيا ولم يكن سميعا بصيرا لزم اتصافه بضد ذلك من الصمم والعمى .

الثاني - أن الكلام صفة كمال . وهنا من جعله صفة لا تتعلق بمشيئته واختياره : جعله كالعلم والقدرة ، ومن قال : انه يتعلق بمشيئته وقدرته ، قال :كونه متكلما يتكلم اذا شاء صفة كمال . وقد يقول بطرد ذلك في كونه فاعلا الأفعال الاختيارية القائمة بنفسه ، ويجعل هذا كله من صفات الكمال ، وقد يقول : القدرة على ذلك هي صفة الكمال ؛ اذ الكمال لا يجوز أن يفارق الذات ،فانه لم يزل ولا يزال كاملا مستحقا لجميع صفات الكمال ؛ فالقدرة على كونه يقول ماشاء ويفعل ماشاء صفة كمال ، فالقدرة وحدها غير القدرة مع مايقترن بها من المقدور[2].

وهذا ينبني على أن مايقوم به من ذلك : هل كله مسبوق بالعدم أو لم يزل ذلك يقوم به ؟ وفيه لهم قولان :

أحدهما - أنه مسبوق بالعدم ، كما تقوله الكرامية وغيرهم .

والثاني - أنه ليس مسبوقا بالعدم ، وهو مذهب أكثر أهل الحديث ، وكثير من أهل الكلام والفقه والتصوف .

الثالث - أن يقال : المخلوق ينقسم الى متكلم وغير متكلم ،والمتكلم أكمل من غير المتكلم ، وكل كمال هو في المخلوق [فهو[3]] مستفاد من الخالق ، فالخالق به أحق وأولى . ومن جعله لا يتكلم فقد شبهه بالموات والجماد الذى لا يتكلم ، وذلك صفة نقص ، اذ المتكلم أكمل من غيره . قال تعالى في ذم من يعبد

---

(١) في هامش (س) كتب أمام هذا الموضع : مطلب ،الطرق العقلية لاثبات صفة الكلام .
(٢) ك : المقدورية .
(٣) فهو : في (خ) فقط.

من لا يتكلم ولا ينفع ولا يضر: (أفلا يرون ألا يرجع اليهم قولا ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا)[١]. وقال في الآية الأخرى : (ألم يروا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا)[٢]. وقال تعالى : (وضرب الله مثلا رجلين أحدهما أبكم لا يقدر على شيء وهو كل على مولاه أينما يوجهه لا يأت بخير هل يستوى هو ومن يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم)[٣]. فعاب الصنم بأنه أبكم لا يقدر على شيء ، اذ كان من المعلوم أن العجز عن النطق والفعل صفة نقص ، فالنطق والقدرة صفة كمال .

والفرق بين هذه الطريق وبين التي قبلها أن هذه استدلال بما في المخلوق من الكمال على أن الخالق أحق به ، وأنه يمتنع أن يكون مضاهيا للناقص؛ والأولى أنه مستحق لصفات الكمال من حيث هي هي ، مع قطع النظر عن كونها ثابتة في المخلوقات لامتناع النقص عليه بوجه من الوجوه سبحانه وتعالى .

ص ٦٥ / فصل

دليل الأصبهاني على اثبات السمع والبصر شرح ابن تيمية .

قال [المصنف][٤] : " والدليل على كونه سميعا بصيرا السمعيات " .

قلت : اثبات كونه سميعا بصيرا ، وأنه ليس هو مجرد العلم بالمسموعات والمرئيات ، هو قول أهل الاثبات قاطبة من أهل السنة والجماعة : من السلف والأئمة ، وأهل الحديث والفقه والتصوف ، والمتكلمين من الصفاتية : كأبي محمد بن كلاب ، وأبي العباس القلانسي ، وأبي الحسن الأشعري وأصحابه .

وطائفة من المعتزلة البصريين ، بل قدماؤهم على ذلك ، ويجعلونه سميعا بصيرا لنفسه ، كما يجعلونه عالما قادرا لنفسه . واثبات ذلك كاثبات كونه متكلما ، بل هو أقوى من بعض الوجوه ، فان المعتزلة البصريين يثبتون مدركا ، مثل كونه عليما قديرا ، بخلاف كونه متكلما فانه من باب كونه خالقا .

---

(١) سورة طه : ٨٩ .
(٢) سورة الأعراف : ١٤٨ .
(٣) سورة النحل : ٧٦ .
(٤) المصنف : زيادة في (س) .

طرق اثبات السمع والبصر

وللناس في اثبات كونه سميعا بصيرا طرق :

الطريق الأول.

أحدها - السمع[1] - كما ذكره - وهو ما في الكتاب والسنة من وصفه بأنه سميع بصير .

ولا يجوز أن يراد بذلك مجرد العلم بما يسمع ويرى ؛ لأن الله فرق بين العلم وبين السمع والبصر، وفرق بين السمع والبصر ؛ وهو لا يفرق بين علم وعلم لتنوع المعلومات .

قال تعالى : (واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه هو السميع العليم)[2]. وفي موضع آخر: (انه سميع عليم)[3]. وقال[4] : (وان عزموا الطلاق فان الله سميع عليم)[5] ؛ ذكر سمعه لأقوالهم ،وعلمه ليتناول باطن أحوالهم . وقال لموسى وهارون : (انني معكما أسمع وأرى)[6].

وفي السنن عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قرأ على المنبر: (ان الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات الى أهلها واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل ان الله نعما يعظكم به ان الله كان سميعا بصيرا)[7] ؛ ووضع ابهامه على أذنه ،وسبابته على عينه[8]. ولا ريب أن مقصوده بذلك تحقيق الصفة ، لا تمثيل الخالق بالمخلوق ،فلو كان السمع والبصر العلم لم يصح ذلك .

---

(١) أمام هذا الموضع كتب في هامش (س) : الطريق الأول .

(٢) سورة فصلت : ٣٦ .

(٣) سورة الأعراف : ٢٠٠ .

(٤) وقال : كذا في (خ) ،وفي (س ،ك) : قال تعالى .

(٥) سورة البقرة : ٢٢٧ .

(٦) سورة طه : ٤٦ .

(٧) سورة النساء : ٥٨ .

(٨) روى الحديث أبو داود في سننه (عون المعبود ١٣ / ٣٧) كتاب السنة ، باب في الجهمية ، وابن حبان في صحيحه (الاحسان في تقريب صحيح ابن حبان للأمير علاء الدين الفارسي ١ / ٢٨٤ تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان)، (موارد الظمآن الى زوائد ابن حبان ،ص ٤٢٨) ،والحاكم في المستدرك ١ / ٢٤ ، وابن خزيمة في كتاب التوحيد ،ص ٤٢ - ٤٣ ، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ٣ / ٤١٠ ،والبيهقي في الأسماء والصفات ،ص ١٧٩ .بأسانيدهم عن عبد الله بن يزيد المقرى عن حرملة بن عمران التجيبي عن أبي يونس سليم بن جبير مولى أبي هريرة عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .
وقال الحاكم : " هذا حديث صحيح ولم يخرجاه ، وقد احتج مسلم بحرملة بن عمران وأبي يونس، والباقون متفق عليهم " . وذكر الذهبي أن الحديث على شرط مسلم ، وذكر ذلك أيضا اللالكائي ٣/ ٤١٠ .

الطريق الثاني

الطريق الثاني[1] - أنه لو لم يتصف بالسمع والبصر لاتصف بضد ذلك وهو العمى والصمم - كما قالوا مثل ذلك في الكلام - وذلك لأن المصحح لكون الشيء سميعا بصيرا متكلما هو الحياة ، فاذا انتفت الحياة امتنع اتصاف المتصف بذلك ؛ فالجمادات[2] لا توصف بذلك لانتفاء الحياة فيها ، واذا كان المصحح هو الحياة كان الحي قابلا لذلك ،فان لم يتصف به لزم اتصافه بأضداده بناء على أن القابل للضدين لا يخلو من اتصافه بأحدهما ؛ اذ لو جاز خلو الموصوف عن جميع الصفات المتضادات لزم وجود عين لاصفة لها ، وهو وجود جوهر بلا عرض يقوم به .

ص ٦٦

وقد علم بالاضطرار / امتناع خلو الجواهر عن الأعراض ، وهو امتناع خلو الأعيان والذات عن الصفات ، وذلك بمنزلة أن يقدر المقدر جسما ؛ لا متحركا ولا ساكنا ، ولا حيا ولا ميتا ، ولا مستديرا ولا ذا جوانب .

ولهذا أطبق العقلاء من أهل الكلام والفلسفة وغيرهم على انكار زعم من زعم تجويز وجود جوهر خال عن جميع الأعراض ،وهو الذى يحكى عن [بعض][3] قدماء الفلاسفة من تجويز وجود مادة خالية عن جميع الصور ، ويذكر هذا عن شيعة أفلاطون ، وقد رد ذلك عليهم أرسطو وأتباعه .

وقد بسطنا الكلام في الرد على هؤلاء في غير هذا الموضع ،وبينا أن مايدعيه[4] شيعة أفلاطون من اثبات مادة في الخارج خالية عن جميع الصور ،ومن اثبات خلاء موجود غير الأجسام وصفاتها ، [ووجود مدة موجودة وهو جوهر غير الأجسام وصفاتها][5] ، ومن اثبات المثل الافلاطونية : وهو اثبات حقائق كلية خارجة عن الذهن غير مقارنة للأعيان الموجودة - كل ذلك أمور ذهنية جردها الذهن وانتزعها من الحقائق الموجودة المعينة ،فظنوها ثابتة في الخارج عن أذهانهم .

---

(١) في هامش (س) كتب أمام هذا الموضع : الطريق الثاني .
(٢) فالجمادات : كذا في (ك) ،وفي (خ ،س) : فالجامدات .
(٣) بعض : ساقطة من (ك) .
(٤) خ : مايدعونه .
(٥) مابين القوسين ساقط من (ك) .

كما ظن قدماؤهم الفيثاغورية أن العدد أمر موجود في الخارج، بل وما ظنه أرسطو وشيعته من اثبات مادة في الخارج مغايرة للجسم المحسوس وصفاته، واثبات ماهيات كلية للأعيان مقارنة لأشخاصها في الخارج - هو أيضا من باب الخيال؛ حيث اشتبه عليه مافي الذهن بما في الخارج، وفرق بين الوجود والماهية في الخارج .

وأصل ذلك أن الماهية - في غالب اصطلاحهم - اسم لما يتصور في الأذهان، والوجود اسم لما يوجد في الأعيان . والفرق بين مافي الذهن ومافي الخارج لا ينازع فيه عاقل فهمه، لكنهم بعدها ظنوا أن في الخارج ماهية للشيء الموجود مغايرة للشخص الموجود في الخارج .

وهذا غلط؛ بل مافي النفس - سواء سمي وجودا ذهنيا[1]، أو ماهية ذهنية، أو غير ذلك - هو مغاير لما في الخارج، سواء سمي ذلك وجودا أو ماهية أو غير ذلك . وأما أن يقال: ان في الخارج في الجوهر المعين الموجود - كالانسان مثلا - جوهرين : أحدهما ماهيته[2] والآخر وجوده - فهذا باطل؛ كبطلان قولهم : ان فيه جوهرين : أحدهما مادته والآخر صورته؛ وكقولهم: انه مركب من الحيوانية والناطقية .

فان الحيوانية والناطقية ان أرادوا أنها جوهران : وهما الحيوان والناطق - فالشخص المعين هو الحيوان وهو الناطق، وليس[3] هنا شخصان: أحدهما حيوان والآخر ناطق . وان أرادوا نفس الحياة والنطق، فهذان[4] صفتان قائمتان بالانسان، وصفة الموصوف قائمة به قيام العرض بالجوهر، والجوهر لا يتركب من أعراضه القائمة به، ولا يكون وجود أعراضه سابقا لذاته . والكلام على هذا مبسوط في غير هذا الموضع .

---

(١) س : وجودا أو ذهنيا .
(٢) ماهيته : كذا في (خ)، وفي (س، ك) : ماهية .
(٣) س : ليس (بدون الواو) .
(٤) فهذان : كذا في (ك)، وفي (خ، س) : فهذا .

ص ٦٧ / والمقصود هنا أن أرسطو وأتباعه وأمثاله(١) من أهل الفلسفة أنكروا على من جوز منهم وجود مادة بلا صورة، فهم مع أصناف أهل الكلام وسائر العقلاء متفقون على امتناع خلو الجسم عن جميع الصفات والأعراض، وان جوز ذلك الصالحي(٢) ابتداء فلم يجوزه دواما، والجمهور منعوه ابتداء ودواما.

وانما تنازع الناس في استلزامه لجميع أجناس الأعراض؛ فقيل: انه لابد أن يقوم به من الأعراض المتضادة واحد منها(٣)، ومالا ضد له لابد أن يقوم به واحد من جنسه، وهذا قول الأشعرى ومن اتبعه.

وقيل: لابد أن يقوم به الأكوان: وهي الحركة أو السكون، والاجتماع أو الافتراق(٤)؛ ويجوز خلوه عن غيرها، وهو قول البصريين من المعتزلة. وقيل: يجوز خلوه عن الأكوان دون الألوان، كما يذكر الكعبي(٥) وأتباعه من البغداديين منهم، وهؤلاء قد يتنازعون في قبول الشيء من الأجسام لكثير(٦) من الأعراض، ويتفقون على

---

(١) خ: وأمثالهم.

(٢) الصالحي أحد رجال المعتزلة، ذكره صاحب المنية والأمل، ص ٧٨ بقوله: "أبو الحسين محمد ابن مسلم الصالحي، وكان عظيم القدر في علم الكلام، وكان يميل الى الارجاء، وله في ذلك مناظرات مع أبي الحسين الخياط" ولم يذكر وفاته، ونحن أيضا لا نعرف وفاة الخياط على وجه التحديد، لكن الخياط شيخ للكعبي المولود سنة ٢٧٣ والمتوفي سنة ٣١٩، وأبرز آراء الصالحي قوله بجواز خلو الجوهر عن الأعراض ابتداء، أى وجود الجوهر خاليا عن الأعراض، ثم حدث فيه الأعراض، وقوله ان الايمان هو المعرفة بالقلب.
وقد ذكر الأشعرى آراءه بالتفصيل في مقالات الاسلاميين (ط. ريتر) الصفحات ١٣٢-١٣٣، ١٥٨، ١٦٨، ١٩٦، ١٩٨، ٢٣١، ٢٣٣، ٣٠١، ٣٠٧، ٣٠٩-٣١١، ٣١٢، ٣١٧، ٣٣٢، ٣٦٣، ٣٧٧، ٣٩٦، ٤٢١، ٤٢٤، ٥٠١، ٥٠٢، ٥٠٣، ٥١٩، ٥٢٠، ٥٢٥، ٥٦٦، ٥٦٨-٥٦٩، ٥٧٠.

(٣) س: منهما.

(٤) ك: والافتراق.

(٥) هو أبو القاسم عبد الله بن أحمد بن محمود البلخي الكعبي، نسبة الى بني كعب، من أهل بلخ أقام ببغداد مدة طويلة انتشرت فيها كتبه ومقالاته، ثم عاد الى بلخ وتوفي فيها سنة ٣١٩، وكانت ولادته سنة ٢٧٣، وهو أحد مشايخ المعتزلة البغداديين، وتنسب اليه الطائفة الكعبية منهم، له كتب.
انظر: تاريخ بغداد ٩/ ٣٨٤؛ البداية والنهاية ١١/ ١٦٤؛ لسان الميزان ٣/ ٢٥٥-٢٥٦؛ الأعلام ٤/ ٦٥-٦٦؛ تاريخ التراث العربي ١/ ٤/ ٧٧-٧٨.

(٦) ك: بكثير.

امتناع خلو الجسم عن العرض وضده بعد قبوله له ؛ وذلك لأن خلو الموصوف عن الضدين اللذين لا ثالث لهما مع قبوله لهما ممتنع في العقول[1].

وبهذا يتبين أن الحي القابل للسمع والبصر والكلام اما أن يتصف بذلك ، واما أن يتصف بضده وهو الصمم والبكم والخرس ؛ ومن قدر خلوه عنهما فهو مشابه للقرامطة الذين قالوا : لا يوصف بأنه حي ولا ميت ، ولا عالم ولا جاهل ، ولا قادر ولا عاجز . بل قالوا : لا يوصف بالايجاب ولا بالسلب ، فلا يقال : هو حي عالم ، ولا يقال : ليس بحي عالم ؛ ولا يقال : هو عليم قدير ، ولا يقال : ليس بقدير عليم ؛ ولا يقال : هو متكلم مريد ، ولا يقال : ليس بمتكلم مريد . قالوا : لأن في الاثبات تشبيها بما تثبت له هذه الصفات ، وفي النفي تشبيه[2] له بما ينفى عنه هذه الصفات[3].

مقالة ابن حزم في أسماء الله والرد عليها

وقد قاربهم في ذلك من قال من متكلمة الظاهرية كابن حزم[4] : ان أسماءه[5] الحسنى كالحي والعليم والقدير بمنزلة أسماء الأعلام التي[6] لا تدل على حياة ولا علم

---

(١) انظر الخلاف في مسألة تعرى الجواهر عن الأعراض في كتاب " الارشاد " للجويني ، ص ٢٢- ٢٤ .

(٢) تشبيه : كذا في جميع النسخ ، بدون اعمال " أن " ، فيكون العطف عطف جمل ، لا عطف مفردات .

(٣) هنا ينتهي الساقط من (ن) الذي بدأ في صفحة ٤٤١ ، وجاء فيها : " . . . والاجتماع والافتراق فاطرد شيخ الاسلام الكلام الى أن قال : وقد قاربهم في ذلك . . . " .

(٤) الامام العلامة الحافظ الفقيه أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم فارسي الأصل ، ولد بقرطبة سنة ٣٨٤ ونشأ في نعمة ورياسة ، وكان أبوه من الوزراء ، وولي هو وزارة بعض الخلفاء من بني أمية بالأندلس ، ثم تركها واشتغل في صباه بالأدب والمنطق والعربية ثم أقبل على العلم ، فكان شافعيا ثم انتقل الى مذهب الظاهر وتعصب له وصنف فيه ورد على مخالفيه ، وكان مع هذا من أشد الناس تأويلا في آيات وأحاديث الصفات ، بسبب تضلعه أولا من علم المنطق ، توفي بلبلة بالأندلس سنة ٤٥٦ هـ .
انظر : اللباب ١ / ٢٩٧ ؛ وفيات الأعيان ٣ / ٣٢٥ - ٣٣٠ ؛ تذكرة الحفاظ ٣ / ١١٤٦ - ١١٥٥ ؛ البداية والنهاية ١٢ / ٩١ - ٩٢ ؛ لسان الميزان ٤ / ١٩٨ - ٢٠٢ ؛ شذرات الذهب ٣ / ٢٩٩ - ٣٠٠ ؛ الأعلام ٤ / ٢٥٤ - ٢٥٥ .

(٥) ن : أن الأسماء ، وفي (خ ، س) : وقد قاربهم في ذلك متكلمة الظاهرية أن أسماءه .

(٦) التي : في (ك) فقط .

ولا قدرة ؛ وقال[1] : ولا فرق بين الحي وبين العليم وبين القدير في المعنى أصلا[2].

ومعلوم أن مثل هذه المقالات سفسطة في العقليات وقرمطة في السمعيات ؛ فانا نعلم بالاضطرار الفرق بين الحي والعليم والقدير[3] والملك والقدوس والغفور، وأن العبد اذا قال : " رب اغفر لي وتب علي ، انك أنت التواب الغفور " كان قد أحسن في مناجاة ربه[4] ؛ واذا قال : " اغفر لي وتب علي ،انك أنت الجبار المتكبر الشديد العقاب " . لم يكن محسنا[5] في مناجاته ؛ وأن الله أنكر على المشركين الذين امتنعوا[6] من تسميته " بالرحمن " ؛ فقال تعالى : (واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن أنسجد لما تأمرنا وزادهم نفورا[7]) ؛ وقال تعالى : (ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه سيجزون ماكانوا يعملون[8]) ؛ / وقال تعالى : ص ٦٨

---

(١) وقال : ساقطة من (خ ،س) .

(٢) في هامش (س) كتب مايلي : " مطلب في الظاهرية ، وقال المصنف الامام ابن تيمية قدس سره أيضا في كتابه " الرد على ابن المطهر " مابعضه وملخصه : زعم ابن حزم الظاهرى أن أسماء الله تعالى الحسنى لا تدل على المعاني فلا يدل عليم على علم ، ولا قدير على قدرة ، بل هي أعلام محضة . وقال : اذا قلنا : عليم يدل على علم ،وقدير على قدرة لزم من اثبات الأسماء اثبات الصفات ،وهذا مأخذ ابن حزم فانه من نفاة الصفات ، مع تعظيمه للحديث والسنة والامام أحمد، ودعواه في ذلك أن الذى يقوله في ذلك هو مذهب أحمد وغيره ، وغلط في ذلك بسبب أنه أخذ شيئا من أقوال الفلاسفة والمعتزلة عن بعض شيوخه ، ولم يبين لهم من يبين لهم [كذا في هامش (س) ،وهو يوافق نسخة من منهاج السنة ، ذكرها المحقق في الهامش ، وأثبت في الصلب : ولم يتفق له من يبين له] خطأهم ، ونقل المنطق بالاسناد عن متى [ستأتي ترجمة متى النصراني المنطقي في كتابنا هذا ،ص ٥٦٣] ، قالوا : فاذا قلنا : موجود وموجود، لزم التشبيه ،فهذا أصل غلط هؤلاء القائلين ، انتهى ".

قلت : والنص مع اختلاف يسير في كتاب منهاج السنة ٢ / ٤٦٨-٤٦٩ تحقيق الدكتور محمد رشاد سالم .

وانظر مقالة ابن حزم في الفصل حيث قال (٢ / ١٢٠) : " واما اطلاق لفظ الصفات لله تعالى عز وجل فمحال لا يجوز . . . بل هي بدعة منكرة ". ثم قال (٢ / ١٢٩) : " اننا لا نفهم من قولنا : " قدير وعالم " اذا أردنا بذلك الله تعالى ،الا مانفهم من قولنا " الله " فقط ؛ لأن كل ذلك أسماء أعلام ، لا مشتقة من صفة أصلا ،لكن اذا قلنا : " هو الله تعالى بكل شيء عليم ،ويعلم الغيب" فانما يفهم من كل ذلك أن ههنا له تعالى معلومات ، وأنه لا يخفى عليه شيء ، ولا يفهم منه ألبتة أن له علما هو غيره ، وهكذا نقول في يقدر ،وفي غير ذلك كله ".

(٣) كذا في (ن) ،وفي (خ ،س ،ك) : بين الحي والقدير والعليم .

(٤) ن : في مناجاته . (٥) ن : لم يكن قد أحسن .

(٦) ن : فان الله تعالى قد أنكر على المشركين الذين قد منعوا .

(٧) سورة الفرقان : ٦٠ . (٨) سورة الأعراف : ١٨٠ .

(كذلك أرسلناك في أمة قد خلت من قبلها أمم لتتلو عليهم الذى أوحينا اليك وهم يكفرون بالرحمن قل هو ربي لا اله الا هو عليه توكلت واليه متاب[1])؛ وقال تعالى : (قل ادعوا الله أو ادعو الرحمن أياما تدعوا فله الأسماء الحسنى[2]) .

ومعلوم أن الأسماء اذا كانت أعلاما وجامدات لا تدل على معنى - لم يكن فرق فيها بين اسم واسم ، فلا[3] يلحد أحد في اسم دون اسم ، ولا ينكر عاقل اسما دون اسم ، بل قد يمتنع عن تسميته مطلقا ، ولم يكن المشركون يمتنعون عن تسمية الله بكثير من أسمائه ، وانما امتنعوا عن بعضها .

وأيضا فالله له الأسماء الحسنى دون السوآى ، وانما يتميز الاسم الحسن عن الاسم السيء بمعناه ، فلو كانت [الأسماء[4]] كلها بمنزلة الأعلام الجامدات - التي لا تدل على معنى - لم تنقسم الى حسنى وسوآى ، بل هذا القائل لو سمى معبوده[5] بالميت والعاجز والجاهل ، بدل الحي والعالم والقادر لجاز ذلك عنده .

فهذا ونحوه قرمطة ظاهرة من هؤلاء الظاهرية ، الذين يدعون الوقوف مع الظاهر ، وقد قالوا بنحو مقالة القرامطة الباطنية في باب توحيد الله وأسمائه وصفاته ، مع ادعائهم الحديث ومذهب السلف ، وانكارهم على الأشعرى وأصحابه أعظم انكار . ومعلوم أن الأشعرى وأصحابه أقرب الى السلف والأئمة ومذهب أهل[6] الحديث في هذا الباب من هؤلاء بكثير .

---

(١) سورة الرعد : ٣٠ .
(٢) سورة الاسراء : ١١٠ .
(٣) ن : ولا .
(٤) الأسماء : في (ن) فقط .
(٥) لو سمى معبوده : كذا في (ك) ، وفي (س): لو سمى معبوده عبده ، وفي (خ) : لو سمى عبده ، وفي (ن) : لو سمى الله تعالى عنده ؛
(٦) ن : والأئمة أهل .

وأيضا فهم يدعون أنهم يوافقون أحمد[1] بن حنبل ونحوه من الأئمة في مسائل "القرآن" و"الصفات"، وينكرون على الأشعري وأصحابه، والأشعري وأصحابه أقرب الى أحمد بن حنبل ونحوه من الأئمة في مسائل "القرآن" و"الصفات" منهم تحقيقا وانتسابا.

أما تحقيقا فمن عرف مذهب الأشعري وأصحابه، ومذهب ابن حزم وأمثاله من الظاهرية في باب الصفات - تبين[2] له ذلك، وعلم هو وكل من فهم المقالتين أن هؤلاء الظاهرية الباطنية أقرب الى المعتزلة، بل الى الفلاسفة من الأشعرية وأن الأشعرية أقرب الى السلف والأئمة وأهل الحديث منهم[3].

[4]وأيضا فان امامهم داود وأكابر أصحابه كانوا من المثبتين للصفات، على مذهب أهل السنة والحديث، ولكن من أصحابه طائفة سلكت مسلك المعتزلة وهؤلاء وافقوا المعتزلة في مسائل الصفات، وان خالفوهم في القدر والوعيد[4].

وأما الانتساب، فانتساب الأشعري وأصحابه الى الامام أحمد خصوصا، وسائر أئمة أهل[5] الحديث عموما - ظاهر مشهور في كتبهم كلها.

ومافي كتب الأشعري مما يوجد مخالفا للامام أحمد وغيره من الأئمة، فيوجد في كلام كثير من المنتسبين الى أحمد كأبي الوفاء ابن عقيل وأبي الفرج ابن الجوزي[6]

---

(١) ن : موافقون لأحمد.

(٢) خ ،س : ومذهب الظاهرية تبين.

(٣) منهم : ساقطة من (خ ،س).

(٤-٤) مابينهما ساقط من (خ ،س).

(٥) أهل : ليست في (خ ،س).

(٦) الامام أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي التيمي البكري المعروف بابن الجوزي (قيل : ان الجوزي نسبة الى فرضة من فرض البصرة ،يقال لها : جوزة)، مولده ووفاته ببغداد وتراوحت الأقوال في سنة مولده بين ٥٠٨ و ٥١٢ ،ووفاته سنة ٥٩٧، صنف في التفسير والحديث والتاريخ والوعظ وغير ذلك.

ذكر ابن رجب في الذيل على طبقات الحنابلة ،أن للناس فيه كلاما من وجوه ،منها ميله الى التأويل في بعض كلامه، قال : وكان معظما لأبي الوفاء ابن عقيل يتابعه في أكثر مايجده عنه، وكلاهما مضطرب تتلون آراؤه.

انظر: البداية والنهاية ١٣/٢٨-٣٠؛ الذيل على طبقات الحنابلة ١/٣٩٩-٤٣٣؛ شذرات الذهب ٤/٣٢٩-٣٣١؛ الأعلام ٣/٣١٦-٣١٧.

ص ٦٩ وصدقة بن الحسين[1] وأمثالهم[2] - ماهو أبعد عن قول أحمد / والأئمة من قول الأشعري وأئمة أصحابه .

ومن هو أقرب[3] الى أحمد والأئمة - من مثل ابن عقيل وابن الجوزي ونحوهما - كأبي الحسن التميمي ، وابنه أبي الفضل التميمي[4] ، وابن ابنه رزق الله التميمي[5] ، ونحوهم ، وأئمة أصحاب الأشعري كالقاضي أبي بكر بن الباقلاني ، وشيخه أبي عبد الله ابن مجاهد[6] ، وأصحابه كأبي علي بن شاذان[7] وأبي محمد بن اللبان[8] ، بل وشيوخ شيوخه كأبي العباس القلانسي وأمثاله ، بل والحافظ

---

(١) هو أبو الفرج صدقة بن الحسين بن الحسن بن بختيار بن الحداد البغدادي (٤٧٧-٥٧٣) قال عنه ابن رجب " تفقه على أبي الوفاء بن عقيل وأبي الحسن الزاغوني ، وقرأ علم الجدل والكلام والمنطق والفلسفة والحساب ومتعلقاته من الفرائض وغيرها . . . وبسبب شبه المتكلمين والمتفلسفة كان يقع له أحيانا حيرة وشك يذكرها في أشعاره ، ويقع له من الكلام والاعتراض [على الأقدار] مايقع ".
انظر: البداية والنهاية ١٢/٢٩٨-٢٩٩ ؛ الذيل على طبقات الحنابلة ١/٣٣٩-٣٤٢ ؛ شذرات الذهب ٤/٢٤٥ ؛ الأعلام ٣/٢٠٢ .

(٢) أمام هذا الموضع كتب في هامش (ن) كلمة " بلغ ".

(٣) ن : وهو أقرب .

(٤) هو أبو الفضل عبد الواحد بن عبد العزيز بن الحارث بن أسد التميمي ، كان فقيها حنبليا ، له يد في علوم كثيرة ، ولد سنة ٣٤١ أو ٣٤٢ وتوفي سنة ٤١٠ ببغداد .
انظر: تاريخ بغداد ١١/١٤-١٥ ؛ طبقات الحنابلة ٢/١٧٩ ؛ مناقب الامام أحمد لابن الجوزي ، ص ٦٢٦ ؛ تاريخ التراث العربي ١/٣/٢٤٠-٢٤١ .

(٥) هو أبو محمد رزق الله بن عبد الوهاب بن عبد العزيز بن الحارث بن أسد (٤٠٠-٤٨٨) قال عنه ابن رجب : " المقرئ ، المحدث ، الفقيه ، الواعظ ، شيخ أهل العراق في زمانه ".
انظر: طبقات الحنابلة ٢/٢٥٠-٢٥١ ؛ مناقب الامام أحمد لابن الجوزي ، ص ٦٣٢ ؛ البداية والنهاية ١٢/١٥٠ ؛ الذيل على طبقات الحنابلة ١/٧٧-٨٥ ؛ الأعلام ٣/١٩ .

(٦) أبي عبد الله بن مجاهد : كذا في (ن) ، وفي (خ ، س ، ك) : أبي عبد الله بن عبد الله بن مجاهد .

(٧) هو أبو علي الحسن بن ابراهيم بن أحمد بن الحسن بن محمد بن شاذان البغدادي ، ولد سنة ٣٣٩ ، وتوفي سنة ٤٢٦ ، متكلم أشعري ، حنفي الفروع .
انظر: تاريخ بغداد ٧/٢٧٩-٢٨٠ ؛ تبيين كذب المفتري ، ص ٢٤٥-٢٤٦ ؛ الجواهر المضية في طبقات الحنفية ١/١٨٦-١٨٧ .

(٨) هو أبو محمد عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن أحمد البكري الوائلي ، المعروف بابن اللبان ، من أهل أصبهان ، سمع بها وببغداد وبمكة ، صحب أبا بكر الباقلاني ودرس عليه الأصلين ، ودرس فقه الشافعي على أبي حامد الاسفراييني ، وله مصنفات ، توفي بأصبهان سنة ٤٤٦ .
انظر: تبيين كذب المفتري ، ص ٢٦١-٢٦٢ ؛ طبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٥/٧٢-٧٣ ؛ البداية والنهاية ١٢/٦٦ ؛ الأعلام ٤/١٢١ .

أبو بكر البيهقي وأمثاله - أقرب الى السنة[1] من كثير من أصحاب الأشعرى المتأخرين، الذين خرجوا عن كثير من قوله الى قول المعتزلة أو الجهمية[2] أو الفلاسفة ؛ فان كثيرا من متأخرى أصحاب الأشعرى خرجوا عن قوله الى قول المعتزلة أو الجهمية[2] أو الفلاسفة ؛ أن[3] صاروا واقفين في ذلك، كما سننبه عليه.

ومافي هذا الاعتقاد المشروح[4] هو موافق لقول الواقفة ، الذين لا يقولون بقول الأشعرى وغيره من متكلمة أهل[5] الاثبات ، وأهل السنة والحديث والسلف ، بل يثبتون ماوافقه عليه المعتزلة البصريون ، فان المعتزلة البصريين يثبتون مافي هذا الاعتقاد ، ولكن الأشعرى وسائر متكلمة أهل الاثبات - مع أئمة السنة والجماعة - يثبتون[6] الرؤية ، ويقولون : القرآن غير مخلوق ، ويقولون : أن[7] الله حي بحياة، عالم بعلم، قادر بقدرة ، وليس في هذا الاعتقاد شيء من هذا الاثبات .

وقد رأيت اعتقادا مختصرا لصاحب مصنف هذا الاعتقاد المشروح ، وهو[8] مشهور بالعلم والحديث ، وهو في الظاهر أشعرى عند الناس ، ورأيت اعتقاده على هذا النمط ؛ ذكر فيه أن الله متكلم آمر ناه - كما يوافق عليه المعتزلة - ولم يذكر أن القرآن غير مخلوق ، ولا أثبت الرؤية ، بل جعلها مما يتأول[9] . وكان[*] يميل الى الجهمية الذين ناظروا أحمد بن حنبل وسائر أئمة السنة في مسألة " القرآن " ، ويرجح جانبهم ، وحكى عنه[10] ذم وسب لأحمد بن حنبل .

وهو بنى اعتقاده وركبه من قول الجهمية ومن قول الفلاسفة القائلين بقدم العقول والنفوس ، وهو من جنس القول المضاف الى ديمقراطيس[*] ، وليس

(١) خ ،س : الى هؤلاء .
(٢) أو الجهمية : ساقطة من (خ ،س) . (في الموضعين) .
(٣) ن : أو .
(٤) المشروح : ساقطة من (خ ،س) .
(٥) أهل : ساقطة من (ن) .
(٦) ن : وأما الأشعرى . . . فانهم يثبتون .
(٧) أن : ساقطة من (ن) .
(٨) خ ،س : لصاحب هذا المصنف ، وهو .
(٩) مما يتأول : كذا في (ن) ، وفي (ك) : مما تتأول . وفي (خ ،س) : قد تتأول .
(*-*) مابينهما ساقط من (خ ،س) .
(١٠) عنه : كذا في (ن) ، وفي (ك) : عنهم .

هذا مذهب الأشعرية ، بل هم متفقون على أن القرآن غير مخلوق ، وعلى أن الله يرى في الآخرة .

قد ينتسب الشخص الى مذهب معين دون أن يحقق هذا الانتساب

وان قيل : ان في ذلك تدليسا أو خطأ أو غير ذلك . فليس المقصود هنا تصويب قائل معين ولا تخطئته ، ولا بيان ما في مقالته من الخطأ والصواب، وموافقة السلف ومخالفتهم ، بل أن تعلم[(١)] مقالة كل شخص على حقيقتها ، ثم الحق يجب اتباعه بما أقام الله عليه من البرهان .

ثم هذا الاعتقاد المشروح مع[(٢)] أنه ليس فيه زيادة على اعتقاد المعتزلة البصريين ؛ فاعتقاد المعتزلة البصريين خير منه ، فان في هذا المعتقد من اعتقاد المتفلسفة في التوحيد مالا يرضاه المعتزلة ، كما نبهنا عليه فيما تقدم ، وبينا[(٣)] أن ما ذكره/ من التوحيد ودليله هو مأخوذ من أصول الفلاسفة ، وأنه من أبطل الكلام .

ص ٧٠

وهذه الجمل نافعة ؛ فان كثيرا من الناس ينتسب الى السنة أو الحديث، أو اتباع مذهب السلف أو الأئمة[(٤)] ، أو مذهب الامام أحمد أو غيره من الأئمة ، أو قول الأشعري أو غيره - ويكون في أقواله ماليس بموافق لقول من انتسب اليهم ، فمعرفة ذلك نافعة جدا .

كما تقدم في الظاهرية الذين ينتسبون الى الحديث والسنة ، حتى أنكروا القياس[(٥)] الشرعي المأثور عن السلف والأئمة ، ودخلوا في الكلام الذى ذمه السلف والأئمة ، حتى نفوا حقيقة أسماء الله[(٦)] وصفاته ، وصاروا مشابهين للقرامطة الباطنية، بحيث تكون مقالة المعتزلة في أسماء الله أحسن من مقالتهم ، فهم مع دعوى الظاهر يقرمطون في توحيد الله وأسمائه .

---

(١) تعلم : كذا في (خ) ، وفي (ن) : نعلم ، وفي (س ، ك) : يعلم .
(٢) خ ،س : هذا المعتقد مع .
(٣) ك : وبيناه .
(٤) ن : والأئمة .
(٥) أمام هذا الموضع كتب في هامش (س) : مطلب انكار القياس عند الظاهرية .
(٦) ن : أسماء الله الحسنى .

وأما السفسطة في العقليات فظاهرة ؛ فانه من المعلوم بصريح العقل امتناع ارتفاع النقيضين[1] جميعا ، وأنه لا واسطة بين النفي والاثبات ، فمن قال : انه لا يصف الرب بالاثبات ؛ فلا يقول : " انه حي عليم قدير " ولا يصفه بالنفي ؛ فلا يقول : " ليس بحي عليم قدير " ـ فقد امتنع عن النقيضين جميعا ، والامتناع عن النقيضين كالجمع بين النقيضين ؛ فان النقيضين لا يجتمعان ولا يرتفعان .

مقالة أبي يعقوب السجستاني القرمطي في كتابه " الاقاليد الملكوتية " في رفع النقيضين عن الله تعالى

وهذا مما رأيته قد اعتمد عليه أئمة القرامطة ، كصاحب كتاب " الأقاليد الملكوتية " أبي يعقوب السجستاني[2] ؛ فانهم قالوا : نحن لم نجمع[3] بين النقيضين ؛ فنقول : انه حي وليس بحي . بل رفعنا النقيضين ؛ فقلنا : لا موصوف ولا لا موصوف .

قال هذا القرمطي المصنف ـ الذى رأيته من أفضل هؤلاء القرامطة ـ :

" الاقليد العاشر : في أن من عبد الله بنفي الصفات والحدود لم يعبده حق عبادته ، اذ عبادته واقعة لبعض المخلوقين ؛ فان قوما من الأوائل وجماعة من فرق الاسلام لم يعبدوا الله حق عبادته ، ولم يعرفوه بحقيقة المعرفة ؛ فقالوا : ان الله غير موصوف ولا محدود ولا منعوت ولا مرئي ولا في مكان . وتوهموا أن هذا المقدار تمجيد لله عز وجل[4] وتعظيم له ، وأنهم قد تخلصوا من الشرك والتشبيه واذا هم قد وقعوا في الحيرة والتيه[5] ، لأنهم لما نفوا الصفات والحدود والنعوت عن البارى تقدست عظمته ، لئلا يكون بينه وبين خلقه مشابهة ولا مماثلة : فنحن نسألهم بعد عن الموصوف والمحدود والمنعوت من خلقه ؟ أهو الصفة والحد والنعت أم الموصوف غير صفته ، والمحدود غير حده ، والمنعوت غير نعته .؟

(١) ك : نقيضين .
(٢) أمام هذا الكلام كتب في هامش (س) : مطلب من كتب القرامطة كتاب " الأقاليد الملوكية " [كذا] . وقد تقدمت ترجمة أبي يعقوب هذا ، ص ٢٧٧ ت ٣ وذكر له عبد الرحمن بدوى في كتابه مذاهب الاسلاميين ٢ / ١٩٦ كتاب " المقاليد " وقال : " منه مخطوطة في المكتبة المحمدية الهمدانية " .
(٣) ن : نحن لا نجمع .
(٤) عز وجل : ساقطة من (ن) .
(٥) ن : والتشبيه .

فان قالوا : ان الصفة هي الموصوف ، والحد هو المحدود ، والنعت هو المنعوت ، لزمهم أن يقولوا : ان السواد هو الأسود ، والبياض هو الأبيض .

وان قالوا : الموصوف غير صفته ، والمنعوت غير نعته ، والمحدود غير حده ، وهو ـ أعني الموصوف والمحدود والمنعوت جميعا ـ مخلوق هذا الخالق الذى/ نزهتموه عن الصفة والحد والنعت ـ أشركتم الخالق بالمخلوق الذى هو الصفة والحد والنعت في باب أنها غير الموصوف [والخالق غير الموصوف[1]] عندكم وان جاز أن يشارك المخلوق الخالق في وجه من الوجوه لم لا يجوز أن يشاركه في جميع الوجوه؟" .

ص ٧١

قال : " فاذاً من عبد الله بنفي الصفات واقع في التشبيه الخفي ، كما أن من عبده بسمة الصفات واقع في التشبيه الجلي " .

ثم أخذ يرد على المعتزلة ، لكن رد[2] عليهم ما أثبتوه من الحق ، واحتج عليهم بما وافقوه فيه من النفي ، فانه بهذا الطريق تمكنت القرامطة الزنادقة الملاحدة من افساد دين الاسلام ؛ حيث احتجوا على كل مبتدع بما وافقهم عليه من البدعة : من النفي[3] والتعطيل ، وألزموه لازم قوله ، حتى قرروا التعطيل المحض .

قال القرمطي : " ومن أطم[4] ما أتت به طائفة من أهل هذه النحلة في اقامة رأيهم من أن المبدع سبحانه غير موصوف ولا منعوت أنهم أثبتوا له الأسامي التي لا تتعرى[5] عن الصفات والنعوت ؛ فقالوا : انه سميع بالذات ، بصير بالذات ، عالم بالذات . ونفوا عنه السمع والبصر والعلم ، ولم يعلموا أن هذه الأسامي اذا لزمت ذاتا من الذوات لزمته الصفات التي من أجلها وقعت الأسامي ؛ اذ لو جاز أن يكون عالما بغير علم ، أو سميعا بغير سمع ، أو بصيرا بغير بصر ؛

(١) مابين المعكوفين ساقط من (س ، ك) .
(٢) ك : رده .
(٣) ن : في النفي .
(٤) ن : ومن أعظم أطم .
(٥) ن : لا تتغير .

لجاز أن يكون الجاهل مع عدم العلم عالما ، والأعمى مع فقد البصر بصيرا ، والأصم مع غيبوبة السمع سميعا . فلما لم يجز ماوصفناه صح أن العالم انما صار عالما لوجود العلم ، والبصير[١] لوجود البصر ، والسميع لوجود السمع .

قال : "فان قال قائل منهم: انما نفينا عن البصير البصر اذ كان[٢] اسم " البصير " متوجها نحو ذات الخالق ، لأنا هكذا شاهدنا أن من كان اسمه " البصير " يلزمه[٣] من أجل البصر أن يجوز عليه العمى ، ومن كان اسمه " السميع " يلزمه من أجل السمع أن يجوز عليه الصمم ، ومن كان اسمه العالم يلحقه من أجل العلم أن يجوز عليه الجهل ؛ والله تعالى لا يلحق به الجهل والعمى والصمم ، فنفينا عنه مايلزم بزواله ضده"[٤].

يقال له : ليس علة وجوب العمى البصر ، ولا علة وجوب الصمم السمع ، ولا علة وجوب الجهل العلم ، ولو كانت العلة فيه ماذكرناه كان واجبا أنه متى وجد البصر وجد العمى ، أو متى وجد السمع وجد الصمم ، أو متى وجد العلم وجد الجهل . فلما وجد البصر في بعض ذوى البصر من غير ظهور عمى به ، ووجد السمع كذلك في بعض ذوى السمع من غير وجود صمم يتبعه ، ووجد العلم في بعضهم من غير وجود جهل به ـ صح أن العلة في ظهور الجهل والصمم والعمى ليس هو العلم والسمع والبصر ، بل امكان قبول الآفة[٥] في بعض ذوى العلم والسمع والبصر .

والله تعالى ذكره ليس بمحل الآفات ، ولا الآفات بداخلة عليه ، فهو[٦] اذا كان[٧] اسم " العالم " و " السميع " / و " البصير " يتوجه نحو ذاته[٨] [أن يكون[٩]] ص ٧٢

(١) ن : والبصير انما صار بصيرا .
(٢) س : اذ لو كان .
(٣) س ، ك : لزمه .
(٤) أمام هذا الموضع في هامش (خ) كتب " بلغ مقابلة بحسب الطاقة " .
(٥) ك : بل في قبول امكان الآفة .
(٦) ن : ولا للآفات مداخلة عليه ، وهو .
(٧) خ ، س : فهو اذا ان كان .
(٨) ن : يتوجه وجود ذاته .
(٩) عبارة " أن يكون " ليست في النسخ الأربع ، ولعلها ساقطة .

ذا علم وسمع وبصر ، فتعالى الله عما أضاف اليه الجهلة المفترون[١] من هذه الأسامي بأنها لازمة له لزوم الذوات[٢] ،بل هذه الأسامي مما تتوجه نحو الحدود المنصوبة - من العلوى والسفلي[٣] ، والروحاني والجسماني - لمصلحة العباد ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ".

قال : " ويقال لهم : ان كان الاستشهاد الذى استشهدتموه صحيحا ،فان الاستشهاد الآخر الذى لا يفارق الاستشهاد الأول مثله في باب الصحة ، لأنكم ان كنتم هكذا شاهدتم أن من كان عالما من أجل علمه ، أو سميعا من أجل سمعه ، أو بصيرا من أجل بصره - جاز عليه الجهل والعمى والصمم ، فنحن كذلك شاهدنا أن من كان عالما فان[٤] العلم سابقه ،ومن كان بصيرا كان البصر قرينه ، ومن كان سميعا كان السمع شهيده .

فان جاز لكم أن تتعدوا حكم الشاهد على الغائب[٥] في [٦]أحدهما ؛ فتقولوا : جاز أن يكون في الغائب عالم بغير علم ، وبصير بغير بصر ،وسميع بغير سمع - جاز لنا أن نتعدى حكم الشاهد على الغائب في[٦] الباب الآخر ؛ فنقول : انا وان كنا لم نشاهد عالما بعلم الا وقد جاز عليه الجهل ، وبصيرا بالبصر الا وقد جاز عليه العمى ، وسميعا بالسمع الا وقد جاز عليه الصمم [الا أنه يجوز][٧] [٨]أن يكون في الغائب عالم بعلم لا يجوز عليه الجهل ،وبصير بالبصر لا يجوز عليه العمى ، وسميع بالسمع لا يجوز عليه الصمم[٨] ، والا فما الفصل ؟ ولا سبيل لهم الى التفصيل بين الاستشهادين فاعرفه ".

---

(١) خ : المغرون ،ك : المفترون .
(٢) ن : الذات .
(٣) ن ،خ : من العلو والسفل .
(٤) ن : كان .
(٥) ن : أن تنفذوا حكم الشاهد تارة على الغائب .
(٦-٦) مابينهما ساقط من (ن) .
(٧) عبارة " الا أنه يجوز " ليست في النسخ الأربع ، ولعلها ساقطة .
(٨-٨) مابينهما ساقط من (ن) .

تعليق ابن تيمية

فليتدبر[١] المؤمن العليم كيف ألزم هؤلاء الزنادقة الملاحدة المنافقون، الذين هم أكفر من اليهود والنصارى ومشركي العرب - للمعتزلة ونحوهم من نفاة الصفات نفي أسماء الله الحسنى، وأن تكون أسماؤه الحسنى لبعض المخلوقات، فيكون المخلوق هو المسمى بأسمائه الحسنى.

كقولهم في "الأول والآخر والظاهر والباطن": ان الظاهر هو محمد الناطق، والباطن هو علي الأساس، ومحمد هو الأول، وعلي هو الآخر. وتأويلهم قوله تعالى: (بل يداه مبسوطتان)[٢]. أن اليد الواحدة هو محمد، والأخرى علي؛ وقوله تعالى: (تبت يدا أبي لهب)[٣]. أن يديه هما أبو بكر وعمر لكونهما كانا مع أبي لهب في الباطن، فأمرهما بقتل النبي صلى الله عليه وسلم، فعجزا عن ذلك، فأنزل الله (تبت يدا أبي لهب). وأمثال هذه التأويلات المعروفة عن القرامطة[٤].

وأصل كلامهم استدلالهم بما يزعمونه من نفي التشبيه، والزامهم لكل من وافقهم على شيء من النفي بطرد مقالته، واتباع لوازمها، ولازمها التعطيل الذي يقصدونه.

عود الى مقالة أبي يعقوب السجستاني

قال القرمطي: "وأيضا فمن نزه خالقه عن الصفة والحد والنعت، ولم يجرده عما لا صفة له ولا حد ولا نعت - فقد أثبته بما لم يجرده عنه؛ واذا كان اثباته لمعبوده بنفي[٥] الصفة والحد والنعت فقط[٦] كان اثباته مهملا غير معروف؛ لأن ما لا صفة له ولا حد ولا نعت / ليس هو الله بزعمه[٧] فقط، بل هو والنفس والعقل وجميع الجواهر البسيطة من الملائكة وغيرهم.

ص ٧٣

---

(١) ن: قلت: فليتدبر.
(٢) سورة المائدة: ٦٤.
(٣) سورة المسد: ١.
(٤) حاولت الحصول على كتب للقرامطة، استخرج منها هذه الأقوال، وما تمكنت.
(٥) ك: ينفي.
(٦) ك: فقد.
(٧) س: بزعمهم.

والله تعالى أثبت من أن يكون اثباته مهملا غير معلوم ، فاذاً الاثبات الذى يليق بمجد[1] المبدع ، ولا يلحقها الاهمال ، هو نفي الصفة ونفي أن لا صفة ، ونفي الحد ونفي أن لا حد ، لتبقى هذه العظمة لمبدع العالمين ، اذ لا يحتمل أن يكون معه لمخلوق شركة في هذا التقديس ، وامتنع أن يكون الاثبات من هذه[2] الطريق مهملا فاعرفه ".

قال : " فان قال : ان من شريطة القضايا المتناقضة أن يكون أحد طرفيها صدقا والآخر كذبا ؛ فقولكم : " لا موصوف ولا لا موصوف[3]" قضيتان متناقضتان، لا بد لاحداهما من أن تكون صادقة والأخرى كاذبة[4]".

يقال له : غلطت في معرفة القضايا المتناقضة ، وذلك أن القضايا المتناقضة : أحد طرفي النقيض منه موجب والآخر سالب ؛ فان كانت القضية كلية موجبة كان نقيضها[5] جزئية سالبة ؛ كقولنا : كل انسان حي . وهو قضية كلية موجبة ، نقيضه لا كل انسان حي .

فلما كان من شرط النقيض[6] أنه لا بد أن يكون[7] أحد طرفيها موجبة والآخر[8] سالبة - رجعنا الى قضيتنا في المبدع : هل نجد فيها هذه الشريطة ؟ فوجدناها في كلتا[9] طرفيها لم توجب[10] له شيئا ، بل كلتا طرفيها سالبتان[11]؛ وهي قولنا : لا موصوف ولا لا موصوف. فهي اذاً لم يناقض بعضها بعضا .

---

(١) ن : بحد .
(٢) ن ، خ : هذا .
(٣) ن ، ك : فقولكم : لا موصوفة ولا لا موصوفة .
(٤) خ ، س : لا بد لأحدهما من أن يكون صادقا والآخر كاذبا .
(٥) ن : كانت نقيضته ، خ : كان نقيضه .
(٦) ن : النقيضين .
(٧) أنه لا بد أن يكون : كذا في (ن) ، وفي (خ ، س ، ك) : من أنه لا بد من أن يكون .
(٨) ن : والأخرى .
(٩) ك : كلتي .
(١٠) ن ، ك : يوجب .
(١١) ن : سالبان .

وانما تتناقض القضية في هذا الموضع ؛ أن نقول : له صفة وأن[١] ليس له صفة ، أو أن نقول : له حد وأن لا حد له[٢]، أو أنه في مكان وأنه[٣] لا في مكان . فيلزمنا حينئذ اثبات لاجتماع طرفي النقيض على الصدق .

فأما اذا كانت القضيتان سالبتين : احداهما سلب الصفة اللاحقة بالجسمانيين ، والأخرى نفي الصفة اللازمة للروحانيين - كان من ذلك تجريد الخالق عن سمات المربوبين وصفات المخلوقين " .

قال : " فقد صح أن من نزه خالقه عن الصفة والحد والنعت واقع في التشبيه الخفي ، كما أن من وصفه وحده ونعته واقع في التشبيه الجلي " .

الرد على أبي يعقوب السجستاني

قلت : فهذا حقيقة مذهب القرامطة ، وهو [٤]قد رد على من وصفه منهم بالنفي دون الاثبات ، ونفي النفي ؛ قال : " لأن في الاثبات تشبيها له بالجسمانيين وفي النفي تشبيها له بالروحانيين " . وهي العقول والنفوس عندهم ، انها موصوفة عندهم بالنفي دون الاثبات ، ولهذا يقولون : بسائط ليس فيها تركيب عقلي من الجنس والفصل ، كما أنه ليس فيها تركيب الأجسام .

وظن هذا الملحد وأمثاله أنهم بذلك خلصوا من الالزامات ، ومعلوم عند من عرف حقيقة قولهم أن هذا القول[٤] من أفسد الأقوال شرعا وعقلا[٥] ، وأبعدها عن مذاهب المسلمين واليهود والنصارى . بل مع ماقد حققوه من الفلسفة ، وعرفوه من مذاهب[٦] أهل الكلام ، وادعوه من / العلوم الباطنة ، ومعرفة التأويل ، ودعوى العصمة في أئمتهم - وقد قرروا أنا لا نقول بالجمع[٧] بين النقيضين ، فليس في قولنا محال .

ص ٧٤

---

(١) ن : وأنه .
(٢) ن : انه له حد أو انه لا حد له .
(٣) ن : أو أنه .
(٤-٤) مابين الرقمين ساقط من (خ ، س) .
(٥) ن : عقلا وشرعا .
(٦) مذاهب : كذا في (ن) ، وفي (خ ، س ، ك) : مذهب .
(٧) ك : الجمع .

فيقال لهم : ولكن سلبتم النقيضين جميعا ، وكما أنه يمتنع الجمع بين النقيضين فيمتنع الخلو من النقيضين ، فالنقيضان لا يجتمعان ولا يرتفعان.

ولهذا كان المنطقيون يقسمون الشرطية المنفصلة الى مانعة الجمع ، ومانعة الخلو، ومانعة(١) الجمع والخلو ؛ فالمانعة من الجمع والخلو كقول القائل : -هذا-(٢) الشيء اما أن يكون موجودا واما أن يكون معدوما ، واما أن يكون ثابتا واما أن يكون منتفيا(٣) ، فتفيد الاستثناءات(٤) الأربعة ، لكنه موجود فليس بمعدوم ، أو هو معدوم فليس بموجود ، أو ليس بموجود فهو معدوم ، أو ليس بمعدوم فهو موجود . وكذلك ماكان من الاثبات بمنزلة النقيضين ، كقول القائل : هذا العدد اما شفع واما وتر . فكونه شفعا ووترا لا يجتمعان ولا يرتفعان.

وهؤلاء ادعو اثبات شيء يخلو عنه النقيضان ، فان جوزوا خلوه عن النقيضين جاز اجتماع النقيضين فيه . وهذا مذهب أهل الوحدة(٥) القائلين بوحدة الوجود : كصاحب " الفصوص " ، وابن سبعين . وابن أبي المنصور(٦) ، وابن الفارض(٧)

---

(١) ك : ومانعتا .
(٢) هذا : ساقطة من (ك) .
(٣) ن ،ك : منفيا .
(٤) ن : فنقيد الأسباب .
(٥) أمام هذا الموضع كتب في هامش (س) : بحث الحلاج وغيره .
(٦) وابن أبي المنصور: هذا الاسم ساقط من (ن) .
وقد ذكر البغدادى في كتابه هدية العارفين ٣١٣/١ هذا الرجل بقوله :" الشيخ صفي الدين الحسين بن علي المعروف بابن أبي منصور الصوفي المالكي ،ولد سنة ٥٩٥ وتوفي سنة ٦٨٢ ، صنف كتاب الرسالة ".
(٧) هو أبو حفص وأبو القاسم عمر بن علي بن المرشد بن علي ،الحموى الأصل ، المصرى المولد والدار والوفاة ،قدم أبوه من حماة الى مصر فقطنها ،وصار يثبت الفروض للنساء على الرجال بين يدى الحكام فغلب عليه التلقيب بالفارض ولد عمر بالقاهرة سنة ٥٧٦ ، وتوفي فيها سنة ٦٣٢ ،وهو من أعلام الصوفية الاتحادية ، وله شعر يصرح فيه بالاتحاد .
انظر : وفيات الأعيان ٤٥٤/٣-٤٥٦ ؛ ميزان الاعتدال ٢١٤/٣-٢١٥ ؛ البداية والنهاية ١٤٣/١٣ ؛ لسان الميزان ٣١٧/٤ - ٣١٩ ؛ شذرات الذهب ١٤٩/٥-١٥٣ ؛ الأعلام ٥٥/٥ .

والقونوى[١]، وأمثالهم ؛ فان قولهم وقول القرامطة من مشكاة واحدة ، والاتحادية قد يصرحون باجتماع النقيضين ، وكذلك يذكرون مثل هذا عن الحلاج[٢]، والحلاج لما دخل بغداد كانوا ينادون عليه : هذا داعي القرامطة . وكان يظهر للشيعة أنه منهم ، ودخل على ابن نوبخت رئيس الشيعة[٣] ليتبعه ، فطالبه بكرامات عجز عنها[٤].

---

(١) هو محمد بن اسحاق بن محمد بن يوسف القونوى الرومي ، صحب ابن عربي الطائي ، وله تصانيف في تصوف الاتحادية ، وتوفي بقونية سنة ٦٧٢ أو ٦٧٣.
انظر : الوافي بالوفيات ٢/٢٠٠ ؛ طبقات الشافعية الكبرى ٨/٤٥ ؛ الطبقات الكبرى للشعراني ١/١٧٧ ؛ الأعلام ٦/٣٠.

(٢) هو أبو مغيث - وقيل : أبو عبد الله - الحسين بن منصور بن محمي الحلاج ، كان جده محمي مجوسيا من أهل فارس ، ونشأ الحسين بواسط ، وقيل : بتستر ، ودخل بغداد وخالط الصوفية فيها ، ثم طاف البلاد ، واتصل بالقرامطة ، وقصد الهند ، وتعلم أنواعا من السحر ، ثم عاد الى بغداد وقد ظهرت زندقته حيث قتل عليها سنة ٣٠٩.
انظر: طبقات الصوفية للسلمي ، ص ٣٠٧-٣١١ ؛ تاريخ بغداد ٨/١١٢-١٤١ ؛ المنتظم لابن الجوزى ٦/١٦٠-١٦٤ ؛ وفيات الأعيان ٢/١٤٠-١٤٧ ؛ البداية والنهاية ١١/١٣٢-١٤٤ ؛ لسان الميزان ٢/٣١٤-٣١٥ ؛ الأعلام ٢/٢٦٠ ؛ تاريخ التراث العربي ١/٤/١٣٧-١٤٣.
ولشيخ الاسلام ابن تيمية رسالة صغيرة ، في " الجواب عن سؤال عن الحلاج هل كان صديقا أو زنديقا "، نشرها الدكتور محمد رشاد سالم ضمن المجموعة الأولى من " جامع الرسائل "، ص ١٨٧-١٩٩.

(٣) هو أبو سهل اسماعيل بن علي بن اسحاق بن نوبخت البغدادى ، من متكلمي الشيعة الامامية وكبار مصنفيهم ، توفي سنة ٣١١.
انظر: الفهرست لابن النديم ، ص ٢٢٥ ؛ سير أعلام النبلاء للذهبي ١٥/٣٢٨-٣٢٩ ؛ لسان الميزان ١/٤٢٤ ؛ معجم المؤلفين ٢/٢٧٩.

(٤) نقل ابن الجوزى في المنتظم ٦/١٦١-١٦٣ قول أبي بكر الصولي في الحلاج :" وكان ظاهره أنه ناسك صوفي ، فاذا علم أن أهل بلدة يرون الاعتزال صار معتزليا ، أو يرون الامامة صار اماميا ، وأراهم أن عنده علما من امامتهم ، أو رأى أهل السنة صار سنيا ...
وقيل انه كان يدعو في أول أمره الى الرضا من آل محمد ، فسعي به فضرب ، وكان يرى الجاهل شيئا من شعبذته ، فاذا وثق به دعا الى أنه اله ، فدعا فيمن دعاه أبا سهل بن نوبخت ، فقال له : أنبت في مقدم رأسي شعرا ".
وقال الخطيب في تاريخ بغداد ٨/١١٢ " لما قدم الحلاج بغداد يدعو ، استغوى كثيرا من الناس والرؤساء ، وكان طمعه في الرافضة أقوى لدخوله من طريقهم ، فراسل أبا سهل ابن نوبخت يستغويه ... فقال : أنا مبتلى بالصلع وبالخضاب لستر المشيب ، فان جعل لي شعرا ، ورد لحيتي سوداء بلا خضاب ، آمنت بما يدعوني اليه كائنا ما كان ، فلما سمع الحلاج جوابه أيس منه وكف عنه ".

ومقالات أهل الضلال كلها تستلزم الجمع بين النقيضين، أو رفع النقيضين جميعا ، لكن منهم من يعرف لازم قوله فيلتزمه ، ومنهم من لا يعرف ذلك . وكل أمرين لا يجتمعان ولا يرتفعان فهما في المعنى نقيضان، لكن هذا ظاهر في الوجود والعدم .

وقول مثبتة الحالين[١] الذين يقولون : لا موجودة ولا معدومة[٢] . هو شعبة من مذهب القرامطة ، وانما التحقيق أنها ليست موجودة في الأعيان، ولا منتفية في الأذهان .

ومن الأمور الثبوتية مايكونان بمنزلة الوجود والعدم ؛ كقولنا :ان[٣] العدد اما شفع واما وتر، وقولنا : ان[٣] كل موجودين اما[٤] أن يقترنا في الوجود أو يتقدم أحدهما على الآخر، وكل موجود اما[٥] قائم بنفسه واما قائم بغيره، وكل جسم اما[٥] متحرك واما ساكن، واما حي واما ميت ، وكل حي اما[٥] عالم واما جاهل ، واما قادر واما عاجز، واما سميع واما أصم ، واما بصير واما أعمى[٦]. بل وكذلك[٧] كل موجودين فاما أن يكونا متجانسين[٨] واما أن يكونا متباينين[٩]، وأمثال هذه القضايا . وكل من رام سلب هذين جميعا كان من جنس القرامطة الرافعة للنقيضين .

لكن التناقض قد يظهر باللفظ ؛ كما اذا قلنا : اما أن يكون واما أن لا يكون . وقد يظهر / بالمعنى ؛ كما اذا قلنا : اما قائم[١٠] بنفسه واما قائم بغيره. ص ٧٥

وهذا كله مبسوط في غير هذا الموضع ، بل قد زدنا في جواب السائل عما هو مقصوده ، لكن نبهنا على أصول نافعة جامعة[١١].

---

(١) مثبتة الحالين : كذا في جميع النسخ ، ولعل الصواب: مثبتة الحال ، أو مثبتة الأحوال ، وسبق لي تعليق على نظرية الأحوال ، ص ٧٥ ت ٦ .
(٢) ن : لا معدومة ولا موجودة .
(٣) ان : ليست في (ن) ، (في الموضعين) .
(٤) س : فاما .
(٥) اما : كذا في (ك) ، وفي (ن ، خ ، س) : فاما (في المواضع الثلاثة) .
(٦) س ، ك : واما أعمى واما بصير.
(٧) ن : بل وكل .
(٨) ن ، خ : متحايثين .
(٩) ن : متناسبين .
(١٠) س ، ك : اما قديم .
(١١) ن : جامعة نافعة .

الطريق الثالث

الطريق الثالث لأهل النظر[١] في اثبات السمع والبصر - أن السمع والبصر من صفات الكمال - فان الحي السميع البصير أكمل من حي ليس بسميع ولا بصير كما أن الموجود الحي أكمل من موجود ليس بحي ، والموجود العالم أكمل من موجود ليس بعالم ؛ وهذا معلوم بضرورة العقل - واذا كانت صفة كمال فلو لم يتصف الرب بها لكان ناقصا ، والله منزه عن كل نقص .

(*) وكل كمال محض لا نقص فيه فهو جائز عليه ، وماكان جائزا عليه من صفات الكمال فهو ثابت له ،فانه لو لم يتصف به لكان ثبوته له موقوفا على غير نفسه ، فيكون مفتقرا الى غيره في ثبوت الكمال له ،وهذا ممتنع ؛ واذا لم يتوقف كماله[٢] الا على نفسه ، فيلزم من ثبوت نفسه ثبوت الكمال لها ، وكل ماينزه عنه فانه يستلزم نقصا يجب تنزيهه عنه[٣] (*).

وأيضا فلو لم يتصف بهذا الكمال لكان السميع البصير من مخلوقاته أكمل منه ؛ ومن المعلوم في بداية العقول أن المخلوق لا يكون أكمل من الخالق ،اذ الكمال لا يكون الا بأمر وجودى ، والعدم المحض ليس فيه كمال ، وكل [كمال][٤] موجود للمخلوق فالله خالقه ، ويمتنع أن يكون الوجود الناقص مبدعا وفاعلا للوجود الكامل ؛ اذ من المستقر في بداية العقول أن وجود العلة أكمل من وجود المعلول ،دع وجود الخالق البارى الصانع ، فانه من المعلوم بالاضطرار أنه أكمل من وجود المخلوق المصنوع المفعول .

وقد بسطنا الكلام على مثل هذه الطريقة في غير هذا الموضع ،وبينا أن الله سبحانه وتعالى يستعمل في حقه قياس الأولى ، كما جاء بذلك القرآن ، وهو الطريق

---

(١) أمام هذا الكلام كتب في هامش (س) : مطلب الطريق الثالث لأهل النظر. قلت : وقد بدأ الكلام في الطريق الثاني ، ص ٤٤٧ .

(*-*) مابينهما ساقط من (خ ،س) .

(٢) ك : وهذا ممتنع اذا لم يتوقف كمال .

(٣) في النسختين (ن ،ك) : له ،ولعل الصواب ما أثبته .

(٤) كمال : في (ن) فقط .

التي[1] كان يسلكها[2] السلف والأئمة كأحمد وغيره من الأئمة ؛ فكل كمال ثبت للمخلوق فالخالق أولى به ، وكل نقص ينزه عنه مخلوق فالخالق أولى أن ينزه عنه ، كما قال تعالى : (ضرب لكم مثلا من أنفسكم هل لكم من ماملكت أيمانكم من شركاء فيما رزقناكم فأنتم فيه سواء تخافونهم كخيفتكم أنفسكم[3]) . وقال تعالى : (واذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم . يتوارى من القوم من سوء مابشر به أيمسكه على هون أم يدسه في التراب ألا ساء مايحكمون . للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء ولله المثل الأعلى وهو العزيز الحكيم[4]) . وقوله تعالى : (ويجعلون لله مايكرهون وتصف ألسنتهم الكذب أن لهم الحسنى لا جرم أن لهم النار وأنهم مفرطون)[5] .

وذلك لأن صفات الكمال أمور وجودية ، أو أمور سلبية مستلزمة لأمور وجودية ؛ كقوله تعالى : (الله لا اله الا هو / الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم[6]) . فنفي السنة والنوم استلزم كمال صفة الحياة والقيومية ؛ وكذلك قوله : (وماربك بظلام للعبيد[7]) . استلزم ثبوت العدل ؛ وقوله[8] : (لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض[9]) . استلزم كمال العلم ؛ ونظائر ذلك كثيرة ، وأما العدم المحض فلا كمال فيه .

ص ٧٦

واذا كان كذلك ، فكل كمال لا نقص فيه بوجه[10] ثبت[11] للمخلوق فالخالق أحق به من وجهين :

أحدهما ـ أن الخالق الموجود الواجب بذاته القديم أكمل من المخلوق القابل

---

(١) ن : الذى .
(٢) ن ، س : يسلكه .
(٣) سورة الروم : ٢٨ .
(٤) سورة النحل : ٥٨ - ٦٠ .
(٥) سورة النحل : ٦٢ .
(٦) سورة البقرة : ٢٥٥ .
(٧) سورة فصلت : ٤٦ .
(٨) س ، ك : وقوله تعالى .
(٩) سورة سبأ : ٣ . وفي سورة يونس : ٦١ : (ومايعزب عن ربك من مثاقل ذرة في الأرض ولا في السماء) . وقد وردت الآية في جميع النسخ : (لا يعزب عنه مثال ذرة في الأرض ولا في السماء) . وهذا خطأ .
(١٠) عبارة " لا نقص فيه بوجه " ساقطة من (خ ، س) .
(١١) ن : يثبت .

للعدم المحدث المربوب .

الثاني - أن كل كمال فيه فانما استفاده من ربه وخالقه ، فاذا كان هو مبدعا للكمال وخالقا له ، كان من المعلوم بالاضطرار أن معطي الكمال وخالقه ومبدعه أولى بأن يكون متصفا به من المستفيد المبدع المعطى .

وقد قال الله تعالى : (ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شيء ومن رزقناه منا رزقا حسنا فهو ينفق منه سرا وجهرا هل يستوون الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون . وضرب الله مثلا رجلين أحدهما أبكم لا يقدر على شيء وهو كل على مولاه أينما يوجهه لا يأت بخير هل يستوى هو ومن يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم)[١] . وهذا المثل وان[٢] كان يفيد الدعاء الى عبادة الله وحده دون عبادة ماسواه ، ونفي عبادة الأوثان[٣] لوجود هذا الفرقان ؛ فاذا علم انتفاء التساوى بين الكامل والناقص ، وعلم أن الرب أكمل من خلقه - وجب أن يكون أكمل منهم وأحق منهم بكل كمال بطريق الأولى والأحرى .

الطريق الرابع

الطريق الرابع[٤] في اثبات السمع والبصر والكلام - أن نفي هذه الصفات نقائص مطلقا ، سواء نفيت عن حي أو جماد ، وما انتفت عنه هذه الصفات لا يجوز أن يحدث عنه شيء[٥] ولا يخلقه ، ولا يجيب سائلا ، ولا يعبد ، ولا يدعى ؛ كما قال الخليل : (يا أبت لم تعبد مالا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا)[٦] . وقال ابراهيم لقومه : (هل يسمعونكم اذ تدعون . أو ينفعونكم أو يضرون . قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون)[٧] . وقال تعالى : (واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلا جسدا له خوار ألم يروا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا اتخذوه وكانوا ظالمين)[٨] .

---

(١) سورة النحل : ٧٥-٧٦ .
(٢) ن : ان (بدون الواو) .
(٣) ن : ونفي عبادة الهثان .
(٤) أمام هذا الكلام كتب في هامش (س) : مطلب الطريق الرابع .
(٥) كذا في (ك) ، وفي (خ ، س) : شيئا ، وفي (ن) : أن يحدث شيئا .
(٦) سورة مريم : ٤٢ .
(٧) سورة الشعراء : ٧٢-٧٤ .
(٨) سورة الأعراف : ١٤٨ .

وقال تعالى : (فقالوا هذا الهكم واله موسى فنسي . أفلا يرون ألا يرجع اليهم قولا ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا)[١] .

وهذا لأنه من المستقر[٢] في الفطر أن مالا يسمع ولا يبصر ولا يتكلم لا يكون ربا معبودا ، كما أن مالا يغني شيئا ولا يهدى ولا يملك ضرا ولا نفعا لا يكون ربا معبودا ؛ ومن المعلوم أن خالق العالم هو الذى ينفع عباده بالرزق وغيره ويهديهم ، وهو الذى يملك أن يضرهم بأنواع الضرر. فان هذه الأمور من جملة / الحوادث التي يحدثها رب العالمين ؛ فلو قدر أنه ليس محدثا لها كانت حادثة بغير محدث ، أو كان محدثها غيره . واذا كان محدثها غيره فالقول في احداث ذلك الغير كالقول في سائر الحوادث ، فلابد أن تنتهي الى قديم لا محدث [له][٣] .

ص ٧٧

ولذلك[٤] من المستقر في العقول أن مالا يسمع ولا يبصر ولا يتكلم ناقص عن صفات الكمال ، لأنه لا يسمع كلام أحد ، ولا يبصر أحدا ، ولا يأمر بأمر، ولا ينهى عن شيء ، ولا يخبر بشيء ؛ فان لم يكن كالحي الأعمى الأصم كان بمنزلة ما هو شر منه ، وهو الجماد الذى ليس فيه قبول أن يسمع ويبصر ويتكلم . ونفي قبول هذه الصفات أبلغ في النقص والعجز ، وأقرب[٥] الى اتصاف المعدوم ممن يقبلها واتصف بأضدادها ؛ اذ الانسان الأعمى أكمل من الحجر، والانسان الأبكم أكمل من التراب ، ونحو ذلك مما لا يوصف بشيء من هذه الصفات .

واذا كان نفي هذه الصفات معلوما بالفطرة أنه من أعظم النقائص والعيوب وأقرب شبها بالمعدوم - كان من المعلوم بالفطرة أن الخالق أبعد عن هذه النقائص والعيوب من كل ماينفى عنه ، وأن اتصافه بهذه العيوب من أعظم الممتنعات .

---

(١) سورة طه : ٨٨، ٨٩ .
(٢) ن : لأنه مستقر .
(٣) له : ساقطة من (ك) .
(٤) خ : فلذلك ؛ س : فكذلك .
(٥) ن : والعجز وهو أبلغ وأقرب .

وهذه الطريق ليست الثانية ولا الثالثة ؛ فان الثانية مبنية على أنه حي فلابد من اتصافه بها أو بضدها ، والثالثة مبنية على أنها صفات كمال فيجب اتصاف الرب بها ، وأما[1] هذه فمبنية على أن نفي هذه الصفات نقائص ومعائب ومذام يمتنع وصف الرب بها . والله سبحانه وتعالى أعلم[2].

فصل

دليل الأصبهاني على نبوة الأنبياء

ثم قال المصنف : " والدليل[3] على نبوة الأنبياء المعجزات، والدليل على نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم القرآن المعجز نظمه ومعناه ".

شرح ابن تيمية تعدد دلائل النبوة

قلت[4] : هذه الطريقة هي من أشهر[5] الطرق عند أهل الكلام والنظر، حيث يقررون نبوة الأنبياء بالمعجزات .

١- دلالة المعجزات

ولا ريب أن المعجزات دليل صحيح لتقرير نبوة الأنبياء ،لكن كثير من هؤلاء بل كل[6] من بنى ايمانه عليها يظن أن لا تعرف نبوة الأنبياء الا بالمعجزات ، ثم لهم في تقرير[7] دلالة المعجزة على الصدق طرق متنوعة ،وفي بعضها من التنازع والاضطراب ماسننبه عليه[8]، والتزم[9] كثير من هؤلاء انكار خرق العادات لغير الأنبياء، حتى أنكروا كرامات الأولياء والسحر ونحو ذلك .

وللنظار هنا طرق متعددة ؛ منهم من لا يجعل المعجزة دليلا ، بل يجعل الدليل استواء مايدعو اليه وصحته وسلامته من التناقض ، كما يقوله طائفة من النظار ؛ ومنهم من يوجب تصديقه بدون[10] هذا / وهذا ؛ ومنهم من يجعل المعجزة دليلا ويجعل أدلة أخرى غير المعجزة ،وهذا أصح الطرق .

ص ٧٨

---

(١) ن : فأما .
(٢) عند هذا الحد تنتهي مخطوطة (ن) ،وتحل محلها مخطوطة (ط) ،وأصل المخطوطتين واحد الا أن (ن) تنقطع هنا بينما تستمر (ط) الى نهاية الكتاب (راجع مقدمة التحقيق في الكلام عن هاتين المخطوطتين) .
(٣) ط : فصل الدليل .
(٤) ط ،ك : قال شيخ الاسلام ابن تيمية .
(٥) ط ،ك : هي من أتم .
(٦) ط : بل أكثر .
(٧) تقرير: ساقطة من (ط) .
(٨) انظر فيما سيأتي ، ص ٦٠٩ .
(٩) ط : واستلزم .
(١٠) ط : دون .

ومن لم يجعل طريقها[١] الا المعجزة اضطر لهذه الأمور التي فيها تكذيب لحق أو تصديق لباطل[٢].

ولهذا[٣] كان السلف والأئمة يذمون الكلام المبتدع ؛ فان أصحابه يخطئون اما في مسائلهم واما في دلائلهم ، فكثيرا مايثبتون دين المسلمين في الايمان بالله وملائكته[٤] وكتبه ورسله على أصول ضعيفة ، بل فاسدة ، ويلتزمون لذلك لوازم يخالفون بها السمع الصحيح والعقل الصريح .

وهذا حال الجهمية من المعتزلة وغيرهم ؛ حيث أثبتوا حدوث العالم بحدوث الأجسام ، وأثبتوا ذلك بحدوث صفاتها التي هي الأعراض، فاضطرهم ذلك الى القول بحدوث كل موصوف ، فنفوا عن الله الصفات ؛ وقالوا بأن القرآن مخلوق ، وأنه لا يرى في الآخرة ، وقالوا : انه لا مباين ولا محايث[٥]. وأمثال ذلك من مقالات النفاة التي تستلزم التعطيل ، كما قد بسطناه في غير هذا الموضع .

٢- دلالة نوع مايأت به النبي من الخبر والأمر
٣- دلالة شخص النبي :صفاته وأحواله

وليس الأمر كذلك ؛ بل معرفتها بغير المعجزات ممكنة ؛ فان المقصود انما هو معرفة صدق مدعي النبوة أو كذبه ، فانه اذا[٦] قال : " اني رسول الله " فهذا الكلام اما أن يكون صدقا واما أن يكون كذبا ؛ وان شئت قلت : هذا خبر ؛ فاما أن يكون مطابقا للمخبر[٧] ، واما أن يكون مخالفا له ، سواء كانت مخالفته له على وجه العمد أو الخطأ ؛ اذ قد يظن الرجل في نفسه أو غيره أنه رسول الله ، غير متعمد للكذب[٨] ، بل خطأ وضلال[٩] : مثل كثير ممن يتمثل له الشيطان ويقول : " اني ربك " ، ويخاطبه بأشياء ، وقد يقول له : أحللت لك

---

(١) خ ،س : طريقا . ط : ومن يجعل طريقا .
(٢) ط : تكذيب بحق أو تصديق بباطل .
(٣) ولهذا : ساقطة من (خ ،س) .
(٤) وملائكته : في (ك) فقط .
(٥) ط ،س : ولا مجانب . وفي هامش (س) كتب : ولا مجاذب .
(٦) ط : أو كذبه فاذا .
(٧) ط : وان شئت قلت : اما أن يكون مطابقا .
(٨) ط : الكذب ،س : لكذب .
(٩) خ ،س : وضلالا .

ماحرمت على غيرك ، وأنت عبدى ورسولي ، وأنت أفضل أهل الأرض . وأمثال هذه الأكاذيب ، فان مثل هذا قد وقع لكثير من الناس .

فاذا كان مدعي الرسالة [اذا][1] لم يكن صادقا فلابد أن يكون كاذبا : عمدا أو ضلالا فالتميز بين الصادق والكاذب له طرق كثيرة فيما هو[2] دون دعوى النبوة ، فكيف بدعوى النبوة !.

ومعلوم أن مدعي الرسالة اما أن يكون من أفضل الخلق وأكملهم ، واما أن يكون من أنقص الخلق وأرذلهم ؛ ولهذا قال أحد أكابر ثقيف للنبي صلى الله[3] عليه وسلم - لما بلغهم الرسالة ودعاهم الى الاسلام - : " والله لا أقول لك كلمة واحدة ؛ ان كنت صادقا فأنت أجل في عيني[4] من أن أرد عليك ، وان كنت كاذبا فأنت أحقر من أن أرد عليك[5] " . فكيف[6] يشتبه أفضل الخلق وأكملهم بأنقص الخلق وأرذلهم ، وما أحسن قول حسان :

لو لم تكن فيه آيات مبينة ∴ كانت بديهته تأتيك بالخبر[7]

---

(١) اذا : ساقطة من (ط ،ك) .
(٢) هو : ليست في (ط) .
(٣) ك : الله تعالى .
(٤) في عيني : ساقطة من (خ ،س) .
(٥) في السيرة النبوية لابن هشام في خبر خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الطائف يلتمس النصرة من ثقيف ، ٢/ ٦٠- ٦١ : " قال ابن اسحاق : فحدثني يزيد بن زياد عن محمد بن كعب القرظي قال : لما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الطائف ، عمد الى نفر من ثقيف ، هم يومئذ سادة ثقيف وأشرافهم ، وهم أخوة ثلاثة : عبد ياليل ومسعود ، وحبيب بنو عمرو بن عمير ... فجلس اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدعاهم الى الله . . . فقال له أحدهم : هو يمرط ثياب الكعبة ان كان الله أرسلك ، وقال الآخر : أما وجد الله أحدا يرسله غيرك ! وقال الثالث : والله لا أكلمك أبدا ، لئن كنت رسولا من الله كما تقول ، لأنت أعظم خطرا من أن أرد عليك الكلام ، ولئن كنت تكذب على الله ماينبغي لي أن أكلمك ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم من عندهم ، وقد يئس من خير ثقيف " .
(٦) ط : وكيف .
(٧) البيت في ديوان حسان بن ثابت (١/ ٤٨٢ " تحقيق الدكتور وليد عرفان " ، نقلا عن الفاضل للمبرد ، ولفظه :

لو لم تكن فيه آيات مبينة ∴ كانت بداهته تنبيك بالخبر

وقد رجعت الى كتاب الفاضل ، ص ٩ - ١٠ وفيه يقول المبرد : ويروى أن حسانا أنشد رسول الله صلى الله عليه وسلم في كلمة له يقول فيها [وذكر البيت] فأعجب بذلك صلى الله عليه وسلم وأثاب حسانا ودعا له .

ص ٧٩ / ومامن أحد ادعى النبوة من الكذابين الا وقد ظهر عليه من الجهل والكذب والفجور واستحواذ الشياطين[١] عليه ماظهر لمن له أدنى تمييز، ومامن أحد ادعى النبوة من الصادقين الا وقد ظهر عليه من العلم والصدق والبر وأنواع الخيرات ماظهر لمن له أدنى تمييز.[٢] فان الرسول لابد أن يخبر الناس بأمور، ويأمرهم بأمور، ولابد أن يفعل أمورا ؛ والكذاب يظهر في نفس مايأمر به ومايخبر عنه[٣] ومايفعله مايبين به كذبه من وجوه كثيرة ، والصادق يظهر في نفس مايأمر به ويخبر عنه[٤] ويفعله مايظهر به صدقه من وجوه كثيرة .

بل كل شخصين ادعيا أمرا من الأمور: أحدهما صادق في دعواه والآخر كاذب فلابد[٥] أن يبين صدق هذا وكذب هذا من وجوه كثيرة ؛ اذ الصدق مستلزم للبر، والكذب مستلزم للفجور[٦].

كما في الصحيحين عن ابن مسعود عن النبي صلى الله[٧] عليه وسلم أنه قال : (عليكم بالصدق ؛ فان الصدق يهدى الى البر، وان البر يهدى الى الجنة ، ولا يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا ؛ واياكم والكذب ؛ فان الكذب يهدى الى الفجور، وان الفجور يهدى الى النار، ولا يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا)[٨].

---

(١) ط : الشيطان .
(٢) أمام هذا الموضع كتب في هامش (ط) : قوبل .
(٣) ك : ويخبر عنه .
(٤) ك : ومايخبر عنه .
(٥) خ : لابد .
(٦) ط : البر، والكذب مستلزم الفجور.
(٧) ك : الله تعالى .
(٨) الحديث في صحيح البخاري (فتح الباري ١٠/٥٠٧ رقم ٦٠٩٤) كتاب الأدب، باب قول الله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين) ؛ وصحيح مسلم ٤/٢٠١٢-٢٠١٣ رقم ٢٦٠٧ كتاب البر والصلة والآداب ، باب قبح الكذب وحسن الصدق وفضله ؛ وسنن أبي داود (عون المعبود ١٣/٣٣٣-٣٣٤) كتاب الأدب ، باب التشديد في الكذب ؛ وسنن الترمذى (تحفة الأحوذى ٦/١٠٦-١٠٧) البر والصلة ، باب ماجاء في الصدق والكذب ؛ ومسند أحمد (ط. المعارف) ٥/٢٣١ رقم ٣٦٣٨، ٦/٧٨ رقم ٤١٠٨ .
لكن أول الحديث عند البخاري (ان الصدق يهدى الى البر. . .) دون ماقبله ، وكذا قوله : (وان الكذب يهدى الى الفجور) وهذا يوافق رواية عند مسلم .

ولهذا قال تعالى : (هل أنبئكم على من تنزل الشياطين . تنزل على كل أفاك أثيم . يلقون السمع وأكثرهم كاذبون . والشعراء يتبعهم الغاوون . ألم تر أنهم في كل واد يهيمون . وأنهم يقولون مالا يفعلون)[١] . بين سبحانه أنه ليس بكاهن تنزل[٢] عليه الشياطين ، ولا شاعر ؛ حيث كانوا يقولون : ساحر وشاعر . فبين أن الشياطين تنزل على الكاذب الفاجر ، يلقون[٣] اليهم السمع وأكثرهم كاذبون .

فهؤلاء الكهان ونحوهم وان كانوا يخبرون أحيانا بشيء من المغيبات ويكون[٤] صدقا ، فمعهم من الكذب والفجور مايبين أن الذى يخبرون به ليس عن ملك ، وليسوا بأنبياء ؛ ولهذا لما[٥] قال النبي صلى الله عليه وسلم لابن صياد : (قد خبأت لك خبيئا) . وقال[٦] : هو الدخ - قال له النبي صلى الله عليه وسلم : (اخسأ ، فلن تعدو قدرك) . يعني انما أنت كاهن ، كما قال[٧] للنبي صلى الله عليه وسلم : يأتيني صادق وكاذب ، وقال : أرى عرشا على الماء . وذلك هو عرش الشيطان ، كما ثبت مثل[٨] ذلك في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم.[٩]

---

(١) سورة الشعراء : ٢٢١-٢٢٦ .

(٢) ط : تتنزل .

(٣) ط : أن الشياطين انما تتنزل على الكاذب فانهم يلقون .

(٤) خ ،س : فيكون .

(٥) لما : ساقطة من (ط) .

(٦) ط ،ك : قال .

(٧) ط : وقال .

(٨) مثل : ليست في (ط) .

(٩) ورد عدد من الأحاديث في خبر ابن صياد ؛ منها حديث أبو عمر في صحيح البخارى (فتح البارى ٢١٨/٣ رقم ١٣٥٤) كتاب الجنائز ، باب اذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه ، وهل يعرض على الصبي الاسلام ، وكرر بالأرقام ٣٠٥٥ ، ٦١٧٣ ، ٦٦١٨ ، وصحيح مسلم ٢٢٤٤/٤ رقم ٢٩٣٠ كتاب الفتن وأشراط الساعة ، باب ذكر ابن صياد ؛ وسنن أبي داود (عون المعبود ٤٧٨/١١ - ٤٨٢) كتاب الفتن والملاحم ، باب خبر ابن صياد ؛ وسنن الترمذى (تحفة الأحوذى ٥١٨/٦ - ٥٢٠) الفتن ، باب ماجاء في ذكر ابن صياد ؛ ومسند أحمد (ط.المعارف) ١٧٢/٩ - ١٨٠ رقم ٦٣٦٠ - ٦٣٦٤ .

وفيه أن عمر بن الخطاب انطلق مع النبي صلى الله عليه وسلم في رهط قبل ابن صياد . . . ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابن صياد : (أتشهد أني رسول الله ؟) فنظر اليه ابن صياد ، فقال : أشهد أنك رسول الأميين ، فقال ابن صياد لرسول الله صلى الله عليه وسلم : أتشهد أني رسول الله ؟ فرفضه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال (آمنت بالله وبرسله) ثم قال له / =

وبين الله تعالى[1] أن الشعراء يتبعهم الغاوون، والغاوى الذى يتبع هواه وشهوته، وان كان ذلك مضرا له في العاقبة؛ قال تعالى: (ألم تر أنهم في كل واد يهيمون وأنهم يقولون مالا يفعلون). فهذه صفة الشعراء، كما أن تلك صفة من تنزل عليه الشياطين. فمن عرف الرسول وصدقه ووفاءه ومطابقة قوله لعمله[2] علم / علما يقينا أنه ليس بشاعر ولا كاهن ولا كاذب[3]. ص ٨٠

والناس يميزون بين الصادق والكاذب بأنواع من الأدلة، حتى في المدعين للصناعات والمقالات: كالفلاحة والنساجة والكتابة، وعلم النحو والطب والفقه وغير ذلك. فما من أحد يدعي[4] العلم بصناعة أو مقالة الا والتفريق في ذلك[5] بين الصادق والكاذب له وجوه كثيرة. وكذلك من أظهر قصدا وعملا: كمن يظهر الديانة والأمانة والنصيحة والمحبة وأمثال ذلك من الأخلاق فانه لابد أن يتبين[6] صدقه وكذبه من وجوه متعددة.

= / رسول الله صلى الله عليه وسلم (ماذ ترى؟) قال ابن صياد: يأتيني صادق وكاذب. فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: (خلط عليك الأمر) ثم قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: (اني قد خبأت لك خبيئا) فقال ابن صياد: هو الدخ. فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اخسأ، فلن تعدو قدرك).

ومنها حديث أبي سعيد الخدرى، في صحيح مسلم برقم ٢٩٢٥، وسنن الترمذى ٦ / ٥٢٠ - ٥٢١، ومسند أحمد (ط. الحلبي) ٣ / ٦٦، وفيه أن الرسول صلى الله عليه وسلم سأل ابن صياد: (ما ترى؟) قال: أرى عرشا على الماء. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ترى عرش ابليس على البحر).

ونحو حديث أبي سعيد حديث جابر بن عبد الله في صحيح مسلم برقم ٢٩٢٦، ومسند أحمد (ط. الحلبي) ٣ / ٣٦٨، ٣٨٨.

ومنها حديث عبد الله بن مسعود عند مسلم برقم ٢٩٢٤، وأحمد (ط. المعارف) ٥ / ٢١٦ رقم ٣٦١٠.

(١) الله تعالى: ليست في (خ، س).

(٢) ك، س: لعلمه.

(٣) كذا في (ك)، وفي (ط): بشاعر ولا كاذب، وفي (خ، س): بشاعر ولا كاهن.

(٤) خ، س: فما من مدعى.

(٥) في ذلك: ساقطة من (خ، س).

(٦) خ، س: يبين.

والنبوة مشتملة على علوم وأعمال لا بد أن يتصف الرسول بها، وهي أشرف العلوم وأشرف الأعمال؛ فكيف يشتبه الصادق فيها بالكاذب! ولا يتبين[١] صدق الصادق وكذب الكاذب من وجوه كثيرة! لا سيما والعالم لم يخل[٢] من آثار نبي[٣] من لدن آدم الى زماننا، وقد علم جنس ماجاءت به الأنبياء[٤] والمرسلون، وما كانوا يدعون اليه ويأمرون به، ولم تزل آثار المرسلين في الأرض، ولم يزل عند الناس من آثار الرسل مايعرفون به جنس ماجاءت به الرسل ويفرقون به بين الرسل وغير الرسل.

فلو قدر أن رجلا جاء في زمان امكان بعث الرسل، وأمر بالشرك وعبادة الأوثان، وأباح[٥] الفواحش والظلم والكذب؛ ولم يأمر بعبادة الله ولا بالايمان[٦] باليوم الآخر - هل كان مثل هذا يحتاج أن يطالب بمعجزة، أو يشك في كذبه أنه نبي[٧]، ولو قدر أنه أتى بما يظن أنه معجزة لعلم أنه من جنس المخاريق أو الفتن والمحنة. ولهذا لما كان الدجال يدعي الالهية لم يكن مايأتي به دالا على صدقه؛ للعلم بأن دعواه ممتنعة في نفسها، وأنه كذاب.

وكذلك من نشأ في بني اسرائيل، معروفا بينهم بالصدق والبر والتقوى؛ بحيث قد خبر خبرة باطنة، يعلم منها تمام عقله ودينه، ثم أخبر بأن الله نبأه وأرسله اليهم - فان هذا لا يكون أولى بالرد[٨] من أن يخبرنا الرجل الذى لا يشك في عقله ودينه وصدقه[٩] أنه رأى رؤيا.

---

(١) يتبين: كذا في (ك)، وفي (ط، خ، س): يبين.
(٢) ك: لا يخلو.
(٣) ط: من شيء بآثار نبي. خ: من نبي، س: من آثار من نبي.
(٤) س: ... به من آثار الأنبياء.
(٥) ك: واباحة.
(٦) بالايمان: ساقطة من (خ، س).
(٧) أنه نبي: ساقطة من (خ، س).
(٨) بالرد: ساقطة من (خ، س).
(٩) ط: وصدقه ودينه.

وهذا المقام يشبه من بعض الوجوه تنازع الناس[١] في أن خبر الواحد : هل يجوز أن يقترن به من القرائن والضمائم مايفيد معه العلم ؟ . ولا ريب أن المحققين من كل طائفة على أن خبر الواحد والاثنين والثلاثة قد يقترن به من القرائن مايحصل معه [العلم[٢]] الضرورى بخبر المخبر ، بل القرائن وحدها قد تفيد العلم الضرورى ؛ كما يعرف الرجل رضا الرجل وغضبه ، وحبه وبغضه ، وفرحه وحزنه ، وغير ذلك مما في نفسه - بأمور تظهر على وجهه قد لا يمكنه التعبير عنها .

كما قال تعالى : (ولو نشاء لأريناكهم فلعرفتهم بسيماهم) . ثم قال : (ولتعرفنهم في لحن القول)[٣] . فأقسم أنه لابد أن يعرف المنافقين في لحن القول ، وعلق معرفتهم بالسيما على المشيئة ؛ لأن ظهور مافي نفس الانسان من كلامه أبين من ظهوره على صفحات وجهه . / وقد قيل : ما أسر أحد سريرة الا أظهرها الله على صفحات وجهه وفلتات لسانه . فاذا كان مثل هذا يعلم به مافي نفس الانسان من غير اخبار ؛ فاذا اقترن بذلك اخباره كان أولى بحصول العلم .

ص ٨١

ولا يقول عاقل من العقلاء : ان مجرد[٤] خبر الواحد ، أو خبر كل واحد يفيد العلم ، بل ولا خبر كل خمسة أو عشرة ، بل قد يخبر ألف[٥] أو أكثر[٦] من ألف ويكونون كاذبين اذا كانوا متواطئين .

واذا كان صدق المخبر أو كذبه يعلم بما يقترن به من القرائن ، بل في لحن قوله وصفحات وجهه ، ويحصل بذلك علم ضرورى لا يمكن المرء أن يدفعه عن نفسه - فكيف بدعوى المدعي أنه رسول الله ؛ كيف يخفى صدقه[٧] وكذبه !

---

(١) تنازع الناس : ساقطة من (خ ، س) .
(٢) العلم : ساقطة من (ك) .
(٣) سورة محمد : ٣٠ .
(٤) مجرد : ساقطة من (ط) .
(٥) ط : الألف .
(٦) س : وأكثر .
(٧) ط : يخفى هذا .

أم كيف لا يتميز[1] الصادق في ذلك من الكاذب بوجوه من الأدلة لا تعد ولا تحصى!.

وإذا كان الكاذب انما يوتى[2] من وجهين: اما أن يتعمد الكذب، واما أن يلبس عليه؛ كمن يأتيه الشيطان[3] - فمن المعلوم الذى لا ريب فيه أن من الناس من يعلم منه أنه لا يتعمد الكذب، بل كثير ممن خبره الناس وجربوه من شيوخهم ومعامليهم يعلمون منهم علما قاطعا أنهم لا يتعمدون الكذب، وان كانوا يعلمون أن ذلك ممكن، فليس كل ماعلم امكانه جوز وقوعه؛ فانا نعلم أن الله قادر على قلب الجبال ياقوتا، والبحار دما، ونعلم أنه لا يفعل ذلك.

ونعلم من حال البشر[4] من حيث الجملة أنه يجوز أن يكون أحدهم يهوديا ونصرانيا ونحو ذلك، ونعلم مع هذا أن هذا لم يقع، بل ولا يقع من أشخاص[5]، وأن من أخبرنا[6] بوقوعه منهم كذبناه قطعا، ونحن لا ننكر أن الرجل[7] قد يتغير؛ ويصير متعمدا الكذب[8] بعد أن لم يكن كذلك، لكن اذا استحال وتغير ظهر ذلك لمن يخبره ويطلع على أموره.

استدلال خديجة رضي الله عنها بالمسلك الشخصي

ولهذا لما كانت خديجة رضي الله عنها[9] تعلم من النبي صلى الله عليه وسلم أنه الصادق البار؛ قال لها لما جاءه الوحي: (اني قد خشيت على عقلي). فقالت: [له][10] كلا، والله لا يخزيك الله! انك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكل، وتقرى الضيف، وتكسب المعدوم، وتعين على نوائب الحق.[11]

---

(١) س: وكذبه ولا يتميز.
(٢) ك: يأتى.
(٣) ط: تأتيه الشياطين.
(٤) ط: دما، ونعلم من حال اليقين.
(٥) ك: الأشخاص.
(٦) ط: ونعلم مع هذا أن هذا لا يقع مع أشخاص يصرفهم، بل ولا يقع ومن أخبرنا.
(٧) ط: أن الفعل.
(٨) ط: للكذب، ك: لكذب.
(٩) رضي الله عنها: في (ك) فقط.
(١٠) له: في (ط) فقط.
(١١) عن عائشة أم المؤمنين قالت: أول مابدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حبب اليه الخلاء، وكان يخلو بغار حراء، فيتحنث فيه - وهو التعبد - الليالي ذوات العدد، قبل أن ينزع الى أهله ويتزود لذلك، ثم يرجع الى خديجة فيتزود لمثلها، حتى جاءه الحق وهو في غار حراء، فجاءه الملك، فقال: اقرأ، قال: (ما أنا بقارئ) قال: (فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني،/ =

فهو لم يخف من تعمد الكذب ؛ فانه يعلم من نفسه صلى الله عليه وسلم أنه لم يكذب ،لكن خاف في أول الأمر أن يكون قد عرض له عارض سوء - وهو المقام الثاني - فذكرت خديجة ماينفي هذا ؛ وهو ماكان مجبولا عليه من مكارم الأخلاق ، ومحاسن الشيم والأعمال : وهو الصدق المستلزم للعدل ، والاحسان الى الخلق. ومن[1] جمع فيه الصدق والعدل والاحسان لم يكن ممن يخزيه الله .

وصلة الرحم ،وقرى الضيف ،وحمل الكل ، واعطاء المعدوم ، والاعانة على نوائب الحق - هي من أعظم أنواع البر والاحسان. وقد علم من سنة الله أن من جبله الله على الأخلاق المحمودة ، ونزهه عن الأخلاق المذمومة فانه لا يخزيه .

ص ٨٢ وأيضا فالنبوة في الآدميين هي من عهد / آدم عليه السلام ؛ فانه كان نبيا ،وكان بنوه يعلمون نبوته وأحواله بالاضطرار ،وقد علم جنس مايدعو اليه الرسل ، وجنس أحوالهم ؛ فالمدعي للرسالة في زمن الامكان اذا أتى بما ظهر به مخالفته للرسل[2] علم أنه ليس منهم ، واذ أتى بما هو من خصائص الرسل علم أنه منهم[3]. لا سيما اذا علم أنه لا بد من رسول منتظر، وعلم أن لذلك الرسول صفات متعددة تميزه عمن سواه ؛ فهذا قد يبلغ بصاحبه الى العلم الضرورى بأن

/ = فقال : اقرأ . . .) .
فقال لخديجة - وأخبرها الخبر - : (لقد خشيت على نفسي) فقالت خديجة : كلا ،والله مايخزيك الله أبدا ،انك لتصل الرحم ،وتصدق الحديث ،وتحمل الكل ، وتكسب المعدوم ،وتقرى الضيف ، وتعين على نوائب الحق . فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى - ابن عم خديجة - وكان امرءا تنصر في الجاهلية . . . الخ ، وسيستشهد ابن تيمية بآخر الحديث بعد قليل .
الحديث في صحيح البخارى (فتح البارى ١ / ٢٢ رقم ٣) كتاب بدء الوحي ،باب كيف بدء الوحي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ٨ / ٧١٥ رقم ٤٩٥٣ كتاب التفسير ، سورة (اقرأ باسم ربك الذى خلق) ، ١٢ / ٣٥١ - ٣٥٢ رقم ٦٩٨٢ كتاب التعبير ،باب أول مابدىء به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة ؛ وصحيح مسلم ١ / ١٣٩ - ١٤٣ رقم ١٦٠ كتاب الايمان ،باب بدء الوحي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومسند أحمد (ط. الحلبي) ٦ / ٢٢٣ ، ٢٣٢ - ٢٣٣ .

(١) ك : مما .
(٢) س : الرسل .
(٣) ط ،خ : تبين أنه منهم .

هذا هو الرسول المنتظر، ولهذا قال تعالى : (الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون)[١].

استدلال النجاشي وورقة بن نوفل بالمسلك النوعي

والمسلك الأول - النوعي ، هو مما استدل به النجاشي على نبوته ، فانه لما استخبرهم عما يخبر به ، واستقرأهم القرآن فقرأوه عليه ؛ قال : ان هذا والذى جاء به موسى ليخرج من مشكاة واحدة[٢].

وكذلك قبله ورقة بن نوفل ؛ لما أخبره النبي صلى الله عليه وسلم بما رآه[٣] ، وكان ورقة قد تنصر ، وكان يكتب الانجيل بالعبرانية[٤] ، فقالت له خديجة : يابن عم[٥] ! اسمع من ابن أخيك مايقول ، فأخبره النبي صلى الله عليه وسلم بخبره[٦] ، فقال : هذا هو الناموس الذى كان يأتي موسى ، وان قومك سيخرجوك[٧]. فقال النبي صلى الله عليه وسلم : (أو مخرجي هم ؟) . قال[٨] : نعم لم يأت أحد بمثل ماجئت به الا عودى ، وان يدركني يومك أنصرك نصرا مؤزرا . ثم لم[٩] ينشب[١٠] ورقة أن توفي[١١].

استدلال هرقل بالمسلك الشخصي

والمسلك الثاني - الشخصي ، استدل به هرقل ملك الروم ؛ فان النبي صلى الله عليه وسلم لما كتب اليه كتابا يدعوه فيه الى الاسلام طلب هرقل[١٢]

---

(١) سورة البقرة : ١٤٦ .

(٢) ورد ذلك في حديث الهجرة الذى روته أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، وأخرجه أحمد في المسند (ط. المعارف) ٣/١٨٣ رقم ١٧٤٠ ، (ط. الحلبي) ٥/٢٩١ .
وورد في حديث عمرو بن العاص في المسند (ط. الحلبي) ٤/١٩٨ قول النجاشي لعمرو : "أتسألني أن أعطيك رسول رجل يأتيه الناموس الأكبر الذى كان يأتي موسى ، لتقتله ".

(٣) ط : بما رأى .

(٤) خ ، س : بالعربية . وكلاهما صحيح انظر فتح البارى ١/٢٥ .

(٥) خ ، س : أى عم ، وكذا هو في أحد روايات مسلم .

(٦) خ : بما رأى .

(٧) خ ، س : سيخرجونك .

(٨) ط ، ك : فقال .

(٩) ط ، خ ، س : فلم .

(١٠) ط : يلبث .

(١١) هذا معنى آخر حديث عائشة الذى تقدم أوله قبل صفحات .
قال البخارى في صحيحه (فتح البارى ٦/٤٢٢) : " الناموس : صاحب السر الذى يطلعه بما يستره عن غيره" . وكتب أمام هذا الموضع في هامش (خ) : بلغ مقابلة .

(١٢) هرقل : ساقطة من (خ ، س) .

من كان هناك من العرب ، وكان أبو سفيان قد قدم في طائفة من قريش في تجارة الى غزة ، فطلبهم وسألهم عن أحوال النبي صلى الله عليه وسلم[1] ؛ فسأل أبا سفيان وأمر الباقين[2] ان كذب أن يكذبوه ، فصار يجدهم[3] موافقين له في الاخبار .

فسألهم[4] : هل كان في آبائه ملك ؟ فقالوا : لا ؛ وهل قال هذا القول أحد قبله ؟ فقالوا[5] : لا ؛ وسألهم أهو ذو نسب فيكم ؟ فقالوا[6] : نعم ؛ وسألهم هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ماقال ؟ فقالوا : لا ، ماجربنا عليه كذبا ؛ وسألهم هل اتبعه ضعفاء الناس أم أشرافهم ؟ . فذكروا أن الضعفاء اتبعوه ؛ وسألهم هل يزيدون أم ينقصون ؟ فذكروا أنهم يزيدون ؛ وسألهم هل يرجع أحد منهم عن دينه سخطة له بعد أن يدخل فيه ؟ فقالوا : لا ؛ وسألهم هل قاتلتموه ؟ فقالوا[7] : نعم ؛ وسألهم عن الحرب بينهم وبينه ، فقالوا : يدال علينا المرة ويدال عليه الأخرى ؛ وسألهم هل يغدر ؟ فذكروا أنه لا يغدر ؛ وسألهم بماذا يأمركم ؟ فقالوا : يأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئا ، وينهانا عما كان يعبد آباؤنا ، ويأمرنا / بالصلاة والصدق والعفاف والصلة . فهذه أكثر من عشر مسائل .

ص ٨٣

---

(١) خبر كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى هرقل، والتحاور بين هرقل وأبي سفيان بن حرب عن رسول الله ودعوته ، رواه ابن عباس عن أبي سفيان وأخرجه البخاري (فتح الباري ١ /٣١- ٣٣ رقم ٧) كتاب بدء الوحي ، باب حدثنا أبو اليمان الحكم بن نافع ، ٦/١٠٩- ١١١ رقم ٢٩٤١ كتاب الجهاد ، باب دعاء النبي صلى الله عليه وسلم الناس الى الاسلام والنبوة ، ٨/٢١٤- ٢١٥ رقم ٤٥٥٣ كتاب التفسير ، باب (قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد الا الله) ؛ ومسلم ٣/١٣٩٣- ١٣٩٧ رقم ١٧٧٣ كتاب الجهاد والسير ، باب كتاب النبي صلى الله عليه وسلم الى هرقل يدعوه الى الاسلام ؛ وأحمد في مسنده (ط. المعارف) ٤/١١٠- ١١٣ .

(٢) خ ، س : الباقي .

(٣) خ : فصاروا يجدونه ، ط : فصاروا يسألونهم .

(٤) خ ، س : سألهم .

(٥) ك : قالوا .

(٦) س ، ك : قالوا .

(٧) فقالوا : كذا في (خ) ، وفي النسخ الأخرى : قالوا .

ثم بين لهم مافي هذه المسائل من الدلالة ؛ وأنه سألهم عن أسباب الكذب وعلاماته فرآها منتفية ، وسألهم عن علامات الصدق فوجدها ثابتة ؛ فسألهم هل كان في آبائه ملك ؟ فقالوا : لا . قال : قلت : فلو[1] كان في آبائه ملك ، لقلت : رجل يطلب ملك أبيه ، وسألتك هل قال هذا القول فيكم أحد قبله ؟ فقلت : لا ، فقلت : لو قال هذا القول[2] أحد قبله لقلت رجل ائتم بقول قيل قبله.

ولا ريب أن اتباع الرجل لعادة آبائه ، واقتداءه بمن كان قبله كثيرا مايكون في الآدميين ، بخلاف الابتداء بقول لم يعرف في تلك الأمة قبله ، وطلب أمر لا يناسب حال أهل بيته ؛ فان هذا قليل في العادة ، لكنه قد يقع .

ولهذا أردفه بقوله : فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ماقال ؟ فقالوا : لا ، قال : فقد علمت أنه لم يكن ليدع الكذب على الناس ثم يذهب فيكذب على الله .

وذلك أن مثل هذا يكون كذبا محضا يكذبه[3] لغير عادة جرت ، وهذا لا يفعله الا من يكون من شأنه أن يكذب . فاذا[4] لم يكن من خلقه الكذب قط ، بل لا يعرف منه الا الصدق ، وهو يتورع أن يكذب على الناس كان تورعه عن أن يكذب على الله أولى وأحق[5]. والانسان قد يخرج عن عادته في نفسه الى عادة بني جنسه ، فاذا انتفى هذا وهذا كان هذا أبعد عن الكذب وأقرب الى الصدق .

ثم أردف ذلك بالسؤال عن علامات الصدق ؛ فقال : وسألتكم أضعفاء الناس يتبعونه أم أشرافهم ؟ فقلتم[6] : ضعفاؤهم ، وهم أتباع الرسل .

---

(١) خ ،س : لو .
(٢) ط : القول فيكم .
(٣) ط : يبتدئه .
(٤) ك : فاذاً .
(٥) ط ،خ : أولى وأولى .
(٦) ط: فقال : وسألتك . . . فقلت .

وهذه علامة[1] من علامات الرسل ،وهو اتباع الضعفاء لهم[2] ابتداء؛ قال الله تعالى حكاية عن قوم نوح : (قالوا أنؤمن لك واتبعك الأرذلون)[3].وقالوا : (ومانراك اتبعك الا الذين هم أراذلنا بادى الرأى)[4]. وقال تعالى في قصة صالح : (قال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن آمن منهم أتعلمون أن صالحا مرسل من ربه قالوا انا بما أرسل به مؤمنون. قال الذين استكبروا انا بالذى آمنتم به كافرون)[5]. وقال تعالى في قصة شعيب : (قال الملأ الذين استكبروا من قومه لنخرجنك ياشعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودن في ملتنا قال أولو كنا كارهين. قد افترينا على الله كذبا ان عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا الله منها ومايكون لنا أن نعود فيها الا أن يشاء الله ربنا وسع ربنا كل شيء علما على الله توكلنا ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين)[6].

ثم[7] قال هرقل[8]: وسألتكم أيزيدون أم ينقصون ؟ فقلتم[9]: بل يزيدون. وكذلك الايمان حتى يتم ، وسألتكم هل يرتد أحد منهم عن دينه سخطة له بعد أن يدخل فيه ؟ فقلتم[10]: لا . وكذلك الايمان اذا خالطت بشاشته القلوب لا يسخطه أحد .

ص ٨٤ فسألهم عن زيادة أتباعه ودوامهم / على اتباعه ، فأخبروه أنهم يزيدون ويدومون ، وهذا من علامات الصدق والحق؛ فان الكذب والباطل لا بد أن ينكشف في آخر الأمر ، فيرجع عنه أصحابه ،ويمتنع عنه من لم يدخل فيه.

---

(١) وهذه علامة : كذا في (ط) ،وفي النسخ الأخرى : قال : فهذه علامات .
(٢) لهم : كذا في (ط) ، وفي النسخ الأخرى : له .
(٣) سورة الشعراء : ١١١ .
(٤) سورة هود : ٢٧ .
(٥) سورة الأعراف : ٧٥، ٧٦ . الملأ : ساقطة من (خ ،س) . و (من قومه) : ساقطة من (خ ،س،ك).
(٦) سورة الأعراف : ٨٨، ٨٩ . ك : بعد أن نجانا .
(٧) ثم : ساقطة من (س) .
(٨) هرقل : ساقطة من (خ ،س) .
(٩) ط : وسألتك هل يزيدون أم ينقصون ؟ فقلت .
(١٠) ط : وسألتك هل يرتد . . . فقلت .

ولهذا أخبرت الأنبياء المتقدمون أن المتنبئ الكذاب لا يدوم الا مدة يسيرة ؛ وهذه من بعض حجج ملوك النصارى[1] - الذين يقال : انهم من ولد قيصر هذا أو غيرهم - حيث رأى رجلا يسب النبي صلى الله عليه وسلم من رؤوس النصارى ويرميه بالكذب ، فجمع علماء النصارى ، وسألهم عن المتنبئ الكذاب: كم تبقى نبوته ؟ . فأخبروه بما عندهم من النقل عن الأنبياء أن الكذاب المفترى[2] لا يبقى الا كذا وكذا سنة ؛ مدة[3] قريبة اما ثلاثين سنة أو نحوها ، فقال لهم : هذا دين محمد له أكثر من خمسمائة سنة[4] - أو ستمائة سنة - وهو ظاهر مقبول متبوع ، فكيف يكون هذا كذابا ! . ثم ضرب عنق ذلك الرجل .

وسألهم هرقل[5] عن محاربته ومسالمته ؛ فأخبروه أنه في الحرب تارة يغلب كما غلب يوم بدر ، وتارة يغلب كما غلب يوم أحد ؛ وأنه اذا عاهد لا يغدر ؛ فقال لهم : وسألتكم كيف الحرب بينكم وبينه ؟ فقلتم : انها دول[6] ؛ يدال علينا المرة وندال عليه الأخرى . وكذلك الرسل تبتلى وتكون العاقبة لها ؛ قال : وسألتكم هل يغدر ؟ فقلتم[7] : انه لا يغدر . وكذلك الرسل لا تغدر .

فهو لما كان عنده من علمه بعادة الرسل وسنة الله فيهم ؛ أنه تارة ينصرهم وتارة يبتليهم ، وأنهم لا يغدرون - علم أن هذا من علامات الرسل . فان[8] سنة الله فى الأنبياء والمؤمنين أنه يبتليهم بالسراء والضراء[9] ، لينالوا درجة الشكر

---

(١) في هامش (س) كتب : بعض حجج ملوك النصارى .
(٢) المفترى : ليست في (خ ،س .
(٣) مدة : كذا في (ط) ، وفي النسخ الأخرى : لمدة .
(٤) سنة : ليست في (خ ،س) .
(٥) هرقل : ساقطة من (خ ،س) .
(٦) قال الجوهرى في "الصحاح" مادة " دول" : " الدولة في الحرب : أن تدال احدى الفئتين على الأخرى ، يقال : كانت لنا عليهم الدولة ، والجمع الدول " كذا شكلت بكسر الدال وضمها ، ونص صاحب " مختار الصحاح " على أنها بكسر الدال .
(٧) ط: وسألتك هل يغدر؟ فقلت .
(٨) ط: وأن .
(٩) في هامش (س) كتب : مطلب سنة الله في الأنبياء والمؤمنين أنهم يبلون في السراء والضراء .

والصبر ؛ كما في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (والذى نفسي بيده لا يقضي الله للمؤمن قضاء الا كان خيرا له ، وليس ذلك لأحد الا للمؤمن ؛ ان أصابته سراء شكر فكان خيرا له ، وان أصابته ضراء صبر فكان خيرا له)[١] .

بيان القرآن لحكم ادالة العدو على المؤمنين في معركة أحد

والله تعالى قد[٢] بين في القرآن مافي ادالة العدو عليهم يوم أحد من الحكمة ؛ فقال : (ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون ان كنتم مؤمنين . ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الأيام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين . وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين)[٣] .

فمن الحكم[٤] تمييز المؤمن من[٥] غيره ، فانهم اذا كانوا دائما منصورين لم يظهر وليهم وعدوهم[٦] ، اذ الجميع يظهرون الموالاة ، فاذا غلبوا ظهر عدوهم[٧] ؛ قال تعالى : (وما أصابكم يوم التقى الجمعان فباذن الله وليعلم المؤمنين . وليعلم الذين نافقوا وقيل لهم تعالوا قاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم هم للكفر يومئذ أقرب منهم للايمان يقولون بأفواههم ماليس في قلوبهم والله أعلم بما يكتمون . الذين / قالوا لاخوانهم وقعدوا لو أطاعونا ماقتلوا قل فادرءوا عن أنفسكم الموت ان كنتم صادقين)[٨] .

ص ٨٥

---

(١) في صحيح مسلم ٤/٢٢٩٥ رقم ٢٩٩٩ كتاب الزهد والرقائق ، باب المؤمن أمره كله خير ؛ عن صهيب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (عجبا لأمر المؤمن ، ان أمره كله خير ، وليس ذاك لأحد الا للمؤمن ... الخ) .
وهو في مسند أحمد (ط. الحلبي) ٤/٣٣٢ ، ٣٣٣ ، ٦/١٥ ، ١٦ بلفظ (عجبت لأمر المؤمن) - ولفظ (عجبت من قضاء الله للمؤمن) - ان أمر المؤمن كله خير ...) .
وفي المسند (ط. الحلبي) ٣/١١٧ ، ١٨٤ عن أنس سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (عجبت للمؤمن ان الله لم يقض قضاء الا كان خيرا له) .

(٢) قد : ساقطة من (س) .

(٣) سورة آل عمران : ١٣٩ - ١٤١ .

(٤) ط : الحكمة .

(٥) س ، ك : عن .

(٦) س : لم يظهر لهم عدوهم ، ك : لم يظهر لهم وليهم وعدوهم .

(٧) ط : فاذا ظهروا غلب عدوهم .

(٨) سورة آل عمران : ١٦٦ - ١٦٨ . في (ك) : لو أطاعونا ماماتوا وماقتلوا .

وقال تعالى : (آلم . أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون . ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين) . الى قوله : (ومن الناس من يقول آمنا بالله فاذا أوذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله ولئن جاء نصر من ربك ليقولن انا كنا معكم أوليس الله بأعلم بما في صدور العالمين . وليعلمن الله الذين آمنوا وليعلمن المنافقين)[١] . وقال تعالى : (ماكان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب)[٢] . وأمثال ذلك .

ومن الحكم أن يتخذ منكم شهداء، فان منزلة الشهادة منزلة علية في الجنة ،ولا بد من الموت ، فموت العبد شهيدا أكمل له وأعظم لأجره وثوابه، ويكفر عنه بالشهادة ذنوبه وظلمه لنفسه، والله لا يحب الظالمين.

ومن ذلك أن يمحص الله الذين آمنوا فيخلصهم من الذنوب ، فانهم اذا انتصروا دائما حصل للنفوس من الطغيان وضعف الايمان مايوجب لها العقوبة والهوان؛ قال تعالى : (انما نملي لهم ليزدادوا اثما)[٣] . وقال تعالى : (ان الانسان ليطغى . أن رآه استغنى)[٤] .

وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (مثل المؤمن كمثل الخامة من الزرع نفيئها[٥] الرياح تقومها تارة وتميلها أخرى ، ومثل المنافق كمثل شجرة الأرز لا تزال ثابتة على أصلها حتى يكون انجعافها[٦] مرة واحدة)[٧] .

---

(١) سورة العنكبوت : ١-٣ ، ١٠ ، ١١ .
(٢) سورة آل عمران : ١٧٩ .
(٣) سورة آل عمران : ١٧٨ .
(٤) سورة العلق : ٦، ٧ . في (ط) قدمت هاتان الآيتان قبل آية سورة آل عمران .
(٥) ك : تقيمها .
(٦) ك : انجفافها .
(٧) ورد بهذا المعنى حديث أبي هريرة في صحيح البخاري (فتح الباري ١٠ / ١٠٣ رقم ٥٦٤٤) كتاب المرضى، باب ماجاء في كفارة المرض ، وصحيح مسلم ٤/ ٢١٦٣ رقم ٢٨٠٩ كتاب صفات المنافقين وأحكامهم ، باب مثل المؤمن كالزرع ، ومثل الكافر كشجر الأرز؛ ومسند أحمد (ط. المعارف) ١٢/ ١٧٨ رقم ٧١٩٢ ، ١٤/ ٢٢١ رقم ٧٨٠١ .
وحديث كعب بن مالك في صحيح البخاري رقم ٥٦٤٣ ، وصحيح مسلم رقم ٢٨١٠ ، ومسند أحمد (ط. الحلبي) ٣/ ٤٥٤، ٦/ ٣٨٦ .
وحديث جابر في المسند (ط. الحلبي) ٣/ ٣٤٩، ٣٨٧، ٣٩٤-٣٩٥ . =/

وسئل صلى الله عليه وسلم : أى الناس أشد بلاء ؟ فقال : (الأنبياء ، ثم الصالحون ، ثم الأمثل فالأمثل ؛ يبتلى الرجل على حسب دينه ، فان كان في دينه رقة خفف عنه ، وان كان في دينه صلابة زيد في بلائه ، ولا يزال البلاء بالمؤمن في نفسه وأهله وماله ، حتى يلقى الله وليس عليه خطيئة)[١] .

وقد قال تعالى : (أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا ان نصر الله قريب)[٢] . وقال تعالى : (أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين)[٣] .

وفي الأثر فيما روى[٤] عن الله تعالى : (يا ابن آدم ! البلاء يجمع بيني وبينك ، والعافية تجمع بينك وبين نفسك) . وفي الأثر أيضا أنهم اذا قالوا للمريض اللهم ارحمه . يقول الله : (كيف أرحمه من شيء به أرحمه !)[٥] .

وقد شهدنا أن العسكر اذا انكسر خشع لله وذل وتاب الى الله من الذنوب ، وطلب النصر من الله ، وبرىء من حوله[٦] وقوته متوكلا على الله ؛ ولهذا ذكرهم الله بحالهم يوم بدر ، وبحالهم[٧] يوم حنين ؛ فقال : (ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون)[٨] . وقال تعالى : / (لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين اذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين . ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنودا لم تروها وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين)[٩] .

ص ٨٦

/ = والأرز واحدته أرزة ، قيل هو شجر الصنوبر ، وقيل غير ذلك ، والمقصود أنه شجر صلب لا يحركه هبوب الرياح ، انظر: فتح البارى ١٠ / ١٠٧ ، شرح مسلم للنووى ١٧ / ١٥٢ - ١٥٣ ، الصحاح مادة " أرز " .

(١) عن سعد بن أبي وقاص قال : قلت : يارسول الله ، أى الناس أشد بلاء ؟ قال : (الأنبياء ثم الصالحون ... إلخ " بمعنى ماذكر ابن تيمية .
أخرج الحديث الترمذى (تحفة الأحوذى ٧ / ٧٨-٧٩) الزهد ، باب في الصبر على البلاء ، وقال عنه : " حديث حسن صحيح " ، وابن ماجة ٢ / ٣٣٤ (رقم ٤٠٢٣ كتاب الفتن ، باب الصبر على البلاء ، وأحمد (ط. المعارف) ٣ / ٤٥-٤٦ رقم ١٤٨١ ، وكرر بالارقام ١٤٩٤ ، ١٥٥٥ ، ١٦٠٧ .

(٢) سورة البقرة : ٢١٤ . (٣) سورة آل عمران : ١٤٢ .

(٤) ط ، خ : يروى (٥) ط : من شىء ارحمه به ، ولم أقف على هذين الأثرين .

(٦) ط : من الله بحوله . (٧) خ ، س : وحالهم .

(٨) سورة آل عمران : ١٢٣ (٩) سورة التوبة : ٢٥ ، ٢٦ .

وشواهد هذا الأصل كثيرة ، وهو أمر يجده الناس بقلوبهم ، ويحسونه[1] ويعرفونه من أنفسهم ومن غيرهم ، وهو من المعارف الضرورية الحاصلة بالتجربة لمن جربها ، والأخبار المتواترة لمن سمعها .

ثم ذكر حكمة أخرى فقال : (ويمحق الكافرين) . وذلك أن الله سبحانه انما يعاقب الناس بأعمالهم ، والكافر اذا كانت له حسنات أطعمه الله بحسناته في الدنيا ، فاذا لم تبق له حسنة عاقبه بكفره ، والكفار اذا أديلوا يحصل لهم من الطغيان والعدوان وشدة الكفر والتكذيب مايستحقون به المحق ، ففي ادالتهم مايمحقهم الله به .

وأما الغدر فان الرسل لاتغدر أصلا ، اذ الغدر قرين الكذب ، كما في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (آية المنافق ثلاث: اذا حدث كذب ، واذا وعد أخلف ، واذا ائتمن خان)[2] . وفي الصحيحين أيضا عن النبي صلى الله عليه وسلم [أنه قال :][3] (أربع من كن فيه كان منافقا خالصا ، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها : اذا حدث كذب ، واذا أوءتمن خان ، واذا عاهد غدر ، واذا خاصم فجر)[4] .

---

(١) ط ، ك : ويخشونه .

(٢) الحديث عن أبي هريرة ، وهو في صحيح البخارى (فتح البارى ١/ ٨٩ رقم ٣٣) كتاب الايمان ، باب علامة المنافق ، وكرر بالأرقام ٢٦٨٢ ، ٢٧٤٩ ، ٦٠٩٥ ؛ وصحيح مسلم ١/ ٧٨-٧٩ رقم ٥٩ كتاب الايمان ، باب بيان خصال المنافق ؛ وسنن النسائي ٨/ ١٠٢ كتاب الايمان ، علامة المنافق ؛ وسنن الترمذى (تحفة الأحوذى ٧/ ٣٨٣- ٣٨٤) الايمان ، باب في علامة المنافق ؛ ومسند أحمد (ط. الحلبي) ٢/ ٣٥٧ ، ٣٩٧ ، ٥٣٦ .

(٣) أنه قال : ساقطة من (ك) .

(٤) في (ط) جاء هذا الحديث قبل الحديث الذى سبقه .
روى الحديث عبد الله بن عمرو ، وأخرجه البخارى (فتح البارى ١/ ٨٩ رقم ٣٤) كتاب الايمان ، باب علامة النفاق ، وكرر بالرقمين ٢٤٥٩ ، ٣١٧٨ ؛ ومسلم ١/ ٧٨ رقم ٥٨ كتاب الايمان ، باب بيان خصال المنافق ؛ وأبو داود (عون المعبود ١٢/ ٤٤٣) كتاب السنة ، باب الدليل على زيادة الايمان ونقصانه ؛ والنسائي ٨/ ١٠٢ كتاب الايمان ، علامة المنافق ؛ والترمذى (تحفة الأحوذى ٧/ ٣٨٥) الايمان ، باب في علامة المنافق ؛ وأحمد في المسند (ط. المعارف) ١١/ ٤٨ رقم ٦٧٦٨ ، ١١/ ٩٤- ٩٥ رقم ٦٨٦٤ ، ١١/ ١٠٨- ١٠٩ رقم ٦٨٧٩ .
وماذكره ابن تيمية هو لفظ البخارى رقم ٣٤ ، الا أنه في الصحيح قدم قوله (اذا ائتمن خان) على قوله : (اذا حدث كذب) ، ولم ترد عبارة (واذا ائتمن خان) في سائر هذه المواضع ، وورد بدلا عنها (واذا وعد أخلف) .

قلت : الغدر[1] ونحوه داخل في الكذب ؛ كما قال تعالى : (ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين. فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون. فأعقبهم نفاقا في قلوبهم الى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ماوعدوه وبما كانوا يكذبون)[2]. وقال تعالى : (ألم تر الى الذين نافقوا يقولون لاخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن أخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحدا أبدا وان قوتلتم لننصرنكم والله يشهد انهم لكاذبون. لئن أخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ولئن نصروهم ليولن الأدبار ثم لا ينصرون)[3]. فالغدر يتضمن كذبا في المستقبل، والرسل صلوات الله عليهم منزهون عن ذلك ، فكان هذا من العلامات .

قال : وسألتكم عما يأمر به ، فذكرتم[4] أنه يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا ، ويأمركم بالصلاة والصدق والعفاف والصلة، وينهاكم عما كان يعبد آباؤكم . وهذه صفة نبي ، وقد كنت أعلم أن نبيا يبعث ، ولم أكن أظن أنه منكم[5]، ولوددت أني أخلص اليه، ولولا ما أنا فيه من الملك لذهبت اليه، وان يكن ماتقول[6] حقا فسيملك موضع قدمي هاتين.

وكان المخاطب بذلك أبو سفيان بن حرب ، وهو حينئذ كافر، من أشد الناس بغضا وعداوة للنبي صلى الله عليه وسلم ؛ قال أبو سفيان : / فقلت لأصحابي - ونحن خروج -: لقد أمر أمر ابن أبي كبشة ، انه يخافه[7] ملك بني الأصفر. ومازلت موقنا بأن أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم سيظهر حتى أدخل الله علي الاسلام وأنا كاره[8].

ص ٨٧

---

(١) خ ،س : فجر، بل الغدر.
(٢) سورة التوبة : ٧٥ - ٧٧.
(٣) سورة الحشر: ١١، ١٢.
(٤) ك : قال : وسألتك بما يأمركم فذكرت .
(٥) خ ،س : أظنه منكم .
(٦) س ،ك : مايقول .
(٧) ط: انه ليخافه ؛ خ ،س : انه ليعظمه .
(٨) أمام هذا الموضع كتب في هامش (خ) : بلغ مقابلة .

قلت[١] : فمثل هذا السوءال والبحث أفاد[٢] هذا العاقل[٣] اللبيب علما جازما بأن هذا هو النبي الذى ينتظره .

وقد اعترض على هذا بعض من لم يدرك غور كلامه وسوءاله ،كالمازرى[٤]ونحوه وقال :انه بمثل هذا لاتعلم النبوة ،وانما تعلم بالمعجزة .

وليس الأمر على ماقال ؛ بل كل عاقل سليم الفطرة اذا سمع هذا السوءال والبحث علم أنه من أدل الأمور على عقل السائل وخبرته ، واستنباطه مايتميز[٥] به ،هل هو صادق أو كاذب ؟ ، وأنه بهذه الأمور تميز[٦] له ذلك .

ومما ينبغي أن يعرف أن مايحصل في القلب لمجموع أمور، قد لا يستقل[٧] بعضها به ،بل كل مايحصل للانسان من شبع وري وسكر وفرح وغم بأمور مجتمعة لا يحصل ببعضها ، لكن بعضها قد يحصل بعض الأمر[٨] ، وكذلك العلم بمجرد[٩] الاخبار ،وبما جربه[١٠] من المجربات ، وبما في نفس الانسان من الأمور؛ فان الخبر[١١] الواحد يحصل في القلب نوع ظن ،ثم الآخر يقويه ،الى أن ينتهي الى العلم ،حتى يتزايد ويقوى[١٢] ؛ وكذلك مايجربه الانسان من الأمور،ومايراه من أحوال الشخص ، وكذلك مايستدل به على كذبه وصدقه .

---

(١) قلت : ساقطة من (خ ،س) .
(٢) س ،ك : أفاده .
(٣) ط : القائل .
(٤) خ : كالماذرى . وأمام هذا الموضع كتب في هامش(س) : مطلب اعتراض بعض العلماء على مااستدل به هرقل .
والمازرى هو أبو عبد الله محمد بن علي بن عمر بن محمد التميمي المازرى (نسبة الى مازر بليدة بجزيرة صقلية) الفقيه المالكي ،المحدث ،أحد أئمة زمانه ،له تصانيف في عدد من الفنون ، توفي سنة ٥٣٦ بالمهدية ، عن ٨٣ سنة .
انظر: وفيات الأعيان ٤/ ٢٨٥ ؛ الوافي بالوفيات ٤/ ١٥١ ؛شذرات الذهب ٤/ ١١٤ ؛ الأعلام ٦/ ٢٧٧ .
(٥) خ ،س : ماتميز.
(٦) ط: يتميز،خ ،س : يميز.
(٧) س ،ك : قد يستقل .
(٨) ط،ك : العلم.
(٩) ط: بخبر،خ : بمخبر.
(١٠) س : وبما جرى به .
(١١) خ ،س : المخبر.
(١٢) ك : فيقوى .

من دلائل النبوة ٤- دلالة عاقبة النبي ومتبعيه ومكذبيه

وأيضا فان الله سبحانه وتعالى أبقى[1] في العالم الآثار الدالة على مافعله بأنبيائه والمؤمنين من الكرامة ، ومافعله بمكذبيهم من العقوبة ؛ وذلك أيضا معلوم بالتواتر : كتواتر الطوفان ، واغراق فرعون وجنوده[2] .

بيان القرآن لذلك

والله تعالى كثيرا مايذكر ذلك في القرآن ؛ كقوله : (وان يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود . وقوم ابراهيم وقوم لوط. وأصحاب مدين وكذب موسى فأمليت للكافرين ثم أخذتهم فكيف كان نكير. فكأين من قرية أهلكناها وهي ظالمة فهي خاوية على عروشها وبئر معطلة وقصر مشيد . أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فانها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور)[3] . وقال تعالى : (وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أشد منهم بطشا فنقبوا في البلاد هل من محيص . ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد)[4] .

وقال تعالى : (كذبت قبلهم قوم نوح والأحزاب من بعدهم وهمت كل أمة برسولهم ليأخذوه وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق فأخذتهم فكيف كان عقاب)[5] . الى قوله تعالى : (أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم كانوا هم أشد منهم قوة وآثارا في الأرض فأخذهم الله / بذنوبهم وماكان لهم من الله من واق . ذلك بأنهم كانت تأتيهم رسلهم بالبينات فكفروا فأخذهم الله انه قوى شديد العقاب)[6] . الى قوله سبحانه : (انا للنصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد)[7] .

ص ٨٨

---

(١) خ ،س : أتقن .
(٢) خ ،س : فرعون وغيره .
(٣) سورة الحج : ٤٢- ٤٦ .
(٤) سورة ق : ٣٦ ، ٣٧ .
(٥) سورة غافر : ٥ .
(٦) سورة غافر : ٢١ ، ٢٢ .
(٧) سورة غافر : ٥١ .

الى قوله تعالى : (ولقد أرسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك وماكان لرسول أن يأتي بآية الا باذن الله فاذا جاء أمر الله قضي بالحق وخسر هنالك المبطلون)(١) . الى قوله تعالى : (أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أكثر منهم وأشد قوة وآثارا في الأرض فما أغنى عنهم ماكانوا يكسبون . فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم وحاق بهم ماكانوا به يستهزؤن . فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين . فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا سنة الله التي قد خلت في عباده وخسر هنالك الكافرون)(٢) .

ولما ذكر في سورة الشعراء قصص الأنبياء ، نبيا بعد نبي : كقصة موسى وابراهيم ونوح ومن بعده ، يقول في آخر كل قصة : (ان في ذلك لآية وماكان أكثرهم موءمنين * وان ربك لهو العزيز الرحيم) : كقوله تعالى : (فلما تراءا الجمعان قال أصحاب موسى انا لمدركون . قال كلا ان معي ربي سيهدين . فأوحينا الى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم . وأزلفنا ثم الآخرين . وأنجينا موسى ومن معه أجمعين . ثم أغرقنا الآخرين . ان في ذلك لآية وماكان أكثرهم موءمنين . وان ربك لهو العزيز الرحيم)(٣) .

وكذلك قال في آخر كل قصة ، الى أن قال في قصة شعيب : (فأخذهم عذاب يوم الظلة انه كان عذاب يوم عظيم . ان في ذلك لآية وماكان أكثرهم موءمنين . وان ربك لهو العزيز الرحيم)(٤) .

وقال تعالى : (كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون ذو الأوتاد . وثمود وقوم لوط وأصحاب الأيكة أولئك الأحزاب . ان كل الا كذب الرسل فحق عقاب)(٥).

---

(١) سورة غافر : ٧٨ .
(٢) سورة غافر : ٨٢- ٨٥ .
(٣) سورة الشعراء : ٦١- ٦٨ .
(٤) سورة الشعراء : ١٨٩- ١٩١ .
(٥) سورة ص : ١٢- ١٤ .

وقال تعالى في قوم شعيب : (فكذبوه فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين . وعادا وثمود وقد تبين لكم من مساكنهم وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل وكانوا مستبصرين . وقارون وفرعون وهامان ولقد جاءهم موسى بالبينات فاستكبروا في الأرض وماكانوا سابقين . فكلا أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا ومنهم من أخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الأرض ومنهم من أغرقنا وماكان الله ليظلمهم . ولكن كانوا أنفسهم يظلمون . مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وان أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون . ان الله يعلم مايدعون من دونه من شيء وهو العزيز الحكيم . وتلك الأمثال / نضربها للناس ومايعقلها الا العالمون)[١] . ص ٨٩

وقال تعالى : (ولقد أهلكنا ماحولكم من القرى وصرفنا الآيات لعلهم يرجعون . فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا آلهة بل ضلوا عنهم وذلك افكهم وماكانوا يفترون)[٢] .

فهو سبحانه يذكر ماظهر[٣] للموحدين من مساكنهم التي كانت حول أهل مكة ؛ فان عامة من قص الله نبأه من الرسل وأممهم بعثوا حول مكة : كهود باليمن ، وصالح بالحجر من ناحية الشام ، ونوح[٤] وابراهيم وموسى وعيسى ويونس ولوط وأنبياء بني اسرائيل بأرض الشام[٥] ومصر والجزيرة وماليها من العراق .

وقال تعالى لما قص قصة قوم لوط : (فأخذتهم الصيحة مشرقين . فجعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل . ان في ذلك لآيات للمتوسمين . وانها لبسبيل مقيم . ان في ذلك لآية للمؤمنين . وان كان أصحاب الأيكة لظالمين . فانتقمنا منهم وانهما لبامام مبين)[٦] . وقال تعالى

---

(١) سورة العنكبوت : ٣٧-٤٣ .
(٢) سورة الأحقاف : ٢٧ ، ٢٨ .
(٣) خ ، س : يذكر مايبين .
(٤) ونوح : ساقطة من (س) .
(٥) ط : بالشام .
(٦) سورة الحجر : ٧٣-٧٩ .

: (وان لوطا لمن المرسلين . اذ نجيناه وأهله أجمعين . الا عجوزا في الغابرين . ثم دمرنا الآخرين . وانكم لتمرون عليهم مصبحين . وبالليل أفلا تعقلون)[١] . وقال تعالى : (فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين . فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين . وتركنا فيها آية للذين يخافون العذاب الأليم)[٢] .

وقال[٣] تعالى : (ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل . ألم يجعل كيدهم في تضليل . وأرسل عليهم طيرا أبابيل . ترميهم بحجارة من سجيل . فجعلهم كعصف مأكول)[٤] . وقال تعالى : (لايلاف قريش . ايلافهم رحلة الشتاء والصيف . فليعبدوا رب هذا البيت . الذى أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف)[٥] .

وقال تعالى : (قد كان لكم آية في فئتين التقتا فئة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة يرونهم مثليهم رأى العين والله يؤيد بنصره من يشاء ان في ذلك لعبرة لأولي الأبصار)[٦] . وقال تعالى : (هو الذى أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر ماظننتم أن يخرجوا وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدى المؤمنين فاعتبروا يا أولي الأبصار)[٧] .

وقال تعالى : (وما أرسلنا من قبلك الا رجالا نوحي اليهم من أهل القرى أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ولدار الآخرة خير للذين اتقوا أفلا تعقلون . حتى اذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا فنجي من نشاء ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين . لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب ماكان حديثا يفترى ولكن تصديق الذى بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون)[٨] .

---

(١) سورة الصافات : ١٣٣-١٣٨ .
(٢) سورة الذاريات : ٣٥-٣٧ .
(٣) ط : وقد قال .
(٤) سورة الفيل : ١-٥ .
(٥) سورة قريش : ١-٤ .
(٦) سورة آل عمران : ١٣ .
(٧) سورة الحشر : ٢ .
(٨) سورة يوسف : ١٠٩-١١١ .

ص ٩٠

ومثل هذا في القرآن متعدد / في غير موضع ، يذكر الله تعالى قصص رسله ومن آمن بهم ، وما حصل لهم من النصر والسعادة وحسن العاقبة ، وقصص من كفر بهم وكذبهم ، وما حصل لهم من البلاء والعذاب وسوء العاقبة ؛ وهذا من أعظم الأدلة والبراهين على صدق الرسل وبرهم ، وكذب من خالفهم وفجوره .

تعلم أحوال وعاقبة الأنبياء ومخالفيهم بالبصر والسمع وبهما

ثم إنه سبحانه بين[1] أن ذلك يعلم بالبصر ، أو السمع ، أو بهما ، فالبصر والمشاهدة لمن رآهم ، أو رأى آثارهم الدالة عليهم ؛ كمن شاهد أصحاب الفيل وما أحاط بهم ، ومن شاهد آثارهم بأرض الشام واليمن والحجاز ، وغير ذلك: كآثار أصحاب الحجر وقوم لوط ونحو ذلك[2] .

والسمع فبالأخبار التي تفيد العلم ؛ كتواتر الأخبار بما جرى من[3] قصة موسى وفرعون وغرق فرعون في القلزم[4] ، وكذلك تواتر الأخبار بقصة الخليل مع النمرود ، وتواتر الأخبار بقصة نوح واغراق أهل الأرض ، وأمثال ذلك من الأخبار المتواترة عند أهل الملل وغير أهل الملل[5] ، مع أن في بعض قصص من تواترت به هذه الأخبار مايحصل العلم بخبرهم[6] .

واشتراك البصر والسمع ،كما يشاهد بعض الآثار وتتواتر الأخبار،مما[7] يبين الحال ، كما تشاهد[8] السفن ويعلم بالخبر أن ابتداءها كان سفينة نوح ؛

---

(١) خ : يبين .
(٢) ط: وغير ذلك .
(٣) من : كذا في (ط) ،وفي النسخ الأخرى : في .
(٤) في لسان العرب مادة " قلزم " : " القلزمة : ابتلاع الشيء . . . يقال : تقلزمه اذا ابتلعه والتهمه ، وبحر القلزم مشتق منه ،وبه سمي القلزم لالتهامه من ركبه ، وهو المكان الذى غرق فيه فرعون وآله " .
ويذكر ياقوت في معجم البلدان ٤ / ٣٨٨ والمقريزى في الخطط المقريزية ١ / ٢١٣ أن بلدة القلزم خربت ، وأن موضعها هو الذى يعرف اليوم بالسويس .
(٥) عبارة " وغير أهل الملل " : ساقطة من (ط) .
(٦) خ ،س : بخبره .
(٧) وتتواتر الأخبار مما : كذا في (ط) ، وفي (ك) : من تواتر الأخبار ومما ، وفي (خ ،س) : وبتواتر الأخبار ما .
(٨) س ،ك : نشاهد .

كما قال تعالى : (وآية لهم أنا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون. وخلقنا لهم من مثله مايركبون)[١] . وقوله تعالى[٢] : (انا لما طغى الماء حملناكم في الجارية. لنجعلها لكم تذكرة وتعيها أذن واعية)[٣] . وكذلك يشاهد أرض الحجر ومافيها من البيوت المنقورة في الجبال ، ويعلم[٤] بالخبر تفصيل الحال ، وأمثال ذلك .

وبالجملة فالعلم بأنه كان في الأرض من يقول : بأنهم رسل الله[٥] . وأن أقواما اتبعوهم ، وأن أقواما خالفوهم ، وأن الله نصر الرسل والمؤمنين ، وجعل العاقبة لهم ، وعاقب أعداءهم - هو من أظهر العلوم المتواترة وأجلاها .

ونقل هذه الأمور أظهر وأوضح من نقل أخبار ملوك الفرس والعرب في جاهليتها ، وأخبار اليونان وعلماء الطب والنجوم والفلسفة اليونانية : كأبقراط[٦] وجالينوس[٧] ، وبطليموس[٨] ، وسقراط[٩] وأفلاطون[١٠] وأرسطو[١١] وأتباعه . فكل عاقل

---

(١) سورة يس : ٤١ ، ٤٢ . في جميع النسخ : أولم يروا أنا حملنا ... الخ .

(٢) ط : وقال .

(٣) سورة الحاقة : ١١ ، ١٢

(٤) وكذلك يشاهد ... ويعلم : كذا في (ط) ، وفي النسخ الأخرى : وكذلك نشاهد ... ونعلم .

(٥) ط : انه رسول الله ، خ ، س : بأنه رسول الله .

(٦) أبقراط ، أو بقراط ، رأس الأطباء اليونانيين في عصره ، ويعدونه السابع من الأطباء الثمانية الكبار ، عاش ٩٥ سنة وتوفي سنة ٣٥٧ ق . م .
انظر : الفهرست للنديم ، ص ٣٤٦ - ٣٤٧ ؛ طبقات الأطباء والحكماء لابن جلجل ، ص ١٦ - ٢٠ ؛ الملل والنحل للشهرستاني ٣ / ٢٤ - ٢٨ ؛ تاريخ الحكماء للقفطي ، ٩٠ - ٩٥ ؛ عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، ص ٤٣ - ٥٧ .

(٧) جالينوس امام الأطباء اليونانيين في عصره ، وهو الثامن من أطبائهم الثمانية الكبار ، ولد حوالي سنة ١٣٠ م وتوفي حوالي سنة ٢٠٠ م .
انظر : الفهرست للنديم ، ص ٣٤٧ ؛ طبقات الأطباء والحكماء لابن جلجل ، ص ٤١ - ٥٠ ؛ تاريخ الحكماء للقفطي ، ص ١٢٢ - ١٣٢ ؛ عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، ص ١٠٩ - ١٤٩ .

(٨) بطليموس ، أو بطلميوس القلوذى ، الفلكي اليوناني الشهير ، وصاحب كتاب " المجسطي " في علم الهيئة والنجوم وحركات الكواكب والأفلاك .
انظر : الفهرست ، ص ٣٢٧ - ٣٢٨ ؛ طبقات الأطباء والحكماء ، ص ٣٥ - ٣٨ ؛ الملل والنحل ٣ / ٣٣ - ٣٤ ؛ تاريخ الحكماء ، ص ٩٥ - ٩٨ .

(٩) سقراط فيلسوف يوناني ، تقدمت ترجمته ، ص ٤٦١ ت ٢ .

(١٠) أفلاطون فيلسوف يوناني ، تقدمت ترجمته ، ص ٤٦١ ت ٣ .

(١١) أرسطو فيلسوف يوناني ، تقدمت ترجمته ، ص ٣٨ ت ٦ .

يعلم أن نقل أخبار الأنبياء وأممهم وأعدائهم أكثر وأكثر من نقل أخبار مثل هؤلاء ؛ فان أخبار الأنبياء وأتباعهم ينقلها من أهل الملل من لا يحصي عدده الا الله ، ويدونونها في الكتب ، وأهلها من أعظم الناس تدينا بوجوب الصدق وتحريم الكذب ، ففي العادة المشتركة بينهم وبين سائر بني آدم مايمنع اتفاقهم وتواطأهم على الكذب ، بل مايمنع اتفاقهم على كتمان ماتتوفر الهمم والدواعي على نقله ، وفي عادتهم الخاصة ودينهم الخاص برهان آخر أخص من الأول وأكمل .

وهذا معلوم على سبيل التفصيل[1] من حال أمتنا ؛ فانا نعلم علما ضروريا بالنقل المتواتر من عادة / سلف الأمة ودينهم الموجب للصدق والبيان ، ص ٩١ المانع من الكذب والكتمان - مايوجب علما ضروريا لنا بما تواتر لنا عنهم ، وبانتفاء أمور لو كانت موجودة لنقلوها . وأهل الكتابين قبلنا[2] عندهم من التواتر[3] بجمل[4] الأمور مايحصل به المقصود في هذا الموضع .

وان كان قد يجيء كذب أو كتمان في بعض التفاصيل من أهل الكتابين قبلنا ومن[5] بعض أمتنا ؛ فهذا هو[6] أقل بكثير مما يقع من الكذب والكتمان بأخبار الفرس واليونان والهند وغيرهم ، ممن ينقل[7] أخبار ملوكهم وعلمائهم ونحو ذلك .

وما من عاقل يسمع[8] الخبر عن هؤلاء وعن هؤلاء[9] ، كما هو موجود في هذا الزمان في الكتب والألسنة ؛ الا ويحصل له من العلوم الضرورية بأحوال الأنبياء وأوليائهم وأعدائهم ، أعظم مما يحصل من العلوم بأحوال ملوك

---

(١) ط : التفضيل .
(٢) ك : قلنا .
(٣) خ ،س : المتواتر .
(٤) في جميع النسخ : بحمل بالحاء ، ولعل الصواب ما أثبته .
(٥) ط ،ك : قبلنا وفي .
(٦) ط : امتنا ، وهو .
(٧) ط : نقل .
(٨) ط : سمع .
(٩) ط : وهؤلاء .

الفرس والروم وعلمائهم وأوليائهم وأعدائهم ،(١) وهذا بين ولله الحمد .

ولولا أن هذا الجواب انما كان القصد به الكلام على هذه العقيدة المختصرة لكان البسط لي(٢) في هذا الموضع أولى من ذلك ؛ فان هذه المقامات تحتمل بسطا عظيما(١) ، لكن نبهنا(٣) على مقدمات نافعة ؛ فان أكثر أهل الكلام مقصرون(٤) في حجج الاستدلال على تقرير مايجب تقريره من التوحيد والنبوة تقصيرا كثيرا جدا ، كما أنهم كثيرا مايخطئون فيما يذكرونه(٥) من المسائل .

ومن لا يعرف الحقائق يظن أن ماذكروه هو الغاية في أصول الدين(٦) ، والنهاية في دلائله ومسائله ؛ فيورثه ذلك مخالفة الكتاب والسنة ، بل وصريح(٧) العقل في مواضع ؛ ويورثه استضعافا لكثير من أصولهم ، وشكا فيما ذكروه من أصول الدين واسترابة ، بل قد يورثه ترجيحا لأقوال من يخالف الرسل من متفلسفة وصابئين ومشركين(٨) ونحوهم ؛ حتى يبقى في الباطن منافقا زنديقا ، وفي الظاهر متكلما يذب عن النبوات .

ولهذا قال أحمد وغيره ممن قال(٩) من السلف : علماء الكلام زنادقة ، وما ارتدى أحد بالكلام الا كان في قلبه غل على أهل الاسلام(١٠) . لأنهم(١١) بنوا أمرهم على أصول فاسدة أوقعتهم في الضلال . وليس هذا موضع بسط هذا ، وقد(١٢) بسطناه في غير هذا الموضع .

(١-١) مابينهما ساقط من (ط) .

(٢) لي : في (ك) فقط .

(٣) ط : وقد نبهنا .

(٤) ط : أهل النظر يقتصرون .

(٥) ط : يذكر فيه .

(٦) س : في أصولهم .

(٧) ط ،خ : ولصريح .

(٨) خ ،س : متفلسف وصابئ ومشرك .

(٩) ممن قال : ليست في (ط) .

(١٠) نقل السيوطي في صون المنطق والكلام ،ص ١٢٨ عن كتاب " قوت القلوب " لأبي طالب ، قول أحمد : علماء الكلام زنادقة ؛ ونقل (ص ١٥٠) عن كتاب " الانتصار لأهل الحديث " لأبي المظفر السمعاني ، قول أحمد : أئمة الكلام زنادقة .
وفي كتاب " جامع بيان العلم وفضله " لابن عبدالبر ٩٥/١ : " وقال أحمد بن حنبل رحمه الله : انه لا يفلح صاحب كلام أبدا ، ولا تكاد ترى أحدا نظر في الكلام الا وفي قلبه دَغَل " .

(١١) ط : قلت : وذلك أنهم .

(١٢) خ ،س : فقد ، ط : فانا .

ماتواتر من أحوال الأنبياء يدل على صدقهم من وجوه

والمقصود هنا أن طرق العلم بالرسالة كثيرة جدا متنوعة ، ونحن اليوم اذا علمنا بالتواتر أحوال الأنبياء وأوليائهم وأعدائهم ؛ علمنا علما يقينا[١] أنهم كانوا صادقين على الحق من وجوه متعددة :

١- صدق أخبارهم عن عاقبتهم وعاقبة أعدائهم

منها أنهم أخبروا الأمم بما سيكون من انتصارهم ، وخذلان أولئك ، وبقاء العاقبة لهم ،[٢] أخبارا كثيرة في أمور كثيرة ، وهي كلها صادقة ، لم يقع في شيء منها تخلف[٣] ولا غلط ، بخلاف من يخبر به من ليس متبعا لهم ممن تنزل عليه الشياطين ، أو يستدل على ذلك بالأحوال الفلكية وغيره /. وهؤلاء لا بد أن يكونوا كثيرا ؛ بل الغالب من أخبارهم الكذب ، وان صدقوا أحيانا[٢].

ص ٩٢

٢- نصر الله لهم واهلاك عدوهم

ومن ذلك أن ما أحدثه الله تعالى من نصرهم واهلاك عدوهم ؛[٤] اذا عرف الوجه الذى حصل عليه : كحصول الغرق لفرعون وقومه بعد أن دخل البحر خلف موسى وقومه - كان هذا مما يورث علما ضروريا أن الله تعالى أحدث هذا نصرا لموسى عليه السلام وقومه ، ونجاة لهم ؛ وعقوبة لفرعون وقومه ، ونكالا لهم . وكذلك أمر نوح والخليل عليهما السلام ، وكذلك قصة الفيل وغير ذلك .

٣- احكام ماجاءوا به من الخبر والأمر

ومن الطرق أيضا أن[٥] من تأمل ماجاءت[٦] به الرسل عليهم السلام فيما أخبرت به وما أمرت به علم بالضرورة أن مثل هذا لا يصدر الا عن[٧] أعلم الناس وأصدقهم وأبرهم ، وأن مثل هذا يمتنع صدوره عن كاذب متعمد للكذب[٨] ؛

---

(١) س : يقينيا .
(٢-٢) مابينهما (أخبارا كثيرة . . . وان صدقوا أحيانا) ساقط من (خ ، س) .
(٣) تخلف : كذا في (ك) ، وفي (ط) : تخلق .
(٤) ط : اذا حصل .
(٥) ان : ساقطة من (ط) .
(٦) ك : ماجاء .
(٧) خ ، س : من .
(٨) للكذب : ساقطة من (س) .

مفتر على الله يخبر عنه بالكذب الصريح ،أو مخطىء جاهل ضال يظـن أن الله تعالى أرسله ولم يرسله .

وذلك لأن فيما أخبروا به وما أمروا به من الاحكام والاتقان، وكشف الحقائق ، وهدى الخلائق ، وبيان مايعلمه العقل جملة ويعجز عن معرفته تفصيلا - مايبين أنهم من[1] العلم والمعرفة والخبرة[2] في الغاية التي باينوا بها أعلم الخلق ممن[3] سواهم ؛ فيمتنع أن يصدر مثل ذلك عن جاهل ضال .

وفيها من الرحمة والمصلحة والهدى والخير، ودلالة الخلق على ماينفعهم ومنع مايضرهم ؛ مايبين أن ذلك صدر عن راحم بار[4] يقصد غاية الخير والمنفعة للخلق .

واذا كان ذلك يدل على كمال علمهم ، وكمال حسن قصدهم ؛ فمن تم علمه وتم حسن قصده امتنع أن يكون كاذبا على الله ؛ يدعى عليه هذه الدعوى العظيمة ،التي لا يكون أفجر[5] من صاحبها اذا[6] كان كاذبا متعمدا ،ولا أجهل منه ان كان مخطئا .

وهذه الطريق تسلك جملة في حق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وتفصيلا في حق واحد واحد بعينه[7]، فيستدل المستدل[8] بما يعلمه من الحق والخير جملة على علم صاحبه وصدقه ، ثم يستدل بعلمه وصدقه على مالم يعلمه تفصيلا.

والعلم بجنس الحق والباطل ، والخير والشر، والصدق والكذب، معلوم بالفطرة والعقل الصريح ، بل جمل ذلك مما اتفق[9] عليه بنو آدم ، ولذلك يسمى ذلك معروفا[10] ومنكرا ، فاذا علم أنه فيما علم الناس أنه حق وأنه خير ؛

---

(١) ط: في .
(٢) خ ،س : والخيرة .
(٣) خ ،س : من .
(٤) بار: كذا في (ك) ،وفي النسخ الأخرى : بره .
(٥) ط: أخس .
(٦) ط: ان .
(٧) ط: في حق واحد بعينه .
(٨) المستدل : ساقطة من (س) .
(٩) اتفق : كذا في (ك) ،وفي النسخ الأخرى : اتفقت .
(١٠) ط: سمى معروفا .

هو أعلم منهم به ، وأنصح الخلق فيه ،وأصدقهم فيما يقول - علم بذلك أنه صادق عالم ناصح ، لا كاذب ولا جاهل ولا غاش .

وهذه الطريق يسلكها كل أحد بحسبه ، ولا يحتاج في هذه الطريق الى أن يعلم[1] أولا خواص النبوة وحقيقتها وكيفيتها ، بل أن يعلم أنه صادق بار فيما يخبر به ويأمر به ،ثم من خبره يعلم حقيقة النبوة والرسالة .

ص ٩٣
مسالك الناس في الاستدلال على النبوة

/ وقد سلك آخرون من المتكلمين[2] والمتفلسفة والمتصوفة وغيرهم طريقا أخرى تشبه هذه من وجه دون وجه ؛ وهو أن يعلم النبوة أولا ، وأنها موجودة في بني آدم ، وأنهم محتاجون اليها ، ويعلم صفاتها ، ثم يعلم عين النبي .

ثم المتكلمون من المعتزلة وغيرهم يوجبون النبوة على الله تعالى[3] على طريقتهم[4] في ايجاب مايوجبونه عليه ، والمتفلسفة قد[5] يوجبون ذلك على طريقتهم[4] فيما يجب وجوده في العالم ، وغيرهم يوجب ذلك لما علم من عادته في حكمته ورحمته واعطائه الخلق مايحتاجون اليه .

وبالجملة ، فيعلمون نوعها في العالم ، ثم يعلمون الواحد من الجنس[6] بثبوت حقيقة النوع فيه ،وهذه الطريقة[7] يسلكها كثير من المتكلمة والمتصوفة[8] والمتفلسفة والعامة وغيرهم .

مذهب ابن سينا في حقيقة النبوة

لكن المتفلسفة كابن سينا وأمثاله أدركوا من النبوة بقدر ما أعطتهم موادهم الفلسفية ، التي علموا بها أن النبي يكون له كمال القوة العلمية ، وكمال قوة السمع والبصر ،وكمال قوة النفس ؛ بحيث يعلم ويسمع ويبصر مايقصر غيره عنه ، ويفعل في العالم بهمته مايعجز غيره عنه .

---

(١) ط : يتعلم .
(٢) ط،خ : المتكلمة .
(٣) تعالى : ليست في (خ ،ط)،وفي(س) : على الله جل وعز .
(٤) خ : طريقهم . (في الموضعين) .
(٥) قد : ساقطة من (خ ،س) .
(٦) ط : من النوع .
(٧) الطريقة : كذا في (ك)، وفي النسخ الأخرى : الطريق .
(٨) خ ،س : المتكلمة المتصوفة .

وهؤلاء يجعلون[1] نفس النبوة ثلاثة أمور:

أحدها- أن تكون له قوة عقلية ، بل نسبة[2] ينال بها العلم من غير تعلم.

والثاني- أن تكون له قوة خيالية ، يتخيل بها الحقائق العقلية موجودة، خالية ، موثقة ، من أجناس منام النائم ، فيرى في نفسه ضوءا ؛ وذلك هو الرسالة عندهم ، ويسمع [في نفسه صوتا][3] ؛ وذلك هو كلام الله عندهم.

الثالث- أن تكون لنفسه قوة على أن تؤثر[4] في العالم[5].

وهذه الأقوال الثلاثة تحصل لخلق كثير ، هم دون رتبة الصالحين ، فضلا عن النبوة ، ولهذا كانت النبوة عندهم مكتسبة ، فصار كثير منهم يطلب أن يصير نبيا ، كما جرى للسهروردي المقتول ولابن سبعين ، ولهذا كان ابن سبعين يقول : لقد زدت في حديث " قال (لا نبي بعدي)[6] " - نبي عربي .

---

(١) من قوله : " وهؤلاء يجعلون . . . " الى قوله في ص ٥٠٤ : " فهؤلاء يقولون ان " ساقط من (خ ، س).

(٢) بل نسبة : كذا في النسختين (ط ، ك) ، وأحسب أنها محرفة عن " قدسية ".

(٣) مابين المعكوفين ليس في (ط ، ك) ، ولعل الصواب اثباته.

(٤) ك : تؤثر.

(٥) ورد هذا المعنى في عدد من كتب ابن سينا ، ففي كتاب النجاة تكلم عن النفس في فصول ، منها : " فصل في طرق اكتساب النفس الناطقة للعلوم " قال فيه (ص ١٦٦ - ١٦٧) " واعلم أن التعلم - سواء حصل من غير المتعلم ، أو حصل من نفس المتعلم - متفاوت ؛ فان من المتعلمين من يكون أقرب الى التصور ، لأن استعداده الذي قبل الاستعداد الذي ذكرناه أقوى ، فان كان ذلك الانسان مستعدا للاستكمال فيما بينه وبين نفسه سمي هذا الاستعداد القوي " حدسا ".
وهذا الاستعداد قد يشتد في بعض الناس ، حتى لا يحتاج في أن يتصل بالعقل الفعال الى كبير شيء والى تخريج وتعليم ، بل يكون شديد الاستعداد لذلك ، كأن الاستعداد الثاني حاصل له ، بل كأنه يعرف كل شيء من نفسه .
وهذه الدرجة أعلى درجات هذا الاستعداد ، ويجب أن تسمى هذه الحال من العقل الهيولاني " عقلا قدسيا " ، وهو من جنس العقل بالملكة ، الا أنه رفيع جدا ، ليس مما يشترك فيه الناس كلهم .
ولا يبعد أن تفيض هذه الأفعال المنسوبة الى الروح القدسي لقوتها واستعلائها فيضانا على " المتخيلة " أيضا ، فتحاكيها المتخيلة أيضا بأمثلة محسوسة ومسموعة من الكلام على النحو الذي سلفت الاشارة اليه ".
ثم قال : (ص ١٦٨) : " وهذا ضرب من النبوة ، بل أعلى قوى النبوة ، والأولى أن تسمى هذه القوة " قوة قدسية " وهي أعلى مراتب القوى الانسانية ".

(٦) هذه العبارة وردت في عدد من الأحاديث :
ففي صحيح البخاري (فتح الباري ٦ / ٤٩٥ رقم ٣٤٥٥) كتاب أحاديث الأنبياء ، باب ما ذكر عن نبي اسرائيل ؛ وصحيح مسلم ٣ / ١٤٧١ رقم ١٨٤٢ كتاب الامارة ، باب وجوب الوفاء ببيعة الخلفاء الأول فالأول ؛ ومسند أحمد (ط . المعارف) ١٥ / ١٠٩ رقم ٧٩٤٧ ، عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (كانت بنو اسرائيل تسوسهم الأنبياء ، كلما هلك نبي خلفه نبي ، / =

وهؤلاء يجعلون النبوة ، انما هي من جنس واحد وقوة النفس ، في العلم والقدرة ، لكن يقول : بينهما من الفصل بارادة النبي الخير ، وارادة الساحر الشر ، ويقولون : الملك والشيطان قوى ، لكن قوة الملك قوة صالحة ، وقوة الشيطان قوة فاسدة .

وأما من يقول : الملائكة والجن هم جنس واحد ، لا فرق بينهما في الصفات . فهؤلاء[1] يقولون : ان هذا القدر[2] يحصل نوع منه لغيرهم من الأولياء ، لكن يحصل لهم ماهو دون ذلك . وهذا على طريقة عقلاء المتفلسفة الذين يفضلون النبي على الفيلسوف والولي ، كابن سينا وأمثاله .

= / وانه لا نبي بعدى ...) .
وفي صحيح البخارى (فتح البارى ٨/ ١١٢ رقم ٤٤١٦) كتاب المغازى ، باب غزوة تبوك ، وصحيح مسلم ٤/ ١٨٧٠ - ١٨٧١ رقم ٢٤٠٤ كتاب فضائل الصحابة ، باب من فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، عن سعد بن أبي وقاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي : (أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى ، غير أنه لا نبي بعدى) .
وبمعنى حديث سعد ، روى الترمذى في سننه (تحفة الأحوذى ١٠/ ٢٣٥) المناقب ، مناقب علي ابن أبي طالب ، وأحمد في مسنده (ط. الحلبي) ٣/ ٣٣٨ حديثا عن جابر بن عبد الله .
وبمعناه أيضا روى أحمد (ط. الحلبي) ٣/ ٣٢ حديثا عن أبي سعيد الخدرى ، وروى ٦/ ٣٦٩ ، ٤٣٨ حديثا عن أسماء بنت عميس .
وفي سنن أبي داود (عون المعبود ١١/ ٣٢٢ - ٣٢٤) كتاب الفتن والملاحم ، باب ذكر الفتن ودلائلها ؛ وسنن الترمذى (تحفة الأحوذى ٦/ ٤٦٦) الفتن ، باب ماجاء ولا تقوم الساعة حتى يخرج كذابون ؛ ومسند أحمد (ط. الحلبي) ٥/ ٢٧٨ حديث ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفيه : (... وانه سيكون في أمتي ثلاثون كذابون كلهم يزعم أنه نبي ، وأنا خاتم النبيين ، لا نبي بعدى) .
وفي المسند (ط. المعارف) ١٠/ ١٤٢ - ١٤٣ رقم ٦٦٠٧ ، ١١/ ١٩٣ رقم ٦٩٨١ عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما كالمودع ، فقال : (أنا محمد النبي الأمي - قاله ثلاث مرات - ولا نبي بعدى) .
وفي المسند (ط. الحلبي) ٣/ ٢٦٧ عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ان الرسالة والنبوة قد انقطعت ، فلا رسول بعدى ولا نبي) .

(١) ط : واحد نضر الصفات وهؤلاء .

(٢) هنا ينتهي ماسقط من (خ ، س) الذى بدأ صفحة ٥٠٣ وجاء الكلام فيهما كذا : وهذا القدر ... الخ .

مذهب الفارابي وابن عربي

وأما غلاتهم ،كالفارابي وأمثاله الذين قد يفضلون الفيلسوف على النبي[(١)] - كما يفضل أشباههم ،كابن عربي الطائي صاحب "الفتوحات المكية" و "فصوص الحكم" وغيرهما ؛ فانهم[(٢)] يفضلون الولي على النبي ،/وكان[(*)] يدعي أنه يأخذ من المعدن الذى يأخذ منه الملك ، الذى يوحي به الى النبي ؛ وأن الملك على أصلهم هو الخيال الذى في نفس النبي ، والنبي بزعمهم يأخذ عن ذلك الخيال ، والخيال يأخذ عن العقل ، ثم زعم هذا أنه يأخذ عن العقل الذى في هذا الخيال ، فلهذا قال : انه يأخذ من المعدن الذى يأخذ منه الملك مايوحى به الى النبي -[(٣)(*)] فهؤلاء شاركوهم في أصل طريقهم .

ص ٩٤

---

(١) في كتاب "آراء أهل المدينة الفاضلة" للفارابي مايشير الى ذلك ،فهو يقول (ص ٦٨) : "والقوة المتخيلة متوسطة بين الحاسة وبين الناطقة".
ثم يقول (ص ٧٦) : "ولا يمتنع أن يكون الانسان اذا بلغت قوته المتخيلة نهاية الكمال ، فيقبل في يقظته عن العقل الفعال الجزئيات الحاضرة والمستقبلة . . .فيكون له بما قبله من المعقولات نبوة بالأشياء الالهية".
ثم يقول (ص ٨٤) : "وانما يكون ذلك الانسان انسانا قد استكمل ،فصار عقلا ومعقولا بالفعل، قد استكملت قوته المتخيلة بالطبع غاية الكمال على ذلك الوجه الذى قلنا . . .وأن يكون عقله المنفعل قد استكمل بالمعقولات كلها حتى لا يكون ينفي عنه منها شيء . . .".
الى أن يقول (ص ٨٦) : ". . . فيكون الله عز وجل يوحي اليه بتوسط العقل الفعال ، فيكون مايفيض من الله تبارك وتعالى الى العقل الفعال ، يفيضه العقل الفعال الى عقله المنفعل، بتوسط العقل المستفاد ، ثم الى قوته المتخيلة ، فيكون بما يفيض منه الى عقله المنفعل حكيما فيلسوفا ومتعقلا على التمام ،وبما يفيض منه الى قوته المتخيلة نبيا . . .".
(٢) فانهم : ساقطة من (خ) .
(*-*) مابينهما (وكان يدعي . . . مايوحى به الى النبي) ساقط من (خ ،س) .
(٣) في كتاب "الفتوحات المكية" ٢/٢٥٢ عنون ابن عربي "الباب الخامس والخمسون ومائة في معرفة مقام النبوة وأسرارها" وصدر هذا الباب بهذا البيت من الشعر:
بين الولاية والرسالة برزخ .·. فيه النبوة حكمها لا يجهل
وقال (٢/٢٥٣) : "فالنبوة والرسالة من حيث عينها وحكمها مانسخت ، وانما انقطع الوحي الخاص بالرسول والنبي من نزول الملك على أذنه وقلبه . . .".
ويتحدث عن رؤيا رآها فيقول "ورأينا فيها باب اسم الرسول والنبي مغلقا على عيني . . . ومع غلقه ماينحجب عني ماوراءه الا أنه لا قدم لأحد فيه الا الكشف".
ثم قال : (وللأولياء في هذه النبوة مشرب عظيم كما ذكرنا . . . فهذا هو الفرقان بين النبي والولي في النبوة ،فيقال فيه :"نبي"، ويقال في الولي :"وارث".
والوراثة نعت الهي ،فانه قال عن نفسه انه (خير الوارثين) ، فالولي لا يأخذ النبوة من النبي الا بعد أن يرثها الحق منهم ثم يلقيها الى الولي ،ليكون ذلك أتم في حقه ، حتى ينتسب في ذلك الى الله، لا الى غيره . . . فالأولياء هم أتباع الرسل بمثل هذا السند العالي المحفوظ الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

=/

لكن عظم ضلالهم وجهلهم بقدر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام،
مع أن[1] أصل معرفة هؤلاء بقدر النبوة معرفة ناقصة بتراء[2]، بل من عرف

/= وقال في "الفتوحات" ٤/١٨٣ "... ويرجع الحكم الى الله الذى نفر اليه بلا واسطة، فالذى ينتج الفرار اليه لا يقدر قدره، فانه كشف محمدى، يربى على كشف الرسل من حيث هم رسل عليهم السلام، فيثبتهم هذا الفار في أماكنهم، ويجوز بكشفه فوق رتبة خطاب التكليف".
وقال في فصوص الحكم ١/٦١-٦٤: "فأما المنح والهبات والعطايا الذاتية، فلا تكون أبدا الا عن تجل الهي، والتجلي من الذات لا يكون أبدا الا بصورة استعداد المتجلي له، وغير ذلك لا يكون، فاذن المتجلي له ما رأى سوى صورته في مرآة الحق، وما رأى الحق، ولا يمكن أن يراه مع علمه أنه ما رأى صورته الا فيه ... فهو مرآتك في رؤيتك نفسك، وأنت مرآته في رؤيته أسماءه وظهور أحكامها، وليست سوى عينه، فاختلط الأمر وانبهم...، وهذا هو أعلى علم بالله، وليس هذا العلم الا لخاتم الرسل وخاتم الأولياء، ومايراه أحد من الأنبياء والرسل الا من مشكاة الرسول الخاتم، ولا يراه أحد من الأولياء الا من مشكاة الولي الخاتم، حتى أن الرسل لا يرونه متى رأوه الا من مشكاة خاتم الأولياء، فان الرسالة والنبوة - أعني نبوة التشريع ورسالته - تنقطعان، والولاية لا تنقطع أبدا.
فالمرسلون من حيث كونهم أولياء لا يرون ما ذكرناه الا من مشكاة خاتم الأولياء، فكيف من دونهم من الأولياء!
وان كان خاتم الأولياء تابعا في الحكم لما جاء به خاتم الرسل من التشريع، فذلك لا يقدح في مقامه، ولا يناقض ما ذهبنا اليه، فانه من وجه يكون أنزل، كما أنه من وجه يكون أعلى، وقد ظهر في ظاهر شرعنا ما يؤيد ما ذهبنا اليه في فضل عمر في أسارى بدر بالحكم فيهم، وفي تأبير النخل.
فما يلزم الكامل أن يكون له التقدم في كل شيء وفي كل مرتبة، وانما نظر الرجال الى التقدم في رتبة العلم بالله، هنالك مطلبهم، وأما حوادث الأكوان فلا تعلق لخواطرهم بها، فتحقق ما ذكرناه.
ولما مثل النبي صلى الله عليه وسلم النبوة بالحائط من اللبن، وقد كمل سوى موضع لبنة، فكان صلى الله عليه وسلم تلك اللبنة، غير أنه صلى الله عليه وسلم لا يراها الا كما قال: لبنة واحدة.
وأما خاتم الأولياء فلابد له من هذه الرؤيا، فيرى ما مثله به رسول الله صلى الله عليه وسلم ويرى في الحائط موضع لبنتين، واللبن من ذهب وفضه، فيرى اللبنتين، فلابد أن يرى نفسه تنطبع في موضع تينك اللبنتين...
والسبب الموجب لكونه رآها لبنتين أنه تابع لشرع خاتم الرسل في الظاهر، وهو موضع اللبنة الفضية، وهو ظاهره ومايتبعه فيه من الأحكام، كما هو آخذ عن الله في السر ماهو بالصورة الظاهرة متبع فيه، لأنه يرى الأمر على ماهو عليه، فلابد أن يراه هكذا، وهو موضع اللبنة الذهبية في الباطن فانه آخذ من المعدن الذى يأخذ منه الملك الذى يوحى به الى الرسول...
فخاتم الرسل من حيث ولايته، نسبته مع الخاتم للولاية نسبة الأنبياء والرسل معه، فانه الولي الرسول النبي، وخاتم الأولياء الولي الوارث الآخذ عن الأصل المشاهد للمراتب".

(١) ط: بقدر الأصابع أن.
(٢) ط: تبرأ.

ماجاءت به الأنبياء ، ومايذكرونه في قدر النبوة ، علم أنهم آمنوا ببعض ماجاءت به الرسل[1] وكفروا ببعض ، فكما أن اليهود والنصارى آمنوا ببعض الأنبياء وكفروا ببعض ؛ فهؤلاء آمنوا ببعض صفات النبوة وكفروا ببعض ؛ ولهذا قد يكون فيهم من هو أكفر من اليهود والنصارى ، وقد يكون في اليهود والنصارى من هو أكفر منهم ، بحسب ما آمن به كل من هؤلاء مما[2] جاءت به الرسل ، وما[3] كفروا به .

كلام ابن تيمية عن الغزالي

وأبو حامد كثيرا مايسلك هذه الطريق في كتبه ، لكنه لا يوافق المتفلسفة على كل مايقولونه ، بل يكفرهم ببعض ، ويضللهم في موضع ، وان كان في الكتب المضافة اليه ماقد يوافق بعض أصولهم ، بل في الكتب التي يقال : انها " مضنون بها على غير أهلها[4] ". ماهو فلسفة محضة ، مخالفة لدين المسلمين واليهود والنصارى ، وان كانت قد عبر عنها بعبارات اسلامية .

لكن هذه الكتب ، في الناس من يقول : انها مكذوبة على أبي حامد ؛ ومنهم من يقول : بل رجع عنها .

ولا ريب أنه صرح في مواضع ببعض[5] ماقاله في هذه الكتب ، وأخبر في

---

(١) ط : الأنبياء .
(٢) مما : كذا في (ط) ، وفي النسخ الأخرى : بما .
(٣) ط : ومما .
(٤) يشير ابن تيمية الى كتابين للغزالي ، هما " المضنون به على غير أهله " ، و " المضنون الصغير " ، وقد طبعا .
(٥) ط ، خ : بنقيض .
وفي هامش (س) علق نعمان الألوسي بما يلي :
" مطلب عبارات من الامام الغزالي اعلم أن شيخ الاسلام ابن تيمية ذكر عن بعض العبارات المقدوحة للامام الغزالي ، ثم أثنى عليه في كثير من تأليفاته . وقد تقدمه في ذلك غير واحد ، وتأخر عنه أيضا غيره ، فمن ذلك الامام الشعراني فقد قال في كتابه " الأنوار القدسية " مانصه : " واعلم أنه لم يسلم أحد من التفكر في ذات الله تعالى مع النهي عن التفكر ، حتى الغزالي رحمه الله تعالى ، وخطأه العارفون في جميع ماقاله ، وهو مسئول عن ذلك ؛ لأنه رجح عقله عن ايمانه ، وحكم نظره في علم ربه ، وكذا في قوله : ان الله تعالى يعرف من غير نظر في العالم " انتهى ، وجل الذى لا يغفل الحكيم العليم ، فليحفظ . الفقير نعمان ".

" المنقذ من الضلال " وغيره من كتبه؛ بما في ذلك من الضلال، وذكر كيف كان طلبه للعلوم أولاً[١]؛ حتى قال[٢]: " أقبلت[٣] بجد بليغ، أتأمل في المحسوسات والضروريات، وأنظر هل يمكنني أن أشكك نفسي فيها، فانتهى بي طول التشكك[٤] الى أن لم تسمح نفسي بتسليم الأمان في المحسوسات أيضاً ".

حكاية الغزالي لسيرته العلمية

وأخذ يتبع الشك فيها[٥]، وذكر بعض شبه السوفسطائية في الحسيات[٦].

الى أن قال[٧]: " فلما خطرت[٨] لي هذه الخواطر، وانقدحت في النفس، حاولت لذلك علاجا فلم يتيسر، اذ لم يمكن[٩] دفعه الا بدليل، ولم يمكن نصب دليل الا من تركيب العلوم الأولية. واذا[١٠] لم تكن مسلمة لم يمكن ترتيب الدليل، فأعضل هذا الداء[١١]، ودام قريبا من شهرين، أنا فيها على مذهب السفسطة بحكم الحال، لا بحكم المنطق[١٢] والمقال. حتى شفى الله

---

(١) في كتاب " المنقذ من الضلال " (تحقيق الدكتور جميل صليبا والدكتور كامل عياد. ط. دار الأندلس، ١٩٨٠م) بعد مقدمة المحققين يبدأ الغزالي الكتاب، ص ٧٧ بقوله - بعد الحمد لله والصلاة على رسوله - : " أما بعد فقد سألتني أيها الأخ في الدين أن أبث اليك غاية العلوم وأسرارها، وغائلة المذاهب وأغوارها، وأحكي لك ما قاسيته في استخلاص الحق... " الخ.
وسأقابل - ان شاء الله - ما يورده شيخ الاسلام من نصوص الكتاب على هذه الطبعة.
وقد لاحظت أن مخطوطة (س) قوبلت على نسخة من " المنقذ من الضلال " وعدلت تبعا لها " أو ذكر ما في هذه النسخة في الهامش على أنها نسخة أخرى.

(٢) المنقذ من الضلال، ص ٨٤. وفي هامش (س): مطلب كلام أبي حامد في كتاب " المنقذ ".

(٣) المنقذ: ... فأقبلت.

(٤) جميع النسخ: التسلسل، والمثبت من (المنقذ).

(٥) المنقذ: وأخذت تتسع للشك فيها. وذكر المحققان أن في بعض النسخ: وأخذ يتسع هذا الشك فيها.

(٦) في " المنقذ "، ص ٨٤- ٨٦.

(٧) المنقذ، ص ٨٦.

(٨) جميع النسخ: خطر. والمثبت من (المنقذ).

(٩) المنقذ: يكن.

(١٠) المنقذ: فاذا.

(١١) ط: الرأى، خ، س: الدواء.

(١٢) المنقذ: النطق.

تعالى عني ذلك المرض والاعلال[1]، وعادت النفس الى الصحة والاعتدال ورجعت الضروريات / العقلية مقبولة موثوقا بها على أمن ويقين ذلك بنظم دليل وترتيب كلام، بل بنور قذفه الله تعالى في الصدر[2]، وذلك النور هو مفتاح أكثر المعارف". قال[3]: "فمن ظن أن الكشف موقوف على الأدلة المجردة فقد ضيق رحمة الله تعالى الواسعة".

ص ٩٥

الى أن قال[4]: "والمقصود من هذه الحكاية[5] أن يعلم[6] كمال الجد في الطلب، حتى انتهي الى طلب مالا يطلب، لأن[7] الأوليات ليست مطلوبة؛ فانها حاضرة، والحاضر اذا طلب بعد[8] واختفى".

انحصار الفرق الطالبة للحق عند الغزالي: في أربع

قال[9]: "ولما كفاني الله تعالى هذا المرض[10] انحصرت أصناف الطالبين[11] عندى في أربع فرق: المتكلمون، وهم يدعون أنهم أهل الرأى والنظر؛ والباطنية، وهم يدعون أنهم أصحاب التعليم، والمخصوصون بالاقتباس من الامام المعصوم؛ والفلاسفة، وهم يزعمون أنهم أصحاب[12] المنطق والبرهان؛ والصوفية، وهم يدعون أنهم خاصة[13] الحضرة، وأهل المشاهدة والمكاشفة.

---

(١) المنقذ: ... تعالى من ذلك المرض. وذكر المحققان أن في بعض النسخ: عن ذلك المرض والاعتدال.
(٢) ك: الصدور.
(٣) بعد الكلام السابق مباشرة، ص ٨٦- ٨٧.
(٤) المنقذ، ص ٨٨.
(٥) المنقذ: الحكايات.
(٦) المنقذ: أن يعمل.
(٧) المنقذ: فان.
(٨) المنقذ: فقد. أمام هذا الموضع في هامش (س): بلغ.
(٩) المنقذ، ص ٨٩.
(١٠) في (س) وضع على كلمة "كفاني" سهم وكتب في الهامش: نسخة، شفاني. وفي المنقذ: ولما شفاني الله تعالى من هذا المرض بفضله وسعة جوده، وذكر المحققان أن في نسخة: ولما كفاني الله مؤونة هذا المرض.
(١١) في هامش (س): مطلب ماقاله في أصناف الطالبين.
(١٢) المنقذ: أنهم أهل.
(١٣) المنقذ: خواص.

فقلت في نفسي : الحق لايعدو هذه الأصناف الأربعة ، فهؤلاء [هم][1] السالكون سبيل طلب الحق ، فان شذ الحق عنهم فلا يبقى في درك الحق مطمع ".

كلام الغزالي عن هذه الفرق

الى أن قال[2]: " فابتدأت[3] لسلوك هذه الطرق ، واستقصاء ماعند هؤلاء الفرق ، مبتدئا بعلم الكلام ، ومثنيا بطريق الفلسفة ، ومثلثا بتعليمات الباطنية ، ومربعا بطريق الصوفية ".

١ - المتكلمون

قال[4]: " ثم اني ابتدأت بعلم الكلام ، فحصلته وعقلته ، وطالعت كتب المحققين منهم ، وصنفت فيه ما أردت أن أصنف ، فصادفته علما وافيا بمقصوده ، غير واف بمقصودي . وانما المقصود منه حفظ عقيدة أهل السنة ، وحراستها عن تشويش المبتدعة[5] ؛ فقد ألقى الله تعالى الى عباده ، على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم[6] ، عقيدة هي الحق ، على مافيه صلاح دينهم ودنياهم ، كما نطق بمقدماته القرآن والأخبار ، ثم ألقى الشيطان في وساوس المبتدعة أمورا مخالفة للسنة ، فلهجوا بها ، وكادوا يشوشون عقيدة أهل[7] الحق على أهلها ؛ فأنشأ الله تعالى طائفة من[8] المتكلمين ، وحرك دواعيهم لنصرة السنة ، بكلام مرتب ، يكشف عن تلبيسات أهل البدع المحدثة ، على خلاف السنة المأثورة ".

الى أن قال[9] : " وكان أكثر حرصهم[10] في استخراج مناقضات الخصوم ، ومؤاخذتهم بلوازمهم ومسلماتهم[11] ".

---

(١) هم : ساقطة من (س ،ك) ، وفي (ط) : الأربعة فهم .
(٢) المنقذ ، ص ٩٠ .
(٣) فابتدأت : كذا في (ط ،ك) ونسخة من المنقذ ؛ وفي (خ ،س) ونسخة أخرى من المنقذ فانتدبت ، وفي أصل المنقذ : فابتدرت .
(٤) بعد الكلام السابق مباشرة ، ص ٩١ - ٩٢ .
(٥) ط : البدعة ، المنقذ : أهل البدعة . وفي هامش (س) : مطلب ماقاله في بيان مقصود علم الكلام وحاصله .
(٦) صلى الله عليه وسلم : ليست في " المنقذ " .
(٧) أهل : ليست في (س ، المنقذ) .
(٨) من : ليست في (المنقذ) .
(٩) بعد الكلام السابق بخمسة سطور ، المنقذ ، ص ٩٢ .
(١٠) المنقذ : خوضهم . وفي هامش (س) : نسخة ، خوضهم .
(١١) المنقذ : بلوازم مسلماتهم .

الى أن قال[١]: " فلم يكن الكلام في حقي كافيا ، ولا لدائي الذي[٢] أشكوه شافيا ". الى أن قال[٣]: " فلم يحصل منه مايمحو بالكلية ظلمات الحيرة في اختلافات الخلق ، ولا أبعد أن يكون قد حصل ذلك لغيرى ، بل لا أشك[٤] في حصول ذلك لطائفة ، ولكن حصولا مشوبا بالتقليد في بعض الأمور التي ليست من الأوليات ".

٢- الفلاسفة

الى أن قال[٥]: ثم اني ابتدأت بعد الفراغ من علم الكلام ، بعلم الفلسفة ، / وعلمت يقينا أنه لا يقف على فساد نوع من العلوم من لا يقف على منتهى ذلك العلم ، حتى يساوى أعلمهم في أصل العلم[٦]، ثم يزيد عليه ويجاوز درجته ، فيطلع على مالم يطلع عليه صاحب العلم من غور وغائلة ".

ص ٩٦

الى أن قال[٧]: " لم أزل حتى اطلعت[٨] على مافيه من خداع وتلبيس، وتحقيق وتخييل اطلاعا لم أشك فيه. فاسمع[٩] الآن حكايتهم[١٠] وحكاية حاصل علومهم ، فاني رأيتهم أصنافا ، ورأيت علومهم أقساما ، وهم على كثرة أصنافهم تلزمهم[١١] وصمة الكفر والالحاد ، وان كان بين القدماء منهم والأقدمين ، وبين الأواخر منهم ،والأوائل ، تفاوت عظيم في البعد عن الحق والقرب منه ".

ثم قال[١٢]: " اعلم أنهم على كثرة فرقهم[١٣] ينقسمون الى ثلاثة أقسام: الدهريون، والطبايعيون[١٤] ، والالهيون .

---

(١) المنقذ ، ص ٩٢ . بعد الكلام السابق بسطر واحد ، هو قول الغزالي : " وهذا قليل النفع في حق من لا يسلم سوى الضروريات شيئا أصلا ".
(٢) المنقذ ، الذى كنت .
(٣) المنقذ ، ص ٩٣ . بعد الكلام السابق بأربعة سطور.
(٤) المنقذ ، بل لست أشك .
(٥) المنقذ ، ص ٩٤ . بعد الكلام السابق بسطرين ونصف. وأمام هذا الموضع في هامش (س) : مطلب ماقاله أبو حامد في أحاصيل الفلسفة.
(٦) المنقذ : في أصل ذلك .
(٧) المنقذ ، ص ٩٥ .
(٨) س ، المنقذ : . . . ثم لم أزل أواظب على التفكر [كذا في (س) ، وفي المنقذ : التفكير] فيه بعد فهمه قريبا من سنة ، أعاوده وأردده ، واتفقد غوائله وأغواره حتى اطلعت.
(٩) ط ، ك : فاستمع .
(١٠) جميع النسخ : حكايته . والمثبت من (المنقذ) .
(١١) خ ، س ، المنقذ : يلزمهم .
(١٢) المنقذ ، ص ٩٦ . بعد الكلام السابق مباشرة .
(١٣) س ، المنقذ : كثرة فرقهم [كذا في (س) ، وفي (المنقذ) : فرقهم] واختلاف مذاهبهم .
(١٤) المنقذ : والطبيعيون .

الصنف الأول ـ الدهريون ، وهم طائفة من الأقدمين ، جحدوا الصانع المدبر ، العالم القادر ، وزعموا أن العالم لم يزل موجودا كذلك[(١)] ، ولم يزل الحيوان من نطفة ، والنطفة من حيوان ، كذلك كان ، وكذلك يكون أبدا ، وهؤلاء [هم[(٢)]] الزنادقة .

الصنف[(٣)] الثاني ـ الطبيعيون ، وهم قوم أكثروا[(٤)] بحثهم عن عالم الطبيعة ، وعن عجائب الحيوان والنبات " .

الى أن قال[(٥)] : " الا أن هؤلاء لكثرة بحثهم عن الطبيعة ، ظهر عندهم لاعتدال المزاج تأثير عظيم في قوام[(٦)] قوى الحيوان ، به فظنوا أن القوة العاقلة[(٧)] من الانسان تابعة لمزاجه أيضا ، وأنها تبطل ببطلان مزاجه فتنعدم[(٨)] ، ثم اذا انعدمت[(٩)] فلا تعقل[(١٠)] اعادة المعدوم كما زعموا ، فذهبوا الى أن النفس تموت ولا تعود ، فجحدوا الآخرة ، وأنكروا الجنة والنار والقيامة والحساب ، فلم يبق عندهم للطاعة ثواب ، ولا للمعصية عقاب ، فانحل عنهم[(١١)] اللجام ، وانهمكوا في الشهوات انهماك الأنعام .

وهؤلاء أيضا زنادقة ، لأن أصل الايمان هو الايمان بالله واليوم الآخر ، وهؤلاء جحدوا اليوم الآخر ، وان آمنوا بالله[(١٢)] وصفاته .

الصنف[(١٣)] الثالث ـ الالهيون ، وهم المتأخرون[(١٤)] مثل سقراط ، وهو أستاذ أفلاطون ، وأفلاطون أستاذ أرسطاطاليس ، وأرسطاطاليس هو الذى رتب لهم

---

(١) س ، المنقذ ، كذلك بنفسه بلا صانع .
(٢) هم : ساقطة من (ك) .
(٣) المنقذ : والصنف .
(٤) ط ، ك : أكثر .
(٥) المنقذ ، ص ٩٧ - ٩٩ : بعد الكلام السابق بستة سطور .
(٦) قوام : ساقطة من (ط) .
(٧) ط : القوة الكاملة .
(٨) ط : فيعدم ، س وبعض نسخ المنقذ ـ كما ذكر المحققان في هامشه ـ : فينعدم .
(٩) ط ، خ ، س : انعدم .
(١٠) ط ، س : المنقذ : فلا يعقل .
(١١) خ ، س : وللمعصية عقاب ، فانحل عندهم .
(١٢) س ، ك : بالله تعالى .
(١٣) خ ، س ، ك : والصنف .
(١٤) س ، المنقذ : المتأخرون منهم .

المنطق ، وهذب لهم العلوم ، وخمر لهم مالم يكن مخمرا من قبل ، وأوضح لهم ماكان أحجى[1] من علومهم .

وهم بجملتهم ردوا على الصنفين الأولين من الدهرية والطبيعية وأوردوا في الكشف عن فضائحهم ما أغنوا به غيرهم ، وكفى الله المؤمنين القتال بتقاتلهم . ثم رد أرسطاطاليس على أفلاطون وسقراط ومن كان قبله[2] من / الالهيين ردا لم يقصر فيه ، حتى تبرأ عن جميعهم ، الا أنه استبقى أيضا من رذائل كفرهم وبدعتهم بقايا لم يوفق للنزوع عنها .

ص ٩٧

فوجب تكفيرهم ، وتكفير متبعيهم من المتفلسفة الاسلاميين كابن سينا والفارابي وأمثالهما[3] . على أنه لم يقم بنقل علم أرسطاطاليس أحد من متفلسفة الاسلاميين كقيام هذين الرجلين ، ومانقله غيرهما ليس يخلو عن تخبيط وتخليط يتشوش فيه قلب المطالع حتى لا يفهم ، ومالا يفهم[4] كيف يرد أو يقبل ! .

ومجموع ماصح عندنا من فلسفة أرسطاطاليس بحسب نقل هذين الرجلين ينحصر في [ثلاثة[5]] أقسام : قسم يجب التكفير به[6] ، وقسم يجب التبديع به ، وقسم لا يجب انكاره أصلا ، فلنفصله " .

ثم ذكر أنها ستة أقسام : رياضية ، ومنطقية ، وطبيعية ، والهية ، وسياسية ، وخلقية . وتكلم على ذلك[7] بما ليس هذا موضعه ، وقد بينا الكلام على ذلك في غير هذا الموضع .

الى أن قال[8] : " ثم اني لما فرغت من علم الفلسفة وتحصيله وتفهمه[9] ،

---

(١) في هامش (س) كتب : في نسخة المنقذ المطبوعة ماكان فجا . وفي (المنقذ) : . . . . من قبل : وانضج لهم ماكان فجا .
(٢) المنقذ : قبلهم .
(٣) المنقذ : وغيرهما . وفي بعض النسخ ـ كما ذكر المحققان ـ : وأمثالهم .
(٤) ك : ومن لا يفهم .
(٥) ثلاثة : زيادة من (المنقذ) .
(٦) المنقذ : التفكير به .
(٧) في المنقذ ، ص ١٠٠ - ١١٦ . وأمام هذا الموضع في هامش (س) : مطلب ماقاله في أقسام علومهم .
(٨) المنقذ ، ص ١١٧ - ١١٨ .
(٩) جميع النسخ : وتفهيمه . والمثبت من (المنقذ) .

وتزييف ماتزيف[1] منه علمت أن ذلك أيضا غير واف بكمال الغرض ، وأن[2] العقل ليس مستقلا بالاحاطة بجميع المطالب ، ولا كاشفا للغطاء عن جميع المعضلات".

٣ - الباطنيــة

ثم ذكر مذهب الباطنية ، وتلبيسهم[3] ، " وأنه ليس معهم شيء من الشفاء المنجي من ظلمات الآراء[4] ، بل[5] هم مع عجزهم عن اقامة البرهان على[6] تعيين الامام المعصوم[7] [طالما جاريناهم[8]] فصدقناهم[9] في الحاجة الى التعليم، والى المعلم المعصوم ، وأنه هو[10] الذى عينوه ، ثم سألناهم عن العلم الذى تعلموه من هذا المعصوم ، وعرضنا عليهم اشكالات فلم يفهموها ، فضلا عن القيام بحلها . فلما عجزوا أحالوا على الامام الغائب ، وقالوا : لابد من السفر اليه .

والعجب أنهم ضيعوا عمرهم في طلب المعلم والتبجح[11] بالظفر به[12]، ولم يتعلموا منه شيئا أصلا ، كالمتضمخ[13] بالنجاسة يتعب في طلب الماء، حتى اذا وجده لم يستعمله، وبقى مضمخا[14] بالخبائث[15].

ومنهم من ادعى شيئا من علمهم ، وكان[16] حاصل ماذكره [شيئا[17]] من[18]

---

(١) المنقذ : مايزيف.
(٢) خ ،ك : فان .
(٣) في المنقذ ،ص ١١٨ - ١٢٧ . والنص التالي في المنقذ ،ص ١٢٧ - ١٢٩ هكذا : بل المقصود أن هؤلاء ليس معهم . . . الخ . وأمام هذا الموضع في هامش(س) : مطلب ماقاله في مذهب التعلم وغائلته .
(٤) ط: الأوائل .
(٥) ط،ك : ثم ،بدلا من بل .
(٦) ط،س ، ك : عن .
(٧) المعصوم : ليست في (خ ،س) (المنقذ) .
(٨) مابين المعكوفين زيادة من (المنقذ) . وفي هامش(س) : طالما جربناهم . وهذا يوافق بعض نسخ (المنقذ) كما ذكر المحققان في هامشه .
(٩) ك : صدقناهم .
(١٠) هو: ليست في (المنقذ) .
(١١) ك : والنجاح ،المنقذ : وفي التبجح .
(١٢) خ ،س ،ك : في الظفر به .
(١٣) ط،خ :كالمضمخ . وهي توافق نسخة من (المنقذ) كما في هامشه . جاء في لسان العرب مادة " ضمخ " : " التضمخ : التلطخ بالطيب وغيره ، والاكثار منه " .
(١٤) المنقذ : متضمخا .
(١٥) ط: بالنجاسة ، ك : فاذا وجد مايستعمله بقى مضمخا بالنجاسة .
(١٦) المنقذ : فكان .
(١٧) شيئا : ساقطة من (ك) .
(١٨) من : ساقطة من (المنقذ) .

ركيك فلسفة فيثاغورس؛ وهو رجل من قدماء الأوائل، ومذهبه أرك[١] مذاهب الفلاسفة، وقد رد عليه أرسطاطاليس، بل استرك[٢] كلامه واسترذله، وهو المحكي في كتاب " رسائل[٣] اخوان الصفا "، وهو على التحقيق حشو الفلسفة.

فالعجب ممن يتعب طول العمر في طلب العلم، ثم يتبع لمثل ذلك[٤] العلم الركيك المستغث، ويظن أنه[٥] ظفر بأقصى مقاصد العلوم، فهؤلاء أيضا جربناهم[٦] وسبرنا باطنهم وظاهرهم[٧]، فرجع حاصلهم الى استدراج العوام وضعفاء العقول ببيان الحاجة الى المعلم، ومجادلتهم في انكارهم الحاجة الى التعليم، بكلام قوى مفحم، حتى اذا ساعدهم على الحاجة / الى المعلم مساعد، وقال: هات علمه، وأفدنا من تعليمه!. وقف وقال[٨]: الآن، اذا سلمت لي هذا فاطلبه، فانما غرضي هذا القدر فقط. اذ علم أنه لو زاد على ذلك لافتضح، ولعجز عن حل أدنى المشكلات، بل عجز عن فهمه، فضلا عن جوابه ".

ص ٩٨

٤- الصوفية

قال[٩]: " ثم اني لما فرغت من هذه[١٠] [العلوم[١١]] أقبلت بهمتي على طريق الصوفية وعلمت أن طريقهم انما يتم[١٢] بعلم وعمل، وكان حاصل علمهم[١٣] قطع

---

(١) ط، خ، ك : أول.
(٢) ك : استدرك. واسترك: استضعف، راجع لسان العرب مادة " ركك ".
(٣) رسائل : ليست في (ط، المنقذ).
(٤) ط: العلم يتبع لذلك، س، المنقذ : العلم ثم يقنع بمثل ذلك.
(٥) المنقذ : بأنه.
(٦) ط: وهؤلاء أيضا خبرناهم.
(٧) المنقذ : ظاهرهم وباطنهم.
(٨) وقال : كذا في (خ، س)، وفي (ط، ك) : فقال؛ وفي (المنقذ) : وقف، قال.
(٩) في المنقذ، ص ١٣٠ - ١٣٤. وترك ابن تيمية بينه وبين النص السابق مايلي " فهذه حقيقة حالهم، فأخبرهم تقلهم، فلما خبرناهم نفضنا اليد عنهم أيضا ".
(١٠) ط: هذا.
(١١) العلوم: زيادة من (المنقذ). وهي في (س) بالهامش.
(١٢) المنقذ : طريقتهم انما تتم.
(١٣) ط: عملهم، وهي توافق نسخة من (المنقذ) كما ذكر المحققان في هامشه.

عقبات النفس ، والتنزه عن أخلاقها المذمومة وصافتها الخبيثة ، حتى يتوصل بها الى تخلية القلب عن غير الله تعالى ، وتحليته بذكر الله .

وكان العلم أيسر علي من العمل ؛ فابتدأت بتحصيل علمهم من مطالعة كتبهم ، مثل : " قوت القلوب " لأبي طالب المكي[١] ، وكتب الحارث المحاسبي ، والمتفرقات المنثورة عن الجنيد ، والشبلي[٢] ، وأبي يزيد البسطامي[٣] ، قدس الله أرواحهم ، وغير ذلك من كلام المشايخ[٤] ، حتى اطلعت على كثير من مقاصدهم[٥] العلمية ، وحصلت مايمكن أن يحصل من طريقهم بالتعلم والسماع ، وظهر لي[٦] أن أخص خواصهم مالا يمكن الوصول اليه بالتعلم ، بل بالذوق[٧]

---

(١) أبو طالب محمد بن علي بن عطية الحارثي المكي ، من أهل الجبل (بين بغداد وواسط) ، نشأ بمكة وتوفي ببغداد سنة ٣٨٦ هـ ، صوفي ، من أشهر رجال السالمية .
طبع كتاب " قوت القلوب " بالمطبعة الميمنية بمصر سنة ١٣١٠ هـ .
انظر ماذكرته ، ص ٢٤ ت ٣ ، وانظر :
تاريخ بغداد ٣ / ٨٩ ؛ تلبيس ابليس ، ص ١٦٤ - ١٦٥ ، ٢١٠ ؛ وفيات الأعيان ٤ / ٣٠٣ - ٣٠٤ ؛ ميزان الاعتدال ٣ / ٦٥٥ ؛ لسان الميزان ٥ / ٣٠٠ ؛ الأعلام ٦ / ٢٧٤ ؛ تاريخ التراث العربي (المجلد الأول) ٤ / ١٦٨ - ١٧٠ .

(٢) أبو بكر الشبلي ، اختلف في اسمه ، فقيل : دلف بن جعفر ، وقيل : دلف بن جحدر ، وقيل جعفر بن يونس ، وقيل غير ذلك ، أصله من قرية " شبلة " بخراسان ، وولد بسامرا سنة ٢٤٧ ، وتوفي ببغداد سنة ٣٣٤ .
كان في أول أمره واليا في بعض نواحي الرى ، ثم ترك الولاية وانضم الى الصوفية حتى صار من مشايخهم .
انظر : حلية الأولياء ١٠ / ٣٦٦ - ٣٧٥ ؛ تاريخ بغداد ١٤ / ٣٨٩ - ٣٩٧ ؛ صفة الصفوة ٢ / ٤٥٦ - ٤٦١ ؛ وفيات الأعيان ٢ / ٢٧٣ - ٢٧٦ ؛ البداية والنهاية ١١ / ٢١٥ - ٢١٦ ؛ شذرات الذهب ٢ / ٣٣٨ ؛ الأعلام ٢ / ٣٤١ ؛ تاريخ التراث العربي ١ / ٤ / ١٥٥ .

(٣) هو أبو يزيد طيفور بن عيسى البسطامي ، أصله من " بسطام " بلدة بين خراسان والعراق ، وتوفي فيها سنة ٢٦١ ، كان جده مجوسيا فأسلم ، وأبو يزيد أحد مشايخ الصوفية ، حكي عنه شطحات بدع بها .
انظر : طبقات الصوفية ، ص ٦٧ - ٧٤ ؛ حلية الأولياء ١٠ / ٣٣ - ٤٢ ؛ وفيات الأعيان ٢ / ٥٣١ ؛ ميزان الاعتدال ٢ / ٣٤٦ - ٣٤٧ ؛ البداية والنهاية ١١ / ٣٥ ؛ شذرات الذهب ٢ / ١٤٣ - ١٤٤ ؛ الأعلام ٣ / ٢٣٥ ؛ تاريخ التراث العربي ١ / ٤ / ١٢٥ - ١٢٧ .

(٤) ط : وغير ذلك من المشايخ ، المنقذ : وغيرهم من المشايخ .

(٥) س ، المنقذ : على كنه مقاصدهم .

(٦) المنقذ : فظهر .

(٧) في الرسالة القشيرية ١ / ٢٧١ " ومن جملة مايجرى في كلامهم [أى كلام الصوفية] الذوق ، والشرب ، ويعبرون بذلك عما يجدونه من ثمرات التجلي ، ونتائج الكشوفات ، وبواده الواردات ، وأول ذلك الذوق ، ثم الشرب ، ثم الرى .
فصفاء معاملاتهم يوجب لهم ذوق المعاني ، ووفاء منازلاتهم يوجب لهم الشرب ، ودوام مواصلاتهم يقتضي لهم الرى . . . " .

والحال[1] وتبدل الصفات .

وكم من الفرق بين أن يعلم حد الصحة وحد الشبع وأسبابهما وشروطهما وبين أن يكون صحيحا شبعان[2]؛ وبين أن يعرف حد السكر؛ وأنه عبارة عن حالة تحصل من[3] استيلاء[4] أبخرة تتصاعد من المعدة الى معادن الفكر، وبين أن يكون[5] سكران؛ بل السكران لا يعرف حد السكر وأركانه[6]، وهو سكران وما معه من علمه شيء؛ والطبيب[7] يعرف حد السكر وأركانه وما معه من السكر شيء، والطبيب في حالة المرض يعرف حد الصحة [وأسبابها][8] وأدويتها وهو فاقد الصحة[9].

فكذلك الفرق[10] بين أن[11] يعرف حقيقة الزهد وشروطها وأسبابها، وبين أن[11] يكون[12] حاله[13] الزهد وعزوف[14] النفس عن الدنيا .

فعلمت يقينا أنهم أرباب أحوال، لا أصحاب أقوال[15]، وأن ما يمكن تحصيله بطريق العلم قد[16] حصلته، ولم يبق الا ما لا سبيل اليه بالتعلم والسماع[17]، بل

---

(١) في الرسالة القشيرية ١/٢٣٦ : " والحال عند القوم، معنى يرد على القلب، من غير تعمد منهم، ولا اجتلاب، ولا اكتساب لهم، من طرب أو حزن، أو بسط أو قبض، أو شوق، أو انزعاج، أو هيبة، أو احتياج .

(٢) س : وشبعان؛ المنقذ : بين أن تعلم ... وبين أن تكون صحيحا وشبعان .

(٣) ك : تحصل عن .

(٤) ط : استعلاء .

(٥) المنقذ : وبين أن تعرف حد السكر ... وبين أن تكون .

(٦) وأركانه : كذا في (ك)؛ وفي (النسخ الأخرى، المنقذ) : حد السكر وعلمه .

(٧) المنقذ : والصاحي .

(٨) وأسبابها : زيادة من (المنقذ)، وهي في (س) بالهامش .

(٩) ط، خ، س : للصحة .

(١٠) المنقذ : فرق .

(١١) ك : من . (في الموضعين) .

(١٢) المنقذ : أن تعرف ... وبين أن تكون .

(١٣) ك : حالة؛ (النسخ الأخرى، المنقذ) : حالك .

(١٤) ك : عزوف [بسقوط الواو] .

(١٥) المنقذ : أرباب الأحوال لا أصحاب الأقوال .

(١٦) س، المنقذ : فقد .

(١٧) المنقذ : بالسماع والتعلم .

بالذوق والسلوك[١]، وكان قد حصل معي من العلوم التي مارستها، والمسالك التي سلكتها في تفتيشي[٢] عن صنفي العلوم الشرعية والعقلية - ايمان يقيني بالله تعالى، وبالنبوة، وباليوم الآخر.

وهذه الأصول الثلاثة[٣] كانت[٤] رسخت في نفسي بلا دليل محرر[٥]: بل بأسباب وقرائن وتجارب، لا تدخل تحت الحصر تفاصيلها، وكان قد ظهر عندي أنه لا مطمع في سعادة الآخرة الا بالتقوى، وكف النفس عن الهوى، وأن رأس ذلك كله قطع علاقة القلب عن الدنيا، والتجافي عن دار الغرور، والانابة الى دار الخلود، والاقبال بكنه الهمة على الله تعالى، وأن ذلك لا يتم الا بالاعراض عن الجاه والمال[٦]".

ص ٩٩ / وذكر حاله في خروجه عن ذلك، ومجيئه الى الشام، ثم الحجاز[٧]: الى أن قال[٨]: " وانكشف[٩] لي في أثناء هذه الخلوات أمور، لا يمكن احصاؤها واستقصاؤها، والقدر الذى أذكره لينتفع به أني علمت يقينا أن الصوفية هم السالكون لطريق الله تعالى خاصة[١٠]، وأن سيرتهم أحسن السير، وطريقتهم[١١] أصوب الطرق، وأخلاقهم أزكى الأخلاق. بل لو جمع عقل العقلاء، وحكمة الحكماء، وعلم الواقفين على أسرار الشريعة[١٢] من العلماء - ليغيروا شيئا من

---

(١) ط: بل بالذين والسلوك.
(٢) ط،س، المنقذ: التفتيش.
(٣) س، المنقذ: فهذه الأصول الثلاثة من الايمان.
(٤) المنقذ: كانت قد.
(٥) ط: مجرد، س: بلا دليل معين مجرد؛ المنقذ: لا بدليل معين محرر.
(٦) في هامش (س) أضيف من (المنقذ) مايلي: ... والهرب عن [المنقذ: من] الشواغل والعلائق ثم لاحظت أحوالي فاذا [المنقذ: فاذا أنا] منغمس في العلائق.
(٧) في المنقذ، ص ١٣٤-١٣٩.
(٨) المنقذ، ص ١٣٩.
(٩) المنقذ: وانكشفت.
(١٠) ط: الخاصة، خ، ك: لطرق الله تعالى الخاصة.
(١١) ط، المنقذ: وطريقهم.
(١٢) المنقذ: الشرع.

سيرتهم[(١)] وأخلاقهم ، ويبدلوه بما هو خير منه ، لم يجدوا اليه سبيلا ؛ فان جميع حركاتهم وسكناتهم ، في باطنهم وظاهرهم[(٢)] مقتبسة من نور مشكاة[(٣)] النبوة ، وليس[(٤)] وراء نور النبوة على وجه الأرض نور يستضاء به ".

الى أن قال[(٥)]: " ومما بان لي بالضرورة من ممارسة طريقتهم، حقيقة النبوة وخاصيتها[(٦)] ".

كلام الغزالي في حقيقة النبوة والاستدلال عليها

ثم تكلم في حقيقة النبوة واضطرار كافة الخلق اليها ؛ فقال[(٧)]: " اعلم أن جوهر الانسان من أول[(٨)] الفطرة خلق خاليا ساذجا ، لا خبر[(٩)] معه من عوالم الله تعالى ، والعوالم كثيرة ، لا يحصيها الا الله ؛ كما قال سبحانه[(١٠)]: (ومايعلم جنود ربك الا هو[(١١)])".

ثم ذكر مايدركه بالحواس، ثم بالتميز[(١٢)]، " ثم يترقى في[(١٣)] طور آخر، فيخلق له العقل ، فيدرك الواجبات والجائزات والمستحيلات ، وأمورا لا توجد في الأطوار التي قبله . ووراء العقل طور آخر ينفتح[(١٤)] فيه عين أخرى ؛ يبصر بها الغيب ، وماسيكون في المستقبل ، وأمورا[(١٥)] أخرى[(١٦)]،

---

(١) المنقذ : سيرهم.
(٢) المنقذ : في ظاهرهم وباطنهم.
(٣) ط: من مشكاة نور.
(٤) جميع النسخ : فليس . والمثبت من (المنقذ).
(٥) المنقذ ، ص ١٤٣ .
(٦) ط،خ،ك : وخاصتها .
(٧) المنقذ ،ص ١٤٤ . وأمام هذا الموضع في هامش (س) : مطلب فيما قاله في حقيقة النبوة واضطرار كافة الخلق اليها .
(٨) المنقذ : في أول .
(٩) المنقذ : لا خير.
(١٠) المنقذ : الا الله تعالى ، كما قال .
(١١) سورة المدثر: ٣١ .
(١٢) في المنقذ ، ص ١٤٤ - ١٤٥ ؛ والنص التالي في المنقذ ، ص ١٤٥ - ١٥٠ .
(١٣) المنقذ : الى .
(١٤) المنقذ : طورا آخر تتفتح .
(١٥) خ ،س ،ك : وأمور.
(١٦) س ، المنقذ : أخر.

العقل معزول عنها كعزل[1] قوة الحس عن مدركات التميز، وكما أن المميز لو عرض[2] عليه مدركات العقل لأباها واستبعدها[3]، فكذلك بعض العقلاء أبوا مدركات النبوة واستبعدوها[4]. وذلك عين الجهل ؛ اذ لامستند له[5] الا أنه طور لم يبلغه ، ولم يوجد في حقه ، فظن[6] أنه غير موجود في نفسه. والأكمه[7] لو لم يعلم بالتواتر والتسامع الألوان والأشكال، وحكى له [ذلك][8] ابتداء ، لم يفهمها ولم يقر بها .

تشبيه الغزالي النبوة بالمنامات

وقد قرب الله تعالى ذلك الى خلقه[9]، بأن أعطاهم أنموذجا[10] من خاصية[11] النبوة ، وهو النائم[12]، اذ النائم يدرك[13] ماسيكون في[14] الغيب، اما صريحا، واما في كسوة[15] مثال يكشف عنه التعبير.

وهذا لو لم يجربه الانسان من نفسه ، وقيل له : " ان من الناس من يسقط مغشيا عليه كالميت ، ويزول احساسه وسمعه وبصره ، فيدرك الغيب". لأنكره ولأقام[16] البرهان على استحالته ؛ وقال : القوى الحساسة أسباب الادراك ، فمن لا يدرك الأشياء[17] مع وجودها وحضورها ، فبأن لا يدرك مع ركودها أولى[18].

(١) خ ،ك : لعزل ؛ س ،المنقذ : كعزل قوة التميز عن [كذا في (س) ، وفي المنقذ : من] ادراك المعقولات ،وكعزل قوة الحس . والزيادة في (س) مكتوبة بالهامش .
(٢) المنقذ : عرضت .
(٣) خ ،ك : لأباه واستبعده .
(٤) خ ،ك : فاستبعدوها .
(٥) المنقذ : لهم .
(٦) المنقذ : فيظن .
(٧) الأكمه : الذى يولد أعمى . انظر " الصحاح" مادة " كمه " .
(٨) ذلك : زيادة من (س ،المنقذ) .
(٩) ك : وقد قرب الله منها ذلك الى خلقه ؛ المنقذ : وقد قرب الله تعالى على خلقه .
(١٠) المنقذ : نموذجا .
(١١) ط : خاصته ،خ ،س ،ك : خاصة . والمثبت من (المنقذ) .
(١٢) المنقذ : وهو النوم .
(١٣) ك : لم يدرك .
(١٤) المنقذ : من .
(١٥) كسوة : كذا في " المنقذ " ،وفي (ط ،خ ،س ،ك) : كسوة .
(١٦) المنقذ : وأقام .
(١٧) الأشياء : كذا في (المنقذ)؛ وفي (نسخة منه وط ،خ ،س ،ك) : الشيء .
(١٨) س ، المنقذ : أولى وأحق .

وهذا نوع قياس[١] يكذبه الوجود والمشاهدة ، فكما أن العقل طور من أطوار الآدمي ، يحصل فيه عين أخرى[٢] يبصر بها أنواعا من المعقولات؛ /الحواس[٣] معزولة عنها ؛ فالنبوة أيضا عبارة عن طور يحصل فيه عين أخرى[٢] ، لها نور يظهر في نورها الغيب ، وأمور لا يدركها العقل .

ص ١٠٠

والشك في النبوة ، اما أن يقع في امكانها ، أو في وجودها ووقوعها[٤] ، أو في حصولها لشخص معين .

ودليل امكانها وجودها[٥] ، ودليل وجودها وجود معارف في العالم لا يتصور أن تنال بالعقل : كعلم الطب والنجوم ؛ فان من بحث عنها علم بالضرورة أنها لا تدرك الا بالهام الهي وتوفيق من جهة الله تعالى ، ولا سبيل اليها[٦] بالتجربة ؛ فمن الأحكام النجومية مالا يقع الا في كل ألف سنة مرة ، فكيف ينال ذلك بالتجربة ! ، وكذلك خواص الأدوية .

فتبين بهذا البرهان أن في الامكان وجود طريق لادراك هذه الأمور التي لا يدركها العقل ، وهو المراد بالنبوة ، لا أن النبوة [عبارة] عنها فقط[٧] ، بل ادراك هذا الجنس الخارج عن مدركات العقل احدى خواص النبوة ، ولها[٨] خواص كثيرة سواها ، وماذكرناها[٩] فقطرة من بحرها ،انما ذكرناها لأن معك أنموذجا منها ، وهي[١٠] مدركاتك في النوم ، ومعك علوم من جنسها في الطب والنجوم .

---

(١) المنقذ : قياسي .
(٢) أخرى : ليست في (المنقذ) في الموضعين .
(٣) المنقذ : والحواس.
(٤) خ ،س ،ك : أو وقوعها . والمثبت من (المنقذ) .
(٥) المنقذ : ووجودها .
(٦) جميع النسخ : اليه . والمثبت من (المنقذ) .
(٧) خ : لا أن النبوة عنها فقط ؛ ك : لا أن النبوة عينها فقط.
(٨) خ ،ك : وله .
(٩) وماذكرناها : كذا في (خ) ؛ وفي(ط ،س ،ك) : وماذكرناه ؛ وفي (المنقذ) : وماذكرنا .
(١٠) المنقذ : نموذجا منها ، وهو .

فأما[1] معجزات الأنبياء فلا[2] سبيل اليها للعقلاء ببضاعة العقل أصلا ، وأما ماعداها من خواص النبوة ، فانما يدركه بالذوق من سلك[3] طريق التصوف ، لأن هذا انما فهمته بأنموذج رزقته وهو النوم ، ولولاه ما[4] صدقت بـه ؛ فان كان للنبي خاصة ليس لك منها أنموذج ، فلا[5] تفهمها أصلا ، فكيف تصدق بها ! وانما التصديق بعد التفهيم[6] ، وذلك الأنموذج يحصل في أول[7] طريق التصوف ، فيحصل به نوع من الذوق بالقدر الحاصل ، ونوع من التصديق بما لم يحصل بالقياس اليه ، فهذه الخاصة[8] الواحدة تكفيك للايمان بأصل النبـوة .

استدلال الغزالي على النبوة بأحوال مدعيها وتضعيفه طريق المعجزات

فان وقع لك الشك في شخص معين أنه نبي أم لا ؛ فلا يحصل اليقين الا بمعرفة أحواله ، اما بالمشاهدة ، أو بالتواتر والتسامع ، فانك اذا عرفت الطب والفقه ، يمكنك أن تعرف الفقهاء والأطباء بمشاهدة أحوالهم ، وسماع أقوالهم ، وان[9] لم تشاهدهم ؛ فمعرفة[10] كون الشافعي فقيها ، وكون جالينوس طبيبا معرفة[11] بالحقيقة ، لا بالتقليد[12] ؛ بأن تتعلم[13] شيئا من الطب والفقه[14] ،

---

(١) خ ، س ، المنقذ : والنجوم وهي .
(٢) المنقذ : الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ولا .
(٣) المنقذ : وأما ماعدا هذا من خواص النبوة فانما يدرك بالذوق من سلوك .
(٤) س ، المنقذ : لما .
(٥) المنقذ : ولا .
(٦) المنقذ : الفهم .
(٧) س ، المنقذ : أوائل .
(٨) ط : الخصلة ، ط ، س ، المنقذ : الخاصية .
(٩) ط ، خ ، ك : ان . بسقوط الواو .
(١٠) س ، المنقذ : ولا تعجز أيضا عن معرفة .
(١١) ط ، ك : معروف .
(١٢) س ، المنقذ : لا بالتقليد عن الغير .
(١٣) ط : تعلم .
(١٤) المنقذ : من الفقه والطب .

وتطالع كتبهما وتصانيفهما ، فيحصل لك علم ضرورى بحالهما .

وكذلك[١] اذا فهمت معنى النبوة ، فاكثر[٢] النظر في القرآن والأخبار ، يحصل[٣] لك العلم الضرورى بكونه صلى الله عليه وسلم على[٤] أعلى درجات النبوة، واعضد ذلك بتجربة ماقاله في العبادات ، وتأثيرها في تصفية القلوب ، وكيف صدق في كذا وكذا[٥] ؛ فاذا جربت ذلك في ألف ، وألفين ، وآلاف ، حصل لك علم ضرورى لا[٦] تتمارى فيه .

فمن هذا القبيل[٧] اطلب[٨] اليقين بالنبوة ، لا من قلب العصا ثعبانا ، وشق القمر؛ فان ذلك اذا نظرت اليه وحده ، ولم تنضم[٩] اليه القرائن الكثيرة / الخارجة عن حد[١٠] الحصر، ربما ظننت أنه سحر وأنه تخييل[١١]، وأنه من الله تعالى اضلال ؛ فانه يضل من يشاء ويهدى من يشاء . ص ١٠١

ويرد[١٢] عليك أسئلة[١٣] المعجزات ، فاذا كان مستند ايمانك كلاما منظوما[١٤] في وجه دلالة المعجزة ينجزم[١٥] ايمانك بكلام مرتب في[١٦] وجه الاشكال والشبه[١٧] عليها ، فليكن مثل هذه الخوارق احدى القرائن والدلائل[١٨] في جملة نظرك،

---

(١) س ،المنقذ : فكذلك .
(٢) المنقذ : فاكثرت .
(٣) المنقذ : يصل .
(٤) خ ،ك : في .
(٥) المنقذ : وكيف صدق صلى الله عليه وسلم في قوله : (من عمل بما علم ورثه الله علم مالم يعلم) ، وكيف صدق في قوله : (من أعان ظالما سلطه الله عليه) ، وكيف صدق في قوله : (من أصبح وهمومه هم واحد كفاه الله تعالى هموم الدنيا والآخرة) .
(٦) المنقذ : ولا .
(٧) س ، المنقذ : الطريق .
(٨) ط،خ ،ك : طلب .
(٩) المنقذ : تنظم .
(١٠) حد : في (ط،ك) فقط .
(١١) المنقذ : وتخييل .
(١٢) المنقذ : وترد .
(١٣) ط،خ ،س : أسولة . وفي هامش (ط) : ظ [كأنها رمز لنسخة أخرى] أسئلة .
(١٤) المنقذ : الى كلام منظوم.
(١٥) ط : ينخرم ، ك : ينحزم ، خ : فينخزم ،س ، المنقذ : فينجزم ، ولعل الصواب ما أثبته .
(١٦) جميع النسخ : من ، والمثبت من (المنقذ) .
(١٧) س ، المنقذ : والشبهه .
(١٨) المنقذ : احدى الدلائل والقرائن .

حتى يحصل لك علم ضروري لا يمكنك ذكر مستنده على التعيين ؛ كالذي يخبره جماعة بخبر متواتر ، لا يمكنه أن يقول : اليقين[١] مستفاد من قول واحد معين . بل من حيث لا يدرى ، ولا يخرج عن جملة ذلك ، ولا تتعين[٢] الآحاد ، فهذا هو الايمان القوى العلمي . وأما الذوق[٣] فهو كالمشاهدة والأخذ باليد ، ولا يوجد الا في طريق الصوفية " .

قال[٤] : " ثم اني[٥] واظبت على العزلة والخلوة قريبا من عشر سنين ، وبان لي في أثناء ذلك على الضرورة من أسباب لا أحصيها ، وبان لي من حقيقة الذوق أن للانسان[٦] بدنا وقلبا - وأعني بالقلب حقيقة روحه التي هي محل معرفة الله تعالى ، دون اللحم الذى يشاركه[٧] فيه الميت والبهيمة - وأن البدن له صحة بها سعادته ، ومرض فيه هلاكه ، وأن القلب كذلك له صحة وسلامة ، ولا ينجو الا من أتى [الله[٨]] بقلب سليم ، وله مرض فيه هلاكه ان لم يتدارك ، كما قال[٩] تعالى : (في قلوبهم مرض[١٠]) .

وأن الجهل بالله سم مهلك[١١] ، وأن معصية الله تعالى - بمتابعة الهوى - داؤه الممرض ، وأن معرفة الله تعالى ترياقه[١٢] المحيي ، وطاعته - بمخالفة

---

(١) المنقذ : لا يمكنه أن يذكر أن اليقين .
(٢) المنقذ : بتعيين .
(٣) ك : الذوف .
(٤) المنقذ ، ص ١٥١-١٥٧ . بينه وبين الكلام السابق قوله : فهذا القدر من حقيقة النبوة كاف في الفرض الذى أقصده الآن ، وسأذكر وجه الحاجة اليه .
(٥) س ، المنقذ : انى لما .
(٦) س ، المنقذ : . . . لا أحصيها ، مرة بالذوق ، ومرة بالعلم البرهاني ، ومرة بالقبول الايماني أن للانسان . وهو في (س) بالهامش .
(٧) المنقذ : معرفة الله ، دون اللحم والدم الذى يشارك .
(٨) لفظ الجلالة (الله) : ليس في (ك) .
(٩) س ، المنقذ : هلاكه الأبدي الأخروي كما قال .
(١٠) سورة البقرة : ١٠ .
(١١) س : سمه المهلك .
(١٢) في " الصحاح " مادة " ترق " : " الترياق ، بكسر التاء : دواء السموم ، فارسي معرب " .

الهوى - دواؤه الشافي ، وأنه لا سبيل الى معالجته - بازالة مرضه ، وكسب صحته[1] - الا بأدوية ، كما لا سبيل الى معالجة البدن الا بذلك .

وكما أن أدوية البدن تؤثر في كسب الصحة بخاصية فيها ،لا يدركها[2] العقلاء ببضاعة العقل ،بل يجب فيها تقليد الأطباء الذين أخذوها عن الأنبياء ، الذين اطلعوا بخاصية النبوة على خواص الأشياء - فكذلك بان لي على الضرورة أن[3] أدوية العبادات بحدودها ومقاديرها المحدودة المقدرة من جهة الأنبياء ، لا يدرك وجه تأثيرها ببضاعة عقل العقلاء ، بل يجب فيها تقليد الأنبياء ، الذين أدركوا تلك الخواص [بنور النبوة[4]] ، لا ببضاعة العقل .

وكما أن الأدوية تركب من أخلاط مختلفة النوع والمقدار ، وبعضها ضعف لبعض في الوزن[5] ، فلا يخلو اختلاف مقاديرها عن سر من قبل[6] الخواص ، فكذلك العبادات التي هي أدوية القلوب[7] ، مركبة من أفعال مختلفة النوع والمقدار ؛ حتى ان السجود ضعف الركوع ، وصلاة الصبح نصف صلاة الظهر[8] ، ولا يخلو عن سر من الأسرار ، هو من قبيل الخواص التي لا يطلع عليها الا بنور النبوة .

ص ١٠٢ ولقد تحامق وتجاهل جدا من أراد أن يستنبط بطريق العقل / لها حكمة ، أو ظن[9] أنها ذكرت على الاتفاق ، لا عن سر الهي فيها يقتضيها بطريق الخاصية .

---

(١) ط : معالجته الا بازالة سبب مرضه ، وليست صحته .
(٢) ك : لا تدركها .
(٣) المنقذ : بأن .
(٤) بنور النبوة : زيادة من (المنقذ) . وهي في هامش (س) .
(٥) المنقذ : البعض في الوزن المقدار .
(٦) س ، المنقذ : سر هو من قبيل .
(٧) س ، المنقذ : أدوية داء القلوب .
(٨) س : نصف صلاة الظهر في المقدار ، المنقذ : نصف صلاة العصر في المقدار . وكتب أمام هذا الموضع في هامش (خ) : بلغ مقابلة حسب الطاقة .
(٩) ك : وظن .

وكما أن في الأدوية أصولا هي أركانها ، وزوائد هي متماتها ، لكل واحد منها خصوص تأثير في أعمال أصولها ، كذلك السنن والنوافل لتكميل[١] آثار أركان العبادات .

وعلى الجملة فالأنبياء[٢] أطباء أمراض القلوب ، وأما[٣] فائدة العقل وتصرفه أن عرفنا ذلك ، وشهد بصدق النبوة ، وبعجز نفسه[٤] عن درك مايدرك بعين النبوة ، وأخذ[٥] بأيدينا وسلمنا اليها تسليم العميان الى القائدين ، وتسليم المرضى المتحيرين الى الأطباء المشفقين ، فالى ههنا مجرى العقل ومخطاه[٦] ، وهو معزول عما بعد ذلك ، الا عن تفهيم[٧] مايلقيه الطبيب اليه . فهذه أمور عرفناها بالضرورة الجارية مجرى المشاهدة ، في مدة الخلوة والعزلة .

ثم رأينا فتور[٨] الاعتقاد[٩] في أصل النبوة ، ثم في حقيقة النبوة ، ثم في العمل بما شرحته النبوة ؛ وتحققنا شيوع ذلك بين الخلق ، ونظرت[١٠] الى أسباب فتور الخلق ، وضعف ايمانهم بها[١١] ، فاذا هو أربعة : سبب من الخائضين في علم الفلسفة ، وسبب من الخائضين في طريق التصوف ، وسبب من المنتسبين الى دعوى التعليم ، وسبب من معاملة المتوسمين من العلماء[١٢] فيما بين الناس .

فاني تتبعت مدة آحاد الخلق ، أسأل من يقصر[١٣] منهم في متابعة الشرع ، وأسأله عن شبهته[١٤] ، وأبحث عن عقيدته وسره ، وأقول[١٥] له : مالك

---

(١) المنقذ : كذلك النوافل والسنن متممات لتكميل . (٢) المنقذ : فالأنبياء عليهم السلام .
(٣) س ، المنقذ : وانما .
(٤) كذا في (ك) ، وفي (ط) : وبعمى نفسه ، وفي (خ) : وسهل بصدق للنبوة وبعمى نفسه ؛ وفي (س) ، المنقذ) : وشهد للنبوة بالتصديق ولنفسه بالعجز .
(٥) وأخذ : كذا في (س ، المنقذ) ؛ وفي (ط ، خ ، ك) : وأخذنا .
(٦) ط ، خ : وعطاوءه . وهذا يوافق نسخة من المنقذ كما في هامشه .
(٧) المنقذ : تفهم .
(٨) ط : ثبوت . (٩) س ، المنقذ : الاعتقادات .
(١٠) المنقذ : فنظرت . (١١) بها : ليست في (المنقذ) .
(١٢) المنقذ : الموسومين بالعلم . في لسان العرب ، مادة " وسم " : " الشيخ المتوسم : المتحلي بسمة الشيوخ " .
(١٣) المنقذ : من أن يقصر . (١٤) ط : متابعته للشرع ، وأسأله شبهته .
(١٥) س ، المنقذ : وقلت .

تقصر فيها ؟ فان كنت تؤمن بالآخرة ، ولست تستعد لها ، وتبيعها بالدنيا ؛ فهذه حماقة ؛ فانك لا تبيع الاثنين بواحد ، فكيف تبيع مالا نهاية له بأيام معدودة ! ، وان كنت لا تؤمن فأنت كافر ، فدبر لنفسك[١] في طلب الايمان ، وانظر ماسبب كفرك الخفي : الذى هو مذهبك باطنا ، وهو سبب جرأتك[٢] ظاهرا ، وان كنت لا تصرح به ، تجملا بالايمان ، وتشرفا بذكر الشرع[٣] .

فقائل يقول : هذا[٤] أمر لو وجبت المحافظة عليه لكان العلماء أجدر بذلك ، وفلان من المشهورين بين[٥] الفضلاء لا يصلي ، وفلان يشرب الخمر ، وفلان يأكل الأموال من الأوقاف[٦] وأموال اليتامى ، وفلان يأكل أدرار السلطان ولا يحترز من[٧] الحرام ، وفلان يأخذ الرشوة على القضاء والشهادة . وهلم جرا الى أمثاله .

وقائل ثان يدعي علم التصوف ، فيقول : اني بلغت مبلغا ترقيت[٨] عن الحاجة الى العبادة .

وقائل ثالث تعلل[٩] بشبهة أخرى من شبهات أهل الاباحة ، وهم الذين ضلوا عن طريق التصوف[١٠] .

وقائل رابع لقي أهل التعليم ، ويقول[١١] : الحق مشكل ، والطريق اليه عسير منسد[١٢] ، والاختلاف فيه كثير ، وليس بعض المذاهب أولى من بعض ،

---

(١) المنقذ : نفسك .
(٢) س ، ك : جرائتك .
(٣) المنقذ : الشراع .
(٤) المنقذ : ان هذا .
(٥) خ ، ك : من .
(٦) س ، المنقذ : أموال الأوقاف .
(٧) س ، المنقذ : عن .
(٨) المنقذ : التصوف ، ويزعم أنه قد بلغ مبلغا ترقى .
(٩) س ، المنقذ : يتعلل .
(١٠) المنقذ : وهؤلاء هم الذين ضلوا عن التصوف .
(١١) س ، المنقذ : فيقول .
(١٢) ط : بعيد ، المنقذ : والطريق متعسر .

وأدلة العقول متعارضة ، فلا ثقة برأى أهل الرأى ، والداعي الى التعليم متحكم لا حجة له ، فكيف ندع[1] اليقين بالشك ؟ .

وقائل خامس يقول : لست أفعل هذا تقليدا ، ولكني قرأت علم الفلسفة ، وأدركت حقيقة / النبوة ، وأن حاصلها يرجع الى المصلحة والحكمة[2] ، وأن المقصود من تعبداتها ضبط عوام الخلق ، وتقييدهم[3] عن التقاتل والتنازع والاسترسال في الشهوات ، فما أنا من العوام الجهال حتى أدخل في حجر التكليف ، وانما أنا من الحكماء ، أتبع الحكمة وأنا بصير بها ، مستغن فيها عن التقليد .

ص ١٠٣

هذا منتهى ايمان من قرأ فلسفة الالهيين منهم ، ويعلم[4] ذلك من كتب ابن سينا وأبي نصر الفارابي ، وهؤلاء [هم[5]] المتجملون منهم[6] بالاسلام .

وربما يرى[7] الواحد منهم يقرأ القرآن ، ويحضر الجماعات والصلوات ، ويعظم الشريعة بلسانه ، ولكنه مع ذلك لا يترك شرب الخمر ، وأنواعا من الفسق والفجور . واذا قيل له : ان كانت النبوة غير صحيحة فلم تصلي ؟ فربما يقول : رياضة الجسد ، وعادة البلد[8] ، وحفظ المال والولد ؛ وربما قال : " الشريعة صحيحة ، والنبوة حق " ، فيقال له[9] : فلم تشرب الخمر ؟ فيقول : انما نهي عن الخمر لأنها تورث العداوة والبغضاء ، وأنا بحكمتي محترز عن ذلك ، واني أقصد به تشحيذ خاطرى .

حتى ان ابن سينا ذكر في وصية له ، كتب فيها أنه عاهد الله تعالى على كذا وكذا ، وأن يعظم الأوضاع الشرعية ، ولا يقصر في العبادات الدينية ، ولا يشرب الخمر[10] تلهيا ، بل تداويا وتشفيا .

---

(١) المنقذ : ادع .
(٢) المنقذ : الى الحكمة والمصلحة .
(٣) المنقذ : وتقيدهم .
(٤) س ، المنقذ : وتعلم .
(٥) هم : ساقطة من (س ، ك) .
(٦) منهم : ساقطة من (المنقذ) .
(٧) ط ، س ، المنقذ : ترى .
(٨) المنقذ : لرياضة الجسد ، ولعادة أهل البلد .
(٩) له : ليست في (المنقذ) .
(١٠) الخمر : ليست في (المنقذ) .

وكان[1] منتهى حالته في صفاء الايمان والتزام العبادات،أن استثنى[2] شرب الخمر لفرض التشفي[3]، فهذا ايمان من يدعي الايمان؛ منهم[4]".

الى [أن[5]] ذكر [أبو حامد[6]] مارد به على أهل التعليم ،وأهل الاباحة[7]، قال[8]: " وأما من فسد ايمانه بطريق الفلسفة ، حتى أنكر أصل النبوة ، فقد ذكرنا حقيقة النبوة ووجودها بالضرورة ، بدليل وجود خواص الأدوية والنجوم وغيرها[9]، وانما قدمنا هذه المقدمة لأجل ذلك، وأوردنا[10] الدليل من خواص النجوم والطب[11] لأنه من نفس علمهم ، ونحن نبين لكل عالم بفن من العلوم ، كالنجوم والطب والطبيعة والسحر والطلسمات[12] مثلا من نفس علمه ، برهان النبوة[13].

وأما من أثبت النبوة بلسانه ، وسوى أوضاع الشرع على الحكمة ، فهو على التحقيق كافر بالنبوة ، وانما هو مؤمن بحكيم له طالع مخصوص، يقتضي طالعه أن يكون متبوعا[14]، وليس هذا من النبوة في شيء، بل الايمان بالنبوة أن يقر باثبات طور وراء طور[15] العقل، تنفتح فيه عين يدرك بها مدركات

---

(١) س ، المنقذ :وتشافيا فكان .
(٢) ك : يستثنى .
(٣) ذكر محققا (المنقذ) أن كلمة (التشفي) وردت في جميع النسخ التي اعتمدا عليها ،لكنهما وضعا بدلا منها (التشافي) .
(٤) كذا في (ط) ،وفي (خ ،س ،ك) : منهم،وقد انخدع ،وفي (المنقذ) : منهم وقد انخدع بهم جماعة . . . الخ ".
(٥) أن :ساقطة من (ك) .
(٦) أبو حامد : في (ط) فقط .
(٧) في المنقذ ،ص ١٦١ ؛ يقول: " أما الذين ادعوا الحيرة من أهل التعليم، فعلاجهم ماذكرناه في كتاب " القسطاس المستقيم" ،ولا نطول بذكره في هذه الرسالة ،وأما ماتوهمه أهل الاباحة ، فقد حصرنا شبههم في سبعة أنواع، وكشفناها في كتاب " كيمياء السعادة " واما من فسد ايمانه بطريق الفلسفة . . . الخ ".
(٨) المنقذ ،ص ١٦١-١٦٢ .
(٩) المنقذ : وغيرهما .
(١٠) المنقذ : واننا أوردنا .
(١١) المنقذ : خواص الطب والنجوم.
(١٢) قال أحمد الخفاجي في كتابه شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل ،ص ١٨١ :" طلسم : لفظ يوناني ، لم يعربه من يوثق به ، وكونه مقلوبا من مسلط وهم لا يعتد به .
وفي السر المكتوم: هو عبارة عن علم بأحوال تمزيج القوى الفعالة السماوية بالقوى المنفعلة الأرضية ، لأجل التمكن من اظهار مايخالف العادة، والمنع مما يوافقها ".
(١٣) خ ،س : لأجل برهان .
(١٤) ط: متبعا .
(١٥) طور: في (ك) فقط .

خاصة ، والعقل معزول عنها ، كعزل اللمس عن ادراك الأصوات[١] ، وجميع الحواس عن ادراك المعقولات ، فان لم يجوز[٢] هذا فقد أقمنا البرهان على امكانه ، بل على وجوده ".

وأخذ يستدل بالخواص الموجودة في الطبيعيات على امكان خواص ثابتة في الشرعيات ، وأن تلك اذا لم تعرف بقياس العقل فكذلك الأخرى[٣]. قال : " وانما تدرك هذه الخواص بنور النبوة ".

ص ١٠٤ قال[٤] :/ " والعجب أنا لو غيرنا العبارة الى عبارة المنجمين لصدقوا باختلاف[٥] هذه الأوقات ؛ فنقول : أليس يختلف الحكم والطالع[٦] ؟ بأن تكون الشمس في وسط السماء ، أو في الطالع ، أو في الغارب ، حتى بنوا[٧] على هذا في تسييراتهم اختلاف الهيلاج[٨] ، وتفاوت الأعمار والآجال ، فلا[٩] فرق بين الزوال وبين كون الشمس في وسط السماء ، ولا بين المغرب وبين كون الشمس في الغارب .

فلم يكن لتصديقه[١٠] سبب ، الا أن ذلك سمعه[١١] بعبارة منجم ، جرب[١٢] كذبه

---

(١) المنقذ : كعزل البصر عن ادراك الألوان ، والسمع عن ادراك الأصوات .
(٢) خ : يحسن . وأمام هذا الموضع في هامشها : بلغ مقابلة .
(٣) في المنقذ ، ص ١٦٢ - ١٦٤ . والنص التالي في المنقذ ، ص ١٦٤ .
(٤) المنقذ ، ص ١٦٤ - ١٦٧ بعد الكلام السابق مباشرة .
(٥) باختلاف : كذا في (ط ، ك) ، وفي (خ ، س) : اختلاف ، وفي المنقذ : لعقلوا اختلاف .
(٦) س ، المنقذ : في الطالع ، وأمام هذا الموضع في هامش (ط) كتب كلمة : بلغ .
(٧) المنقذ : يبنوا .
(٨) الهيلاج : كذا في (خ ، س) وفي (ط ، ك) : الصلاح ، وفي (المنقذ) : العلاج ، وذكر المحققان أن في بعض النسخ : الهيلاح ، بالمهملة .
قال الخوارزمي في " مفاتيح العلوم " ، في التعريف بمصطلحات علم النجوم ، قال ، ص ١٧٦ : " الهيلاج : أحد الهيالج الخمسة : وهي الشمس ، والقمر ، والطالع ، وسهم السعادة ، وجزء الاجتماع أو الاستقبال ، وهي أدلة العمر ، وذلك أنها تسير الى السعود والنحوس . ومعنى التسيير : أن ينظر كم بين الهيلاج وكم بين السعد أو النحس ؛ فيؤخذ لكل درجة سنة ، فيقال : تصيبه السعادة أو النكبة الى كذا وكذا سنة ".
(٩) س ، المنقذ : ولا .
(١٠) المنقذ : فهل لتصديقه .
(١١) المنقذ : يسمعه .
(١٢) المنقذ : لعله جرب .

مائة مرة ولا يزال يعاود[1] تصديقه، حتى لو قال له المنجم[2] : اذا كانت الشمس في وسط السماء ، ونظر اليها[3] الكوكب الفلاني ، [والطالع هو البرج الفلاني[4]] : فلبست ثوبا جديدا في ذلك الوقت قتلت في ذلك الثوب[5] ! فانه لا يلبس الثوب في ذلك الوقت ، وربما يقاسي فيه البرد الشديد ، وربما سمعه من منجم قد جرب كذبه مرات !

فليت شعري من يتسع عقله لقبول هذه البدائع ، ويضطر الى الاعتراف بأنها خواص ، معرفتها معجزة لبعض الأنبياء ؛ كيف[6] ينكر مثل ذلك فيما يسمعه من قول نبي صادق ، مؤيد بالمعجزات ، لم يعرف قط بالكذب ! ولم لا يتسع لامكان[7] هذه الخواص في أعداد الركعات ، ورمي الجمار ، وعدد أركان الحج ، وسائر تعبدات الشرع ! ولم نجد[8] بينها وبين خواص الأدوية والنجوم فرقا أصلا .

فان قال : قد جربت شيئا من النجوم ، وشيئا من الطب ، فوجدت بعضه صادقا ، فانقدح في نفسي تصديقه ، وسقط عن[9] قلبي استبعاده ونفرته ، وهذا لم أجربه ، فبم أعلم وجوده وتحققه[10] ، وان أقررت بامكانه .

فأقول : انك لا تقتصر على تصديق ما جربته ، بل سمعت أخبار المجربين وقلدتهم ، فاسمع أقوال الأولياء فقد جربوه[11] ، وشاهدوا الحق في جميع ماورد به

(١) المنقذ : يعاد .
(٢) المنقذ : المنجم له .
(٣) جميع النسخ : اليه ، والمثبت من (المنقذ) .
(٤) مابين المعكوفين زيادة من (المنقذ) ، وهو في (س) بالهامش .
(٥) ط ، ك : قتلت في ذلك الوقت .
(٦) المنقذ : فكيف .
(٧) المنقذ : ولم لا يتسع لامكانه . فان أنكر فلسفي امكان . س : بالكذب ، فان أنكر فلسفي امكان .
(٨) المنقذ : لم يجد .
(٩) المنقذ : من .
(١٠) المنقذ : وهذا لم أجربه به [كذا] فيما أعلم وجوده وتحقيقه لم [كذا] .
(١١) ط : أقوال الأنبياء فيما جربوه ؛ المنقذ : أقوال الأنبياء فقد جربوا . وقد راجعت طبعتين أخريين للمنقذ ، هما (ط . الدكتور عبد الحليم محمود) ، ص ١٦٤ ، و (ط . مكتب النشر العربي بدمشق ١٣٥٣ - ١٩٣٤) ، ص ١٦١ ، ووردت كلمة " الأنبياء " فيهما ، وسيناقش ابن تيمية ، ص ٥٣٨ هذا القول على أن الكلمة " الأولياء " .

الشرع ، أو أسلك[١] سبيلهم تدرك بالمشاهدة بعض ذلك .

على أني أقول : وان لم تجرب[٢] ، فيقضي[٣] عقلك بوجوب التصديق والاتباع قطعا ؛ فانا لو فرضنا رجلا بلغ وعقل ولم يجرب ، ومرض[٤] ، وله والد مشفق ، حاذق بالطب ، يسمع دعواه ، في معرفة الطب منذ عقل ، فعجن له والده دواء ؛ وقال[٥] : " هذا يصلح لمرضك ، ويشفيك من سقمك " فماذا يقتضيه عقله - وان كان الدواء كريها ، مر المذاق[٦] - أن يتناول أو يكذب ؟ ويقول : " أنا لا أعرف[٧] مناسبة هذا الدواء لتحصيل الشفاء ، ولم أجربه " فلا شك أنك تستحمقه ان فعل ذلك ، فكذلك[٨] يستحمقك أهل البصائر في توقفك .

فان قلت : فبم[٩] أعرف شفقة النبي[١٠] ومعرفته بهذا الطب ؟

فأقول : وبم عرفت شفقة أبيك ؟ فان ذلك أمر[١١] ليس محسوسا ، بل عرفتها بقرائن أحواله ، وشواهد أعماله ، في موارده ومصادره[١٢] ، علما ضروريا لا تتمارى[١٣] فيه .

ومن نظر في أقوال رسول الله[١٤] صلى الله عليه وسلم ، وماورد من الأخبار في اهتمامه بارشاد الخلق ، وتلطفه في حق الناس بأنواع [الرفق و] اللين واللطف[١٥] ، الى تحسين الأخلاق واصلاح ذات البين ، وبالجملة الى مايصلح به

---

(١) س ، المنقذ : واسلك .
(٢) س ، المنقذ : تجربه .
(٣) ك : فيقتضي .
(٤) المنقذ : فمرض .
(٥) المنقذ : فقال .
(٦) المنقذ : مرا كريه المذاق .
(٧) المنقذ : لا اعقل .
(٨) ط ، المنقذ : وكذلك .
(٩) المنقذ : فيم .
(١٠) المنقذ : النبي صلى الله عليه وسلم .
(١١) ك : أمرا ؛ المنقذ : وليس ذلك أمرا محسوسا .
(١٢) ط ، خ ، المنقذ : في مصادره وموارده .
(١٣) ك : لا يتمارى .
(١٤) المنقذ : الرسول .
(١٥) خ ، س : بأنواع الرفق واللطف ؛ ط : بأنواع الدين واللطف ؛ ك : بأنواع اللين واللطف ، والمثبت من (المنقذ) .

د ينهم ودنياهم - حصل له علم ضروري بأن شفقته[1] على أمته أعظم من شفقة الوالد على ولده .

واذا نظر الى عجائب ماظهر عليه من الأفعال ، والى عجائب الغيب التي أخبر عنها[2] في القرآن على لسانه وفي الأخبار ، والى ماذكره في آخر الزمان ، وظهر[3] ذلك كما ذكره - [علم[4]] علما ضروريا أنه بلغ الطور الذى وراء العقل ، وانفتحت له العين التي ينكشف منها الغيب ، والخواص[5] والأمور التي لا يدركها العقل .

وهذا[6] هو منهاج تحصيل[7] العلم الضروري بصدق[8] النبي صلى الله عليه وسلم [فجرب[9]] ، وتأمل في القرآن وطالع الأخبار ، الى أن تعرف[10] ذلك بالعيان . وهذا القدر يكفي في تنبيه[11] المتفلسفة ، ذكرناه لشدة الحاجة اليه في هذا الزمان ".

تعليق ابن تيمية

قلت : فهذه الطريق التي ذكرها أبو حامد وغيره ، تفضي أيضا الى العلم من النبوة والتصديق منها ، بأكثر من القدر الذى تقر به[12] المتفلسفة ؛ وماذكره من المشاهدات والكشوفات التي تحصل للصوفية ، وأنهم يشهدون تحقيق ما أخبر به الرسول عليه الصلاة والسلام ، ونفع ما أمر به ، فهذا أيضا حق في كثير[13] مما

---

(١) المنقذ : شفقته صلى الله عليه وسلم .
(٢) المنقذ : الذى أخبر عنه .
(٣) وظهر: كذا في (ط،ك) ؛ وفي (خ ،س) : وظهور ؛ وفي (المنقذ) : فظهر.
(٤) علم : ساقطة من (ط،ك) .
(٥) س ، المنقذ : الغيب الذى لا يدركه الا الخواص .
(٦) المنقذ : فهذا .
(٧) خ ،س ،ك : يحصل .
(٨) المنقذ : بتصديق .
(٩) فجرب : زيادة من (س ، المنقذ) .
(١٠) س ، المنقذ : وتأمل القرآن ، وطالع الأخبار تعرف [كذا في س ؛ وفي المنقذ تعف] .
(١١) خ : في شبه .
(١٢) خ ،س : يقر به .
(١٣) خ ،س : في أن . وفي هامش (س) علق بخط مغاير مايلي : " قوله : في أن ، في هذه العبارة نقص ، ولعل الصواب وفي أن ما أخبر به وأمر به مايستوجب التصديق بنبوته . أو نحو ذلك مما يجعل للعبارة معنى ".

أخبر به وأمر به ، ثم اذا علم ذلك صار حجة على صدقه فيما لم يعلمه؛ كمن سلك طريقا[(١)] من العلم بفن من الفنون ، اذا رأى كلام متكلم في ذلك العلم، ورآه يحقق ماعنده ، ويأتي بزيادات لا يستطيعها - فانه يعلم بما رآه من مزيد تحقيقه لما شاركه في أصل معرفته أنه أعلم منه بما وراء ذلك؛ كمن نظر في الطب اذا رأى كلام بقراط، ومن نظر في النحو اذا رأى كلام الخليل وسيبويه[(٢)]، ومن نظر في العلوم الدينية اذا رأى كلام[(٣)] أئمة السلف.

وكذلك[(٤)] من سلك مسلك[(٥)] الزهد والعبادة اذا بلغه سير زهاد[(٦)] السلف وعباداتهم، ومن ولى الناس وساسهم[(٧)] اذا رأى سيرة عمر بن الخطاب رضي الله عنه[(٨)] وعمر بن عبد العزيز ونحوهما .

فهذا كله مما يبين له عظمة قدر هؤلاء ، وأنهم كانوا أئمة في هذه الأمور، وفيما يصلح ويجب من ذلك ، ويعلم كل أحد الفرق بين سيرة العمرين وسيرة الحجاج[(٩)] والمختار بن أبي عبيد[(١٠)] ونحوهما ؛ بل يعلم الفرق بين

---

(١) ط: كمن قرأ طرفا ، خ : كمن شدا طرقا .

(٢) هو أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء ، المعروف بسيبويه، امام النحاة، ولد بقرية من قرى شيراز يقال لها البيضاء، ثم قدم البصرة ، وبدأ بطلب الحديث ، ثم صحب الخليل بن أحمد فبرع في النحو، وألف فيه " الكتاب "، توفي سنة ١٨٠ على الراجح ، وقيل ان عمره ٣٣ سنة ! والله أعلم .
انظر: طبقات النحويين واللغويين ، ص ٦٦- ٧٢؛ تاريخ بغداد ١٢/ ١٩٥- ١٩٩؛ وفيات الأعيان ٣/ ٤٦٣- ٤٦٥؛ البداية والنهاية ١٠/ ١٧٦- ١٧٧؛ الأعلام ٥/ ٨١.

(٣) ك : كلامه . وأمام هذا في هامش (س) : مطلب، أهل كل فن يعلمون المتقدم في ذلك الفن .

(٤) خ : ولذلك .

(٥) مسلك : ساقطة من (خ ،س) .

(٦) ك : زهاد .

(٧) ط: وسياستهم .

(٨) رضي الله عنه : ليست في (ط) .

(٩) هو أبو محمد الحجاج بن يوسف بن الحكم بن أبي عقيل بن مسعود الثقفي ، ولد سنة ٤٠ بالطائف ونشأ بها ، ثم انتقل الى الشام ، حيث عينه عبد الملك قائدا لعسكره ، وبعثه لقتال عبد الله بن الزبير فقتله سنة ٧٣ ، فاستنابه عبد الملك على مكة والمدينة والطائف واليمن ، ثم ولاه العراق فثبت الامارة وأقام فيها عشرين سنة ، وفتح فيها فتوحات كثيرة ، حتى وصلت جيوشه الى بلاد الهند والسند . كان جبارا مقداما على سفك الدماء ، مات بواسط سنة ٩٥هـ انظر: سيرته وأخباره في كتب التاريخ، وانظر بوجه خاص: تاريخ الطبري ٦/ ٤٩٣ ، الكامل لابن الأثير ٤/ ٥٨٣- ٥٨٧ ، وفيات الأعيان ٢/ ٢٩- ٥٤ ، البداية والنهاية ٩/ ١١٧- ١٣٩ ، تهذيب التهذيب ٢/ ١٨٠ ، تقريب التهذيب ١/ ١٥٤ ، الأعلام ٢/ ١٦٨ .

(١٠) أبو اسحاق المختار بن أبي عبيد بن مسعود بن عمرو الثقفي ، من أهل الطائف، أرسله عبد الله بن/ =

سيرة بني أمية[1] وبني العباس، وبين سيرة بني بويه وبني عبيد، وأمثال ذلك.

كذلك يعلم الفرق بين نبينا محمد [صلى الله عليه وسلم] وموسى وعيسى عليهما السلام[2]، وبين مسيلمة والأسود العنسي وأمثالهما بأدنى تأمل.

وهذه الطريق ينقسم الناس فيها الى عام وخاص، بسبب علمهم بالخير والشر، والصدق والكذب، ونحو ذلك؛ وهذه تفيد العلم القطعي بأن الأنبياء أكمل الخلق وأفضلهم، وأنه لا يصلح لأحد أن يعارضهم برأيه، ولا يخالفهم بهواه. لكن لا يفيد العلم بحقيقة النبوة [3]إلا أن يعترف أن النبي / أعلم منه[3]، فلا يمكنه أن يقول: هو أعلم منه. ص ١٠٦

فكل من حصل له من المخاطبات والمشاهدات مايحصل للأولياء، فانه يعلم أن الذى للأنبياء فوق الذى له من ذلك؛ كعمر بن الخطاب رضي الله[4] عنه، فانه قد ثبت في الصحيح أنه صلى الله[4] عليه وسلم، قال: (انه قد كان في الأمم قبلكم محدثون، فان يكن في أمتي أحد فعمر[5]). وقال صلى الله عليه وسلم

= الزبير الى الكوفة، فغلب عليها، وتتبع قتلة الحسين، فقتل عددا من رؤسائهم، وأرسل جيشا الى عبيد الله بن زياد وقتله سنة ٦٥، ثم خلع ابن الزبير، فتوجه اليه مصعب - وهو أمير البصرة لأخيه عبد الله - فنشبت بينهما معارك انتهت بمقتل المختار وأصحابه سنة ٦٧.
كان المختار كذابا يزعم أن الوحي يأتيه، وقيل في قوله صلى الله عليه وسلم: (ان في ثقيف كذابا ومبيرا) رواه مسلم ٤/١٩٧٢ رقم ٢٥٤٥ ان المختار هو الكذاب، والحجاج هو المبير.
انظر كتب التاريخ في حوادث سنة ٦٥-٦٧، وبوجه خاص تاريخ الطبرى؛ الكامل لابن الأثير ٤/٢٢٨-٢٧٨؛ البداية والنهاية ٨/٢٦٤-٢٩٢؛ لسان الميزان ٦/٦-٧؛ الأعلام ٧/١٩٢.

(١) ك: أبي أمية.

(٢) عليهما السلام: ساقطة من (خ)، وفي (ك): محمد وموسى وعيسى عليهم السلام.

(٣-٣) مابينهما ساقط من (خ، س). وأمام هذا الموضع في هامش (س): مطلب هذه الطريق لا تفيد العلم بحقيقة النبوة.

(٤) س، ك: الله تعالى، في الموضعين.

(٥) الحديث عن أبي هريرة في صحيح البخارى (فتح البارى ٦/٥١٢ رقم ٣٤٦٩) كتاب أحاديث الأنبياء، باب حدثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب حدثنا أبو الزناد ....، ٧/٤٢ رقم ٣٦٨٩ كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب عمر بن الخطاب.
وعن عائشة في صحيح مسلم ٤/١٨٦٤ رقم ٢٣٩٨ كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل عمر رضي الله عنه؛ وسنن الترمذى (تحفة الأحوذى ١٠/١٨٢) المناقب، مناقب أبي حفص عمر بن الخطاب رضي الله عنه؛ ومسند أحمد (ط. الحلبي) ٦/٥٥.
في صحيح مسلم: "قال ابن وهب: تفسير محدثون ملهمون" وفي سنن الترمذى: "أخبرني بعض أصحاب ابن عيينه عن سفيان ابن عيينة قال محدثون يعني مفهمون".
وفي احدى روايات البخارى لحديث أبي هريرة، بدل محدثون: (يكلمون من غير أن يكونوا أنبياء).

: (ان الله ضرب الحق على لسان عمر وقلبه)[1]. وفي الترمذى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : (لو لم أبعث فيكم لبعث فيكم عمر)[2].

وكان عمر بهذا يعلم أن مايأتى النبي صلى الله عليه وسلم من الوحي والملائكة ، ومايخبر به من الغيب ، وما يأمر به وينهى عنه - أمر زائد على قدره ومجاوز لطاقته ؛ بل يجد بينه وبين ذلك من التفاوت مايعجز القلب واللسان عن معرفته وتبيانه[3].

بل كان عمر بما حصل له[4] من المكاشفة والمخاطبة ؛ يعلم أن أبا بكر الصديق رضي الله تعالى عنهما أكمل منه معرفة ويقينا ، وأتم صدقا وأخلاقا ، وأعلم منه بقدر الرسول صلى الله عليه وسلم ؛ فكان[5] خضوع عمر - هذا الذى هو أفضل الأولياء المحدثين الملهمين المخاطبين - لأبي بكر الصديق[6] ؛ كخضوع

---

(١) الحديث عن ابن عمر ، أخرجه الترمذى في سننه (تحفة الأحوذى ١٠/١٦٩) المناقب ، مناقب أبي حفص عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وقال عنه : " حسن صحيح غريب ". وأحمد في مسنده (ط. المعارف) ٧/١٥٥ رقم ٥١٤٥ ، ٨/٧٧ رقم ٥٦٩٧ .
وعن أبي هريرة ، أخرجه أحمد في المسند (ط. الحلبي) ٢/٤٠١ ، وفيهما "جعل" بدل "ضرب".
وعن أبي ذر ، أخرجه أبو داود في سننه (عون المعبود ٨/١٧٩-١٨٠) كتاب الخراج والفيء والامارة ، باب في تدوين العطاء ؛ وابن ماجة في سننه ١/٤٠ رقم ١٠٨ المقدمة ، باب فضائل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ وأحمد في مسنده (ط. الحلبي) ٥/١٦٥ ، ١٧٧ ولفظه (ان الله وضع الحق على لسان عمر يقول به) وأخرجه أحمد ٥/١٤٥ بلفظ (ان الله عز وجل ضرب بالحق على لسان عمر وقلبه) .

(٢) يذكر ابن تيمية هذا الحديث في كتبه منسوبا للترمذى ، ووجدت في سنن الترمذى (تحفة الأحوذى ١٠/١٧٣) المناقب ، مناقب أبي حفص عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، ومسند أحمد (ط. الحلبي) ٤/١٥٤ عن عقبة بن عامر الجهني قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لو كان نبي بعدى لكان عمر بن الخطاب) . وقال عنه الترمذى " حديث حسن غريب ".
ووجدت اللفظ الذى ذكره ابن تيمية في كتب الموضوعات عن بلال وعقبة بن عامر وعبد الله بن جبير وأبي هريرة ، وتبين هذه الكتب أن هذه أحاديث لا تصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .
انظر : الموضوعات لابن الجوزى ١/٣٢٠-٣٢١ ؛ اللآلئ المصنوعة للسيوطي ، ص ٣٠٢ ؛ الفوائد المجموعة للشوكاني ، ص ٣٣٦ .

(٣) ط ، خ : وبيانه .

(٤) ط : جعل له .

(٥) ط ، خ : وكان .

(٦) من قوله هنا : " لأبي بكر الصديق .. " الى قوله في صفحة ٥٣٩ : " بل ولا لابراهيم وعيسى ، فضلا عن أن يكون " يستغرق في (ط) صفحة ٢١٢ وهي ظهر ، وصفحة ٢١٣ وهي وجه ، وقد فات المصور أخذ صورة لهما .

من رأى غيره من مشاركيه في فنه أكمل منه : كخضوع الأخفش[(١)] لسيبويه ، وزفر لأبي حنيفة ، وابن وهب[(٢)] لمالك ، ونحو ذلك ؛ أو خضوع فقهاء المدينة لسعيد بن المسيب[(٣)] ، وعلماء البصرة للحسن البصري[(٤)] ، وفقهاء مكة لعطاء بن أبي رباح[(٥)] .

وإذا كان هذا مثل عمر مع أبي بكر ـ لأن أبا بكر صديق ، يأخذ ما يأخذه عن الرسول المعصوم عليه الصلاة والسلام ، الذى قد عصم أن يستقر فيما جاء به خطأ ، فهو لخبرته بحال صديق النبي بهذه المثابة ، وكل من كان عالما

---

(١) هو أبو الحسن سعيد بن مسعدة المجاشعي بالولاء ، المعروف بالأخفش الأوسط من أهل بلخ ، سكن البصرة ، وهو أحد نحاتها ، صحب الخليل ، وأخذ النحو عن سيبويه ، وصنف كتبا كثيرة في اللغة والأدب ، منها كتاب في العروض زاد فيه بحر الخبب على ما كان قد وضعه الخليل ، توفي سنة ٢١٥ وقيل سنة ٢٢١ .
انظر: انباه الرواة ٢/٣٦-٤٣ ؛ طبقات النحويين ، ص ٧٢-٧٤ ؛ وفيات الأعيان ٢/٣٨٠-٣٨١ ؛ البداية والنهاية ١٠/٢٩٣ ؛ الأعلام ٣/١٠١-١٠٢ .

(٢) هو أبو محمد عبد الله بن وهب بن مسلم الفهرى بالولاء ، ولد بمصر سنة ١٢٥ وتوفي فيها سنة ١٩٧ ، محدث ، فقيه ، عابد ، من أصحاب الامام مالك .
انظر: الجرح والتعديل ٥/١٨٩-١٩٠ ؛ ترتيب المدارك للقاضي عياض ٢/٤٢١-٤٣٣ ؛ تذكرة الحفاظ ١/٣٠٤-٣٠٦ ؛ الديباج المذهب ، ص ١٣٢-١٣٣ ؛ تهذيب التهذيب ٦/٧١-٧٤ ؛ الأعلام ٤/١٤٤ ؛ تاريخ التراث العربي ١/٣/١٤٤-١٤٥ .

(٣) الامام الكبير أبو محمد سعيد بن المسيب بن حزن بن أبي وهب بن عمرو المخزومي القرشي ، ولد سنة ١٣ وتوفي سنة ٩٤ بالمدينة ، وهو من سادات التابعين علما وزهدا .
انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد ٥/١١٩-١٤٣ ؛ الجرح والتعديل ٤/٥٩-٦١ ؛ تذكرة الحفاظ ١/٥٤-٥٦ ؛ العبر ١/١١٠ ؛ تهذيب التهذيب ٤/٨٤-٨٨ ؛ شذرات الذهب ١/١٠٢-١٠٣ ؛ الأعلام ٣/١٠٢ ؛ تاريخ التراث العربي ١/٢/٦٧-٦٨ .

(٤) الامام الكبير أبو سعيد الحسن بن يسار البصرى ، ولد بالمدينة سنة ٢١ ونشأ بها ، وسكن البصرة وتوفي فيها سنة ١١٠ ، وهو أحد كبار علماء التابعين ، فقيه ، زاهد ، شجاع ، فصيح .
انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد ٧/١٥٦-١٧٨ ؛ الجرح والتعديل ٣/٤٠-٤٢ ؛ تذكرة الحفاظ ١/٧١-٧٢ ؛ البداية والنهاية ٩/٢٦٦-٢٦٧ ؛ تهذيب التهذيب ٢/٢٦٣-٢٧٠ ؛ الأعلام ٢/٢٢٦-٢٢٧ ؛ تاريخ التراث العربي ١/١/٧٢ ، ١/٤/٩-١٤ .

(٥) الامام الكبير أبو محمد عطاء بن أبي رباح أسلم بن صفوان الفهرى القرشي ، مولاهم ولد باليمن ، ونشأ بمكة فكان مفتي أهلها ومحدثهم وتوفي فيها سنة ١١٤ ، روى عن عدد من الصحابة .
انظر: طبقات ابن سعد ٥/٤٦٧-٤٧٠ ؛ الجرح والتعديل ٦/٣٣٠-٣٣١ ؛ تذكرة الحفاظ ١/٩٨ ؛ البداية والنهاية ٩/٣٠٦-٣٠٩ ؛ تهذيب التهذيب ٧/١٩٩-٢٠٣ ؛ الأعلام ٤/٢٣٥ ؛ تاريخ التراث العربي ١/١/٧٣-٧٤ .

بالصحابة ؛ يعلم أن عمر رضي الله[١] عنه كان متأدبا معظما بقلبه لأبي بكر رضي الله عنه ، مشاهدا[٢] أنه أعلى منه ايمانا ويقينا. فكيف يكون حال عمر وغيره مع النبي صلى الله عليه وسلم !؟ واذا كان هذا حال أفضل المحدثين المخاطبين فكيف حال سائرهم !؟ فلا[٣] ريب أن الرجل كلما عظمت ولايته ، وعظم نصيبه من انكشاف الحقائق له ؛ كان تعظيمه للنبوة أعظم ، والناس في هذه الطريق متفاوتون بحسب درجاتهم .

خطأ الغزالي فيما ادعاه للكشف الصوفي من خصائص

لكن طريق الصوفية لا ينتهض[٤] بانكشاف جميع ماجاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ، بل ولا بأكثره ، بل عامة مايخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم لا يمكن أبا بكر[٥] وعمر - فضلا عن غيرهما - أن يعلمه بدون خبره ، وان كان عند المخبرين علم بجمل[٦] ذلك ، أو أصله ؛ لكن مايخبر به من التفصيل لا يعلم بدون خبره أصلا .

ومايوجد في كلام أبي حامد أو غيره[٧] من أن الكشف يحصل ذلك، وقول[٨] القائل : ان الأولياء شاهدوا الحق في جميع ماورد به الشرع[٩] . ليس بسديد ؛ بل لا يزال الأولياء مع الأنبياء في ايمان بالغيب ، ولا يتصور أن الولي / يعطى ما أعطيه النبي من المشاهدة والمخاطبة .

ص ١٠٧

وأفضل الأولياء أبو بكر، وعمر، وعثمان ، وعلي ، ونحوهم ، وليس في هؤلاء من شاهد ماشاهده النبي صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج ، ولا شاهد الملائكة الذين كانوا ينزلون بالوحي على النبي صلى الله عليه وسلم، ولا سمع أحد منهم

---

(١) س ،ك : الله تعالى .
(٢) س : رضي الله تعالى عنه متأدب معظم . . . مشاهد .
(٣) ك : ولا .
(٤) خ : تنهض .
(٥) ك : أبو بكر.
(٦) س : بجهل .
(٧) ك : وغيره . وأمام هذا الموضع في هامش (س) : مطلب اعتراض على أبي حامد .
(٨) خ ،س : فقول .
(٩) سبق كلام الغزالي هذا ص ٥٣١ - ٥٣٢ .

كلام الله الذى كلم به نبيه ليلة المعراج ، ولا سمع عامة الأنبياء - فضلا عن الأولياء - كلام الله كما سمعه موسى بن عمران ، ولا كلم الله تكليما لداود وسليمان ، بل ولا لابراهيم وعيسى[1] ؛ فضلا عن أن يكون ذلك يحصل لأحد من الأولياء .

والايمان بكل ماجاء به الأنبياء[2] واجب ، فانهم معصومون ، ولا يجب الايمان بكل مايقوله الولي ، بل ولا يجوز ؛ فانه مامن أحد من الناس الا يؤخذ من كلامه ويترك ، الا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومن سب نبيا من الأنبياء قتل، وكان كافرا مرتدا ، بخلاف الولي ؛ قال تعالى : (قولوا آمنا بالله وما أنزل الينا وما أنزل الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والأسباط، وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون[3]) . وقال تعالى : (آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله[4]) .

وقال تعالى : (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته فينسخ الله مايلقى الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم[5]) .

فان قيل : ففي قراءة ابن عباس : (ولا محدث[6]) .

---

(١) ك : بل ولا ابراهيم ولا عيسى .

(٢) من قوله هنا : " والايمان بكل ماجاء به الأنبياء" الى قوله في صفحة ٥٤٠: " عن الأمم قبلهم" ساقط من (خ ،س) .

(٣) سورة البقرة : ١٣٦ .

(٤) سورة البقرة : ٢٨٥ .

(٥) سورة الحج : ٥٢ .

(٦) ذكر هذه القراءة البخارى في صحيحه تعليقا ، فقال (فتح البارى ٤٢/٧) : " قال ابن عباس رضي الله عنهما : من نبي ولا محدث " .
وذكر ابن حجر في فتح البارى ٥١/٧ أن سفيان بن عيينة أخرجه في أواخر جامعه ، وذكر ابن حجر والسيوطي في الدر المنثور ٣٦٦/٤ أن عبد بن حميد أخرجه أيضا ، ولفظه عن عمرو بن دينار قال : كان ابن عباس يقرأ (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي ولا محدث) .
قال : ابن حجر " واسناده الى ابن عباس صحيح " .

قيل : هذه القراءة ليست متواترة ، ولا معلومة الصحة ، ولا يجوز الاحتجاج بها في أصول الدين .

وان كانت صحيحة فالمعنى أن المحدث كان فيمن كان[1] قبلنا ، وكانوا يحتاجون اليه ، وكان ينسخ مايلقيه الشيطان اليه كذلك .

وأمة محمد صلى الله عليه وسلم لا تحتاج الى غير محمد صلى الله عليه وسلم ، ولهذا كانت الأمم قبلنا لا يكفيهم نبي واحد ، بل يحيلهم هذا النبي في بعض الأمور على النبي الآخر ، وكانوا يحتاجون الى عدد من الأنبياء ، ويحتاجون الى المحدث . وأمة محمد أغناهم الله بمحمد صلى الله عليه وسلم عن[2] غيره من الأنبياء والرسل ، فكيف لا يغنيهم عن المحدث ! ولهذا قال صلى الله عليه وسلم : (انه قد كان في الأمم قبلكم محدثون ، فان يكن في أمتي أحد فعمر) . فعلق ذلك " بان " ، ولم يجزم به ؛ لأنه علم استغناء امته عن محدث ، كما استغنت عن غيره من الأنبياء ، سواء كان فيها محدث أو لا ، وكان[3] ذلك لكمالها برسولها الذى هو أكمل الرسل وأجلهم ، وهؤلاء كبعض في أمته[4] عن الأمم قبلهم[5] .

وقد وقع في كلام أبي حامد وغيره[6] نحو من هذا في مواضع أخر[7] ، حتى ذكر : فيما يتأول ومالا يتأول " : أن ذلك لا يعلم الا بتوفيق الهي ، يشاهد به الحقائق على ماهي عليه ، ثم ينظر في السمع والألفاظ / الواردة فيه ، ص ١٠٨

---

(١) ط : أن المحدث من كان .
(٢) ك : وعن .
(٣) ك : أو كان ، ط : من الأنبياء أن يكون فيها محدثا أو لا يكون ، أو كان . ولعل الصواب ما أثبته .
(٤) كذا في النسختين (ط ،ك) ، ويبدو أن في الكلام تحريفا ، ولعل أصل العبارة : الذى هو أكمل الرسل وأجلهم ؛ وهذا أمر تختص فيه أمته .
(٥) هنا نهاية الكلام الساقط من (خ ،س) الذى بدأ صفحة ٥٣٩ .
(٦) وغيره : ساقطة من (خ ،س) .
(٧) أخر : ساقطة من (خ) . وفي (ط) : نحو من هذا الكلام الذى . . . [بياض بقدر كلمتين] .

فما وافق مشهوده[1] أقره ، وماخالفه تأوله.[2] وذكر في موضع آخر" أن الواحد من الأولياء قد يسمع كلام الله سبحانه ، كما سمعه موسى بن عمران[3] ". وأمثال هذه الأمور.

---

(١) خ ،س : شهوده.

(٢) تحدث الغزالي في كتاب " احياء علوم الدين " (١/١٠٣ - ١٠٤) (الفصل الثاني من كتاب قواعد العقائد) عن التأويل واختلاف الناس فيه ، فذكر أن الامام أحمد بن حنبل رحمه الله حسم باب التأويل ، وادعى الغزالي أن أحمد استثنى من ذلك ثلاثة أحاديث أوردها الغزالي ، ثم ذكر أن طوائف فتحوا باب التأويل فمنهم مقتصدة وهم الأشعرية ، وزاد عليهم المعتزلة وأسرف في ذلك الفلاسفة .
ثم قال الغزالي (١/١٠٤) : " وحد الاقتصاد بين هذا الانحلال كله ، وبين جمود الحنابلة دقيق غامض ، لا يطلع عليه الا الموفقون ، الذين يدركون الأمور بنور الهي ، لا بالسماع ، ثم اذا انكشفت لهم أسرار الأمور على ماهي عليه ، نظروا الى السمع والألفاظ الواردة ، فما وافق ماشاهدوه بنور اليقين قرروه ، وماخالف أولوه ، فأما من يأخذ معرفة هذه الأمور من السمع المجرد ، فلا يستقر له فيها قدم ، ولا يتعين له موقف ".

(٣) حاولت أن أجد هذه الكلمة للغزالي فما تمكنت ، لكن الغزالي في كتاب " مشكاة الأنوار " عقد فصلا " في بيان مثال المشكاة والمصباح والزجاجة ... " قال في أوله : " ومعرفة هذا يستدعي تقديم قطبين يتسع المجال فيهما الى غير حد محدود ، لكني أشير اليهما بالرمز والاختصار .
أحدهما - في بيان سر التمثيل ومنهاجه ، ووجه ضبط أرواح المعاني بقوالب الأمثلة ، ووجه كيفية المناسبة بينها ، وكيفية الموازنة بين عالم الشهادة التي منها تتخذ طينة الأمثال ، وعالم الملكوت الذى منه تستنزل أرواح المعاني .
والثاني - في طبقات أرواح الطينة البشرية ومراتب أنوارها .
وقال في كلامه في القطب الأول (ص ٦٩) : " علم التعبير يعرفك منهاج ضرب المثال ، لأن الرؤيا جزء من النبوة ، أما ترى أن الشمس في الرؤيا تعبيرها السلطان ... ".
ويذكر (ص ٦٩ - ٧٠) ألفاظا من الآيات الواردة في قصة موسى عليه السلام ، مبينا المعاني التي تشير اليها هذه الألفاظ ، فيذكر " الطور " و " الوادى " و " الوادى الأيمن " و " شاطئ الوادى الأيمن " و " النار " و " الخبر " و " الجذوة والقبس والشهاب " و " الاصطلاء " و " الوادى المقدس " و " خلع النعلين ".
ومن ذلك قوله (ص ٧٠) : " وان كان المتلقنون من الأنبياء بعضهم على محض التقليد لما سمعه ، وبعضهم على حظ من البصيرة ، فمثال حظ المقلد الخبر ، ومثال حظ المستبصر الجذوة والقبس والشهاب ، فان صاحب الذوق مشارك للنبي في بعض الأحوال ، ومثال تلك المشاركة الاصطلاء ، وانما يصطلي بالنار من معه النار ، لا من يسمع خبرها ".
وقال في كلامه في القطب الثاني - مراتب الأرواح البشرية النورانية (ص ٧٧) : " الخامس - الروح القدسي النبوى الذى يختص به الأنبياء وبعض الأولياء ، وفيه تتجلى لوائح الغيب وأحكام الآخرة ... واليه الاشارة بقوله تعالى : (وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا ماكنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدى به) الآية .
وقال (ص ٨١) : " وأما الخامس - وهو الروح القدسي النبوى المنسوب الى الأولياء اذا كان في / =

ولهذا تبين له في آخر عمره أن طريق الصوفية لا تحصل مقصوده، فطلب الهدى من طريق الآثار[1] النبوية، وأخذ يشتغل بالبخاري ومسلم، ومات في أثناء ذلك على أحسن أحواله[2]، وكان كارها ماوقع في كتبه من نحو هذه الأمور: مما[3] أنكره الناس عليه، حتى قال المازري وغيره ما معناه: "ان كلامه يؤثر في الايمان بالنبوة، فينقص قدرها" أو نحو هذا.

مشابهة قول الغزالي لقول الفلاسفة في حقيقة النبوة

وكذلك ماذكره من أن النبوة انفتاح قوة أخرى فوق العقل؛ ولا ريب[4] أن هذا مما يكون للنبي، وليست النبوة قوة تدرك[5] بها الأمور، وانما يشبه هذا أصول الفلاسفة، الذين يزعمون أن الفيض دائم من العقل الفعال، وانما يحصل في[6] القلوب بسبب استعداد[7] الأشخاص؛ فأي عبد كان استعداده أتم كان الفيض عليه أتم، من غير أن يكون من الملأ الأعلى سبب يخص شخصا دون شخص بالخطاب والتكليم.

وليس هذا مذهب المسلمين، بل ولا اليهود ولا النصارى، بل هؤلاء كلهم - الا من ألحد منهم - متفقون على أن الله سبحانه خصص موسى بالتكليم، دون هارون وغيره، وأنه يخص بالنبوة من يشاء من عباده، لا أنه بمجرد استعداده تغيض[8] عليه العلوم من غير تخصيص الهي.

/= غاية الصفاء والشرف فبالحرى أن يعبر عن الصافي البالغ الاستعداد، بأنه يكاد زيته يضيء ولو لم تمسسه نار، اذ من الأولياء من يكاد يشرق نوره حتى يكاد يستغني عن مدد الأنبياء وفي الأنبياء من يكاد يستغني عن مدد الملائكة".

(١) خ: الأثارة. وفي هامش (س): مطلب في الثناء على الغزالي.

(٢) نقل السبكي في طبقات الشافعية الكبرى كلاما طويلا لعبد الغافر الفارسي (ت ٥٢٩) في الغزالي ومنه قوله (٦/ ٢١٠): "وكانت خاتمة أمره اقباله على حديث المصطفى صلى الله عليه وسلم، ومجالسة أهله، ومطالعة الصحيحين: البخاري ومسلم".. وانظر الطبقات ٦/ ٢١٥.

(٣) ط: وهذا مما.

(٤) خ، س فلا.

(٥) خ، س: يدرك.

(٦) ط: يحصل من.

(٧) خ، س: الفعال، وانما ذلك بحسب استعداد.

(٨) تغيض: كذا في (خ)، وفي النسخ الأخرى يغيض. وأمام هذا في هامش (خ): بلغ مقابلة.

وهنا صار الناس ثلاثة أصناف :

صنف يقولون : ليست النبوة الا مجرد انباء[1] الله[2] للعبد ، وهو تعلق كلامه به ؛ كما يقولون : ان الأحكام الشرعية ليست الا مجرد خطاب الله[2] المتعلق بأفعال المكلفين ، من غير أن يكون للفعل في نفسه صفة اقتضت تخصيصه بالحكم[3] ؛ وكذلك يقول[4] هؤلاء : ليس للنبي في نفسه صفة اقتضت تخصيصه بالنبوة. وهذا يقوله طوائف من متكلمة أهل الاثبات [5]القدريين ، أصحاب جهم وأبي الحسن وغيرهما[5] ، الذين يخالفون المعتزلة والفلاسفة فيما يقولونه في فعل الرب وحكمه[6] .

ان المتفلسفة يقولون بالطبع والعلة الموجبة[7] ، والمعتزلة يقولون بالاختيار المتضمن لشريعة عقلية ألزموه بها في التعديل والتجوير[8] ونحو ذلك ، والمنتسبون الى السنة والجماعة من الكلابية والأشعرية والكرامية ، وسائر المنتسبين الى السنة والجماعة - يردون عليهم الأصول التي فارقوا بها أهل السنة والجماعة [9]من التكذيب بالقدر[10] ، والصفات ، وتخليد أهل الكبائر ؛ كما يردون على المتفلسفة مافارقوا به المسلمين[9] .

---

(١) ط : ايتاء .
(٢) س ، ك : الله تعالى .
(٣) ط : بالحكمة .
(٤) خ ، س : قول .
(٥-٥) مابينهما ساقط من (خ ، س) .
وابن تيمية يقسم القدرية الى أربعة أصناف ، ويذكر القائلين بالجبر مثل الجهم وأبي الحسن الأشعري صنفا منها ، انظر المجلد الأول من الفهارس العامة لمجموع فتاوى ابن تيمية (ط. الرياض) ، ص ١٤٧ ، ١٥١ .
(٦) ط : وحكمته .
(٧) ط : المرجئة .
(٨) والتجوير : كذا في (خ) ، وفي النسخ الأخرى : والتجويز .
(٩-٩) مابينهما ساقط من (خ ، س .
(١٠) ط ، ك : والجماعة بالتكذيب من القدر . ولعل الصواب ما أثبته .

لكن لهؤلاء في مسائل الحكمة والمصالح، وتعليل الأفعال والأحكام، وهل للأفعال صفات يدرك بها حسنها وقبحها - نزاع ليس هذا موضع تفصيله، وانما نذكره مجملا.

ص ١٠٩ ومعلوم أن الانباء والارسال من باب كلام الله / تعالى[١]، وكذلك الأمر والنهي هو من باب كلام[٢] الله تعالى، والأمر متعلق بالفعل، والارسال والانباء متعلق بالرسول والنبي.

وللناس في هذا وهذا[٣] ثلاثة أقوال:

أحدها - أنه[٤] ليس ذلك الا مجرد كلام الله المتعلق بذلك، أو تعلق الخطاب بذلك، وهو من الصفات النسبية الاضافية عندهم؛ قالوا لأنه ليس لمتعلق[٥] القول من القول صفة ثبوتية، وهذا قول هؤلاء.

والقول الثاني - أن ذلك يعود الى صفة قائمة بالنبي وبالفعل.

[٦]والقول الثالث - أن ذلك يتضمن الأمرين: فالحكم الشرعي يتضمن خطاب الشارع وصفة قائمة بالفعل، والنبوة تتضمن خطاب الرب وتتضمن[٧] صفة قائمة بالنبي أيضا، وهذا معنى قول السلف والأئمة وجمهور المسلمين[٦].

[والثاني قول من يقول ذلك من الفلاسفة والمعتزلة، لكن المعتزلة يعود عندهم] حسن الفعل وقبحه[٨] الى صفة فيه توجب الحمد والذم، وخطاب الشارع كاشف لها، لا مثبت لها. والمتفلسفة عندهم يعود ذلك الى صفة في

(١) ط: ومعلوم أن الله هو الذى أرسل الرسل ونبأهم والرسول مبلغ لكلام الله.
(٢) كلام: ساقطة من (ط).
(٣) وهذا: ليست في (س).
(٤) خ، س: أن.
(٥) خ، س: الاضافية اذ ليس لمتعلق.
(٦ - ٦) مابينهما ساقط من (خ، س).
(٧) ط، ك: خطاب الرب لتضمن، ولعل الصواب ما أثبته.
(٨) ط، ك: وجمهور المسلمين والفلاسفة والمعتزلة أيضا يثبتون أيضا صفة (كذا في ك)، وفي (ط): صفة قائمة) حسن الفعل وقبحه. خ، س: الى صفة قائمة بالنبي وبالفعل، وهذا قول من يقول ذلك من الفلاسفة والمعتزلة... الخ. ولعلي مصيب فيما أثبت.

الفعل توجب كمال النفس أو نقصها[١]؛ ولذلك[٢] يقولون: ان النبوة هي كمال للنفس[٣] الناطقة، تستعد به لأن تفيض عليها المعارف من العقل الفعال، من غير أن يكون هناك خطاب حقيقي لله تعالى، ولكن كلام الله سبحانه عندهم هو مايحدث في نفس النبي من أصوات، يسمعها في نفسه، لا خارجا عن نفسه؛ [٤]والملائكة عبارة عن أشكال[٥] نورانية، يراها تكون في نفسه لا خارجا عن نفسه[٤]، كما يرى النائم في منامه صورا يخاطبها وكلاما يسمعه وذلك في نفسه. ولهذا جعل أبو حامد هذا طريقا لهم الى اثبات النبوة، [٦]كما سلك ابن سينا وغيره[٦].

ولا ريب أن كل مايقر به مقر من الحق فان أهل الايمان يقرون به، لكن يعلمون أشياء فوق ذلك لا يعلمها أهل الباطل، فما علمته المتفلسفة من هذه الأمور لا ينكرها أهل الايمان، لكن ينكرون عليهم اقتصارهم في التصديق عليها.

وقد بسطت الكلام على هذا[٧] في "جواب المسألة الخراسانية"، التي سئلت فيها عما يتعلق بالقرآن العظيم[٨]، وكلام الله سبحانه وتعالى[٩]؛ وذكرت مراتب تكليم الله تعالى لخلقه، وأنها درجات، وأن المتفلسفة أقروا ببعض الدرجات دون بعض. بل لعلهم لم يتجاوزوا أدنى الدرجات وهي درجة[١٠] الالهام ومايناسبه، وما أعطوا هذه الدرجة حقها.

---

(١) س: ونقصها.
(٢) ط: وكذلك.
(٣) ط: النفس.
(٤-٤) مابينهما ساقط من (س).
(٥) أشكال: كذا في (خ)، وفي (ط، ك): أشمال.
(٦-٦) مابينهما ساقط من (خ، س)، وهو في (ك)، وفي (ط): طريقا لهم كما سلك مثل ذلك ابن سينا وغيره.
(٧) س، ك: على هذه المسألة. وفي هامش (س): مطلب، بسط الكلام على هذه المسألة في جواب المسألة الخراسانية.
(٨) العظيم: ليست في (ط، خ).
(٩) ط: بالقران من كلام.
(١٠) جميع النسخ: درجات. ولعل الصواب ما أثبته.

وأما المعتزلة فهم خير منهم[١]، فانهم يقرون بأن لله تعالى كلاما منفصلا خارجا عن نفس الرسول ، كما أن له ملائكة منفصلين عن نفس الرسول ، وليست هي العقول والنفوس التي تزعمها[٢] المتفلسفة والقرامطة ، بل يقرون بما أخبر به القرآن من أصناف الملائكة وأوصافهم ، لكنهم مع هذا لا يقرون بأن لله كلاما قائما به ، فحقيقة[٣] مذهبهم أن الله سبحانه لا يتكلم ، وانما[٤] يخلق كلاما[٥] في / غيره . ص ١١٠

ولما ابتدعت الجهمية هذه المقالة كانوا يقولون : ان الله تعالى لا يتكلم ، أو يتكلم مجازا . لكن المعتزلة امتنعت من هذا الاطلاق ؛ وقالوا : انه متكلم ، أو يتكلم[٦] حقيقة . لكنهم فسروا ذلك بأنه خلق كلاما في غيره ، فلم ينازعوا قدماء الجهمية في حقيقة المذهب ، وانما نازعوهم في اللفظ .

والسلف والأئمة لما عرفوا حقيقة مذهبهم عرفوا أن هذا كفر، وأن هذا في الحقيقة تعطيل للرسالة ، وأنه يمتنع أن يكون متكلما[٧] بكلام لا يقوم به ، بل بغيره ؛ كما يمتنع أن يكون عالما بعلم لا يقوم به ، بل بغيره ؛ وأن يكون قادرا بقدرة لا تقوم به ، بل بغيره . وأنه لو كان كذلك لكان مايخلقه من الكلام في مخلوقاته كلاما له ، وقد قال تعالى : (وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذى أنطق كل شيء[٨]) ؛ وقال عز وجل : (اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون[٩]) . بل قد ثبت أن الله خالق كل شيء ؛ فيجب أن يكون - على قولهم[١٠] - كل كلام في الوجود كلامه .

---

(١) في هامش (ط) كلمة قوبل ، وفي هامش (س) : مطلب ، ترجيح المعتزلة على الفلاسفة .
(٢) خ ، س : يزعمها ، ط : تدعيها .
(٣) خ ، س : وحقيقة .
(٤) ك : انما .
(٥) س ، ك : كلامه .
(٦) خ ، س : أو متكلم .
(٧) س ، ك : متكلم .
(٨) سورة فصلت : ٢١ .
(٩) سورة يس : ٦٥ .
(١٠) على قولهم : في (ك) فقط .

وقد أفصح بذلك الاتحادية ، الذين يقولون : الوجود واحد . كابن عربي صاحب " الفصوص "[1] ونحوه ، وقالوا :

وكل كلام في الوجود كلامه ∴ سواء علينا نثره ونظامه[2]

ومذهبهم منتهى مذهب الجهمية ، وهو في الحقيقة تعطيل الخالق .

والقول بأن هذا الوجود هو الوجود الواجب ، كما ذكر ذلك أبو حامد عن دهرية الفلاسفة ؛ فان قول هؤلاء هو قول أولئك ، وهو قول فرعون الذى أظهره ، لكن فرعون وغيره من الدهرية لا يقولون : هذا الوجود هو الله . وهؤلاء بجهلهم[3] يقولون : ان الوجود هو الله .

وقد أضلوا طوائف من الشيوخ[4] الذين لهم عبادة وزهادة ، حتى انه كان ببيت المقدس رجل من أعبد الناس وأزهدهم ، وكان طول ليله يقول : الوجود واحد ، وهو الله ؛ ولا أرى الواحد ، ولا أرى الله .

وهؤلاء[5] سلكوا في كثير من أصولهم ماذكره أبو حامد ، وبنوا على مافي كتابه " المضنون به[6] " وغيره من أصول الفلاسفة المكسوه عبارة[7] الصوفية ، فالأمور التي أنكرها عليه علماء المسلمين ماعليها هؤلاء[8] ، حتى جعل ابن سبعين الناس خمس طبقات ، أدناها الفقيه ، ثم المتكلم الأشعرى ،

---

(١) ط ،خ : صاحب " فصوص الحكم ".
(٢) تقدم هذا البيت ، ص ٤٢٦ والاشارة الى وجود نحوه في كتاب "الفتوحات المكية " لابن عربي ٤/١٤١ .
(٣) ط : لجهلهم .
(٤) في هامش (س) : مطلب قد ضل طوائف من الشيوخ .
(٥) خ ،س : هؤلاء .
(٦) ط : ماذكره أبو حامد وغيره في المضنون به . وفي هامش (س) كتب : على غير أهله .
(٧) ط ،ك : عبادة .
(٨) ط : مما هؤلاء عليها ، خ ،س : ماهؤلاء عليها .

ثم الفيلسوف ، ثم الصوفي ، ثم الخامس هو المحقق.(١)

وهؤلاء يجعلون ما أشار اليه أبو حامد من الكشف هو ما حصل لهم ، وأنه لتقيده(٢) بالشريعة لم يصل الى القول بوحدة الوجود ، وهم ينتقصونه بما يحمده عليه المسلمون من الأقوال التي اعتصم فيها بالكتاب والسنة ، [بل(٣)] وبالأقوال(٤) التي يعلم صحتها بصريح العقل ، ويرون أن ذلك هو الذى حجبه عن أن يشهد حقيقتهم(٥) التي / هي وحدة الوجود ، وانما طمعوا فيه هذا الطمع لما(٦) وجدوه في الكلام المضاف اليه مما يوافق أصول الجهمية المتفلسفة ونحوهم. ص ١١١

(١) تقوم فكرة كتاب "بد العارف" لابن سبعين ، على تقسيم الناس الى خمس مراتب : الفقيه ، والمتكلم الأشعري ، والفيلسوف ، والصوفي ، والمحقق المقرب ، وبيان مذاهب المراتب الخمس - كما يقول ابن سبعين في مقدمة الكتاب ، ص ٣٠ - في " الحد ، والألفاظ الدائرة بين الطلبة ، والمطالب الأصلية ، والمعاني المنطقية ، ومعرفة العلم والمعلوم ، والعقل والعالم والنفس".
وقد تكلم عن حقيقة العلم بكلام تضمن شطحات غير واضحة المعنى ، من ذلك قوله (ص ٩٣) :"والذى أقوله : ان من لم يعرف نفسه فحقيق عليه أن لا يعرف غيره ، وحقيقة العلم تتبين عند معرفة العقل والنفس وماهيتها ، والوجود المطلق والمقيد ، . . . والوقوف عند خبرين لا غيرهما يقام ويقعد ، والحلول على رتبتين وهما له وبه ، والحركة في موضعين هما عنده واليه ، والوقار مع كلمتين وهما كن واذهب ، والاقتداء برجلين وهما صاحب الوسيلة وبقائل : (بلى ولكن ليطمئن قلبي) ، والحضور مع ذاتين وهما ذاتي وذاته ، ويفرض فرضين وهما لا انية لي وهو هو ، . . . ويسافر الى بلدين : أحدهما يسمى يثرب النهاية ، والأخرى تسمى بالرفيق الأعلى وماهو اليه ، وحينئذ تفرض الخطوط ، ويبدأ بذكر معاني العلم وماهو وحقيقته ، ويدخل في عباد الله الصالحين ، وتظهر أشياء لا من جنس مايكتسب ويزهد".
ثم يقول (ص ٩٤ - ٩٥) : " . . . أردت بذلك أن ننبهك على تخليط العلماء وغلطهم وسفسطتهم ومغالطتهم . . . وتفضيل المحقق وبره بحقه . . . ونذكر لك مذهب الفقهاء والأشعرية والفلاسفة وأهل الحق والمقربين . . . ونبرز أنموذجا يشوقك ويشير عليك وينبهك حتى يحملك أليك ، وبك تصعد الى الملأ الأعلى ، وتسجد في مقعد الصدق ، وتحفظ وتلبس ثوب البقاء بحضرة الحق ، وتعود لا بك ولا لك ، وكأنك أنت ، وأنت العدم ، وكأنك هو وهو الوجود . . . وتصعق مع السادة الخاطبون والجامعون ، وتقرأ عند ماتفيق : الحمد لله الذى أماتنا وأحيانا وانا اليه راجعون ".
(٢) ط ، ك : لتعبده .
(٣) بل : ساقطة من (س ، ك) .
(٤) ط : والأقوال .
(٥) ط : تحقيقهم .
(٦) لما : كذا في (ك) ، وفي (ط ، خ ، س) : بما .

والمقصود هنا أن المعتزلة خير من المتفلسفة ،حيث يثبتون لله[1]، كلاما منفصلا ، ويقولون : ان الرسالة والنبوة تتضمن نزول كلام لله[2]، منفصل عن النبي[3] صلى الله[4] عليه وسلم، ينزل عليه[3]، كما يقول ذلك سائر المسلمين. ثم قد يقول من يقول من المعتزلة : ان النبوة جزاء على عمل متقدم ،وان النبي لما قام بواجبات عقلية ، أكرمه الله[4] عليها بالنبوة ، مع كون النبي متميزا بصفات خصه الله[4] بها .

وهذا القول موافق في الجملة لقول[5] أكثر الناس ؛ وهو أن[6] النبوة والرسالة تتضمن كلام الله[7]، الذى ينزل[8] على رسوله ونبيه ؛ وأنه مع ذلك مختص بصفات اختصه الله[9] بها ، دون غيره[10] ؛ وأنه لا يكون النبي والرسول كسائر الناس في العقل والخلق وغير ذلك ، بل هو متميز عن الناس بذلك ، والنبوة فضل الله يوءتيه من يشاء، لكن مع ذلك، الله أعلم حيث يجعل رسالته[11].

وماذكره أبو حامد ، فيه من تقرير النبوة في الجملة ، على الأصول التي يسلمها المتفلسفة ويعرفونها ؛ ماينتفع به من كان متفلسفا محضا ، فان ذلك يوجب [له[12]] أن يدخل في الاسلام نوع دخول ؛ وكلام أبى حامد في هذا ونحوه يصلح أن يكون برزخا بين المتفلسفة وبين أهل الملل من المسلمين واليهود والنصارى ، فالمتفلسفة تنتفع به حيث يصير عندهم من الايمان والعلم مالا يحصل لهم بمجرد الفلسفة .

---

(١) س ،ك : لله تعالى .
(٢) كلام لله : كذا في (خ) ،وفي (س ،ك) : كلام الله تعالى ،وفي (ط) :كلام الله نزل به ملك .
(٣-٣) مابينهما ساقط من (ط) .
(٤) س ،ك : الله تعالى . في المواضع الثلاثة .
(٥) لقول : كذا في (ط) ،وفي النسخ الأخرى : قول .
(٦) ط : في أن .
(٧) س ،ك : الله سبحانه .
(٨) ط،خ : ينزله .
(٩) س ،ك : الله تعالى .
(١٠) كذا في (ط) ،وفي النسخ الأخرى : دون غيره من الأنبياء .
(١١) رسالته :كذا في (ك) ، وفي النسخ الأخرى : رسالاته .
(١٢) له : زيادة في (ط) فقط.

وأما من كان مسلما يريد أن يستكمل العلم والايمان، فان ذلك يضره(١) من وجه، ويرده عن كثير من كمال الايمان بالله ورسوله واليوم الآخر، وان كان ينفعه من حيث يحول بينه وبين الفلسفة المحضة. الا أن يكون حسن الظن بالفلسفة دون أصول الاسلام، فانه يخرجه الى الالحاد المحض، كما أصاب ابن عربي الطائي وابن سبعين وأمثالهما.

نقد الغزالي في حصره الفرق في أربع

وقد أخبر هو بما حصل له من السفسطة، وأنه انحصرت فرق الطالبين عنده في أربع فرق: المتكلمين(٢)، والباطنية، والفلاسفة، والصوفية.

ومعلوم أن هذه الفرق كلها حادثة بعد عصر الصحابة، بل وبعد عصر التابعين، بل انما ظهرت وانتشرت بعد القرون الثلاثة: الصحابة، والتابعين، وتابعيهم.

ثم الفلاسفة والباطنية هم كفار، كفرهم ظاهر عند المسلمين، كما ذكر هو وغيره(٣)، وكفرهم ظاهر عند أقل من له علم وايمان من المسلمين، اذا عرفوا حقيقة قولهم. لكن لا يعرف كفرهم من لم(٤) يعرف حقيقة قولهم، وقد يكون قد تشبث ببعض أقوالهم من لم يعلم(٥) أنه كفر، فيكون / معذورا لجهله.

ص ١١٢

---

(١) خ، س: فانه يضره ذلك.

(٢) خ، س: المتكلمون.

(٣) قال الغزالي عن الفلاسفة في خاتمة كتاب "تهافت الفلاسفة"، ص ٣٠٧-٣٠٨: "تكفيرهم لا بد منه في ثلاث مسائل:
احداها - مسألة قدم العالم.
والثانية - قولهم: ان الله تعالى لا يحيط علما بالجزئيات الحادثة من الأشخاص.
والثالثة - انكارهم بعث الأجساد وحشرها".
وذكر ذلك أيضا في كتاب "المنقذ من الضلال"، ص ١٠٦-١٠٧.
وقال الغزالي عن مذهب الباطنية في كتاب "فضائح الباطنية"، ص ٣٧: "أما الجملة، فهو أنه مذهب ظاهره الرفض، وباطنه الكفر المحض".
وانظر أيضا، ص ١٤٦ "الباب الثامن في الكشف عن فتوى الشرع في حقهم من التكفير وسفك الدم".

(٤) ط: من لا.

(٥) ط: يعرف.

لكن المتكلمة والصوفية فيهم ممن[1] له علم وايمان طوائف كثيرون، بل في من يعد من الصوفية - مثل الفضيل بن عياض، وأبي سليمان الداراني[2]، وابراهيم بن أدهم[3]، ومعروف الكرخي[4]، وأمثالهم - من هو من خيار المسلمين وساداتهم عند المسلمين؛ وفي عصرهم حدث اسم "الصوفية"، وظهر الكلام أيضا[5].

فضل الصحابة وذم ما أحدث من الكلام والزهد

وكلام السلف والأئمة في ذم البدع الكلامية في العلم، والبدع المحدثة في طريقة الزهد والعبادة، مشهور كثير مستفيض.

ولم يتنازع أهل العلم والايمان فيما استفاض عن النبي صلى الله[6] عليه وسلم من قوله: (خير القرون القرن الذى بعثت فيهم، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم)[7].

---

(١) كذا في (ط)، وفي (خ، س) ولكن المتكلمون والصوفية ممن، وفي (ك): ولكن في المتكلمين والصوفية ممن.

(٢) هو أبو سليمان عبدالرحمن بن أحمد بن عطية العنسي الداراني، أحد أئمة العلماء العاملين الزاهدين، أصله من واسط، سكن داريا: قرية من قرى دمشق وتوفي فيها سنة ٢٠٥ أو ٢١٥.
انظر: طبقات الصوفية، ص ٧٥- ٨٢؛ تاريخ بغداد ١٠/٢٤٨- ٢٥٠؛ وفيات الأعيان ٣/١٣١؛ البداية والنهاية ١٠/٢٥٥- ٢٥٩؛ الأعلام ٣/٢٩٣- ٢٩٤.

(٣) هو أبو اسحاق ابراهيم بن أدهم بن منصور بن يزيد التميمي، أحد مشاهير العباد الزهاد، أصله من بلخ، ثم سكن الشام، وتوفي سنة ١٦٢.
انظر: طبقات الصوفية، ص ٢٧- ٣٨؛ تهذيب تاريخ دمشق ٢/١٦٧- ١٩٦؛ البداية والنهاية ١٠/١٣٥- ١٤٥؛ الأعلام ١/٣١.

(٤) هو أبو محفوظ معروف بن فيروز، وقيل: معروف بن الفيرزان الكرخي، نسبته الى كرخ ببغداد، حيث ولد، نشأ وتوفي ببغداد سنة ٢٠٠ أو ٢٠٤، وهو أحد المشهورين بالزهد والعزوف عن الدنيا.
انظر: طبقات الصوفية، ص ٨٣- ٩٠؛ تاريخ بغداد ١٣/١٩٩- ٢٠٩؛ طبقات الحنابلة ١/٣٨١- ٣٨٩؛ وفيات الأعيان ٥/٢٣١- ٢٣٣؛ الأعلام ٧/٢٦٩؛ تاريخ التراث العربي ١/٤/١٠٨- ١٠٩.

(٥) أيضا: ساقطة من (خ، س).

(٦) س، ك: الله تعالى.

(٧) ورد بهذا المعنى عدد من الأحاديث، منها حديث عمران بن حصين، في صحيح البخارى ٥/٢٥٨- ٢٥٩ رقم ٢٦٥١ كتاب الشهادات، باب لا يشهد على شهادة جور اذا أشهد، وكرر بالأرقام ٣٦٥٠، ٦٤٢٨، ٦٦٩٥؛ وصحيح مسلم ٤/١٩٦٤- ١٩٦٥ رقم ٢٥٣٥ كتاب فضائل الصحابة، باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم؛ ومسند أحمد (ط. الحلبي) ٤/٤٢٦، ٤٢٧، ٤٣٦، ٤٤٠. وهو في سنن أبي داود والترمذى أيضا.
وحديث عبدالله بن مسعود، في صحيح البخارى ٥/٢٥٩ رقم ٢٦٥٢، وكرر بالأرقام ٣٦٥١، ٦٤٢٩، ٦٦٥٨؛ وصحيح مسلم ٤/١٩٦٢- ١٩٦٣ رقم ٢٥٣٣؛ ومسند أحمد (ط. المعارف) ٥/٢٠٩ رقم ٣٥٩٤، وكرر بالأرقام ٣٩٦٣، ٤١٣٠، ٤١٧٣، ٤٢١٧، وهو في سنن الترمذى وابن ماجة.
وحديث أبي هريرة، في صحيح مسلم ٤/١٩٦٣- ١٩٦٤ رقم ٢٥٣٤؛ ومسند أحمد (ط. المعارف) ١٢/٩٠ رقم ٧١٢٣. =/

وكل من له[1] لسان صدق ، من مشهور بعلم أو دين ؛ معترف بأن خير هذه الأمة هم الصحابة ، وأن المتبع لهم أفضل من غير المتبع لهم[2] ؛ ولم يكن في زمتهم[3] أحد من هذه الصنوف الأربعة .

ولا تجد اماما في العلم والدين ـ كمالك ، والأوزاعي ، والثورى ، وأبي حنيفة ، والشافعي ، وأحمد بن حنبل ، واسحاق بن راهويه ؛ ومثل الفضيل ، وأبي سليمان ، ومعروف الكرخي ، وأمثالهم ـ الا وهم مصرحون بأن أفضل علمهم ماكانوا[4] فيه مقتدين بعلم الصحابة ، وأفضل علمهم ماكانوا[4] فيه مقتدين[5] بعمل الصحابة ، وهم يرون أن الصحابة فوقهم في جميع أبواب الفضائل والمناقب .

والذين اتبعوهم من[6] أهل الآثارة[7] النبوية ؛ وهم أهل الحديث والسنة ، العالمون بطريقهم ، المتبعون لها ؛ وهم أهل العلم بالكتاب والسنة في كل عصر ومصر ، فهؤلاء الذين هم أفضل الخلق من الأولين والآخرين لم يذكرهم أبو حامد .

وذلك[8] لأن هؤلاء لا يعرف طريقهم الا من كان خبيرا بمعاني القرآن ، خبيرا بسنة رسول الله صلى الله[9] عليه وسلم ، خبيرا بآثار الصحابة ، فقيها في ذلك ، عاملا بذلك ؛ وهؤلاء هم أفضل الخلق من المنتسبين الى العلم والعبادة .

وأبو حامد لم ينشأ بين من كان يعرف طريقة هؤلاء ، ولا تلقى عن هذه الطبقة ، ولا كان خبيرا بطريقة الصحابة والتابعين ، بل كان يقول عن نفسه :

/ = وحديث عائشة ، في صحيح مسلم ٤/١٩٦٥ (رقم ٢٥٣٦ ؛ ومسند أحمد (ط. الحلبي) ٦/١٥٦ .
وحديث النعمان بن بشير ، في مسند أحمد (ط. الحلبي) ٤/٢٦٧ ، ٢٧٦ ، ٢٧٧ .
وحديث بريدة في مسند أحمد (ط. الحلبي) ٥/٣٥٠ ، ٣٥٧ .
وقد تنوعت صيغ الخيرية في هذه الأحاديث ، وأقربها الى ماذكره ابن تيمية احدى روايات مسلم لحديث عمران ، وهي (خير هذه الأمة القرن الذين بعثت فيهم) ، ورواية مسلم وأحمد لحديث أبي هريرة (خير امتي القرن الذين بعثت فيهم) .
وقد قال عمران في حديثه : " فلا أدرى أذكر النبي صلى الله عليه وسلم بعد قرنه قرنين أو ثلاثة " ، ووقع مثل هذا الشك أيضا في احدى روايات مسلم لحديث ابن مسعود ، ورواية مسلم وأحمد لحديث أبي هريرة ، ورواية أحمد لحديث بريدة .

(١) ط : بعثت فيهم ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم . وكل من له في الأمة .
(٢) لهم : ساقطة من (س) . (٣) كذا في (ك) ، وفي النسخ الأخرى : زمانهم .
(٤) خ ، س : أن يكونوا . في الموضعين . (٥) س : مهتدين .
(٦) من : ساقطة من (ط) .
(٧) ط ، ك : الآثار . وفي هامش (س) : مطلب ، لم يذكر أبو حامد مع الفرق الأربع من هو أفضل منهم وهم أتباع الكتاب والسنة .
(٨) خ ، س : وذاك .
(٩) س ، ك : الله تعالى .

أنا مزجى البضاعة في الحديث[١]. ولهذا يوجد في كتبه من الأحاديث الموضوعة، والحكايات الموضوعة، مالا يعتمد عليه من له علم بالآثار؛ ولكن[٢] نفعه الله[٣] بما وجده في كتب[٤] الصوفية والفقهاء من ذلك؛ مما[٥] وجده في كتب أبي طالب، ورسالة القشيري[٦] وغير ذلك؛ ومما[٥] وجده في كتب[٤] أصحاب[٧] الشافعي ونحو ذلك؛ فخيار ما يأتي به ما يأخذه من هؤلاء وهؤلاء.

ومعلوم أن[٨] طريقة أئمة الصوفية وأئمة الفقهاء؛ أكمل من طريقة أبي القاسم القشيري، ومن طريقة أبي طالب والحارث، ومن طريقة / أبي المعالي وأمثاله. وأولئك الأئمة كانوا أعلم بطريقة الصحابة، واتبع لها، من أتباعهم، فالقاضي أبو بكر الباقلاني وأمثاله أعلم بالأصول والسنة، واتبع لها، من أبي المعالي وأمثاله؛ والأشعري، والقلانسي، ونحوهما، أعلى طبقة في ذلك من القاضي أبي بكر؛ وعبد الله بن سعيد بن كلاب، والحارث المحاسبي، أعلى طبقة في ذلك من هؤلاء؛ ومالك، والأوزاعي، وحماد بن زيد، والليث بن سعد، وأمثالهم، أعلى طبقة من هؤلاء؛ والتابعون أعلى من هؤلاء، والصحابة أعلى من التابعين.

ص ١١٣

---

(١) قال الغزالي في آخر رسالة " قانون التأويل "، ص ١٦ (ط. الأولى ١٣٥٩هـ - ١٩٤٠م : "وبضاعتي في علم الحديث مزجاة ".
(٢) ولكن : كذا في (ط)، وفي النسخ الأخرى : ولكنه.
(٣) س، ك : الله تعالى.
(٤-٤) مابينهما ساقط من (ط).
(٥) ك : وبما. في الموضعين.
(٦) هو أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك بن طلحة بن محمد القشيري النيسابوري، الشافعي الأشعري الصوفي، ولد سنة ٣٧٦ وتوفى سنة ٤٦٥ بنيسابور.
وقد طبعت الرسالة القشيرية بتحقيق الدكتور عبد الحليم محمود والدكتور محمود بن الشريف، نشر دار الكتب الحديثة، القاهرة، وعلق ابن تيمية على مواضع من الرسالة في كتابه الاستقامة.
انظر عن القشيري ومصنفاته : تاريخ بغداد ١١/٨٣؛ تبيين كذب المفترى، ص ٢٧١-٢٧٦؛ العبر ٣/٢٥٩؛ طبقات الشافعية الكبرى ٥/١٥٣-١٦٢؛ البداية والنهاية ١٢/١٠٧؛ شذرات الذهب ٣/٣١٩-٣٢٢؛ الأعلام ٤/٥٧.
(٧) أصحاب : ساقطة من (س).
(٨) خ، س : ومعلوم من أن.

وكذلك أبو طالب المكي يأخذ عن شيخه ابن سالم[١]، وابن سالم يأخذ[٢] عن سهل بن عبد الله التستري[٣]؛ وسهل أعلى درجة عند الناس من أبي طالب؛ ثم الفضيل[٤]، وأبو سليمان، وأمثالهما، أعلى درجة من سهل وأمثاله[٥]؛ وأيوب السختياني[٦]، وعبد الله بن عون[٧]، ويونس بن عبيد[٨]، وغيرهم من أصحاب الحسن[٩]، أعلى طبقة من هؤلاء؛ وأويس القرني[١٠]، وعامر بن عبد قيس[١١]،

---

(١) أبو الحسن أحمد بن محمد بن سالم البصري، شيخ السالمية، توفي سنة ٣٥٦ على ما ذكره ابن الأثير في الكامل ٨/٥٨٢، وقال عنه الذهبي في العبر ٢/٣٢٠: "وهو آخر أصحاب سهل التستري وفاة؛ وقد خالف أصول السنة في مواضع، وبالغ في الاثبات في مواضع، وعمر دهرا، وبقي الى سنة بضع وخمسين".

(٢) ط: أخذ.

(٣) ط: القشيري، وهو خطأ.

(٤) ك: الفضل، وهو خطأ.

(٥) ط: من أبي طالب وأمثاله.

(٦) الامام الحافظ أبو بكر أيوب بن أبي تميمة كيسان السختياني البصري، من الموالي، كان ثقة ثبتا كثير العلم، مات بالبصرة سنة ١٣١، وله ٦٣ سنة.
انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد ٧/٢٤٦-٢٥١؛ تذكرة الحفاظ ١/١٣٠-١٣٢؛ تهذيب التهذيب ١/٣٩٧-٣٩٩؛ الأعلام ٢/٣٨.

(٧) هو الحافظ الثقة أبو عون عبد الله بن عون بن أرطبان المزني مولاهم البصري كان اماما في معرفة السنة، ورعا، مات سنة ١٥١.
انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد ٧/٢٦١؛ الجرح والتعديل ٥/١٣٠-١٣١؛ تذكرة الحفاظ ١/١٥٦-١٥٧؛ الأعلام ٤/١١١.

(٨) هو الامام الحجة أبو عبد الله - أو أبو عبيد - يونس بن عبيد بن دينار العبدي (مولى لعبد القيس) البصري، من العباد وحفاظ الحديث الثقات، توفي سنة ١٣٩ أو ١٤٠.
انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد ٧/٢٦٠؛ الجرح والتعديل ٩/٢٤٢؛ تذكرة الحفاظ ١/١٤٥-١٤٦؛ تهذيب التهذيب ١١/٤٤٢-٤٤٥؛ الأعلام ٨/٢٦٢؛ تاريخ التراث العربي ١/١/١٦١.

(٩) ط: أصحاب أبي الحسن، وهو خطأ، والمقصود أصحاب الحسن البصري.

(١٠) أويس بن عامر بن جزء بن مالك القرني، أحد النساك العباد، أصله من اليمن، أدرك حياة النبي صلى الله عليه وسلم ولم يره، فوفد على عمر بن الخطاب، ثم سكن الكوفة، وشهد وقعة صفين مع علي، والراجح أنه قتل فيها.
انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد ٦/١٦١-١٦٥؛ لسان الميزان ١/٤٧١-٤٧٥؛ الأعلام ٢/٣٢.

(١١) أبو عمرو، ويقال: أبو عبد الله، عامر بن عبد الله بن عبد قيس، من بني العنبر، تابعي، اشتهر بالنسك، سكن البصرة، ومات ببيت المقدس في خلافة معاوية.
انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد ٧/١٠٣-١١٢؛ تهذيب التهذيب ٥/٧٧؛ الأعلام ٣/٢٥٢-٢٥٣.

وأبو مسلم الخولاني[1] ، وأمثالهم ، أعلى طبقة من هؤلاء ؛ وأبو ذر الغفاري ، وسلمان الفارسي ، وأبو الدرداء ، وأمثالهم ، أعلى طبقة من هؤلاء[2].

ومعلوم أن كل من سلك الى الله جل وعز[3] علما وعملا بطريق ليست مشروعة ، موافقة للكتاب والسنة وماكان عليه سلف الأمة وأئمتها - فلا بد أن يقع في بدعة قولية أو عملية ؛ فان السائر اذا سار على غير الطريق المَهْيَع فلابد أن يسلك بُنَيَّات الطريق[4] ، وان كان مايفعله الرجل من ذلك قد يكون مجتهدا فيه مخطئا مغفورا له خطأه ، وقد يكون ذنبا[5] ، وقد يكون فسقا ، وقد يكون كفرا.

بخلاف الطريقة المشروعة في العلم والعمل ؛ فانها أقوم الطرق ، ليس فيها عوج ؛ كما قال تعالى : (ان هذا القرآن يهدى للتي هي أقوم[6]) . وقال عبد الله بن مسعود : خط رسول الله صلى الله[7] عليه وسلم خطا ، وخط خطوطا عن يمينه وشماله ، ثم قال : (هذا سبيل الله ، وهذه سبل ، على كل سبيل منها شيطان يدعو اليه) ؛ ثم قرأ : (وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله[8]) . وقال الزهري : كان من مضى من علمائنا

---

(١) أبو مسلم عبد الله بن ثوب (بضم ففتح) الخولاني ، من خولان باليمن ، تابعي فقيه زاهد ، أسلم قبل وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم ولم يره ، فقدم المدينة في خلافة أبي بكر ، ورحل الى الشام ، وتوفي بدمشق سنة ٦٠ أو ٦٢ ، ذكر أنه ألقاه الأسود العنسي في النار فلم تضره. انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد ٧/٤٤٨ ؛ تذكرة الحفاظ ١/٤٩ ؛ البداية والنهاية ٨/١٤٦ ؛ تهذيب التهذيب ١٢/٢٣٥-٢٣٦ ؛ الأعلام ٤/٧٥.

(٢) ط: من هؤلاء فالتابعون.

(٣) جل وعز: ليست في (ط ، خ).

(٤) ك : بينات الطريق ؛ وفي هامش (س) : في نسخة ثنيات الطريق ، الثنية : العقبة أو طريقها ، أو الجبل أو الطريقة فيه ، قاموس . أ هـ
قلت : في "لسان العرب" مادة "هيع" : "طريق مَهْيَعٌ : واضح واسع بَيِّن " وفي مادة " بنى " : " بُنَيَّات الطريق : هي الطرق الصغار تشعب من الجادة ، وهي التُّرَّهات ".

(٥) ط: وقد يكون يفعله دينا.

(٦) سورة الاسراء : ٩.

(٧) س ، ك : الله تعالى.

(٨) سورة الأنعام : ١٥٣.
والحديث في مسند الامام أحمد (ط. المعارف) ٦/٨٩-٩٠ رقم ٤١٤٢ ، ٦/١٩٩ رقم ٤٤٣٧ ، وقال أحمد شاكر: "اسناده صحيح" ؛ وصحيح ابن حبان (موارد الظمآن ، ص ٤٣٠-٤٣١) ؛ ومستدرك الحاكم ٢/٣١٨ ، وقال عنه : هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه ؛ وسنن الدارمي ١/٦٧-٦٨ ؛ وتفسير الطبرى (ط. المعارف) ١٢/٢٣٠.

يقولون : الاعتصام بالسنة نجاة[1] . ولهذا قيل : مثل السنة مثل[2] سفينة نوح ، من ركبها نجا ، ومن تخلف عنها غرق .[3] وهو يروى عن مالك[3] .

ومن سلك الطريق الشرعية النبوية [الالهية[4]] لم يحتج في اثباتها[5] الى أن يشك في ايمانه الذى كان عليه قبل البلوغ ، ثم يحدث نظرا يعلم به وجود الصانع ؛ ولم يحتج الى أن يبقى شاكا مرتابا في كل شيء ، وانما كان مثل هذا يعرض لمثل الجهم بن صفوان وأمثاله ، فانهم ذكروا أنه بقى أربعين يوما لا يصلي ، حتى يثبت[6] أن له ربا يعبده[7] ؛ فهذه الحال[8] كثيرا ماتعرض للجهمية وأهل الكلام الذين ذمهم السلف والأئمة .

ص ١١٤ وأما المؤمن / المحض فيعرض له الوسواس ؛ فتعرض له الشكوك[9] والشبهات ، وهو يدفعها عن قلبه ، فان هذا لابد منه ؛ كما ثبت في الصحيح أن الصحابة قالوا : يارسول الله ، ان أحدنا ليجد في نفسه ما لأن يحترق حتى يصير حممة ، أو يخر من السماء الى الأرض ، أحب اليه من أن يتكلم به . فقال : (أوقد[10] وجدتموه ؟) . قالوا : نعم . قال : (ذلك صريح الايمان) وفي السنن من وجه آخر ، أنهم قالوا : ان أحدنا ليجد في نفسه مايتعاظم

---

(١) رواه الدارمي في سننه (١ / ٤٤) ، المقدمة ، باب اتباع السنة ، بسنده عن الزهرى .
(٢) خ : مثال السنة مثال ؛ س : مثال السنة مثل .
(٣-٣) مابينهما ساقط من (خ ،س) ، وقد ذكر السيوطي في كتاب " صون المنطق والكلام " ، ص ٥٧ أن أبا اسماعيل الهروي أخرجه عن مالك في كتابه " ذم الكلام " .

(٤) الالهية : ليست في (ك) .
(٥) خ ،س : اثباته .
(٦) ط: ثبت عنده .
(٧) أورد الامام أحمد في " الرد على الزنادقة والجهمية " (ضمن مجموع عقائد السلف، ص ٦٥- ٦٦) مناظرة جرت بين الجهم وأناس من المشركين السمنية جحدوا فيها الاله ،قال : " فتحير الجهم فلم يدر من يعبد أربعين يوما " . وذكر البخارى في " خلق أفعال العباد " (ضمن مجموع عقائد السلف ،ص ١٢٠) أن الجهم خاصمه بعض السمنية فشك فأقام أربعين يوما لا يصلي . وأنظر أيضا التسعينية لابن تيمية ، ص ٣٢- ٣٥ (ضمن المجلد الخامس من مجموعة فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية ، ط. كردستان ، القاهرة) .
(٨) ك : الحالة .
(٩) ط: لتعرض الشكوك .
(١٠) ط،ك : أفقد .

أن يتكلم به . فقال : (الحمد لله ، الذى رد كيده الى الوسوسة)[١] .

قال غير واحد من العلماء : معناه أن ماتجدونه في قلوبكم من كراهة [هذا] الوسواس[٢] ، والنفرة عنه ، وبغضه ، ودفعه ؛ هو صريح الايمان . وهذا من الزبد الذى قال الله[٣] فيه : (فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ماينفع الناس فيمكث في الأرض كذلك يضرب الله الأمثال[٤]) . وهذا مذكور في غير هذا الموضع ؛ وكلام[٥] السلف والأئمة فيما أحدث من الكلام ، وما أحدث من الزهد ، مبسوط في غير هذا الموضع .

والمقصود هنا أن تعرف[٦] مراتب الناس في العلم بالنبوة ، ومعرفة قدرها ، وتعدد الطرق في ذلك ؛ وأن عامة الطرق التي سلكها الناس في ذلك هي طرق مفيدة نافعة ، لكن تختلف مقادير فوائدها ومنافعها ، وفيها مايضر من وجه ، كما ينفع من وجه ، وفيها ماينتفع به من كان عديم الايمان أو ضعيف الايمان ،

---

(١) في صحيح مسلم (١١٩/١) رقم ١٣٢ كتاب الايمان ، باب بيان الوسوسة في الايمان ومايقوله من وجدها ؛ وسنن أبي داود (عون المعبود ١٤/١٤) كتاب الأدب ، باب في رد الوسوسة ؛ ومسند أحمد (ط. الحلبي) ٣٩٧/٢ ، ٤٤١ ، عن أبي هريرة ، قال : جاء ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فسألوه : انا نجد في أنفسنا مايتعاظم أحدنا أن يتكلم به . قال : (وقد وجدتموه ؟) قالوا : نعم . قال : (ذاك صريح الايمان) . هذا لفظ مسلم.
وفي سنن أبي داود ١٤/٥ ؛ ومسند أحمد (ط. المعارف) ٣٥١/٣ رقم ٢٠٩٧ ، ٥٩/٥ رقم ٣١٦١ عن ابن عباس قال : جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : يارسول الله : " اني أحدث نفسي بالشيء ، لأن أخر من السماء ، أحب الي من أن أتكلم به ؟ " قال : فقال النبي صلى الله عليه وسلم : (الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، الحمد لله الذى رد كيده الى الوسوسة) .
هذا لفظ رواية المسند رقم ٢٠٩٧ ، وأول الرواية رقم ٣١٦١ عن ابن عباس أنهم قالوا : "يارسول الله انا نحدث أنفسنا بالشيء ، لأن يكون أحدنا حممة أحب اليه من أن يتكلم به ؟ ". حممة يعني فحمه ، وقد صحح أحمد شاكر اسناد الحديث .

(٢) هذا الوسواس : كذا في (ط) ، وفي (خ ، س) : هذه الوساوس ، وفي (ك) : من كراهة الوساوس.

(٣) س ، ك : الله تعالى .

(٤) سورة الرعد : ١٧ . وفي هامش (خ) : بلغ .

(٥) ط : فكلام .

(٦) ط ، ك : يعرف .

فيحصل بـه لـه(١) بعض الايمان، أو يقوى ايمانه ؛ وان كان ذلك يضر من كان قوى الايمان، ويكون رجوعه اليه ردة في حقه ؛ بمنزلة من كان معتصما بحبل قـوى، وعروة وثقى لا انفصام لها ؛ فاعتاض عن ذلك بحبل ضعيف، يكاد ينقطع بـه ؛ وهذا باب يطول وصف حال الناس فيه.

تعليق على قول الغزالي ان طريقته تفيد العلم بالنبوة دون طريقة المعجزات

وأما ماذكره أبو حامد من أن هذه الطريقة التي سلكها تفيد العلم الضروري بالنبوة، دون طريقة المعجزات(٢) ؛ فالانسان خبير بما حصل له من العلم الضروري وغيره، وليس هو خبيرا بما حصل لغيره من ذلك، وكثير من أهل النظر والكلام يقولون نقيض هذا ؛ يقولون : لا يحصل العلم بالنبوة الا بطريقة المعجزات دون غيرها، كما قال ذلك(٣) أكثر أهل الكلام(٤) ومن اتبعهم، كالقاضي أبي بكر، والقاضي أبي يعلى، وأبي المعالي، والمازري، وأمثال هؤلاء. والتحقيق ماعليه أكثر الناس، أن العلم بالنبوة يحصل بطرق متعددة : المعجزات وغير المعجزات، ويحصل له العلم الضروري بها، كما ذكره أبو حامد، بل يحصل له العلم الضروري بالنبوة على الجمل كما ذكره(٥).

وعامة من حصر العلم بهذا أو غيره في طريق معينة، وزعم أنه لا يحصل بغيرها، فانه يكون مخطئا، وهذا كثيرا مايسلكه(٦) كثير من أهل الكلام في اثبات العلم بالصانع، أو اثبات حدوث العالم، أو اثبات التوحيد، / أو العلم بالنبوة، أو غير ذلك ؛ يسلك أحدهم طريقا يزعم أنه لا يحصل العلم الا بها، وقد تكون طريقا فاسدة، وربما قدح خصومه في طريقه الصحيحة، وادعوا أنها فاسدة.

ص ١١٥

---

(١) لـه : ساقطة من (خ، س).
(٢) انظر فيما سبق، ص ٥٢٢-٥٢٤.
(٣) ذلك : ساقطة من (خ، س).
(٤) ط : كثير من أهل الكلام.
(٥) ط : بالنبوة على ماذكره.
(٦) ك : وهذا كثير ماسلكه.

وكثيرا مايكون سبب[1] العلم الحاصل في القلب ،غير الحجة الجدلية التي يناظر بها غيره ؛ فان الانسان يحصل له العلم بكثير من المعلومات ، بطرق وأسباب قد لا يستحضرها ولا يحصيها ، ولو استحضرها لا توافقه[2] عبارته على[3] بيانها ؛ ومع هذا فاذا طلب منه بيان الدليل الدال على ذلك،قد لا يعلم دليلا يدل به غيره ،اذآ لم يكن ذلك الغير شاركه في سبب العلم ؛ وقد لا يمكنه التعبير عن الدليل ان تصوره، فالدليل الذى يعلم به المناظر[4] شيء، والحجة التي يحتج بها المناظر[4] شيء آخر ؛ وكثيرا مايتفقان كما[5] يفترقان ؛ وليس هذا موضع بسط ذلك ،وانما المقصود التنبيه على تعدد طرق العلم بالنبوة[6] وغيرها .

وكلام أكثر الناس في هذا الباب ونحوه على درجات متفاوتة ، فيحمد كلام الرجل بالنسبة الى من دونه ، وان كان مذموما بالنسبة الى من فوقه ،اذ الايمان يتفاضل ، وكل له من الايمان بقدر ماحصل له منه .

تكلّم العلماء في الغزالي

ولهذا كان أبو حامد مع مايوجد في كلامه من الرد على الفلاسفة، وتكفيره لهم ، وتعظيم النبوة ، وغير ذلك ؛ ومع مايوجد فيه [من][7] أشياء صحيحة حسنة ، بل عظيمة القدر نافعة ـ يوجد[8] في بعض كلامه مادة فلسفية ، وأمور أضيفت اليه توافق أصول الفلاسفة الفاسدة ؛ المخالفة للنبوة ، بل المخالفة لصريح العقل . حتى تكلم فيه جماعات من علماء خراسان والعراق والمغرب؛

---

(١) ط: بسبب.
(٢) خ ،س : لا تواتيه .في لسان العرب،مادة " أتى ": " المواتاة : حسن المطاوعة والموافقة ".
(٣) خ ،س : في .
(٤) ط: الناظر (في الموضعين) .
(٥) ط: ولا (بدلا من كما) ،خ : كما قد .
(٦) ط: طرق العلم في العلم بالنبوة .
(٧) من : ليست في (ط،خ ،س ،ك) ،ولعل الصواب اثباتها .
(٨) يوجد كذا في (ك) ،وهي ساقطة من (خ ،س) ، وفي (ط) : ولهذا كان أبو حامد يوجد . . .وغير ذلك مما يوجد فيه أشياء . . . نافعة ويوجد .

كرفيقه أبي اسحاق المرغيناني[1]، وأبي الوفاء بن عقيل[2]، و[بني] القشيري[3] والطرطوشي[4]، وابن رشد، والمازري، وجماعات من الأولين[5]،حتى ذكر ذلك الشيخ

---

(١) ط: المرغياني؛ خ،س: حتى تكلم فيه جماعات كرفيقه أبي اسحاق المرغيناني وعلماء العراق. وقد رجعت لترجمة الغزالي في كتاب " سير أعلام النبلاء " للذهبي، وفي كتاب " طبقات الشافعية الكبرى " للسبكي، وتصفحت كتاب " سيرة الغزالي وأقوال المتقدمين فيه " لعبد الكريم العثمان، ولم يرد في هذه الكتب ذكر للمرغيناني لا رفيقا للغزالي ولا متكلما فيه.
وشيخ الاسلام ابن تيمية ذكره في عدد من كتبه فيمن تكلم في الغزالي، لكن كناه هنا " أبا اسحاق "، وفي كتاب " النبوات " ص ٨٢ " أبا نصر "، وفي كتاب " درء تعارض العقل والنقل ٦/ ٢٣٩ " أبا الحسن "، وفي هذه المواضع الثلاثة يذكر أنه رفيق للغزالي.
وكناه بأبي الحسن أيضا في موضعين من كتاب " الصفدية " ١/ ٢١٠، ٢٥٠، وقال في الموضع الأول: انه من أصحاب أبي المعالي، وقال في الثاني: انه من أتباع أبي المعالي الجويني.
وهناك أبو الحسن علي بن أبي بكر بن عبد الجليل المرغيناني (نسبة الى مرغينان من نواحي فرغانة)، ولد سنة ٥٣٠، وتوفي سنة ٥٩٣، وهو أحد أئمة الحنفية، صنف في الفقه والفرائض وغيرها.
انظر: الجواهر المضية في طبقات الحنفية ١/ ٣٨٣- ٣٨٤؛ الفوائد البهية في تراجم الحنفية، ص ١٤٠- ١٤٤؛ الأعلام ٤/ ٢٦٦.
لكن هذا المرغيناني متأخر قليلا، لا يمكن أن يكون صاحبا للغزالي المتوفي سنة ٥٠٥، ولا للجويني المتوفي سنة ٤٧٨ من باب أولى.

(٢) وأبي الوفاء بن عقيل: ساقطة من (خ،س).

(٣) وبني القشيري: كذا في (خ،س)، وفي (ط،ك): والقشيري. وفي كتاب " الصفدية " قال ابن تيمية في نفس الموضوع (١/ ٢١٠): "... وكما تكلم فيه أهل بيت القشيري وأتباعه "، وفي (١/ ٢٥٠) " وأنكروا عليه ... كما فعل أتباع أبي القاسم القشيري ... ".
وقال في كتاب النبوات، ص ٨٢ " وأبو نصر القشيري وغيره ذموه على الفلسفة ... الخ "، وذكر أيضا أبا نصر القشيري فيمن ذم الغزالي في درء تعارض العقل والنقل ٦/ ٢٣٩.
وقد تقدمت ترجمة أبي القاسم القشيري، وأبو نصر هذا ابنه، وهو عبد الرحيم بن عبد الكريم بن هوازن القشيري، شافعي، أشعري، واعظ، توفي بنيسابور سنة ٥١٤، تقدمت الاشارة الى الفتنة التي وقعت بسببه ببغداد بين الحنابلة والأشاعرة.
انظر: تبيين كذب المفتري، ص ٣٠٨- ٣١٧؛ العبر ٤/ ٣٣؛ طبقات الشافعية الكبرى ٧/ ١٥٩- ١٦٩؛ شذرات الذهب ٤/ ٤٥؛ الأعلام ٣/ ٣٤٦.

(٤) ط: والطرسوسي.
وهو أبو بكر محمد بن الوليد بن محمد بن خلف بن سليمان بن أيوب الفهري الطرطوشي ويعرف بابن أبي رندقة، الفقيه المالكي الزاهد، أصله من طرطوشة مدينة شرق الأندلس، نشأ بها، ثم تحول لغيرها من بلاد الأندلس وصحب القاضي أبا الوليد الباجي، ثم رحل الى المشرق، وأقام بالشام مدة، ثم سكن الاسكندرية وتوفي فيها سنة ٥٢٠ وكانت ولادته حوالي سنة ٤٥١.
انظر: وفيات الأعيان ٤/ ٢٦٢- ٢٦٥؛ العبر ٤/ ٤٨؛ الديباج المذهب، ص ٢٧٦- ٢٧٨؛ شذرات الذهب ٤/ ٦٢؛ شجرة النور الزكية ١/ ١٢٤- ١٢٥؛ الأعلام ٧/ ١٣٣- ١٣٤.

(٥) عبارة " وجماعات من الأولين ": ساقطة من (خ،س).

أبو عمرو بن الصلاح[١] " فيما جمعه من طبقات أصحاب الشافعي "، وقرره[٢] الشيخ أبو زكريا النووي[٣] .

كلام ابن الصلاح في الغزالي

قال في هذا الكتاب[٤] : " فصل ، لبيان[٥] أشياء مهمة أنكرت على الامام الغزالي في مصنفاته ، ولم يرتضها أهل مذهبه وغيرهم ، من الشذوذ في تصرفاته : منها قوله في مقدمة المنطق في أول " المستصفى " : " هذه مقدمة العلوم كلها ، ومن لا يحيط بها فلا ثقة له بعلومه أصلا[٦] " .

---

(١) هو أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن بن عثمان - أو ابن موسى - الكردي ، المعروف بابن الصلاح ، ولد في شرخان قرب شهر زور سنة ٥٧٧ ، وتفقه وسمع الحديث في الموصل وخراسان وغيرها ، ثم استوطن دمشق وبها توفي سنة ٦٤٣هـ ، كان بارعا في الفقه الشافعي وفي الحديث وعلومه ، مشاركا في فنون عدة .
انظر: وفيات الأعيان ٣/٢٤٣-٢٤٥ ؛ تذكرة الحفاظ ٤/١٤٣٠-١٤٣٣ ؛ طبقات الشافعية الكبرى ٨/٣٢٦-٣٣٦ ؛ البداية والنهاية ١٣/١٦٨-١٦٩ ؛ شذرات الذهب ٥/٢٢١-٢٢٢ ؛ الأعلام ٤/٢٠٧-٢٠٨ .

(٢) ط: وكمله عنه .

(٣) هو أبو زكريا يحيى بن شرف بن مرى بن حسن بن حسين الحزامي النووي ، ولد سنة ٦٣١ بنوى : بليدة من أعمال حوران قرب دمشق ، وقدم دمشق وأقام بها ، توفي سنة ٦٧٦ شافعي ، أحد الأعلام في الفقه والحديث .
انظر: تذكرة الحفاظ ٤/١٤٧٠-١٤٧٤ ؛ طبقات الشافعية الكبرى ٨/٣٩٥-٤٠٠ ؛ البداية والنهاية ١٣/٢٧٨-٢٧٩ ؛ شذرات الذهب ٥/٣٥٤-٣٥٦ ؛ الأعلام ٨/١٤٩-١٥٠ .

(٤) سأقابل النصوص التالية على نسخة خطية للكتاب في مكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة (الرقم العام ٣٩٧١ ، رقم التصنيف ٢٢٥/٩٠٠) وعنوانه " كتاب منتخب طبقات الشافعيين : منتخب من كتاب الامام أبي عمرو عثمان بن عبد الرحمن بن الصلاح ، انتخبه الامام أبو زكريا يحيى ابن شرف النووي ، وفيه من زياداته " .
وهذه المخطوطة غير مرقمة ، وجاءت ترجمة الغزالي في بداية الثلث الثاني منها تقريبا .

(٥) س : فصل بيان ؛ ك : فصل في بيان .

(٦) كتب الغزالي في أول كتاب " المستصفى من علم الأصول " (ط. الأولى ١٣٥٦هـ - ١٩٣٧م . المكتبة التجارية بمصر) الجزء الأول من ص٧ الى ص٣٥ مقدمة منطقية قال في أولها : " نذكر في هذه المقدمة مدارك العقول وانحصارها في الحد والبرهان ، ونذكر شرط الحد الحقيقي ، وشرط البرهان الحقيقي وأقسامهما على منهاج أوجز مما ذكرناه في كتاب " محك النظر " وكتاب " معيار العلم " .
وليست هذه المقدمة من جملة علم الأصول ، ولا من مقدماته الخاصة به ، بل هي مقدمة العلوم كلها ، ومن لا يحيط بها فلا ثقة له بعلومه أصلا ... " .

قال الشيخ أبو عمرو[١] : سمعت الشيخ العماد بن يونس[٢]، يحكي عن يوسف الدمشقي - مدرس النظامية ببغداد[٣]، وكان من النظار المعروفين[٤] - أنه كان ينكر هذا الكلام ؛ ويقول : فأبو بكر وعمر، وفلان وفلان لا يعني أن أولئك السادة[٥] عظمت حظوظهم من الثَّلَج[٦] واليقين، ولم يحيطوا بهذه المقدمة وأسبابها[٧].

قال الشيخ أبو عمرو[٨] : فذكرت[٩] بهذا ماحكى صاحب " كتاب الامتاع والموءانسة " - [١٠] يعني أبا حيان التوحيدى[١٠] - أن الوزير ابن الفرات[١١] احتفل

---

(١) أبو عمرو: ليست في " منتخب ".
(٢) هو أبو حامد محمد بن يونس بن محمد بن منعة، الملقب عماد الدين، ولد سنة ٥٣٥ بقلعة اربل، ونشأ بالموصل حيث تفقه على والده، ثم رحل الى بغداد فتفقه بها على يوسف الدمشقي وغيره، وعاد الى الموصل ودرّس بها في عدة مدارس، وانتهت اليه رئاسة الشافعية بالموصل، وتوفي بها سنة ٦٠٨.
انظر وفيات الأعيان ٤/٢٥٣-٢٥٥ ؛ العبر ٥/٢٨-٢٩ ؛ طبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٨/١٠٩-١١٣ ؛ البداية والنهاية ١٣/٦٢ ؛ الأعلام ٧/١٦٠.
(٣) منتخب : نظامية بغداد.
(٤) هو يوسف بن عبدالله بن بندار الدمشقي، ولد بدمشق سنة ٤٩٠، وتفقه ببغداد، وبرع في المذهب الشافعي، درّس في النظامية وغيرها، وكان أشعريا مناظرا، توفي سنة ٥٦٣.
انظر: البداية والنهاية ١٢/٢٥٥ ؛ طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ٢/٢٤-٢٥.
(٥) في " منتخب " بعد كلمة " السادة " علق بخط مغاير : الذين.
(٦) في لسان العرب مادة " ثلج " : " وثلجت نفسي بالشيء ثلجا، وثلجت تثلج وتثلج ثلوجا، اشتفت به واطمأنت اليه، وقيل : عرفته وسرت به ".
(٧) ط : شيئا وبها، منتخب : وأشباهها.
(٨) أبو عمرو: ليست في " منتخب ".
(٩) ط، ك : قد ذكرت ؛ منتخب: تذكرت.
(١٠-١٠) مابينهما من ابن تيمية للايضاح.
وأبو حيان هو علي بن محمد بن العباس التوحيدى، (قيل : نسبة الى نوع من التمر يسمى " التوحيد "، وقيل : نسبة الى توحيد الله على طريقة المعتزلة في زعمهم أنهم أهل التوحيد، شيرازى الأصل، وقيل نيسابورى، كان معتزليا فيلسوفا، صوفيا، أديبا، رمي بالزندقة، توفي في حدود سنة ٣٨٠.
انظر: معجم الأدباء ١٥/٥-٢٥ ؛ لسان الميزان ٧/٣٨-٤١ ؛ بغية الوعاة ٢/١٩٠-١٩١ ؛ الأعلام ٤/٣٢٦.
وقد طبع كتابه " الامتاع والمؤانسة " في ثلاثة أجزاء، بتحقيق أحمد أمين وأحمد الزين (ط. لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٣٩م القاهرة.
(١١) هو أبو الحسن علي بن محمد بن موسى بن الحسن بن الفرات، ولاه المقتدر بالله العباسي الوزارة وعزله مرات، وفي آخرها سنة ٣١٢ عزله وقتله، وكان داهية، أديبا كريما.
انظر: وفيات الأعيان ٣/٤٢١-٤٢٩ ؛ البداية والنهاية ١١/١٥١-١٥٢ ؛ الأعلام ٤/٣٢٤.

مجلسه ببغداد، بأصناف من الفضلاء، من المتكلمين وغيرهم[1]، وفي المجلس متّى، الفيلسوف النصراني[2]؛ فقال الوزير: / أريد أن ينتدب منكم انسان لمناظرة متى، في قوله: انه لا سبيل الى معرفة الحق من الباطل، والحجة من الشبهة، والشك من اليقين، الا بما حويناه من المنطق، واستفدناه من واضعه على مراتبه[3]. فانتدب له أبو سعيد السيرافي - وكان فاضلا في علوم غير النحو[4] - فكلمه[5] في ذلك حتى أفحمه وفضحه" قال[6]: "وليس هذا موضع التطويل بذكره[7]".

ص ١١٦

قال الشيخ أبو عمرو[8]: وغير خاف استغناء العقلاء والعلماء قبل واضع المنطق أرسطاطاليس وبعده ومعارفهم[9] الجمة عن تعلم المنطق، وانما المنطق عندهم، بزعمهم: آلة قانونية[10] صناعية، تعصم الذهن من[11] الخطأ. وكل ذي ذهن صحيح منطقي بالطبع".

(١) منتخب: وغيرهم وفيهم الأشعري.
(٢) هو أبو بشر متى بن يونس - أو ابن يونان - نصارني من أهل دير قنى (دير قريب من بغداد)، نزل بغداد، وانتهت اليه رئاسة المنطقيين في عصره، له كتب، توفي سنة ٣٢٨.
انظر: الفهرست للنديم (ط. مصر)، ص ٣٦٨-٣٦٩؛ تاريخ الحكماء للقفطي، ص ٣٢٣؛ عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص ٣١٧.
(٣) منتخب: مراتب.
(٤) هو أبو سعيد الحسن بن عبدالله بن المرزبان السيرافي (نسبة الى سيراف بليدة من أرض فارس)، سكن بغداد، وولي القضاء بها نيابة، وكان عالما باللغة والنحو والقراءات والفرائض والحساب وغير ذلك، له شرح كتاب سيبويه، وهو ينتحل في الفقه مذهب أبي حنيفة، ونسبه بعضهم الى الاعتزال، وكان أبوه مجوسيا فأسلم، توفي أبو سعيد سنة ٣٦٨ ببغداد، وعمره ٨٤ سنة.
انظر: طبقات النحويين واللغويين، ص ١١٩؛ تاريخ بغداد ٧/٣٤١-٣٤٢؛ معجم الأدباء ٨/١٤٥-٢٣٢؛ وفيات الأعيان ٢/٧٨-٧٩؛ البداية والنهاية ١١/٢٩٤؛ الأعلام ٢/١٩٥-١٩٦.
(٥) ط، ك: غير النجوم، وكلمه.
(٦) ط، ك: قال أبو محمد. والكلام التالي في "منتخب" بعد الكلام السابق مباشرة.
(٧) خبر هذه المناظرة وتفصيلها في كتاب "الامتاع والمؤانسة" لأبي حيان ج ١ ص ١٠٧-١٢٨. وفي هامش (س) وهامش (ك) ذكر أن ياقوتا الحموي ذكر هذه المناظرة في كتابه "معجم الأدباء" في ترجمة أبي سعيد السيرافي، وهو كذلك ج ٨ ص ١٩٠-٢٢٨ نقلا عن أبي حيان.
(٨) قال الشيخ أبو عمرو: ليست في "منتخب".
(٩) ك: مع معارفهم.
(١٠) قانونية: ليست في "منتخب".
(١١) ط، منتخب: عن.

قال[1] " فكيف غفل الغزالي عن حال شيخه امام الحرمين ، ومن[2] قبله ، من كل امام هو له مقدم ،ولمحله في تحقيق الحقائق رافع ومعظم ،ثم لم[3] يرفع أحد منهم بالمنطق رأسا ، ولا بنى عليه في شيء من تصرفاته أسا[4]. ولقد أتى بخلطه المنطق بأصول الفقه بدعة ، عظم[5] شؤمها على المتفقهة، حتى كثر فيهم بعد ذلك المتفلسفة[6] ، والله المستعان ".

كلام المازرى في الغزالي

قال[7]: " ولأبي عبدالله المازرى ، الفقيه ،المتكلم ، الأصولي ، وكان اماما محققا ،بارعا في مذهبي مالك والأشعرى ، وله تصانيف في فنون ، منها[8] " شرح الارشاد والبرهان " لامام الحرمين - رسالة يذكر فيها حال الغزالي وحال كتابه " الاحياء[9] "، أصدرها في حيوة[10] الغزالي ،جوابا لما كوتب به من الغرب والشرق[11] ، في سؤاله عن ذلك عند اختلافهم في ذلك؛ فذكر فيها ما اختصاره[12] :

---

(١) بعد الكلام السابق مباشرة .
(٢) منتخب : فمن .
(٣) منتخب : ومعظم ،لم لم .
(٤) الأس : أصل البناء ،وكذلك الأساس . انظر " الصحاح " مادة " أسس ".
(٥) ط: عظيم .
(٦) خ ،س : حتى كثر بعد ذلك منهم المتفلسفة . وفي (خ) بعد كلمة " كثر " سهم يشير للهامش وكتب فيه : فيهم .
(٧) بعد الكلام السابق مباشرة .
(٨) ط،خ : منها في .
(٩) في هامش (س) : قال الشيخ أحمد بن عيسى بن زروق المالكي المغربي الفاسي - المتوفى على مافي كتاب الدوح الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشائخ القرن العاشر لمحمد بن عمر حسين المعروف بابن عسكر سنة تسعمائة وثلاثين - في كتابه " تأسيس القواعد والأصول وتحصيل الفوائد لذوى الوصول" مانصه " قاعدة ، حذر الناصحون من " تلبيس ابليس" لابن الجوزى ، و " فتوحات الحاتمي " ،بل كل كتبه أو جلها ، وكابن سبعين ،وابن الفارض ،وابن أجلا ،وابن دوسكين ، والعفيف التلمساني ، والايكي العجمي ، والأسود الأقطع ،وأبي اسحاق التجيبي ،والششترى، ومواضع من " الاحياء " للغزالي ،جلها في " المهلكات " منه ،و " النفخ والتسوية " له ،و "المضنون به على غير أهله " و " معراج السالكين" له ،و " المنقذ" ،ومواضع من " قوت أبى طالب المكي "، وكتاب السهروردى ونحوهم.
فلزم الحذر من موارد الغلط،لا تجتنب الجملة ومعاداة العلم، ولا يتم ذلك الا بثلاث : قريحة صادقة ،وفطرة سليمة ،وأخذ مابان وجهه وتسليم ماعداه ، والا هلك الناظر فيه باعتراض على أهل، أو أخذ الشيء على غير وجهه فافهم " انتهى . الفقير م ى .
(١٠) خ : حياة ، ط: في حال حياة ، ك : في حال حيوة .
(١١) منتخب : من المغرب والمشرق .
(١٢) س : ما اقتصاره .

أن الغزالي كان قد خاض في علوم ، وصنف فيها ، واشتهر بالامامة في اقليمه[١] حتى تضاءل له المنازعون ؛ واستبحر في الفقه وفي أصول الفقه، وهو بالفقه أعرف .

وأما أصول الدين فليس بالمستبحر فيها[٢]، شغله عن ذلك قراءته علوم الفلسفة ، وكسبته قراءة الفلسفة جراءة[٣] على المعاني ، وتسهيلا للهجوم على الحقائق ؛ لأن الفلاسفة تمر مع خواطرها ، وليس لها شرع يزعمها ، ولا تخاف من مخالفة أئمة تتبعها ، فلذلك خامره ضرب من الادلال على المعاني فاسترسل فيها استرسال من لا يبالي بغيره .

قال[٤]: وقد عرفني بعض أصحابه أنه كان له عكوف على قراءة " رسائل اخوان الصفا " ؛ وهذه الرسائل هي احدى وخمسون رسالة ،كل رسالة مستقلة بنفسها ؛ وقد ظن في مؤلفها ظنون ، وفي الجملة هو -[٥]يعني واضع الرسائل[٥] - رجل فيلسوف ،قد خاض في علوم الشرع ، فمزج مابين العلمين ، وحسّن الفلسفة / في قلوب أهل الشرع بآيات وأحاديث يذكرها عندها .

ص ١١٧

ثم انه كان في هذا الزمان المتأخر فيلسوف يعرف بابن سينا ، ملأ الدنيا تآليف[٦] في علوم الفلسفة ،وكان ينتمي الى الشرع ، ويتحلى بحلية المسلمين ، وأداه قوته في علم الفلسفة الى أن تلطف[٧] جهده في رد أصول العقائد الى علم الفلسفة ، وتم له من ذلك مالم يتم لغيره من الفلاسفة ".

قال[٨] :" ووجدت هذا الغزالي يعول عليه في أكثر مايشير اليه في علوم الفلسفة ، حتى انه في بعض الأحايين[٩] ينقل نص كلامه من غير تغيير،

---

(١) منتخب : في اقليمه ، وبرع .
(٢) ط: فيه .
(٣) خ ،منتخب : جراة .
(٤) ط،منتخب : وقال .
(٥-٥) مابينهما زيادة من ابن تيمية للايضاح .
(٦) خ ،منتخب : تواليف .
(٧) منتخب : يلطف .
(٨) بعد الكلام السابق مباشرة .
(٩) س : الأحيان .

وأحيانا يغيره وينقله الى الشرعيات أكثر مما[1] نقل ابن سينا ؛ لكونه أعلم بأسرار الشرع منه ، فعلى ابن سينا ومؤلف " رسائل اخوان الصفا " عول الغزالي في علم الفلسفة .

قال : وأما مذاهب[2] المتصوفة[3] فلست أدرى على من عول فيها ، ولا من ينتسب[4] اليه في علمها . قال : وعندى أنه على أبى حيان التوحيدى الصوفي عول في[5] مذاهب الصوفية ؛ وقد أعلمت أن أبا حيان هذا ألف ديوانا عظيما في هذا الفن ، ولم يصل الينا منه شيء[6] .

ثم ذكر أن في " الاحياء " فتاوى مبناها على مالا حقيقة له ، مثل مااستحسن في قص الأظفار أن يبدأ بالسبابة ؛ لأن لها الفضل على بقية الأصابع لكونها المسبحة ، ثم بالوسطى لأنها ناحية اليمين ، ثم باليسرى على هيئة دائرة . وكأن الأصابع عنده دائرة ، فاذا أدار أصابعه مر عليها مرور الدائرة ، حتى يختم بابهام اليمنى ، هكذا حدثني به من[7] أثق به عن الكتاب[8] .

---

(١) منتخب : من .
(٢) س : مذهب .
(٣) ط : الصوفية .
(٤) منتخب : من عول عليه فيها ، ولا الى من ينسب .
(٥) ط،ك : عول على .
(٦) ط،خ : منتخب : الينا شيء منه .
(٧) منتخب : حدثني بعض من .
(٨) قال الغزالي في " احياء علوم الدين " ١٤١/١ : " ولم أر في الكتب خبرا مرويا في ترتيب قلم الأظفار ، ولكن سمعت أنه صلى الله عليه وسلم بدأ بمسبحته اليمنى وختم بابهامه اليمنى ، وابتدأ في اليسرى بالخنصر الى الابهام [قال العراقي في " المغني عن حمل الأسفار " بهامش " الاحياء " : " لم أجد له أصلا ، وقد أنكره أبو عبدالله المازرى في " الرد على الغزالي " وشنع عليه به "] ولما تأملت في هذا خطر لي من المعنى مايدل على أن الرواية فيه صحيحة . ... فالذى لاح لي فيه - والعلم عند الله سبحانه - أنه لا بد من قلم أظفار اليد والرجل ، واليد أشرف من الرجل فيبدأ بها ، ثم اليمنى أشرف من اليسرى فيبدأ بها ، ثم على اليمنى خمسة أصابع ، والمسبحة أشرفها اذ هي المشيرة في كلمتي الشهادة من جملة الأصابع ، ثم بعدها ينبغي أن يبتدىء بما على يمينها ؛ اذ الشرع يستحب ادارة الطهور وغيره على اليمين [**وقال بعد كلام** رجح فيه أن الوسطى هي التي على اليمين لا الابهام] ثم اذا وضعت الكف على الكف صارت الأصابع في حكم حلقة دائرة ، فيقتضي ترتيب الدور الذهاب عن يمين المسبحة ، الى أن يعود الى المسبحة ، فتقع البداءة بخنصر اليسرى والختم بابهامها ، ويبقى ابهام اليمنى فيختم به التقليم ... " .

قال[1]: " فانظر الى هذا [الخباط[2]] كيف أفاده قراءة الهندسة وعلم الدوائر وأحكامها أن نقله[3] الى الشرع، فأفتى به المسلمين ".

قال: " وحمل الي بعض الأصحاب من[4] هذا الاملاء الجزء الأول، فوجدته يذكر فيه أن من مات بعد بلوغه ولم يعلم[5] أن الباري[6] قديم، مات مسلما اجماعا.[7] ومن تساهل في حكاية الاجماع في مثل[8] هذا، الذي الأقرب أن يكون فيه الاجماع بعكس ماقال؛ فحقيق[9] أن لا يوثق بكل مانقل[10]، وأن يظن به التساهل في رواية مالم يثبت عنده صحته ".

قال[11]: " ثم تكلم المازري في محاسن " الاحياء " ومذامه، ومنافعه ومضاره، بكلام طويل، ختمه بأن لم يكن عنده من البسطة في العلم [12]مايعتصم به من غوائل هذا الكتاب فان قراءته لاتجوز له، وان كان فيه ماينتفع به؛ ومن كان عنده من العلم[12] ما يأمن به على نفسه من غوائل هذا الكتاب، ويعلم مافيه من

---

(١) في " منتخب " بعد الكلام السابق مباشرة.
(٢) الخباط: كذا في (خ، س)، وفي (ط): الخياط؛ وفي " منتخب " يمكن قراءتها الخياط، بالياء؛ وسقطت من (ك).
(٣) منتخب: ينقله.
(٤) ط: حين.
(٥) في هامش " منتخب ": يعرف، وفوقها حرف (خ) وهو يعني أن هذه اللفظة في نسخة أخرى.
(٦) منتخب: الباري تعالى.
(٧) يقول الغزالي في احياء علوم الدين ١/٢١ " ... فاذا بلغ الرجل العاقل بالاحتلام أو السن ضحوة نهار مثلا، فأول واجب عليه تعلم كلمتي الشهادة وفهم معناهما، وهو قول: لا اله الا الله محمد رسول الله. وليس يجب عليه أن يحصل كشف ذلك لنفسه بالنظر والبحث وتحرير الأدلة، بل يكفيه أن يصدق به ويعتقده جزما... فاذا فعل ذلك فقد أدى واجب الوقت". ثم يقول ١/٢٢: " وأما الاعتقادات وأعمال القلوب فيجب علمها بحسب الخواطر، فان خطر له شك في المعاني التي تدل عليها كلمتا الشهادة فيجب عليه تعلم مايتوصل به الى ازالة الشك، فان لم يخطر له ذلك ومات قبل أن يعتقد أن كلام الله سبحانه قديم، وأنه مرئي، وأنه ليس محلا للحوادث؛ الى غير ذلك مما يذكر في المعتقدات فقد مات على الاسلام اجماعا ".
(٨) ك: مثله.
(٩) ط: فخليق.
(١٠) ط، ك: ماينقل.
(١١) في " منتخب " بعد الكلام السابق مباشرة.
(١٢-١٢) مابينهما ساقط من (ط).

الرموز ، فيجتنب مقتضى ظواهرها ، ويكل أمر مؤلفها الى الله تعالى ، ان[1] كانت كلها تقبل التأويل - فقراءته له[2] سائغة ، وينتفع به ؛ اللهم الا أن يكون قارئه ممن[3] يقتدى به ويغتر به ، فانه ينهى عن قراءته ، وعن مدحه والثناء عليه .

قال : ولولا أن علمنا أن[4] املاءنا هذا انما يقرؤه الخاصة ، ومن عنده علم يأمن به على نفسه ؛ لم نتبع محاسن / هذا الكتاب بالثناء ، ولم نتعرض لذكرها ؛ ولكنا نحن أمنا من التغرير ، ولئلا يظن أيضا من يتعصب للرجل أنا جانبنا الانصاف في الكلام على كتابه ، ويكون اعتقاده هذا فينا سببا لئلا يقبل نصيحتنا . قال الشيخ أبو عمرو : هذا[5] آخر مانقلناه عن المازرى " .

ص ١١٨

تعقيب ابن تيمية على كلام المازرى

قلت : ماذكره المازرى في مادة أبى حامد من الصوفية ، فهو كما قال المازرى عن نفسه : لم يدر على من عول فيها ؛ ولم يكن للمازرى من الاعتناء بكتب الصوفية وأخبارهم ومذاهبهم ماله من الاعتناء بطريقة الكلام ، ومايتبعه من الفلسفة ونحوها ؛ فلذلك لم يعرف ذلك ؛ ولم تكن مادة أبى حامد من كلام أبى حيان التوحيدى وحده ، بل[6] ولاغالب كلامه منه ؛ فان[7] أبا حيان تغلب عليه الخطابة والفصاحة ، وهو مركب من فنون أدبية وفلسفية وكلامية وغير ذلك ؛ [8]وان كان قد شهد عليه بالزندقة غير واحد ، وقرنوه بابن الراوندى[9] ، كما ذكر ذلك ابن عقيل وغيره[8] .

---

(١) ان : كذا في : (ط، منتخب) ، وفي (خ ،س ،ك) : وان .
(٢) خ ،س، منتخب: لها . وأمام هذا الموضع في هامش (ط) كلمة " قوبل " .
(٣) ك : من .
(٤) ط : أنا علمنا أن ،ك : علمنا أنا ان .
(٥) س ،ك : وهذا ؛ منتخب : نصيحتنا والله أعلم ، هذا .
(٦) بل : ساقطة من (خ ،س) .
(٧) خ ،س : وان .
(٨-٨) مابينهما ساقط من (خ ،س) .
(٩) هو أبو الحسين أحمد بن يحيى بن اسحاق الراوندى ، أو ابن الراوندى (نسبة الى راوند قرية من قرى قاشان بنواحي أصبهان) سكن بغداد ، أحد مشاهير الزنادقة ، كان أولا من المعتزلة ثم تزندق واشتهر بالالحاد وصنف فيه كتبا ، توفي سنة ٢٩٨ ، ويقال : ان أباه كان يهوديا فأظهر الاسلام .
انظر: المنتظم ٦/ ٩٩-١٠٥ ؛ وفيات الأعيان ١/ ٩٤-٩٥ ؛ الوافي بالوفيات ٨/ ٢٣٢-٢٣٨ ؛ البداية والنهاية ١٠/ ٣٤٦-٣٤٧ ، ١١/ ١١٢-١١٣ ؛ لسان الميزان ١/ ٣٢٣-٣٢٤ ؛ الأعلام ١/ ٢٦٧-٢٦٨ .

وانما كان غالب استمداد أبى حامد من كتاب أبى طالب المكي ، الذى سماه " قوت القلوب " ؛ ومن كتب الحارث المحاسبي : [الرعاية[1]] وغيرها ، ومن رسالة القشيرى[2] ؛ ومن منثورات وصلت اليه من كلام المشايخ .

ومانقله[3] في " الاحياء " عن الأئمة في ذم الكلام ، فانه نقله من كتاب أبى عمرو ابن عبدالبر في " فضل العلم وأهله " ؛ ومانقله فيه من الأدعية والأذكار نقله[4] من كتاب " الذكر " لابن خزيمة[5] ، ولهذا كانت أحاديث هذا الباب جيدة .[3]

وقد جالس من اتفق له من مشايخ الطرق[6] ، لكنه يأخذ من كلام الصوفية في الغالب مايتعلق بالأعمال والأخلاق والزهد والرياضة والعبادة ، وهي التي يسميها " علوم المعاملة " ؛ وأما التي يسميها " علوم المكاشفة " ، ويرمز اليها في " الاحياء " وغيره[7] ، ففيها يستمد[8] من كلام المتفلسفة[9] وغيرهم ؛ كما في " مشكاة الأنوار " و " المضنون به على غير أهله[10] " وغير ذلك .

---

(١) الرعاية : ساقط من (س ، ك) .
وقد طبع كتاب " الرعاية لحقوق الله " للحارث المحاسبي ، غير مرة ، منها (ط. السعادة) ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م بتحقيق الدكتور عبدالحليم محمود وعبدالقادر أحمدعطا .

(٢) سبق ذكر الرسالة القشيرية والترجمة لصاحبها ص ٥٥٣ ت ٦ .

(٣-٣) مابينهما ساقط من (خ ، س) .

(٤) ك : ونقله .

(٥) ذكر سزكين في تاريخ التراث العربي ١ / ٤ / ٣٣ كتابا لابن خزيمة ، عنوانه " بيان شأن الدعاء وتفسير الأدعية المأثورة عن النبي " وأشار الى وجود نسخة خطية منه في الظاهرية ، فلعله المقصود بكتاب " الذكر " .

(٦) الطرق : كذا في (ك) ، وفي النسخ الأخرى : الطريق .

(٧) وغيره : ساقطة من (خ ، س) : في مقدمة احياء علوم الدين ١ / ١٠ - ١١ يعلل الغزالي طريقته في ترتيب الكتاب بقوله : " ... لأن العلم الذى يتوجه به الى الآخرة ينقسم الى علم المعاملة وعلم المكاشفة ، وأعني بعلم المكاشفة مايطلب منه كشف المعلوم فقط ، وأعني بعلم المعاملة مايطلب منه مع الكشف العمل به ، والمقصود من هذا الكتاب علم المعاملة فقط ، دون علم المكاشفة التي لا رخصة في ايداعها الكتب ، وان كانت هي غاية مقصد الطالبين ، ومطمح نظر الصديقين ، وعلم المعاملة طريق اليه ، ولكن لم يتكلم الأنبياء صلوات الله عليهم مع الخلق الا في علم الطريق والارشاد اليه ، وأما علم المكاشفة فلم يتكلموا فيه الا بالرمز والايماء على سبيل التمثيل والاجمال ، علما منهم بقصور أفهام الخلق عن الاحتمال ، والعلماء ورثة الأنبياء فما لهم سبيل الى العدول عن نهج التأسي والاقتداء " .

(٨) س : مستمد . (٩) ط : الفلاسفة .

(١٠) في هامش (س) : كتاب " المضنون به على غير أهله " اشتمل على التصريح بقدم العالم ، ونفي علم القديم بالجزئيات ، ونفي الصفات ؛ وكل واحدة من هذه كفر ، وصنف أبو بكر المالكي كتابا في رده ، ومن الناس من أنكر نسبته للامام الغزالي ، بل قال : انه مختلق عليه . كما في " كشف الظنون في أسماء الكتب والفنون " م ي .

وبسبب خلط التصوف بالفلسفة ، كما اختلطت[١] الأصول بالفلسفة ؛ صار ينسب[٢] الى التصوف من ليس هو موافقا للمشايخ المقبولين، الذين لهم في الأمة لسان صدق رضي الله[٣] عنهم ، بل يكون مباينا لهم في أصول الايمان ، كالايمان بالتوحيد والرسالة واليوم الآخر ، ويجعلون هذه مذاهب الصوفية ، كما يذكر ذلك ابن الطفيل صاحب " رسالة حي بن يقظان[٤] " ، وأبو الوليد بن رشد الحفيد ، وصاحب " خلع العلم[٥] " ، وابن عربي صاحب " الفتوحات " و " فصوص الحكم " وابن سبعين .

وأمثال هؤلاء ممن يتظاهر بمذاهب مشايخ الصوفية[٦] وأهل الطريق ، وهو في التحقيق[٧] منافق زنديق ، ينتهي الى القول بالحلول والاتحاد ، واتباع القرامطة أهل الالحاد ، ومذهب الاباحية الدافعين[٨] للأمر والنهي والوعد والوعيد ، ملاحظين لحقيقة القدر ، التي لا يفرق فيها بين الأنبياء والمرسلين

---

(١) ط ،ك : وبسبب خلطه التصوف بالفلسفة كما خلط .
(٢) ط ،خ : ينتسب .
(٣) س ،ك : الله تعالى .
(٤) هو أبو بكر محمد بن عبد الملك بن محمد بن طفيل القيسي المغربي ، كان طبيبا أديبا ، توفي بمراكش سنة ٥٨١ .
انظر : الوافي بالوفيات ٣٧/٤ ؛ الأعلام ٢٤٩/٦ ؛ معجم المؤلفين ٢٥٩/١٠ .
وقد طبعت رسالة " حي بن يقظان " غير مرة ، ومنها طبعة بتحقيق الدكتورين جميل صليبا وكامل عياد ، ١٣٧٢هـ - ١٩٦٢م .
(٥) وصاحب خلع العلم : كذا في (ط ،ك) ، وسقطت هذه العبارة من (خ ،س) .
ولعل المقصود صاحب " خلع النعلين " .
وهو أبو القاسم أحمد بن الحسين بن قسي ، الصوفي الأندلسي ، رومي الأصل من بلاد شلب ، ادعى الزهد ، وساح في البلاد ، وتسمى بالامام ، وطلب فاختفى ، ثم هاجر الى الموحدين متبرئا من دعاويه فوثقوا به ، وولوه بلده " شلب " فعاد الى الخلاف فقتل سنة ٥٤٦ .
انظر : الحلة السيراء لمحمد بن عبد الله القضاعي المعروف بابن الأبار ، تحقيق حسين مؤنس الطبعة الأولى ١٩٦٣م القاهرة ١٩٧/٢ - ٢٠٢ ؛ الأعلام ١١٦/١ .
وقد ذكر أبو العلاء عفيفي في تعليقه على كتاب " نصوص الحكم " لابن عربي ، ص ٥٥ - ٥٦ أنه توجد نسخة خطية لكتاب " خليع النعلين " مع شرحه لابن عربي عليه في مكتبة أيا صوفيا باستامبول .
(٦) خ ،س : التصوف .
(٧) ط : في التحقيق يخلط بالفلسفة أو .
(٨) خ : الرافعين .

ص ١١٩

وبين كل كفار عنيد ، أو قائلين[1] / مع ذلك بنوع من الحقائق البدعية ، غير عارفين بالحقائق الدينية الشرعية ، ولا سالكين مسلك أولياء الله الذين هم بعد الأنبياء خير البرية . فهم في نهاية تحقيقهم يسقطون الأمر والنهي والطاعة والعبادة ، مشاقين للرسول ، متبعين غير سبيل المؤمنين ؛ ويفارقون سبيل أولياء الله[2] المتقين ، الى سبيل أولياء الشياطين ، ثم يقولون بالحلول والاتحاد ، وهو[3] غاية الكفر ونهاية الالحاد .

ولهذا في كلام المشايخ العارفين ، كأبي القاسم الجنيد وأمثاله ؛ من بيان أن التوحيد هو افراد الحدوث عن القدم ، ونحو ذلك ؛ ومن بيان وجوب إتباع الأمر والنهي ، ولزوم العبادة الى الموت - مايبين به أن أولئك السادة المهتدين حذروا[4] من طريق هؤلاء الملحدين .

ولهذا نجد[5] هؤلاء كابن عربي وابن سبعين وأمثالهما يردون على مثل الجنيد وأمثاله من أئمة المشايخ ، ويدعون أنهم ظفروا في التحقيق بنهاية الرسوخ ، وانما ظفروا بتحقيق الالحاد ، والدخول في الحلول والاتحاد .

ومازال شيوخ الصوفية المؤمنون يحذرون من مثل هؤلاء الملبسين ، كما حذر أئمة الفقهاء من سبيل أهل البدعة والنفاق من أهل الفلسفة والكلام ونحوهم ، حتى ذكر ذلك أبو نعيم الحافظ في أول " حلية الأولياء[6] " ،

---

(١) ط،ك : كل جبار عنيد ، وقائلين .
(٢) س : الأولياء .
(٣) ط : وهو في .
(٤) س : ممن حذروا .
(٥) ط،خ : تجد .
(٦) هو الحافظ المشهور أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن اسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني الصوفي ، ولد سنة ٣٣٦ بأصبهان ، وتوفي بها سنة ٤٣٠ ، سمع الكثير في عدد من البلدان ، وصنف الكثير ، ومن ذلك كتاب " حلية الأولياء وطبقات الأصفياء " ، و " دلائل النبوة " و " ذكر أخبار أصبهان " .
انظر: وفيات الأعيان ١/٩١-٩٢ ؛ تذكرة الحفاظ ٣/١٠٩٢-١٠٩٧ ؛ ميزان الاعتدال ١/١١١ ؛ طبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٤/١٨-٢٥ ؛ البداية والنهاية ١٢/٤٥ ؛ الأعلام ١/١٥٧

وأبو القاسم القشيرى في "رسالته" ؛ دع من هو أجل منهما، وأعلم منهما[1] بطريق الصوفية، وأقل غلطا، وأبعد عن الاعتماد على المنقولات الضعيفة، والمقولات[2] المبتدعة.

قال أبو نعيم في أول "الحلية"[3]: "أما بعد - أحسن الله[4] توفيقك - فقد استعنت بالله عز وجل وأجبتك الى ما ابتغيت، من جمع كتاب يتضمن أسامي جماعة؛ وبعض أحاديثهم وكلامهم؛ من أعلام المحققين[5] من المتصوفة وأئمتهم، وترتيب طبقاتهم من النساك ومحجتهم، من قرن الصحابة والتابعين وتابعيهم ومن بعدهم، ممن عرف الأدلة والحقائق، وباشر الأحوال والطرائق، وساكن الرياض والحدائق، وفارق العوارض والعلائق، وتبرأ من المتنطعين[6] والمتعمقين، ومن أهل الدعاوى من المتسوفين[7]، ومن[8] الكسالى والمتثبطين، المتشبهين بهم في اللباس والمقال، والمخالفين لهم في العقيدة والفعال.

وذلك لما بلغك من بسط ألسنتنا وألسنة أهل الفقه والأثر[9] في كل الأقطار[10] والأمصار، في المنتسبين اليهم من الفسقة الفجار، والمباحية والحلولية الكفار، وليس ما حل بالكذبة من الوقيعة والانكار، بقادح في منقبة البررة الأخيار، وواضع من درجة الصفوة الأخيار[11]. بل في اظهار البراءة من الكذابين، والنكير على الخونة[12] البطالين - نزاهة الصادقين، ورفعة / المحققين[13].

ص ١٢٠

(١) منهما : ساقطة من (خ ، س).
(٢) ط، ك : والمنقولات. في هامش (خ) : بلغ مقابلة حسب الطاقة.
(٣) كتاب "حلية الأولياء وطبقات الأصفياء" (١/٣-٤)، (ط. السعادة بمصر ١٣٥١ هـ - ١٩٣٢ م).
(٤) س، ك : الله تعالى.
(٥) خ : حلية : المتحققين.
(٦) ط، ك : المنقطعين. وفي هامش (حلية) أن في نسخة : والمتقنطين.
(٧) ط، ك : المسوفين.
(٨) حلية : من . بدون الواو.
(٩) حلية : من بسط لساننا ولسان أهل الفقه والآثار.
(١٠) ط، خ : حلية : القطر.
(١١) س : الأخبار، حلية : الأبرار.
(١٢) خ، س، ك : الحشوية.
(١٣) حلية : للصادقين، ورفعة للمتحققين.

ولو لم نكشف[1] عن مخازى المبطلين ومساوئهم ديانة ،للزمنا ابانتها واشاعتها حمية وصيانة ، اذ لأسلافنا في التصوف العلم المنشور، والصيت والذكر المشهور ؛ فقد كان جدى محمد بن يوسف[2] رحمه الله[3]، أحد من نشر الله[4] به ذكر بعض المنقطعين اليه[5] ، وكيف نستجيز[6] نقيصة أولياء الله تعالى[7] ومؤذيهم مؤذن بمحاربة ربه[8]".

ثم أسند حديث أبي هريرة[9] الذى رواه البخارى في صحيحه عن النبي صلى الله[10] عليه وسلم أنه قال : (ان الله[10] قال :من آذى لي وليا[11])- وفي الرواية الأخرى (من عادى لي وليا - فقد آذنته بالحرب ، وماتقرب الي عبدى بشيء أفضل من أداء[12] ما افترضته عليه، ومايزال عبدى يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه ،فاذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها[13] ، فبي يسمع ، وبي يبصر، وبي يبطش ، وبي يمشي ، ولئن سألني لأعطينه ، ولئن استعاذني لأعيذنه ، ولما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددى عن قبض نفس عبدى المؤمن ، يكره الموت ، وأكره مساءته ،ولا بد له منه[14]) .

---

(١) ط،ك : ينكشف .

(٢) حلية :محمد بن يوسف البنا ، وهو أبو عبيد الله محمد بن يوسف بن معدان بن يزيد بن عبد الرحمن الثقفي البنا الأصبهاني ،جد والد أبي نعيم لأمه ،كان رأسا في التصوف،له مصنفات في ذلك، توفي سنة ٢٨٦ .
انظر:ذكر أخبار اصبهان لأبي نعيم ٢ / ٢٢٠- ٢٢١ ؛ صفة الصفوة ٤ / ٨٣- ٨٤ ؛ الوافي بالوفيات ٥ / ٢٤٤ .

(٣) س ،ك : الله تعالى .

(٤) س ،ك : الله تعالى ،حلية : أحد من نشر الله عز وجل .

(٥) حلية : اليه ، وعمر به أحوال كثير من المقبلين عليه .

(٦) ط،ك : يستجيز ،خ : تستجيز .

(٧) تعالى : ليست في (ط،خ) .

(٨) حلية : بمحاربة الله .

(٩) بعد الكلام السابق مباشرة حلية ١ / ٤- ٥ بمحاربة الله وهو ما حدثنا ابراهيم بن محمد ابن حمزة . . الخ .

(١٠) س ،ك : الله تعالى . في الموضعين .

(١١) وليا : ساقطة من (خ ،س) .

(١٢) ط: بمثل أداء .

(١٣) ط: عليها . وكتب في الهامش : الأصل بها .

(١٤) تقدم تخريج هذا الحديث ، ص ٢٣٣ت ١ .

مذهب السلف في مسائل الأسماء والأحكام

قلت : فذم[1] أهل العلم والايمان من أئمة العلم والدين من جميع الطوائف ،هو لمن خرج عما[2] جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم في الأقوال أو الأعمال[3] باطنا أو ظاهرا ، ومدحهم هو لمن وافق ماجاء به الرسول صلى الله[4] عليه وسلم. ومن كان موافقا من وجه ومخالفا من وجه ، كالعاصي الذى يعلم أنه عاص ؛ فهو ممدوح من جهة موافقته ، مذموم من جهة مخالفته . وهذا مذهب سلف الأمة وأئمتها من الصحابة ومن سلك سبيلهم في مسائل " الأسماء والأحكام ".

مذاهب الفرق المخالفة

والخلاف فيها أول خلاف حدث في مسائل الأصول ؛ حيث كفرت الخوارج بالذنب ،وجعلوا صاحب الكبيرة كافرا مخلدا في النار ؛ ووافقتهم المعتزلة على زوال جميع ايمانه واسلامه وعلى[5] خلوده في النار، لكن نازعوهم في الاسم ، فلم يسموه كافرا ، بل قالوا : هو فاسق لا مؤمن ولا مسلم[6] ولا كافر ؛ ننزله منزلة بين المنزلتين. فهم وان كانوا في الاسم الى السنة أقرب فهم في الحكم في الآخرة مع الخوارج .

الشبهة المشتركة بين مخالفي السلف في هذه المسائل

وأصل هؤلاء أنهم[7] ظنوا أن الشخص الواحد لا يكون مستحقا للثواب والعقاب ، والوعد والوعيد ، والحمد والذم ،بل اما لهذا واما لهذا ؛فأحبطوا جميع حسناته بالكبيرة التي فعلها ، وقالوا : الايمان هو الطاعة ، فيزول بزوال بعض الطاعة ؛ ثم تنازعوا هل يخلفه الكفر ؟ على القولين.

ووافقهم المرجئة والجهمية على أن الايمان يزول كله بزوال شيء منه ، وأنه لا يتبعض ولا يتفاضل فلا يزيد ولا ينقص[8]، وقالوا : ان ايمان الفساق كايمان الأنبياء والمؤمنين .

---

(١) س : قلت : ان ذم ،ك : قلت : قد ذم . وفي هامش(س) : مطلب ان ذم أهل العلم هو لمن خرج عما جاء به الرسول .
(٢) س : لمن خرج مما ، ك : من خرج عما .
(٣) ط ،ك : والأعمال .
(٤) ك : الله تعالى .
(٥) اسلامه وعلى : ساقطة من (خ ،س) .
(٦) ولا مسلم : ساقطة من (خ ،س) .
(٧) ط: هو أنهم .
(٨) في هامش(س) : مطلب مسألة أن الايمان هل يزيد وينقص .

ص ١٢١

لكن فقهاء المرجئة قالوا : انه الاعتقاد والقول ، وقالوا : انه / لا بد من أن يدخل النار من فساق الملة من شاء الله[١]. كما قالت الجماعة ؛ فكان خلاف كثير من كلامهم[٢] للجماعة انما هو في الاسم ، لا في الحكم .

دلالة اسم "الايمان" مفردا ومقرونا بالعمل

وقد بسطنا الكلام على ذلك[٣] في غير هذا الموضع ، وبينا الفرق بين دلالة الاسم مفردا ودلالته مقرونا بغيره ، كاسم " الفقير " و " المسكين " ؛ فانه اذا أفرد أحدهما يتناول[٤] معنى الآخر ؛ كقوله تعالى : (للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله[٥]) . فانه يدخل فيهم المساكين ؛ وقوله تعالى : (فكفارته اطعام عشرة مساكين[٦]) . فانه يدخل فيهم الفقراء ؛ وأما اذا قرن بينهما كقوله تعالى: (انما الصدقات للفقراء والمساكين[٧]) ، فهما صنفان .

وكذلك قوله تعالى : (يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر[٨]) . يدخل في المعروف كل واجب ، وفي المنكر كل قبيح ؛ والقبائح هي السيئات ، وهي المحظورات كالشرك والكذب والظلم والفواحش ؛ فاذا قال : (ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر[٩]) . وقال[١٠] : (وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي[١١]) . فخص بعض أنواع المنكر بالذكر ، وعطف أحدهما على الآخر - صارت دلالة اللفظ عليه نصا مقصودا بطريق المطابقة ، بعد أن كانت بطريق العموم والتضمن ،

---

(١) س ، ك : الله تعالى .
(٢) ط : وكان كثير من خلافهم .
(٣) ط : على هذا ، وفي هامش (س) : قوله : وقد بسطنا الكلام . نعم بسط في كتاب " الايمان " ، وهو كتاب مفصل قد طبع في الهند ومصر ، وقد طالعته مرارا فالفيته كنزا من كنوز العلم جزى الله مؤلفه خيرا .
(٤) خ ، س : تناوله .
(٥) سورة البقرة : ٢٧٣ .
(٦) سورة المائدة : ٨٩ . في جميع النسخ : وقوله تعالى : أو اطعام ... وهو خطأ .
(٧) سورة التوبة : ٦٠ .
(٨) سورة الأعراف : ١٥٧ .
(٩) سورة العنكبوت : ٤٥ .
(١٠) خ : أو قال .
(١١) سورة النحل : ٩٠ .

سواء قيل : انه داخل في اللفظ العام أيضا ، فيكون مذكورا مرتين ، أو قيل : انه باقترانه بالاسم العام تبين أنه لم يدخل في الاسم العام ؛ لتغير الدلالة بالافراد والتجرد وبالاقتران[١] والاجتماع كما قدمنا .

وهكذا اسم " الايمان " ؛ فانه تارة يذكر مفردا مجردا ، لا يقرن[٢] بالعمل الواجب ، فيدخل فيه العمل الواجب تضمنا ولزوما ؛ وتارة يقرن بالعمل ، فيكون العمل[٣] حينئذ مذكورا بالمطابقة والنص ، ولفظ " الايمان " يكون مسلوب الدلالة[٤] عليه حال الاقتران ، أو دالا عليه .

كما في قوله تعالى : (والذين يمسكون بالكتاب وأقاموا الصلاة[٥]) ، وقوله سبحانه لموسى عليه السلام : (انني أنا الله لا اله الا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكرى[٦]) ، وقوله تعالى : (اتل ما أوحي اليك من الكتاب وأقم الصلاة[٧]) . ونظائر ذلك كثيرة[٨] .

فالأعمال داخلة في الايمان تضمنا ولزوما في مثل قوله تعالى : (انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون . الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون . أولئك هم المؤمنون حقا[٩]) ، وفي مثل قوله سبحانه : (انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون[١٠]) ، وقوله عز وجل : (انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله واذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه[١١]) . وأمثال ذلك من[١٢] الكتاب والسنة .

---

(١) ط : والافتراق ؛ خ ، س ، ك : وبالافتراق . ولعل الصواب ما أثبت .
(٢) ط : لا يقترن .
(٣) خ ، س : فيكون في العمل .
(٤) خ ، س : تكون الدلالة .
(٥) سورة الأعراف : ١٧٠ .
(٦) سورة طه : ١٤ .
(٧) سورة العنكبوت : ٤٥ .
(٨) كثيرة : ساقطة من (خ ، س) .
(٩) سورة الأنفال : ٢ - ٤ .
(١٠) سورة الحجرات : ١٥ .
(١١) سورة النور : ٦٢ .
(١٢) ط : في .

ومن استقرأ ذلك علم أن الاسم الشرعي ، كالايمان ، والصلاة ، والوضوء ، والصيام ، لا ينفيه الشارع عن شيء / الا لانتفاء ماهو واجب فيه ، لا[1] لانتفاء ماهو مستحب فيه .

ص ١٢٢

وأما قوله تعالى : (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية)[2]. ونحو ذلك ؛ فالعمل مخصوص[3] بالذكر اما توكيدا ، واما لأنه بالاقتران تفسيرت دلالة الاسم[4].

فهذا موقف يزول فيه كثير من النزاع اللفظي في ذلك .

زيادة الايمان من جهة أمر الله ومن جهة فعل العبد

وأيضا فان الايمان يتنوع بتنوع ما أمر الله[5] به العبد[6] ، فحين بعث الرسول لم يكن الايمان الواجب ، لا اقرارا ولا عملا[7] ، مثل الايمان الواجب في آخر الدعوة ؛ فانه لم يكن يجب اذ ذاك الاقرار بما أنزله الله[8] بعد ذلك ، من الايجاب والتحريم والخبر ، ولا العمل بموجب ذلك . بل كان الايمان الذى أوجبه الله[8] يزيد شيئا فشيئا ، كما كان القرآن ينزل شيئا فشيئا ، والدين يظهر شيئا فشيئا ، حتى أنزل الله تعالى : (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا)[9].

وكذلك العبد أول مايبلغه خطاب الرسول[10] انما يجب عليه الشهادتان فاذا مات قبل أن يدخل عليه وقت صلاة لم[11] يجب عليه شيء غير الاقرار ، ومات[12] مؤمنا كامل الايمان الذى وجب عليه ، وان كان ايمان غيره الذى

---

(١) لا : ساقطة من (خ ، س) .
(٢) سورة البينة : ٧ .
(٣) ط : يخصص ، خ : مخصص .
(٤) ط ، ك : اما توكيد ، واما لأن الاقتران لا يغير دلالة الاسم .
(٥) س ، ك : الله تعالى .
(٦) خ ، س : العبد منه .
(٧) ك : الواجب ولا الاقرار ولا العمل .
(٨) س ، ك : الله تعالى . (في الموضعين) .
(٩) سورة المائدة : ٣ .
(١٠) س ، ك : الرسول عليه أفضل الصلاة وأكمل السلام .
(١١) ط : فلم ، خ ، س : ولم .
(١٢) ط : ومات مات ، خ ، س : مات .

دخلت عليه الأوقات[1] أكمل منه .

فهذا ايمانه ناقص كنقص دين النساء، حيث قال النبي صلى الله[2] عليه وسلم : (انكن ناقصات عقل ودين ؛ أما نقصان عقلكن فشهادة امرأتين بشهادة رجل واحد ، وأما نقصان دينكن فان احداكن اذا حاضت لم تصل[3]). ومعلوم أن الصلاة حينئذ ليست واجبة عليها ، فهذا[4] نقص لا تلام عليه المرأة ، لكن[5] من جعل كاملا كان أفضل منها ؛ بخلاف من نقص شيئا مما وجب عليه .

فصار النقص في الدين والايمان نوعين : نوعا لا يذم العبد عليه ، لكونه لم يجب عليه لعجزه عنه حسا أو شرعا ، واما لكونه مستحبا ليس بواجب ؛ ونوعا يذم عليه ، وهو ترك الواجبات .

فقول النبي صلى الله[6] عليه وسلم لجارية معاوية بن الحكم السلمي ؛ لما

---

(١) خ ،س : الأوقات عليه .

(٢) س ،ك : الله تعالى .

(٣) روى البخارى في صحيحه (فتح البارى ١/ ٤٠٥ رقم ٣٠٤) كتاب الحيض، باب ترك الحائض الصوم ، عن أبي سعيد الخدرى قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في أضحى أو في فطر الى المصلى ، فمر على النساء ، فقال : (يامعشر النساء تصدقن . . .) وفيه قوله صلى الله عليه وسلم : (مارأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من احداكن) قلن : ومانقصان ديننا وعقلنا يارسول الله ؟ قال : (أليس شهادة المرأة مثل نصف شهادة الرجل ؟) قلن : بلى قال : فذلك من نقصان عقلها ، أليس اذا حاضت لم تصل ولم تصم؟) قلن : بلى ، قال : (فذلك من نقصان دينها) .
وأخرجه مسلم في صحيحه ١/ ٨٦- ٨٧ رقم ٧٩ - ٨٠ كتاب الايمان ،باب بيان نقصان الايمان بنقص الطاعات ، وبيان اطلاق لفظ الكفر على غير الكفر بالله ، ككفر النعمة والحقوق -عن عبد الله بن عمر وأبي سعيد الخدرى وأبي هريرة .
وأخرجة أبو داود (عون المعبود ١٢/ ٤٣٨) كتاب السنة ،باب الدليل على زيادة الايمان ونقصانه ،عن عبد الله بن عمر.
وأخرجه الترمذى (تحفة الأحوذى ٧/ ٣٥٧-٣٥٩) الايمان ، باب في استكمال الايمان والزيادة والنقصان -عن أبي هريرة .
وأخرجه ابن ماجة ٢/ ١٣٢٦- ١٣٢٧ رقم ٤٠٠٣ كتاب الفتن ، باب فتنة النساء ،عن عبد الله بن عمر.
وأخرجه أحمد في المسند (ط. المعارف ٧/ ٢١٣- ٢١٤ رقم ٥٣٤٣) عن عبد الله بن عمر ، (ط. الحلبي ٢/ ٣٧٣) عن أبي هريرة .

(٤) ط ،ك : وهذا .

(٥) خ ،س : نقص لا يلام عليه لكن .

(٦) س ،ك : الله تعالى .

قال لها : (أين الله ؟) ، قالت : في السماء ؛ قال : (من أنا ؟) ، قالت : أنت رسول الله ؛ قال : (اعتقها ، فانها مؤمنة)[1] . - ليس فيه حجة على أن من وجبت عليه العبادات فتركها ، وارتكب المحظورات ؛ يستحق الاسم المطلق ، كما[2] استحقته هذه التي لم يظهر منها بعد ترك مأمور ولا فعل محظور.

ومن عرف هذا تبين أن قول النبي صلى الله[3] عليه وسلم لهذه : انها مؤمنة. لا ينافي قوله : (لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن)[4] .

---

(١) ورد هذا في حديث طويل عن معاوية بن الحكم السلمي رضي الله عنه ، أوله ، . قال : بينا أنا أصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ عطس رجل من القوم ، فقلت : يرحمك الله . . .
وآخره ، قال : وكانت لي جارية ، ترعى غنما لي قبل أحد والجوانية ، فاطلعت ذات يوم فاذا الذيب قد ذهب بشاة من غنمها ، وأنا رجل من بني آدم ، آسف كما يأسفون ، لكني صككتها صكة ، فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فعظم ذلك علي ، قلت : يارسول الله ، أفلا أعتقها ؟ قال : (ائتني بها) فأتيته بها ، فقال لها : (أين الله ؟) قالت : في السماء . قال : (من أنا ؟) قالت : أنت رسول الله - قال : (اعتقها ، فانها مؤمنة) .
الحديث في صحيح مسلم ١ / ٣٨١ - ٣٨٢ رقم ٥٣٧ كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب تحريم الكلام في الصلاة ، ونسخ ماكان من اباحة ؛ وسنن أبي داود (عون المعبود ٣ / ١٩٨ - ٢٠٣ كتاب الصلاة ، باب تشميت العاطس في الصلاة ، ٩ / ١٠٦ - ١٠٧) كتاب الايمان والنذور ، باب في الرقبة المؤمنة ، سنن النسائي ٣ / ١٣ - ١٤ كتاب السهو ، الكلام في الصلاة ؛ مسند أحمد (ط . الحلبي) ٥ / ٤٤٧ ، ٤٤٨ .
والحديث في موطأ مالك ٢ / ٧٧٦ - ٧٧٧ رقم (٨) كتاب العتق والولاء ، باب ما يجوز من العتق في الرقاب الواجبة ، لكن مالكا سمى راوى الحديث عمر بن الحكم ، وأورد قصة الجارية فقط ، دون أول الحديث ، وفيه قول الرسول صلى الله عليه وسلم : (اعتقها) دون قوله : (فانها مؤمنة) .
وفي موطأ مالك رقم (٩) عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود أن رجلا من الأنصار جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بجارية له سوداء . . . وفيه قول الرسول صلى الله عليه وسلم : (اعتقها) دون قوله : (فانها مؤمنة) ، وكذا رواه أحمد في المسند (ط . المعارف) ١٥ / ٣١ - ٣٢ رقم ٧٨٩٣ بسنده عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن أبي هريرة ، أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم بجارية سوداء . . . الخ .

(٢) ط : التي (بدلا من كما) .

(٣) س ، ك : الله تعالى .

(٤) الحديث عن أبي هريرة ، أخرجه البخاري (فتح الباري ٥ / ١١٩ رقم ٢٤٧٥) كتاب المظالم ، باب النهبى بغير اذن صاحبه ، وتكرر بالأرقام ٥٥٧٨ ، ٦٧٧٢ ، ٦٨١٠ ؛ ومسلم ١ / ٧٦ - ٧٧ رقم ٥٧ كتاب الايمان ، باب بيان نقصان الايمان بالمعاصي ، ونفيه عن المتلبس بالمعصية على ارادة نفي كماله ؛ وأبو داود (عون المعبود ١٢ / ٤٤٣ - ٤٤٧) كتاب السنة ، باب الدليل على زيادة الايمان ونقصانه ؛ والنسائي ٨ / ٥٧ - ٥٨ كتاب قطع السارق ، تعظيم السرقة ، ٨ / ٢٨٠ - ٢٨١ كتاب الأشربة ، ذكر الروايات المغلظات في شرب الخمر ؛ والترمذي (تحفة الأحوذي ٧ / ٣٧٤ - ٣٧٥) الايمان ، باب لا يزني الزاني وهو مؤمن ؛ وابن ماجة ٢ / ١٢٩٨ - ١٢٩٩ رقم ٣٩٣٦ / =

فان ذلك[1] نفى عنه الاسم لانتفاء بعض مايجب عليه من ترك هذه الكبائر، وتلك لم تترك واجبا تستحق بتركه أن تكون هكذا .

ويتبع هذا أن من آمن بما جاء به الرسل مجملا ، ثم بلغه مفصلا فأقر

ص ١٢٣ به / مفصلا وعمل به ؛ كان قد زاد ماعنده من الدين والايمان بحسب ذلك؛ ومن أذنب ثم تاب ، أو غفل ثم ذكر ، أو فرط ثم أقبل ؛ فانه يزيد دينه وايمانه بحسب ذلك ،كما قال من قال من الصحابة ، كعمير بن حبيب الخطمي[2] وغيره[3] : الايمان يزيد وينقص . قيل له : فما زيادته ونقصانه[4] ؟ قال :اذا حمدنا الله وذكرناه وسبحناه فتلك[5] زيادته ، واذا غفلنا ونسينا وأضعنا فذلك نقصانه . فذكر زيادته بالطاعات وان كانت مستحبة ،ونقصانه بما أضاعه من واجب وغيره .

اقتضاء التصديق العمل

وأيضا فان تصديق القلب يتبعه عمل القلب ، فالقلب اذا صدق بما يستحقه الله[6] من الألوهية ، ومايستحقه الرسول من الرسالة ؛ تبع ذلك لا محالة محبة[7] الله ورسوله ، وتعظيم الله ورسوله[8] .

/ = كتاب الفتن ، باب النهي عن النهبة ؛ وأحمد (ط. المعارف) ١٣/ ٤١ رقم ٧٣١٦ .
وورد الحديث عن ابن عباس ، أخرجه البخاري (فتح الباري ١٢ / ٨١ رقم ٦٧٨٢) كتاب الحدود باب السارق حين يسرق ، وتكرر برقم ٦٨٠٩ ؛ والنسائي ٨/ ٥٧ كتاب القسامة ، ماجاء في كتاب القصاص . . . الخ .
وورد عن عائشة ، أخرجه أحمد (ط. الحلبي) ٦/ ١٣٩ .

(١) خ : ذاك .

(٢) عمير بن حبيب بن خماشة بن جويبر الأنصاري الخطمي ، بايع تحت الشجرة ، مدني .
انظر: التاريخ الكبير للبخاري ٦/ ٥٣١ ؛ الجرح والتعديل ٦/ ٣٧٥- ٣٧٦ ؛ الاستيعاب ٣/ ١٢١٣ ؛ ٤/ ٧١٤- ٧١٥ . وقد روى قول عمير ، الآجري في " الشريعة " ، ص ١١١- ١١٢ .

(٣) روى ابن ماجة في سننه ١/ ٢٨ رقم (٧٣) و (٧٥) المقدمة ، باب في الايمان ، عن أبي هريرة وابن عباس وأبي الدرداء ، قولهم : الايمان يزيد وينقص ، وانظر كتاب " الشريعة "، ص ١١٢ - ١١٨ .

(٤) ونقصانه : ساقطة من (خ ، س) .

(٥) ط ، ك : فذلك .

(٦) س ، ك : الله تعالى .

(٧) ط ، خ ، س : من محبة .

(٨) س ، ك : محبة الله سبحانه ورسوله عليه الصلاة والسلام ، وتعظيم الله عز وجل ورسوله .

والطاعة لله ورسوله أمر لازم لهذا التصديق ، لا يفارقه الا لعارض من كبر أو حسد أو نحو ذلك[١] ، من الأمور التي توجب الاستكبار عن عبادة الله[٢] والبغض لرسوله[٣] ونحو ذلك ، من الأمور التي توجب الكفر، ككفر ابليس، وفرعون وقومه ، واليهود ، وكفار مكة ، وغير هؤلاء من المعاندين الجاحدين[٤] .

ثم هؤلاء اذا لم يتبعوا التصديق بموجبه من عمل القلب واللسان وغير ذلك ، فانه قد يطبع على قلوبهم حتى يزول عنها التصديق ؛ كما قال تعالى : (واذ قال موسى لقومه ياقوم لم تؤذونني وقد تعلمون أني رسول الله اليكم فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم[٥]) . فهؤلاء كانوا عالمين فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم . وقال موسى لفرعون : (لقد علمت ما أنزل هؤلاء الا رب السموات والأرض بصائر[٦]) . وقال تعالى : (وكذلك زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل وماكيد فرعون الا في تباب[٧]) . الى قوله[٨] : (كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار[٩]) .

وقال تعالى : (وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها قل انما الآيات عند الله ومايشعركم أنها اذا جاءت لا يؤمنون . ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون[١٠]) . فبين سبحانه أن مجيء الآيات لا يوجب الايمان بقوله تعالى[١١] : (ومايشعركم أنها اذا جاءت لا يؤمنون . ونقلب أفئدتهم وأبصارهم) . أى فتكون هذه الأمور الثلاثة[١٢] :

---

(١) خ ،س : ونحو ذلك ،ط: وغير ذلك .
(٢) س ،ك : عبادة الله تعالى .
(٣) كذا في (خ) ،وفي (ط) : لرسول الله صلى الله عليه وسلم ،وفي (س،ك) لرسوله عليه الصلاة والسلام .
(٤) ط: الخائضين .
(٥) سورة الصف : ٥ .
(٦) سورة الاسراء : ١٠٢ .
(٧) سورة غافر: ٣٧ .
(٨) س ،ك : قوله سبحانه .
(٩) سورة غافر: ٣٥ . قبل الآية السابقة بآية واحدة . وجاء في (خ ،س ،ك) : على قلب كل متكبر جبار .
(١٠) سورة الأنعام : ١٠٩ .
(١١) خ : الايمان وقال ،ط،س : الايمان وقال تعالى .
(١٢) خ : أى فيكون هذان الأمران ؛ س : أى فيكون هذا الأمر .

أن لا يؤمنوا ، وأن نقلب أفئدتهم وأبصارهم ، وأن نذرهم[1] في طغيانهم يعمهون. أي[2] ومايدريكم أن الآيات اذا جاءت تحصل هذه الأمور الثلاثة .

وبهذا المعنى تبين أن قراءة الفتح أحسن ، وأن من قال: (أن)المفتوحة بمعنى (لعل) ؛ فظن أن قوله : (ونقلب أفئدتهم) كلام مبتدأ -لم[3] يفهم معنى الآية ؛ واذا جعل (ونقلب أفئدتهم) داخلا في خبر (أن) ، تبين معنى الآية ، فان كثيرا من الناس يؤمنون ولا تقلب قلوبهم ، لكن قد يحصل تقليب أفئدتهم / وأبصارهم وقد لا يحصل ؛ أي فما يدريكم أنهم لا يؤمنون ، والمراد ومايشعركم أنها اذا جاءت لا يؤمنون ، بل نقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ، والمعنى ومايدريكم أن الأمر بخلاف ماتظنونه من ايمانهم عند مجيء الآيات ، ونذرهم في طغيانهم يعمهون[2] ، فيعاقبون على ترك الايمان أول مرة بعد وجوبه عليهم ، اما لكونهم عرفوا الحق وما أقروا به ، أو تمكنوا من معرفته فلم يطلبوا معرفته ، ومثل هذا كثير .

ص ١٢٤

والمقصود هنا أن ترك مايجب من العمل بالعلم الذي[4] هو مقتضى التصديق والعلم ، قد يفضى الى سلب التصديق والعلم ؛ كما قيل : العلم يهتف بالعمل ،فان أجابه والا ارتحل . وكما قيل : كنا نستعين على حفظ العلم بالعمل به .

فما في القلب من التصديق بما جاء به الرسول[5] اذا لم يتبعه موجبه ومقتضاه من العمل قد يزول ، اذ وجود العلة يقتضي وجود المعلول ، وعدم المعلول يدل على[6] عدم العلة ، فكما[7] أن العلم والتصديق سبب للارادة[8]

(١) خ ،س : وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم .
(٢-٢) مابينهما ساقط من (خ ،س) .
(٣) ط: فلم .
(٤) بالعلم الذي : ساقطة من (ط) .
(٥) ط : الرسل .
(٦) يدل على : كذا في (ط) ،وفي النسخ الأخرى : يقتضي .
(٧) ط: كما .
(٨) ط: الارادة .

والعمل ، فعدم الارادة والعمل يدل على عدم[1] العلم والتصديق .

[2]ثم ان كانت العلة تامة ، فعدم المعلول دليل يقتضي عدمهما ، وان كانت سببا قد تخلف[3] معلولها ، كان له بخلفه أمارة على عدم المعلول قد يتخلف مدلولها[2] .

وأيضا فالتصديق الجازم في القلب يتبعه موجبه بحسب الامكان ، كالارادة الجازمة في القلب ، فكما أن الارادة الجازمة في القلب اذا اقترنت بها القدرة حصل بها المراد أو المقدور من المراد لامحالة ، [ومتى[4]] كانت القدرة حاصلة ولم يقع الفعل كان الحاصل هما[5] ، لا ارادة جازمة ، وهذا هو الذى عفى عنه ، فكذلك التصديق الجازم ، اذا حصل في القلب تبعه عمل من عمل القلب[6] لامحالة ، لايتصور أن ينفك عنه ، بل يتبعه الممكن[7] من عمل الجوارح ، فمتى لم يتبعه شيء من عمل القلب علم أنه ليس بتصديق جازم ، فلا يكون ايمانا .

لكن التصديق الجازم قد لايتبعه عمل القلب بتمامه ، لعارض[8] من الأهواء كالكبر والحسد ونحو ذلك من أهواء النفس ، لكن الأصل أن التصديق يتبعه الحب ، [9]واذا تخلف الحب كان لضعف التصديق الموجب له ؛ ولهذا قال الصحابة : كل من يعصى الله فهو جاهل . وقال ابن مسعود : كفى بخشية الله علما ، وكفى بالاغترار جهلا[9] .

---

(١) يدل على عدم : كذا في (ط) ، وفي النسخ الأخرى : سبب لعدم .
(٢-٢) مابينهما ساقط من (خ ،س) والكلمات الأخيرة غير مفهومة ، ولعلها تستقيم على هذا النحو : .. . أمارة على عدم قوة سبب المعلول . اذ العلة الناقصة قد يتخلف معلولها .
(٣) تخلف : كذا في (ط) ، وفي (ك) : يتخلف .
(٤) ومتى : ساقطة من (ك) .
(٥) ك : الحاصل هي .
(٦) ط : تبعه عمل القلب .
(٧) ط : بل معه ما أمكن .
(٨) خ ،س : لمعارض .
(٩ - ٩) مابينهما ساقط من (خ ،س) .
وقد روى الدارمي في سننه (١/ ٧٩ ، ٨٩) عن مسروق قال : " كفى بالمرء علما أن يخشى الله ، وكفى بالمرء جهلا أن يعجب بعلمه " وروى (١/ ٨١) عن ابن عباس قال : " من يخشى الله فهو عالم " .

ولهذا كان التكلم بالكفر من غير اكراه كفرا في نفس الأمر، عند الجماعة وأئمة الفقهاء حتى المرجئة ، خلافا للجهمية ومن اتبعهم . ومن هذا الباب سب الرسول[1] وبغضه ، وسب القرآن وبغضه، وكذلك سب الله[2] وبغضه، ونحو ذلك مما ليس من باب التصديق والتكذيب ، بل من باب الحب والتعظيم والموالاة ، أو البغض والمعاداة والاستخفاف[3].

ص ١٢٥ / ولما كان ايمان القلب له موجبات في الظاهر، كان الظاهر دليلا على ايمان القلب ثبوتا وانتفاء ؛ كقوله تعالى : (لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله) الآية[4] ، وقوله[5] : (ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما أنزل اليه ما اتخذوهم أولياء[6]) وأمثال ذلك .

وبعد هذا فنزاع المنازع في أن الايمان في اللغة هل هو اسم لمجرد التصديق دون مقتضاه، أو اسم للأمرين - يؤول الى نزاع لفظي ؛ وقد يقال : ان الدلالة تختلف بالافراد والاقتران[7].

من الناس من يسلم بأن الايمان في اللغة هو التصديق ثم يقول ان التصديق يكون بالقول والعمل أيضا

والناس منهم من يقول : ان أصل الايمان في اللغة التصديق ، ثم يقول : والتصديق يكون باللسان ويكون بالجوارح ، والقول يسمى تصديقا والعمل يسمى تصديقا ؛ كقول[8] النبي صلى الله[9] عليه وسلم : (العينان تزنيان وزناهما النظر، والأذن تزني وزناها السمع ، واليد تزني وزناها البطش ، والرجل

---

(١) س ،ك : الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام.
(٢) س ،ك : الله سبحانه .
(٣) ك : مما ليس من باب التصديق والحب والتعظيم والموالاة ، بل من باب التكذيب والبغض والمعاداة والاستخفاف .
(٤) سورة المجادلة : ٢٢ .
(٥) س ،ك : وقوله جل وعز.
(٦) سورة المائدة : ٨١ .
(٧) ط: والاقران .
(٨) ط: لقول .
(٩) س ،ك : الله تعالى .

تزني وزناها المشي ، والقلب يتمنى ويشتهي ، والفرج يصدق ذلك أو يكذبه)[١].

وقال الحسن البصري : ليس الايمان بالتمني ولا بالتحلي[٢] ، ولكن بما وقر في القلب ، وصدقه العمل[٣].

ومنهم من يقول ان الايمان هو الاقرار وليس التصديق

ومنهم من يقول : بل الايمان هو الاقرار ، وليس هو مرادفا للتصديق ؛ فان التصديق يقال على كل خبر عن شهادة أو غيب ، وأما الايمان فهو أخص منه ؛ فانه قد قيل لخبر اخوة يوسف : (وما أنت بمؤمن لنا)[٤]. وقيل : (يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين)[٥]. اذ الايمان بالنبي[٦] تصديق به ، والايمان له تصديق له ؛ ذلك في الخبر[٧] ، وهذا في المخبر.

ويقال : -لمن قال : الواحد نصف الاثنين ، والسماء فوق الأرض- قد صدقته[٨]. ولا يقال : آمنت له ؛ ويقال : اصدق بهذا . ولا يقال : أؤمن به . اذ لفظ " الايمان " افعال من الأمن ، فهو يقتضي طمأنينة وسكونا ، فيما من شأنه أن يستريب فيه القلب فيخفق ويضطرب ، وهذا انما يكون في الاخبار بالمغيبات لا بالمشاهدات والكلام على هذا مبسوط في غير هذا الموضع .

وانما المقصود أن فقهاء المرجئة ، خلافهم مع الجماعة خلاف يسير ، وبعضه لفظي ، ولم يعرف بين الأئمة المشهورين بالفتيا خلاف الا في هذا ؛

---

(١) ورد معنى هذا الحديث عن أبي هريرة مطولا ومختصرا ، أوله : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (ان الله كتب على ابن آدم حظه من الزنى ، أدرك ذلك لامحالة ، فالعينان ...الخ). أخرجه البخاري في صحيحه (فتح الباري ١١/٢٦ رقم ٦٢٤٣) كتاب الاستئذان ، باب زنا الجوارح دون الفرج ، ١١/٥٠٢-٥٠٣ رقم ٦٦١٢ كتاب القدر ، باب (وحرام على قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون) ؛ ومسلم في صحيحه ٤/٢٠٤٦ ، ٢٠٤٧ رقم ٢٦٥٧ كتاب القدر ، باب قدر على ابن آدم حظه من الزنى وغيره ؛ وأبو داود في سننه (عون المعبود ٦/١٨٨-١٨٩) كتاب النكاح ، باب في ما يؤمر به من غض البصر ؛ وأحمد في مسنده (ط . المعارف) ١٤/١٤٧ رقم ٧٧٠٥ ، ١٦/٩٢ رقم ٨١٩٩ وكرر برقم ٨٣٣٨ ، ٨٥٠٧ ، ٨٥٢٠ ، ٨٥٨٢ .

(٢) ط: بالتحلي ولا بالتمني .

(٣) رواه عن الحسن ، الخطيب البغدادي في اقتضاء العلم العمل ، ص ٤٢-٤٣ ، وأورده السيوطي في " الجامع الصغير " حديثا عن أنس ، وجاء عنه في شرحه فيض القدير ٥/٣٥٦ : " حديث منكر ... وقد روي معناه بسند جيد عن الحسن من قوله ، وهو الصحيح ".

(٤) سورة يوسف : ١٧ .

(٥) سورة التوبة : ٦١ .

(٦) س ، ك : بالنبي عليه الصلاة والسلام .

(٧) ك : في ذلك الخبر.

(٨) ك : والسماء فوق الأرض . قد صدقت .

فان ذلك قول طائفة من فقهاء الكوفيين : كحماد بن أبي سليمان[١]، وصاحبه أبي حنيفة ، وأصحاب أبي حنيفة .

وأما قول الجهمية - وهو أن الايمان مجرد تصديق القلب دون اللسان - فهذا لم يقله أحد من المشهورين بالامامة ، ولا كان قديما يضاف[٢] هذا الى المرجئة ، وانما وافق الجهمية عليه طائفة من المتأخرين من أصحاب الأشعري ، وأما ابن كلاب ، فكلامه يوافق كلام المرجئة ، لا الجهمية .

وآخر الأقوال حدوثا في ذلك قول الكرامية ؛ أن الايمان اسم للقول باللسان وان لم يكن معه اعتقاد القلب . وهذا القول أفسد الأقوال ، لكن أصحابه لا يخالفون في الحكم ، فانهم يقولون : ان هذا الايمان باللسان/ دون القلب هو ايمان المنافقين ، وانه لا ينفع في الآخرة .

ص ١٢٦ ا

وانما أوقع هؤلاء كلهم ما أوقع الخوارج والمعتزلة ، في ظنهم أن الايمان لا يتبعض ، بل اذا ذهب بعضه ذهب كله . ومذهب أهل السنة والجماعة أنه يتبعض ، وأنه ينقص ولا يزول جميعه ، كما قال النبي صلى الله[٣] عليه وسلم :(يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من ايمان[٤]).

---

(١) هو أبو اسماعيل حماد بن أبي سليمان واسم أبي سليمان مسلم ، مولى ابراهيم بن أبي موسى الأشعري ، كوفي ، روى عن أنس وابراهيم النخعي وعدد من متقدمي التابعين ، وروى عنه الثوري وشعبة وغيرهما ، وهو مستقيم في الفقه ، ضعيف في الحديث : صدوق لا يحفظ ، وكان مرجيا ، مات سنة ١٢٠ أو ١١٩ .
انظر: التاريخ الكبير للبخاري ٣/ ١٨-١٩ ؛ الطبقات الكبرى لابن سعد ٦/ ٣٣٢-٣٣٣؛ الجرح والتعديل ٣/ ١٤٦-١٤٨ ؛ تهذيب التهذيب ٣/ ١٦-١٨ ؛ تاريخ التراث العربي ١/ ٣/ ٢٠-٢١ .

(٢) ك : فيضاف .

(٣) س ، ك : الله تعالى .

(٤) ط ، ك : من الايمان .

وقد ورد بهذا المعنى عدد من الأحاديث :
فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (يدخل أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النار ، ثم يقول الله تعالى : أخرجوا من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من ايمان ... الخ) .
أخرجه البخاري ١/ ٧٢ رقم ٢٢ كتاب الايمان ، باب تفاضل أهل الايمان في الأعمال ؛ ومسلم ١/ ١٧٢ رقم ١٨٤ كتاب الايمان ، باب اثبات الشفاعة واخراج الموحدين من النار .
وورد حديث أبي سعيد هذا مطولا ، أوله قال : قلنا يارسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ قال : (هل تضارون في رؤية الشمس والقمر اذا كانت صحوا ؟) فذكر فيه الرؤية ، وكشف الساق ، والعرض ، ونصب الصراط ، والمرور عليه ، وسقوط من يسقط ، وشفاعة المؤمنين في اخوانهم ، وقول الله سبحانه / =

فالأقوال في ذلك ثلاثة :

الخوارج والمعتزلة نازعوا في الاسم والحكم ، فلم يقولوا بالتبعيض لا في الاسم ولا في الحكم ، فرفعوا عن صاحب الكبيرة اسم " الايمان " بالكلية[1]، وأوجبوا له الخلود في النار[2].

وأما الجهمية والمرجئة فنازعوا في الاسم لا في الحكم ؛ فقالوا : يجوز أن يكون مثابا معاقبا ، محمودا مذموما ؛ لكن لا يجوز أن يكون معه بعض الايمان دون بعض .

وكثير من المرجئة والجهمية من يقف في الوعيد ، فلا يجزم بنفوذ الوعيد في حق أحد من أرباب الكبائر ، كما قال ذلك من قاله من مرجئة الشيعة والأشعرية كالقاضي أبي بكر وغيره . ويذكر عن غلاتهم أنهم نفوا الوعيد

= وتعالى : (اذهبوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من ايمان فأخرجوه) .
أخرجه البخاري (فتح الباري ١٣/ ٤٢٠-٤٢٢ رقم ٧٤٣٩) كتاب التوحيد ، باب قول الله تعالى : (وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة) ؛ ومسلم ١/ ١٦٧- ١٧١ رقم ١٨٣ كتاب الايمان ، باب معرفة طريق الرؤية .
وعن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (يخرج من النار من قال لا اله الا الله ، وفي قلبه وزن شعيرة من خير ، ويخرج من النار من قال لا اله الا الله وفي قلبه وزن برة من خير ، ويخرج من النار من قال لا اله الا الله وفي قلبه وزن ذرة من خير)
وفي رواية (من ايمان) مكان (من خير) .
الحديث في صحيح البخاري (فتح الباري ١/ ١٠٣ رقم ٤٤) كتاب الايمان ، باب زيادة الايمان ونقصانه ؛ وصحيح مسلم ١/ ١٨٢ رقم ١٩٣ كتاب الايمان ، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها .
وورد هذا الحديث أيضا مطولا ، وفيه خبر الشفاعة العظمى : شفاعة رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم في أهل الموقف ، أوله عن أنس قال : حدثنا محمد صلى الله عليه وسلم قال : (اذا كان يوم القيامة ماج الناس في بعض . . .) وفيه (فأقول : يارب أمتي أمتي ، فيقول : انطلق فأخرج من كان في قلبه أدنى أدنى أدنى مثقال حبة خردل من ايمان فأخرجه من النار) .
رواه البخاري (فتح الباري ١٣/ ٤٧٣- ٤٧٤ رقم ٧٥١٠) كتاب التوحيد ، باب كلام الرب عز وجل يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم ؛ ومسلم ١/ ١٨٢- ١٨٤ رقم ١٩٣ كتاب الايمان ، باب أدنى أهل الجنة منزلة .

(١) كذا في (ط) ، وفي النسخ الأخرى : بالكلية اسم الايمان .
(٢) النار: كذا في (ط) ، وفي النسخ الأخرى : النيران . وأمام هذا الموضع في هامش (ط) كلمة " قوبل ".

بالكلية ،لكن لا أعلم معينا معروفا أذكر عنه هذا القول ،[(١] ولكن حكي هذا عن مقاتل بن سليمان[(٢)] ، والأشبه أنه كذب عليه[١)] .

وأما أئمة السنة والجماعة فعلى اثبات التبعيض في الاسم والحكم ، فيكون مع الرجل بعض الايمان لا كله ، ويثبت له من حكم أهل الايمان وثوابهم بحسب مامعه ، كما يثبت له من العقاب بحسب ماعليه ، وولاية الله[(٣)] بحسب ايمان العبد وتقواه ، فيكون مع العبد من ولاية الله[(٣)] بحسب مامعه من الايمان والتقوى ، فان أولياء الله[(٤)] هم المؤمنون المتقون ؛ كما قال تعالى : (الا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون . الذين آمنوا وكانوا يتقون)[(٥)] .

وعلى هذا فالمتأول الذى أخطأ في تأويله ، في المسائل الخبرية والأمرية ، وان كان في قوله بدعة يخالف بها نصا أو اجماعا قديما ، وهو لا يعلم أنه يخالف ذلك ، بل قد أخطأ فيه ، كما يخطئ المفتي والقاضي في كثير من مسائل الفتيا والقضاء باجتهاده - يكون أيضا مثابا من جهة اجتهاده الموافق لطاعة الله تعالى[(٦)] ، غير مثاب من جهة ما أخطأ فيه ، وان كان معفوا عنه .

ثم قد يحصل منه[(٧)] تفريط في الواجب أو اتباع لهوى يكون ذنبا منه ، وقد يقوى فيكون كبيرة ، وقد تقوم عليه الحجة التي بعث الله[(٨)] بها رسله ،

(١-١) مابينهما ساقط من (خ ،س) .

(٢) هو أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدى بالولاء ، البلخي ،عاش في البصرة ،قدم بغداد وحدث بها ،وتوفي بالبصرة.سنة :١٥٠ ، كان مفسرا وأصحاب الحديث يتقون حديثه وينكرونه .
قال ابن حزم في الفصل ٤/ ٢٠٥ : " وقال مقاتل بن سليمان -وكان من كبار المرجئة -: لا يضر مع الايمان سيئة جلت أو قلت أصلا ، ولا ينفع مع الشرك حسنة أصلا . . . وكان يقول : ان الله جسم ولحم ودم على صورة الانسان " .
وانظر: الطبقات الكبرى لابن سعد ٧/ ٣٧٣ ؛ الجرح والتعديل ٨/ ٣٥٤- ٣٥٥ ؛ تاريخ بغداد ١٣/ ١٦٠- ١٦٩ ؛ ميزان الاعتدال ٤/ ١٧٣- ١٧٥ ؛ الأعلام ٧/ ٢٨١ ؛ تاريخ التراث العربي ١/ ١/ ٨٥- ٨٦ .

(٣) س،ك : الله تعالى . في الموضعين .

(٤) من قوله هنا : " فان أولياء الله . . . " الى قوله في صفحة ٥٩١ : " . . . بل ومن حال المخبرين مصدقهم " ساقط من (ط) .

(٥) سورة يونس : ٦٢ .

(٦) تعالى : ليست في (خ) .

(٧) س ،ك : فيه .

(٨) س ،ك : الله عز وجل .

ويعاندها مشاقا[1] للرسول من بعد ماتبين له الهدى، متبعا غير سبيل المؤمنين؛ فيكون مرتدا منافقا، أو مرتدا ردة ظاهرة. فالكلام في الأشخاص لابد فيه من هذا التفصيل.

وأما الكلام في أنواع الأقوال والأعمال باطنا وظاهرا من الاعتقادات والارادات وغير ذلك، فالواجب فيما تنوزع فيه [من][2] ذلك / أن يرد الى الله والرسول، فما وافق الكتاب والسنة فهو حق، وماخالفه فهو باطل، وماوافقه من وجه دون وجه فهو ما اشتمل على حق وباطل فهذا هذا[3].

ص ١٢٧

والمقصود هنا أن أهل العلم والايمان في تصديقهم لما يصدقون به، وتكذيبهم لما يكذبون به، وحمدهم لما يحمدونه، وذمهم لما يذمونه - متفقون على هذا الأصل. فلهذا يوجد أئمة أهل العلم والدين من المنتسبين الى الفقه والزهد، يذمون البدع المخالفة للكتاب والسنة في الاعتقادات والأعمال، من أهل الكلام والرأى والزهد والتصوف ونحوهم؛ وان كان في أولئك من هو مجتهد، له أجر على اجتهاده، وخطؤه مغفور له.

وقد ثبت[4] عن النبي صلى الله[5] عليه وسلم من غير وجه أنه قال: (خير القرون الذى بعثت فيهم، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم[6]). فكان القرن الأول من كمال العلم والايمان على حال لم يصل اليها القرن الثاني وكذلك الثالث.

وكان ظهور البدع والنفاق بحسب البعد عن السنن والايمان، وكلما كانت البدعة أشد تأخر ظهورها، وكلما كانت أخف كانت الى الحدوث أقرب؛ فلهذا

---

(١) س : مشاققا.
(٢) من : ساقطة من (س، ك).
(٣) ك : فهذا هو.
(٤) ك : يثبت.
(٥) س، ك : الله تعالى.
(٦) تقدم تخريج هذا الحديث، ص ٥٠١ ت ٧.

حدث أولا بدعة الخوارج والشيعة ، ثم بدعة القدرية والمرجئة ، وكان آخر ماحدث بدعة الجهمية ، حتى قال ابن المبارك ، ويوسف بن أسباط[(١)] ، وطائفة من العلماء ، من أصحاب أحمد وغيرهم : ان الجهمية ليسوا من الثنتين وسبعين فرقة ، بل هم زنادقة .

وهذا مع أن كثيرا من بدعهم دخل فيها قوم ليسوا زنادقة ، بل قبلوا كلام الزنادقة جهلا وخطأ ؛ قال الله تعالى : (لو خرجوا فيكم مازادوكم الا خبالا ولأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم)[(٢)] . فأخبر[(٣)] أن في المؤمنين من هو مستجيب للمنافقين ، فما يقع فيه بعض أهل الايمان من أمور بعض المنافقين هو من هذا الباب .

والمقصود هنا أن يعلم أنه لم يزل في أمة محمد صلى الله[(٤)] عليه وسلم من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، وأن أمته لا تبقى على ضلالة ، بل اذا وقع منكر من لبس حق بباطل أو غير ذلك ؛ فلا بد أن يقيم الله تعالى[(٥)] من يميز ذلك . فلا بد من بيان ذلك ، ولا بد من اعطاء الناس حقوقهم ؛ كما قالت عائشة رضي الله[(٦)] عنها : أمرنا رسول الله صلى الله[(٦)] عليه وسلم أن ننزل الناس منازلهم . رواه أبو داود وغيره[(٧)] .

وهذا الموضع لا يحتمل من السعة ، وكلام الناس في مثل هذه الأمور التي وقعت ممن وقعت منه ، بل المقصود التنبيه على جمل ذلك ، لأن هذا

---

(١) هو أبو محمد يوسف بن أسباط بن واصل الشيباني الكوفي ، نزل قرية بين حلب وانطاكية ، كان عابدا صاحب سنة ، الا أنه يغلط في الحديث ، قال عنه البخاري : دفن كتبه فكان لا يجيء بحديثه كما ينبغي ، مات سنة ١٩٥ .
انظر : التاريخ الكبير ٨/ ٣٨٥ ؛ الجرح والتعديل ٩/ ٢١٨ ؛ ميزان الاعتدال ٤/ ٤٦٢ ؛ تهذيب التهذيب ١١/ ٤٠٧-٤٠٨ .

(٢) سورة التوبة : ٤٧ .

(٣) س ، ك : فأخبر سبحانه .

(٤) س ، ك : الله تعالى .

(٥) تعالى : ليست في (خ) .

(٦) س ، ك : الله تعالى . (في الموضعين) .

(٧) تقدم تخريجه ، ص ٤٠٨ ت ٩ .

محتاج اليه في هذه الأوقات ؛ فكتب الزهد والتصوف فيها من جنس مافي كتب الفقه والرأى ؛ وفي كلاهما / منقولات صحيحة وضعيفة ، بل ،وموضوعة ؛ ومقالات صحيحة وضعيفة ، بل وباطلة . وأما كتب الكلام ففيها من الباطل أعظم من ذلك بكثير ، بل فيها أنواع من الزندقة والنفاق ، وأما كتب الفلسفة فالباطل غالب عليها ، بل الكفر الصريح كثير فيها .

ص ١٢٨

عود الى الكلام عن الغزالي

وكتاب " الاحياء " له حكم نظائره ، ففيه أحاديث كثيرة صحيحة ، وأحاديث كثيرة ضعيفة أو موضوعة ؛ فان مادة مصنفه في الحديث والآثار ، وكلام السلف وتفسيرهم للقرآن ؛ مادة ضعيفة . وأجود ماله من المواد المادة الصوفية ، ولو سلك فيها مسلك الصوفية أهل العلم بالآثار ، النبوية ، واحترز عن تصوف المتفلسفة الصابئين ، لحصل مطلوبه ، ونال مقصوده ؛ لكنه في آخر عمره سلك هذا[1] السبيل . وأحسن مافي كتابه - أو من أحسن مافيه - مايأخذه من كتاب أبي طالب في " مقامات العارفين " ونحو ذلك ، فان أبا طالب أخبر بذوق الصوفية حالا ، وأعلم بكلامهم وآثارهم سماعا ، وأكثر مباشرة لشيوخهم الأكابر .

عود الى الكلام عن طرق العلم بصدق النبي

والمقصود هنا أن طرق العلم بصدق النبي صلى الله عليه وسلم[2] ، بل وتفاوت الطرق في معرفة قدر النبوة والنبي ؛ متعددة تعددا كثيرا ، اذ النبي يخبر عن الله سبحانه[3] أنه قال ذلك : اما اخبارا من الله[4] ، واما أمرا أو نهيا[5] ؛ ولكل من حال المخبر ، والمخبر عنه ، والمخبر به ، بل ومن حال المخبرين : مصدقيهم ومكذبيهم[6] - دلالة على المطلوب ، سوى ماينفصل عن ذلك من الخوارق ، وأخبار الأولين والهواتف ، والكهان ، وغير ذلك .

---

(١) خ : هذه .
(٢) س ، ك : النبي عليه أفضل الصلاة والسلام .
(٣) سبحانه : ليست في (خ) .
(٤) س ، ك : الله تعالى .
(٥) خ ، س : واما أمرا ونهيا .
(٦) هنا ينتهي الساقط من (ط) وقد بدأ في صفحة ٥٨٨ .

دلالة حال المخبر

فالمخبر[1] مطلقا يعلم[2] صدقه وكذبه بأمور كثيرة لا يحصل العلم بآحادها كما يحصل العلم بمخبر الأخبار المتواترة ، بل بمخبر الخبر الواحد الذي احتف بخبره قرائن أفادت العلم .

ومن هذا الباب علم الانسان بعدالة الشاهد والمحدث والمفتي ، حتى يزكيهم ويفتي بخبرهم ويحكم بشهادتهم ، وحتى لا يحتاج الحاكم في عدالة كل شاهد الى تزكيته ، فانه لو احتاج كل مزك الى مزك لزم التسلسل ، بل يعلم صدق الشخص تارة باختباره ومباشرته ، وتارة باستفاضة صدقه بين الناس[3] .

ولهذا قال العلماء : ان التعديل[4] لا يحتاج الى بيان السبب ، فان كون الشخص عدلا صادقا لا يكذب ؛ لا يتبين بذكر شيء معين ، بخلاف الجرح فانه لا يقبل الا مفسرا عند جمهور العلماء لوجهين :

أحدهما - أن سبب الجرح ينضبط .

الثاني - أنه قد يظن ماليس بجرح جرحا .

وأما كونه صادقا متحريا للصدق لا يكذب ، فهذا لا يعرف بشيء واحد حتى يخبر به ، وانما يعرف ذلك من خلقه وعادته ، بطول المباشرة له والخبرة له ؛ ثم اذا استفاض ذلك عند عامة / من يعرفه كان ذلك طريقا [للعلم[5]] لمن لم يباشره ، كما يعرف الانسان عدل عمر بن الخطاب وعمر بن عبد العزيز ، وظلم الحجاج . ولهذا قال الفقهاء : ان العدالة والفسق يثبت بالاستفاضة ، وقالوا في الجرح المفسر : يجرحه[6] بما رآه أو سمعه أو استفاض عنه .

ص ١٢٩

---

(١) ط: والمخبر .
(٢) في (خ) شكلت هذه العبارة هكذا : فالمُخْبَر مطلقًا يَعْلَمَ .
(٣) في هامش (خ) : بلغ مقابلة حسب الطاقة .
(٤) خ ، س : ولهذا اتفق العلماء على أن التعديل .
(٥) للعلم : ساقطة من (ك) .
(٦) ط: المقر بجرحه .

وصدق الانسان في العادة مستلزم لخصال البر، كما أن كذبه مستلزم لخصال الفجور ، كما ثبت في الصحيحين عن النبي صلى الله[1] عليه وسلم أنه قال : (عليكم بالصدق ، فان الصدق يهدى الى البر ، وان البر يهدى الى الجنة ، ولا يزال[2] الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا ؛ واياكم والكذب ، فان الكذب يهدى الى الفجور ،وان الفجور يهدى الى النار، ولا يزال[2] الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا[3]) .

وكما أن الخبر المتواتر يعلم لكونه[4] خبر[5] من يمتنع في العادة اتفاقهم وتواطوءهم على الكذب ، والخبر المنكر المكذب يعلم لكونه[4] لم يخبر به من يمتنع في العادة اتفاقهم على الكتمان - فخلق الشخص وعادته في الصدق والكذب يمتنع في العادة أن يخفى على الناس ، فلا[6] يوجد أحد يظهر تحرى الصدق وهو يكذب اذا أراد ؛ الا ولابد أن يتبين كذبه[7] .

فان الانسان حيوان ناطق ؛ فالكلام له وصف لازم ذاتي لا يفارقه ، والكلام اما خبر واما انشاء ، والخبر أكثر من الانشاء وأصل له ، كما أن العلم أعم من الارادة وأصل لها ، والمعلوم أعظم من المراد ؛ فالعلم يتناول الموجود والمعدوم ، والواجب والممكن والممتنع ، وماكان وماسيكون ، ومايختاره العالم ومالا يختاره ، وأما الارادة فتختص ببعض الأمور دون بعض . والخبر يطابق العلم ، فكل مايعلم يمكن الخبر به ، والانشاء يطابق الارادة ؛ فان الأمر اما محبوب يؤمر به ، أو مكروه ينهى عنه ، وأما ماليس بمحبوب ولا مكروه فلا يؤمر به ولا ينهى عنه .

---

(١) س ،ك : الله تعالى .
(٢) خ ،س : ومايزال . (في الموضعين) .
(٣) تقدم تخريجه ،ص٤٧٤ ت ٨ .
(٤-٤) مابينهما ساقط من (ط) .
(٥) خ ،س : أخبر .
(٦) خ ،س : ولا .
(٧) خ ،س : يتبين صدقه .

وإذا كان كذلك فالانسان اذا كان متحريا للصدق عرف ذلك منه[1]، وإذا كان يكذب أحيانا لغرض من الأغراض، لجلب مايهواه أو دفع مايبغضه أو غير ذلك[2]؛ فان ذلك لا بد أن يعرف منه، وهذا أمر جرت به العادات كما جرت بنظائره، فلا تجد أحدا بين طائفة من الطوائف طالت مباشرتهم له، الا وهم يعرفونه: هل يكذب أو لا يكذب.

ولهذا كان من سنة القضاة اذا شهد عندهم من لا يعرفونه كان لهم أصحاب مسائل، يسألون عنه جيرانه ومعامليه ونحوهم، ممن له به خبرة، فمن خبر شخصا خبرة باطنة فانه[3] يعلم من عادته علما يقينيا[4] أنه لا يكذب، لا سيما في الأمور العظام.

ومن خبر عبد الله بن عمر، وسعيد بن المسيب، وسفيان الثوري، ومالك بن أنس، وشعبة بن الحجاج[5]، ويحيى بن سعيد / القطان[6]، وأحمد بن حنبل، ص ١٣٠

---

(١) منه: ساقطة من (خ، س).
(٢) س: وغير ذلك.
(٣) ط: باطنة فقد.
(٤) ط: يقينا.
(٥) الحافظ الحجة أبو بسطام شعبة بن الحجاج بن الورد العتكي الأزدي مولاهم (٨٢-١٦٠) ولد ونشأ بواسط، ثم انتقل الى البصرة، وسكنها الى أن توفي بها، وهو زاهد ورع، من أئمة رجال الحديث، كان في غاية المعرفة بصحيح الآثار وسقيمها وناقليها، قيل: انه أول من تكلم في الرجال، وكان أيضا عالما بالأدب والشعر.
انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد ٧/ ٢٨٠-٢٨١؛ الجرح والتعديل ١/ ١٢٦-١٧٦؛ تاريخ بغداد ٩/ ٢٥٥-٢٦٦؛ وفيات الأعيان ٢/ ٤٦٩-٤٧٠؛ تذكرة الحفاظ ١/ ١٩٣-١٩٧؛ البداية والنهاية ١٠/ ١٣٢-١٣٣؛ تهذيب التهذيب ٤/ ٣٣٨-٣٤٦؛ الأعلام ٣/ ١٦٤؛ تاريخ التراث العربي ١/ ١/ ١٦٨-١٦٩.
(٦) في هامش (س): يحيى بن سعيد بن فروخ القطان من أهل البصرة، أحد الحفاظ المتقنين، والعلماء العاملين، سمع أبا جعفر الخطمي وسفيان الثوري وشعبة وغيرهم؛ وروى عنه عبد الرحمن بن مهدي والامام أحمد ويحيى بن معين وغيرهم.
قدم بغداد وحدث بها وكان يعرف بالأحول [الأصل: بالأحوال] قال ابن معين: وكان يفتي بقول أبي حنيفة رحمه الله تعالى. وولادته سنة مائة وعشرين وتوفي سنة ثمان وتسعين ومائة. وقد ترجم في الكتب التاريخية بترجمة طويلة رحمه الله تعالى ونفعنا بعلومه. الفقير نعمان البغدادي.

وأضعاف أضعافهم ؛ حصل عنده علم ضروري من أعظم العلوم الضرورية أن الواحد من هؤلاء لا يتعمد الكذب على رسول الله صلى الله[1] عليه وسلم ، ومن تواترت عنده[2] أخبارهم من أهل زماننا وغيرهم ؛ حصل له هذا العلم الضروري ، ولكن قد يجوز على أحدهم الغلط الذي يليق به .

ثم خبر الفاسق والكافر ، بل ومن عرف بالكذب ؛ قد تقترن به قرائن تفيد علما ضروريا أن المخبر صادق في[3] ذلك الخبر ، فكيف ممن عرف منه الصدق في الأشياء[3] !

فمن[4] كان خبيرا بحال النبي صلى الله[5] عليه وسلم ؛ مثل زوجته خديجة ، وصديقة أبي بكر ، اذا أخبره النبي صلى الله[5] عليه وسلم بما رآه أو سمعه ، حصل له علم ضروري بأنه صادق في ذلك ، ليس هو كاذبا في ذلك .

ثم أن[6] النبي لابد أن يحصل له علم ضروري بأن ما أتاه صادق أو كاذب ، فيصير اخباره عما علمه بالضرورة كاخبار أهل التواتر عما علموه بالضرورة .

وأيضا فالمتنبي الكذاب كمسيلمة والعنسي ونحوهما ؛ يظهر لمخاطبه[7] من كذبه في أثناء الأمور أعظم مما يظهر من كذب غيره ، فانه اذا كان الاخبار عن الأمور المشاهدة لابد أن يظهر فيه كذب الكاذب ؛ فما الظن بمن يخبر عن الأمور الغائبة التي تطلب منه .

ومن لوازم النبي التي لابد منها الاخبار عن الغيب الذي أنبأه الله[8] به ، فان من لم يخبر عن غيب لا يكون نبيا ؛ فاذا أخبرهم المتنبيء[9] عن الأمور الغائبة عن حواسهم[10] ، من الحاضرات والمستقبلات والماضيات ؛ فلابد أن يكذب فيهما ،

(١) س ،ك : الله تعالى .
(٢) عنده : كذا في (خ) ، وفي النسخ الأخرى : عنه .
(٣-٣) ما بينهما ساقط من (خ ،س) .
(٤) خ ،س : ومن .
(٥) س : الله تعالى . في الموضعين .
(٦) ان : ساقطة من (خ ،س) .
(٧) ط: بمخالطته ، خ : لمخالطيه .
(٨) س ،ك : الله تعالى .
(٩) المتنبىء : ساقطة من (خ ،س) .
(١٠) ط: عن مشاهدتهم .

ويظهر لهم كذبه ؛ وان كان قد يصدق أحيانا في شيء ، كما يظهر كذب الكهان والمنجمين ونحوهم ، وكذب المدعين للدين والولاية والمشيخة بالباطل ، فان الواحد من هؤلاء وان صدق في بعض الوقائع ؛ فلابد أن يكذب في غيرها ، بل يكون كذبه أغلب من صدقه ، بل تتناقض أخباره وأوامره ، وهذا أمر جرت به سنة الله التي لن تجد لها تبديلا ؛ قال تعالى : (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا)[(١)].

وأما النبي الصادق المصدوق[(٢)] فهو فيما[(٣)] يخبر به عن[(٤)] الغيوب ، توجد أخباره صادقة مطابقة ، وكلما زادت أخباره ظهر صدقه ، وكلما قويت مباشرته وامتحانه ظهر صدقه ، كالذهب الخالص الذى كلما سبك خلص وظهر[(٥)] جوهره، بخلاف المغشوش فانه عند المحنة ينكشف ويظهر أن باطنه خلاف ظاهره. ولهذا جاء في النبوات المتقدمة أن الكذاب لا يدوم أمره أكثر من مدة قليلة ، اما ثلاثين سنة واما أقل ؛ فلا يوجد مدعي النبوة كذاب[(٦)] الا ولا بد أن ينكشف ستره ويظهر أمره ؛ والأنبياء الصادقون لا يزال يظهر صدقهم ، بل الذين يظهرون العلم ببعض الفنون ، والخبرة / ببعض الصناعات ، والصلاح والدين والزهد ؛ لا بد أن يتميز هذا من هذا وينكشف ، فالصادقون يدوم أمرهم ، والكذابون ينقطع أمرهم ، هذا أمر[(٧)] جرت به العادة وسنة الله لتي لن تجد لها تبديلا .

ص ١٣١

---

(١) سورة النساء : ٨٢.
(٢) ط: والمصدوق ،خ ،س : المصدق .
(٣) فيما : ساقطة من (س) .
(٤) ط: من .
(٥) ط: ظهر وخلص .
(٦) ك : كذابا .
(٧) ط: هذا مما .

دلالة حال المخبر به

وأما المخبر عنه وبه[1]، فالنبي[2] يخبر عن الله تعالى بأنه أخبر بكذا، أو أنه أمر بكذا؛ فلابد أن يكون خبره صدقا وأمره عدلا؛ (وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا لامبدل لكلماته وهو السميع العليم)[3].

والأمور التي يخبر بها ويأمر بها، تارة تنبه العقول على الأمثال والأدلة العقلية التي يعلم بها صحتها، فيكون ماعلمته العقول[4] بدلالته وارشاده - من الحق الذى أخبر به[5]، والعدل[6] الذى أمر به - شاهدا[7] بأنه هاد مرشد[8] معلم للخير، ليس بمضل ولا مغو ولا معلم للشر.

وهذه حال الصادق البر دون الكاذب الفاجر، فان الكاذب الفاجر لا يتصور أن يكون ما يأمر به عدلا، ومايخبر به حقا. واذا كان أحيانا يخبر ببعض الأمور الغائبة، لشيطان يقترن به[9] يلقى اليه ذلك، أو غير ذلك؛ فلابد أن يكون كاذبا فاجرا؛ كما قال تعالى: (هل أنبئكم على من تنزل الشياطين. تنزل على كل أفاك أثيم. يلقون السمع وأكثرهم كاذبون)[10]. وهذا بيان لأن الذى يأتيه ملك لا شيطان، فان الشيطان لا ينزل على الصادق البار مادام صادقا بارا؛ اذ لا يحصل مقصوده بذلك، وانما ينزل على من يناسبه في التشيطن[11] وهو الأفاك[12] الأثيم، [والأفاك الكذاب[13]]، والأثيم الفاجر.

---

(١) وبه: ساقطة من (خ، س).
(٢) ط، ك: كالنبي.
(٣) سورة الأنعام: ١١٥. والآية ساقطة من (خ، س).
(٤) ط: فتكون بها علمية العقول.
(٥) ط: خصر به.
(٦) والعدل: كذا في (ط)، وفي النسخ الأخرى: والخبر.
(٧) ك: شاهد، ط: بينا هذا.
(٨) ك: ومرشد.
(٩) ط: كشيطان يعتريه، ك: كشيطان يقرن به.
(١٠) سورة الشعراء: ٢٢١-٢٢٣. في جميع النسخ: قل هو أنبئكم ... وهو خطأ.
(١١) ط: يناسبه الشيطان.
(١٢) الأفاك: كذا في (ط)، وفي النسخ الأخرى: الكاذب.
(١٣) والأفاك الكذاب: في (ط) فقط.

وتارة يخبر النبي[1] بأمور ويأمر بأمور ، لا يتبين للعقول[2] صدقها ومنفعتها في أول الأمر ، فاذا صدق الانسان خبره وأطاع أمره ؛ وجد في ذلك من البيان للحقائق ، والمنفعة والفوائد ؛ مايعلم به أن عنده من عظيم العلم والصدق والحكمة مالا يعلمه الا الله[3] ؛ أعظم مما يتبين به[4] صدق الطبيب اذا استعمل مايصفه من الأدوية ، وصدق العاقل[5] المشير اذا استعمل مايراه من الآراء ، وأمثال ذلك ، فحينئذ يحصل[6] للنفوس علم ضروري بكمال عقله وصدقه .

فاذا أخبر بعد ذلك عن أمور ضرورية يراها أو يسمعها ، حصل للنفوس علم ضروري بأنه صادق لا يتعمد الكذب ، وأنه متيقن[7] لما أخبر به ، ليس فيه خطأ ولا غلط ؛ أعظم مما يتبين به صدق من أخبر عما رآه من الرؤيا ، أو عما رآه من العجائب وأمثال ذلك .

فان المخبر[8] انما تأتيه الآفة من تعمد الكذب ، أو الخطأ : بأن يظن الأمر على خلاف ماهو عليه ؛ فما كان[9] من العلوم الضرورية التي كلما دامت قويت وظهرت وزادت ، زال[10] احتمال الخطأ ؛ وماكان يتحرى[11] الصدق الذى يعلم معه[12] بالضرورة انتفاء[13] تعمد الكذب ؛ هو[14] وغيره من الأمور التي يعلم معها انتفاء تعمد الكذب - يزول[15] معه احتمال تعمده .

ص ١٣٢ وأما العلم بالعدل فيما يؤمر به ، وبالعدل الفضل[16] فيما يأمره/[14] ؛ فهذا

(١) النبي : ساقطة من (ط) .
(٢) ط: لا تتبين العقول .
(٣) س ،ك : الله تعالى .
(٤) خ ،س : له .
(٥) ط،ك : العقل . وليست الكلمة في (خ ،س) .
(٦) كذا في (ط) ،وفي النسخ الأخرى : وحينئذ فيحصل .
(٧) خ ،س : متبين .
(٨) ط،ك : الخبر .
(٩) ط: وماكان ،س ،ك : فان كان .
(١٠) ط: ويزول معه .
(١١) يتحرى ترك مكانها في (خ ،س) بياضا .
(١٢) معه : ساقطة من (ط) .
(١٣) ط،ك : وانتفاء .
(١٤-١٤) مابينهما ساقط من (خ ،س) ،وجاء الكلام التالي فيهما هكذا : فأخباره وأوامره تعلم تارة ... الخ.
(١٥) يزول : كذا في (ط) ،وفي (ك) : ويزول .
(١٦) الفضل : كذا في (ط) ،وفي (ك) : الفاضل .

يعلم تارة بما يبينه من الأدلة العقلية ويضربه[1] من الأمثال ، وهذا هو الغالب على مايذكره الأنبياء[2] من أصول الدين علما وعملا . وتارة يظهر ذلك بالتجربة والامتحان ، وتارة يستدل بما علم على مالم يعلم .

وأيضا فقد علم أن العالم مازال فيه نبوة من آدم الى محمد[3] صلى الله عليه وسلم ، فالنبي الثاني يعلم صدقه بأمور :

منها اخبار النبي الأول به ، كما بشر بنبينا محمد[4] صلى الله عليه وسلم[5] الأنبياء قبله ، وكذلك بشر بالمسيح الأنبياء قبله .

وتارة يعلم صدقه بأن يأتي بمثل ما أتوا به من الخبر والأمر ؛ فان الكذاب الفاجر لا يتصور أن يكون في أخباره وأوامره موافقا للأنبياء ، بل لابد أن يخالفهم في الأصول الكلية التي اتفق عليها الأنبياء ، كالتوحيد والنبوات والمعاد . كما أن القاضي الجاهل أو الظالم لابد أن يخالف سنة القضاة العالمين العادلين ، وكذلك المفتي الجاهل أو الكاذب ، والطبيب الكاذب[6] أو الجاهل ؛ فان كل هؤلاء لابد أن يتبين[7] كذبهم أو جهلهم بمخالفتهم[8] لما مضت به سنة أهل العلم والصدق ؛ وان كان قد يخالف بعضهم بعضا في أمور اجتهادية ،فانه يعلم الفرق بين ذلك وبين المخالفة في الأصول الكلية التي لا يمكن انخرامها[9] .

ولهذا يميز الناس[10] في الأمراء والحكام والمفتين والمحدثين والأطباء

---

(١) ط،ك : مما نبينه من الأدلة العقلية ونضربه .
(٢) س،ك : الأنبياء عليهم السلام .
(٣) س،ك : من آدم عليه السلام الى سيدنا محمد .
(٤) ط،خ : كما بشر بمحمد .
(٥) س،ك : محمد عليه أفضل الصلاة وأكمل السلام .
(٦) خ،س : والطبيب الحاذق .
(٧) خ،س : يبين .
(٨) ط: لمخالفتهم .
(٩) ط: انحرافها .
(١٠) ط: يتميز الناس ؛ ك : يتميز للناس .

وسائر الأصناف، بين العالم الصادق - وإن خالف غيره من أهل العلم والصدق[1] في أشياء - وبين من يكون جاهلا أو كاذبا ظالما، ويفرقون بين هذا وهذا، كما أنهم يعلمون من سيرة أبي بكر وعمر من العلم والعدل مالا يرتابون فيه، وإن كان بينهما منازعات في أمور اجتهادية كالتفضيل في العطاء ونحو ذلك.

وأيضا فاذا أخبر اثنان عن قضية طويلة ذات أجزاء وشعب، لم يتواطئا عليها، ويمتنع في العادة اتفاقهما فيها على تعمد الكذب أو الخطأ[2] - علمنا صدقهما؛ مثل أن يشهد رجلان واقعة من وقائع الحروب، أو يشهدا[3] الجمعة أو العيد، أو موت ملك، أو تغير دولة ونحو ذلك، أو يشهدا[3] خطبة خطيب، أو كتابا لبعض الولاة، أو يطالعا[4] كتابا من الكتب أو يحفظاه[5]، ويعلم[6] أنهما لم يتواطئا، ثم يجيء أحدهما فيخبر بذلك كله مفصلا شيئا فشيئا، ويخبر الآخر[7] بمثل ما أخبر به الأول مفصلا شيئا فشيئا، من غير تواطىء، فيعلم أنهما صادقان.

حتى لو كان رجلان يحفظان بعض قصائد العرب كقصيدة امرىء القيس[8] أو غيرها، وهناك من لا يحفظها، وهناك شخصان لا يعرف أحدهما الآخر، فقال[9] الذي لا يحفظها لأحدهما[9]: أنشدنيها. فأنشدها، ثم طلب الآخر وقال

---

(١) ط: الصدق (بدون الواو)، ك: في الصدق.
(٢) ك : والخطأ، ط: اتفاقهما فيها على الكذب ان عمدا علمنا صدقهما، أخطأ.
(٣) خ ،س : يشهدان. في الموضعين.
(٤) خ ،س : يطالعان.
(٥) خ ،س : يحفظانه.
(٦) ويعلم : كذا في (ط)، وفي النسخ الأخرى: ونعلم.
(٧) ط،ك : فشيئا من غير تواطىء فيعلم أنهما صادقان، ويخبر الآخر.
(٨) امرؤ القيس بن حجر بن الحارث الكندي، واختلف في اسمه فقيل جندج، وقيل مليكة، وقيل عدي، يماني الأصل، مولده بنجد، جاهلي من أشهر شعراء العرب، توفي في أنقرة سنة ٨٠ ق هـ.
انظر: تهذيب ابن عساكر ٣/ ١٠٤- ١١١؛ الأعلام ٢/ ١١- ١٢.
(٩-٩) مابينهما ساقط من (خ ،س).

له : أنشد نبيها[1]. فأنشدها كما أنشد الأول - علم المستمع أنها هي هي[2].

بل وكذلك كتب الفقه والحديث واللغة والطب وغير ذلك.

ص ١٢٢ ولو بعث بعض الملوك رسلا[3] الى أمرائه / ونوابه ، في أمر من الأمور، ثم أخبر أحد المرسولين بأنه أمر بأمر - ذكره وفصله - وأخبر الآخر بمثل ذلك القوم[4] الذين أرسل اليهم ، من غير علم منه بارسال الآخر - لعلم قطعا أن ذلك الأمر هو الذى أمر به المرسل ، وأنهما صادقان ؛ فانه يعلم علما ضروريا أنه يمتنع في الكذب والخطأ أن يتفق في مثل هذا.

ومعلوم أن موسى وغيره من الأنبياء كانوا قبل محمد[5] ، وقد[6] أخبروا عن الله[7] من[8] توحيده ، وأسمائه وصفاته ، وملائكته ، وأمره ونهيه ، ووعده ووعيده ، وارساله - بما أخبروا به ؛ ومعلوم أيضا لمن علم حال محمد[9] صلى الله عليه وسلم[10] أنه كان رجلا أميا ، نشأ بين قوم أميين ، ولم يكن يقرأ كتابا ، ولا يكتب بخطه شيئا ، كما قال تعالى : (وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذاً لارتاب المبطلون)[11] ؛ وأن قومه الذين نشأ بينهم لم يكونوا يعلمون علوم[12] الأنبياء ، بل كانوا من أشد الناس شركا وجهلا وتبديلا وتكذيبا بالمعاد ، وكانوا من أبعد الأمم عن توحيد الله ، ومن أعظم الأمم اشراكا بالله[13] - ثم اذا تدبرت القرآن والتوراة وجدتهما يتفقان في عامة المقاصد الكلية ، من التوحيد والنبوات ، والأعمال الكلية ، وسائر[14] الأسماء والصفات.

---

(١) خ ،س : وقيل : أنشدها.
(٢) هي (الثانية) ساقطة من (ط).
(٣) ط: رسالة ، خ : رسلاله.
(٤) ط،ك : للقوم.
(٥) س ،ك : ومعلوم أن موسى عليه السلام وغيره من الأنبياء صلوات الله - في (س) : الله تعالى - عليهم أجمعين كانوا قبل نبينا محمد صلى الله - في (س) : الله تعالى - عليه وسلم.
(٦) ك : قد.
(٧) س ،ك : سبحانه وتعالى.
(٨) خ ،س : في.
(٩) س ،ك : سيدنا محمد.
(١٠) س : الله تعالى وسلم.
(١١) سورة العنكبوت : ٤٨.
(١٢) ط: علم.
(١٣) س ،ك : عن توحيد الله سبحانه ، ومن أعظم الأمم اشراكا بالله عز وجل.
(١٤) سائر: ساقطة من (خ ،س).

ومن كان له علم بهذا علم علما ضروريا ماقاله النجاشي: ان هـــذا والذى جاء به موسى ليخرج من مشكاة واحدة . وماقاله ورقة بن نوفل :انهذا هو الناموس الذى كان يأتي موسى .

قال تعالى : (قل أرأيتم ان كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهـــد من بني اسرائيل على مثله [1]) ، وقال تعالى : (فان كنت في شك مما أنزلنا اليك فاسأل الذين يقرأون الكتاب من قبلك [2]) ، وقال تعالى : (قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب [3]) . وأمثال ذلك مما يذكر فيه شهادة الكتب المتقدمة بمثل ما أخبر به محمد [4] صلى الله [5] عليه وسلم.

وهذه الأخبار منقولة عند أهل الكتاب بالتواتر ، كما نقل عندهم بالتواتـــر معجـــزات موسى وعيسى عليهما السلام [6] . وان كان كثير مما يدعونه من دق [7] الأمور لم يتواتر [8] عندهم ، لانقطاع التواتر فيهم ؛ فالفرق بين الجمل الكلية [9] المشهورة التي هي أصول [10] الشرائع ، التي يعلمها أهل الملل كلهم ؛ وبين الجزئيـــــات الدقيقة ،التي لا يعلمها الا خواص الناس- ظاهر .

ولهذا كان وجوب الصلوات الخمس ، وشهر رمضان [11] ، وحج البيت؛ وتحريم الفواحش والكذب ونحو ذلك - متواترا عند عامة المسلمين؛ وأكثرهم لا يعلمـــون تفاصيل الأحكام والسنن المتواترة عند الخاصة .

---

(١) سورة الأحقاف : ١٠ .
(٢) سورة يونس : ٩٤ .
(٣) سورة الرعد : ٤٣ .
(٤) س ،ك : نبينا محمد .
(٥) س : الله تعالى .
(٦) عليهما السلام : ليست في (ط ،خ) .
(٧) ك : أدق .
(٨) خ : تتواتر.
(٩) خ ،س : بين الجمل والكلية .
(١٠) س ،ك : أصل .
(١١) وشهر رمضان : كذا في جميع النسخ ، والمراد صوم شهر رمضان .

فوائد توافق كتب أهل الكتاب مع ما أخبر به رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم ص ١٣٤

فاذا كان في الكتب التي بأيدى أهل الكتاب، وفيما ينقلونه بالتواتر؛ مايوافق ما أخبر به محمد صلى الله عليه وسلم[(١)] كان في / ذلك فوائد جليلة، هي من بعض حكمة[(٢)] اقرارهم بالجزية :

أحدها - أنه اذا علم اتفاق الرسل على مثل هذا؛ علم صدقهم فيما أخبروا به عن الله حيث أخبر محمد[(٣)] بمثل ما أخبر به موسى من غير تواطؤ ولا تشاعر .

الثاني - أن ذلك دليل على اتفاق الرسل كلهم في أصول الدين ، كما يعلم أن رسل الله قبله كانوا رجالا من البشر، لم يكونوا ملائكة ، فلا يجعل محمد[(٤)] وحده هو الذى جاء بها ؛ كما قال تعالى : (قل ماكنت بدعا من الرسل)[(٥)].
وقال تعالى : (وما أرسلنا من قبلك الا رجالا نوحي اليهم من أهل القرى أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ولدار الآخرة خير للذين اتقوا أفلا تعقلون. حتى اذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا فنجى من نشاء ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين. لقد كان في قصصهم عبرة لأولى الألباب ماكان حديثا يفترى ولكن تصديق الذى بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون)[(٦)].

الثالث - أن هذه آية[(٧)] على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم[(٨)]، حيث أخبر بمثل ما[(٩)] أخبرت به الأنبياء من غير تعلم من بشر، وهذه الأمور هي من الغيب ،قال تعالى:* (تلك من أنباء الغيب نوحيها اليك ماكنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا فاصبر ان العاقبة للمتقين)[(١٠)]، وقال تعالى:* (ذلك من أنباء الغيب نوحيه اليك وماكنت لديهم اذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون)[(١١)].

---

(١) س ،ك : نبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم .
(٢) ط،ك : حكمه .
(٣) س ،ك : أخبروا به عن الله تعالى حيث أخبر محمد عليه الصلاة والسلام .
(٤) س ،ك : سيدنا محمد صلى الله [س : الله تعالى] عليه وسلم .
(٥) سورة الأحقاف : ٩ .
(٦) سورة يوسف : ١٠٩-١١١ .
(٧) ط: أن الدليل .
(٨) كذا في (خ) ، وفي (ط) نبوة محمد ،وفي (س ،ك) : نبوة نبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم.
(٩) ط: أخبر بما .
(*-*) مابينهما ساقط من (ط) .
(١٠) سورة هود : ٤٩ .
(١١) سورة يوسف : ١٠٢ .

وقال تعالى : (وما كنت بجانب الغربي اذ قضينا الى موسى الأمر وماكنت من الشاهدين . ولكنا أنشأنا قرونا فتطاول عليهم العمر وماكنت ثاويا في أهل مدين تتلو عليهم آياتنا ولكنا كنا مرسلين . وماكنت بجانب الطور اذ نادينا ولكن رحمة من ربك لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك لعلهم يتذكرون . ولولا أن تصيبهم مصيبة بما قدمت أيديهم فيقولوا ربنا لولا أرسلت الينا رسولا فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين . فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا لولا أوتي مثل ما أوتي موسى أولم يكفروا بما أوتي موسى من قبل قالوا سحران تظاهرا وقالوا انا بكل كافرون . قل فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما أتبعه ان كنتم صادقين . فان لم يستجيبوا لك فاعلم أنما يتبعون أهواءهم ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله ان الله لا يهدى القوم الظالمين . ولقد وصلنا لهم القول لعلهم يتذكرون . الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون . واذا يتلى عليهم قالوا آمنا به انه الحق من ربنا انا كنا من قبله مسلمين . أولئك يؤتون أجرهم / مرتين بما صبروا ويدرؤون بالحسنة السيئة ومما رزقناهم ينفقون . واذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين)[1] .

ص ١٣٥

وكثير[2] من أهل الكتاب آمنوا بمثل هذه الطريق[3] ؛ قال تعالى : (قل آمنوا به أو لا تؤمنوا ان الذين أوتوا العلم من قبله اذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجدا . ويقولون سبحان ربنا ان كان وعد ربنا لمفعولا . ويخرون للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعا)[4] ، وقال تعالى : (والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما أنزل اليك ومن الأحزاب من ينكر بعضه قل انما أمرت أن أعبد الله ولا أشرك به اليه أدعو واليه مآب)[5] ، وقال تعالى : (ويرى الذين أوتوا العلم الذى أنزل اليك من ربك هو الحق ويهدى الى صراط العزيز الحميد)[6] .

(١) سورة القصص : ٤٤-٥٥ .
(٢) خ ،س : فكثير.
(٣) الطريق : كذا في (ط) ،وفي النسخ الأخرى : الطرق .
(٤) سورة الاسراء : ١٠٧-١٠٩ .
(٥) سورة الرعد : ٣٦ .
(٦) سورة سبأ : ٦ .

شبهمنكري النبوات وجواب القرآن عنها

ولا ريب أن منكري النبوات لهم شبه : منها انكار أن يكون رسول الله بشرا ، ومنها دعوى أن الذي يأتيه شيطان لا ملك ، وغير ذلك . وكل ذلك قد أجاب الله عنه في القرآن[١] ، وقرر ذلك بأبلغ تقرير ؛ لكن جواب هذا السؤال لا يتسع لبسط ذلك[٢] .

قال تعالى : (الر تلك آيات الكتاب الحكيم . أكان للناس عجبا أن أوحينا الى رجل منهم أن أنذر الناس[٣]) ، وقال تعالى : (وما منع الناس أن يؤمنوا اذ جاءهم الهدى الا أن قالوا أبعث الله بشرا رسولا . قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا[٤]) .

وقال تعالى : (ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين . وقالوا لولا أنزل عليه ملك ولو أنزلنا ملكا لقضي الأمر ثم لا ينظرون . ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم مايلبسون[٥]) . بين[٦] أن الرسول لو كان ملكا لكان في صورة رجل ؛ اذ لا يستطيعون الأخذ عن الملك على صورته ، ولو كان في صورة رجل لعاد اللبس وقالوا : أبعث الله بشرا رسولا ! .

وقال تعالى : (وما أرسلنا من قبلك الا رجالا نوحي اليهم من أهل القرى أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم[٧]) ، وقال تعالى : (وما أرسلنا من قبلك الا رجالا نوحي اليهم فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون[٨] بالبينات والزبر[٩]) ، وقال تعالى : (وما أرسلنا قبلك الا رجالا نوحي اليهم فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون[٨] وما جعلناهم جسدا لا يأكلون الطعام

---

(١) س ، ك : أجاب الله تعالى عنه في القرآن العظيم .
(٢) ك : لبسط ذلك في القرآن .
(٣) سورة يونس : ١ ، ٢ .
(٤) سورة الاسراء : ٩٤ ، ٩٥ .
(٥) سورة الأنعام : ٧-٩ .
(٦) ط: بين سبحانه .
(٧) سورة يوسف : ١٠٩ .
(٨-٨) مابينهما في (خ) فقط.
(٩) سورة النحل : ٤٣ ، ٤٤ .

وما كانوا خالدين)[١] . فأمر سبحانه[٢] بمسألة أهل الذكر ؛ اذ ذلك مما تواتر عندهم أن الرسل كانوا رجالا ، وقال تعالى : (ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجا وذرية)[٣] .

وبالجملة فتقرير[٤] النبوات من القرآن أعظم من أن يشرح في هذا المقام ؛ اذ ذلك هو عماد / الدين ، وأصل الدعوة النبوية ، وينبوع كل خير ، وجماع كل هدى .

ص ١٣٦

دلالة حال المخبر عنه

وأما حال المخبر عنه[٥] ، فان النبي والرسول يخبر عن الله[٦] بأنه أرسله[٧] ، ولا[٨] أعظم فرية ممن يكذب على الله[٩] ؛ كما قال تعالى : (ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو قال أوحي الي ولم يوح اليه شيء ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله) . ذكر هذا بعد قوله : (وماقدروا الله حق قدره اذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء قل من أنزل الكتاب الذى جاء به موسى نورا وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا وعلمتم مالم تعلموا أنتم ولا آباؤكم قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون . وهذا كتاب أنزلناه مبارك مصدق الذى بين يديه ولتنذر أم القرى ومن حولها والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به وهم على صلاتهم يحافظون . ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو قال أوحي الي ولم يوح اليه شيء ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله)[١٠] .

---

(١) سورة الأنبياء : ٧ ، ٨ .
(٢) سبحانه : ليست في (ط) .
(٣) سورة الرعد : ٣٨ .
(٤) خ ،س : تقرير .
(٥) ط: وأيضا حال المخبر .
(٦) س ،ك : الله تعالى .
(٧) بأنه أرسله : في (ك) فقط .
(٨) خ ،س : فلا .
(٩) س ،ك : الله جل وعز .
(١٠) سورة الأنعام : ٩١ - ٩٣ .

فنقض سبحانه دعوى الجاحد النافي للنبوة بقوله : (قل من أنزل الكتاب الذى جاء به موسى) . وذلك الكتاب ظهر معه[1] من الآيات البينات ، واتبعه من[2] الأنبياء والمؤمنين ، وحصل له[3] مالم يحصل لغيره[4] ؛ فكانت البراهين والدلائل على صدقه أكثر وأظهر من أن تنكر[5] ، بخلاف الانجيل وغيره .

وأيضا[6] فانه أصل والانجيل تبع له ، فمن ذلك الخبر به وعنه ، الا فيما أحله المسيح ، و[في] هذا[7] يقول سبحانه : (أولم يكفروا بما أوتي موسى من قبل قالوا سحران تظاهرا)[8] . أى القرآن والتوراة ، وفي القراءة الأخرى : (قالوا ساحران) أى محمد وموسى[9] .

وكذلك قوله : (انا أرسلنا اليكم رسولا شاهدا عليكم كما أرسلنا الى فرعون رسولا) الآية[10] ، وكذلك قوله : (أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه ومن قبله كتاب موسى اماما ورحمة)[11] ، وكذلك قول الجن : (انا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه يهدى الى الحق والى طريق مستقيم)[12] .

ولهذا كانت قصة موسى هي أعظم قصص الأنبياء المذكورين في القرآن ، وهي أكبر من غيرها ، وتبسط أكثر من غيرها ، قال عبد الله بن مسعود : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عامة نهاره يحدثنا عن بني اسرائيل[13] [6] .

---

(١) ك : ظهر فيه .
(٢) س ،ك : من الآيات والبينات واتبعه كل .
(٣) له : كذا في (ط) ،وفي النسخ الأخرى : فيه .
(٤) ك : في غيره .
(٥) ط ،ك : تذكر .
(٦-٦) مابينهما ساقط من (خ ،س) .
(٧) ط ،ك : وهذا . ولعل الصواب ما أثبت .
(٨) سورة القصص : ٤٨ .
(٩) ط ،ك : أى محمد والقرآن ، والصواب ما أثبت ، انظر كتاب " الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح " ١/ ٣٠٣ ،مجموع فتاوى ابن تيمية (ط. الرياض) ١٦/ ٤٤ .
(١٠) سورة المزمل : ١٥ . وقد تمت الآية ،والتي بعدها قوله تعالى : (فعصى فرعون الرسول فأخذناه أخذا وبيلا) .
(١١) سورة هود : ١٧ .
(١٢) سورة الأحقاف : ٣٠ .
(١٣) في سنن أبي داود (عون المعبود ١/ ٩٧) كتاب العلم ، باب الحديث عن بني اسرائيل .عن عبد الله ابن عمرو بن العاص قال : كان نبي الله صلى الله عليه وسلم يحدثنا عن بني اسرائيل حتى يصبح ، مايقوم الا الى عُظم صلاة) .

أصناف الكذابين

ولما قرر الصدق بين حال الكذابين بأنهم[(١)] ثلاثة أصناف ؛ اذ لا يخلو الكذاب من أن يضيف الكذب الى الله[(٢)] ويقول : انه أنزله ، أو يحذف فاعله ولا يضيفه الى أحد ، أو أن يقول : انه هو الذى وضعه معارضا ؛ فقال تعالى : (ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو قال أوحى الى ولم يوح اليه شيء ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله) .

ص ١٣٧

[(٣)]وأما المخبر عنه فانه الله تعالى[(٣)] ، / ولا ريب أنه يعلم من أمور الرب سبحانه ، بما نصبه من الأدلة المعاينة الحسية التي يعقل بها[(٤)] بنفسها وبالأمثال المضروبة ، وهي الأقيسة العقلية - مايمتنع معه خفاء[(٥)] كذب الكاذب ، بل يمتنع معه خفاء[(٦)] صدق الصادق .

فالدجال مثلا ، قد علم بوجوه متعددة ضرورية أنه ليس هو الله ، وأنه كافر مفتر ، واذا كانت دعواه معلوما كذبها ضرورة لم يكن مايأتى به من الشبهات مصدقا لها ؛ اذ العلوم الضرورية لا تقدح فيها الطرق النظرية ، فان الضروريات أصل النظريات ، فلو قدح بها فيها لزم ابطال الأصل بالفرع ، فيبطلان جميعا ، [وأيضا[(٧)]] فانه يظهر أيضا من عجزه ماينفي دعواه[(٨)] .

وكذلك من أباح الفواحش والمظالم والشرك والكذب مدعيا للنبوة ؛ يعلم بالاضطرار كذبه ، للعلم[(٩)] الضرورى بأن الله سبحانه[(١٠)] لا يأمر بهذا ، سواء قيل : ان العقل يعلم به حسن الأفعال وقبحها ، أو لا يعلم به . فليس كل ما أمكن في

(١) ط: فانهم .
(٢) س ،ك : الله تعالى .
(٣-٣) مابينهما ليس في (ط) .
(٤) ط: بما نصه من الأدلة المعاينة الحسنة التي يفعل بها .
(٥) ط: بما معه حقا .
(٦) ط: حقا .
(٧) وأيضا : في (ط) فقط.
(٨) ط: أيضا فيما يبقى من معجزة دعواه.
(٩) خ ،س : بالفلم .
(١٠) سبحانه :ليست في (ط، خ)

العقل وقوعه - وكان الله قادرا عليه - يشك في وقوعه[1]، بل نحن نعلم بالضرورة أن البحار لم تنقلب دما، وأن الجبال لم تنقلب يواقيت، وأمثال ذلك من المعارف[2]، وان لم يسند ذلك الى دليل معين، وان كنا عالمين بأن الله تعالى[3] قادر على قلب ذلك، لكن العلم بالوقوع وعدمه شيء، والعلم بامكان ذلك من[4] قدرة الله سبحانه[5] شيء.

وكل ذى فطرة سليمة يعلم بالاضطرار أن الله تعالى[6] لا يأمر عباده بالكذب والظلم والشرك والفواحش وأمثال ذلك، مما قد يأتى به كثير من الكذابين، بل يعلم بفطرته السليمة ما يناسب حال الربوبية.

وهذا باب واسع، ليس هذا موضع بسطه، [7]ولكن نذكر ما أشار اليه مصنف العقيدة[7].

فصل

طرق أهل الكلام في تقرير دلالة المعجزة على صدق النبي

وهذه[8] الطريق[9] سلكها أكثر أهل الكلام وغيرهم، ولهم في تقرير دلالة المعجزة على الصدق طرق:

طريق المعتزلة

أحدها - أن اظهار المعجزة على يدى[10] المتنبىء الكذاب قبيح، والله سبحانه[11] منزه عن فعل القبيح. وهذه الطريق[12] سلكها المعتزلة وغيرهم ممن يقول بالتحسين والتقبيح، وطعن فيها من ينكر ذلك.

ثم ان المعتزلة جعلوا هذه أصل دينهم، والتزموا لها[13] لوازم خالفوا بها نصوص الكتاب والسنة، بل وصريح العقل في مواضع كثيرة.

---

(١) كذا في جميع النسخ، ولعل الصواب: لا يشك في وقوعه، أو يشاء وقوعه.
(٢) المعارف: كذا في (ط)، وفي النسخ الأخرى: المعادن.
(٣) تعالى: ليست في (ط، خ).
(٤) ط: في.
(٥) سبحانه: ليست في (ط، خ).
(٦) تعالى: ليست في (ط، خ).
(٧-٧) ما بينهما ساقط من (ط).
(٨) وهذه: كذا في (ط)، وفي النسخ الأخرى: فهذه.
(٩) ك: الطرق.
(١٠) س: يد.
(١١) ط: تعالى، وليست الكلمة في (خ).
(١٢) ك: الطرق.
(١٣) لها: كذا في (خ)، وفي النسخ الأخرى: بها.

وحقيقة أمرهم أنهم لم يصدقوا الرسول الا بتكذيب بعض ماجاء بـه ، وكأنهم قالوا : لا يمكن تصديقه في البعض الا بتكذيبه في البعض . لكنهم لا يقولون : انهم يكذبونه في شيء . بل تارة يطعنون في النقل ، وتارة يتأولون المنقول ، ولكن يعلم بطلان ماذكروه اما ضرورة واما نظرا .

وذلك أنهم قالوا : أن[1] السمع مبني على صدق الرسول ، وصدقه [مبني][2] على / أن الله[3] منزه عن فعل القبيح ، فان تأييد الكذاب بالمعجزة[4] قبيح ، والله منزه عنه . قالوا : والدليل على أنه منزه عنه ؛ أن القبيح لا يفعله الا جاهل بقبحه أو محتاج ،[اليه][5] والله[6] منزه عن الجهل والحاجة ؛ والدليل على ذلك أن المحتاج لا يكون الا جسما ، والله تعالى ليس بجسم ؛ والدليل على أنه ليس بجسم هو ما دل على حدوث العالم ؛ والدليل على حدوث العالم أنه أجسام وأعراض وكلاهما محدث ؛ والدليل على حدوث الأجسام أنها لا تخلو عن الحوادث ، ومالا يخلو عن الحوادث فهو حادث ، والدليل على ذلك أنها لا تنفك عن الحركة والسكون وهما حادثان ، لامتناع حوادث لا أول لها .

ص ١٢٨

ثم التزموا لذلك حدوث كل موصوف بصفة ، لأن الصفات هي الأعراض ، والأعراض لا تقوم الا بجسم ، وقد قام الدليل على حدوث الجسم ؛ فالتزموا لذلك أن لا يكون لله علم ولا قدرة ؛ وأن لا يكون متكلما قام به الكلام ، بل يكون القرآن وغيره من كلامه[7] مخلوقا ، خلقه في غيره ؛ ولا يجوز أن يرى لا في الدنيا ولا في الآخرة ؛ ولا هو مباين للعالم ولا محايث[8] ، ولا داخل فيه ولا خارج عنه .

---

(١) ان : ساقطة من (خ ، س) .
(٢) مبنى : ساقطة من (ك) .
(٣) س ، ك : الله تعالى .
(٤) خ : بالمعجز .
(٥) اليه : في (ط) فقط .
(٦) س ، ك : والله سبحانه .
(٧) س ، ك : كلامه تعالى .
(٨) ط ، س : ولا مجانب ؛ ك : ولا مجانبه .

ثم قالوا أيضا : لا يجوز أن يشاء خلاف ما أمر به، ولا أن يخلق[١] أفعال عباده، ولا يقدر أن يهدى ضالا[٢]، ولا يضل مهتديا ؛ لأنه لو كان قادرا على ذلك وقد أمر به ولم يعن عليه، لكان قبيحا منه .

فركبوا عن هذا الأصل التكذيب بالصفات والتكذيب بالقدر، وسموا أنفسهم " أهل التوحيد والعدل "، وسموا من أثبت الصفات [والقدر][٣] من سلف الأمة وأئمتها " مشبهة " و" مجسمة " و" مجبرة " و" حشوية "، وجعلوا مالكا وأصحابه، والشافعي وأصحابه، وأحمد وأصحابه، وغيرهم - من هؤلاء الحشوية، الى أمثال هذه الأمور التي بسطنا الكلام عليها في غير هذا الموضع.

وأصل ضلالهم في القدر أنهم شبهوا المخلوق بالخالق[٤]، فهم مشبهة الأفعال، وأما أصل ضلالهم في الصفات فظنهم أن الموصوف الذى تقوم به الصفات لا يكون الا محدثا .

وقولهم من أبطل الباطل ؛ فانهم يسلمون أن الله حي عليم قدير، ومن المعلوم[٥] أن حيا بلا حياة، وعليما بلا علم، وقديرا بلا قدرة - مثل متحرك بلا حركة، وأبيض بلا بياض، وأسود بلا سواد، وطويل بلا طول، وقصير بلا قصر، ونحو ذلك من الأسماء المشتقة التي يدعى فيها[٦] نفي المعنى المشتق منه، وهذا مكابرة للعقل والشرع واللغة .

الثاني - أنه أيضا[٧] من المعلوم أن الصفة اذا قامت بمحل ؛ عاد حكمها على ذلك المحل لا [على][٨] غيره، فاذا خلق سبحانه كلاما في محل وجب أن يكون

---

(١) ط: ولا خارج عنه ولا يمكنه أن يخلق .
(٢) ك : ضلالا .
(٣) والقدر: في (ط) فقط.
(٤) س، ك : بالخالق سبحانه.
(٥) ط: ومعلوم .
(٦) ط: تدعى عليها .
(٧) ط: الثاني أيضا أنه.
(٨) على : ساقطة من (ك) .

ذلك المحل هو المتكلم به ، فتكون الشجرة هي القائلة لموسى : (انني أنا الله لا اله الا أنا فاعبدني[1]) . ويكون كل ما أنطقه الله[2] من المخلوقات ، كلامه كلاما لله[3] . وبسط هذا له موضع غير هذا[4] / والمقصود هنا مايتعلق بتقرير النبوة .

ص ١٣٩

الآيات الدالة على الحكمة والرحمة تقرر تنزيه الله عن تأييد الكذاب بالمعجزة

وقد يقال : يمكن تقرير كونه سبحانه[5] منزها عن تأييد الكذاب بالمعجزة من غير بناء على أصل المعتزلة ، بما علم[6] من حكمة الله[7] في مخلوقاته ، ورحمته ببريته ، وسنته[8] في عباده ؛ فان ذلك دليل على أنه لا يؤيد كذابا بمعجزة لا معارض لها .

ويمكن بسط هذه الطريقة وتقريرها بما ليس هذا موضعه ؛ فانه[9] كما علم بما في مصنوعاته من الاحكام والاتقان أنه عالم ، وبما[10] فيها من التخصيص أنه مريد - فيعلم بما فيها من النفع للخلائق أنه رحيم ، وبما فيها من الغايات المحمودة أنه حكيم .

والقرآن يبين آيات الله الدالة على قدرته ومشيئته ، وآياته الدالة على انعامه ورحمته وحكمته ، ولعل هذا أكثر في القرآن كقوله تعالى[11] : (يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون . الذى جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون[12]) ، وقوله تعالى[11] :

---

(١) سورة طه : ١٤ .
(٢) س ، ك : الله تعالى .
(٣) س ، ك : لله تعالى .
(٤) ط : موضع آخر غير هذا .
(٥) ط : وقد سلك طوائف آخرون من نظار المسلمين تقرير النبوة بالمعجزة ، يمكن تقرير سبحانه .
(٦) خ ، س : اما لما علم .
(٧) س ، ك : الله تعالى .
(٨) ط : ومشيئته .
(٩) ك : في أنه .
(١٠) ك : وبما أن .
(١١) تعالى : ليست في (خ) (في الموضعين) .
(١٢) سورة البقرة : ٢١ ، ٢٢ .



(أفرأيتم ماتمنون . أ أنتم تخلقونه أم نحن الخالقون . نحن قدرنا بينكم الموت ومانحن بمسبوقين . على أن نبدل أمثالكم وننشئكم فيما لا تعلمون . ولقد علمتم النشأة الأولى فلولا تذكرون . أفرأيتم ماتحرثون . أ أنتم تزرعونه أم نحن الزارعون . لو نشاء لجعلناه حطاما فظلتم تفكهون . انا لمغرمون . بل نحن محرومون . أفرأيتم الماء الذى تشربون . أ أنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون . لو نشاء جعلناه أجاجا فلولا تشكرون . أفرأيتم النار التي تورون . أ أنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون . نحن جعلناها تذكرة ومتاعا للمقوين . فسبح باسم ربك العظيم) [١] .

وقوله [٢] : (ألم نجعل الأرض مهادا . والجبال أوتادا . وخلقناكم أزواجا . وجعلنا نومكم سباتا . وجعلنا الليل لباسا . وجعلنا النهار معاشا . وبنينا فوقكم سبعا شدادا . وجعلنا سراجا وهاجا . وأنزلنا من المعصرات ماء ثجاجا . لنخرج به حبا ونباتا . وجنات الفافا [٣]) ، وقوله [٤] : (فلينظر الانسان الى طعامه . أنا صببنا الماء صبا . ثم شققنا الأرض شقا . فانبتنا فيها حبا . وعنبا وقضبا . وزيتونا ونخلا . وحدائق غلبا . وفاكهة وأبا . متاعا لكم ولأنعامكم [٥]) ، وقوله [٦] : (أولم يروا أنا نسوق الماء الى الأرض الجرز فنخرج به زرعا تأكل منه أنعامهم وأنفسهم أفلا يبصرون [٧]) .

وهو سبحانه في سورة الرحمن يقول في عقب كل آية : (فبأى آلاء ربكما تكذبان) . وهو يذكر فيها مايدل على خلقه وعلمه وقدرته ومشيئته ، ومايدل على انعامه ورحمته وحكمته .

---

(١) سورة الواقعة : ٥٨ - ٧٤ .
(٢) س ،ك : وقوله سبحانه .
(٣) سورة النبأ : ٦ - ١٦ .
(٤) س ،ك : وقوله عز وجل .
(٥) سورة عبس : ٢٤ - ٣٢ .
(٦) ط : وقوله تعالى ، س ،ك : وقوله جل وعز .
(٧) سورة السجدة : ٢٧ .

وكذلك ذكر في مخاطبة الرسل للكفار ، كقوله سبحانه[1] : (قال فمن ربكما ياموسى . قال ربنا الذى أعطى كل شيء خلقه ثم هدى . قال فما بال القرون الأولى . قال علمها عند ربي في كتاب لا يضل / ربي ولا ينسى . الذى جعل لكم الأرض مهدا وسلك لكم فيها سبلا وأنزل من السماء ماء فأخرجنا به أزواجا من نبات شتى . كلوا وارعوا أنعامكم ان في ذلك لآيات لأولى النهى[2]) . ومثل هذا في القرآن كثير .

ص ١٤٠

ومافطر[3] فيه من المخلوقات دل على ذلك ، وفي نفس الانسان عبرة تامة ، فان من نظر في خلق أعضائه ومافيها من المنافع له ، ومافي تركيبها من الحكمة والمنفعة ؛ مثل كون ماء العين مالحا ليحفظ شحمة العين من أن تذوب ، وماء الأذن مرا ليمنع[4] الذباب من الولوج ، وماء الفم عذبا ليطيب مايمضغ من الطعام ، وأمثال ذلك - علم علما ضروريا أن خالق ذلك له من الرحمة والحكمة مايبهر العقول ، مع مافي ذلك من الدلالة على المشيئة .

ثم اذا استقرأ مايجده في نوع الانسان ؛ من أن كل من عظم ظلمه للخلق واضراره[5] لهم كانت عاقبته عاقبة سوء ، [6]واتبع اللعنة والذم[6] ؛ ومن عظم نفعه للخلق واحسانه اليهم كانت عاقبته عاقبة خير[7] ، وأمثال ذلك - استدل بما علم على مالم يعلم ؛ حتى يعلم أن الدولة ذات الظلم والجبن والبخل سريعة الانقضاء ، كما قال تعالى : (مالكم اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم الى الأرض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة الا قليل . الا تنفروا يعذبكم عذابا أليما ويستبدل قوما غيركم ولا تضروه شيئا[8]) ،

---

(١) ط : تعالى : وليست الكلمة في (خ) .
(٢) سورة طه : ٤٩ - ٥٤ .
(٣) ط : نظر .
(٤) ط : ليمتنع .
(٥) ك : وضراره .
(٦-٦) مابينهما ساقط من (خ ، س) .
(٧) ط : خير واسع .
(٨) سورة التوبة : ٣٨ ، ٣٩ .

وقال[1] : (ها أنتم هؤلاء تدعون لتنفقوا في سبيل الله فمنكم من يبخل ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه والله الغني وأنتم الفقراء وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم)[2].

كذلك سنته في الأنبياء الصادقين وأتباعهم من المؤمنين ، وفي الكذابين والمكذبين بالحق ؛ أن هؤلاء ينصرهم ويبقى لهم لسان صدق في الآخرين ، وأولئك ينتقم منهم ويجعل عليهم اللعنة .

فبهذا وأمثاله يعلم أنه لا يؤيد كذابا بمعجزة[3] لا معارض لها ؛ لأن في ذلك من الفساد والضرر بالعباد ماتمنعه رحمته ، وفيه من سوء العاقبة ماتمنعه حكمته ، وفيه[4] من نقض[5] سنته المعروفة وعادته المطردة ماتعلم[6] به مشيئته .

قال تعالى : (ولو تقول علينا بعض الأقاويل . لأخذنا منه باليمين . ثم لقطعنا منه الوتين . فما منكم من أحد عنه حاجزين)[7] ، وقال تعالى : (ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا . اذاً لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيرا)[8] ، وقال تعالى : (أم يقولون افترى على الله كذبا فان يشأ الله يختم على قلبك) - ثم قال - (ويمح الله الباطل ويحق الحق بكلماته انه عليم بذات الصدور)[9] ، وقال تعالى : (بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو / زاهق ولكم الويل مما تصفون)[10] ، وقال تعالى : (وقل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا)[11] ، (قل جاء الحق ومايبدىء الباطل ومايعيد)[12] .

ص ١٤١

---

(١) س ، ك : وقال عز وجل .
(٢) سورة محمد : ٣٨ .
(٣) س ، ك : بالمعجزة .
(٤) خ ، س : وفيها .
(٥) ط : نقص .
(٦) ماتعلم : كذا في جميع النسخ ، ولعل الصواب: ماتمتنع .
(٧) سورة الحاقة : ٤٤- ٤٧ .
(٨) سورة الاسراء : ٧٤ ، ٧٥ .
(٩) سورة الشورى : ٢٤ .
(١٠) سورة الأنبياء : ١٨ .
(١١) سورة الاسراء : ٨١
(١٢) سورة سبأ : ٤٩ .

فصـــــل

طريق الأشاعرة وموافقيهم

وهذه الطريق لم يسلكها أبو الحسن الأشعرى وأصحابه ومن وافقه من فقهاء المذاهب[١]، كالقاضي أبي يعلى، وابن عقيل[٢]، وابن الزاغوني؛ والأستاذ أبي المعالي، وصاحبه الأنصارى[٣]، والشهرستاني[٤]، وأمثالهم؛ وأبي الوليد الباجي[٥]، والمازرى، ونحوهم - بناء على انهم لا يرون تنزيه الرب سبحانه[٦] عن فعل من الأفعال، لأنهم قد علموا أن له أن يفعل مايشاء، وهم لا يقولون بالتحسين والتقبيح العقليين؛ حتى يقولوا[٧]: ان الفعل الفلاني قبيح، وهو منزه عن فعل القبيح. بل عندهم أن الظلم غير مقدور؛ اذ الظلم[٨] التصرف في ملك غيره، فمهما فعل كان تصرفا في ملكه، فلم يكن ظلما.

---

(١) كذا في (خ)، وفي (ط، س): فقهاء المذهب؛ ك: علماء المذهب.

(٢) ط: وابن عقيل في بعض المواضع.

(٣) هو أبوالقاسم سلمان بن ناصر بن عمران بن محمد بن اسماعيل الأنصارى النيسابورى، الشافعي الأشعرى، صحب أبي المعالي الجويني وأبي القاسم القشيرى، وكان فقيها زاهدا، شرح كتاب "الارشاد" للجويني، ومات سنة ٥١٢.
انظر: تبيين كذب المفترى، ص ٣٠٧؛ طبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٧/٩٦-٩٩؛ شذرات الذهب ٤/٣٤؛ الأعلام ٣/١١٢.

(٤) أبو الفتح محمد بن عبدالكريم بن أحمد الشهرستاني الشافعي الأشعرى، ولد سنة (٤٧٩) بشهرستان وتوفي فيها سنة ٥٤٨، أخذ عن أبي القاسم الأنصارى وأبي نصر القشيرى، وكان اماما مبرزا في علم الكلام والنظر، صنف كتاب "الملل والنحل" و "نهاية الاقدام في علم الكلام" وغيرهما.
انظر: وفيات الأعيان ٤/٢٧٣-٢٧٥؛ طبقات الشافعية الكبرى ٦/١٢٨-١٣٠؛ لسان الميزان ٥/٢٦٣-٢٦٤؛ شذرات الذهب ٤/١٤٩؛ الأعلام ٦/٢١٥.

(٥) هنا يبدأ الاضطراب في (ط)، الذى ذكرته في مقدمة التحقيق، ص ٧٤، فقد جاء فيها هنا (ص ٢٩٠): والشهرستاني وأبو [كذا] الوليد الباجي ونحو ذلك، والايمان بالرسل يتضمن الايمان بالكتب ... الخ [شرح الأصبهانية، ص٦٢٩] بينما جاء النص الذى نحن بصدده الآن، ص٣٠٨ كذا: وذوات (الر) و (حم) (طس) [شرح الأصبهانية، ص٣٢٩] والمازرى ونحوه بناء على أنهم لا يرون ... الخ.

(٦) سبحانه: ليست في (ط، خ).

(٧) ط: يقولون.

(٨) ط: غير مقدور، اذ حقيقة الظلم عندهم ممتنع لذاته في سنة الله، وأن كل مايقدر عليه فليس نسميه ظلما، اذ الظلم عندهم.

بل يقولون : انه يجوز أن يأمر بكل شيء وينهى عن كل شيء ،ولا يجعلون للأفعال صفات باعتبارها يكون الحسن والقبح[(١)] ، وانتهى ما أثبتوه من الصفات بالعقل الى أنه حي عليم قدير مريد ، وأثبتوا مع ذلك[(٢)] أنه سميع بصير متكلم. فأما الرحمة والحكمة ونحو ذلك فلم يثبتوها بالعقل[(٣)]، بل قد ينفون الحكمة التي هي الغايات والمقاصد في أفعاله ، ويمنعون أن يفعل شيئا لأجل شيء ، كما قد بسط الكلام على ذلك في غير هذا الموضع ، فان المقصود هنا التنبيه على طرق الناس في النبوة ، والكلام عليها بحسب العدل والانصاف ، لا بسط الكلام في كل ماتنازعوا فيه .

مسألة التحسين والتقبيح العقليين

ومسألة " التحسين والتقبيح العقليين " هي مما[(٤)] تنازع فيها عامة الطوائف ، فقال بكل من القولين طوائف من المالكية والشافعية والحنبلية ، وممن[(٥)] قال بالاثبات من الحنبلية أبو الحسن التميمي ، وأبو الخطاب[(٦)] ، وممن[(٧)] قال بالنفي أبو عبدالله بن حامد ،وصاحبه القاضي أبو يعلى ، وأكثر أصحابه. ومسألة " حكم الأعيان قبل ورود الشرع " هي في الحقيقة من فروعها ، وقد قال فيها بالحظر أو الاباحة أعيان من هذه الطوائف .

---

(١) ط،س : والقبيح . وزاد في (ط) :بل معين القبيح عندهم هو المنهى ،والله لا ينهى ، ويقولون : ان ماعلم أنه لا يفعله فانا نعلمه بالخير [كذا] فقط، لا بمجرد العقل ،ولكنهم قد يحتجون أيضا على الواقع بمعادنه [كذا] في خلقه وأمره ، وأصل قولهم أنهم سلكوا في اثبات القدر سوأ [كذا] من سلك الجهم ، كما فعل ذلك أبو الحسن ، وان كان مازعم في بعض الأمور انما يبقى نزاعا لفظيا أو غيره ،ولكن لم يوافقوا جهما على نفي الصفات، بل أثبتوها ، وكان أبو الحسن وابنه [؟] يثبتونها تارة بالعقل وتارة بالسمع .

(٢) ط : مع ذلك بالعقل .

(٣) ط : بالعقل ، يثبت قدماؤهم حى عليم قدير مع ذلك بالعقل .

(٤) س ،ك : كما . وفي هامش (س) : مطلب الحسن والقبح .

(٥) س ،ك : ومن .

(٦) ط : وأبو الخطاب، ومن الشافعية أبو علي بن أبي هريرة .
وأبو الخطاب هو محفوظ بن أحمد بن الحسن بن أحمد الكلوذاني البغدادى ،أحد أعيان المذهب الحنبلي ولد سنة ٤٣٢ ، تفقه بالقاضي أبي يعلى ،وسمع الكثير، ودرس وأفتى وناظر وصنف في الأصول والفروع ، وتوفي ببغداد سنة ٥١٠.
انظر: البداية والنهاية ١٢/ ١٨٠ ؛ الذيل على طبقات الحنابلة ١/ ١١٦- ١٢٧ ؛ الأعلام ٥/ ٢٩١ .

(٧) س،ك : ومن .

وأما الحنفية فالغالب عليهم القول بالتحسين والتقبيح العقليين، وذكروا ذلك نصا عن أبي حنيفة[١]، وأهل الحديث فيها أيضا على قولين، وممن[٢] قال بالاثبات أبو نصر[٣] السجزى، وصاحبه الشيخ أبو القاسم سعد[٤] بن علي الزنجاني.

فأما ما اختصت به القدرية فهذا لا يوافقهم عليه أحد من هؤلاء، ولكن هؤلاء هم وجمهور الفقهاء، بل وجمهور الأمة يرون أن للأفعال صفات تعلق[٥] الأمر والنهي بها / لأجلها. ص ١٤٢

وملخص ذلك أن الله[٦] اذا أمر بأمر فانه حسن بالاتفاق، واذا نهى عن شيء فانه قبيح بالاتفاق؛ لكن حسن الفعل وقبحه[٧] اما أن ينشأ من نفس الفعل، والأمر والنهي كاشفان؛ أو ينشأ من نفس تعلق الأمر والنهي به[٨]؛ أو من المجموع.

فالأول - هو قول المعتزلة، ولهذا لا يجوزون نسخ[٩] العبادة قبل دخول[١٠] وقتها؛ لأنه يستلزم[١٠] أن يكون الفعل الواحد حسنا قبيحا. وهذا قول أبي الحسن التميمي من أصحاب أحمد وغيره من الفقهاء.

والثاني - قول الأشعرية ومن وافقهم من الظاهرية وفقهاء الطوائف، وهؤلاء[١١] يجعلون علل الشرع مجرد أمارات، ولا يثبتون بين العلل والأفعال مناسبة. لكن[١٢] هؤلاء الفقهاء متناقضون في هذا الباب، فتارة يقولون

---

(١) س، ك: أبي حنيفة رحمه الله تعالى.
(٢) س، ك: ومن.
(٣) س، ك: أبو النصر.
(٤) ط، ك: سعيد.
(٥) ط: تتعلق، ك: يتعلق.
(٦) س، ك: الله تعالى.
(٧) ط: وقبيحه.
(٨) ط: بها.
(٩) ط: قبيح.
(١٠-١٠) مابينهما ساقط من (س).
(١١) ط: فهؤلاء.
(١٢) ط: بين العلل والأقوال مناسبات ولكن.

بذلك موافقة للأشعرية المتكلمين، وهم في أكثر تصرفاتهم يقولون بخلاف ذلك ،كما يوجد مثل هذا[1] في كلام فقهاء المالكية والشافعية والحنبلية .

واما أن يكون ذلك ناشئا[2] من الأمرين، وهذا مذهب الأئمة ، وعليه تجرى تصرفات الفقهاء في الشريعة ، فتارة يؤمر بالفعل لحكمة تنشأ من نفس الأمر دون المأمور به ، وهذا هو الذى يجوز نسخه قبل التمكين، كما نسخت الصلاة ليلة المعراج من خمسين الى خمس، وكما نسخ أمر ابراهيم بذبح ابنه[3] .

وبالجملة فجمهور الأئمة على أن الله[4] منزه عن أشياء هو قادر عليها ، ولا يوافقون[5] هؤلاء على أنه لا ينزه عن مقدور الظلم الذى نزه الله[6] عنه نفسه في القرآن، وحرمه على نفسه ، وهو[7] قادر عليه ؛ وهو هضم الانسان من حسناته ، أو حمل سيئات غيره عليه ، كما قال تعالى[8] : (ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلما ولا هضما[9]) .

---

(١) ط : مثل ذلك.

(٢) ط : والحنبلية ، ومن أثبت المناسبات في علل الشرع في مناظرتهم ، مع قولهم بأن الله لا يأمر بشيء لشيء ، فانه يقول : علمنا ذلك بالاستقراء ، وأن ذلك عادة الشارع ، كما يقال مثل ذلك في استقراء عادته في الخلق ، فيقولون : علمنا أن نفع الخلق مقرون بالحكمة من الشارع ، مع قولنا : انه لم يخلق المنافع لينتفع بها العباد ، ويقولون : علمنا أن حصول المصالح في الشريعة مقرون بامتثال أمر الشارع ، وان كنا نقول : انه لم يشرع الشريعة لمصالح العباد ، وهذا قول حذاقهم كالآمدى وغيره .
وأما الضرب الثالث أن ذلك ناشيء .

(٣) س ،ك : ابنه عليهما السلام . وزاد في (ط) : وتارة لحكمة تنشأ من الفعل نفسه ان [كذا] الأمر، وتارة لحكمة من الفعل حصلت بالأمر، وكثيرا ما في الفعل من الحكمة الناشئة منه ومن أمر الشارع تجتمع به ، واذا قيل : ليس لتعلق . . . [بياض بقدر كلمتين] بالقول جهة ثبوتية، قيل : القول نوعان : طلبي وخبري ، فأما الخبري فلا يورث في الخبر عنه صفة لم تكن ، وأما المأمور به فقد يكتسبه صفة أما في أمر الدين فظاهر، وأما التشريع فهو كذلك في أمر الشارع وبدره [بلا نقاط] في أمر غيره ، وهذا كتنازع الناس في أمر المعاد ، فرد عليهم النظار من جهة السمع بطريقين أحدهما . . [شرح الأصبهانية ص ٦٣٣]، والكلام التالي ورد في (ط) صفحة ٢٩٦ : بين نوع ونوع ، ولا يبين نفاقا ولا يثبت اثباتا . وبالجملة فجمهور الأئمة . . . الخ .

(٤) س ،ك : الله تعالى .

(٥) ط ،خ ،س : لا يوافقون . بدون الواو .

(٦) س ،ك : الله سبحانه .

(٧) ط ،خ ،س : هو . بدون الواو .

(٨) تعالى : ساقطة من (خ ، س) .

(٩) سورة طه : ١١٢ .

وهؤلاء الجمهور لا يوافقون[١] المعتزلة على قولهم: ان الله[٢] لم يخلق أفعال العباد، ولا شاء الكائنات. بل يقولون: ان الله خلق كل شيء، وماشاء الله كان ومالم يشأ لم يكن. لكنهم مع هذا يثبتون لفعله حكمة، وينزهونه عن القبائح[٣].

وهذا قول الكرامية وغيرهم من أهل الكلام[٤]، وهو قول أكثر الصوفية، وأكثر أهل الحديث وجمهور السلف والأئمة، وجمهور المسلمين والنظار[٥]، لكن ليس هذا موضع بسطه.

وهؤلاء يسلكون في اثبات النبوة ماسلكه ابن عقيل وغيره [٦]في مواضع أخر اذ أثبت حكم الله تعالى فيها[٦]، حيث قال: " النبوات واسطة بين الله[٧] وبين خلقه، في الأفعال والتروك المتضمنة لمصالح المكلفين، والثقة بها طريقهما ماسبق في علومنا، باستدلالنا على أن البارى حكيم لا يؤيد كذابا بالمعجزة[٨]، ولا يمكن من معجزاته الا من صدق فيما يخبر به عنه.

فلما علمنا ذلك وتحققناه حصلت لنا الثقة بمن تكاملت فيه شرائط النبوة وعلمنا أنه سفير فيما بيننا وبين الله[٩]/وأنه رسوله، فما[١٠] أخبرنا به عنه قبلناه من غير تكشف عليه بعقولنا، ولا نضرب له الأمثال بآرائنا وعاداتنا، بل نعتقد أنه جاء من عند من حكمته فوق حكمتنا، وتدبيره فوق تدبيرنا.

ص ١٤٣

ولا يمتنع في العقل، ولا تمنع[١١] الحكمة من أن يجعل الأنبياء مذكرين للعقلاء، وموقظين لهم، ومرشدين الى الأصلح الذى لا يدرك بالعقل، ولا يبلغ

---

(١) ط: وهؤلاء الجمهور يوافقون، خ، س: وهؤلاء يوافقون.
(٢) س، ك: الله تعالى.
(٣) ط: لفعلته حكمته وينزهونه عما نزه الله عنه.
(٤) ط، خ: من أهل الكلام أيضا.
(٥) خ، س: وأكثر أهل الحديث وجمهور الفقهاء والعامة.
(٦-٦) مابينهما في (ك) وهو في (ط) هكذا: في مواضع أخر اذا أثبت الله الحكم. وسقط من (خ، س).
(٧) س، ك: الله تعالى.
(٨) خ، س: بالمعجز.
(٩) س، ك: الله تعالى.
(١٠) ط، ك: فيما.
(١١) ط: فلا يمنع.

كنهه بالرأى والفحص ، وماهذا الا كما جعل بعض العقلاء حكيما واعظا مذكرا موءدبا ، وبعضهم يحتاج الى مذكر وموءدب ، ولا أحد منع من ذلك؛ فثبت حسن الرسالة بالعقل ، ولأن[1] لله[2] في الأفعال والتروك أسرارا من المصالح التي لا يعلمها العقلاء ولا يدركونها بعقولهم ، فاحتاجوا[3] الى النبوات".

عود للكلام على طريق الأشاعرة وموافقيهم

قلت[4]: والمقصود هنا أن من لم ينزهه عن فعل مقدور له ؛ بل جوّز[5] أن يفعل كل مايمكن ؛ ولم يثبت لفعله حكمة ، غير تعلق الحكم بالمفعولات ، وتعلق المشيئة بها - فانه احتاج[6] في دلالة المعجزة على الصدق الى غير تلك الطريق ، فسلكوا طريقين ، سلك كلا [منهما] طائفة[7] من أهل الكلام والفقه، من أصحاب مالك والشافعي وأبي حنيفة وأحمد[8]:

أحدهما - وهو قول[9] أكثر شيوخهم المتقدمين - أن وجه دلالة المعجزة على صدق مدعي النبوة ؛ امتناع تعجيز الاله عن نصب الدلالة على صدق الرسل؛ فان تصديقهم ممكن ، وذلك معلوم بالضرورة والاستدلال ، ولا دليل الى التصديق الا خلق المعجزات ؛ وظهورها[10] على يد الكذاب يبطل دليل صدقهم ، فلا يبقى في المقدور طريق يصدقون به ، فيلزم عجز الاله عن الممكن ، وذلك ممتنع .

وقد عول على هذه الطريقة أبو الحسن الأشعرى وأصحابه ، كالاستاذين أبي اسحاق[11]، وأبي بكر بن فورك ؛ وكذلك القاضي أبو بكر في مواضع من كتبه، وكذلك القاضي أبو يعلى ، وأبو الحسن بن الزاغوني[12].

---

(١) ط: ذلك ، ولا يجوز مع الرسالة بالعقل لأن .
(٢) س ،ك : لله جل وعز .
(٣) ط: فيحتاجوا .
(٤) قلت : ساقطة من (خ ،س) .
(٥) خ ،س :مقدور له وجوز.
(٦) ط:ولم يثبت لفعله وأمره ،بل لم يثبت سوى نسبة متعلقة وحكمة يتعلق بالمعنى المعتاد فانه احتاج .
(٧) س : سلك كل منهما طائفة ؛ ط ،ك : سلك كل طائفة .
(٨) وأحمد : ساقطة من (ط) .
(٩) ط: وهي طريقة ،خ ، س : احداهما وهي قول .
(١٠) ط: بظهورها ، ك : وبظهورها .
(١١) ط: كالاستاذ ابن أبي اسحاق ، وتقدمت ترجمة أبي اسحاق الاسفراييني ،ص ٢٣ ت ٦ .
(١٢) بن الزاغوني : في (ك) فقط .

الطريق الثاني ، وهي[1] التي اختارها أبو المعالي وأتباعه ، وقال :
انها الطريقة المرضية عند القاضي أبي بكر. وهي التي أشار اليها أبوالحسن
في "الأمالي" ، وهي طريقة أبي محمد الصابوني[2] ونحوه من الحنفية - أن
المعجزات تدل من حيث نزلت[3] منزلة التصديق بالقول ، والعلم بذلك يقع
ضروريا بقرائن أحوال ، كالعلم بخجل الخجل ، ووجل الوجل ، وغضب الغضبان ،
وجرأة الجسور[4] ، ونحوى كلام المخاطب المتكلم ؛ ولا يتوقف العلم بما هذا
سبيله على نظر واستدلال فيقبل عليه اعتراض[5] .

قالوا : ووجه ذلك أن الفعل الخارق للعادة ؛ اذا علم أنه من قبل
الله[6] ؛ وأنه خارق للعادة ؛ وأنه سبحانه فعله عند دعوى الرسالة والطلب ،
[7]أو عند[8] قول جار مجرى الطلب[7] ، اما معينا واما غير معين من المعجزات ؛
وأنه متعلق بالدعوى ومطابق لها[9] ؛ وأن الله تعالى سامع / لدعوى النبوة ص ١٤٤
عليه ، وعالم بها في مواضعة أهل لغة الرسول ، ثم فعل مايدعيه الرسول أنه
له[10] من فعله - علم أنه قاصد بذلك الى تصديقه ، وأن مايفعله من الآيات
في مثل هذه الحال قائم مقام تصديقه له بالقول : صدق[11] ، أنا أرسلته .
على وجه يفهم الأمة التي يدعى فيها النبوة أنه قول صدق به من قبله[12] .

---

(١) وهي : كذا في (ط) ،وفي النسخ الأخرى : هي .
(٢) أبو محمد أحمد بن محمود بن أبي بكر الصابوني البخاري ، من الحنفية ، ألف في أصول الدين كتاب "البداية" وغيره ، توفي سنة ٥٨٠ ببخارى .
انظر: الجواهر المضية ١/ ١٢٤ ؛ تاج التراجم في طبقات الحنفية ، ص ١٠ ؛ الفوائد البهية ، ص ٤٢ ؛ الأعلام ١/ ٢٥٣ - ٢٥٤ .
(٣) خ ،س : تنزلت .
(٤) س : وجراءة الحسود ؛ ط: وحراقة الحر، ك : وحرارة الحر.
(٥) ط: فيثقل عليه اعراض .
(٦) س ،ك : الله تعالى .
(٧-٧) مابينهما ساقط من (ط) .
(٨) ك : وعند .
(٩) ط: يتعلق بالدعوى ويطابق لها .
(١٠) ط،ك : أنه ليس .
(١١) صدق : ساقطة من (ط) .
(١٢) ط: أنه يعمل صدق به من أرسله .

بل التصديق له بالفعل أبعد من دخول الشبهة والاحتمال فيه ، وهو جار مجرى قول مدع الرسالة على زيد : ان كنت[1] رسولك وصاحبك فاكتب بذلك رقعة ، أو اركب ، أو قم ، أو اقعد . وماجرى مجرى ذلك من الأفعال الظاهرة للحواس[2] ، التي يعلم تصديقه بها اذا فعلها ، فاذا فعل زيد ذلك قام مقام قوله : صدق ، هو رسولي وصاحبي . الذى يعلم ضرورة قصده الى تصديقه به ، وهذا[3] واجب لامحالة . قالوا[4] : وليس يمكن أن تدل المعجزات على صدق الرسل الا على هذه الطريقة ، فهي كذلك جارية مجرى أدلة الأقوال[5] . هذا حاصل كلام القاضي أبى بكر بن الباقلاني في أحد[6] قوليه ، وأبى المعالي ونحوهما .

وضربوا لذلك مثلا[7] ، فقالوا : اذا تصدى ملك للناس ، وتصدر لتلتج[8] عليه رعيته وأتباعه وغيره[9] ، واحتفل المجلس واحتشد ، وقد أرهق الناس شغل شاغل ، فلما أخذ كل مجلسه ، وترتب الناس على مراتبهم ؛ انتصب واحد من خواص الناس ، وقال : معاشر الأشهاد قد حدث بكم أمر عظيم ، وأظلكم خطب جسيم[10] ، وأنا رسول الملك اليكم ، ومؤتمنه لديكم ، ورقيبه

---

(١) س : كتب . ولم تنقط في (خ) .
(٢) أمام هذا الموضع في هامش (ط) كلمة : قوبل .
(٣) ط، خ ، س : هذا . بدون الواو .
(٤) خ ، س : قال .
(٥) ط : الأفعال .
(٦) خ ، س : احدى .
(٧) يبدو أن ابن تيمية يلخص الكلام في الطريق الثاني من كتاب " الارشاد " للجويني ، وقد يكون كتاب " الارشاد " المطبوع ناقصا ، وقد ورد فيه ، ص ٣٢٤ - ٣٢٥ : " والمرضي عندنا أن المعجزة تدل على الصدق من حيث تتنزل منزلة التصديق بالقول ، وغرضنا يتبين بفرض مثال ، فنقول : اذا تصدر ملك للناس . . ." الى آخر المثل الذى يذكره ابن تيمية الآن .
(٨) خ ، س : ليلج .
(٩) وأتباعه وغيره : ساقطة من (خ ، س) ، وفي (ط) بعد كلمة "وأتباعه" بياض بقدر كلمة ، ولعل صواب الكلمة : وغيرهم .
(١٠) أمام هذا الموضع في هامش (خ) : بلغ مقابلة حسب الطاقة .

عليكم ، ودعواي هذه بمرآى من الملك ومسمع ، فان كنت أيها الملك صادقا في دعواي ؛ فخالف عادتك ،وجانب سجيتك ، وانتصب في خدرك قائما ثم[1] اقعد . ففعل الملك ذلك على وفق دعواه ، وموافقة هواه ؛ فيتيقن الحاضرون علم الضرورة بتصديق الملك اياه ، وتنزيل الفعل الصادر منه منزلة القول المصرح بالتصديق .

فهذه[2] العمدة في ضرب المثال ، فان تعسف متعسف في الصورة التي فرضنا الكلام فيها ، وزعم أنه لا يحصل العلم بتصديق الملك لمن يدعي الرسالة كان ذلك جحدا منه لما علم اضطرارا ، فانا نعلم ببديهة العقول عند ماقدمناه من القرائن حالا ومقالا ؛ أن أحدا من الذين شهدوا وشاهدوا لا يستريب في تصديق الملك لمدعي الرسالة ، ولا يعرض أحد منهم بعد ظهور الأمارات على تشكيك النفس وترديد القول ، ولا تحوجهم قضية الحال الى سبر ونظر واطالة فكر ، بل يستوى النظار والذين[3] لا خبرة لهم في النظر .

فصل

دليل الأصبهاني على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم

قال المصنف[4] : " والدليل على نبوة الأنبياء المعجزات ، والدليل على نبوة نبينا [محمد[5]] صلى الله عليه وسلم القرآن ، المعجز نظمه ومعناه " .

شرح ابن تيمية

قلت : قد تبين أن النبوة تعلم بالمعجزات وبغيرها على أصح الأقوال ، وأما / نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم[6] فانها تعلم[7] بطرق كثيرة ؛ منها المعجزات ، ومعجزاته منها القرآن ومنها غير القرآن ، والقرآن

ص ١٤٥

(١) خ ،س : في خدرك وسهرك ، ثم ؛ وفي الارشاد (ص ٣٢٥) : في صدرك وبهوك ، ثم .
(٢) ط : وهذه ؛ ك : فهذا .
(٣) في جميع النسخ : النظار الذين . ولعل الصواب ما أثبت .
(٤) ط : قال الشيخ شمس الدين الأصفهاني في عقيدته المتقدمة .
(٥) محمد : ساقطة من (ك) .
(٦) س ،ك : محمد عليه أفضل الصلاة وأكمل السلام .
(٧) ك : تعرف .

معجز بلفظه ونظمه ومعناه ، واعجازه يعلم بطريقين : جملي وتفصيلي .

أما الجملي فهو أنه قد علم بالتواتر أن محمدا صلى الله[١] عليه وسلم ادعى النبوة ، وجاء بهذا القرآن ، وأن في القرآن آيات التحدي والتعجيز ، كقوله تعالى : (أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون . قل تربصوا فاني معكم من المتربصين . أم تأمرهم أحلامهم بهذا أم هم قوم طاغون . أم يقولون تقوله بل لا يؤمنون . فليأتوا بحديث مثله ان كانوا صادقين[٢]) ، فتحداهم هنا أن يأتوا بمثله ، وقال في موضع آخر : (فاتوا بعشر سور مثله مفتريات[٣]) ، وقال في موضع آخر : (فاتوا بسورة من مثله[٤]) .

وأخبر مع ذلك أنهم لن يفعلوا فقال : (وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين . فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار[٥]) ، بل أخبر أن جميع الانس والجن اذا اجتمعوا لا يأتون بمثله فقال : (قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا[٦]) .

وقد علم أيضا بالتواتر أنه دعا قريشا خاصة والعرب عامة ؛ وأن جمهورهم في أول الأمر كذبوه وآذوه ، وآذوا أصحابه[٧] ، وقالوا فيه أنواع القول ، مثل قولهم : هو ساحر ، وشاعر ، وكاهن ، ومعلم ، ومجنون ، وأمثال ذلك ؛ وعلم أنهم كانوا يعارضونه[٨] - ولم يأتوا بسورة من مثله ، وذلك يدل على عجزهم عن معارضته ، لأن الارادة الجازمة لا يتخلف عنها الفعل مع القدرة .

---

١) س ، ك : الله تعالى .
٢) سورة الطور : ٣٠ - ٣٤ .
٣) سورة هود : ١٣ . في جميع النسخ : (فيأتوا بعشر ...) وهو خطأ .
٤) سورة البقرة : ٢٣ . في جميع النسخ : (فليأتوا بسورة ...) وهو خطأ .
٥) سورة البقرة : ٢٣ ، ٢٤ .
٦) سورة الاسراء : ٨٨ .
٧) ك : الصحابة .
٨) ط : لا يعارضوه .

ومعلوم أن ارادتهم كانت من أشد الارادات على تكذيبه وابطال حجته، وأنهم كانوا أحرص الناس على ذلك، حتى قالوا فيه مايعلم أنه باطل بأدنى نظر، وفيلسوفهم الكبير الوحيد (فكر وقدر)[1] (ثم نظر. ثم عبس وبسر. ثم أدبر واستكبر. فقال ان هذا الا سحر يؤثر. ان هذا الا قول البشر)[2].

وليس هذا موضع ذكر جزئيات القصص، اذ المقصود ذكر ماعلم بالتواتر: من أنهم كانوا من أشد الناس حرصا ورغبة على اقامة حجة يكذبونه بها، حتى كانوا يتعلقون بالنقض مع وجود الفرق؛ فانه لما نزل (انكم وماتعبدون من دون الله حصب جهنم)[3] عارضوه بالمسيح، حتى فرق الله[4] بينهما بقوله: (ان الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون)[5]. وقال تعالى: (ولما ضرب ابن مريم مثلا اذا قومك منه يصدون وقالوا أألهتنا خير أم هو ماضربوه لك الا جدلا بل هم قوم خصمون)[6]. فمن عارضوا خبره[7] بمثل هذا كيف يدعون معارضة القرآن وهم يقدرون على ذلك[8].

(*)وقوله: (ماتعبدون). خطاب للمشركين، لم يدخل فيه أهل الكتاب، ولا / تناول اللفظ المسيح، كما يظنه ظان من الظانين، بل هم عارضوه بالمسيح من باب القياس؛ يقولون: اذا كانت الأنبياء من حصب جهنم لأنها معبودة كذلك المسيح، وهذا كما قال تعالى: (ولما ضرب ابن مريم مثلا)

ص ١٤٦

---

(١) سورة المدثر : ١٨.
(٢) سورة المدثر : ٢١-٢٥.
(٣) سورة الأنبياء : ٩٨.
(٤) س، ك : الله تعالى.
(٥) سورة الأنبياء : ١٠١.
(٦) سورة الزخرف : ٥٧.
(٧) ط : فمن عارض أخبره.
(٨) ك : كيف لا يدعون ... وهم لا يقدرون.
(*ص ٦٢٦، *ص ٦٢٧) مابينهما ساقط من (خ، س).

فانهم جعلوه مثلا لآلهتهم ،ولم يورد ه[1] لشمول اللفظ كما يظن ذلك بعض المصنفين في الأصول . ولهذا بين الله الفرق بين المسيح وبين آلهتهم بأن المسيح عبد الله يستحق الثواب، ولا يظلم بذنب غيره ، بخلاف الحجارة ؛ فأن[2] في جعلها حصب[3] جهنم اهانة لهم[4] بذلك من غير ظلم* [لها[5]] .

ثم انتشرت دعوته في أرض العرب ثم في سائر الأرض ، الى هذا الوقت وآيات التحدى قائمة متلوة ؛ وماقدر أحد أن يعارضه بما يظن أنه مثل .

ولما جاء مسيلمة ونحوه بما أتوا به ، يزعمون أنهم أتوا بمثله ؛ كان ماأتوا به من المضاحك ، التي لا تحتاج[6] المعرفة بانتفاء مماثلتها[7] الى نظر، وذلك كمن جاء الى الرجل الفارس الشجاع ذى اللَّأمة[8] التامة ، فأراد أن يبارزه بصورة مصورة ربطها على الفرس ؛ كقول مسيلمة : ياضفدع بنت ضفدعين ،[نقي] كم تنقين[9] ، لا الماء تكدرين ،ولا الشارب تمنعين ؛رأسك في الماء ، وذنبك في الطين . وقوله أيضا : الفيل وما أدراك ماالفيل ! له زلوم طويل ، ان ذلك من خلق ربنا الجليل[10] . وأمثال ذلك.

ولهذا لما قدم وفد بني حنيفة على أبى بكر، وسألهم أن يقرأوا له شيئا من قرآن مسيلمة ، فاستعفوه فأبى أن يعفيهم ،حتى قرأوا شيئا من هذا ـ فقال لهم الصديق : ويحكم ! أين يذهب بعقولكم ! ان هذا كلام لم يخرج من ال. أى من رب ؛ فاستفهمهم[11] استفهام المنكر عليهم ، لفرط التباين ، وعدم الالتباس،

---

(١) يورده : كذا في (ط) ،وفي (ك) : يورد وه .

(٢) ط،ك : وان . ولعل الصواب ما أثبت .

(٣) ك : وأن في جعلهم من الأنبياء حصب .

(٤) ط،ك : له ،ولعل الصواب ما أثبت .

(٥) لها : في (ط) فقط .

(٦) ط: لا يحتاج في .

(٧) ك : مماثلها .

(٨) في "لسان العرب" مادة " لأم " : " واللَّأْم : الشديد من كل شيء ... واللَّأمة ، مهموز: الدِّرع، وقيل : السلاح ،ولأمة الحرب: أداتها ،وقد يترك الهمز تخفيفا ،ويقال للسيف لأمة ، وللرمح لأمة ، وانما سمي " لأمة " لأنها تلائم الجسد وتلازمه ، وقال بعضهم : اللَّأمة : الدرع الحصينة ،سميت " لأمة " لا حكامها وجودة حلقها".

(٩) ك : ضفدعين ، كم تنقنقين .

(١٠) ك : لجليل ،قوله : ياضفدع ... الخ ذكره الطبرى في تاريخه ٣ / ٢٨٤ ، ٣٠٠ ، وابن كثير في البداية والنهاية ٦/ ٣٢٦ ، وقوله : الفيل ... الخ ذكره ابن كثير ٦/ ٣٢٦ .

(١١) ك: فاستفهم .

وظهور الافتراء على هذا الكلام ، وأن الله[١] لا يتكلم بمثل هذا الهذيان .

(*) وأما الطرق فكثيرة جدا ، متنوعة من وجوه ؛ وليس كما يظنه بعض الناس أن[٢] معجزته من جهة صرف الدواعي عن معارضته ؛ وقول بعضهم : انه من جهة فصاحته ، وقول بعضهم : من جهة اخباره بالغيوب ، الى أمثال ذلك ؛ فان كلا من الناظرين قد يرى[٣] وجها من وجوه الاعجاز[٤] ، وقد يريد الحجر[٥] وان لم ير غيره ذلك الوجه ، واستيعاب الوجوه ليس هو مما يتسع له شرح هذه العقيدة (*) .

فصل

كلام الأصبهاني عن اليوم الآخر

قال المصنف : " ثم نقول : كل ما أخبر به محمد صلى الله[٦] عليه وسلم من عذاب القبر، ومنكر ونكير، وغير ذلك من أحوال[٧] القيامة ، والصراط ، والميزان ، والشفاعة ، والجنة والنار ـ فهو حق ؛ لأنه ممكن ، وقد أخبر به الصادق فيلزم صدقه " .

شرح ابن تيمية

والكلام على هذا في فصول :

ص ١٤٧

أحدها ـ أن يقال : ان[٨] / هذه العقيدة اشتملت على الكلام في الايمان بالله سبحانه وبرسله[٩] وباليوم الآخر ، ولا ريب أن هذه الأصول الثلاثة هي أصول الايمان الخبرية العلمية ، وهي جميعها داخلة في كل ملة ، وفي ارسال كل رسول ، فجميع الرسل اتفقت عليها ، كما اتفقت على أصول الايمان العملية أيضا ،

---

(١) س ، ك : الله سبحانه وتعالى .
(*-*) ما بينهما ساقط من (خ ، س) .
(٢) ط ، ك : وأن . ولعل الصواب ما أثبت .
(٣) ط : يروى .
(٤) ط ، ك : الأحجار . ولعل الصواب ما أثبت .
(٥) كذا في النسختين (ط ، ك) ولعل معنى الكلام ان من يرى وجها من وجوه الاعجاز دون غيره ، قد يريد أيضا الحجر ، فلا يرتضي وجها آخر غيره .
(٦) س ، ك : الله تعالى .
(٧) ك : أهوال .
(٨) ان : في (ك) فقط .
(٩) ط : ورسوله .

مثل ايجاب عبادة الله[1] وحده لا شريك له ، وايجاب الصدق والعدل وبر الوالدين ، وتحريم الكذب والظلم والفواحش ؛ فان هذه الأصول الكلية علما وعملا هي الأصول التي اتفقت عليها الرسل كلهم .

والسور التي أنزلها الله على نبيه[2] قبل الهجرة ، التي يقال لها : "السور المكية"، تضمنت تقرير هذه الأصول ، كسورة الأنعام ، والأعراف ، وذوات (آلر) و (حم) ، و (طس) ، ونحو ذلك[3] .

والايمان بالرسل يتضمن الايمان بالكتب ، وبمن نزل بها من الملائكة .

وهذه الخمسة هي أصول الايمان المذكورة في قوله تعالى[4] : (ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين[5]) ، وفي قوله عز وجل[6] : (ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا[7]) .

وهي التي أجاب بها النبي صلى الله عليه وسلم لما جاءه جبريل في صورة أعرابي ، وسأله عن الايمان ؛ فقال : (الايمان أن تؤمن بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، والبعث بعد الموت ، وتؤمن بالقدر خيره وشره) . والحديث قد أخرجاه في الصحيحين من حديث أبي هريرة ، وأخرجه مسلم من حديث عمر بن الخطاب[8] ، وهو من أصح الأحاديث ، فتلك الثلاثة تتضمن هذه الخمسة .

---

(١) س ، ك : الله تعالى .
(٢) س ، ك : أنزلها الله تعالى على نبيه عليه الصلاة والسلام .
(٣) ط : وذوات (الر) و (حم) و (طس) والمازرى ونحوه بناء على أنهم لا يرون . وهذا الكلام موضعه فيما سبق ، ص٦١٦ ، أما قوله هنا : ونحو ذلك ، والايمان بالرسل يتضمن ... الخ فقد ورد في (ط) قبل صفحات (ص ٢٩٠) هكذا : والشهرستاني وأبو الوليد الباجي ونحو ذلك والايمان بالرسل يتضمن ... الخ .
(٤) تعالى : ليست في (ط ، خ) .
(٥) سورة البقرة : ١٧٧ .
(٦) عز وجل : ليست في (ط ، خ) .
(٧) سورة النساء : ١٣٦ .
(٨) هذا بعض من حديث سؤال جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم عن الايمان والاسلام والاحسان والساعة وأشراطها .
وهو عن أبي هريرة ، في صحيح البخاري (فتح الباري ١/١١٤ رقم ٥٠) كتاب الايمان ، باب سؤال جبريل النبي صلى الله عليه وسلم عن الايمان والاسلام والاحسان ... الخ ، ٨/٥١٣ رقم ٤٧٧٧ كتاب التفسير ، باب (ان الله عنده علم الساعة) [لقمان : ٣٤] ؛ وصحيح مسلم / =

والله تعالى أنزل سورة البقرة ، وهي سنام القرآن[(١)] ، وجمع فيها معالم الدين وأصوله[(٢)] وفروعه ، [(*)] الى أمثال ذلك ، فان النظر[(٣)] فيها وجه من وجوه الايجاب[(*)] .

ولما ذكر في أولها أصناف الخلق ، وهم ثلاثة : مؤمن ، وكافر ، ومنافق ؛ أخذ بعد ذلك يقرر أصول الدين ، فقرر هذه الأصول الثلاثة : " الايمان بالله ، ثم الرسالة ، ثم اليوم الآخر " ؛ [(**)] فانه أنزل أربع آيات في المؤمنين ، وآيتين في صفة الكافرين ، وبضع[(٤)] عشرة آية في صفة المنافقين ، ثم قال تعالى تقريرا للنبي صلى الله عليه وسلم : (يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم) . الى قوله تعالى:

/ = (١/ ٣٩- ٤٠ رقم ٩ كتاب الايمان ، باب بيان الايمان والاسلام والاحسان . . . الخ .
وأول الحديث ، عن أبي هريرة قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم بارزا يوما للناس ، فأتاه رجل ، فقال : ما الايمان ؟ قال : (الايمان أن تؤمن بالله ، وملائكته ، وبلقائه ، ورسله ، وتؤمن بالبعث) هذا لفظ البخارى .
وعند مسلم في رواية (أن تؤمن بالله وملائكته وكتابه ولقائه ورسله وتؤمن بالبعث الآخر) . وزاد في رواية أخرى (وتؤمن بالقدر كله) .
وعن عمر بن الخطاب ، في صحيح مسلم (١/ ٣٦- ٣٨ رقم ٨ ؛ وسنن أبي داود (عون المعبود ١٢/ ٤٥٩- ٤٦٤) كتاب السنة ، باب في القدر ؛ وسنن النسائي ٨/ ٨٨- ٨٩ كتاب الايمان ، باب نعت الاسلام ؛ وسنن الترمذى (تحفة الأحوذى ٧/ ٣٤٢- ٣٤٩) الايمان ، باب ماجاء في وصف جبرائيل للنبي صلى الله عليه وسلم الايمان والاسلام ؛ ومسند أحمد (ط. المعارف) ١/ ٣١١- ٣١٢ رقم ٣٦٧ ، ٣٦٨ ، ١/ ٣١٤ - ٣١٥ رقم ٣٧٤ .
وأول الحديث عن يحيى بن يعمر قال : كان أول من قال في القدر بالبصرة معبد الجهني ... وفيه عن عبد الله بن عمر حدثني أبي عمر بن الخطاب ، قال : بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم ، اذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب . . . وفيه قول الرسول صلى الله عليه وسلم في الايمان : (أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره) .

(١) كذا في (ك) ، وفي النسخ الأخرى : التي هي سنام القرآن .
روى الترمذى في سننه (تحفة الأحوذى ٨/ ١٨١) فضائل القرآن ، باب ماجاء في سورة البقرة وآية الكرسي ، بسنده عن حكيم بن جبير عن أبي صالح عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لكل شيء سنام ، وان سنام القرآن سورة البقرة ، وفيها آية هي سيدة آى القرآن آية الكرسي " . وقال الترمذى (٨/ ١٨٢) : " هذا حديث غريب ، لا نعرفه الا من حديث حكيم بن جبير ، وقد تكلم فيه شعبة ، وضعفه " .
وفي صحيح ابن حبان (موارد الظمآن ، ص ٤٢٧) عن سهل بن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ان لكل شيء سناما ، وان سنام القرآن سورة البقرة ، من قرأها في بيته ليلا لم يدخل الشيطان بيته ثلاثة أيام) ، وفي مسند أحمد (ط. الحلبي) ٥/ ٢٦ عن معقل بن يسار أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (البقرة سنام القرآن وذروته . . . الخ).
وسنام كل شيء أعلاه ، انظر النهاية في غريب الحديث والأثر ٢/ ٤٠٩ ، لسان العرب مادة " سنم " .
(٢) ط : أصوله ، بسقوط واو العطف. (*-*) ما بينهما ساقط من (خ ، س)
(٣) ط : الناظرين . (٤) ط ، ك : وبضعة . والصواب ما اثبته .
(**-** ص ٦٣٠- ٦٣١) ما بينهما ساقط من (خ ، س) .

(بسورة من مثله)[1] . فانه ذكر التحدي(**) هكذا[2] في غير موضع من القرآن .

الفصل الثاني - أن مسائل " مابعد الموت " ونحو ذلك ، الأشعري وأتباعه ومن وافقهم من أهل المذاهب الأربعة ، من الحنفية والمالكية والشافعية والحنبلية ؛ يسمونها " السمعيات " ، بخلاف باب الصفات والقدر .

ص ١٤٨ وذلك / بناء على أصلين : أحدهما - أن هذه لاتعلم الا بالسمع ، والثاني - أن ماقبلها يعلم بالعقل .

وكثير منهم ، أو أكثرهم يضم الى ذلك أصلا آخر ؛ وهو أن السمع لايعلم صحته الا بتلك الأصول التي يسمونها[3] " العقليات[4] " ، مثل اثبات حدوث العالم ونحو ذلك . وأما محققوهم فيقولون : ان العلم بحدوث العالم ليس من الأصول التي تتوقف صحة السمع عليها ، بل يمكن العلم بصحة السمع ، ثم يعلم بالسمع خلق السموات والأرض ونحو ذلك .

وأما الأصلان الأولان فنازعهم فيهما طوائف ، مثل أمر المعاد ؛ فانه قد ذهب طوائف الى أنه يعلم بالعقل أيضا ، وهذا قاله طوائف من المعتزلة ، ومن غير المعتزلة أيضا من أتباع[5] الأئمة الأربعة ، حتى[6] من أصحاب أحمد كابن عقيل وغيره .

والفلاسفة الالهيون يثبتون معاد النفوس بالعقل ، وقد وافقهم على اثبات معاد الأرواح بالعقل طوائف من أهل الكلام والتصوف وغيرهم ، وان كان هؤلاء يثبتون معاد الأبدان أيضا ، اما بالسمع واما بالعقل ؛ فالمقصود أن

---

(١) الآيات هي (يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون . الذى جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون . وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله) . سورة البقرة : ٢١-٢٣ .

(٢) خ ، س : وهكذا .

(٣) ط : سموها .

(٤) ك : بالعقليات .

(٥) ط : من المعتزلة والكرامية ومن غير المعتزلة وغيرهم ، ومن أهل الحديث والتفسير والتصوف والفقه وغيرهم فيه طوائف من أتباع . وانظر أول الكتاب (ص ٢٠) .

(٦) حتى : ساقطة من (ط) .

العقل عندهم قد يعلم به اما معاد الأرواح واما المعاد مطلقا ، وأما انكار الفلاسفة لمعاد الأبدان فهذا مما اتفق أهل الملل على ابطاله .

الفصل الثالث - أن من انتسب الى الملل منهم ، من المسلمين واليهود والنصارى ؛ هم مضطربون فيما جاءت به الأنبياء في المعاد ، فالمحققون منهم يعلمون أن حججهم على قدم العالم ونفي معاد الأبدان ضعيفة ، فيقبلون[1] من[2] الرسل ماجاءوا به ؛ ومنهم قوم واقفة متحيرون لتعارض الأدلة وتكافئها عندهم ؛ ومنهم قوم أصروا على التكذيب ، ثم زعموا أن ماجاءت به الرسل هو أمثال مضروبة لتفهيم[3] المعاد الروحاني .

وهؤلاء اذا حقق عليهم الأمر صرحوا بأن الرسل تكذب لمصلحة العالم ، واذا حسنوا العبارة قالوا : انهم يخيلون [4]الحقائق في أمثال خيالية .[4] وقالوا : ان خاصة النبوة تخييل الحقائق للمخاطبين[5] ، وانه لا يمكن خطاب الجمهور الا بهذا الطريق . كما يزعم ذلك الفارابي وأمثاله.[6]

مع أن الفارابي له في معاد الأرواح ثلاثة أقوال متناقضة : تارة يقول : لا تعاد . وينكر المعاد بالكلية ، وتارة يقول : انها تعاد ، وتارة يفرق بين الأنفس العالمة والجاهلة ؛ فيقر بمعاد العالمة دون الجاهلة .[7]

ولهم في تفضيل النبي على الفيلسوف أو بالعكس نزاع ؛ فعقلاؤهم كابن سينا وأمثاله يفضل النبي على الفيلسوف ، وأما غلاتهم فيفضلون الفيلسوف .

---

(١) ط : فينقلون .
(٢) ط ،خ : عن .
(٣) لتفهيم : كذا في (ط) ،وفي النسخ الأخرى : لتفهم .
(٤ - ٤) مابينهما ساقط من (خ ،س) .
(٥) للمخاطبين : ساقطة من (خ ،س) .
(٦) ط : الفارابي وابن سينا وأمثالهما .
(٧) ط : دون الجاهلة ، وهذا قول طائفة منهم .

ولا ريب أن أوليهم[1] ليس لهم في النبوات كلام محصل[2]، وكلامهم في الالهيات قليل، وانما توسع القوم في الأمور الطبيعية والرياضية، ومصنفات معلمهم الأول أرسطو: عامتها من ذلك[3]، والذى / فيها من الالهيات أمر في غاية القلة مع اضطرابه وتناقضه.

ص ١٤٩

فاذا عرف ذلك، فما جاء به السمع[4] من أمر المعاد قرره عليهم النظار بطريقين: أحدهما- ببيان[5] الكلام الصريح في اثبات معاد الأبدان، وتفاصيل ذلك. والثاني- أن العلم بأن الرسل جاءت بذلك علم ضرورى، فان كل من سمع القرآن والأحاديث[6] المتواترة وتفسير الصحابة والتابعين

---

(١) ط: أولهم.

(٢) ط: كلام محصل، فانه ليس في كتب أرسطو كلام في النبوات، ولا في القوة القدسية والخواص الثلاثة، ولا في ذكر الملل ولا غير ذلك، وانما يوجد ذلك في كلام ابن سينا وأمثاله ممن رأيه أن يجمع بين ماجاءت به الأنبياء وبين كلام سلفه المشائين [كتب في الأصل (ط) المسامس، بلا نقاط].

(٣) ط: أرسطو موجودة في ذلك.

(٤) تنفرد (ط) هنا بزيادة تقع في صفحاتها ٢٩٤ - ٢٩٦ هذا نصها: فما جاء به السمع في العلم أو في علم الرب هل هو... [بياض بقدر كلمتين، وكتب أمامه في الهامش: بياض بالأصل] يوثر في المعلوم أو أنه فعال لا يوثر في المعلوم، فكثير من المتفلسفة يدعي أن العلم فعلي، وعلى هذا جعلوا نفس عنايته ومشيئته في مجرد علمه بانتظام العالم، وأن كذلك [لعل الصواب: ذلك] العلم بالنظام هو الموجب للنظام، وأكثر أهل الكلام يقولون: بل العلم يطابق المعلوم لا يكتسبه صفة كما يقوله من تقدم ذكره في القول.
والتحقيق أن العلم نوعان: علم العالم ماليس يبعد زواله كعلمنا بالله وملائكته وكتبه ورسله وأيامه، فهذا العلم يطابق المعلوم، لا يكتسبه صفة، ولا يوثر فيه، وان حصل لنا بهذا العلم محبة المعلوم [لعل الصواب: المعلوم] وحصل بذلك محبته لنا ورضاه واثابته فنفس العلم ليس موثرا في وجود المعلوم.
والنوع الثاني علمنا مانقدر عليه من فعالنا بهذا، فهذا العلم يوثر في المعلوم وهو شرط في وجوده، ولولا تصورنا لأفعاله الاختيارية لما علمناها، وعلم الله لمخلوقاته له تأثير فيها، وهو شرط في وجودها، فانه سبحانه وتعالى خلق الأشياء بارادته، والارادة لا تكون الا في حي يتصور مراده، ولهذا قال تعالى: (ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير).
ولكن ليس مجرد العلم موجب الوجود المعلوم بدون المشيئة والقدرة، كما يقول ذلك ابن سينا ونحوه من المتفلسفة، حيث يجعلون نفس العلم هو نفس القدرة والارادة، ويجعلون العلم والقدرة والارادة هي نفس الرب العالم القادر المختار، فيجعلون هذه الصفة هي الأخرى، ويجعلون.... [بياض بقدر كلمة، لعلها الصفة] هي الموصوفات [كذا ولعل الصواب: الموصوف] فان التصور التام بهذا [لعل الصواب: لهذا] القول يوجب العلم القطعي بأنه باطل.
وأما علم الرب تعالى بنفسه المقدسة فهذا علم يطابق المعلوم، لا يوثر في وجوده في القول في أنه متعلق القول هل له في القول صفة ثبوتية، ويتعلق [لعل الصواب: ومتعلق] العلم هل له في العلم صفة ثبوتية يفصل فيه بين نوع ونوع ولا يبين نفاقا [كذا] ولا يثبت اثباتا.
وبعد هذه الزيادة مباشرة، قوله: وبالجملة فجمهور الأئمة على أن الله منزه عن أشياء... الخ [شرح الاصبهانية، ص ٦١٩].
أما كلام ابن تيمية هنا فهو يرد في (ط) صفحة ٣١٣ هكذا: وهذا كتنازع الناس في أمر المعاد، فرد عليهم النظار من جهة السمع بطريقين.

(٥) ط: تبيان.

(٦) ط: والأحاديث النبوية.

لذلك ، علم بالاضطرار أن الرسول صلى الله عليه وسلم أخبر بمعاد الأبدان ، وأن القدح في ذلك كالقدح في أنه[1] جاء بالصلوات الخمس ، وصوم شهر رمضان ، وحج البيت العتيق ، ونحو ذلك .

والقرامطة الباطنية - وهم من الفلاسفة - أنكروا هذا وهذا ، وزعموا أن هذه كلها رموز واشارات الى علوم باطنة ، كما يقولون : ان الصلاة معرفة أسرارنا ، والصيام كتمان أسرارنا ، والحج زيارة شيوخنا المقدسين ، ونحو ذلك مما هو مذكور في الكتب المؤلفة في " كشف أسرارهم وهتك أستارهم " . ولهؤلاء القرامطة صنفت " رسائل اخوان الصفا[2] " ، وهم الذين يقال لهم : الاسماعيلية ؛ لانتسابهم الى محمد بن اسماعيل بن جعفر[3] . قال ابن سينا : كان أبي وأخي من أهل دعوتهم ، ولهذا اشتغلت بالفلسفة[4] .

وأما الفلاسفة الذين لم يدخلوا في القرمطة المحضة ؛ فهم لا ينكرون العبادات والشرائع العملية ؛ بل قد يوجبون اتباعها والعمل بها ، لا سيما من دخل منهم في التصوف أو الكلام . لكن منهم من يوجب اتباعها على العامة دون الخاصة ، أو يوجبها[5] من غير الوجه الذى أوجبها الرسول ، كما يجوزون أن يكون بعد محمد صلى الله عليه وسلم من يأتي بشريعة أخرى ، ويقولون : ان أحدهم يخاطبه الله[6] كما خاطب[7] موسى بن عمران ، ويعرج به كما عرج بالنبي صلى الله[8] عليه وسلم ، وأمثال هذه المقالات التي كثرت لما ظهرت الفلسفة التي أفسدت طوائف من أهل التصوف والكلام[9] .

---

(١) ط : بأنه .

(٢) انفردت (ط) هنا بزيادة هذا نصها : صنفت لبني عبيد ، لما بنوا القاهرة في رمز ، زعم أنها مأخوذة عن جعفر بن محمد ، وهو جاهل ، فان جعفر بن محمد توفى سنة ثمان وأربعين ومائة ، وهذه الرسائل صنفها جماعة متأخرون بعد أخذ النصارى بعض سواحل الشام ، كما ذكر ذلك في الرسائل ، وكان ذلك في أثناء المائة الرابعة لما ظهرت دولة بني عبيد واضطرب كثير من أمراء الاسلام ، وبنو عبيد هم الذين يقال .

(٣) محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق ، تنسب اليه الطائفه الاسماعيلية ويزعمون أن دور الامامة انتهى اليه بعد وفاة أبيه سنة ١٣٨ توفي حوالي سنة ١٩٨ .
انظر : تلبيس ابليس ، ص ١٠٢ - ١٠٣ ؛ منهاج السنة ٢/ ٣٥٩ - ٣٦٠ (تحقيق الدكتور رشاد سالم) ؛ الأعلام ٦/ ٣٤ ، وانظر فرق الشيعة للنوبختي ، ص ٥٨ - ٦٣ .

(٤) انظر فيما تقدم ، ص ٣٨ ت (١ .

(٥) ط : يوجبوها .

(٦) س ، ك : الله سبحانه وتعالى .

(٧) ط : يخاطب .

(٨) س ، ك : الله تعالى .

(٩) زادت (ط) هنا مايلي : وكذلك القرامطة في ضرب الشرائع على عامتهم ، لكن مقرونة بالرفض ، فهم كما قال فيهم أبو حامد : ظاهر مذهبهم الرفض ، وباطنه الكفر المحض .

الفصل الرابع ـ أنه اذا ثبتت الرسالة ثبت ما أخبر به الرسول مما ينكره بعض أهل البدع ؛ كعذاب القبر، وسؤال منكر ونكير ، وكالصراط ، والشفاعة ، والحوض ، ونحو ذلك مما استفاضت به الأحاديث الصحيحة عن النبي صلى الله[1] عليه وسلم.

وقد يستدل عليه بدلائل من القرآن أيضا ، لكن ليس التصريح به في القرآن كالتصريح[2] بالجنة والنار،وقيام القيامة ، وحشر الخلق ؛ ولهذا لم ينكر القيامة ومعاد الأبدان أحد من أهل القبلة ، وأنكر هذه الأمور التي جاءت بها الأحاديث المستفيضة ، بل[3] المتواترة عند علماء أهل الحديث[4] ـ طوائف من أهل البدع ، اما من المعتزلة واما من الخوارج واما من غيرهما .

الفصل الخامس ـ أن هذا المصنف وأمثاله ،انما يذكرون الايمان بالسمعيات على طريق الاجمال ؛ وأما العلم بتفصيل ذلك فانما يعرفه من عرف الأحاديث الصحيحة في هذا الباب ، وماجاء في ذلك من آيات القرآن[5] ، وتفسيرها الثابت عن الصحابة والتابعين ونحوهم .

الفصل السادس ـ أنه اذا علم أن محمدا[6] رسول الله ، وأن الله[7] مصدقه في قوله : اني رسول الله اليكم ـ فالرسول هو المخبر عن المرسل بما أمره أن يخبر به ـ علم بذلك أنه صادق فيما يخبر به عن الله[7] ، اذ الكاذب فيما يخبر به ليس برسول في ذلك ،كما أن الذى لم يرسل بشيء قط هو كاذب في كل مايخبر به عمن زعم أنه أرسله بالأمر ، كما قال صلى الله[7] عليه وسلم:

---

(١) س ،ك : الله تعالى .
(٢) ط: لكن بالتصريح به في القرآن فالتصريح .
(٣) بل : ساقطة من (ط) .
(٤) ط: عند علماء الأحاديث كأحاديث القيامة والحوض ونحو ذلك.
(٥) س ،ك : القرآن الكريم .
(٦) س ،ك : محمدا صلى الله عليه وسلم .
(٧) س ،ك : الله تعالى .(في المواضع الثلاثة).

(اذا حدثتكم عن الله فلن أكذب على الله[1]) .

وكما يعلم أنه صادق في قوله : اني رسول الله اليكم . يعلم أنه صادق في قوله : ان الله[2] يقول لكم كذا ، ويأمركم بكذا . فتكذيبه في هذا الخبر المعين كتكذيبه في الاخبار بأصل الرسالة، والطرق التي بها يعلم صدقه في المطلق يعلم بها صدقه في المعين وأولى ؛ فان مادل[3] على الصدق في كل مايخبر[به[4]] عن الله دل على الصدق في هذا الخبر المعين[5]. كالمعجزة، فان[6] المعجزة دلت على صدقه في دعواه، ودعواه : اني صادق على الله فيما أخبر به عنه[7] ، لم يدع الصدق عليه في بعض الأمور التي يخبر بها عنه دون بعض .

بل قال الله فيما أخبر به عنه[8] : (ولو تقول علينا بعض الأقاويل . لأخذنا منه باليمين . ثم لقطعنا منه الوتين[9]) ، وقال تعالى[10] : (أم يقولون افترى على الله كذبا فان يشأ الله يختم على قلبك ويمح الله الباطل ويحق الحق بكلماته انه عليم بذات الصدور[11]) ، وقال تعالى[10] : (واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا أو بدله قل مايكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي ان اتبع الا مايوحى الي اني أخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم . قل لو شاء الله ماتلوته عليكم ولا أدراكم به فقد لبثت فيكم عمرا من قبله أفلا تعقلون[12]).

---

(١) في صحيح مسلم ٤ / ١٨٣٥ رقم ٢٣٦١ كتاب الفضائل ، باب وجوب امتثال ماقاله شرعا دون ماذكره صلى الله عليه وسلم من معايش الدنيا على سبيل الرأي ؛ وسنن ابن ماجة ٢ / ٨٢٥ رقم ٢٤٧٠ كتاب الرهون ، باب تلقيح النخل ؛ ومسند أحمد (ط. المعارف) ٢ / ٣٦٤- ٣٦٥ رقم ١٣٩٥ عن طلحة بن عبيد الله قال : مررت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوم على رؤوس النخل ، فقال : (مايصنع هوءلاء ؟) فقالوا : يلقحونه . . . وفيه قوله عليه الصلاة والسلام : (ولكن اذا حدثتكم عن الله شيئا ، فخذوا به ، فاني لن أكذب على الله عز وجل) .

(٢) س ، ك : الله تعالى .

(٣) س : فان مايدل .

(٤) به : ساقطة من (ط، ك) .

(٥) س : الخبر وذلك . ولم يظهرها التصوير في (خ) .

(٦) ط، ك : وان .

(٧) س : في دعواه اني صادق في كل ما أخبر به عن الله ، فهي تدل أيضا على صدق بعض ما أخبر به عنه .

(٨) خ ، س : بل قال فيما أخبر به عن الله .

(٩) سورة الحاقة : ٤٤- ٤٦ .

(١٠) تعالى : في (ك) فقط . (في الموضعين) .

(١١) سورة الشورى : ٢٤ .

(١٢) سورة يونس : ١٥ ، ١٦ .

وقال تعالى : (وان كادوا ليفتنونك عن الذى أوحينا اليك لتفترى علينا غيره واذاً لاتخذوك خليلا . ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا)[١] ، (وقال موسى يافرعون اني رسول من رب العالمين . حقيق على أن لا أقول على الله الا الحق)[٢] .

والرسول الذى يكذب على مرسله [في بعض الأمور][٣] مثل الذى يكذب في أصل الرسالة ، والله[٤] عالم[٥] بحقائق الأمور ، فلا فرق بين اظهار /المعجزة[٦] على يد من يكذب في أصل الرسالة أو يكذب فيما يخبر به عن مرسله .

ص ١٥١

الفصل السابع - أنه اذا ثبت صدقه في كل مايخبر به عن الله[٧] ، فمما أخبر به عنه القران ، فانه قد علم بالاضطرار أنه بلغ القرآن عن الله[٨] ، وأخبر أن القرآن كلام الله لا كلامه ، ومما أخبر به الله[٩] في القرآن أن الله أنزل عليه الكتاب والحكمة ، وأنه أمر[١٠] أزواج نبيه[١١] أن يذكرن مايتلى في بيوتهن من آيات الله والحكمة ، وأنه امتن على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ؛ ومن المعلوم أن مايذكر في بيوت أزواج النبي[١٢] اما القرآن ، واما مايقوله من غير القرآن ، وذلك هو الحكمة ، وهو السنة ؛ فثبت أن ذلك مما أنزله الله وأمر بذكره .

---

(١) سورة الاسراء : ٧٣ ، ٧٤ . في (ط) : (.. عن الذى أوحينا اليك) الى قوله : (نصيرا) .
(٢) سورة الأعراف : ١٠٤ ، ١٠٥ .
(٣) عبارة : في بعض الأمور : في (ط) فقط .
(٤) س ، ك : والله تعالى .
(٥) ط : أعلم .
(٦) ك : المعجز .
(٧) س ، ك : الله تعالى .
(٨) س ، ك : الله سبحانه .
(٩) ط : **وما أخبر الله به** ؛ خ : **ومما أخبر الله به** .
(١٠) خ ، س : وأمر .
(١١) س ، ك : نبيه عليه الصلاة والسلام .
(١٢) س ، ك : النبي صلى الله تعالى عليه وسلم .

وقد أمر الله[1] بطاعته في القرآن في آيات كثيرة ، وقال : (من يطع الرسول فقد أطاع الله[2]) ، وقال[3] : (والنجم اذا هوى. ماضل صاحبكم وماغوى. وماينطق عن الهوى . ان هو الا وحي يوحى[4]) ، وقال[5] : (وماآتاكم الرسول فخذوه ومانهاكم عنه فانتهوا[6]) . فهذا وأمثاله يبين أن الله[7] أوجب اتباعه فيما يقوله وان لم يكن من القرآن .

وأيضا فرسالته[8] اقتضت صدقه فيما يخبر به عن الله[9] من القرآن وغير القرآن ، فوجب بذلك تصديقه فيما أخبر به وان لم يكن ذلك من القرآن .

والله سبحانه أعلم[10] ، [11]والحمد لله ، والصلاة[12] على خاتم رسل الله محمد وآله وصحبه أجمعين[11]) .

---

(١) س ،ك : الله تعالى .
(٢) سورة النساء : ٨٠ .
(٣) س ،ك : وقال عز وجل .
(٤) سورة النجم : ١- ٤ .
(٥) س : وقال سبحانه ؛ ك : وقال سبحانه وتعالى .
(٦) سورة الحشر : ٧ .
(٧) س ،ك : أن الله عز شأنه .
(٨) س : وأيضا الرسالة . ولم يظهرها التصوير في (خ) .
(٩) س ،ك : الله تعالى .
(١٠) والله سبحانه أعلم : كذا في (ك) ، وفي (ط) : والله سبحانه وتعالى أعلم ، والعبارة ساقطة من (خ ،س) .
(١١-١١) مابينهما ليس في (ط،خ) .
(١٢) س . والصلاة والسلام..

(أ) فهرس المراجع .

(ب) فهرس الموضوعات .

(فهـرس المراجـــع)

(أ)

- آراء أهل المدينة الفاضلة ، لأبي نصر الفارابي ، ط. الثانية ١٣٦٨هـ - ١٩٤٨م القاهـرة .
- الآلي المصنوعة في الأحاديث الموضوعة ، لعبد الرحمن السيوطي ، ط . الأولـــى ، المكتبة الحسينية بمصر .
- الابانة عن أصول الديانة لأبي الحسن علي بن اسماعيل الأشعرى ، تحقيـــق د / فوقية حسين محمود ، الطبعة الأولى ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م القاهرة .
- أبكار الأفكار ، لأبي الحسن علي بن أبي علي بن محمد الآمدى ، مخطوط بمكتبـــة جامعة الملك سعود فلم ٣٤ مصور عن مكتبة أيا صوفيا ٢١٦٥ .
- ابن سينا بين الدين والفلسفة ، للدكتور/ حمود ، غرابة ، ط . القاهـــرة ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م .
- اجتماع الجيوش الاسلامية على غزو المعطلة والجهمية ، لابن قيم الجوزيـــــة ، ط . الامام بمصر .
- الاحسان في تقريب صحيح ابن حبان ، ترتيب الأمير علاء الدين الفارسي ، تحقيق/ عبد الرحمن محمد عثمان ، الناشر المكتبة السلفية بالمدينة المنورة .
- احياء علوم الدين ، لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي ، (ط. دار المعرفة ، بيروت).
- الأدب المفرد ، للامام أبي عبد الله محمد بن اسماعيل البخارى ، تحقيق محمـــد فؤاد عبد الباقي ، القاهرة ١٣٧٥هـ .
- الأربعين في أصول الدين ، لأبي عبد الله محمد بن عمر الرازى ، ط. الأولـــى ، حيدر آباد ، ١٣٥٣هـ .
- أرسطو عند العرب ، لعبد الرحمن بدوى ، ط. القاهرة ، ١٩٤٧م .
- الارشاد الى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد ، لعبد الملك بن عبد الله الجويـــني ، تحقيق د / محمد يوسف موسى ، وعلي عبد المنعم عبد الحميد ، ط. السعادة بمصـــر ١٩٥٠م .
- أساس التقديس ، لأبي عبد الله محمد بن عمر الرازى ، ط. كردستان ، مصر ، ١٣٢٨هـ .

- الاستقامة، لابن تيمية، تحقيق د/محمد رشاد سالم، ط. الأولى ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
- الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر، تحقيق/علي محمد البجاوي، ط. مكتبة نهضة مصر، القاهرة.
- أسد الغابة في معرفة الصحابة، لأبي الحسن علي بن محمد بن عبد الكريم الجزري، المعروف بابن الأثير، ط. جمعية المعارف بمصر.
- أسماء مؤلفات ابن تيمية، لابن قيم الجوزية، تحقيق د/صلاح الدين المنجد، ط. دار الكتاب الجديد، بيروت، ١٩٧٦م.
- الأسماء والصفات، لأبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، تصحيح وتعليق /محمد زاهد الكوثري، ط. السعادة بمصر.
- اشارات المرام من عبارات الامام، لأحمد بن حسن البياضي، تحقيق/ يوسف عبد الرزاق، ط. الحلبي بمصر ١٣٦٨هـ - ١٩٤٩م.
- الاشارات والتنبيهات، لابن سينا، تحقيق د/ سليمان دنيا، ط. المعارف بمصر.
- الاصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر العسقلاني، تحقيق/علي محمد البجاوي، ط. دار نهضة مصر، القاهرة.
- الأصنام، لأبي المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي، تحقيق الأستاذ/ أحمد زكي باشا، ط. الأميرية بالقاهرة ١٣٣٢هـ - ١٩١٤م.
- أصول الدين، لعبد القاهر بن طاهر البغدادي، ط. الأولى، استانبول ١٣٤٦هـ - ١٩٢٨م.
- أصول الفلسفة الاشراقية عند شهاب الدين السهروردي، للدكتور محمد علي أبو ريان، ط. بيروت ١٩٦٩م.
- اعتقادات فرق المسلمين والمشركين لفخر الدين الرازي، الناشر مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.
- الأعلام، لخير الدين الزركلي، ط. الخامسة، ١٩٨٠م، دار العلم للملايين.
- الأعلام العلية في مناقب شيخ الاسلام ابن تيمية، لأبي حفص عمر بن علي البزار، تحقيق د/ صلاح الدين المنجد، ط. دار الكتاب الجديد، بيروت، ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م.
- اعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء، لمحمد راغب الطباخ، ط. الأولى ١٣٤٣هـ - ١٩٢٥م.

- اغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، لابن القيم، تحقيق/ محمد سيد كيلاني (ط. الحلبي بمصر) ١٣٨١هـ - ١٩٦١م .

- الاقتصاد في الاعتقاد، لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي، تقديم د/عادل العوا ط. دار الأمانة، الأولى، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٩م بيروت .

- اقتضاء العلم العمل، للخطيب البغدادى، تحقيق/محمد ناصر الدين الألباني، ط. المكتب الاسلامي .

- الامتاع والموءانسة، لأبي حيان التوحيدى، صححه أحمد أمين وأحمد الزين، القاهرة ١٩٣٩م، ط. لجنة التأليف والترجمة والنشر .

- انباه الرواة على أنباه النحاة، لعلي بن يوسف القفطي، تحقيق/محمد أبو الفضل ابراهيم، ط. دار الكتب، ١٩٥٠ - ١٩٧٣م القاهرة .

- الانتصار والرد على ابن الراوندى الملحد ماقصد به من الكذب على المسلمين والطعن عليهم، لأبي الحسين عبد الرحيم بن محمد بن عثمان الخياط المعتزلي، تحقيق الدكتور/ نيبرج، ط. دار الكتب المصرية بالقاهرة ١٣٤٤هـ - ١٩٢٥م .

- الأنساب، لأبي سعد عبد الكريم بن محمد السمعاني، تصحيح وتعليق عبد الرحمن بن يحيى المعلمي، ط. الأولى، حيدر آباد - الهند .

- الانصاف فيما يجب اعتقاده، ولا يجوز الجهل به، لأبي بكر محمد بن الطيب الباقلاني، تقديم وتعليق محمد زاهد بن الحسن الكوثرى، ١٣٦٩هـ - ١٩٥٠م .

(ب)

- باب ذكر المعتزلة من كتاب مقالات الاسلاميين، لأبي القاسم البلخي الكعبي المعتزلي، تحقيق/ فوءاد سيد، ط. الدار التونسية للنشر، تونس ١٣٩٣هـ - ١٩٧٤م .

- البداية والنهاية في التاريخ، لاسماعيل بن عمر بن كثير، ط. السعادة بمصر.

- بد العارف، لابن سبعين، تحقيق الدكتور/ جورج كتورة، ط. دار الأندلس، ودار الكندى، بيروت، ١٩٧٨م .

- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تحقيق/محمد أبو الفضل ابراهيم، ط. الحلبي، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م .

- بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية ، لابن تيمية ، تحقيق / محمد بن عبد الرحمن بن قاسم ، الطبعة الأولى ١٣٩١هـ - ١٣٩٢هـ .

(ت)

- تاج التراجم في طبقات الحنفية ، لقاسم بن قطلوبغا ، ط. العاني - بغداد ١٩٦٢م .

- تاج العروس من جواهر القاموس ، لمحمد مرتضى الزبيدى ، ط. الأولى بمصر ١٣٠٦هـ .

- تاريخ الأدب العربي ، لكارل بروكلمان ، ترجمة د / عبد الحليم النجار ، ط. الثانية ، المعارف بمصر .

- تاريخ الاسلام وطبقات المشاهير والأعلام ، لمحمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، الناشر مكتبة القدسي .

- تاريخ بغداد ، لأبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادى ، ط. الأولى ١٣٤٩ هـ - ١٩٣١م .

- تاريخ التراث العربي ، لفؤاد سزكين ، نقله الى العربية د / محمود فهمي حجازى ، الناشر ادارة الثقافة والنشر بجامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية .

- تاريخ الجهمية والمعتزلة ، لجمال الدين القاسمي ، ط. الرسالة ، بيروت ، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م .

- تاريخ الحكماء : مختصر الزوزني لكتاب اخبار العلماء بأخبار الحكماء ، لأبي الحسن علي بن يوسف القفطي ، ط. مكتبة المثنى ، بغداد .

- تاريخ الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبرى ، تحقيق / محمد أبو الفضل ابراهيم ، ط. المعارف بمصر .

- تاريخ الفلسفة الغربية ، لبرتراند رسل ، ترجمة د / زكي نجيب محمود ، ط. القاهرة ١٩٥٤م .

- تاريخ الفلسفة اليونانية ، ليوسف كرم ، ط. السادسة ، القاهرة .

- التاريخ الكبير ، للامام البخارى ، ط. دار الكتب العلمية ، بيروت .

- التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين ، لأبي المظفر الاسفراييني ، ط. الخانجي بمصر ١٣٧٤هـ - ١٩٥٥م .

- تبيين كذب المفترى فيما نسب الى الامام أبي الحسن الأشعرى ، لأبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عساكر ، ط. القدسي ، دمشق ١٣٤٧هـ .

- تذكرة الحفاظ، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تصحيح عبد الرحمن بن يحيى المعلمي ، دار احياء التراث العربي ، بيروت .

- ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، للقاضي أبي الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي ، تحقيق الدكتور/أحمد بكير محمود ، ط. دار مكتبة الحياة ، بيروت ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م .

- الترغيب والترهيب من الحديث الشريف ، لعبد العظيم بن عبد القوى المنذرى ، تحقيق /مصطفى محمد عمارة ، ط. الحلبي ١٣٥٢هـ - ١٩٣٣م .

- التسعينية ، لابن تيمية ، ضمن المجلد الخامس من كتاب مجموعة فتاوى شيخ الاسلام ط. كردستان ، القاهرة ١٣٢٩هـ .

- التعرف لمذهب أهل التصوف ، لأبي بكر محمد الكلاباذى ، تحقيق الدكتور/ عبد الحليم محمود وطه عبد الباقي سرور، القاهرة ١٣٨٠هـ - ١٩٦٠م .

- تفسير البغوى : معالم التنزيل ، للحسين بن مسعود الفراء، بهامش تفسير ابن كثير ط. المنار بمصر ١٣٤٣هـ .

- تفسير الطبرى : جامع البيان عن تأويل آى القرآن ، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبرى ، تحقيق/ محمود محمد شاكر، مراجعة / أحمد محمد شاكر، ط. المعارف ، القاهرة .

  طبعة أخرى ، ط. بولاق القاهرة ١٣٢٩هـ .

- تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير، ط. المنار بمصر، الأولى .

- تقريب التهذيب ، لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، تحقيق /عبد الوهاب عبد اللطيف، ط. المكتبة العلمية بالمدينة المنورة .

- تلبيس ابليس ، لأبي الفرج ابن الجوزى ، ط. بيروت ، ١٣٦٨هـ .

- التمهيد ، للقاضي أبي بكر محمد بن الطيب بن الباقلاني ، تصحيح الأب رتشرد يوسف مكارثي اليسوعي ، ط. المكتبة الشرقية ، بيروت ١٩٥٧م .

- التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع ، لمحمد بن أحمد بن عبد الرحمن الملطي ، ط. ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م .

- تهافت الفلاسفة، للغزالي ، تحقيق الدكتور/ سليمان دنيا، ط. الرابعة، دار المعارف بمصر.

- تهذيب تاريخ دمشق الكبير لابن عساكر، لعبد القادر بدران، ط. روضة الشام .

- تهذيب التهذيب، لابن حجر العسقلاني، ط. الأولى، حيدر آباد، الهند .

- تهذيب الكمال في أسماء الرجال، لجمال الدين أبي الحجاج يوسف المزى، ط. دار المأمون، دمشق .

- التوحيد، لأبي منصور الماتريدى، تحقيق د/ فتح الله خليف، ط. دار الجامعات المصرية، الاسكندرية .

- التوحيد واثبات صفات الرب عز وجل، لامام الأئمة محمد بن اسحاق بن خزيمة، راجعه محمد خليل هراس، ١٣٨٧هـ - ١٩٦٨م ، القاهرة .

(ج)

- جامع بيان العلم وفضله وماينبغي في روايته وحمله، لأبي عمر يوسف بن عبد البر، ط. دار الفكر، بيروت .

- جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم، لأبي الفرج عبد الرحمن ابن أحمد بن رجب، ط. الرابعة، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م ، الحلبي .

- الجرح والتعديل، لأبي محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن ادريس بن المنذر التميمي الحنظلي الرازى، ط. الأولى، حيدر آباد - الهند .

- الجماهير في معرفة الجواهر، لمحمد بن أحمد البيروني، ط. الأولى، حيدر آباد ١٣٥٥هـ .

- الجمع بين رجال الصحيحين: الجمع بين كتابي أبي نصر الكلاباذى وأبي بكر الأصبهاني في رجال البخارى ومسلم، لمحمد بن طاهر بن علي المقدسي، ط. الثانية ١٤٠٥هـ، دار الكتب العلمية، بيروت .

- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، لابن تيمية، ط. المدني .

- الجواهر المضية في طبقات الحنفية، لمحيي الدين أبي محمد عبد القادر بن أبي الوفاء محمد بن محمد بن نصر، ط. الأولى، حيدر آباد، الهند .

(ح)

- الحروف ، لأبي نصر الفارابي ، حققه/ محسن مهدى ، دار المشرق ، بيروت ١٩٧٠م .
- حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة ، لجلال الدين السيوطي ، ط. دار الوطن بمصر ١٢٩٩ هـ .
- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني ، ط. السعادة ، ١٣٥٧هـ - ١٩٣٨م .
- حياة الحيوان الكبرى ، لمحمد بن موسى الدميرى ، ط. الحلبي ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م .
- الحيوان ، لعمرو بن بحر الجاحظ ، تحقيق/عبد السلام هارون ، ط. الثانية .

(خ)

- خريف الفكر اليوناني ، لعبد الرحمن بدوى ، ط. الرابعة ١٩٧٠م ، القاهرة .
- الخطط : المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، لأحمد بن علي بن عبد القادر المقريزى ، ط. بولاق ، القاهرة ، ١٢٧٠هـ .
- خلاصة تذهيب تهذيب الكمال في أسماء الرجال ، لأحمد بن عبد الله الخزرجي ، ط. الثانية ، ١٣٩١هـ - ١٩٧١م .
- خلق أفعال العباد ، للامام البخارى ، ضمن مجموعة عقائد السلف ، ط. الاسكندرية ١٩٧١م .

(د)

- درء تعارض العقل والنقل ، لابن تيمية ، تحقيق د/محمد رشاد سالم ، ط. الأولى .
- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، ط. الثانية ، حيدر آباد ، الهند ، ١٣٩٢هـ - ١٣٩٦هـ .
- الدر المنثور في التفسير بالمأثور ، لجلال الدين السيوطي ، ط. الحلبي .
- دلائل النبوة ، لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني ، ط. الثالثة ، حيدر آباد ، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م .
- الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب ، لابراهيم بن علي بن محمد بن فرحون اليعمرى ، ط. الأولى ١٣٥١هـ بمصر .

- ديوان حسان بن ثابت ، حققه الدكتور/وليد عرفات ، ط. دار صادر ، بيروت .

(ذ)

- ذكر أخبار اصبهان ، للحافظ أبي نعيم أحمد بن عبد الله الاصبهاني ، ط. ليدن ١٩٣٤م .

- الذيل على طبقات الحنابلة ، لأبي الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب ، تصحيح /محمد حامد الفقي ، ١٣٧٢هـ - ١٩٥٢م ، ط. السنة المحمدية ، القاهرة .

(ر)

- ربيع الفكر اليوناني ، لعبد الرحمن بدوى ، ط. الرابعة ١٩٦٩م ، القاهرة .

- رد الامام الدارمي على بشر المريسي ، ضمن مجموعة عقائد السلف ، ط. الاسكندرية ١٩٧١م .

- الرد على الزنادقة والجهمية ، للامام أحمد بن حنبل ، ضمن مجموعة عقائد السلف ط. الاسكندرية ١٩٧١م .

- الرد على المنطقيين لشيخ الاسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية ، نشر/عبد الصمد شرف الدين الكتبي ، ط. بمباى ١٣٦٨هـ - ١٩٤٩م .

- رسائل فلسفية لأبي بكر محمد بن زكريا الرازى ، جمعها وصححها /ب . كراوس ، الجزء الأول ، ط. القاهرة ١٩٣٩م .

- الرسالة القدسية ، للغزالي ، ضمن احياء علوم الدين ، ط. دار المعرفة ، بيروت .

- الرسالة القشيرية ، لأبي القاسم عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيرى ، تحقيق/ د . عبد الحليم محمود ، د . محمود بن الشريف ، ط. دار الكتب الحديثة ، القاهرة .

- الروضة البهية فيما بين الأشاعرة والماتريدية ، للحسن بن عبد المحسن أبي عذبة ، ط. حيدر آباد ١٣٢٢هـ .

(س)

- سنن ابن ماجة : أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني ، تحقيق/محمد فؤاد عبد الباقي ط. الحلبي ، القاهرة .

- سنن أبي داود : سليمان بن الأشعث السجستاني ، ومعه عون المعبود شرح سنن أبي داود ، لأبي الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادى ، تحقيق / عبد الرحمن محمد عثمان ، ط. المكتبة السلفية ، المدينة المنورة ، الثانية .

- سنن الترمذى : أبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة ، ومعه تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذى ، لمحمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفورى ، تصحيح / عبد الرحمن محمد عثمان ، ط. الفجالة ، القاهرة ، الثانية .

- سنن الدار قطني ، للامام علي بن عمر الدار قطني ، ط. المدينة المنورة ١٣٨٦ هـ - ١٩٦٦م .

- سنن الدارمي ، لأبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام الدارمي ، تحقيق / عبد الله هاشم يماني ، ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م ، المدينة المنورة .

- سنن النسائي (المجتبى) لأبي عبد الرحمن بن شعيب النسائي ، ط. الحلبي ، الأولى ١٣٨٣هـ - ١٩٦٤م .

- السنة ، للامام أحمد بن حنبل ، ضمن مجموعة شذرات البلاتين من طيبات كلمات سلفنا الصالحين .

- السنة ، لعبد الله بن أحمد بن حنبل ، صححه / لجنة من المشايخ برئاسة عبد الله ابن حسن بن حسين آل الشيخ ، ط. السلفية بمكة ، ١٣٤٩هـ .

- سير أعلام النبلاء ، للذهبي ، ط. الأولى ، موسسة الرسالة .

- سيرة الغزالي وأقوال المتقدمين فيه ، لعبد الكريم العثمان ، ط. دار الفكر بدمشق .

- السيرة النبوية ، لعبد الملك بن هشام ، تحقيق / مصطفى السقا وآخرين ، ط. الحلبي ، الثانية ، ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م ، مصر .

(ش)

- الشامل في أصول الدين ، لأبي المعالي عبد الملك بن عبد الله الجويني ، تحقيق / علي سامي النشار وآخرين ، نشر منشأة المعارف بالاسكندرية ١٩٦٩م .

- شجرة النور الزكية في طبقات المالكية ، لمحمد بن محمد مخلوف ، القاهرة ، ط. السلفية ١٣٤٩هـ .

- شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، لأبي الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي ، الناشر مكتبة القدسي ، القاهرة .
- شرح الاشارات والتنبيهات ، للطوسي ، بذيل الاشارات والتنبيهات ،ط. المعارف بمصر .
- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة واجماع الصحابة والتابعين من بعدهم ، لأبي القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبرى اللالكائي تحقيق/د . أحمد سعد حمدان ،ط. العبيكان ، الرياض .
- شرح حديث النزول ، لابن تيمية ،ضمن مجموع فتاوى شيخ الاسلام ،ط. الرياض .
- شرح صحيح مسلم ، للنووى ،ط. الثانية ١٣٩٢هـ ١٩٧٢م ، مصر .
- شرح الفقه الأكبر لأبي حنيفة ، لأبي منصور الماتريدى ،ط. حيدر آباد ١٣٢١هـ .
- الشريعة ، لأبي بكر محمد بن الحسين الآجرى ، تحقيق محمد حامد الفقي ،ط. السنة المحمدية ١٣٦٩هـ - ١٩٥٠م.
- الشفاء (الالهيات (٢)) لابن سينا ، تحقيق/ محمد يوسف موسى وآخرين ، القاهرة ١٣٨٠هـ - ١٩٦٠م.
- الشفاء (المنطق ٥ - البرهان) لابن سينا ، تحقيق الدكتور/أبو العلا عفيفي ،ط. الأميرية بالقاهرة ١٣٧٥هـ - ١٩٥٦م.
- شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل ، لأحمد الخفاجي ، تحقيق/ محمد عبد المنعم خفاجي ،ط. الأولى ، ١٣٧١هـ - ١٩٥٢م.

(ص)

- الصحاح : تاج اللغة وصحاح العربية ،لاسماعيل بن حماد الجوهرى ، تحقيق/أحمد عبد الغفور عطار ، ط. دار العلم للملايين ، بيروت .
- صحيح البخارى : محمد بن اسماعيل ، ومعه فتح البارى بشرح صحيح البخارى لابن حجر العسقلاني ،ط. السلفية ، القاهرة .
- صحيح مسلم : أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيرى النيسابورى ، تحقيق/ محمد فؤاد عبد الباقي ،ط. ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.

- صفة الصفوة ، لابن الجوزي ، تحقيق/ محمود فاخوري ، محمد رواس قلعة جي ، ط. دار الوعي بحلب ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م.

- صون المنطق والكلام عن فن المنطق والكلام ، للسيوطي ، تعليق/ علي سامي النشار ، ط. الأولى ، السعادة بمصر .

(ض)

- ضحى الاسلام ، لأحمد أمين ، ط. القاهرة ١٣٦٢هـ - ١٩٤٣م.

(ط)

- طبقات الأطباء والحكماء ، لابن جلجل : أبي داود سليمان بن حسان ، تحقيق/ فؤاد سيد ، القاهرة ١٩٥٥م.

- طبقات الحنابلة ، لأبي الحسين محمد بن أبي يعلى ، تصحيح/ محمد حامد الفقي ، ط. السنة المحمدية ، القاهرة .

- طبقات الشافعية ، للأسنوي ، تحقيق/ عبد الله الجبوري ، ط. الأولى ، الارشاد ، بغداد .

- طبقات الشافعية ، لابن قاضي شهبة ، تحقيق الدكتور/ عبد العليم خان ، ط. الأولى ، حيدر آباد - الهند .

- طبقات الشافعية الكبرى ، لأبي نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي ، تحقيق/ عبد الفتاح الحلو ، ومحمود الطناحي ، ط. الأولى ، الحلبي .

- طبقات الصوفية ، لأبي عبد الرحمن السلمي ، تحقيق نور الدين شريبة ، ط. الخانجي ، القاهرة ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م.

- طبقات الفقهاء ، للشيرازي ، تحقيق د/ احسان عباس ، ط. دار الرائد العربي ، بيروت ١٩٧٠م.

- طبقات الفقهاء الشافعية ، لأبي عاصم محمد بن أحمد العبادي ، ط. ليدن بريل ١٩٦٤م.

- الطبقات الكبرى ، لابن سعد ، ط. بيروت ١٣٧٦هـ - ١٣٧٧هـ .

- الطبقات الكبرى : لواقح الأنوار في طبقات الأخيار ، لعبد الوهاب بن أحمد بن علي الشعراني ، ط. الأولى ، الحلبي ، ١٣٧٣هـ - ١٩٥٤م.

- طبقات المفسرين ، لمحمد بن علي بن أحمد الداودى ، تحقيق /علي محمد عمر ، الناشر مكتبة وهبة ، ط. الأولى ، ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م.

- طبقات المفسرين ، لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي ، تحقيق / علي محمد عمر ، ط. وهبة ، القاهرة ، الأولى ، ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م.

- طبقات النحويين واللغويين ، لأبي بكر محمد بن الحسن الزبيدى ، تحقيق / محمد أبو الفضل ابراهيم ، ط. المعارف بمصر .

(ع)

- العبر في خبر من عبر ، للذهبي ، ط. الكويت .

- عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات ، لزكريا بن محمد بن محمود القزويني ، ط. الحلبي ، ١٣٨٥هـ - ١٩٦٦م.

- العقود الدرية من مناقب شيخ الاسلام أحمد بن تيمية ، لأبي عبد الله محمد بن أحمد ابن عبد الهادى ، تحقيق / محمد حامد الفقي ، ط. حجازى بالقاهرة ١٣٥٦ هـ - ١٩٣٨م.

- العقيدة المفيدة : عقيدة السلف وأصحاب الحديث ، لأبي عثمان اسماعيل بن عبد الرحمن الصابوني ، الطبعة الأولى ، الحسينية بمصر.

- العقيدة النظامية ، لعبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني ، تحقيق/د .أحمد حجازى السقا ، ط. القاهرة ، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

- العقيدة الواسطية ، لابن تيمية ، ضمن مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية ، ط. الرياض .

- عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، لابن أبي أصيبعة : أحمد بن القاسم ، تحقيق د /نزار رضا ، ط. دار الحياة ، بيروت ، ١٩٦٥م.

(غ)

- غاية المرام في علم الكلام ، لأبي الحسن علي بن أبي علي بن محمد الآمدى ، تحقيق /حسن محمود عبد اللطيف ، ط. القاهرة ١٣٩١هـ - ١٩٧١م.

- غاية النهاية في طبقات القراء ، لمحمد بن محمد بن الجزرى ، ط. الخانجي بمصر ١٣٥١هـ - ١٩٣٢م.

- غريب الحديث ، لأبي عبيد القاسم بن سلام الهروى ، ط. الأولى ، حيدر آباد - الهند.

(ف)

- الفاضل ، لأبي العباس محمد بن زيد المبرد ، تحقيق / عبد العزيز الميمني ، ط. دار الكتب المصرية ١٣٧٥هـ - ١٩٥٦م القاهرة .

- فتح البارى بشرح صحيح البخارى ، لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، ط. السلفية .

- الفتوحات المكية ، لابن عربي ، تحقيق د / عثمان يحيى ود / ابراهيم مدكور ، ط. الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٣٩٢هـ ١٣٩٥هـ .
طبعة أخرى ، دار الكتب العربية الكبرى بمصر .

- فجر الفلسفة اليونانية قبل سقراط ، للدكتور / أحمد فؤاد الأهواني ، ط. الأولى ١٩٥٤م ، الحلبي .

- فخر الدين الرازى وآراؤه الكلامية والفلسفية ، لمحمد صالح الزركان ، ط. دار الفكر .

- الفرق بين الفرق ، لعبد القاهر بن طاهر البغدادى ، تحقيق / محمد محي الدين عبد الحميد ، ط. المدني ، القاهرة .

- فرق الشيعة ، لأبي محمد الحسن بن موسى النوبختي ، تصحيح هـ. ريتر ، استانبول ١٩٣١م .

- الفصل في الملل والأهواء والنحل ، لأبي محمد علي بن أحمد بن حزم الظاهرى ، ط. دار المعرفة ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م .

- فصوص الحكم ، لابن عربي ، تحقيق د / أبو العلا عفيفي ، ط. الحلبي ١٣٦٥هـ - ١٩٤٦م .

- فضائح الباطنية ، لأبي حامد الغزالي ، حققه الدكتور / عبد الرحمن بدوى ، ط . الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ١٣٨٣هـ - ١٩٦٤م .

- فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة ، للقاضي عبد الجبار المعتزلي ، تحقيق / فؤاد سيد ، ط. الدار التونسية للنشر ، تونس ١٣٩٣هـ - ١٩٧٤م .

- الفقه الأكبر ، لأبي حنيفة ، وشرحه لملا علي القارى ، ط. الأولى ، ١٣٢٣هـ القاهرة .

- الفلسفة عند اليونان ، للدكتورة / أميره حلمي مطر ، القاهرة ١٩٨٢م .

- الفهرست للنديم : أبي الفرج محمد بن اسحاق ، تحقيق / رضا تجدد ، ط. طهران ١٣٩١هـ - ١٩٧١م .

- فهرس دار الكتب المصرية ،ط . دار الكتب ، القاهرة ، ١٣٤٢هـ - ١٩٢٤م.

- فهم القرآن للحارث المحاسبي ، تحقيق حسين القوتلي ،ط. الأولى ، ١٣٩١ هـ - ١٩٧١م ، دار الفكر ، بيروت .

- فوات الوفيات لمحمد بن شاكر الكتبي ، تحقيق الدكتور/احسان عباس ،ط. صادر ، بيروت .

- الفوائد البهية في تراجم الحنفية ، لمحمد عبد الحي بن محمد عبد الحليم الأنصارى اللكنوى الهندى ، ط. الأولى ١٣٢٤هـ -ط. السعادة بمصر.

- الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة ، لمحمد بن علي الشوكاني ، تحقيق/ عبد الرحمن بن يحي المعلمي ،ط. الثانية ١٣٩٢هـ بيروت .

- فيض القدير شرح الجامع الصغير ، لمحمد عبد الرؤوف المناوى ، ط. ١٣٩١ هـ - ١٩٧٢م.

(ق)

- القاموس المحيط ، لمحمد بن يعقوب الفيروزابادى ،ط. الثالثة ،بولاق ١٣٠١هـ .

- قانون التأويل ، لأبي حامد الغزالي ، تحقيق/ محمد زاهد الكوثرى ، ط. الأولى ، ١٣٥٩هـ - ١٩٤٠م.

(ك)

- الكامل في التاريخ ، لابن الأثير: أبي الحسن علي بن محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد ،ط. بيروت ١٣٨٥هـ - ١٣٨٦هـ .

- كشاف اصطلاحات الفنون ، لمحمد علي الفاروقي النهانوى ،ط. بيروت .

- كشف الأستار عن زوائد البزار على الكتب الستة ، للحافظ علي بن أبي بكر الهيثمي ، تحقيق/ حبيب الرحمن الأعظمي ،ط. الأولى ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م ،مؤسسة الرسالة .

- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، لحاجي خليفة ط. الثالثة ١٣٧٨هـ - ١٩٥٧م.

- الكليات ، لأبي البقاء الحسيني الكفوى ، ط. بولاق ،القاهرة ١٢٥٣هـ .

(ل)

- اللباب في تهذيب الأنساب ، لعز الدين بن الأثير الجزرى ، ط. مكتبة المثنى ببغداد .

- لسان العرب ، لابن منظور: محمد بن مكرم بن منظور، ط. بيروت .

- لسان الميزان ، لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، الناشر مؤسسة الأعلمي ، بيروت.

- لمع الأدلة في قواعد عقائد أهل السنة والجماعة لأبي المعالي الجويني ، تحقيق د / فوقية حسين محمود ، ط. الأولى ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م.

- اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع ، لأبي الحسن علي بن اسماعيل الأشعري ، تصحيح وتعليق د / حمود غرابة ، ط. الخانجي ، القاهرة ، ١٩٥٥م.

- اللـه = كتاب عنوانه " الله " ، لعباس محمود العقاد ، ط. المعارف ، الثانية .

- لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية ، لمحمد بن أحمد السفاريني ، تعليق/عبد الله بن عبد الرحمن أبا بطين وسليمان بن سحمان وغيرهما ، ط. دار الاصفهاني ، جدة ١٣٨٠هـ .

(م)

- المباحث المشرقية ، لأبي عبد الله الرازي ، ط. الأولى ، حيدر آباد ١٣٤٣هـ .

- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، لعلي بن أبي بكر الهيثمي ، الناشر ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، الطبعة الثانية ١٩٦٧م.

- مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية ، جمع وترتيب عبد الرحمن بن قاسم وابنه محمد ، ط. الرياض .

- مجموعة تفسير شيخ الاسلام ابن تيمية ، تحقيق/عبد الصمد شرف الدين ، ط. بمباى ، الهند ، ١٣٧٤هـ - ١٩٥٤م.

- محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكماء والمتكلمين ، لأبي عبد الله محمد بن عمر الرازي ، مراجعة طه عبد الرؤوف سعد ، ط. مكتبة الكليات الأزهرية ، القاهرة .

- مختار الصحاح ، لمحمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي ، ط. دار الكتاب العربي ، بيروت ١٩٦٧م.

- مذاهب الاسلاميين ، للدكتور/عبد الرحمن بدوي ، ط. دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٧١م.

- مذهب الذرة عند المسلمين وعلاقته بمذاهب اليونان والهنود ، للدكتور/س. بينيس ، ترجمة محمد عبد الهادى أبي ريدة ، ط. القاهرة ١٣٦٥هـ - ١٩٤٦م.

- مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة مايعتبر من حوادث الزمان ، لأبي محمد عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان اليافعي اليمني المكي ، ط. الأولى ، حيدر آباد ١٣٣٩هـ .

- مروج الذهب ، لأبي الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودى ، تحقيق / محمد محي الدين عبد الحميد ، ط. السعادة بمصر .

- المستدرك على الصحيحين في الحديث ، للحاكم : أبي عبد الله محمد بن عبد الله النيسابورى ، وفي ذيله تلخيص المستدرك ، لأبي عبد الله محمد بن أحمد الذهبي ، ط. الأولى ، حيدر آباد - الهند ١٣٣٤هـ .

- مسند الامام أحمد بن حنبل ، ط. الحلبي .
طبعة أخرى ، بتحقيق / الشيخ أحمد شاكر ، ط. المعارف ، القاهرة .

- مسند الامام الشافعي ، بهامش الجزء السادس من كتاب " الأم " ، ط. الأولى ، بولاق بمصر ١٣٢٤هـ .

- مشكاة الأنوار ، للغزالي ، تحقيق د / أبو العلا عفيفي ، ط. الدار القومية ، القاهرة ، ١٣٨٣هـ - ١٩٦٤م.

- المطالب العالية ، لأبي عبد الله الرازى ، مخطوط بدار الكتب المصرية ، علم الكلام (م) ٤٥.

- معالم أصول الدين ، لأبي عبد الله الرازى ، تحقيق / طه عبد الرؤوف سعد ، الناشر مكتبة الكليات الأزهرية ، القاهرة .

- معاني القرآن ، لأبي زكريا يحي بن زياد الفراء ، تحقيق / أحمد يوسف نجاتي ومحمد علي النجار ، ط. دار الكتب ١٣٧٤هـ - ١٩٥٥م ، القاهرة .

- المعتبر ، لأبي البركات هبة الله بن علي بن ملكا ، ط. الأولى ، حيدر آباد ١٣٥٧هـ.

- المعتمد في أصول الدين ، للقاضي أبي يعلى ، حققه الدكتور/ وديع زيدان حداد ، دار المشرق ، بيروت .

- معجم الأدباء ، لياقوت الحموى ، ط. دار المأمون .

- معجم البلدان ، لياقوت بن عبد الله الحموي ، ط. دار صادر ، بيروت .

- معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع ، لأبي عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكري ، تحقيق/مصطفى السقا ، ط. الأولى ١٣٦٤هـ - ١٩٤٥م ، القاهرة .

- معجم المؤلفين ، لعمر رضا كحالة ، ط. الترقي بدمشق .

- معيار العلم ، للغزالي ، تحقيق الدكتور/ سليمان دنيا ، ط. المعارف بمصر ١٩٦١م .

- مفاتيح العلوم ، لمحمد بن أحمد بن يوسف الخوارزمي ، تقديم الدكتور عبد اللطيف محمد العبد ، ط. دار النهضة العربية ، القاهرة .

- مفتاح السعادة ومصباح السيادة ، لطاش كبرى زادة : أحمد بن مصطفى ، ط. الأولى حيدر آباد - الهند .

- مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين ، لأبي الحسن علي بن اسماعيل الأشعري ، تحقيق/ محمد محي الدين عبد الحميد ، الطبعة الثانية ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م .

- ملحق في الجهمية ، أخذ من كتاب مسائل الامام أحمد بن حنبل ، لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني ، ضمن مجموعة عقائد السلف ، ط. الاسكندرية .

- الملل والنحل ، لأبي الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني ، بهامش كتاب الفصل ، ط. دار المعرفة ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م .

- منازل السائرين ، لأبي اسماعيل عبد الله بن محمد الأنصاري الهروي ، ط. الأولى ، ١٣٢٦هـ - ١٩٠٨م بمصر .

- مناقب الامام أحمد بن حنبل ، لأبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي ، تحقيق د/ عبد الله بن عبد المحسن التركي ود/علي محمد عمر ، ط. الخانجي بمصر ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م .

- منتخب طبقات الشافعيين لابن الصلاح ، انتخبه أبو زكريا النووي ، مخطوط بمكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة ، الرقم العام ٣٩٧١ ، رقم التصنيف ٢٢٥/ ٩٠٠ .

- المنتظم في تاريخ الأمم والملوك ، لابن الجوزي ، ط. حيدر آباد ١٣٥٧هـ .

- المنقذ من الضلال ، لأبي حامد الغزالي ، تحقيق د/ جميل صليبا ، ود/ كامل عياد ط. دار الأندلس ، التاسعة ١٩٨٠م .

- منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية ، لابن تيمية ، تحقيق الدكتور /محمد رشاد سالم ، ط. المدني ، القاهرة .

- المنية والأمل ، لأحمد بن يحي بن المرتضى ، تحقيق د /علي سامي النشار وعصام الدين محمد علي ، ط. دار المطبوعات الجامعية ١٩٧٢م.

- موارد الظمآن الى زوائد ابن حبان ، لأبي بكر الهيثمي ، تحقيق/محمد عبد الرزاق حمزة ، ط. السلفية .

- المواقف في علم الكلام ، لعبد الرحمن بن أحمد الايجي ، ط. عالم الكتب ، بيروت .

- الموضوعات ، لابن الجوزى ، تحقيق/عبد الرحمن محمد عثمان ، ط. الأولى ١٣٨٦ هـ - ١٩٦٦م.

- الموطأ ، للامام مالك بن أنس ، تحقيق/محمد فؤاد عبد الباقي ، ط. الحلبي .

- ميزان الاعتدال في نقد الرجال ، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، تحقيق/ علي محمد البجاوى ، ط. الحلبي ، الأولى .

(ن)

- النبوات ، لشيخ الاسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية ، ط. دار الفكر .

- النجاة في الحكمة المنطقية والطبيعية والالهية ، لابن سينا ، ط. الثانية ١٣٥٧ هـ - ١٩٣٨م .

- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، لأبي المحاسن يوسف بن تغرى بردى الأتابكي ، ط. الأولى ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر.

- نكت الهيمان في نكت العميان ، لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدى ، تحقيق /أحمد زكي بك ، القاهرة ١٣٢٩هـ - ١٩١١م.

- نهاية الاقدام في علم الكلام ، لمحمد بن عبد الكريم الشهرستاني ، تصحيح الفرد جيوم ، ط. لندن ١٩٣٤م.

- نهاية العقول في دراية الأصول ، لأبي عبد الله الرازى ، مخطوط بدار الكتب المصرية ، علم الكلام ٧٤٨.

- النهاية في غريب الحديث والأثر ، لمجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزرى ابن الأثير، تحقيق / طاهر أحمد الزاوى ، محمود محمد الطناحي ط. الحلبي ١٣٨٣هـ - ١٩٦٣م .

(هـ)

- هدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين ، لاسماعيل باشا البغدادى ، ط. استانبول ١٩٥١م .

(و)

- الوافي بالوفيات ، لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدى ، دار النشر فرانز شتايز بفيسبادن ، ١٣٨١ - ١٣٩١هـ .

- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، لأبي العباس أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان ، حققه د / احسان عباس ، ط. دار صادر .

(فهرس الموضوعات)

كتاب " شرح الأصبهانيــة "

الموضوع :	رقم الصفحة
- اضطراب كلام الرازى في " الكثرة ".	٦٦
- كلام الرازى في كتاب " الأربعين " في نفي الكثرة .	٦٦
- تعليق ابن تيمية .	٦٧
- كلام الرازى في كتاب " نهاية العقول " في وقوع الكثرة .	٦٨
- تعليق ابن تيمية .	٧٠
- حيرة أهل الكلام وشكهم .	٧١
- مذهب الفلاسفة في علم الله .	٧٣
- معاني مسمى " واجب الوجود " .	٧٧
- الوجه الخامس .	٧٩
- الوجه السادس .	٨١
- الوجه السابع .	٨١
- توحيد الرسل .	٨٥
- عود لبيان دليل الأصبهاني على الوحدانية .	٨٦
فصل	٨٩ - ٩٨
- أنواع التوحيد.	٨٩
- توحيد الصفات .	٨٩
- الفرق بين مسلك ابن سينا ونحوه ومسلك سلفهم اليونانيين في الالهيات .	٨٩
- العلم الأعلى هو العلم بالله تعالى .	٩١
فصل	٩٨ - ١٣٤
- توحيد الربوبية .	٩٨
- قول الثنوية .	٩٨
- قول النصارى .	٩٩
- صحة دليل التمانع ، وخطأ الآمدى في الاعتراض عليه .	١٠٣
- اقرار مشركي العرب بتوحيد الربوبية .	١٠٥
- غالب شرك الأمم من سببين :	١٠٦
١- تعظيم قبور وتماثيل الصالحين .	١٠٦
٢- عبادة الكواكب .	١١٠

الموضوع :	رقم الصفحة

الموضوع :	رقم الصفحة

الموضوع :	رقم الصفحة

الموضوع :	رقم الصفحة

الموضوع :	رقم الصفحة

الموضوع :	رقم الصفحة